

بِرِّ الْإِيمَانِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

الإيمان بالله

تَأَلَّفَ

أَبِي حَمْرَةَ غَازِي بْنِ سَالِمٍ أَوْفَلَحَ

إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي

عفا الله عنه وعن والديه وشاهجه وجميع المسلمين

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

الإيمان
بالرسل

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان

بالقدر خيره وشره

- ① الإيمان بالله 2
- ② الإيمان بالرسل 168
- ③ الإيمان بالملائكة 292
- ④ الإيمان بالكتب 406
- ⑤ الإيمان بالقضاء والقدر .. 458
- ⑥ الإيمان باليوم الآخر 550
- ⑦ الإيمان بالجنة والنار 920

الكتاب كامل في ملف واحد

الكتب المدمجة

دمج وفهرسة الكتب ذات الأجزاء المتعددة

بِرِّ اللَّهِ الظُّمَامِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

الإيمان بالله

تَأَلَّفُ

أَبِي حَمَزَةَ غَازِي بْنِ سَالِمٍ أْفَلَحَ

إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي

عَمَّا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَاجِيهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

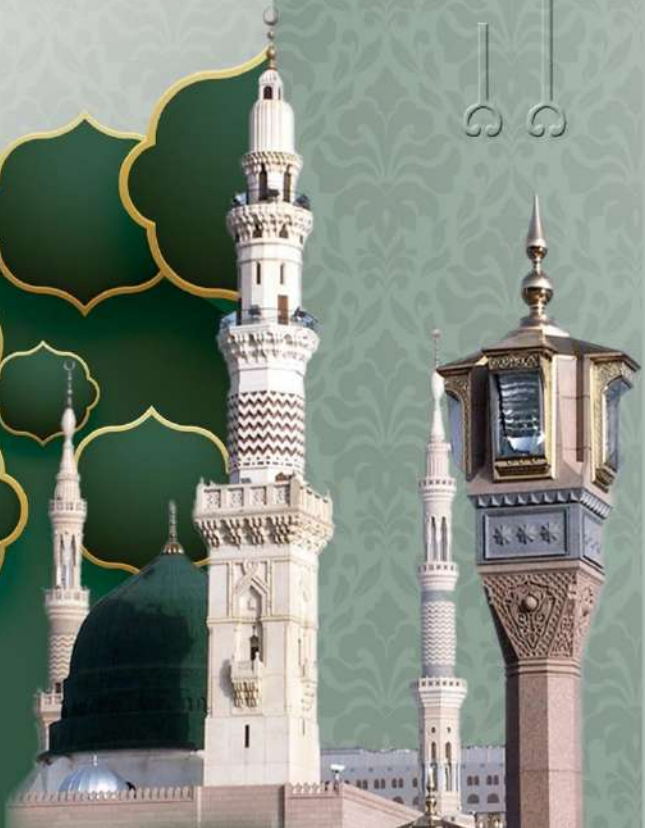
الإيمان
بالرسل

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان

بالتقدير خيره وشره



سلسلة: رِيّ الظَّمَانِ بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيْمَانِ (١)

الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ

جَلَّ جَلَالُهُ

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلاح

عفا لله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي الشيخ محمد بن عبد الله باموسي

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفصح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام

التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com



الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar

التقديم للكتاب

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

عزيز بن فرحان العنزي حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد:

فلا يخفى ما لكتاب الجامع لشعب الإيمان؛ للحافظ البيهقي رحمته الله من المنزلة الكبيرة، والمكانة الرفيعة، عند العلماء، وطلاب العلم، بل وعند الوعاظ والخطباء، وذلك لما اشتمل عليه من الفوائد النفيسة، والفرائد الماتعة، والحكم والأقوال الباهرة.

فهو كتاب عظيم، حوى جملة كبيرة من الأحاديث النبوية، وآثار الصحابة والتابعين، والأقوال والحكم والأشعار في جميع الفنون الشرعية.

وقد قام الإمام البيهقي بإسناد ما أورده الحلبي من الأحاديث والآثار التي ذكرها في شرحه من دون إسناد، وزاد عليها ما شاء الله أن يزيد؛ فجاء موسوعة علمية قل نظيره في بابه.

ولما كانت الأحاديث والآثار التي أوردها البيهقي، منها: الصحيح، والحسن، والضعيف، والموضوع، من خلال عرضها وإجراءها على وفق القواعد الحديثية، فإن الحاجة ملحة إلى غرلة الكتاب، وتنقيته مما شابه مما لم يصح، وقد انبرى لهذه المهمة، وتجشم لهذا المشروع فضيلة الشيخ غازي بن سالم أفلق، وهو من طلاب العلم الأمثال، وعلى منهاج سليم، -أحسبه والله حسيبه-، وممن لهم عناية بالأحاديث، رواية ودراية،

حيث قام من خلال هذا السفر الموسوم بـ " ريّ الظمان بمجالس شعب الإيمان " على اختيار ما صح لديه مما اشتمل عليه الجامع من الأحاديث والآثار، -المتعلقة بأركان الإيمان الستة-، وزاد فيه مباحث ومسائل هامة، جعلته يخرج بهذه الحلة القشبية، والذي يمثل إضافة هامة للمكتبة الإسلامية، لا سيما وأن هذا المصنف يحتاج إليه المبتدي؛ كما أنه لا يستغني عنه المنتهي.

وأسأل الله تعالى أن يجعله مباركاً نافعاً،

وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد،،

وكتبه

عزيز بن فرحان العنزي

٤ رجب ١٤٤٣هـ

مدير مركز الدعوة والإرشاد بدبي سابقاً

رئيس اللجنة الأكاديمية بمجلس الأمناء بالجامعة القاسمية



مقدمة الشيخ الدكتور

رشاد بن حمود الحزمي حفظه الله

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين؛
أما بعد:

فقد قرأت كتاب "رَبِّي الظَّمَانُ بمجالسِ شعب الإيمان"، تأليف: الشيخ أبي حمزة
غازي بن سالم أفلح البدوي، فوجدته كتاباً مفيداً، ذكر فيه مؤلفه عقيدة أهل الإيمان
في أصول الإيمان الستة، من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.
وهو كتاب وافق مضمونه عنوانه، فإن قارئه يرتوي بقراءته، بما يشعر به في نفسه
من زيادة الإيمان.

وتتجلى أهمية الكتاب فيما يلي:

- ١- كتابته بأسلوب سهل، يستفيد منه الطالب المبتدي، والعالم المنتهي.
- ٢- استيعابه للأدلة من القرآن الكريم في الغالب، مع العناية بالمأثور من تفسيرها
من أقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة. مع عزو الأقوال لمن أخرجها من
الأئمة في كتب الحديث والتفسير المسندة، والمصنفات وغيرها.
- ٣- كثرة الأدلة من الأحاديث عن رسول الله ﷺ، مع عزوها لمن أخرجها من أئمة
الحديث في كتبهم من الصحاح والسنن والمسانيد والمعجم والأجزاء وغيرها. وبيان
مرتبها إن كان الحديث في غير الصحيحين، واعتناؤه بذكر أحكام العلماء المتقدمين
والتأخرين على الحديث، واختيار ما يراه صواباً وفق القواعد الحديثية. واهتمامه البالغ
بألفاظ الحديث، وسياقه مساقاً واحداً، مع ذكر الزيادات، ومن زادها من أهل العلم.
- ٤- ذكر أقوال العلماء في الكلام على الأحاديث، بتفسير غريبها، أو حل مشكلها، أو

دفع تعارضها أو غير ذلك.

٥- اهتمامه بذكر أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، وعزوها لمن أخرجها من أهل العلم في كتبهم، والحكم عليها صحة وحسناً وضعفاً.

٦- كثرة المصادر التي نقل منها المؤلف في هذا الكتاب

٧- كثرة العناوين التفصيلية للكتاب، التي تقرب الاستفادة منه.

وهذا الكتاب تهذيب وشرح لكتاب "الجامع لشعب الإيمان" للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨ هـ) رحمته الله تعالى؛ فأسال الله أن ييسر لمؤلفه إتمامه، فلو تم، لعله أن يكون في أكثر من عشرين مجلداً.

ولقد استفدت من قراءتي لهذا الكتاب، فجزى الله مؤلفه الشيخ غازي بن سالم خيراً، وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه/

أبو عبدالله رشاد بن حمود الحزمي

في يوم الثلاثاء

٢١ من شهر رجب الحرام من عام ١٤٤٣ هـ.





مقدمة فضيلة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله

القائم على دار الحديث السلفية في اليمن - محافظة إب - مفرق حبيش

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلواته على منتهى الثناء، أما بعد:

فقد قام الأخ غازي بن سالم أفصح، بتأليف كتاب "ري الظمان بمجالس شعب الإيمان" سائرا على منوال كتاب شعب الإيمان للبيهقي، أخذنا منه ومضيفا عليه مع حذف الأحاديث الضعيفة، وإبقاء عامة الأحاديث الصحيحة، وحشد فيه من الفوائد العلمية من كلام أهل العلم ما جعل الكتاب مرجعا في بابه، وقد ألقى ذلك في أكثر من مائة مجلس، منها سبعة وثلاثون مجلسا في أركان الإيمان الستة.

أسأل الله أن يثبت بذلك إيمانه ويعلي درجته،

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد العزيز بن يحيى البرعي

١٨ رجب ١٤٤٣ هـ



مقدمة الشيخ المحدث

أبي عمار محمد بن عبد الله باموسى حفظه الله

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية اليمن - الحديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعل الإيمان شعباً، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ الذي بمبعثه حُرست السماء، ورُجمت الشياطين شُهباً، وآله وصحبه الحائزين الشرف والفضل الثَّجَبَا، والتَّابِعِينَ لهم بإحسان وَمَنْ إِلَيْهِمْ انتسبا^(١). أما بعد:

فإن الإيمان الذي يشمل الأعمال، وأنواعها، وأجناسها بضعٌ وسبعون شعبة، وهذه الشعب هي الأعمال الشرعية، التي تتشعب وتتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن. وتتفاوت هذه الشعب في مراتبها من الإيمان، فمنها ما يكون في أعلى مراتب الإيمان، ومنها ما يكون في أدناها، وما بين أعلى الإيمان وأدناه شعب متعددة. قال ابن القيم رحمته الله: الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمى إيماناً ظاهراً كان أو باطناً، فالصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والحج من الإيمان، والصيام من الإيمان، والأعمال الباطنة من الإيمان، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً^(٢).

وقول النبي ﷺ: «الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعبة»، المراد بذلك أنَّ خصال الإيمان لا تخرج عن هذا العدد^(٣)، وأنها متفاوتة، فتدخل فيها أعمال القلوب،

(١) مقتبسة من مقدمة الزبيدي رحمته الله، على «شعب الإيمان».

(٢) «الصلاة وأحكام تاركها» (ص: ٥٥) بتصرف.

(٣) قد يشكك هنا أن تفاصيل أفعال الخير من واجبات ومستحبات تفوق العدد المذكور في الحديث، وقد أجاب أهل العلم عن هذا الإشكال بعدة أجوبة، ذكرها ابن رجب رحمته الله في «فتح الباري» (٣١-٣٠/١).

وأعمال الجوارح، وأعمال اللسان، والحديث جمع هذه كلها.
 فمَثَلٌ لأعمال اللسان بقول: « لا إله إلا الله ». ولأعمال القلوب ب: « الحياء ».
 ولأعمال الجوارح ب: « إمطة الأذى عن الطريق ».
 والحديث كذلك جمع أركان الإيمان الثلاثة المجمع عليها: القول والعمل
 والاعتقاد^(١).

وكتاب "شعب الإيمان" للإمام البيهقي رحمته الله يعتبر من الموسوعات العلمية الكبرى
 التي صنّفها الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمته الله، وهو عبارة عن شرح
 لحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، وقد حاول رحمته الله سرد هذه الشعب وذكر الأدلة
 المتعلقة بها، وقد أبدع رحمته الله في ذلك غاية الإبداع.

والكتاب على جلالة قدره فيه أحاديث مختلفة المراتب، ففيه الصحيح، والحسن،
 والضعيف، وشديد الضعف، وفيه بعض الموضوعات وهي قليلة.

هذا وقد قام فضيلة الشيخ المحدث أبي حمزة غازي بن سالم أفلق، وفقه الله، بعقد
 مجالس للمداخلة في هذا الكتاب المبارك بلغت أكثر من مائة مجلس، فُرِّغَ منها سبعة
 وثلاثون مجلساً، وعمله وفقه الله، في كتاب البيهقي كعمل المزي رحمته الله في "الكمال"^(٢):

- * فقد اختار الشارح من كتاب البيهقي الصحيح وما قاربه،
- * ثم زاد عليه زيادات صحيحة من خارج الكتاب، كما زاد البيهقي نفسه على
 كتاب الحلبي رحمته الله المسمى ب: "المنهاج المصنّف في شعب الإيمان".
- * ثم قام وفقه الله، بشرح المهذب منه شرحاً ميسراً سهلاً ممتنعاً قريباً من جميع
 القراء على اختلاف ثقافتهم ومستوياتهم وطبقاتهم العلمية،

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣٨/٩)، «الفتاوى» لابن تيمية (٣٣٠/٧)، «اجتماع الجيوش الإسلامية»
 لابن القيم (ص: ٢١٨)، رحمة الله على الجميع

(٢) انظر: مقدمة «تهذيب الكمال» (١/٤٣-٤٨) لبشار عواد؛ لمعرفة عمل المزي رحمته الله في كتاب «الكمال» في
 أسماء الرجال» للحافظ الكبير أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي رحمته الله.

* وقد نثر في هذه المجالس العلمية المباركة:

✓ دررًا من العلوم والفنون وبدائع الفوائد،

✓ وفوائد القلائد،

✓ وغرائب الفرائد،

✓ ونوادر الشوارد،

* فهو كتاب جليل القدر، والكتاب يترجم لكتابه.

أسأل الله العظيم أن يحددنا بشعب الإيمان وفي شعب الإيمان،

وأن يتوفانا على أعلى مراتب شعب الإيمان،

والله تعالى أعلم، وهو أعز وأكرم،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه:

العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير

أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسى)

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية اليمن - الحديدة

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين.

٢٩/جمادى الآخرة/١٤٤٣هـ

مكة المكرمة، شعب عامر، جبل السودان



مقدمة الشيخ الفقيه

نعمان بن عبد الكريم الوتر حفظه الله

القائم على دار الحديث السلفية في مدينة دار السلام، اليمن، يختل، المخا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فقد طلب مني الاطلاع على كتاب "رِيّ الظمآن بمجالس شعب الإيمان" والتقديم له، فألفيته كتابا قيما نافعا مفيداً عقد فيه مؤلفه الشيخ المفضل المبارك غازي بن سالم أفلق حفظه الله مجالس عدة لشرح كتاب "شعب الإيمان" للحافظ البيهقي رحمته الله، تم تفريغ الكثير منها ويلاحظ القارئ الجهدَ المبرورَ للشيخ غازي في هذه المجالس حيث اختار ما صح، وزاد ما تدعوا الحاجة إليه، وتقريبه، وتهذيبه، وشرحه شرحاً رائقاً، ميسراً، مرصعاً بالفوائد القيمة، فصارت مجالس مستطابة، فيها العديد من الفواكه الشهية، والأفنان النّدية، جزاه الله خيراً، وكتب أجره، ونفع به، وجعل أعمالنا وأعماله خالصة لوجهه الكريم، نافعة لنا وله ولمن شاء من عباده في الدنيا ويوم الدين،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وكتبه

نعمان بن عبد الكريم الوتر

١١ رجب ١٤٤٣ هـ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مُبارَكًا فِيهِ، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده،
والصلاة والسلام على خير خلقه وأفضل رسله، وأمينه على وحيه، نبينا محمد بن
عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى صحابته، ومن تبعهم بإحسان.
أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية من هذه السلسلة المباركة، جعلتها مقسمة إلى أجزاء سبعة،
يتضمن كل جزء منها الحديث عن ركن من أركان الإيمان الستة، على هذا الترتيب
الإيمان بالله، ورسله، وملائكته، وكتبه، والقدر خيره وشره، ثم الإيمان باليوم الآخر،
ثم الإيمان بالجنة والنار، وقد كانت الطبعة الأولى في مجلدين كبيرين، فرأيت أن تكون
هذه الطبعة مجزأة على هذه الأجزاء ليسهل الانتفاع بها، وقد راجعتها وصححت بعض
الأخطاء في الطبعة الأولى، وزدت فيها زيادات -يسيرة- في مواضع عدة من مباحث
الكتاب.

فأسأل المولى ﷺ أن يتقبل مني هذا العمل وأن يرزقني الإخلاص والقبول إنه خير
مسؤول وهو حسبي ونعم الوكيل

وكتبه

أبو حمزة غازي بن سالم أفلح

١٩ من ذي الحجة ١٤٤٣هـ

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذه مجالس في مدارسة كتاب «الجامع لشعب الإيمان» للحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، المولود في سنة (٣٨٤) والمتوفى في سنة (٤٥٨هـ)

رحمته الله.

نبذة عن الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي:

وهو أحد الأئمة الكبار المشهورين بالحديث، وهو من محدثي فقهاء الشافعية الجامعين بين الحديث والفقهاء.

بل قال الحافظ ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) رحمه الله: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَبِيبِ الْعَامِرِيِّ بِنِعْدَادٍ يَقُولُ سَمِعْتُ مَنْ يَحْكِي عَنِ الْإِمَامِ أَبِي الْمَعَالِيِّ الْجَوْيْنِيِّ رحمه الله، أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ شَافِعِيٍّ إِلَّا وَللشَّافِعِيِّ عَلَيْهِ مَنَّةٌ إِلَّا أَحْمَدَ الْبَيْهَقِيَّ فَإِنَّ لَهُ عَلَى الشَّافِعِيِّ مَنَّةً لِتَصَانِيفِهِ فِي نَصْرَةِ مَذْهَبِهِ وَأَقَاوِيلِهِ أَوْ كَمَا قَالَ أ.هـ^(١)

(١) تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعري (ص: ٢٦٦) - وعنه شرف الدين علي بن الفضل المقدسي (ت: ٦١١) في كتاب "الأربعون على الطبقات" (ص: ٥١٥)، وانظر أيضا: طبقات الفقهاء للشيرازي ط القلم (ص: ٢٣٣)، الطبقات الكبرى للسبكي: ١٠/٤ في ترجمة البيهقي.

وعلق الذهبي رحمته الله على قول أبي المعالي فقال: أصاب أبو المعالي، هكذا هو، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه، لكان قادرا على ذلك، لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يلوح بنصر مسائل مما صح فيها الحديث اهـ^(١)

وقال أبو الحسن عبد الغافر الفارسي رحمته الله: كان على سيرة العلماء، قانعا من الدنيا باليسير، متجَملاً في زُهدِه وورعه. عاد إلى النَّاحية في آخر عُمُرِه، وكانت وفاته بها. وقد فاتني السَّماع منه لغيبة الوالد، ولانتقال الشيخ آخر عمره إلى النَّاحية. وقد أجاز لي^(٢).

ونقل ابن عبد الهادي عن عبد الغافر أنه قال في "ذيل تاريخ نيسابور": أبو بكر البيهقي الحافظ الأصولي، الدِّين الورع، واحد زمانه في الحفظ، وفرد أقرانه في الإتيان والضبط، من كبار أصحاب الحاكم، ويزيد عليه بأنواع من العلوم، كتب الحديث، وحفظه من صباه، وتفقه وبرع، وأخذ في الأصول، وارتحل إلى العراق والجلال والحجاز، ثم صنّف، وتوالمفه تقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد، جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث، ووجه الجمع بين الأحاديث، طلب منه الأئمة الانتقال من النَّاحية إلى نيسابور لسماح الكتب، فأتى في سنة إحدى وأربعين، وعقدوا له المجلس لسماح كتاب "المعرفة" وحضره الأئمة، وكان على سيرة العلماء، قانعا باليسير، متجَملاً في زُهدِه وورعه.

قال ابن عبد الهادي رحمته الله: مات البيهقي بنيسابور في عاشر جمادى الأولى من سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، ونُقِل في تابوت فدفن ببَيْهَق، وهي ناحية من أعمال نيسابور على يومين منها. وخُسرَ وجرَّد: هي أم تلك النَّاحية.^(٣)

من مؤلفات الإمام البيهقي:

تقدم قول تلميذه بالإجازة أبي الحسن عبد الغافر الفارسي: ... وتوالمفه تقارب ألف

(١) سير أعلام النبلاء - تح الأرناؤوط (١٦٩/١٨)

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار (٩٦/١٠)

(٣) طبقات علماء الحديث (٣٣١/٣) لابن عبد الهادي

جُزء مما لم يسبقه إليه أحد، جمع بين عِلْم الحديث والفِقه وبيان علل الحديث، ووجّه الجُمع بين الأحاديث. هـ ومن مصنّفاته النافعة، ومؤلفاته السائرة:

- ١- السنن الكبرى
- ٢- والمدخل إلى السنن الكبرى
- ٣- والسنن الصغير
- ٤- ومعرفة السنن والآثار
- ٥- والأسماء والصفات
- ٦- ودلائل النبوة
- ٧- والجامع لشعب الإيمان
- ٨- ومعرفة السنن والآثار
- ٩- والقراءة حلف الامام
- ١٠- والبعث والنشور
- ١١- والاعتقاد
- ١٢- والقضاء والقدر
- ١٣- وإثبات عذاب القبر
- ١٤- والآداب
- ١٥- والأربعون الصغرى
- ١٦- والدعوات الكبير
- ١٧- مناقب الشافعي
- ١٨- فضائل الأوقات
- ١٩- حياة الأنبياء في قبورهم
- ٢٠- الزهد الكبير

وغيرها كثير، وكتبه مسندة، وكثير منها مطبوع وهي عظيمة النفع.

كتاب شعب الإيمان:

وكتابه «الجامع لشعب الإيمان»:

- ١- كتاب مسند جمع فيه الحديث والأثر
- ٢- بناه على كتاب «الْمَنْهَاجُ الْمُصَنَّفُ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ» للحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي رحمته الله (١)
- ٣- واقتدى به في تقسيم الأحاديث على الأبواب،
- ٤- وحكى من كلامه عليها ما يتبين به المقصود من كل باب،
- ٥- وزاد عليه بذكر الأسانيد - على رسم أهل الحديث -
- ٦- مع الاقتصار على ما لا يغلب على القلب كونه كذبا.
- ٧- ومقتصرا على إخراج ما يتبين به بعض المراد
- ٨- وأحال للتفصيل والإسهاب على كتبه الأخرى المؤلفة في الاعتقاد خوفا من الملل في الإطناب. مثل: «كتاب الأسماء والصفات» و«كتاب الإيمان» و«القدر» و«الرؤية» و«دلائل النبوة»، و«البعث والنشور» و«عذاب القبر» و«الدعوات»، و«السنن»

هذه المجالس:

وقد رغبت منذ زمن في مدارس «الجامع لشعب الإيمان» مع الطلاب رجاء الانتفاع بعلومه وفوائده وبدأت في تدارسه مع بعض طلبة العلم في ٢٣ من شوال ١٤٣٠هـ، ولم يكتب لنا الاستمرار؛ ثم هيا الله تعالى العودة إليه مرة أخرى وكان البدء في مجالسه في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر شعبان من عام ١٤٤١هـ وقد تم عقد نحو من مائة مجلس، فاللهم أعنا على التمام.

(١) هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي أبو عبد الله الحلبي الجرجاني البخاري الفقيه الشافعي العلامة رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر أحد الأذكياء الموصوفين ومن أصحاب الوجوه في المذهب. ولد في سنة (٣٣٨) وتوفي سنة (٤٠٣هـ). سمع منه: البيهقي، وأكثر النقل عنه في كتابه شعب الإيمان، وكان البيهقي يثني عليه ويقول: قال إمامنا وشيخنا شيخ الإسلام. وروى عنه أيضًا: أبو عبد الله الحاكم صاحب المستدرک. انظر: إتحاف المرتقي بتراجم شيوخ البيهقي (ص: ١٥٠)

- هذا وقد قام مجموعة من إخواني طلبة العلم جزاهم الله خيرًا:
- ١- بتفريغ سبعة وثلاثين مجلسا من هذه المجالس وهي المتعلقة بأصول الإيمان الستة
 - ٢- ثم مراجعتها،
 - ٣- وتصحيحها،
 - ٤- راغبين في تهيتها للطبع ليعم نفعها ويسهل اقتناص فوائدها،
- وقد قمت:

- ١- بقراءة ما قاموا بتفريغه ومراجعته وتصحيحه.
 - ٢- وعملت على توثيق النصوص والأقوال وتخريج الأحاديث والآثار
 - ٣- وحذفت ما لا حاجة إليه
 - ٤- وأضفت ما لا بد منه
 - ٥- كما قمت بإبراز فوائدها في عناوين واضحة
- ولا شك أن الإلقاء والتدريس غير التأليف، فهذا فن وهذا فن، ولكن سدّدوا وقاربوا.
- ٦- وسميته:

ري الظمان بمجانس شعب الإيمان

المنهج المتبع في ري الظمان:

- ١- وهذا الكتاب: وإن سرت فيه على سنن كتاب البيهقي رحمة الله
- ٢- إلا أنني: عملت على تهذيب كتابه
- ٣- وأثبت منه بعض ما صح لدي
- ٤- وأعرضت عما رأيت أنه من الضعيف الذي لا يحسن إيراده هنا
- ٥- وربما ذكرت شيئا من ذلك، لكن مع بيان ضعفه
- ٦- وما سكت عنه فهو ثابت عندي

٧- وأضفت مباحث كثيرة وفوائد عديدة نثرتها في ثنايا المجالس
 ٨- وهذا القسم -من المجالس- خاص بالحديث عن شعب الإيمان المتعلقة
 بالأركان الستة للإيمان.

٩- فجعلت "الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه والقدر خيره وشره" في مجلد، ثم
 خصصت المجلد الثاني بالحديث عن شعبة "الإيمان باليوم الآخر".

وعلمي -فيما أحسب- شبيه بعمل الحافظ المزي رحمته الله الذي قام على تهذيب كتاب
 «الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المقدسي رحمته الله، وإصلاح ما وقع فيه من الوهم
 والاعغال، واستدراك ما حصل فيه من النقص والإخلال. لكنني لم أستوعب كل ما عند
 البيهقي في كتابه المذكور، وتركت جملة من مسائله، وقصدت أن أقتصر على بعض ما
 يصح ويفيد، وأضفت ما يعين على فهم المسائل وتكميلها، وتوضيح الدلائل وتقريب
 فهمها وجعلت معها من الفوائد الفرائد ما هو متصل بالأصل وعليه مزيد. فإن وفقت
 لذلك فالحمد لله وله الفضل والمنة، وإن أخطأت -والخطأ لابن آدم لازم لازب- فمني
 والشيطان، وأستغفر ربنا الرحيم الرحمن.

وجزى الله خيرا من وجد خطأ فدل عليه وأصلحه

والله أسأل التوفيق والسداد،

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود]

كتبه العبد الفقير إلى مولاه الغني

أبو حمزة غازي بن سالم أفلح البدوي

في الثاني والعشرين من شهر الله المحرم من عام ١٤٤٢هـ



كلمة شكر

وختاما فإني أشكر الله تعالى أولا وآخرا على ما من به وتفضل.

ثم انطلاقا من قول النبي الكريم ﷺ القائل «مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ»^(١)؛

فإني أشكر كل المشايخ الكرام الذين تفضلوا بالنظر في مضامين الكتاب، والتقديم له تشجيعا لأخيهم، مع كثرة مشاغلهم، وضيق وقتهم. ومنهم: الشيخ الدكتور عزيز بن فرحان العنزي، والشيخ العلامة عبد العزيز البرعي، والشيخ محمد بن عبد الله باموسى، والشيخ نعمان الوتر، والشيخ الدكتور محمد بن عبد الله الحمادي.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (٤٨١٣)؛ والترمذي في جامعه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٢٠٨١)؛ وأحمد في المسند (٢/٤٥٨، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢)، والبخاري في الأدب المفرد، باب من لم يشكر للناس (٢١٨)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان لابن بلبان الفارسي، كتاب الزكاة، باب المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر، (٣٤٠٧)؛ والبيهقي في شعب الإيمان، الثاني والستون من شعب الإيمان، رد السلام (٨٦٩٦)، من طرقٍ عن الربيع بن مسلمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وسنده صحيح على شرط مسلم؛ وله شواهد، انظر السلسلة الصحيحة (٤١٦، ٦٦٧)، وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين لشيخنا مقبل ﷺ.

فائدة: قال المنذري في الترغيب والترهيب: روي هذا الحديث:

- برفع (الله) و برفع (الناس)
- وروي أيضا بنصبهما
- و برفع (الله) ونصب (الناس)
- وعكسه أربع روايات ا.هـ

ونقل المناوي في فيض القدير نحوه عن ابن العربي، ثم قال: قال الزين العراقي: والمعروف المشهور في الرواية نصبهما. ا.هـ

ثم أخص بالذكر الأخ الشيخ الدكتور رشاد الحزيمي - حفظه الله - الذي تفضل بقراءة الكتاب كاملاً، وأفادني بملاحظاته القيمة التي ازدان بها البحث. والشكر موصول أيضاً إلى المشايخ الذين نظروا في بعض المواضع من الكتاب وأفادوا بملاحظات نافعة، كان لها الأثر في تقويمه، وتصحيحه، مع ما صاحب ذلك من تشجيع كاتبه.

وأشكر القائمين على مركزنا المبارك **مركز محمد سالم بن بجيت**، لتحفيظ القرآن الكريم بدبي، والذي قام على تنظيم هذه المجالس، والتنسيق لها، ورعايتها. فجزاهم الله خيراً

والله تعالى أسأل أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن

والحمد لله رب العالمين

للتواصل مع المؤلف:

واتس: ٠٠٩٧١٥٠٥٨٦١٧١٧

Ghazi.Salem@hotmail.com



تمهيد

حديث شعب الإيمان وبيان حقيقة الإيمان

المجلس الأول^(١)

حديث شعب الإيمان

فضل العلم:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا،

أما بعد: فهذه المجالس، من المجالس العظيمة التي يحتاجها المسلم؛ فحاجة المسلم إلى مجالس العلم والعلماء حاجة عظيمة؛ فإنه كما أثير عن الإمام أحمد رحمته الله أنه قال: «الناس إلى العلم أحوجّ منهم إلى الطعام والشراب؛ لأنّ الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه»^(٢).

وقد ابتلينا في هذه الأيام وفي هذه الأزمان بالإعراض عن العلم وعن مجالسه، مع تيسر الحصول عليه وقرب العلماء عن طريق هذه الوسائل العظيمة التي منّ الله ﷻ بها علينا من الوسائل السمعية والمرئية وغيرها مما تيسر في هذه الأزمان ولم يكن موجودًا من قبل، ومع ذلك فالعلم عند الناس قليل، والإقبال عليه ضعيف إلا من رحم الله ﷻ. فنصيحتي لنفسي وإخواني بالإقبال على طلب العلم والانتفاع به وحضور مجالس العلماء والاستفادة؛ فإن طلب العلم من العبادات العظيمة التي يتقرب بها العبد إلى ربه ﷻ لا سيّما في زمن البلاء وزمن الفتن؛ فنبيننا ﷻ يقول: «العِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(٣).

(١) المجلس الأول كان في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

(٢) مدارج السالكين (٤٤٠/٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٨) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

ومن أعظم العبادات طلب العلم:

طلبك للعلم وحضورك لمجالس العلم والاستفادة سماعاً، أو رؤيةً، أو قراءةً أو استفساراً؛ فكل ذلك من العلم الذي يقربك ويدنيك إلى الله. يقول **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(١).

فتأمل قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا»، فـ(طريقاً): نكرة في سياق الشرط تفيد العموم؛ فأَيَّ طريق تسلكه من الطرق المعلومة في طلب العلم، سواء الطرق الحسية وذلك بالمشي إلى حلق العلم، أو الطرق المعنوية بأن يمشي الإنسان في طريق العلم بقراءة الكتب النافعة التي ألفها من يوثق بعلمهم ودينهم، ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من المحققين من أهل العلم، فكل ذلك مما يشمله الحديث. وقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «يَلْتَمِسُ» يعني يطلب ولو شيئاً يسيراً سواء حصّله أم لم يحصله، وقوله: «عِلْمًا» نكرة في سياق الإثبات فيدخل في ذلك كل ما هو من العلم ولو كان قليلاً.

والبشارة في آخر الحديث «سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» فما دام أنه سلك بنفسه هذا الطريق العظيم فإن هذا مما يدنيه من جنة عرضها السماوات والأرض.

- "جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة"-، **فأحبوا العلم من قلوبكم** وأقبلوا على كتاب الله وعلى سنة رسول الله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يُبارك لكم في أوقاتكم وبارك لكم في أعماركم وبارك لكم في صحتكم. -نسأل الله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أن يُحبب إلينا العلم الشرعي-

وقد كان من دعائه **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا». تقول أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: كان يدعو بذلك دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ فَجَرٍ^(٢).

وكان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يستعيد بالله «مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(٣). وأمره ربه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بالدعاء بأن يزداد علماً فقال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [طه: ١١٤].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٥٢١)، وابن ماجه (٩٢٥)، وصححه الألباني في «تمام المنة» (ص ٢٣٣)

(٣) مسلم (٢٧٢٢٢) من حديث زيد بن أرقم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وكان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا»^(١).

فيا عبد الله: أنقذ نفسك من الجهل بدين الله ﷻ.

فإن الجهل قد يؤدي بصاحبه إلى التهلكة كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجْرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمَمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَأَعْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؛ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، ...»^(٢)، دعا عليهم النبي ﷺ لأنهم سئلوا فأفتوا بغير علم، وقد أدت هذه الفتوى إلى موت هذا الصحابي رضي الله عنه.

بل قد جاء في السنة ما يدل على أن الفتوى بغير علم قد تكون سبباً لمقتل صاحبها، ففي "الصحيحين"^(٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً...»، الحديث.

كانت هذه الفتوى المبنية على غير علم سبباً لمقتل صاحبها.

فنسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم إلى كل خير.

حديث شعب الإيمان:

وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - أَوْ قَالَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». وهذا الحديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما وأهل السنن وأحمد في المسند وابن حبان في صحيحه وافتتح به البيهقي كتابه هذا "شعب الإيمان"، وهو مبثوث في دواوين الإسلام. وهو حديث عظيم وقد

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦١)، بسند ضعيف عن عائشة رضي الله عنها وحسنه الحافظ في نتائج الأفكار (١١٦/١). وَصَّغَهُ الْأَلْبَانِي فِي الْكَلِمِ الطَّيِّبِ (٤٥)، وَفِي "الْمَشْكَاة" (١٢١٤)، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٩٩)، وَابْنُ مَاجَةَ، (٢٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلَّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا» وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ" (٣٥٩٩) وَانظُرْ: «السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ» (٤٣١/٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).

اختلفت رواياته، كما سيأتي. وفي سماعه تحفيز لكل موفق أن يسعى لمعرفة هذه الشعب العظيمة للعلم والعمل بها.

فصل في ذكر روايات الحديث:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه في شعب الإيمان:

- ١- رواه البخاري بلفظ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان»
- ٢- ورواه مسلم بلفظ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان»
- ٣- وفي رواية لمسلم: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان»
- ٤- ورواه ابن ماجه بلفظ: «الإيمان بضع وستون أو سبعون باباً، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله، والحياة شعبة من الإيمان»
- ٥- ورواه أبو داود بلفظ «الإيمان بضع وسبعون: أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة العظم عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان»
- ٦- ورواه النسائي بلفظ «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله، وأوضعها إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان»
- ٧- ورواه الترمذي وأحمد بلفظ: «الإيمان بضع وسبعون باباً، فأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله»
- ٨- وفي رواية للترمذي ولأحمد: «الإيمان أربعة وستون باباً» زاد أحمد «أرفعها وأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»^(١)

(١) قلت: الحديث:

١. بلفظ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان»، رواه البيهقي بإسناده عن أبي عمرو أحمد بن المبارك المستملي، وأبي سعيد محمد بن شاذان الأصبم قالوا: حدثنا أبو قدامة عبيد الله بن سعيد، حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا سليمان بن بلال، عن عبد الله بن دينار، عن أبي هريرة به. ورواه ابن حبان في صحيحه (١٦٧) قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي حدثنا أبو قدامة به. ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣٠٦) قال: أنا أحمد بن محمد بن غالب، قال: أنا عبيد الله بن محمد بن علي بن زياد النيسابوري، قال: نا عبد الله بن محمد شرويه، قال: نا عبيد الله بن سعيد به. ومن هذه الطريق رواه مسلم قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ - هُوَ أَبُو قَدَامَةَ - وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا =

- حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ بِهِ لَكِن لَفْظُهُ «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ»
٢. فالظاهر أنه لفظ عبد بن حميد فقد اجتمع ثلاثة عن أبي قدامة بلفظ «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ»
٣. ورواه البخاري: في صحيحه (٩) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ بِهِ بِلَفْظِ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».
٤. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ومعاليلها (٣٠٧) قال: حدثنا أبو عبيد الله حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق ثنا أبو عامر به بلفظ «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ».
٥. ورواه النسائي (٥٠١٩) قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ بِهِ بِلَفْظِ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».
٦. ورواه ابن حبان (١٩٠) قال: أَخْبَرَنَا حَبَانُ بْنُ إِسْحَاقَ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ الرَّخَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرِ الْعَقَدِيِّ بِهِ وَلَفْظُهُ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَبًا»
٧. ورواه ابن منده في الإيمان (١٤٤) قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ إِسْحَاقَ وَأَمْرُؤُوسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْوَرَّاقُ قَالَا أُنْبَأَ أَحْمَدُ بْنُ عَصَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَدِيدِ الْحَنْفِيُّ ثَنَا أَبُو عَامِرِ الْعَقَدِيُّ بِهِ بِلَفْظِ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً»؛ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ جَاءَ عَنْ أَبِي عَامِرٍ بِاللَّفْظَيْنِ: فَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَالرَّخَامِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَصَامٍ عَنْ أَبِي عَامِرٍ بِلَفْظِ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ»؛ وَرَوَاهُ أَبُو قَدَامَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَحَمَادُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي عَامِرٍ بِلَفْظِ «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ». وَالرَّوَايَةُ الْأُخْرَى مُسْلِمًا: رَوَاهَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ الْكَلَابِيِّ قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سَهِيلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ. بِلَفْظِ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ سَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».
- قلت: وعن سهيل رواه جماعة منهم:
١. جرير رواه بالشك كما تقدم في رواية البيهقي وهو في صحيح مسلم (١٦٢) قال حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ بِهِ وَلَفْظُهُ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».
٢. ورواه حماد بن سلمة عن سهيل بدون شك عند أبي داود (٤٦٧٨) -ومن طريقه البيهقي في الشعب-، قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا حَمَادٌ بِهِ بِلَفْظِ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٩٣٦١) قَالَ حَدَّثَنَا عَمَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ بِهِ بِلَفْظِ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَبًا أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»
٣. وتابعه سفيان الثوري عن سهيل عند أحمد (٩٧٤٨) قال: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانٌ بِهِ بِلَفْظِ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَبًا فَأَدْنَاهُ إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

منزلة الإيمان:

وهذا الحديث المبارك، فيه جملة من الكلمات نقف عندها لبيانها.
أولها: قوله ﷺ: «الإيمان». فالإيمان: لفظ شرعي، وقد جاء كثيراً في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

والله ﷻ نادى عباده وأوليائه في تسعة وثمانين موضعاً من القرآن بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أولها في [سورة البقرة: ١٠٤] (١)

وإذا تأملت كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تجد أن الله ﷻ رتب على هذا اللفظ أموراً عظيمة:

فجعل الله ﷻ أهله هم أهل الفلاح، فقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:

[١]

وأخبر ﷻ أن الإيمان تُنال به أرفع الدرجات في الدنيا وأعلى المنازل في الآخرة. قال

(٢٨٢٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بِهَذَا بَلْفِظِ «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ» بَاباً فَأَذْنَاهَا إِمَاطَةٌ الأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». ورواه النسائي (٥٠٢٠) قال: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ وَحَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهَذَا بَلْفِظِ: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ» شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». ورواه ابن حبان (١٩١) قال أخبرنا الحسين بن بسطام بالأبلة قال: أخبرنا عمر بن علي قال: حدثنا حسين بن حفص قال: حدثنا سفيان الثوري به بلفظ «الإيمان بضع وسبعون» شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» لكن رواه ابن ماجه (٥٩) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِيسِيُّ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهَذَا بَلْفِظِ «الإيمانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ سَبْعُونَ» بَاباً أَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

قال ابن حبان: وَأَمَّا الشُّكُّ فِي أَحَدِ العَدَدَيْنِ فَهُوَ مِنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ فِي الخَبَرِ كَذَلِكَ قَالَه مَعْمَرٌ عَنْ سُهَيْلٍ وَقَدْ رَوَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ مَرْفُوعاً وَقَالَ: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ» شُعْبَةً. ولم يشك. اهـ وقال البيهقي نحوه ثم قال: وسليمان بن بلال قال: «بضع وستون». لم يشك فيه وروايته أصح عند أهل العلم بالحديث غير أن بعض الرواة عن سهيل رواه من غير شك -يعني رواية أبي داود المتقدمة- قال: «بضع وسبعون...» وهذا زائد فأخذ به صاحب كتاب "المنهاج" في

تقسيم ذلك على سبعة وسبعين باباً بعد بيان صفة الإيمان وبالله التوفيق اهـ.

(١) انظر: كتاب "نداء الرحمن لأهل الإيمان" للشيخ أبي بكر جابر الجزائري وكتاب "نداء رب العالمين لعباده المؤمنين" للشيخ محمد العرفج وكتاب "نداء المؤمنين في القرآن الكريم" للأستاذة رجاء أحمد.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]

والصديقون: هم أعلى الخلق درجة بعد درجة الأنبياء في الدنيا وفي منازل الآخرة. وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأَفُقِّ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

والإيمان كما عليه أهل السنة والجماعة يزيد وينقص. والإيمان له حلاوة في القلب إذا وجدها العبد أوجبت له الحياة الطيبة. ومن أحب الله ورسوله لهج بذكر الله؛ فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره. ومن أحب الله ورسوله اجتهد في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقدم متابعته على كل شيء.

معنى الإيمان:

والعلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ قالوا في بيان حقيقة الإيمان: إن الإيمان: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد وينقص. فهو قول باللسان، واعتقاد بالجنان -يعني بالقلب- وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بالعصيان.

وكان بعض علمائنا يقولون: الإيمان خمس نونات:

الأولى: اعتقاد بالجنان.

والثانية: نطق باللسان.

والثالثة: عمل بالجوارح والأركان.

والرابعة: يزيد بطاعة الرحمن.

والخامسة: وينقص بالعصيان.

فإذا عرفت هذه الكلمات في تفسير الإيمان عرفت أنه اسم جامع لشرائع الإسلام وأصول الإيمان وحقائق الإحسان. فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ» أو قال: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».

قال أبو حاتم بن حبان رحمته الله: أشار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر إلى الشيء الذي هو فرض

(١) صحيح البخاري (٣٢٦٥) وصحيح مسلم (٢٨٣١) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

على المخاطبين في جميع الأحوال فَجَعَلَهُ أَعْلَى الْإِيمَانِ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ نَفْلٌ لِلْمُخَاطَبِينَ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ فَجَعَلَهُ أَدْنَى الْإِيمَانِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فَرَضَ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَرَضَ عَلَى بَعْضِ الْمُخَاطَبِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَكُلَّ شَيْءٍ هُوَ نَفْلٌ لِلْمُخَاطَبِينَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ كُلُّهُ مِنَ الْإِيمَانِ. (١)

فالأعمال الصالحة من الإيمان. الصلاة عمل صالح، وهي من الإيمان. والزكاة عمل صالح، وهي من شعب الإيمان. وكذا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبرُّ الوالدين، وصلة الأرحام، وغير ذلك من الأعمال الطيبة المباركة التي حثَّ الإسلام عليها.

و«الإيمان» له أركان ثلاثة: القول، والعمل، والاعتقاد.

الاعتقاد من الإيمان:

وبيان ذلك أن الإنسان إذا لم يؤمن بقلبه لم يكن مؤمناً. ولذلك ذكر الله ﷻ النفاق في القرآن، وبيّن أن المنافقين نفاقاً أكبر هم أولئك الذين لا يؤمنون بالله ورسوله في باطنهم، ويظهرون إيماناً ظاهراً.

قال ربنا ﷻ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

كانوا يُظهرون الإسلام وبيطنون الكفر والطغيان، أسلمت ألسنتهم، وكفرت بواطنهم؛ فلم يقبل الله ﷻ منهم إيماناً. فدل هذا على أن اعتقاد القلب من الإيمان.

القول من الإيمان:

وكذلك نطق اللسان: فإن من صدّق برسول الله ﷺ ثم امتنع عن النطق بالإسلام وبشهادة الإيمان فإنه لا يكون من المؤمنين. ولذلك قال البيهقي هنا: «باب الدليل على أن التصديق بالقلب والإقرار باللسان أصل الإيمان وأن كليهما شرط في النقل عن الكفر عند عدم العجز. اهـ»

أبو طالب عم رسول الله ﷺ:

وتأمّلوا حال أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ؛ فإنه كان يعلم صدق ابن أخيه نبينا

(١) صحيح البخاري (٣٢٦٥) وصحيح مسلم (٢٨٣١) عن أبي سعيد بن جابر.

محمد بن عبد الله ﷺ، وكان يقول فيما ذكروا عنه:

وَعَرَضَتْ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارِي سُبَّةً لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا لِذَلِكَ مُبِينًا^(١)

فكان يعلم صدق رسول الله ﷺ عليه الصلاة والسلام بل كان يناصره ويدفع الأذى عنه؛ ولذلك حرص النبي ﷺ على إسلامه فكان يقول له - حين حضرته الوفاة -: «يا عم، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتُرْعَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]^(٢)

ومما قاله أبو طالب أيضا: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجُرْعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]^(٣)، يعني لولا أن تعيرني قريش بذلك لقلتها من أجلك.

وهذا من سوء طويته. فإنه ينبغي أن يُدْعِنَ الإنسان بشهادة أن لا إله إلا لله قولاً بلسانه واعتقاداً بجانانه يريد بذلك وجه الله ﷻ لا إرضاءً لأحد من الناس. ولما أبى أبو طالب أن ينطق بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، كان من المشركين؛ ونزلت فيه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]. وَنُهِىَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَنَزَلَ قَوْلُ

(١) "سيرة ابن إسحاق" (١٥٥)، وللبيتين روايات أخرى.

(٢) صحيح البخاري (٣٨٨٤، ٤٧٧٢) وصحيح مسلم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ الآية [التوبة: ١١٣] كما تقدم.

العمل من الإيمان:

وهكذا أيها المسلم، كل من يقول لا إله إلا الله ويعتقد الإيمان، ولكنه لا يعمل الأعمال الصالحات، فيعرض عنها. فاعلم أن تركه الأعمال الصالحة جرمٌ عظيمٌ.

من ترك الصلاة كفر:

فمن الأعمال ما تركه كفر مخرج من الملة كما جاء في الصلاة؛ فقد قال **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر»^(١) وفي رواية: «...مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ»^(٢) وقال **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٣). فإذا كان بعض الناس يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ثم يعتمد إلى الصلاة فلا يصلّيها البتة لا في بيته ولا منفردا ولا يحضر جمعة ولا جماعة ويستمر على ذلك دهره حتى يموت فهذا قد قال فيه **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ».

ومن الأعمال ما تركه من الفسوق، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

والمقصود من هذا أنّ الإيمان أركان ثلاثة: قول، وعمل، واعتقاد.

فمن الأعمال: ما هو عمل يرجع إلى الاعتقاد.

ومن الأعمال: ما هو عمل يرجع إلى اللسان.

ومن الأعمال: ما هو عمل يرجع إلى الجوارح والأركان.

وقد أشار إليها نبيُّنا **ﷺ** في هذا الحديث كما سيأتي معنا.

فلا بدّ على المسلم أن يتعرف على حقيقة الإيمان بالله **ﷻ**، وأن يعلم أنّ الإيمان له شُعَبٌ، وأنّ الإيمان له حلاوةٌ، وأنّ الإيمان له طعمٌ، كما في الحديث «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، من حديث بريدة بن الحَصْبِيِّ **رضي الله عنه**.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٤٦٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان.

(٣) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر **رضي الله عنه**.

مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(١).

معنى كلمة بضع:

ثم قال **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً» أو قال: «بِضْعٌ وَسِتُونَ». قال العلماء «بِضْعٌ»: كلمة تدلُّ على عدد مبهم، وهذا العدد مقيّد بما بين الثلاثة والتسعة، وهنا قال **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً» أي: إنه يتفرع إلى هذه الشعب.

معنى كلمة شُعبَة:

وكلمة «شعبة» قال العلماء: معناها: خَصْلَةٌ، يعني: أنّ الإيمان ذو خصال متعددة. وجاء في بعض الروايات: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا»^(٢) أي: بضع وسبعون نوعًا. وهذا يدعو المسلم إلى أن يتعرف على شعب الإيمان.

قوله ﷺ سَبْعُونَ شُعْبَةً:

وهذه السبعون قال العلماء: أراد بها النبي ﷺ الإشارة إلى الكثير، وأن الأعمال الصالحة كثيرة، وأنها ربما تبلغ إلى نحو بضع وسبعين شعبة. فإن قال قائل: هل يلزمنا أن نبحث عن معدوداتها؟، وأن ننظر في هذه المعدودات حتى نتأملها؟

فالجواب: أنّ النبي ﷺ لم يأمرنا بالبحث عنها وتعدادها، وإنما أشار ﷺ إلى أنها ذات عدد، وأنها كثيرة، وأنّ المسلم عليه أن يعمل الأعمال الصالحات التي تقربه إلى الله ﷻ. فالمقصود هو أنّ الأعمال الصالحة تُسمّى إيمانًا، فالصلاة إيمان، والزكاة إيمان، والحجُّ إيمان، وهكذا سيأتي معنا بيان شيء من الأعمال الصالحة التي هي من شعب الإيمان. ومع ذلك فإنّ النبي ﷺ قد دلّنا على شيء من هذه الشعب فقال: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ».

منزلة التوحيد:

وأفضل تلك الشعب قدرًا، ودرجةً عند الله، قول لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد، يعني: كلمة لا إله إلا الله ومعها كلمة أشهد أنّ محمدًا رسول الله ﷺ؛ فهما صنوان لا

(١) أخرجه مسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، ولفظ الترمذي: «ومحمد

نبيًّا» وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٢) الترمذي (٢٦١٤).

يفترقان. فكلمة التوحيد أفضل أنواع الإيمان، كما أنّ الإيمان أفضل أنواع العمل، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١). فأفضل شعب الإيمان: قول لا إله إلا الله.

وهنا نأتي إلى مسألة ننبّه عليها، وهي: أنه يجب على المسلم أن يعتني بإيمانه وتوحيده، وأن يعتني بمعرفة التوحيد ومعناه وما يضاذه وما يكون سبباً في ضعفه ونقصه؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن أنّ أعلى شعب الإيمان قدرًا وأرفعها درجةً هو توحيد الله ﷻ. ولا يدخل الإنسان في هذا الدين، ويكون من المؤمنين ومن المسلمين إلا أن يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله.

وقد جاء القرآن مبينًا وموضحًا أنّ من مات على التوحيد فهو الناجي وهو الفائز، وأنّ من مات على غيره فهو من الهالكين، قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾ [البينة: ٦].

فحتى لو كانوا من أهل الكتاب الذين آمنوا بما آمنوا به وبكتابهم لكنهم سمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، ولم يؤمنوا بدعوته، فإنهم من أصحاب النار، بل قال الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾. فنسأل الله السلامة والعافية.

وبعض الناس اليوم يجادل فيقول: هؤلاء أهل كتاب، ولا ينبغي أن يقال: إنهم من أهل النار!. والقرآن والسنة يردّان عليه، بل وإجماع علماء الأمة، ولكنه الجهل بدين الله، -نعوذ بالله من الضلال-. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢).

قال العلامة الألباني رحمته الله: «يَسْمَعُ بِي»؛ أي: على حقيقته صلى الله عليه وسلم بشراً رسولاً نبياً فمن سمع به على غير ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الهدى والنور ومحاسن الأخلاق؛ بسبب بعض جهلة المسلمين؛ أو دعاة الضلالة من المنصرين والملحدين؛ الذين يصورونه لشعوبهم

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٢) صحيح مسلم (١٥٣)، تفرد به عن أصحاب الكتب الستة كما في تحفة الأشراف (١٥٤٧٤).

على غير حقيقته ﷺ المعروفة عنه؛ فأمثال هؤلاء الشعوب لم يسمعوا به، ولم تبلغهم الدعوة، فلا يشملهم الوعيد المذكور في الحديث اهـ^(١)

قوله ﷺ: «وأدناها» وفضل إمطة الأذى عن الطريق:

قال: «وَأَدْنَاهَا» أدنى شعب الإيمان يعني أقرب هذه الشعب. فالذنوب بمعنى: القرب، «إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»، فهذا من الإيمان؛ وهو من أعظم الأسباب السهلة اليسيرة التي تكون سبباً في دخول الجنة، كما قال النبي ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ؛ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَأَنَّهُ تُؤْذِي النَّاسَ»^(٢).

منزلة الحياء من الدين:

قال ﷺ: «وَالْحَيَاءُ شَعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

والحياء كما قال العلماء: مأخوذ من الحياة. قال أهل اللغة: الاستحياء من الحياة واستحي الرجل من قوة الحياة فيه لشدة علمه بمواقع الغيب.

وقال بعض أهل العلم: الحياء حالة تتولد من رؤية الآلاء ورؤية التقصير^(٣).

وقال بعضهم: الحياء خُلُقٌ يبعث على اجتناب كل ما هو قبيح، ويبعث على مراقبة الله ﷻ^(٤).

وإذا تأملنا هذا الحديث رأينا أن النبي ﷺ أشار إلى أركان الإيمان: القول، والعمل، والاعتقاد. فالحياء من شعب الإيمان القلبية. وقول: «لا إله إلا الله» من شعب الإيمان التي تُقال باللسان. وإمطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان التي تُعمل بالجوارح. **ولذلك فالإيمان:** قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بالعصيان.



(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢٥١/٧)

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٤) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠/١٨٠ ط الرشد) عن الجنيد قوله.

(٤) ينظر: «صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح» (ص ١٩٨)، و«رياض الصالحين للنووي ت الفحل» (ص ٢٢٠)

المجلس الثاني (١)

بيان حقيقة الإيمان

تقدم ذكر حقيقة الإيمان بالله ﷻ وأنه خمس كلمات. وأن العلماء رَحْمَهُمُ اللَّهُ يقولون: الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، يزيد وينقص. فهو قول باللسان، واعتقاد بالقلب والجنان، وعمل بالجوارح والأركان، ويزيد بطاعة الرحمن وينقص بالعصيان. ويزيد الأمر إيضاحًا في هذا المجلس بإذن الله -تعالى- بالحديث عن هذه الأبواب الخمسة التي ذكرناها في تفسير الإيمان.

قول القلب وعمله :

أما الأمر الأول وهو أن الإيمان اعتقاد بالجنان أو اعتقاد بالقلب، فتأملوا قول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ في قوله ﷻ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]

إذا تأملت هذه عرفت أن الآية تدل على أن إيمان القلب ركن لا بد منه في الإيمان، ولا بُدَّ من العناية بأعمال القلوب كالخوف، والخشية، والرجاء، والإيمان بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر؛ فاعتقاد هذه الأمور أمر لا يتم إيمان المرء إلا به.

ثم تأمل -حفظك الله- قول الله ﷻ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَبِّئَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]. تأمل قوله تعالى: ﴿وَرَبِّئَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ لتعلم أنه لا يصح الإيمان إلا بإيمان القلب، وأن إيمان القلب إذا وُجِدَ سَرَى ذلك إلى الجوارح ولا بُدَّ. لأنَّ إيمان القلب ليس مجرد العلم والمعرفة والتصديق بالله ﷻ والتصديق بجزء النبي ﷺ وإنما هو إيمان يقود صاحبه إلى الانقياد، والاستسلام، والخضوع، والإخلاص،

(١) كان في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

وغير ذلك مما يدخل تحت عمل القلب.

ولهذا نحن في هذه الأيام نعرف كثيرًا من اليهود أو النصارى ممن يُصرِّح بصدق النبي ﷺ وبأن الحلّ في الإسلام، وبأنّ الخير مع المسلمين، ونجد من الناس ممن يُصرِّح أنّ الإسلام دين حق، ومع ذلك هو باقٍ على كفره، مما يدل على أنّ مجرد المعرفة واعتقاد أنّ هذا حقٌّ ليس بكافيٍّ في تحقيق الإسلام والدين.

وقد جاء في الصحيح أنّ يهوديًا جاء إلى النبي ﷺ فقال له: جئتُ أسألك، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أينفعك شيءٌ إنْ حدّثتُكَ؟» (يعني: هل تؤمن؟) فقال: أسمع بأذني، (يعني: لا ألتزم المتابعة، وإنما أسمع بأذني وأنظر فيما أسمع، وسيأتي أنه سيقرب بصدق نبينا ﷺ لكنه لا يلتزم الإيمان به ومتابعته، وهذا دليل على أنّ مجرد التصديق من غير التزام الشريعة، ولا دخول فيها لا ينفع؛ إذ لم يحكم له بالإسلام) فنكت رسولُ الله ﷺ بعود معه، فقال: «سَلْ» (وهذا من سعة أخلاقه وحلمه ﷺ)، فسأل النبي ﷺ خمسة أسئلة، فأجابها عنها، فلما انتهى قال اليهودي لرسول الله ﷺ: صدقت وإنك لنبي ثم انصرف^(١). فأقرّب أنه نبيٌّ لكنه لم يؤمن بهذا، ولم يشهد أنه لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله وخاتم النبيين بعثه الله إلى الناس كافة.

فدلّ هذا على أنّ مجرد المعرفة والتصديق في القلب ليست كافية، بل المقصود بإيمان القلب: ذلك الإيمان الذي يقود إلى الانقياد، والاستسلام، والخضوع، والإخلاص. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «إنّ الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولا بُدّ فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته ويقال لهذا: قول القلب. قال الجنيد بن محمد: «التوحيد: قول القلب، والتوكل: عمل القلب»^(٢)، فلا بُدّ فيه من قول القلب، وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولا بُدّ فيه من عمل القلب، مثل حبّ الله ورسوله، وخشية الله، وحبّ ما يحبّه الله ورسوله، وبُغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله

(١) أخرجه مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٥٦/١٠) بلفظ: قال: "... وَإِنَّمَا الْيَقِينُ اسْمٌ لِلتَّوْحِيدِ إِذَا تَمَّ وَخَلُصَ، وَإِنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا تَمَّ تَمَّتِ الْمَحَبَّةُ وَالتَّوَكُّلُ وَسُمِّيَ يَقِينًا، فَالتَّوَكُّلُ عَمَلُ الْقَلْبِ، وَالتَّوْحِيدُ قَوْلُ الْعَبْدِ (كذا)، فَإِذَا عَرَفَ الْقَلْبُ التَّوْحِيدَ وَقَعَلَ مَا عَرَفَ فَقَدْ تَمَّ... إلخ

ورسوله، وجعلها من الإيمان. ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١). وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده»^(٢)، وقول أبي هريرة تقريب، وقول النبي ﷺ أحسن بياناً؛ فإن الملك وإن كان صالحاً فالجند لهم اختيار، قد يعصون به ملكهم وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده، أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب؛ فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط، كما قال النبي ﷺ: «إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ». فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق»^(٣). فهذا أمر مهم.

ويقول الإمام محمد بن نصر المروزي رحمته الله: «أصل الإيمان هو التصديق بالله، وما جاء من عنده، وإياه أراد النبي ﷺ بقوله: «الإيمان أن تؤمن بالله»^(٤) وعنه يكون الخضوع لله؛ لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع أطاع»^(٥) وقال الإمام أحمد رحمته الله: «وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ الْإِقْرَارُ، فَمَا يَقُولُ فِي الْمَعْرِفَةِ؟ هَلْ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ مَعَ الْإِقْرَارِ؟ وَهَلْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ مُصَدِّقًا بِمَا أَقْرَأَ؟»^(٦). إلى غير ذلك من كلام العلماء الذي يدل على أن قول القلب وعمله المقصود به الإيمان الجازم الذي يقود إلى العمل، إلى عمل الجوارح وإلى تصديق الجوارح.

(١) هذا اللفظ رواه البزار في مسنده (٣٢٧٦) من طريق مجالد عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، ومجالد

ليس بالقوي والحديث في صحيح البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من طريق أخرى عن الشعبي بنحوه.

(٢) رواه بنحوه معمر في جامعه (٢٢١/١١) رقم (٢٠٣٧٥) ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٠٨). وسنده حسن

وروي مرفوعاً بسند ضعيف انظر: السلسلة الضعيفة (٤٠٧٤).

(٣) كتاب الإيمان (ص ١٤٩)

(٤) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم (١) من حديث عمر رضي الله عنه وهو حديث

جبريل المشهور.

(٥) تعظيم قدر الصلاة، (٦٩٦/٢).

(٦) السنة لأبي بكر بن الخلال (٢٤/٤) وانظر: مجموع الفتاوى، (٣٩٣/٧).

وتأملوا قول الله ﷻ في الكافرين إذ قال ﷻ: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ
بَيَّاتٍ لِّ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]

وفي قوله تعالى في قوم آل فرعون: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾
[النمل: ١٤]

فإن ذلك يدل على أن معرفة القلب لا تنفع حتى يكون مع ذلك إيمان بالله،
وتصديق بوعدته، وإيمان برسوله ﷺ وعمل بشريعته.
ولذلك فإن الكفار والمنافقين غالباً ما يُقرّون بالربوبية، ويُقرّون بالرسالة، ولكن
الكِبْرَ، والبُغْضَ، وحُبَّ الرياسة، وحُبَّ الشهوات يصدّهم عن الطاعة، وعن الإخلاص،
وعن المتابعة، وعن الإيمان بالله ﷻ وتوحيده. فهذا يوضح لك -أخي في الله- ما يتعلق
بالأمر الأول، وهو اعتقاد القلب، وأنه لا بدّ منه.

قول اللسان:

أما الأمر الثاني وهو قول اللسان أو الإقرار باللسان فإن العلماء قد ذكروا أن قول
اللسان جزء من مستى الإيمان، وركن من أركانه. **والمقصود بقول اللسان:** الأعمال التي
تؤدّي باللسان، كالشهادتين، والذكر وتلاوة القرآن، والصدق، والنصيحة، والدعاء، وغير
ذلك مما لا يُؤدّي إلا باللسان، وهي أعمال صالحة كثيرة، منها: ما هو واجب، ومنها: ما
هو مستحب، ومنها: ما هو شرط لصحة الإيمان.

تأمل قول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [البقرة] ثم قال بعد ذلك: ﴿ فَإِنِّ
ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءَ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة].

ففي هذه الآية يأمرنا الله ﷻ أن نقول: ﴿ ءَامَنَّا ﴾ ثم يقول بعد ذلك: ﴿ فَإِنِّ ءَامَنُوا
بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءَ ﴾ فأمرنا أن نقول: آمنا بهذا كله ونحن له مسلمون.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «أخبر أنهم إن تولوا عن الإيمان ﴿ بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءَ ﴾
المتضمن قولكم: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ أي: مشاقون لله

ورسوله^(١).

فسمّى الله ﷺ قوله مثل ذلك إيماناً؛ لأنه قال: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾
فإن الله أمر المؤمنين بالقول.

ثم تأمل قول الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا
بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿ [غافر: ٨٤-٨٥]

هذه الآية في قوم نطقوا بالإيمان بالسننهم، لكنهم أتوا به في غير وقته، فلم ينفعهم
انتقالهم من الكفر إلى الإيمان؛ لأنهم قالوا ذلك لما رأوا بأس الله وعذابه.

وقد جاء في الصحيحين قول النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ»^(٢) الحديث. فهذا بيان أنه لا بُدَّ في الإيمان من قول اللسان؛ فالحديث أصل في
دخول الأعمال والأقوال في مسمى الإيمان.

وكما هو معروف من قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه - حب رسول الله ﷺ وابن حبه - لما
بعثه رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال أسامة: فصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ،
وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيَنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ
الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: «يَا
أَسَامَةَ، أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان
مُتَعَوِّذًا، قال: فقال: «أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قال: فما زال يكررها عليّ حتى
تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(٣).

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ
فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْي بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَازِمَنِي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسَلَمْتُ لِلَّهِ،
أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقْتُلُهُ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٧٧/٣)

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، مسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والبخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) من حديث

ابن عمر رضي الله عنه. والبخاري (٣٩٢) عن أنس رضي الله عنه. وهو بلفظ: «... حَتَّى يَشْهَدُوا...».

(٣) البخاري (٤٢٦٩، ٦٨٧٢)، مسلم (٩٦) من حديث أسامة رضي الله عنه.

تَقْتُلُهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَتْ»^(١) أي «لَا تَقْتُلُهُ» فإنه معصوم الدم، مُحَرَّمٌ قتله بعد قوله: (لا إله إلا الله)، كما كنت أنت قبل أن تقتله، وإنك بعد قتله غير معصوم الدم، كما كان هو قبل قوله: (لا إله إلا الله)، لولا عُذْرُكَ بالتأويل المسقط للقصاص عنك.^(٢)

الشهادتان أصل قول اللسان :

ومما يجب معرفته ها هنا أنّ الشهادتين أصل قول اللسان، ولا بُدَّ منهما لصحة الإيمان كما جاء في الحديث السابق. وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يؤمن بالشهادتين فهو كافر، فلا بُدَّ من النطق بالشهادتين مع القدرة، وإلا فإنه لا يكون من المسلمين. وهذا يدل على أنّ قول اللسان من الإيمان.

قال الإمام ابن أبي العز رحمته الله في شرح حديث شعب الإيمان: «هذه الشعب، منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً، كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها، كترك إمطة الأذى عن الطريق»^(٣).

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: «من ترك الشهادتين خرج من الإسلام»^(٤).

فلا بُدَّ من النطق بالشهادتين، وهذا مما يدخل في قول العلماء رحمهم الله تعالى: الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللسان... إلخ

والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ- أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ- دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَلَمْ تَمْسَهُ النَّارُ»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) البخاري (٤٠١٩)، مسلم (٩٥)

(٢) انظر: "شرح مسلم" للنووي (١٠٦/٢).

(٣) شرح الطحاوية، (٤٧٦/٢).

(٤) جامع العلوم والحكم، (١٠١/١).

(٥) رواه أحمد في المسند (٢٢٠٦٠/٣٨١/٣٦) من حديث جابر رضي الله عنه. وصححه ابن حبان (٢٠٠).

مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(١)
 وفي حديث آخر: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).
 وفي حديث آخر: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ
 غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه: «فَمَنْ لَقِيَتْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا
 الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ»^(٤).
 وهذا يدلنا على ماذا؟

يدل على أنه لا بد من أن يجتمع قول اللسان مع اعتقاد القلب؛ ولهذا من قال: «لا
 إله إلا الله» فلا بد أن يُحَقِّقَ فيها قولَ اللسان قولَ القلب واعتقادَ القلب؛ فإن النبي ﷺ
 قال في هذه الأحاديث: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا». «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا»
 و«غَيْرَ شَاكٍّ» أو «مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ». وهذه من شروط لا إله إلا الله،
 وسيأتي الحديث عنها في مجلس بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

يقول الحافظ ابن رجب رحمته الله: فأما من دخل النار من أهل الكلمة، فليقله صدقه في
 قولها، فإن هذه الكلمة إذا صدقت في قولها طهرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقي
 في القلب أثر لما سوى الله، فمن قلة صدقه في قولها. من صدق في قوله: لا إله إلا الله، لم
 يحب سواه، ولم يرج إلا إياه، ولم يخش أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له
 بقية من آثار نفسه وهواه. ومع هذا فلا تظنوا أن المراد أن المحب مطالب بالعصمة،
 وإنما هو مطالب كلما زل أن يتلافى تلك الوصمة اهـ^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٩٩)

(٢) أخرجه أحمد (١٩٦٨٩). من حديث أبي موسى رضي الله عنه.(٣) أخرجه مسلم (٢٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح مسلم (٣١).

(٥) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص: ٤٥).

عمل الجوارح:

ثم ننتقل إلى الأمر الثالث، وهو عمل بالجوارح والأركان. فمن أركان الإيمان أيضًا أنّ العمل من الإيمان. فأعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، ومن أدلة ذلك - والأدلة كثيرة-: قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣]

قال العلماء: معنى الإيمان في هذه الآية: الصلاة؛ فالمعنى: وما كان الله ليضيع صلاتكم. وسبب نزول هذه الآية كما في سنن أبي داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: «لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَكَيْفَ الَّذِينَ مَاتُوا، وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾^(١) يعني: صلاتكم.

قال الإمام الحلبي رحمته الله: «أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس؛ فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك، فكل طاعة إيمان؛ إذ لم أعلم فارقاً فرّق في هذه التسمية بين الصلاة وسائر الطاعات»^(٢).

والعلماء يؤكدون على هذا المعنى جدًا. أتدرون لماذا؟

لأنه ظهر في القرن الأول بدعة الإرجاء، وهذه البدعة التي ظهرت في زمن التابعين وذهب أهلها مذاهب شتى، يجمعهم أنهم يقولون أنّ العمل ليس من الإيمان، وأنه يكفي أن تقول: «لا إله إلا الله» فتكون مؤمنًا كامل الإيمان.

ومن مقالاتهم: أن الإيمان لا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص.

فحينها اعتنى علماء أهل السنة ببيان الحق في هذه المسألة ورعايته، وتعلمه، وتفهمه للردّ على كل من يرى أو يعتقد أنه لا حاجة إلى العمل.

إن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢-٤]

(١) سنن أبي داود (٤٦٨٠). جامع الترمذي (٣٢٠٢)

(٢) المنهاج في شعب الإيمان، (٣٧/١).

قال الإمام البيهقي رحمته الله: فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال فدل ذلك على أنها من جوامع الإيمان. قال الحلبي رحمته الله تعالى: إذا ثبت أن المؤمنين الموصوفين في هذه الآية إنما استوجبوا اسم المؤمنين حقا لمكان الأعمال التي وصفهم الله تعالى بها، ولم تكن الأعمال المتعبد بها هذه وحدها صح أن المراد بذكرها: هي وما في معناها من الأعمال المفروضة أو المندوب إليها "فالصلاة" إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأبدان خاصة و"الإنفاق مما رزق الله" إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأموال و"وجل القلب" إشارة الاستقامة من كل وجه ويدخل فيها إقامة الطاعات والانزجار عن المعاصي. قال: والآية فيمن إذا ذكر الله وجل قلبه وليس ارتكاب المعاصي ومخالفة الأوامر من أمارات الوجل، والآية فيمن إذا تليت عليه آيات الله زادته إيمانا، وليس التخلف عن الفرائض والقعود عن الواجبات للوازم من زيادة الإيمان بسبيل، فصح أن الذين نفينا أن يكونوا مؤمنين حقا وأوجبنا أن يكونوا ناقصي الإيمان غير داخلين في الآية. اهـ^(١)

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور: ٦٢]

وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن العمل من الإيمان، وأنه لا بُدَّ من العمل. وتأملوا قصة وفد عبد القيس الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أمركم بأربع، وأنهاركم عن أربع: أمركم بالإيمان بالله، وهَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتَعْطَاؤُ مِنَ الْمَعْنَمِ الْخُمْسِ»^(٢). ففسر لهم النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بهذه الأعمال الظاهرة والباطنة؛ فدل ذلك على أن هذا من الإيمان.

وكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٣). والمعنى أن من ارتكب الكبائر، وترك الواجبات فإنه ينتفي عنه اسم الإيمان الواجب، فيكون مسلماً لكنه ناقص الإيمان؛ فدل ذلك على أن العمل من الإيمان.

(١) «شعب الإيمان» (١/ ١٠٠ ط الرشد)

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٦٦)، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه. والبخاري (٦٧٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد تقدم معنا حديثُ شُعْبِ الْإِيمَانِ وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهَا: «أَفْضَلُهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)
 فقد جعل النبي ﷺ هذا العمل من الإيمان، فدل ذلك على: أَنَّ الطاعات -وهي أعمال الجوارح- تدخل في مسمى الإيمان، وَأَنَّ الإخلال والتقصير بأداء الطاعات يضرُّ بالإيمان.

زيادة الإيمان ونقصانه:

إذا عرفنا ذلك عرفنا أَنَّ الإيمان يزيد وينقص. يزيد بطاعة الله ﷻ وينقص بعصيانه. والناس والمؤمنون يشاهدون ذلك ويرونه من أنفسهم.

وقد أشار ﷺ إلى هذا وبينه في كتابه الكريم، فقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] فالآية صريحة في أَنَّ الإيمان يزيد.

وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]

وقال ﷺ: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]

إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على زيادة الإيمان.

وكل شيء قَبْلَ الزيادة فهو قابل للنقصان.

وقال النبي ﷺ في حديث النهي عن المنكر: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢)

فهناك مؤمن قوي، وهناك مؤمن ضعيف، كما أخبر النبي ﷺ.

وقد جاء في الحديث: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٣).

فدل هذا على أن المؤمنين أيضًا يتفاوتون في الإيمان؛ وبعضهم يكون أكمل إيمانًا

(١) تقدم تخريجه في المجلس الأول.

(٢) مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٩٦) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه. وصححه الألباني في الصحيحة

(٢٨٤) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٠٧).

من بعض، وعلى هذا جرى عملُ السلف واعتقادُ الصحابة ومن تَبِعَهُم بإحسان. وجاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يقول لبعض أصحابه: «اجلس بنا نُؤمِّن سَاعَةً»^(١).

وفي المسند عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَقُولُ: تَعَالَ نُؤمِّن بِرَبِّنَا سَاعَةً...» الحديث^(٢).

قال العلماء: وهذا واضح الدلالة على أنَّ الإيمان يزيد، وأن المعنى: تعالوا نجلس نتذاكر؛ لزيادة إيماناً.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا وَيَقِينًا وَفِقْهًا»^(٣).

وأثر عن كثير من السلف أنهم قالوا: الإيمان يزيد وينقص.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة رضي الله عنهم، ولم يُعرَف فيه مخالِفٌ من الصحابة»^(٤).

ونختم مجلسنا هذا بكلمة عن الإيمان وردت عن الإمام البخاري رحمته الله تدل على رعاية العلماء وعنايتهم بأمر الإيمان وتعريفه.

يقول رحمته الله: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»^(٥).

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٨)، وأخرجه موصولاً ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٨٤٣)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان (٢٠) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١١٣٥). والبيهقي في "الشعب" (٤٤) وسنده صحيح.

(٢) مسند أحمد (١٣٧٩٦) وفي سنده ضعف.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٧)، والطبراني في الكبير (٨٥٤٩/١٠٥/٩) والبيهقي في الشعب (٤٥)، وفي إسناده شريك النخعي، وهو صدوق يخطئ، والأثر صححه الحافظ ابن حجر في الفتح، (٤٨/١).

(٤) الإيمان، ص ١٧٦، ١٧٧.

(٥) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٧/١)، والزيبي في إتحاف السادة المتقين (٢٥٦/٢) وعزواه للالكائي في السنة، وصححا إسناده، وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، (٨٨٩/٥) رقم: (١٥٩٧) بنحوه، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/٥٢).

فانظر كيف طاف ﷺ البلاد، فخرج من بخارى يطلب العلم ويتعلمه، وأدرك ولقي المئات من أهل العلم؛ فما لقي أحداً منهم إلا وهو يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. وهذا يدلنا على أن البخاري ﷺ كان يحرص على انتقاء شيوخه ثم هو يستفهم ويسأل مشايخه عن هذه المسألة العظيمة وغيرها من أمور الاعتقاد.

ثم تأملوا حالنا في هذه الأيام التي صار الإنسان فيها أتكالياً على قليل من العمل. فوا عجباً لحالنا وا عجباً! ... الواحد منا ضعيف الإيمان! ... ضعيف في صلاته، وصيامه، وفي الأعمال الصالحة مع ما يرتكب من المعاصي، ومن الذنوب، ومن الآثام، مع ضعف في الخشوع، والخضوع والخوف والحشية.

ومع هذا تجده يأمن على نفسه، ويحسن الظن بها، ويرى أنه لم يفعل شيئاً يعيبها^(١)، وإذا نزلت المصائب ونزلت البلايا لم يكن عن الله راضياً، بل تجده كثير الشكوى، يرى أنه لا يستحق كل ذلك، وما هذا إلا بسبب الغفلة وضعف الإيمان، نسأل الله السلامة والعافية.

وبهذا يكون قد اتضح لنا معاني هذه الكلمات الخمس التي عرّف بها العلماء - رَحْمَهُمُ اللهُ - حقيقة الإيمان بأنه: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان. والحمد لله رب العالمين.



(١) يقول ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/٢٦٢ ط عطاءات العلم): حسن الظنّ بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويُلَبَسُ عليه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالات، فإنّ المحبّ يرى مساوئ محبوبه وعيوبه كذلك... ولا يسيء الظنّ بنفسه إلا من عرفها. ومن أحسن ظنّه بها فهو من أجهل الناس بنفسه اهـ.

المجلس الثالث (١)

الأمور التي يُستمد منها الإيمان :

وهي الأمور التي تكون سبباً في زيادة الإيمان ورفعته عند المسلم. الناس اليوم يتعاهدون دنياهم، ويحرصون على ذلك حرصاً كبيراً، فالتاجر يرغب أن تزيد تجارته، وصاحب الدنيا يزداد من دنياه، وهكذا لا تجد من يعتني بما يكون سبباً في زيادة إيمانه إلا الموقنون الذين وقَّعهم الله ﷻ فتفاقدوا قلوبهم، وخافوا على أنفسهم.

وفي هذا المجلس-ياذن الله- سنتذكر أموراً وردَّ في الكتاب والسنة بيانها، وأنها تكون سبباً في زيادة الإيمان.

فمن الأمور العظيمة التي ينبغي أن يشغل بها المسلم ليحافظ على دينه وإيمانه :

تدبر معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى :

-وهي من أعظم الأسباب التي تكون عوناً في زيادة الإيمان-، التعرف والتفكر في أسماء الله ﷻ الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، وأن يحرص المسلم على فهم معانيها والتعبد لله ﷻ بها؛ تحقيقاً لما جاء في الصحيحين: عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢).

وإحصاؤها على ثلاث مراتب:

- * أن تحفظها
- * وأن تفهم معانيها
- * وأن تتعبد لله ﷻ بها.

(١) كان في يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد جاء عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضحك ربنا من قنوط عبده، وقرب غيره»^(١) قال: قلت: يا رسول الله، أو يضحك الرب ﷻ? قال: نعم «قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً»^(٢).

فاستبشر لما عرف أن الله ﷻ يُوصف بأنه يضحك. والسلف يثبتون لله تعالى صفة الضحك حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، بلا تكليف، ولا تعطيل مع تنزيهه ﷻ عن مشابهة المخلوقين فإنه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]. وهكذا ينبغي للمؤمن أن يتأمل أسماء الله الحسنى الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ويقف عندها.

فلو قرأ أحدنا الفاتحة، ووقف عند أسماء الله الواردة في هذه السورة المباركة، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة] فإنه يجدها آية عظيمة، تشتمل على اسمين كريمين: اسمه الكريم "الله"، واسمه "الرب"، فيقف الإنسان متأملاً عند هذين الاسمين الكريمين اللذين جمع الله ﷻ فيهما بين الألوهية والربوبية؛ فالله هو الإله المعبود بحق، لا يستحق أن يُعبد أحد سواه؛ وهو رب العالمين ورب الخلائق أجمعين، ربّاهم بنعمه، وأكرمهم ﷻ بما يسدي إليهم من عظيم مننه.

ثم يقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة] فيتأمل في هذين الاسمين الكريمين. وهكذا يقرأ الإنسان كتاب الله، فتمر عليه الآيات، فيتفكر فيما اشتملت عليه

(١) قوله: "وقرب غيره"، ضبط بكسر معجمة، ففتح ياء: بمعنى تغير الحال، كما في "النهاية"، ونحوه في "الصحاح" وضميره: قيل هو: لجنس العبد، والمراد تغير حاله من القوة إلى الضعف، ومن الحياة إلى الموت، وهذه الأحوال مما تجلب الرحمة لا محالة في الشاهد، فكيف لا يكون أسباباً عادية لجلبها من أرحم الراحمين. قال السندي: والضمير لله، والمعنى أنه تعالى يضحك من أن العبد يصير آيساً من الخير بأدنى شر وقع عليه مع قرب تغييره تعالى الحال من شر إلى خير، ومن مرض إلى عافية، ومن بلاء ومحنة إلى سرور وفرحة. اهانظر: «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٧٧/١).

(٢) أحمد (١٦١٨٧)، ابن ماجه (١٨١). وهو حديث حسن لغيره كما في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠). وصفة الضحك ثابتة لله ﷻ في السنة الصحيحة كما في صحيح البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَفْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ، فَيَسْتَشْهَدُ»

من الأسماء الحسنى والصفات العلاء.

ومما ذكر عن الأصمعي أنه قال: كنت أقرأ سورة المائدة وبجني أعرابي فقرأت هذه الآية - يعني قول الله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة]-، قال: فقلت: (نكالا من الله والله غفور رحيم) سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعيد. فأعدت: (...والله غفور رحيم). فقال: ليس هذا كلام الله. فتنبهت وقرأت: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع^(١).
 فعرف هذا الأعرابي بتأمله وفهمه للسياق من الآية أنها لا تحتم بذلك. وهذا من التأمل في أسماء الله وصفاته.

ومما كتبه العلماء في هذا الباب، وهو كتاب سهل ويسير: "كتاب فقه الأسماء الحسنى" لشيخنا الدكتور عبد الرزاق العباد - حفظه الله تعالى-، وهو كتاب سهل وجميل، يحسن بالمسلم أن يُكثر القراءة فيه والتأمل في تفسيره لأسماء الله وصفاته؛ فإن هذا من شأنه أن يزيد الإيمان عند المسلم.

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ التَّوْبُ الْخَلِيقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَجِدَّ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»^(٢)
 فالإيمان يضعف إذا لم يتعاهده المؤمن، وجلاء ذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة، والحرص على الأسباب التي تعين المسلم على زيادة إيمانه.

نحن أخذتنا الشواغل، شغلتنا الدنيا وما فيها، والتَّهَى الإنسان بالمال والبنين، والتَّهَى

(١) انظر القصة في التفسير الوسيط للواحدى (١٨٥/٢)، وتفسير السمعاني (٣٧، ٣٦/٢)، والدر المصون في علوم

الكتاب المكنون (٨٧/٣)، خزائن الأدب وغاية الأرب (١٧٦/١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٦ /١٣) رقم (٨٤) من حديث عبد الله

بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٨٥) وروى مرفوعاً: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ

لَتَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ». قيل: فما جلاؤها؟ قال: «تِلَاوَةُ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، وَكَثْرَةُ ذِكْرِهِ» رواه المروزي في

قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر كما في مختصره للمقريزي (ص: ١٧٢) والبيهقي في الشعب (١٨٥٩)

من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٠٩٦).

بمجاجاته. فهذا العصر عصر الشواغل، شُغِلَ الإنسان بهاتفه وبما فيه من المواقع التي يتصفحها، ويسهل على الإنسان أن يدخل هنا، ويخرج من هنا، وكلُّ هذا من شأنه أن يزيد الإنسان غفلة، -نسأل الله السلامة والعافية-. فأين المشمرون؟! وأين أصحاب الهمة العالية الذين يحفظون أسماء الله الحسنى ويدعون الله ﷻ بها؟!!

دعاء أوصانا نبينا ﷺ بتعلمه يذهب الله به الهم والحزن

وإن النبي ﷺ قد علمنا دعاءً مشتملاً على الأسماء الحسنى، يُذهب الله به الهم والحزن، علمنا أن نقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وابنُ عَبْدِكَ، وابنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِيقٌ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي». وقد أخذت هذه الكلمات بمجامع قلوب أصحاب رسول الله ﷺ. فإنهم لما سمعوها قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»^(١). فمهم جداً العناية بفهم الأسماء الحسنى، وحفظها، وتعبدها لله ﷻ بها، فإذا دعا الله وسأله الرزق، سأله باسمه الرزاق، فقال: اللَّهُمَّ، يا رزاق، ارزقني. وإذا سأل المغفرة توسّل إلى الله باسمه الغفور، فيقول: يا غفور، اغفر لي.

دعاء علمه نبينا ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ:

وهكذا علم النبي ﷺ أبا بكر ﷺ لما سأله عن دعاء يدعو به في صلاته، فقال له: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ؛ فَأَغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٢). فتأمل المقابلة في قوله: «فَأَغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي» مع ختام الدعاء «إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»؛ فـ «الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» اسمان دالان على صفتي المغفرة والرحمة وهما صفتان ذكرتا ختمًا للكلام على جهة المقابلة لِمَا قبله، فـ «الْغَفُورُ» مقابل لقوله: «فَأَغْفِرْ

(١) أحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨)، وابن حبان (٩٧٢) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ. وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥) من حديث أبي بكر ﷺ.

لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ»، و «الرَّحِيمُ» مقابل لقوله: «وَأَرْحَمَنِي».

فهذا أمر عظيم من الأمور التي تكون سبباً في زيادة إيمان المسلم، لو اعتنى به الإنسان لصلح حاله بإذن الله تعالى.

أسماء الله الحسنى مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة:

وأسماء الله الحسنى مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية والعبادة، وتوحيد الأسماء والصفات.

توحيد الربوبية:

فتوحيد الربوبية: إفراد الله في أفعاله. وقال بعض العلماء: هو إفراد الله في الخلق والملك والتدبير؛ فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مدبر إلا الله ﷻ.

إقرار المشركين بتوحيد الربوبية:

وهذا النوع من أنواع التوحيد قد أقربه الكفار في الجملة، كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس].

أخبرنا الله ﷻ أنهم يؤمنون بأن الله هو الحي، وبأن الله هو المحيي، وبأنه هو المميت، وبأنه الرزاق، وبأنه الخالق، وبأنه يدبر الأمر ﷻ ثم احتج عليهم ﷻ بأنه يجب أن يفرِّدوه ﷻ بالعبادة.

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون]

ذكر الله ﷻ في كتابه أن المشركين الذي بُعث إليهم النبي ﷺ كانوا يُقرُّون بذلك، ولكن لم ينفعهم؛ لأنهم لم يُوحِّدوا الله، ولم يُفرِّدوه بالعبادة؛ فالعبادة لا تصح إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة.

توحيد الألوهية:

وأما توحيد الألوهية وهو توحيد العبادة: فهو إفراد الله ﷻ بالعبادة؛ فلا يُدعى إلا الله، ولا يُعبد إلا الله ﷻ.

تفسير كلمة التوحيد:

وذلك هو معنى شهادة "أن لا إله إلا الله" فإن معناها: أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ. فلا يصح إيمان امرئ حتى يُفرد الله ﷻ بالعبادة، ويعلم أن الله ﷻ هو المعبود بحق، وأن ما عُبد من دون الله فإنما عُبد بباطل.

دعوة الأنبياء إلى توحيد الألوهية:

وقد بين الله ﷻ لنا أنه ما من نبي بعثه الله إلا ودعا قومه إلى هذه العقيدة التي بعثه الله ﷻ بها، يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: أفردوا الله بالعبادة، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وهو الكفر بكل ما يُعبد من دون الله ﷻ؛ فما عُبد من دون الله إنما عُبد بباطل. فهؤلاء الذين يعبدون الأشجار أو الأحجار، أو يعبدون الكواكب، أو يعبدون الشياطين، أو يعبدون المقبورين أو الأولياء من دون الله رب العالمين، كل ما يعبدونه من الطواغيت، وكلها معبودات بباطل، والله ﷻ هو الإله الحق الذي لا إله غيره، ولا رب سواه.

وإذا عرفت ذلك عرفت سِرَّ الجمع بين الربوبية والألوهية في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

فقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيه معنى الألوهية، وأنه الإله الحق،

وقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيه معنى الربوبية،

فالله ﷻ يُنَبِّه العباد أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

أول نداء وأول أمر في القرآن:

وتأملوا في أول نداء في القرآن وأول أمر في كتاب الله ﷺ وهو في الآية الحادية والعشرين من سورة البقرة، ففيها أول نداء في القرآن وأول أمر في القرآن ما هو ذلك؟ قال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة] فنادى الله ﷻ الناس أجمعين، الإنس والجن، ناداهم وأمرهم، فقال: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: وحدوا الله ﷻ قال بعض السلف: العبادة في القرآن هي التوحيد. فإذا رأيت الأمر بالعبادة فهو أمر بتوحيد الله (١).

وتأملوا كيف جمع بين الأمر بالعبادة والوصف بالربوبية، فقال ﷺ: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ لأن الناس الذين بُعث إليهم النبي ﷺ كانوا يؤمنون بربوبية الله، وبأنه الخالق، فقال: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وأنتم تُقرّون بذلك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ثم قال في الآية التي تليها: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٣] وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾.

فهذه آيات حين يتأملها الإنسان، ويتفكرها تزيده إيمانًا وقربًا من رب العالمين.

أثر توحيد الأسماء والصفات:

فينبغي للمؤمن أن يبذل جهده في معرفة أسماء الله وصفاته ﷻ على ضوء الكتاب والسنة كما جاء عن الصحابة رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وكما جاء عن التابعين لهم بإحسان. فهذه المعرفة، معرفة عظيمة نافعة، وهي المعرفة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه، وقوة في يقينه،

(١) قال الطبري في تفسيره - جامع البيان ط هجر (١/ ٣٨٥) -: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِيْمَا رُوِيَ لَنَا عَنْهُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قُلْنَا فِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَى: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وَحَدُّوا رَبَّكُمْ. وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيْمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْعِبَادَةِ الْخُضُوعُ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالذُّلُّ لَهُ بِالِاسْتِكَاتَةِ. وَالَّذِي أَرَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذْ شَاءَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وَحَدُّوا: أَيُّ أَفْرَدُوا الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ أ. هـ.

وطمأنينة في أحواله؛ فجرّبوا ذلك عباد الله، اقرؤوا القرآن، وتدبروه، وتأملوه. وإن وقفنا عند أسماء الله الحسنى وعند صفاته ﷻ ونظرنا إلى معانيها التي دلّ عليها القرآن، ودلّ عليها كلام العلماء الذين بيّنوا ذلك، سنجد طمأنينة، ورحمة، وراحة في قلوبنا وفي حياتنا؛ لأن ذلك يزيد في إيمان المسلم، وفي يقينه، ويصرف عنه الباطل بإذن الله ﷻ.

فأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يشرح صدورنا للقرآن العظيم، ويُنور أبصارنا وبصائرنا، وأن يُزيّن الإيمان في قلوبنا، وأن يجعل ممن يجد اللذة مع كتاب الله وسنة الرسول ﷺ.

وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً:

وأختم معكم هذا المجلس بالتأمل في آية من كتاب الله ﷻ فيها عظة واعتبار لما نحن فيه. يقول الله ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝١١٠ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝١١١﴾ [الأحزاب]. هذه الآية فيها إخبار من الله ﷻ أن المؤمنين لما رأوا البلاء الذي نزل بهم يوم الأحزاب واجتماع الناس على حربهم تذكروا قول الله ﷻ لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُوعًا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَأَلَّا إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ۝١١٢﴾ [البقرة]. فزادت الطمأنينة في قلوبهم، وزاد الإيمان عندهم مع اشتداد البلاء بهم، وهكذا هم أهل الإيمان. (١) وقال الحسن البصري ﷺ تعالى في قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝١١١﴾ [الأحزاب]: ﴿ما زادهم البلاء إلا إيماناً بالربّ وتسليماً بالقضاء﴾ (٢).

وعن يزيد بن رومان ﷺ قال: "أي صبراً على البلاء وتسليماً للقضاء وتصديقاً

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩/٥٩)

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمشهور (٦/٥٨٥) ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/١٠٢٣) رقم (١٧٣١) وفي سنده ضعف.

بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله^(١).

هؤلاء قوم عرفوا أن الله لا يقول إلا حقًا، ولا يأتي عن الله إلا صدقا، عرفوا ذلك يقينًا، فلما رأوا البلاء عرفوا أن ذلك خيرٌ لهم، فزادهم إيمانًا وتسليمًا لأمر الله وقضائه. وبعض الناس ما زادهم البلاء إلا تسخطًا على الله ﷻ وعلى شرعه وقدره. ونحن في وقتٍ انتشر فيه البلاء، وعمّ فيه الوباء، فنحتاج أن نتفكر، ونتأمل؛ فإن الله ﷻ لا يُقدّر عليك -أيها المؤمن- إلا خيرًا.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْضِي لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٢).

وقال ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ ﷻ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ رَبَّهُ وَشَكَرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ رَبَّهُ وَصَبَرَ، الْمُؤْمِنُ يُوجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي اللَّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ»^(٣)

وفي صحيح مسلم عن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنْ أَمَرَهُ كَلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٤) وفي رواية: «وَكُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِ خَيْرٌ»^(٥)

فحين يتأمل المسلم في هذا -وهو من جملة تأمله لأسماء الله وصفاته ﷻ- يعرف أن هذا السبيل هو الذي أمر به الله ﷻ ولا يعارض ذلك أن يذهب ويأخذ بالأسباب، فإن هذا مما أمر الله به، لكنه يُسَلَّمُ لأمر الله، ويرضى ويدعو، ويتقرب إلى الله ﷻ فيصبح هذا الوقت العصيبُ فرصةً عظيمةً للإقبال على الله ﷻ ودعائه والتفكير والتأمل في آلائه

ﷻ.



(١) تفسير الطبري (٢٠/٢٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٩٠٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٨٧) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٩٩).

(٥) مسند البزار (٢٠٨٨) والمعجم الكبير للطبراني (٨/٤٠) رقم (٧٣١٦) والمعجم الأوسط (٧٣٩٠) وشعب

الإيمان للبيهقي (٩٤٧٦).

المجلس الرابع^(١)

تتمة الأمور التي يُستمد منها الإيمان :

تدبر كتاب الله ﷻ :

من الأمور العظيمة التي ينبغي أن يشتغل بها المسلم ليحافظ على دينه وإيمانه: التدبر لآيات الله ﷻ المتلوة من الكتاب العزيز، وكذلك التأمل في الآيات الكونية على اختلاف أنواعها، والحرص على معرفة الحق الذي خُلِق له العبد.

فالمتدبر يستفيد من علوم القرآن ومعارف القرآن ما يكون سبباً في زيادة إيمانه، قال ربنا ﷻ: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال].

وإذا نَظَرَ إلى انتظام القرآن وإحكامه عَلِمَ أنه يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيُؤَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَهُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت]. ليس فيه تناقض ولا اختلاف، ولو كان من عند غير الله لَوَجَدَ فِيهِ مِنَ التَّنَاقُضِ وَالِاخْتِلَافِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء].

فتأمل القرآن وتدبر القرآن من أعظم مُقَوِّيات الإيمان. والمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله، ويعرف ما فيها من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خيرٌ كثير.

فكيف إذا أحسن التأمل لكتاب الله، وإذا أحسن فهم مقاصده وأسراره؟! لذلك المؤمنون الأول يقولون: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. فمعرفة القرآن وتدبر كتاب الله ﷻ من أعظم الطرق والوسائل الجاذبة للإيمان.

(١) كان في يوم الأحد السادس والعشرين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

وهلموا معي - حفظكم الله ووفقنا الله وإياكم للخير - إلى تأمل الآيات التي وردت في حثّ المؤمنين على ذلك.

بركة القرآن:

القرآن مبارك وفيه بركة عظيمة كبيرة نحن عنها غافلون. فإن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتِذْرَأْ أَفَّ الْفَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام]

وقال ﷺ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام]

وقال ﷺ: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء]

وقال ﷻ: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].
هذه أربعة مواضع في كتاب الله ﷻ يصف الله ﷻ فيها كتابه الكريم بأنه كتاب مبارك. **والبركة:** الكثرة في كل ذي خير كما قاله الزجاج^(١).

وقال بعض أهل التفسير: المبارك كثير الفوائد وجم المنافع، والبركة الزيادة. قال الطاهر ابن عاشور ﷻ: "والقرآن مبارك؛ لأنه يدل على الخير العظيم، فالبركة كائنة به، فكأن البركة جعلت في ألفاظه؛ ولأن الله تعالى قد أودع فيه بركة لقارئه المشتغل به بركة في الدنيا وفي الآخرة، ولأنه مشتمل على ما في العمل به كمال النفس وطهارتها بالمعارف النظرية ثم العملية؛ فكانت البركة ملازمة لقراءته وفهمه"^(٢).

وقال بعض أهل التفسير: المتمسك به يحصل له عز الدنيا وسعادة الآخرة.

وقال الحافظ ابن كثير ﷻ في قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]: "فيه الدعوة إلى اتباع القرآن، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة"^(٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥٧/٤).

(٢) التحرير والتنوير (٣٧٠/٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٦٩/٣).

آية سورة ص:

وتأملوا آية سورة ص، إذ يقول ﷺ: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩). قال العلامة السعدي رحمه الله: ﴿ لِيَذَّبَرُوا ءَايَاتِهِ ﴾ أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب اهـ (١) وقال نظام الدين النيسابوري في تفسيره رحمه الله: ﴿ لِيَذَّبَرُوا ءَايَاتِهِ ﴾ ليتأملوا فيها ويستنبطوا الأسرار والحقائق منها فمن حفظ حروفه وضع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير اهـ (٢)

وقال الشوكاني رحمه الله: "وفي الآية دليل على أن الله ﷻ إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكير في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر" (٣).

وقال بعض أهل التفسير: وتدبر الآيات: التفكير فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، لأن من اقتنع بظاهر المتلو، لم يجل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يجلبها، ومهرة نثور لا يستولدها اهـ (٤)

كلام بديع ومهم للحسن البصري:

وقال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَيْبِدٌ وَصَبِيَانٌ لَمْ يَأْتُوهُ مِنْ قَبْلِ

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧١٢)

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٥/ ٥٩٢)

(٣) فتح القدير (٤/ ٤٩٤).

(٤) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٩٠).

وَجْهِهِ] ^(١) [و] ^(٢) لَا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأْوَلُوا ^(٣) الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَوْلِيهِ، وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩]، وَمَا تَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ؟ اتَّبَاعَهُ - وَاللَّهُ - بِعِلْمِهِ ^(٤)، (ففسر الآية بأن المقصود بالتدبر الاتباع والعمل) ثم قال بعد ذلك: [وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَفْرُوهُ] ^(٥) [وفي رواية: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنْ رُئِيَ فِي عَمَلِهِ] ^(٦) - ثم قال ﷻ: - أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمُحْفَظٍ حُرُوفِهِ وَإِصَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّىٰ إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللَّهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَىٰ لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ، وَلَا عَمَلٍ، حَتَّىٰ إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفْسٍ (وَاحِدٍ) ^(٧)، [ثُمَّ يَقُولُ أَحَدُهُمْ يَا فُلَانُ تَعَالَ أَقَارِئِكَ] ^(٨) وَاللَّهُ مَا هُوَ لَاءِ بِالْقُرَّاءِ، وَلَا الْعُلَمَاءِ، وَلَا الْحُكَمَاءِ، وَلَا الْوَرَعَةِ، مَتَى كَانَتِ الْقُرَّاءُ مِثْلَ هَذَا؟ لَا كَثَّرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هُوَ لَاءِ. ^(٩)

(١) زيادة من فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ومن اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي.

(٢) زيادة من اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي.

(٣) في فضائل القرآن للفريابي: (وَلَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَوْلِيهِ)

(٤) في فضائل القرآن للفريابي: (وَمَا يَتَدَّبَّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتَّبَاعُهُ بِعِلْمِهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُهُ) وفي أخلاق حملة القرآن للأجري: (وَمَا تَدَّبَّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتَّبَاعُهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ) ولأبي عبيد: (وَمَا تَدَّبَّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتَّبَاعُهُ بِعِلْمِهِ) ولسعيد بن منصور في التفسير (وَأَيُّهَا تَدَّبَّرُ آيَاتِهِ اتَّبَاعُهُ بِعَمَلِهِ).

(٥) زيادة من فضائل القرآن لأبي عبيد ومن اقتضاء العلم العمل للخطيب.

(٦) زيادة من التفسير لسعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في الشعب -.

(٧) زيادة من "أخلاق حملة القرآن" للأجري.

(٨) زيادة من "فضائل القرآن" لأبي عبيد و"اقتضاء العلم" للخطيب. و"التفسير" لسعيد بن منصور.

(٩) حسن صحيح. رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٢٧٤ / رقم ٧٩٣). - ومن طريقه: الفريابي في فضائل

القرآن (١٧٧، ١٧٨)، والأجري في أخلاق حملة القرآن (٣٤) -؛ وفي سنده: يحيى بن المختار روى عنه معمر ويوسف بن يعقوب الضبي كما في التهذيب؛ وهما ثقتان، وقال ابن الجنيدي: "قلت: ليحيى بن معين: يحيى بن المختار الذي روى عنه معمر؟ قال: شيخ بصري ليس به بأس". انظر: سؤالات ابن الجنيدي (رقم ٧٠٤). واختلف فيه على معمر؛ فرواه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٣ / رقم ٥٩٨٤) عن معمر عن أيوب، عَمَّنْ، سَمِعَ، الْحَسَنَ يَقُولُ فَذَكَرَهُ. وللأثر طريقان آخران: فقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حَدَّثَنَا =

هذا الأثر جاء عن الحسن البصري رحمته الله وكأنه يعيش بيننا في هذه الأزمان وفي هذه الأعصار، يحكي لنا ما وقع الناس فيه تجاه كتاب الله ﷻ؛ حيث انشغلوا بمثل هذه الظواهر عن حقيقة الحال من تأمل كتاب الله ﷻ.

أهمية علم وفهم السلف عند تدبر كتاب الله ﷻ

إخواني في الله، إنَّ التأمل في القرآن والتدبر في القرآن لا يجوز أن يكون بنظرٍ مجردٍ عن علوم وفهم السلف الصالح؛ فإنَّ أعظم ما يعينك على تدبر كتاب الله ﷻ النظرُ في فهم الصحابة للقرآن، وفي فهم التابعين، وفي كلمات العلماء التي فيها نورٌ وهدايةٌ للناس أجمعين. وقد ظهَرَ من الناس اليوم من يقول: أنا أتأمل القرآن! لكن كيف يتأملُه؟ يتأمله بفهمه وتصوره القاصر دون الرجوع إلى كتب التفسير وإنما هي خواطر تأتيه. نقول كلا! إنه لا يتم التأمل إلا بالعلم؛ فارجع إلى كتب العلماء وإلى تفاسير أهل السنة الموثوقة، فاقراً فيها عن معاني القرآن وآياته؛ فربما قرأ القارئ آية، فظهر له منها معنى، وهذا المعنى من أبعد ما يكون عن كتاب الله ﷻ.

الحكمة من طلب الهداية في سورة الفاتحة:

ومن أمثلة التدبر للآيات والنظر في فهم العلماء:

نحن نقرأ قول الله ﷻ: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [الفاتحة].

والعبد يسأل الله ﷻ - الهداية في كلِّ ركعة من ركعات صلاته يقرأ فيها الفاتحة، ويتساءل بعض الناس فيقول: لماذا نُكثِر من سؤال الله ﷻ الهداية؟

هل المقصود بذلك أننا نسأل الله الثبات ودوام الهداية على هذا الأمر.

لا شك أن هذا الجواب حسنٌ إلا أنه جواب ناقص. ومن أجوبة ذلك ما قاله الحافظ ابن رجب رحمته الله قال: وَأَمَّا سُؤَالُ الْمُؤْمِنِ مِنَ اللَّهِ الْهَدَايَةَ، فَإِنَّ الْهَدَايَةَ نَوْعَانِ: هِدَايَةٌ مُجْمَلَةٌ وَهِيَ الْهَدَايَةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَهِيَ حَاصِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَهِدَايَةٌ مُفَصَّلَةٌ، وَهِيَ هِدَايَةٌ إِلَى

شُجَاعُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ الْأُمَلَايِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بِهِ نَحْوَهُ. - ومن طريق شجاع رواه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (١٠٨) -. وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات. ورواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (١٣٥) - ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٠٨) - قال: نا أَبُو شَهَابٍ، عَنِ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامَ، عَنِ الْحَسَنِ بِهِ نَحْوَهُ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

مَعْرِفَةَ تَفَاصِيلِ أَجْزَاءِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَإِعَانَتِهِ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ لَيْلًا وَنَهَارًا... إلخ^(١)

ولتَعَلِّمَ تفصيل هذا الجواب انظر إلى كلام العلامة شمس الدين محمد ابن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية رحمته الله تعالى، فإنه وقف عند هذه المسألة وهي سؤالنا لربنا رحمته الله الهداية في هذه الآية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة] فقال رحمته الله:

واعلم أن العبد لا يحصل له الهدى التام المطلوب إلا بعد سبعة أمور هو محتاج إليها حاجة لا غنى له عنها:

١- الأمر الأول: معرفته في جميع ما يأتيه ويذره بكونه محبوباً للرب تعالى، مرضياً له فيؤثره، وكونه مغضوباً له مسخوفاً عليه، فيجتنبه فإن نَقَصَ من هذا العلم والمعرفة شيء نَقَصَ من الهداية التامة بحسبه. - (وهذا هو الأمر الأول، وهو مرتبط بالعلم؛ فالهداية مرتبطة بالعلم بأن تعلم ما أوجب الله عليك وأحبه، فتأتيه، وما نهى الله عنه وأبغضه، فتذره؛ فبقدر علمك يكون اكتمال هدايتك، وبقدر ما ينقص عندك من العلم تنقص عندك الهداية).-

٢- الأمر الثاني: أن يكون مريداً لجميع ما يجب الله منه أن يفعله، عازماً عليه، ومريداً لترك جميع ما نهى الله، عازماً على تركه بعد خطوره بالبال مفضلاً، وعازماً على تركه من حيث الجملة مجملاً، فإن نَقَصَ من إرادته لذلك شيء نَقَصَ من الهدى التام بحسب ما نقص من الإرادة. - (إدأ هذا هو الأمر الثاني، وهو ارتباط الإرادة بالهداية. إرادة لماذا؟ إنها الإرادة والعزيمة على عمل كل ما يحبه الله ويرضاه، والعزيمة على ترك كل ما يبغضه الله رحمته الله ويأباه).-

٣- الأمر الثالث: أن يكون قائماً به فعلاً وتركاً، فإن نَقَصَ من فعله شيء نَقَصَ من هداه بحسبه. - (يعني أن يكون قائماً على العمل، قائماً على الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، قد أتاها وعمل بها).-

قال: فهذه ثلاثة أمور هي أصول الهداية، (فإذا تمت عند إنسان فإنه إذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإنه يدعو الله أن يكمل له هذه الأمور الثلاثة).

(١) «جامع العلوم والحكم» (٢/٤٠ ت الأرنؤوط)

قال: **ويتبعها ثلاثة هي من تمامها وكما لها:**

٤- أحدها: أمور هُدِيَّ إليها جملة، ولم يَهْتَدِ إلى تفاصيلها؛ فهو محتاج إلى هداية التفصيل فيها. - (ومعنى ذلك: أن إنساناً هُدِيَّ إلى عمل صالح مثل برِّ الوالدين، لكنه يحتاج أن يعرف كيف يبر والديه؟ وكيف يصل أرحامه؟ وكيف يفعل ويفعل من المعروف؟ فيحتاج إلى هذه التفاصيل؛ فيسأل الله ﷻ أن يُرشدَه إلى ما يُعينه على أداء هذه الأمور التي هُدِيَّ إليها).-

٥- الثاني: أمور هُدِيَّ إليها من وجه دون وجه؛ فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها؛ لتكتمل له هدايتها.

٦- الثالث: الأمور التي هُدِيَّ إليها تفصيلاً من جميع وجوهها؛ فهو محتاج إلى الاستمرار إلى الهداية والدوام عليها؛ فهذه أصول تتعلق بما يعزم على فعله وتركه. - **(فهذه أمور ستة** تتعلق بقوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ تحتاجها وأنت تقرأ: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ كأنك تقول: يا ربي، أسألك أن تتم عليّ العلم بما أمرتنا به، فأتيه، وبما نهيتنا عنه، فأجتنبه، وأسألك أن تعينني على عزيمة صادقة آتي بها ما تحبه، وأبتعد بها عما تُبغضه، وأسألك يا ربّ أن أكون قائماً لك بالعمل الصالح، وفعل الخيرات وترك المنكرات وحبّ المساكين، وأسألك يا رب أن تكمل لي الهداية، فما هديتني إليه من عمل صالح بيّنه لي، وأسألك يا رب أن تهديني إلى ما هديتني إليه هدايةً تامّةً كاملة) **وأمرٌ سابع يحتاج إليه؛ قال ﷻ:**

٧- الأمر السابع يتعلق بالماضي وهو أمور وقعت منه على غير جهة الاستقامة فهو محتاج إلى تداركها بالتوبة منها وتبديلها بغيرها ... **فعلم أنه ليس أعظم ضرورة منه إلى سؤال الهداية أصلها وتفصيلها علماً وعملاً** والتثبيت عليها والدوام إلى الممات وسر ذلك أن العبد مفتقر إلى الهداية في كل نَفَسٍ في جميع ما يأتيه ويذره أصلاً وتفصيلاً وتثبيتاً ومفتقر إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام فليس له أنفع ولا هو إلى شيء أحوج من سؤال الهداية فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم وأن يثبت قلوبنا على دينه اهـ^(١).

(١) بدائع الفوائد (٢/٣٧٠، ٣٨٠).

- فحينئذ المسلم وهو يقول: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فهو يسأل ربه أن يهديه، وأن يتوب عليه مما أخطأ فيه وقصر-. فهذه أمور سبعة نبه عليها ابن القيم رحمته الله في هذا الباب؛ ليعلم المسلم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أنه محتاج - والله- إلى تكرار هذا الأمر تكرارًا عظيمًا، وألا يتخاذل عن تعلم كتاب الله صلى الله عليه وسلم. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم، والحلاوة، والبركة، والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره اهـ^(١).

حال الصحابة مع تدبر القرآن:

ونحن والله نحتاج إلى الإقبال على كتاب الله صلى الله عليه وسلم إقبالاً سلفياً أثرياً كما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يفعلون؛ فإنهم كانوا يقبلون على كتاب الله، ويكتفون بكتاب الله ودينة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهما.

وإن بعض الناس اليوم قد تدمع عيناه لسماع نشيد، ولا تدمع عيناه لسماع القرآن، وتطرب نفسه لسماع القصائد، ولا تطرب نفسه وتخشع لذكر الله صلى الله عليه وسلم. والمتأمل في حال الصحابة رضي الله عنهم يرى في طريقة تلقيهم للعلم: تمام الحرص على العمل بالعلم والانتفاع التام به.

قال جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَخُنْ فُتَيَانُ حَزَاوِرَةَ^(٢) فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا^(٣). فتأمل قوله «فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا».

يتبين لك ما كانوا عليه من العناية بالعمل والعلم معا وأن ذلك قد آتى ثماره بالإيمان الذي وقر في قلوبهم وهذا هو المنهج الصحيح الذي ينبغي أن نسير عليه جميعا في طلبنا للعلم. وفيه من الفائدة البدء بتعلم العقائد قبل الفقه والقرآن. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كَانَ الرَّجُلُ مِمَّنْ إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٧٠/٢).

(٢) حزاورة: جمع حَزَوْر، وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم.

(٣) صحيح، أخرجه ابن ماجه (٦١) بسند صحيح.

معانيهنّ، والعملَ بهنّ»^(١).

وقال تلميذه أبو عبد الرحمن السلمي: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِنُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ^(٢).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدْنَا يُؤْتِي الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِيلِ السُّورَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا، وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا، وَزَجْرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ^(٣)، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتِي أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجْرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ^(٤).

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٨٠/١) من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال العلامة أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه، ولكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير. اهـ وللأثر طريق آخر يأتي ذكره في الحاشية التالية.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٤١٠/٥) وابن أبي شيبة (٤٦٠/١٠-٤٦١) وابن سعد (١٧٢/٦) والطبري (٣٦/١) والطحاوي في "شرح المشكل" (١٤٥١، ١٤٥٢) من طرق عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن به. وأورده الدارقطني في "العلل" (٦٠/٣) من طريق يحيى بن كثير أبي النضر - وهو ضعيف -، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن قال: حدثني الذين كانوا يقرئونا عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنه... وقال الدارقطني عقبه: فسمى هؤلاء الثلاثة ولم يسمهم سواهم، والأول أشبه اهـ وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٤٥٠)، والحاكم (٥٥٧/١) - وعنه البيهقي (١١٩/٣-١٢٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نتعلم من رسول الله ﷺ عشر آيات... فذكره. وعبد الله بن صالح وشريك النخعي سيئا الحفظ. لكن قد أخرجه الطبري من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن شقيق ابن سلمة، عن ابن مسعود به وسنده صحيح، كما تقدم.

(٣) قال أبو جعفر ابن النحاس في القطع والائتناف (ص: ١٢): هذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون التمام كما يتعلمون القرآن، وقول ابن عمر: لقد عشنا برهه... يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة اهـ.

(٤) حسن، أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤٥٣) فقال: حَدَّثَنَا فَهْدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَعْبِدٍ، وَرَوَاهُ أَبُو جَعْفَرِ النَّحَّاسِ فِي الْقَطْعِ وَالْإِئْتِنَافِ (ص: ١٢) قال: وحدثني محمد بن جعفر الأنباري حدثنا هلال بن العلاء قال: حدثنا أبي وعبد الله بن جعفر؛ ورواه ابن منده في الإيمان (٢٠٧) قال: أَنَّبَأَ مُحَمَّدُ بْنُ

وقال أبو طالب المكي رحمته الله: وقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يحفظ إلا الجزء والجزأين والسور المعدودة وسورتين وكان من يحفظ الحزب منه وهو السبع أو البقرة والأنعام علماً فيهم، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف صحابي لم يقرؤوا القرآن غير نظر فلم يحفظ القرآن كلّه منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين، وقال بعضهم: ولم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة أحد، وختم ابن عباس رضي الله عنه على أبي بن كعب رضي الله عنه وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس رضي الله عنه وقرأ عثمان بن عفان رضي الله عنه على زيد بن ثابت رضي الله عنه وقرأ أهل الصفة على أبي هريرة رضي الله عنه، وكلهم كان متبعاً لأوامره مجتنباً لزواجه عالماً به فقيهاً فيه اهـ. (١)

هكذا كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، تلقوا القرآن والسنة، وتلقوا ما في ذلك من العلم والعمل. وذلكم -عباد الله- هو التدبير الذي أمرنا الله تعالى به.

مزيد من الآيات في الحث على تدبير القرآن:

ويقول ربنا تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد].
ويقول في موضع آخر: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء].

عبد الله بن معروف الأصبهاني، ثنا أحمد بن مهرا بن خالد، ثنا زكرياء بن عدي، ورواه الحاكم (١٠١) فقال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ الْقَفِيُّ، ثنا هلال بن العلاء الرقي، ثنا أبي، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٥٢٩٠) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (١٦٠/٣١) - قال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَعْرُوفِ الْقَفِيُّ الْمِهْرَجَانِيُّ بِهَا، ثنا أَبُو سَهْلٍ بَشْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَشْرٍ، أنبا أبو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الْقَطَّانِ، ثنا عُبَيْدُ بْنُ جَنَادٍ الْحَلْبِيُّ، كلهم (علي بن معبد، والعلاء الرقي، وعبد الله بن جعفر وزكريا بن عدي وعبيد بن جناد) قالوا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنْبَسَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه، يَقُولُ فذكره. وقال ابن منده: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى رَسْمِ مُسْلِمٍ وَالْجَمَاعَةِ إِلَّا الْبُخَارِيَّ». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه». والصواب أنه إسناد حسن وليس على شرطهما، فليس لزيد عن القاسم رواية في الصحيحين والقاسم من رجال مسلم وهو مختلف في حاله، وقال الحافظ صدوق يغرب. وإسناد الحاكم فيه هلال بن العلاء الرقي - وهو صدوق -، عن أبيه - وهو ضعيف -، وليس من رجال الشيخين.

(١) قوت القلوب (١٠٨/١)

ويقول ﷺ في سورة المؤمنون: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

إخواني في الله، هذه الآيات التي يحث الله ﷻ فيها على التدبر: خاطب الله بها الكفار، وخاطب بها المنافقين، وَعَلِمَ ﷺ أنهم لو تدبروا القرآن لانقلب كفرهم إيمانًا ونفاقهم تقوى؛ ولهذا قال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون]. والمعنى -والله أعلم- أنهم لو تدبروا كتاب الله ﷻ لانقلب ما هم عليه من باطل إلى نفس مقبلة على كتاب الله. فإذا كان الله ﷻ يخبرنا أن الكفار والمنافقين لو تدبروا القرآن وتفهموا معانيه لصار حالهم أحسن حال. فكيف -يا عباد الله- بمن آمن بالله واليوم الآخر؟!

كلام بديع لشيخ الإسلام في بيان أهمية التدبر والعمل بالقرآن:

قال شيخ الإسلام ﷺ: ... السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ الَّذِينَ رَضُوا عَنْهُ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ تَلَقَّوْا عَنْهُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَكَانُوا يَتَلَقَّوْنَ عَنْهُ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: ... -ثم ذكر الأثر السابق- وقال: وَقَدْ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهُوَ مِنْ أَصَاغِرِ الصَّحَابَةِ - فِي تَعَلُّمِ الْبَقْرَةِ ثَمَانِي سِنِينَ ^(١) وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَجْلِ الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَهَذَا مَعْلُومٌ مِنْ وُجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْعَادَةَ الْمُطْرِدَةَ الَّتِي جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَنِي آدَمَ تُوجِبُ اعْتِنَاءَهُمْ بِالْقُرْآنِ - الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِمْ - لَفْظًا وَمَعْنَى؛ بَلْ أَنْ يَكُونَ اعْتِنَاؤُهُمْ بِالْمَعْنَى أَوْ كَدَّ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ كِتَابًا فِي الطَّبِّ أَوْ الْحِسَابِ أَوْ التَّحْوِ أَوْ الْفِقْهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ رَاغِبًا فِي فَهْمِهِ وَتَصَوُّرِ مَعَانِيهِ فَكَيْفَ بِمَنْ قَرَعُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنَزَّلَ إِلَيْهِمُ الَّذِي بِهِ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَبِهِ عَرَفَهُمُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالْهُدَى وَالضَّلَالَ وَالرِّشَادَ وَالنَّجَى. فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ رَغَبَتَهُمْ فِي فَهْمِهِ وَتَصَوُّرِ مَعَانِيهِ أَعْظَمُ الرَّغَبَاتِ؛ بَلْ إِذَا سَمِعَ الْمُتَعَلِّمُ مِنْ الْعَالِمِ حَدِيثًا فَإِنَّهُ يَرَعِبُ فِي فَهْمِهِ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الْمُبَلِّغِ عَنْهُ؛

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا، (٢/١٤٨/ط) سليم الهلالي

بَلْ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ رَغْبَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي تَعْرِيفِهِمْ مَعَانِي الْقُرْآنِ أَعْظَمُ مِنْ رَغْبَتِهِ فِي تَعْرِيفِهِمْ حُرُوفَهُ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْحُرُوفِ بِدُونِ الْمَعَانِي لَا تُحْصَلُ الْمُتَقْصُودَ إِذَا اللَّفْظُ إِنَّمَا يُرَادُ لِلْمَعْنَى.

الوجه الثاني: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَصَّهُمْ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَتَعَقُّلِهِ وَاتَّبَاعِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩]...

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ﴾ [محمد]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء]

فَإِذَا كَانَ قَدْ حَصَّ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ عَلَى تَدْبِيرِهِ: عَلِمَ: أَنَّ مَعَانِيَهُ مِمَّا يُمَكِّنُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ فَهَمَّهَا وَمَعْرِفَتُهَا فَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ مُمَكِّنًا لِلْمُؤْمِنِينَ؛ وَهَذَا بَيِّنٌ أَنَّ مَعَانِيَهُ كَانَتْ مَعْرُوفَةً بَيِّنَةً لَهُمْ.

الوجه الثالث: أَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[يوسف]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف]

أَنَّهُ أَنْزَلَهُ عَرَبِيًّا لِأَنَّهُ يَعْقِلُوا وَالْعَقْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ بِمَعَانِيهِ.

الوجه الرابع: أَنَّهُ ذَمَّ مَنْ لَا يَفْهَمُهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسُورًا ﴾ [الإسراء]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام: ٢٥]

[الإسراء: ٤٦]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء]

فَلَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَفْقَهُونَهُ أَيْضًا لَكَانُوا مُشَارِكِينَ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي مَا ذَمَّهُمُ

اللَّهُ تَعَالَى بِهِ.

الوجه الخامس: أَنَّهُ ذَمَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَظُّهُ مِنَ السَّمَاعِ إِلَّا سَمَاعَ الصَّوْتِ دُونَ فَهْمِ

الْمَعْنَى وَاتَّبَاعِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [البقرة]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ﴿١٦﴾ [محمد] وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

وَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ سَمِعُوا صَوْتَ الرَّسُولِ ﷺ وَلَمْ يَفْهَمُوا وَقَالُوا: مَاذَا قَالَ آنِفًا؟ أَيْ السَّاعَةَ؛ وَهَذَا كَلَامٌ مَنْ لَمْ يَفْقَه قَوْلَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾. فَمَنْ جَعَلَ السَّابِقِينَ الْأَوْلِيَيْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ غَيْرَ عَالِمِينَ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِيمَا دَمَّهَمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ. **الْوَجْهُ السَّادِسُ:** أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم فَسَرُّوا لِلتَّابِعِينَ الْقُرْآنَ؛ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضَتْ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مِنْ أَوْلِهِ إِلَى آخِرِهِ أَقْفَ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا. ^(١) وَلِهَذَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ ^(٢).

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ: لَوْ أَعْلَمْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبَلُّغُهُ الْإِبِلُ

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٥٤) رقم (٣٠٢٨٧) وأحمد في فضائل الصحابة (١٨٦٦) عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: «عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ أَفْقَهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ» ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١٨٦٧) عن شريك: وسئل أي الرجلين كان أعلم بالتفسير مجاهد أو سعيد بن جبير قال: كان مجاهد ثم ذكر عن خُصَيْفٍ، عن مجاهد قال: «عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». وفي فضائل الصحابة لأحمد أيضا (١٨٦٨) من طريق مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ يَعْنِي أَبَا سَعِيدٍ الْمُؤَدَّبَ، عن خُصَيْفٍ قَالَ: قَالَ لِي مُجَاهِدٌ: «قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَفْقَهُ عَلَى كُلِّ آيَةٍ». ورواه الدارمي (١١٦٠) والطبري في التفسير "جامع البيان ط هجر (٨٠/١)، و(٧٥٥/٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٧٧) رقم (١١٠٩٧) - ومن طريقه الضياء في المختارة (٧٦/١٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٧٩) والحاكم في المستدرک (٣١٠٥) عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عن أَنَابَانَ بْنِ صَالِحٍ، عن مُجَاهِدٍ، قَالَ: لَقَدْ عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ أَقْفَ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ فِيمَ أَنْزَلْتُمْ، وَفِيمَ كَانَتْ؟... إلخ وعند الحاكم تصريح ابن إسحاق بالسمع.

(٢) رواه الطبري (٨٥/١)

لَأَتَيْتَهُ (١).

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما نُقِلَ عَنْهُ مِنَ التَّفْسِيرِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ.

وَالتَّقُولُ بِذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ثَابِتَةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَا... الخ (٢)
 فلو كان المؤمنون لا يفقهون القرآن، ولا يحسنون قراءته لوجب عليهم أن يجتهدوا في تعلمه ليصلوا إلى مرحلة فهمه. والقرآن سهل ميسور على من يسره الله ﷻ عليه. فأقبلوا: على القرآن قراءةً وتأملاً، فوالله إن فيه لسعادتنا، وفيه الخير لنا في أنفسنا، وفي أبنائنا، وفي أسرنا، وفي بيوتنا. به تُطْرَدُ الشياطين، ويُتَقَرَّبُ به إلى رب العالمين، وتُرفَعُ به الدرجات، وتُقَالُ به العثرات، وتُحَى به السيئات، وتُكْتَبُ به الحسنات. وهو أعظم تجارة يأتي بها العبد عند الله ﷻ.

وقد صحَّ عند الدارمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّ الْبَيْتَ: لَيَتَسَّعُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَحْضَرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ الْبَيْتَ: لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضَرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقِلُّ خَيْرُهُ أَنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ» (٣)



(١) رواه البخاري (٥٠٠٢) ومسلم (٢٤٦٣)

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٦/٥) والقاعدة المراكشية (٣٢-٣٧/تحقيق الشيخ دغش العجمي)

(٣) رواه الدارمي (٣٣٥٢) قال: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هَانِئٍ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى هُوَ ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ عَمَانٍ الْحَنْفِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، كَانَ يَقُولُ: فَذَكَرَهُ وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ. وَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ (٢٧٣/١) رَقْم (٧٩٠) وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنَفِ (١٢٧/٦) رَقْم (٣٠٠٢٧) قَالَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ، وَابْنُ الضَّرِيرِ فِي فِضَائِلِ الْقُرْآنِ (١٨٥) قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، كُلُّهُم (ابن المبارك وعفان واللفظ له، وسعيد بن سليمان) قالوا: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «الْبَيْتُ إِذَا تَلِيَ فِيهِ كِتَابُ اللَّهِ [اتَّسَعَ بِأَهْلِهِ]، وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَحَضَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لَمْ يُتَلْ فِيهِ كِتَابُ اللَّهِ، ضَاقَ بِأَهْلِهِ، وَقَلَّ خَيْرُهُ، وَتَنَكَّبَتْ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَحَضَرَهُ الشَّيَاطِينُ» وَثَابِتٌ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

المجلس الخامس^(١)

تفسير آية الحجرات

قال الله ﷻ: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَّأَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات].

هذه الآية المباركة هي الآية الرابعة عشرة من سورة الحجرات، وفيها إشارة إلى أن ثمة فرقاً بين الإسلام وبين الإيمان. يقول الحافظ أبو الفداء ابن كثير ﷻ: "يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَّأَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾".

الإيمان أخص من الإسلام:

ثم قال: وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه. ثم ذكر الحافظ ابن كثير ﷻ حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه المخرج في الصحيحين أنه قال: أعطى رسول الله ﷺ رجلاً، ولم يُعْطِ رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد: يا رسول الله، أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تُعْطِ فلاناً شيئاً وهو مؤمن! فقال النبي ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ؟» حتى أعاده سعد رضى الله عنه ثلاثاً، والنبي ﷺ يقول: «أَوْ مُسْلِمٌ؟» ثم قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأُعْطِي رَجُلًا وَادَّعَى مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ فَلَا أُعْطِيهِ شَيْئًا؛ مَخَافَةَ أَنْ يُكْبِتُوا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ»^(٢). وعلّق على هذا الحديث، فقال:

(١) كان في يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

(٢) البخاري (٢٧)، مسلم (١٥٠).

فقد فرق النبي ﷺ بين المسلم والمؤمن، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام... ثم قال: ودل ذلك على أن ذلك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً؛ لأنه تركه من العطاء، ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام، فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدّبوا في ذلك. وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وإبراهيم النخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير. وإنما قلنا هذا لأن البخاري ^(١) رضي الله عنه ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يُظهرون الإيمان وليسوا كذلك ^(٢).

الدلائل على أن الأعراب الذين نزلت فيهم الآية كانوا مسلمين:

هذه الآية المباركة: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا ﴾ هل نزلت في قوم كانوا مسلمين أو نزلت في المنافقين؟

الجواب: أن هذه الآية - كما ذكر الحافظ ابن كثير - قد اختلف العلماء في نزولها: هل نزلت في قوم كانوا مسلمين دخلوا في الإسلام أم إنهم كانوا منافقين؟ فذكر ابن كثير ما يثبت بالدلائل أن هؤلاء كانوا مسلمين ولم يكونوا منافقين. وهذا ما رجحه شيخه: شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه وتلميذه شمس الدين ابن القيم رضي الله عنه تعالى ^(٣).

يقول ابن القيم رضي الله عنه: ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ نفيًا للإيمان المطلق، لا لمطلق الإيمان. (أي: أنهم لم يؤمنوا إيمانًا كاملاً، وإنما عندهم مطلق الإيمان، فهم مسلمون). ثم ذكر الوجوه الدالة على أن الآية لنفي الإيمان المطلق لا لمطلق الإيمان فقال: منها: أنه أمرهم أو أذن لهم أن يقولوا: ﴿ أَسَأَمْنَا ﴾ والمنافق لا يقال له ذلك. ومنها أنه قال: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ﴾ ولم يقل قال المنافقون ^(٤).

(١) قال في كتاب الإيمان من صحيحه قبل الحديث (٢٧) (١/٧٩ مع الفتح): بَابُ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الْإِسْتِسْلَامِ أَوْ الْخَوْفِ مِنَ الْقَتْلِ ثُمَّ ذَكَرَ آيَةَ الْحَجَرَاتِ.

(٢) تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧).

(٣) انظر الإيمان (ص ١٩١) لابن تيمية. والرسالة التبوكية لابن القيم ط عالم الفوائد (٧/١).

(٤) ولذلك ذهب جمع من أهل التفسير إلى أن هذه الآية وردت في قوم من الأعراب، ولا تعمهم جميعاً؛ فإن

ومنها: أن هؤلاء الجفأة الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظةً منهم وجفاءً لا نفاقاً وكفراً.

ومنها: أنه قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ولم ينفِ دخول الإسلام في قلوبهم ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام كما نفى الإيمان^(١).

ومنها: أنه قال: ﴿يَمْتُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْتُونَا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ﴾ فأثبت لهم إسلامهم، ونهاهم أن يمتوا على رسول الله ﷺ ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لقال: لم تسلموا بل أنتم كاذبون... إلى آخر كلامه ﷺ تعالى^(٢).

الله ﷻ ذكر الأعراب في سورة التوبة، وذكر أن منهم قوماً يؤمنون بالله ويؤمنون باليوم الآخر، وأنهم يتقربون إلى الله ﷻ: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] فليس الأعراب جميعاً على صفة واحدة؛ ولذلك نزلت هذه الآية في قوم من الأعراب وأحياء منهم سماهم العلماء. قال قتادة ﷺ: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَتًا" ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَتًا﴾ لم تعم هذه الآية الأعراب، ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ولكنها في طوائف من الأعراب" انظر: تفسير الطبري (٣١٦، ٣١٥/٢). وقال مقاتل بن سليمان في تفسيره: "نزلت في أعراب جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرّت بهم سرية من سرايا النبي ﷺ قالوا: آمنا؛ ليأمنوا على دمائهم وأموالهم، وكان يومئذ من قال: "لا إله إلا الله" يأمن على نفسه وماله..." إلى آخر كلامه ﷻ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٨/٤).

(١) وهناك فرق عند العلماء بين كلمة "لم" وبين كلمة "لما" فإذا قال إنسان جاء زيد وعمرو لماً، يعني لماً يأت بعد وقد يأتي، فيحتمل أنه يأتي، ولكن إذا قال: لم يأت زيد فالمراد بذلك: لم يأت فيما مضى ولا يرجى أن يأتي فيما بعد؛ ولهذا لما قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ لم ينفِ أنه قد يدخل الإيمان في قلوبهم في المستقبل، ويصبحوا مؤمنين أقوياء في إيمانهم؛ ولذلك في تمام الآية يقول سبحانه: ﴿لَا يَلْتَكِرُ مِنَّكُمْ أَحْمَلِكُمْ سَيَأْتِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يلتكم يعني لا ينقصكم، والمنافق لا طاعة له، فدَلَّ هذا على أن هذه الآية وردت في أهل الإسلام.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١٧/٤).

من فوائد الآية

إذا ماذا يستفاد من هذه الآية المباركة؟

يستفاد من هذه الآية المباركة - كما ذكر الحافظ ابن كثير وغير واحد من أهل العلم-: أنّ الإيمان أخص من الإسلام، يعني أنّ هناك فرقاً بين الإسلام وبين الإيمان، فأنت تقول: "أنا مسلم". وتقول: "أنا مؤمن إن شاء الله". ففرق بين كلمة الإسلام وكلمة الإيمان.

الفرق بين كلمة الإسلام وكلمة الإيمان:

ولهذا تكلم العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ في هذه المسألة، وذكروا الفرق بين الإسلام والإيمان. وحاصل ما ذكره العلماء في التفريق أنّ لكلمة الإسلام وكلمة الإيمان قاعدةً تضبطهما، ما هي هذه القاعدة؟ وانتبه معي لهذه القاعدة: قال العلماء: هاتان الكلمتان "إذا اجتمعتا افتترقتا، وإذا افتترقتا اجتمعتا". ما معنى هذه القاعدة؟

إذا اجتمعتا في سياق واحد:

بأن جاء ذكر الإسلام وذكر الإيمان في دليل واحد، كآية أو حديث، مثل هذه الآية:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلْنَا ﴾ قالوا: إذا اجتمعت الكلمتان في

نص واحد كآية أو حديث أو سياق فهناك فرق بينهما. ما هو الفرق؟

الفرق بينهما ما جاء توضيحه في حديث جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الحديث المشهور أنه جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»^(١). ففسر له الإسلام بالأعمال الظاهرة. وفسر له الإيمان بالأعمال الباطنة.

فإذا ذُكِرَ الإسلام والإيمان في نص واحد كآية أو حديث أو سياق، كان تفسير الإسلام بالأعمال الظاهرة وتفسير الإيمان بالأعمال الباطنة.

لهذا يدخل الإنسان في الإسلام بقوله: "أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله" فإن قال ذلك فهو من المسلمين، له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين. ثم

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورواه مسلم (٨) بنحوه عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بعد ذلك يطالب بالأعمال؛ فالأعمال من الإيمان، فكأنه قال: الإسلام هو القول، والإيمان قول وعمل، كما قرّر ذلك العلماء.

ومن الأدلة التي ورد فيها ذلك: قصة نبي الله لوط عليه السلام، لما ذكر الله قصته في سورة الذاريات قال سبحانه: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

قال ابن القيم رحمته الله: ففرّق بين الإسلام والإيمان هنا لسر اقتضاه الكلام، فإن الإخراج هنا عبارة عن النجاة فهو إخراج نجاة من العذاب ولا ريب أن هذا مختص بالمؤمنين المتبعين للرسول ظاهراً وباطناً. وقوله تعالى: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ لما كان الموجودون من المخرجين أوقع اسم الإسلام عليهم لأن امرأة لوط عليها السلام كانت من أهل هذا البيت وهي مسلمة في الظاهر، فكانت في البيت الموجودين لا في القوم الناجين، وقد أخبر سبحانه عن خيانة امرأة لوط عليها السلام، وخيانتها أنها كانت تدل قومها على أضيافه وقلبها معهم، وليست خيانة فاحشة فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهراً وليست من المؤمنين الناجين اهـ^(١)

إذا لم يجتمعا في سياق واحد:

أما إذا لم يجتمعا في سياق واحد: وجاء ذكر الإسلام في دليل أو ذكر الإيمان في دليل منفرداً أحدهما عن الآخر فيدخل الإسلام في الإيمان، والإيمان في الإسلام، مثل قول الله-تعالى:- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] فالمراد بالإسلام هنا شرائع الدين الظاهرة والباطنة. وهكذا في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب] فقلوه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أراد بالإيمان من دخل في الإسلام وشرائعه الظاهرة والباطنة، أي: كل من قال: "لا إله إلا الله".

إذاً هذا هو التفريق عند العلماء بين الإسلام والإيمان فيما إذا ما اجتمعا أو افترقا، وهذا القول هو الذي أشار إليه الحافظ ابن كثير بقوله الذي تقدم معنا: "الإيمان أخص من الإسلام".

(١) الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه ط عالم الفوائد (١/ ٨٢).

ويُقَرَّبُ العلماء هذا المعنى، فيقولون: الإسلام دائرة كبيرة، مَنْ دخلها فهو مسلم، ودخل هذه الدائرة دائرة أصغر، يعني أنّ هناك دائرة داخل دائرة الإسلام، فمَنْ دخلها فهو مؤمن؛ ولهذا قالوا: كلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس العكس. فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ؛ لأنَّ الإيمان أخصُّ من الإسلام، فإذا قال: لا إله إلا الله فهو مسلم، ثم إذا اجتهد في الأعمال الصالحة بلغ مرتبة الإيمان. ثم داخل مرتبة الإيمان دائرة أصغر، وهي دائرة الإحسان. فمن دخلها فهو محسن، مؤمن، مسلم. ولهذا قال ابن كثير كما تقدم: ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم (وهو الإسلام) إلى الأخص (وهو الإيمان) ثم للأخص منه (وهو الإحسان؛ فمرتبة الإحسان أعلى مرتبة، وهذا من الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن أهله متفاضلون فيه)

مسألة الاستثناء في الإسلام والإيمان:

وهنا مسألة يذكرها العلماء في هذا الباب وهي: هل يقول: "أنا مسلم إن شاء الله؟" "أنا مؤمن إن شاء الله؟"، أو: مؤمن أرجو، أو: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله. والمأثور عن عامة أهل السنة هو أنه يجوز الاستثناء في الإيمان. ومنهم من أوجبه ومنهم من منعه باعتبار معين. ولا خلاف بين هذه الأقوال، فالاستثناء يصح باعتبار ويمتنع باعتبار آخر كما سيأتي.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله - حاكيا إجماع السلف -: ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه قال ... وكان من قولهم أن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة والإيمان يزيد وينقص ويستثنى منه في الإيمان غير ألا يكون الاستثناء شكا إنما هي سنة ماضية عند العلماء فإذا سئل الرجل أمؤمن أنت فإنه يقول "أنا مؤمن إن شاء الله"، أو "مؤمن أرجو" ويقول: "آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله" ... ومن لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ ... إلخ^(١)

(١) حادي الأرواح (٤٩٣)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: النَّاسُ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

- قَوْلٌ أَنَّهُ يَجِبُ الْإِسْتِثْنَاءُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَنْهِ كَانَ مُبْتَدِعًا.
- وَقَوْلٌ أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُحْظُورٌ فَإِنَّهُ يَفْتَضِي الشَّكَّ فِي الْإِيمَانِ.
- وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ أَوْسَطُهَا وَأَعْدَلُهَا أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِسْتِثْنَاءُ بِاعْتِبَارِ وَتَرْكِهِ بِاعْتِبَارِ: فَإِذَا كَانَ مَقْصُودُهُ: أَنِّي لَا أَعْلَمُ أَنِّي قَائِمٌ بِكُلِّ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيَّ وَأَنَّهُ يَقْبَلُ أَعْمَالِي لَيْسَ مَقْصُودُهُ الشَّكَّ فِيمَا فِي قَلْبِهِ فَهَذَا: اسْتِثْنَاؤُهُ حَسَنٌ وَقَصْدُهُ أَنْ لَا يُزَيِّجِي نَفْسَهُ وَأَنْ لَا يَقْطَعَ بِأَنَّهُ عَمِلَ عَمَلًا كَمَا أَمَرَ فَقُبِلَ مِنْهُ وَالذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ وَالتَّفَاقُ حُوفٌ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ. ... قال: وَالَّذِينَ اسْتَنْتُوا مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ لَمْ يَقْصِدُوا فِي الْإِنْشَاءِ وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ فِي إِخْبَارِهِ عَمَّا قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ فَاسْتَنْتُوا: إِمَّا أَنْ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ يَفْتَضِي دُخُولَ الْجَنَّةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَاتِمَةَ كَأَنَّهُ إِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ. قِيلَ لَهُ: أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَا كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أَوْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِكَمَالِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ.... قال: وَأَمَّا الْإِنْشَاءُ فَلَمْ يَسْتَنْهِ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا شُرْعَ الْإِسْتِثْنَاءِ فِيهِ؛ بَلْ كُلُّ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ آمَنَ وَأَسْلَمَ جَزْمًا بِلَا تَعْلِيْقٍ... ثم قال: وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يُسْتَنْتَى فِي الْإِسْلَامِ. وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ أَحْمَدَ هـ^(١).

بعض ما ورد عن السلف في ذلك:

ذكر البيهقي رحمه الله: أَنَّ رَجُلًا قَالَ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَا مُؤْمِنٌ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه (منكرًا): قُلْ إِنِّي فِي الْجَنَّةِ. ثُمَّ قَالَ: " وَلَكِنَّا نَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ"^(٢) (يعني: إِنْ كُنْتَ تَجْزِمُ لِنَفْسِكَ بِالْإِيمَانِ فَكَأَنَّكَ جَزَمْتَ لِنَفْسِكَ بِالْجَنَّةِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ بِمَاذَا يَخْتَمُ لَكَ)

وثبت عن إبراهيم النخعي وطاووس بن كيسان ومحمد بن سيرين أنهم قالوا: إِذَا قِيلَ لَكَ: «أَمُومِنٌ أَنْتَ؟» فَقُلْ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»^(٣)

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/٤٠-٤٣).

(٢) شعب الإيمان (٧٠) ورواه أبو عبيد في الإيمان (١١) وابن أبي شيبة في الإيمان (٢٢) وسنده صحيح.

(٣) الإيمان لأبي عبيد (ص: ١٥، ٢١) وتهذيب الآثار (مسند ابن عباس) للطبري تهذيب الآثار مسند ابن

وعن الفضيل بن عياض أنه قال: «لَوْ قَالَ لِي رَجُلٌ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ مَا كَلَّمْتُهُ أَبَدًا»^(١)
وجاء عنه تفسير ذلك أنه قال: قَوْلُكَ أَنَا مُؤْمِنٌ تَكَلَّفَ لَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَقُولَهُ وَلَا بَأْسَ
إِنْ قُلْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِفْرَارِ وَأَكْرَهُهُ عَلَى وَجْهِ التَّزَكِّيَةِ»^(٢)

وقال رجل لعَلْقَمَةَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقَالَ: «أَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٣)

وعن الإمام أحمد رحمته الله، وسُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَالُ لَهُ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: «سُؤَالُهُ إِيَّاكَ
بِدَعَاةٍ، يَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٤). وروى الإمام أحمد ذلك عن سفيان بن عيينة.^(٥)

وقال له رجل: قِيلَ لِي: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. هَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ؟ هَلْ النَّاسُ
إِلَّا مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ؟! فَغَضِبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَقَالَ: هَذَا كَلَامُ الْإِرْجَاءِ، ... ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:
أَلَيْسَ الْإِيمَانُ قَوْلًا وَعَمَلًا؟ قَالَ الرَّجُلُ: بَلَى، قَالَ: فَجِئْنَا بِالْقَوْلِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:
فَجِئْنَا بِالْعَمَلِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ تَعْيِبُ أَنْ يَقُولَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَثْنِي؟^(٦)

وقال أيضا: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، فَجِئْنَا بِالْقَوْلِ وَلَمْ نَجِئْ بِالْعَمَلِ، فَتَحْنُ مُسْتَثْنُونَ
بِالْعَمَلِ.^(٧)

وقال أيضا: كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَمَلَ هَذَا عَلَى التَّقْبُلِ، يَقُولُ: نَحْنُ نَعْمَلُ وَلَا
نَدْرِي يُتَقَبَّلُ مِنَّا أَمْ لَا.^(٨)

عباس (٢/٦٧٥)، والشريعة للأجري (٢/٦٦٩). وأثر إبراهيم في الحلية أيضا (٤/٢٢٤) وأثر طاووس في

المصنف لعبد الرزاق أيضا (١١/١٢٨/٢٠١٠٨) والسنة لأبي بكر بن الخلال (١٣٤٨)

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/١٠١)

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/٣٧٧)

(٣) الإيمان للقاسم بن سلام (١٥)

(٤) السنة لأبي بكر بن الخلال (٣/٥٩٧) رقم (١٠٥٦)

(٥) السنة لأبي بكر بن الخلال (٣/٦٠٢) رقم (١٠٧٠) والشريعة للأجري (٢/٦٦٠) وشرح أصول اعتقاد أهل

السنة والجماعة (٥/١٠٥٤) رقم (١٧٩٦)

(٦) السنة لأبي بكر بن الخلال (٣/٥٩٧) رقم (١٠٥٦)

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق (١٠٥٦)

وقيل للثوري: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَمُومِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فقال له الرجل: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قَالَ وَمَا عَلِمَى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء].^(١)

وقال الثوري أيضا: " مِنْ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَهُوَ عِنْدَنَا مُرْجِيٌّ - يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ - " ^(٢). قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَإِنَّمَا كَرَاهَتُهُمْ عِنْدَنَا أَنْ يَبْتُوا الشَّهَادَةَ بِالْإِيمَانِ مَخَافَةَ ... التَّرَكِيَةِ وَالِاسْتِكْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ وَأَمَّا عَلَى أَحْكَامِ الدُّنْيَا فَاتَّهُمْ يُسْمَوْنَ أَهْلَ الْمِلَّةِ جَمِيعًا مُؤْمِنِينَ لِأَنَّ وَلَا يَتَهُمْ وَذَبَابِحُهُمْ وَشَهَادَاتِهِمْ وَمُنَاكَحَتَهُمْ وَجَمِيعَ سُنَّتِهِمْ إِنَّمَا هِيَ عَلَى الْإِيمَانِ وَلِهَذَا كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَرَى الْإِسْتِثْنَاءَ وَتَرَكَهُ جَمِيعًا وَاسْعَيْنِ أ.هـ. ^(٣)

وذكر البيهقي رحمته الله في شعب الإيمان: عن عطاء بن أبي رباح رحمته الله أنه قيل له: "الرجل يقول لا أدري أؤمن أنا أم لا؟ فقال سبحان الله، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] فهو الغيب، فمن آمن بالغيب فهو مؤمن بالله" ^(٤).

يقصد فيما مضى، ويقصد أنه يكون جازمًا في مثل هذه الأمور فلا يشك في ذلك وفي الطبقات لابن سعد عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ فِيهِ عُجْمَةٌ: أَمُومِنٌ أَنْتَ أَوْ مُسْلِمٌ أَنْتَ؟ . قَالَ: نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: لَا تَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَقِيلَ لِمِسْعَرٍ: يَا أَبَا سَلَمَةَ أَقُولُ إِنِّي مُؤْمِنٌ حَقًّا؟ قَالَ: نَعَمْ تَكُونُ مُؤْمِنًا بَاطِلًا أَيْحُسْنُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ هَذِهِ سَمَاءٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أ.هـ. ^(٥)

وفي مصنف ابن أبي شيبة عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ: أَمُومِنٌ أَنْتَ، فَلَا يَشْكَنَنَّ. وفيه أيضا عن عبد الله بن يزيد، قال: إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ: أَمُومِنٌ أَنْتَ؟

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٩/٧)

(٢) المرجع السابق (٣٢/٧)

(٣) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٢١)

(٤) شعب الإيمان (٧٤) وهو في تفسير ابن أبي حاتم، (٣٦/١) رقم (٧٠) مختصرا.

(٥) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١٧٣/٦) والشريعة للأجري (٢/٦٦٥) رقم (٢٨٥).

فَلَا يَشْكُ فِي إِيمَانِهِ^(١).

فإن كان المقصد: "أنا مؤمن فيما لا يُخْتَلَفُ فيه"، وقصد بذلك أصل الإيمان، فهنا لا يستثني. وحاصل كلام العلماء رَحْمَهُمُ اللهُ في هذه المسألة أنهم قالوا: أما الإسلام فيجزم به، ويقول: أنا مسلم. وأما الإيمان فإنه ينظر في مقصده.

قال العلامة ابن باز رَحْمَهُمُ اللهُ: "أما في العبادات فلا مانع أن يقول: إن شاء الله، صليت إن شاء الله، صمت إن شاء الله؛ لأنه لا يدري هل كملها وقبلت منه أم لا؟ وكان المؤمنون يستثنون في إيمانهم وفي صومهم ونحو ذلك؛ نظرًا لأنه لا يدري هل كمل أم لم يكمل؟ فيقول: إن شاء الله، يعني: إن شاء الله أني صمت صومًا طيبًا سليمًا، ويقول: أنا مؤمن إن شاء الله يعني: إيمانًا صحيحًا وإيمانًا أموت عليه. أما الشيء الذي لا يختلف قال: بعث هذا، فيقول: بعث إن شاء الله، ما يحتاج (إن شاء الله)، بعث هذا إن شاء الله، أو تغديت أو تعشيت إن شاء الله، ما يحتاج (إن شاء الله) في هذا؛ لأن هذه أمور ما تحتاج إلى المشيئة في الخبر، وإنما هي أمور عادية قد فعلها وانتهى منها، بخلاف أمور العبادات التي لا يدري هل وقأها حقها أم بنحسها حقها؟ فإذا قال: إن شاء الله فهو للتبرك باسمه- سبحانه- وللتحرز من دعواه شيئًا قد يكون ما أكمله ولا أداه حقه"^(٢).

وجعل العلامة ابن عثيمين رَحْمَهُمُ اللهُ المسألة على أقسام:

فقال: - وهذا هو القسم الأول:

١- إن كان الاستثناء صادرًا عن شكٍّ في وجود أصل الإيمان فهذا محرم، بل كفر؛ لأنَّ الإيمان جزم، والشك ينافيه (يعني يقال: له هل آمنت؟ فيقول: إن شاء الله. فإن كان قصده بقوله: "آمنت إن شاء الله" الشكَّ فإنَّ ذلك لا يجوز).

٢- والقسم الثاني: قال رَحْمَهُمُ اللهُ: وإن كان صادرًا عن خوف تركية النفس والشهادة لها

(١) مصنف ابن أبي شيبة ط. السلفية (٢٩/١١) وإسناد أثر عبد الله بن يزيد صحيح، وهو الخطمي، صحابي صغير، وانظر تحقيق ذلك في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٤٨/٦)

(٢) فتاوى نور على الدرب، حكم قول إن شاء الله في الجواب عن أعمال العبادات، الموقع الرسمي للشيخ رَحْمَهُمُ اللهُ.

بتحقيق الإيمان قولاً، وعملاً، واعتقاداً، فهذا (يعني الاستثناء) واجبٌ خوفاً من هذا المحذور (يعني يقول: أنا مؤمن لكن لا أجزم بأني كامل الإيمان، وبأني متحقق في هذه التزكية فإن الله يقول: فلا تزكوا أنفسكم ﴿٢٣﴾ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٢٤﴾ [النجم])

٣- والقسم الثالث: قال ﷺ: وإن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله فهذا جائز^(١).
إذاً يختلف هنا قول: "إن شاء الله" إن قصد به التزكية أم لا. فجزم الإنسان لنفسه بالإيمان مطلقاً لا ينبغي. وإنما الجزم هنا يكون بقوله: "أنا مسلم"، وعلى هذا تنزل عبارات السلف على هذه المقاصد وليس بينها اختلاف والحمد لله.
وقد ضرب العلماء أمثلة على ذلك، فقالوا: لو قال الإنسان: "أنا صائم غداً إن شاء الله" نقول: ماذا قصدت بالاستثناء هنا أو ماذا قصدت بالمشيئة؟

هل قصدت بالمشيئة الشك والتردد في العزم والقصد؟
فإن قصد الشك والتردد فإن هذه النية نية فاسدة أي: إذا قصد بقوله: "أنا صائم إن شاء الله" أنه قد يصوم وقد لا يصوم فهذا شك. لكن إذا قال: "لا، أنا لم أقصد الشك، وإنما قصدت العزم على ذلك، وأن يهيئ الله لي هذا الأمر"، فهنا نقول: ليس هذا تردداً في النية، وإنما قصد أنّ صومه معلق بمشيئة الله وتوفيقه وتيسيره؛ ولهذا يختلف التعليق من مسألة إلى أخرى.

ومن هذا الباب:

حديث زيارة القبور: أنّ النبي ﷺ دعا فقال: «وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»^(٢).
فهذا التعليق هو في أمر متيقن والمقصود به أننا إلى الله سائرون حقيقة.

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثميين (١٥/٣).

(٢) مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذا في قوله ﷺ للمريض: «لا بأس، طهوراً إن شاء الله»^(١).

لم يقصد بها التردد، وإنما قصد بها التفاؤل.

وهي جملة خبرية لا دعائية^(٢) لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به؛ ومن قال: اللهم طهره لا يستثنى؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلِيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْظَاهُ»^{(٣)(٤)}



(١) البخاري (٣٦١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) قال الشيخ صالح آل الشيخ في «شرح الطحاوية» (ص ٣٤٧): قوله ﷺ «طهوراً إن شاء الله» هذا من باب الخبر لا من باب الدعاء، فهو قال للأعرابي هذه الحمى طهور لك؛ طهور لك في دينك وطهور لك أيضاً في بدنك فتصبح بعدها سالماً، فأخبره النبي ﷺ بذلك. لأنَّ قوله «طهوراً» مرفوع، والرافع له مبتدأ محذوف أو الابتداء المحذوف بقوله «هي طهوراً إن شاء الله» وليس المراد الدعاء لأنه لو كان دعاءً لصارت منصوبة اللهم اجعلها طهوراً. لو قال: طهوراً إن شاء الله؛ يعني: اجعلها اللهم طهوراً، فيكون دعاء. فالظاهر من السياق من اللغة ومن القصة أنَّ المراد الخبر.

(٣) البخاري (٦٣٣٩) ومسلم (٢٦٧٩) واللفظ له.

(٤) انظر: الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (١٣٧/٣) وشرح رياض الصالحين لابن

الركن الأول من أركان الإيمان

الإيمان بالله

المجلس السادس^(١)

الشعبة الأولى من شعب الإيمان: الإيمان بالله

تعداد العلماء لشعب الإيمان:

مرّ معنا حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وستون» وهذا لفظ البخاري ولفظ مسلم: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً». ورواه مسلم أيضًا بلفظ: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة»، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمّاطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان^(٢).

وهذا الحديث ساق الكثير من العلماء إلى أن يجتهدوا في تعداد هذه الشعب. وقد تقدم معنا أنّ العلماء ذكروا أنه لا يشترط تعدادها والوقوف عليها على جهة التفصيل، وأنّ من اجتهد من العلماء، فعدها، وذكرها فإنما ذلك مبني عن اجتهاد منه، والواجب على المسلم هو أن يؤمن بالله تعالى وأن يجتهد في الأعمال الصالحات، وأن يعلم أنّ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. وسنسير على ترتيب الإمام البيهقي في كتابه، وقد ذكر في أول شعب الإيمان: شعبة الإيمان بالله تعالى.

الشعبة الأولى الإيمان بالله:

وهذه الشعبة هي أعلى شعب الإيمان، وهي داخلة في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «فأفضلها قول: لا إله إلا الله» وجاء في رواية: «أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله»^(٣). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»^(٤).

(١) كان في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث برواياته المختلفة في المجلس الأول.

(٣) ابن حبان (١٩١).

(٤) البخاري (١٥١٩) واللفظ له، ومسلم (٨٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله رجل، فقال أيُّ العمل أفضل؟ قال: «إِيْمَانُ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» متفق عليه ^(١). والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ولما جاء وفد عبد القيس إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَيَّ حُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ...» ^(٢) الحديث.

هذه الأدلة تدل على أن أرفع شعب الإيمان: الإيمان بالله تعالى.

وقد ذكر الحافظ البيهقي رحمته الله تعالى، عن شيخه الحلبي رحمته الله: أن الإيمان بالله يتضمن عدة أمور ^(٣)، ونحن نلخصها إن شاء الله من شروحات العلامة ابن عثيمين رحمته الله فإنه لخص هذا الباب تلخيصاً حسناً.

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور

الأمر الأول: الإيمان بوجود الله.

والأمر الثاني: الإيمان بربوبية الله.

والأمر الثالث: الإيمان بالوهمية الله.

والأمر الرابع: الإيمان بأسماء الله وصفاته.

فقولك: "آمنت بالله" يقتضي هذه الأمور الأربعة، وقد دل عليها كتاب الله تعالى.

الأمر الأول: الإيمان بوجود الله

وقد ذكرنا لكم فيما مضى أول أمر في القرآن، وأول نداء في القرآن وهو في قول

الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾

[البقرة] ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

وهذه الآيات إذا تأملناها فإنها في تحقيق هذا الأصل العظيم، وهو الإيمان بالله.

بدأ بماذا؟ بدأ بتحقيق الإيمان بوجود الله تعالى فإن هذه الآيات فيها إقامة البراهين

(١) البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

(٢) البخاري (٥٢٣)، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) انظر في ذلك شعب الإيمان، شرح الحديث (٨٨).

بخلقهم، وخلق السماوات والأرض والمطر والنبات.

وقد تكرر في القرآن ذكرُ المخلوقات والتنبيه على الاعتبار في الأرض، وفي السماوات، والحيوان، والنبات، والرياح، والأمطار، والشمس، والقمر، والليل، والنهار. كل ذلك للإفادة والإشارة إلى العقل بأن يعلم أنه إذا تفكر قاده ذلك إلى أن الله موجود؛ لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة. فالله ﷻ يدعونا إلى التفكير، وإلى التأمل، وإلى التدبر في هذا الكون الفسيح: مَنْ خَلَقَهُ؟ وَمَنْ أَوْجَدَهُ؟ وَمَنْ مَلَكَه؟ وَمَنْ سَيَّرَهُ وَدَبَّرَهُ؟ فلا يبقى للمحدِّ حجة، لا يبقى لأهل الإلحاد حجة في ذلك.

وهنا جاءت الآيات ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ لم يقل: يا أيها الذين آمنوا. وإنما هو نداء عام: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يقول أهل التفسير في هذا النداء: لما قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ دخل في ذلك أصناف الناس كلهم: فهو نداء لمن لا يؤمن بالله أن يؤمن بالله، ونداء للجاحد أن يعترف بوجود الله ﷻ، وهو نداء للمشرك أن يُوحِّد الله، وهو نداء للمؤمن أن يطيع الله؛ ولهذا جاءت الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ بنداء عام. ولما كان النداء عامًا جاءت فيه الأدلة والبراهين على توحيد الله رب العالمين ﷻ.

الأدلة على الأمر الأول: الإيمان بوجود الله

فمن هذه الأدلة: أن الله هو الخالق، وأن الله ﷻ هو الذي بسط هذه الأرض، وجعلها قرارًا، وأن الله هو الذي رفع السماء بلا عمد، وجعلها بناء، وأن الله صوركم وأحسن صوركم، وأن الله هو الرزاق ﷻ. ولهذا قال في الآية بعدها: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة]

فلاحظوا أن هذه الآيات وسياق هذه الآيات جاء أولًا للتنبيه على أمر يؤمن به كلُّ الناس، وهو أن الله هو الخالق، وأن الله هو الرزاق، وأن الله هو المحيي، وأن الله هو المميت، وقد تقدم معنا في مجلس سابق ذكرُ كثيرٍ من الأدلة الدالة على أن الذين بُعث إليهم النبي ﷺ كانوا يُقرُّون بوجود الله وبأنه الخالق والرازق، فلم يكونوا ينكرون شيئًا من ذلك، وإنما كانوا يُقرُّون به؛ فجاء القرآن ليبين لهم أن إقراركم بهذه الأمور يُوجب عليكم

أن تؤمنوا بالله وحده لا شريك له^(١).

وتأملوا في قول الله ﷻ في بيان ما كان عليه أهل الشرك، قال الله مخاطباً لهم:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١] فيا من تنكر وجود الله، من الذي يرزقك؟ ﴿ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصِرُّونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢]

إنَّ الله ﷻ يأمرنا ويعلمنا كيف يُناقش ويُجادل الملحِدُ الذي لا يؤمن بوجود الله بأن يقال له: انظر إلى هذا الكون الفسيح، وإلى انتظامه: شمسٌ وقمر، وليل ونهار، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، تسير على نظام واحد، هل يعقل أن تكون بلا إله؟! ولذلك قال الحافظ ابن كثير رحمته الله تعالى عند هذه الآية: "وهذه الآية دالة على توحيدهِ تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع، فقال: وهي دالة على ذلك بطريق الأولى؛ فإنَّ من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها، وألوانها، وطباعها، ومنافعها، ووضعها في مواضع النفع بها محكِّمة، عَلِمَ قدرة خالقها وحكمتها، وعلمه، وإتقانه، وعظيم سلطانه"^(٢).

يجادل كثير من هؤلاء الملاحدة ويكثرون الجدل، ويا للأسف فإنَّ الإلحاد غزا بلاد المسلمين، فبعض أولادنا وأهلينا بسبب بُعدهم عن الله وبعدهم عن طاعته، وعن الصلاة والاستقامة، والانشغال الكثير بالفضاء الإلكتروني، والاختلاط بأناس ذوي أفكار شتى من أنحاء العالم وَصَلَ بهم الأمر إلى الإلحاد، فوجد في بعض بيوتنا الملحِد، نعم وُجِد في بيوت بعض المسلمين ملحِدٌ ينكر وجود الله ﷻ.

(١) انظر: المجلس الثالث (إقرار المشركين بتوحيد الربوبية) وانظر ما سيأتي قريباً.

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٩٧).

من دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه :

وتأملوا كلمة إبراهيم عليه السلام، لقومه: قال الله ﷻ في سورة العنكبوت: ﴿ وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١٦-١٧﴾ [العنكبوت: ١٦-١٧]

أي هؤلاء الذين تعبدونهم، هذه الأصنام والأوثان هل ترزقكم؟ الجواب: لا. من الذي يرزقكم؟ إنه الله؛ لهذا قال: ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ [العنكبوت]، فتأملوا كيف استدل بمسألة رزق الله ﷻ على أنه خالق مستحق للعبادة. ولهذا فإن هذه الآية في سورة البقرة: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴿٢١﴾ [البقرة: ٢١] - وكلمة ﴿ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: وحدوا الله ﷻ. ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كل عبادة في القرآن فهي توحيد»^(١). فإذا قرأت: ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ [المائدة: ٧٢، و١١٧]، ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ [الذاريات] فالقصد بذلك التوحيد؛ لأن: العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة. فلا بد من توحيد الله ﷻ، فمعنى قوله: ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أي: وحدوا الله ﷻ ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ [البقرة].

وحاصل المعنى: أن إيمانكم بالله ﷻ وبربوبيته مستلزم لأن تؤمنوا بالله، وتوحدوه، فلا إله غيره ولا رب سواه.

من أدلة الإمام أبي حنيفة العقلية على وجود الله :

وقد ذكر ههنا العلامة الرازي رحمته الله: أن الإمام أبا حنيفة رحمته الله كان سيفاً على الدهرية، وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه. فبينما هو يوماً في مسجده قاعد، إذ هجم عليه جماعة بسيف مسلولة وهموا بقتله فقال لهم: أجيئوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم. فقالوا له

(١) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنه: القرطبي في تفسيره = الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٩٣) وقبله أبو منصور الماتريدي في تفسيره = تأويلات أهل السنة (١/ ٣٦٣) وأبو الليث السمرقندي في تفسيره بحر العلوم (١/ ٣٠١) وهو مسند - بمعناه - في تفسير الطبري جامع البيان ط هجر (١/ ٣٨٥).

هات، فقال: ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل؟ فقال الإمام أبو حنيفة رحمته الله: يا سبحان الله! إذا لم يجوز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مُجْرٍ فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمارها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟! فبكوا جميعاً، وقالوا: صدقت وأعمدوا سيوفهم وتابوا.

من أدلة الإمام مالك العقلية على وجود الله:

وذكر الرازي رحمته الله أيضاً: أن الخليفة الرشيد سأل الإمام مالكاً عن وجود الصانع، فاستدل له الإمام مالك باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات. يشير إلى قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم] وقُرئ ﴿ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١). فتأمل هذه اللغات المختلفة! تأمل كل واحدة منها! تجد اللغة الواحدة تتضمن لهجات لا تُعد ولا تحصى، ناهيك عن الأصوات والنغمات، والله تعالى يعلم كل ذلك، ويدعوه الناس بلغات شتى، فيجيب دعوة كل هؤلاء الناس بلغاتهم لا تختلف عليه الألسنة بل هو - سبحانه - يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٢) [الشورى]. يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه المسائل. ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

من أدلة الإمام الشافعي العقلية على وجود الله:

وذكر للإمام الشافعي رحمته الله مسألة وجود الصانع تعالى فقال: هذا ورق التوت: طعمه واحد، تأكله الدود، فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الطباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد!. وكأنه يشير إلى قول الله تعالى في فاتحة سورة الرعد: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ جَوَارِتٍ

(١) قرأ العشرة سوى حفص ﴿ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ بفتح اللام انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري

(٤/٢٥٤٣ ط د. أيمن رشدي)

وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ ﴿٤﴾ [الرعد: ٤] فهي زروع مختلفة، قال فيها الله ﷻ: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [الرعد: ٤] ثمار مختلفة، بزراعة واحدة وطريقة واحدة، وماء واحد، وتختلف الزروع في طعومها وألوانها وروائحها: ﴿وَفُضِّلَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] (١).

قال الحافظ ابن كثير: فهَذَا فِي غَايَةِ الْحَلَاوَةِ وَذَا فِي غَايَةِ الْحُمُوصَةِ، وَذَا فِي غَايَةِ الْمَرَارَةِ وَذَا عَفِصٌ، وَهَذَا عَذْبٌ وَهَذَا جَمَعَ هَذَا وَهَذَا، ثُمَّ يَسْتَحِيلُ إِلَى طَعْمٍ آخَرَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا أَصْفَرٌ وَهَذَا أَحْمَرٌ، وَهَذَا أَبْيَضٌ وَهَذَا أَسْوَدٌ وَهَذَا أَزْرُقُ. وَكَذَلِكَ الرُّهُورَاتُ مَعَ أَنَّ كُلَّهَا يُسْتَمَدُّ مِنْ طَبِيعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ الْمَاءُ، مَعَ هَذَا الْإِخْتِلَافِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَا يَنْحَصِرُ وَلَا يَنْضَبِطُ، فَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيًا، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، الَّذِي يُفَدِّرَتِهِ فَآوَتْ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَخَلَقَهَا عَلَى مَا يُرِيدُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] هـ. (٢)

من أدلة الإمام أحمد العقلية على وجود الله:

وسئِلَ الإمام أحمد رحمته الله عن ذلك، فقال: هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة بيضاء، وباطنه كالذهب إبريز، فبينما هو كذلك إذ انصدع جدار، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح. يعني بذلك البيضة

(١) ومن الاستنباطات الجميلة في تفسير الآية ما رواه الطبري في تفسيره (١٣/٤٢٦/ط هجر) عن الحسن - وهو البصري-، قال: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِقُلُوبِ بَنِي آدَمَ، كَانَتْ الْأَرْضُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ طَبِيعَةً وَاحِدَةً، فَسَطَحَهَا وَبَطَّحَهَا، فَصَارَتْ الْأَرْضُ قِطْعًا مُتَجَاوِرَاتٍ، فَيُنزَلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، فَتُخْرَجُ هَذِهِ زَهْرَتُهَا، وَتَمْرُهَا، وَشَجَرُهَا، وَتُخْرَجُ نَبَاتُهَا، وَتُخْرَجُ مَوَاتِنُهَا، وَتُخْرَجُ هَذِهِ سَبَخُهَا، وَمِلْحُهَا، وَخَبَثُهَا، وَكُلْتَاهُمَا تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، فَلَوْ كَانَ الْمَاءُ مَالِحًا قِيلَ: إِنَّمَا اسْتَسْبَحَتْ هَذِهِ مِنْ قَبْلِ الْمَاءِ، كَذَلِكَ النَّاسُ خُلِقُوا مِنْ آدَمَ، فَيُنزَلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ تَذْكَرَةٌ، فَتَرُقُّ قُلُوبٌ فَتَحْشَعُ وَتَخْضَعُ، وَتَنْفَسُ قُلُوبٌ فَتَلْهُو وَتَسْهُو وَتَجْهُو. قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا جَالَسَ الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ مِنْ عِنْدِهِ بَرِيادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيُنزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/٤٣٢).

إذا خرج منها الفرخ. فهذه عند التفكير والتأمل ليست عبثًا، بل إنّ لها موجدًا، وهو الله ﷻ. وسئل أبو نُوَاس الشاعر المعروف فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات بأحداق هي الذهب السبيك
على قُضْبِ الزَّبْرِجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ^(١)

هذا النبات وهذا الكون كله يشهد بوجود الله ﷻ.

وذكر ابن المعتز عن أبي العتاهية أنه كتب :

أيا عجبًا كيف يُعصَى الإلـه
ولله في كلِّ تحريكٍ
وفي كلِّ شيءٍ له آيَةٌ
فرأى هذه الأبيات أبو نواس فكتب:

سبحانَ من خَلَقَ الخلدَ
فساقه من قرارٍ
يحول شيئًا فشيئًا
سَقَ من ضعيفٍ مهين
إلى قرارٍ مَكِينٍ
في الحجب دون العُيون^(٢)

التأمل في خلق الإنسان :

وتأمل في خلقك ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "خُلِقُوا فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَصُوِّرُوا فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ"^(٣).

فخلقك يحتاج إلى تأمل وإلى تفكير كما قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿١١﴾
[الذاريات].

وقرأ عبد الرحمن بن زَيْدٍ رضي الله عنه: هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

(١) انظر قصة الإمام مالك وما بعدها في مفاتيح الغيب (٣٣٣/٢-٣٣٤)، وتفسير ابن كثير (١٩٨، ١٩٧/١).

(٢) انظر الأبيات في طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٠٧، ٢٠٨، وأورد نحوها البيهقي في الشعب (١٠٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٢٣٢) والحاكم (٣٢٤٢) - وعنه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٦) - وصححه على شرطهما والصواب أنه صحيح فقط.

حَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴿الروم﴾ ثم قال:
 «فِينَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، هَذَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَاللِّسَانُ وَالْقَلْبُ، لَا يَدْرِي أَحَدٌ مَا هُوَ أَسْوَدُ
 أَوْ أَحْمَرُ، وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يَتَلَجَّلِحُ بِهِ، وَهَذَا الْقَلْبُ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ، إِنَّمَا هُوَ مُضْغَةٌ فِي
 جَوْفِهِ، يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ الْعَقْلَ، أَفَيَدْرِي أَحَدٌ مَا ذَاكَ الْعَقْلُ، وَمَا صِفَتُهُ، وَكَيْفَ هُوَ؟»^(١)
 وقال الطبري رحمه الله: مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أَيضًا أَيُّهَا النَّاسُ آيَاتٌ وَعَبْرٌ
 تَدُلُّكُمْ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ صَانِعِكُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ، إِذْ كَانَ لَا شَيْءَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ
 يَخْلُقَ مِثْلَ خَلْقِهِ إِلَّاكُمْ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] يَقُولُ: أَفَلَا تَنْظُرُونَ فِي ذَلِكَ
 فَتَتَفَكَّرُوا فِيهِ، فَتَعْلَمُوا حَقِيقَةَ وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِكُمْ.^(٢)

وقرأ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه هذه الآية فقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ «سبيل
 الخلاء والبول»^(٣)

فليُنظر الإنسان إلى طعامه :

وعن ابن الزبير رضي الله عنه -أيضا- أنه قرأ قول الله جلا: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾
 [عبس] فقال: إلى مدخله ومخرجه.^(٤)

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: إلى ما يخرج
 منه كيف انقلب من الطيب إلى الخبيث.^(٥)

وروي أن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنه: مَا بَالُ أَحَدِنَا إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ نَظَرَ إِلَيْهَا إِذَا قَامَ
 عَنْهَا؟ فَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا يَخْلُتُ بِهِ إِلَى مَا صَارَ.^(٦)

(١) تفسير الطبري "جامع البيان" ط هجر (٢١/٥٢٠).

(٢) تفسير الطبري "جامع البيان" ط هجر (٢١/٥٢١).

(٣) شعب الإيمان (١١٠، ٧٨٥٩) وهو في تفسير عبد الرزاق (٢٩٨٧) وتفسير الطبري "جامع البيان" ط هجر

(٤١٩/٥١٩) ورواه ابن أبي الدنيا في التواضع والحمول (٢١٢) وفي الجوع (١٦٩) وسنده صحيح.

(٤) رواه ابن المنذر كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/٤٢٠)

(٥) تفسير السمعاني (٦/١٦٠) وفي التواضع والحمول لابن أبي الدنيا (٢١٣) من طريق الكلبيني، عن أبي صالح،

عن ابن عباس قال: «إلى خُرْبِهِ».

(٦) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/١٨٩) رقم ١٣٧٥ ط. التأصيل) - ومن طريقه الضياء المقدسي في المختارة

(١٣/١٤٦) - وفي سنده ضعف.

وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَلَكَ يُثْنِي رَقَبَةَ ابْنِ آدَمَ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْخَلَاءِ لَيَنْظُرَ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ ^(١). قال الماوردي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحتمل إغراؤه بالنظر إلى وجهين: أحدهما: ليعلم أنه محل الأقدار فلا يطغى. الثاني: ليستدل على استحالة الأجسام فلا ينسى اهـ. ^(٢)

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: انْظُرُوا حَتَّى أَرِيكُمْ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَجِيءُ بِهِمْ إِلَى السُّوقِ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ مَزْبَلَةٌ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى دَجَاجِهِمْ، وَبَطْنِهِمْ، وَثَمَارِهِمْ. ^(٣)

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَرَّحَهُ، وَمَلَّحَهُ فَانْظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ» ^(٤)

قال المنذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله: (قَرَّحَهُ) بتشديد الزاي أي: وضع فيه (القَرْحَ)، وهو التابل. و(مَلَّحَهُ) بتخفيف اللام، معروف اهـ. ^(٥)

وقال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿١٥﴾: أَي فليَنْظُرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ طَعَامَهُ. وَهَذَا النَّظَرُ نَظَرُ الْقَلْبِ بِالْفِكْرِ، أَي لِيَتَدَبَّرَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ طَعَامَهُ الَّذِي هُوَ قِوَامُ حَيَاتِهِ، وَكَيْفَ هَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَ الْمَعَايشِ، لِيَسْتَعِدَّ بِهَا لِلْمَعَادِ. اهـ. ^(٦)

وقال الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِيهِ امْتِنَانٌ، وَفِيهِ اسْتِدْلَالٌ بِإِحْيَاءِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْأَهَامِدَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَامِ بَعْدَمَا كَانَتْ عَظَامًا بِالْيَةِ وَتُرَابًا مُتَمَرِّقًا. اهـ. ^(٧)

فيا سبحان الله! يدعور بنا ﷺ الناس في كتابه إلى النظر وإلى التأمل والتفكير؛ وذلك يقود كل من تأمل وكل من شك وألحد إلى وجود الله سبحانه.

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٢٠/٨)

(٢) انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢٠٧/٦)

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد رقم (١٥٢) وفي قصر الأمل (٢٩٩) وفي ذم الدنيا (٦٢) - ومن طريقه ابن عساکر في تاريخه (٣٢٤/١٠)

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢١٢٣٩) وصححه ابن حبان (٧٠٢). وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢٦٥٧) لشيخنا العلامة الوادي وقال: هذا حديث حسن اهـ. وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٣٨٢).

(٥) انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٥٠٦/٢) رقم (٢١٥٠).

(٦) تفسير القرطبي (٨٢/٢٢).

(٧) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣٢٣/٨)

التأمل في الكون الفسيح:

قال ابن كثير رحمه الله: "وقال آخرون: من تأمل هذه السماوات في ارتفاعها، واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار المنيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة ودورة، ولها في أنفسها سير يُحْصَى، ونظر إلى البحار الملتفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتَقَرَّ، ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّائِسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر لمنافع العباد، وما ذراً في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم والأرايح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، عَلِمَ وجود الصانع، وقدرته العظيمة، وحكمته، ورحمته، بخلقه ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبِرّه بهم، لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب" (١).

التفكير والتأمل في الآيات الكونية والشرعية:

والقرآن يدعونا إلى التفكير والتأمل في آيات الله الكونية والشرعية.
الآيات الكونية المشاهدة من خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر. كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ [الغاشية]

والآيات الشرعية وهي تأمل وتدبر الكتاب العزيز الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت] كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٤٤﴾ [محمد]، وهذا التفكير يزيد الإيمان ويقوي اليقين في القلب.

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٨).

تفكر رسولنا ﷺ وتأمله :

وقد روى أبو حاتم ابن حبان في صحيحه عن عطاء، قال: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ قُرْبِكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَبِئْسَ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» ﴿١﴾ [آل عمران] الْآيَةُ كُلُّهَا ﴿١﴾

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي عنه، قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْرَأْ عَلَيَّكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ [النساء]، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. ﴿٢﴾
وفي السنن عن مطرف، عن أبيه، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ

(١) أخرجه ابن حبان (٦٢٠). ورواه عبد بن حميد في تفسيره وابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار - كما في تفسير ابن كثير (١٨٩/٢-)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٦١٨) والحرائطي مختصرا في اعتلال القلوب (٦١٠) وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (٥٤٤، ٥٦٨) وأبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (٩١٨) وفي تفسيره بحر العلوم (٢٧٤/١) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (١٨٩/٢-) - ومن طريقه وطريق غيره أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦٦٦، ١٩٥١) -، وأبو العباس المستغفري في فضائل القرآن (٤٩١). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٦٨) وفي السلسلة الصحيحة (٦٨) وحسنه شيخنا الوداعي في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٣٩٧٤)

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٠) ومسلم (٨٠٠)

كَأَزِيْرِ الرَّحْمَى مِنَ الْبُكَاءِ^(١)

فهذا نموذج من تدبر النبي ﷺ وخشوعه فإن البكاء علامة التدبر.

من سير السلف في التأمل والتفكير:

وفي الزهد لو كيع عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ: مَا كَانَ أَفْضَلَ عِبَادَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قَالَتْ: «التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ»^(٢)

وفي الزهد لابن المبارك عن أُمِّ الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا: مَا كَانَ أَكْثَرَ عَمَلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ؟ قَالَتْ: «التَّفَكُّرُ»، قَالَتْ: نَظَرْتُ يَوْمًا إِلَى ثَوْرَيْنِ يُحْدَانِ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْلَيْنِ بِعَمَلِهِمَا إِذْ عَنَتَ أَحَدُهُمَا، فَقَامَ الْآخَرُ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «فِي هُنَا تَفَكُّرٌ، اسْتَقْلًا بِعَمَلِهِمَا وَاجْتِمَاعًا، فَلَمَّا عَنَتَ أَحَدُهُمَا قَامَ الْآخَرُ، كَذَلِكَ الْمُتَعَاوِنَانِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٣)

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَفَكَّرْتُ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٩٠٤) والنسائي (١٢١٤) والترمذي في الشمائل (٣٢٣) وصححه ابن خزيمة (٩٠٠) وابن حبان (٧٥٣، ٦٦٥) والحاكم (٩٧١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ورواه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٣٩) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٩٦٤) وقالوا: حديث صحيح رجاله رجال مسلم. وهذه العبارة أصح من قول الحاكم على شرط مسلم فإنه رواه عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون بسنده عن مطرف. ويزيد ومن فوجه على شرط مسلم، لكن ابن مكرم وهو في طبقة شيوخ مسلم وهو ثقة وليس من رجال الكتب الستة.

(٢) الزهد لو كيع (٢٢٤) - ومن طريقه أحمد في الزهد (٧٢٠) وابن عساكر في تاريخه (١٤٩/٤٧) - قال: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مَعْمُولٍ، وَالْمُسْعُودِيُّ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، وَرَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ (٥٦٢٥) وَأَبُو دَاوُدَ فِي الزَّهْدِ (٢٠٥) وَأَبُو نَعِيمٍ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتِ الْأَصْفِيَاءِ (٢٥٣/٤) مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ مَعْمُولٍ بِهِ. وَرَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ (٢٨٦) - وَمِنْ طَرِيقِهِ النَّسَائِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (١١٨٥٠) وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ (١٤٩/٤٧) - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، وَرَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ (٨٧٢) وَأَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْعِظْمَةِ (٤٦) وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ (١٤٩/٤٧) مِنْ طَرِيقِ الْمُسْعُودِيِّ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنُفِ (٣٤٥٨٦) وَهَنَادُ فِي الزَّهْدِ (٤٦٨/٢) وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ (٥٦٢٥) وَأَبُو دَاوُدَ فِي الزَّهْدِ (١٩٨، ١٩٩) وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظْمَةِ (٤٥) وَأَبُو نَعِيمٍ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتِ الْأَصْفِيَاءِ (٢٠٨/١) وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ (١١٨) مِنْ طَرِيقِ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ.

(٣) الزهد والرقائق (٨٧٢) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (١٤٩/٤٧) - ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير - كما في فتح الباري لابن رجب (٣١٣/٣) -

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٩٤٩) وأحمد في الزهد (٧٤٦) وهناد في الزهد (٤٦٨/٢) وأبو داود في الزهد (١٩٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٠٨/١) والبيهقي في شعب الإيمان (١١٧)

وعن الحسن البصري مثله. (١)

وقال الفضيل، قال الحسن: «التفكرُ مرآةٌ تُريك حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ» (٢)

وقال أبو الشيخ الأصبهاني رحمته الله: فَإِذَا تَفَكَّرَ الْعَبْدُ فِي ذَلِكَ اسْتَنَارَتْ لَهُ آيَاتُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَسَطَعَتْ لَهُ أَنْوَارُ الْيَقِينِ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْهُ غَمْرَاتُ الشَّكِّ، وَظَلَمَتْهُ الرَّيْبُ، وَذَلِكَ إِذَا نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ وَجَدَهَا مُكَوَّنَةً مَكْنُونَةً مُجْمُوعَةً مُؤَلَّفَةً مُجْزَأَةً مُنْضَدَةً مُصَوَّرَةً مُتْرَكِّبَةً بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ مُدَبَّرٌ إِلَّا بِمُدَبِّرٍ، وَلَا مُكُونٌ إِلَّا بِمُكُونٍ ا.هـ. (٣)

ذم من لا يعتبر ويتفكر بمخلوقات الله:

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ وَآيَاتِهِ، فَقَالَ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [يوسف] وَمَدَحَ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفُوعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قَائِلِينَ ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا ﴾ أَي: مَا خَلَقْتَ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا، بَلْ بِالْحَقِّ لِتَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَتَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. ثُمَّ نَرَاهُ عَنِ الْعَبَثِ وَخَلْقِ الْبَاطِلِ فَقَالُوا: ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ أَي: عَنِ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا بَاطِلًا ﴿ فَتَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾ ﴾ [آل عمران] أَي: يَا مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ يَا مَنْ هُوَ مُنْزَهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعَيْبِ وَالْعَبَثِ، قِنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَقِيضْنَا لِأَعْمَالٍ تَرْضَىٰ بِهَا عَنَّا، وَوَقَّفْنَا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَهْدِينَا بِهِ إِلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَنُجِّرُنَا بِهِ مِنْ عَذَابِكَ الْأَلِيمِ ا.هـ. (٤)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٢٣) وأحمد في الزهد (٧٤٦) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٧١/٦)

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٣)

(٣) كتاب العظمة (٢٧١/١) وانظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٥١٩ ط عطاءات العلم)

(٤) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٢/١٨).

تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله :

وقال نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَقَّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَجْمِيعِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَتَزَكَّ التَّفَكُّرَ فِي الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَتَّبِعَ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ». ❖ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ❖ [الشورى: ١١]، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ أ.هـ. (١)

وقال الإمام البربهاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والفكرة في الله تبارك وتعالى بدعة؛ لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله». فإن الفكرة في الرب تقدرح الشك في القلب أ.هـ. (٢)

وقوله: (والفكرة في الله): أي في ذات الله سَلَّمَ، فإنها لا تجوز لأنَّ العبد إذا فكَّرَ، فإنَّما يفكر بما يتصوره عقله، وبما يخاطر على ذهنه، من مرثياتٍ، ومسموعاتٍ، ومعلوماتٍ، والله سبحانه تعالى فوق ذلك كله فلا ينبغي لأحدٍ أن يفكر في ذاته تعالى، لأنَّه كلُّما تصور شيئاً، فالله سَلَّمَ بخلافه، ويكفي أن نفكر في خلق الله. والحديث المذكور له طرق كلها ضعيفة (٣). ومن أمثلها ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/٥٨٢).

(٢) شرح السنة (ص ٦٨) وانظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/٢٣ ت الفقي).

(٣) رواه هناد بن السري في الزهد (٢/٤٦٩) قال: حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة قال: مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قوم يتفكرون فقال: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ» وهذا مرسل أو معضل، فعمره من صفار التابعين. وأخرجه حرب الكرماني في مسأله - ت فايز حابس - (٣/١١٥٤) من طريق محمد بن عبيد به. وأخرجه أبو القاسم الأصبهاني قوام السنة في الترغيب والترهيب (٦٧٢) من طريق أبي أسامة عن الأعمش به. ووصله أبو الشيخ في العظمة (٥) قال: حدثنا محمد بن أبي يعلى - (وهو محمد بن إسحاق بن إبراهيم شاذان، من رجال الطبراني وهو مجهول يروي هنا عن أبيه) -، أنا إسحاق بن إبراهيم (الملقب شاذان ويروي هنا عن جده)، أنا سعد بن الصلت - وهو في ثقات ابن حبان وقال ربما أغرب -، أنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن رجل، حدثه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قوم يتفكرون في الله، فقال: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره». وهذا إسناد ضعيف. ورواه أبو القاسم إسماعيل التيمي في الترغيب والترهيب (٦٧٠) عن عبد الحميد بن يحيى الحماني - وهو ضعيف -، ثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به. ورواه أبو الشيخ (٤/١٤٨٩) عن مقاتل، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دخل علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن في المسجد حَلَقَ حَلَقًا، فقال لنا =

عطاء بن السائب، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: «فكروا في كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ، فَإِنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى كُرْسِيِّهِ أَلْفَ نُورٍ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ» وهذا موقوف وسنده ضعيف ^(١).

رسول الله ﷺ: «فِيمَ أَنْتُمْ؟»، قُلْنَا نَتَفَكَّرُ فِي الشَّمْسِ كَيْفَ طَلَعَتْ؟ وَكَيْفَ غَرَبَتْ؟ قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ، كُونُوا هَكَذَا، تَفَكَّرُوا فِي الْمَخْلُوقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ مَا شَاءَ لَمَّا شَاءَ»، ... وذكر حديث طويلاً. وإسناده مسلسل بالمجاهيل. وروى عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه مرفوعاً: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ» أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢١١١) والطبراني في المعجم الأوسط (٦٣١٩) وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٣٨٥ / ٨) والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩) وغيرهم. وقال البيهقي: في إسناده نظر. وهو كما قال. فالحديث من رواية الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله عن أبيه. والوازع ضعيف جداً. انظر: لسان الميزان ت أبي غدة (٨٣٢٣). وروى أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ» وسنده ضعيف جداً. رواه أبو الفضل الرازي في أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص ٧٦) عن السلمي. وسنده رجاله ثقات، لكن السلمي مختلف فيه - وهو: من شيوخ الحاكم والبيهقي واسمه: محمد بن الحسين السلمي النيسابوري - وقد اتهم بالوضع. وله طريق أخرى رواها ابن عساكر وابن المحب عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تدركوه إلا بالتصديق» وسنده ضعيف جداً. أخرجه ابن عساكر في المجلس (١٣٩) من "الأُمالي" (١ / ٥٠) - كما في السلسلة الصحيحة -، وابن المحب الصامت في صفات رب العالمين (١ / ٦٩٥ بترقيم الشاملة) بسند مسلسل بالمجاهيل عن بشر بن الوليد عن عبد العزيز بن سلمة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وهذا سند غريب منكر. ورواه الثعلبي والبغوي في تفسيريهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: "وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى"، قَالَ: «لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ» وسنده ضعيف جداً. أخرجه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" ط دار التفسير (٢٥ / ١٦٢) ومن طريقه محي الدين البغوي في تفسيره ط طيبة (٧ / ٤١٧) عن أبي جعفر الرازي، عن أبيه عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب به. وإسناده ضعيف، أبو جعفر صدوق سيء الحفظ؛ ووالده لم أجد له ترجمة والظاهر أن في الإسناد خطأً وصوابه (عن ابن أبي جعفر عن أبيه، كما نقله الحافظ ابن كثير في تفسيره). ومن دون أبي جعفر جماعة لا يعرفون. وروى عن أبي أمامة ذكره في أطراف الغرائب والأفراد (١٦ / ٥) رقم (٤٥٣١) عنه قال قال رسول الله ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ ﷻ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ». وقال: تفرد به علي بن زيد الصدائي عن أبي سعيد الشامي عن مكحول عن أبي أمامة رضي الله عنه. وعلي بن زيد ضعيف والشامي مجهول. وروى عن أبي ذر رضي الله عنه. رواه أبو الشيخ في العظمة (٤) من طريق سيف ابن أخت سفيان، وهو كذاب بسنده عن أبي ذر مرفوعاً «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا».

(١) كتاب العرش وما روي فيه (١٦) ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢، ٣، ٢٢) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧ / ١٥٠) رقم (١٠٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٨، ٨٨٧) من طرق عن عطاء به. وعطاء

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ اللَّهِ فَقَالَ: «فِيمَ تَتَفَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَتَفَكَّرُ فِي خَلْقِ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تُفَكِّرُوا فِي اللَّهِ، وَلَكِنْ تَفَكِّرُوا فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ» وسنده ضعيف (١)

علاج الوسواس في ذات الله:

وهذه الأحاديث فيها علاج للوسوسة فإن من كيد الشيطان: وَسَوَّسَتْهُ للمسلم في عقيدته ويقول له من خلق الله؟. وهي وإن كانت ضعيفة إلا أن معناها صحيح.

ويغني عنها ما ثبت في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتِهِ» متفق عليه (٢)

ولابن السني: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَمِنْ فِتْنَتِهِ» (٣)

وفي رواية لمسلم: «... فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ» (٤)

ولمسلم وأحمد «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ ﷻ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ» (٥)

ولأبي داود: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ

مختلط، والرواة عنه هنا ممن روى عنه بعد الاختلاط. وقال ابن حجر في فتح الباري (٣٨٣/١٣): موقوف وسنده جيد اهـ.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٥٩) وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢١) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦٦/٦) من طريق عبد الجليل بن عطية القيسي عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن سلام. وإسناده حسن في الشواهد. فعبد الجليل وشهر صدوقان سيئا الحفظ، وسائر الرجال ثقات. قاله الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٦/٤). وشهر لم يلق عبد الله بن سلام كما في جامع التحصيل.

(٢) رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤).

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٥) عن شيخه النسائي وساق سنده عن أبي هريرة به. وعزاها المنذري في الترغيب للنسائي وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٩/٢): لم أجدها عنده اهـ. فتبين أنها لابن السني يرويها عن النسائي فلعله لهذا عزاها المنذري للنسائي والله أعلم.

(٤) صحيح مسلم (١٣٤).

(٥) صحيح مسلم (١٣٤). ومسنده أحمد ط الرسالة (١٠٩/١٤) رقم: ٨٣٧٦ واللفظ له.

لَهُ كُفُؤًا أَحَدٌ ثُمَّ لِيَتْفُلَ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١)
 ولليهتي في الأسماء والصفات: «فَإِنْ سُئِلْتُمْ فَقُولُوا: اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ كَائِنٌ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ»^(٢)

وفي سنن أبي داود قال أبو زُمَيْلٍ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَحَدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: «مَا هُوَ؟» قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «أَشَيْءٌ مِنْ شَكِّ؟» قَالَ: وَضَحِكًا، قَالَ: «مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ»، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤] الآية، قَالَ: فَقَالَ لِي: «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾» [الحديد] ^(٣)

وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاضَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟»
 قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»^(٤)

وفيه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ»^(٥)

قال النووي رحمته الله: مَعْنَاهُ اسْتِعْظَامُكُمْ الْكَلَامَ بِهِ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ فَإِنَّ اسْتِعْظَامَ هَذَا وَشِدَّةَ الْخَوْفِ مِنْهُ وَمِنَ التُّطْقِ بِهِ فَضْلًا عَنِ اعْتِقَادِهِ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرَّيْبَةُ وَالشُّكُوكُ وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّوَايَةَ الثَّانِيَةَ وَإِنْ لَمْ

(١) سنن أبي داود (٤٧٢٢) والسنن الكبرى للنسائي (٩/ ٢٤٥) (١٠٤٢٢). وإسناده حسن. وانظر: السلسلة

الصحيحة (١/ ٢٣٥ / ١١٨)

(٢) الأسماء والصفات (١٤). وإسناده فيه مبهم.

(٣) سنن أبي داود (٥١١٠) وحسن إسناده الألباني

(٤) صحيح مسلم (١٣٢).

(٥) صحيح مسلم (١٣٣).

يَكُنْ فِيهَا ذِكْرُ الْإِسْتِعْظَامِ فَهُوَ مُرَادٌ وَهِيَ مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الرَّوَايَةِ الْأُولَى وَلِهَذَا قَدَّمَ مُسْلِمٌ
 ﷺ الرَّوَايَةَ الْأُولَى وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُوسُوسُ لِمَنْ أَيْسَ مِنْ إِغْوَائِهِ فَيُنَكِّدُ
 عَلَيْهِ بِالْوَسْوَسَةِ لِعَجْزِهِ عَنِ إِغْوَائِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَلَا يَقْتَصِرُ فِي
 حَقِّهِ عَلَى الْوَسْوَسَةِ بَلْ يَتَلَاعَبُ بِهِ كَيْفَ أَرَادَ فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ سَبَبُ الْوَسْوَسَةِ
 مُحْضُ الْإِيمَانِ أَوْ الْوَسْوَسَةُ عَلَامَةٌ مُحْضِ الْإِيمَانِ وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ الْقَاضِي عِيَاضِ أ.هـ. (١)

وفي سنن أبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ
 اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ، يُعَرِّضُ بِالنَّيِّءِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ
 بِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»
 وفي رواية له: «رَدَّ أَمْرَهُ» مَكَانَ «رَدَّ كَيْدَهُ» (٢)

قال السندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي: كيد الشيطان إلى الوسوسة التي لا يؤاخذ بها المرء ولم يمكنه
 من غير الوسوسة وإلا لسعى فيه كما يسعى في الوسوسة بل جعل ذلك في يد الإنسان،
 فلذلك امتنع من التكلم أ.هـ. (٣)



(١) شرح مسلم (١٥٤/٢).

(٢) رواه أبو داود (٥١١٢) والنسائي في "الكبرى" (١٠٤٣٥) و (١٠٤٣٦) وهو في مسند أحمد (٢٠٩٧)، وصحيح ابن

حبان (١٤٧).

(٣) حاشية المسند (٣٥٨/٢)

المجلس السابع (١)

من أدلة الإيمان بوجود الله :

تقدم معنا أن الإيمان بالله ﷻ يتضمن أربعة أمور:
 الأمر الأول: الإيمان بوجود الله. والأمر الثاني: الإيمان بربوبية الله. والأمر الثالث:
 الإيمان بألوهية الله. والأمر الرابع: الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا.
 وتكلمنا عن الإيمان بوجود الله، -وهو باب عظيم ومهم-، وانظر ما عليه كثير
 من الناس اليوم في كثير من بقاع الأرض من الإلحاد. فإن كثيراً من الناس اليوم مع
 التقنيات الحديثة ومع الفتن المدلّمة قد اتجهوا إلى الإلحاد، وهو إنكار وجود الله ﷻ.
 وقد ذكرنا سابقاً طرفاً من أدلة وجود الله ﷻ.

والإيمان بوجود الله -سبحانه- له أدلة كثيرة، فقد دلّ عليه: العقل، والحس،
 والفطرة، والشرع.

قد تجد إنساناً ملحدًا لا يؤمن بوجود الله، ولا يؤمن بالقرآن ولا يؤمن بالسنة، فلا
 يمكن أن يُحتجّ عليه بالنصوص؛ لأنه بدهاة لا يؤمن بهذا الدين. فيقال: إن الأدلة على
 وجود الله ﷻ كثيرة منها: دلالة العقل، والحس، والفطرة، والشرع.

دلالة العقل على وجود الله :

أما الدليل العقلي على وجود الله -سبحانه- فهو ما نبهنا عليه في الدرس الماضي: وهو:
 أن هذا الكون الذي أمامنا، ونشاهده على هذا النظام البديع الذي لا يمكن أن
 يضطرب، ولا يتصادم، ولا يُسقط بعضه بعضاً، بل هو في غاية ما يكون من النظام كما
 قال ربنا سبحانه: ﴿لَا السَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ
 فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس]. فهو نظام بديع إذا تأملت رأيت عجباً. فهل يعقل كما
 ذكرنا عن أبي حنيفة رحمته الله تعالى أن يكون هذا الكون البديع والفسيح بهذا النظام

(١) كان في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

البديع لا خالق ولا موجد له؟! والآيات في هذا كثيرة، منها:
 قول ربنا ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا
 وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ
 وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ
 آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٣﴾ [الأنبياء].

وذكر البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان: أنه قيل لأُم الدرداء: ما كان أفضل أعمال أبي
 الدرداء رضي الله عنه؟ قالت: «التفكير»^(١).

وهذا التفكير يدعونا إليه القرآن، ويحتاج إليه جميع الناس.
 فالمسلم في حاجة إلى أن يتفكر ويتأمل ليحصن نفسه وليكون داعية إلى الله ﷻ
 فقد تواجه هؤلاء الملاحدة إما مواجهة حقيقية وإما أن تواجههم على صفحات الإنترنت؛
 فليكن لديك حصيلة دينية تستطيع أن تدعو بها إلى الله ﷻ و«لأن يهْدِي بِكَ رَجُلٌ
 وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(٢).

ويقول ربنا ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١﴾
 وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِزْقَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْثِي
 اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَّجِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ
 أَعْنَابٍ وَرِزْقٌ وَنَخِيلٌ صَوَّانٌ وَعَيْرٌ صَوَّانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي
 الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد]

وقد ذكرنا هذا الدليل في الدرس الماضي عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.
 ولهذا لما سُئِلَ أعرابي عن ذلك قال: "يا سبحان الله! إن البعرة لتدُلُّ على البعير، وإن
 أثر الأقدام لتدُلُّ على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟

(١) تقدم في المجلس السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!^(١).

هذا هو إعمال التفكير والتأمل في هذا الكون وفي هذه الآيات العظيمة.

وربنا ﷻ يدعوننا إلى أن ننظر في أنفسنا: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات].

ويقول الله ﷻ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ [٥٨] ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [٥٩].

ويقول بعد ذلك: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ [٦٢] ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [٦٤] من الذي

يستطيع أن يحيي هذه الأشياء؟! ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي تَنْشُرُونَ ﴾ [٦٨] ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ

أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ [٦٩] لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٠] أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ

﴿ [الواقعة]. ﴾ [٧١]

كل هذه الآيات خطاب: يعني أخبروني عن هذه الأشياء كيف هي؟

وفي سورة عبس يقول ربنا ﷻ: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ [٢٤] ﴿ عبس ﴾ أي: تفكّر

وتأمل في طعامك.

قال الطبري رحمه الله: أي: فليُنظر هذا الإنسان الكافر المنكِر توحيد الله إلى طعامه

كَيْفَ دَبَّرَهُ؟^(٢)

﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ [٢٥] ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ [٢٦] فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ [٢٧] ﴿ عبس ﴾ الآيات..

إذا هذه كلها أدلة لو تفكر الإنسان فيها بعقله وتأمل لعرف أن الله ﷻ موجود.

وانظر إلى خطابات القرآن:

﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَدِّبِينَ ﴾ [الأنعام]

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل]

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ

اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت]

(١) تفسير ابن كثير (١٩٧/١) وانظر: مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي (ص ٢٥)

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١٥/٢٤)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الروم]
 ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ
 أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة]

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣] في سبعة مواضع من كتاب الله [يونس: ٣، هود:
 ٢٤ و ٣٠، النحل: ١٧، المؤمنون: ٨٥، الصافات: ١٥٥، الحاثية ٢٣]

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٨٠] في موضعين [الأنعام: ٨٠، السجدة: ٤]،

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٤٤] [البقرة]،

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٦٨] [يس]،

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٥٠] [الأنعام]،

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا
 الْمُنْكَرُونَ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٥٨] [غافر]

وقال تعالى في موضعين من كتابه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء: ٨٢، محمد:
 ٢٤]،

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [٧] وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى

الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ [الغاشية]

وقال ربنا سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس]

وقال تعالى في مواضع: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٧٩] [النحل: ٧٩، النمل:

٨٦، العنكبوت: ٢٤، الروم: ٣٧، الزمر: ٥٢]

وقال سبحانه في موضعين من كتابه: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

[يونس: ٦٧، الروم: ٢٣]

وقال تعالى في موضع ثالث: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [١٥] [النحل: ٦٥]

وقال تعالى في مواضع من كتابه: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٣] [الرعد:

٣، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣]

وقال ﷻ في موضعين من سورة النحل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١، ٦٩]

وقال تعالى في مواضع: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤، النحل: ١٢، الروم: ٢٤]

وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٦٧]

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال]

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة]

فهذه نحو أربعة وأربعين موضعاً من القرآن - وغيرها كثير - وكلها داعية إلى التفكر والتأمل والذم لمن ترك ذلك.

دلالة الحس:

وهناك أيضاً دليل حسي على وجود الله - سبحانه - وهو ما نشاهده من إجابة الدعاء؛ فالإنسان يدعو الله ويقول: "يا الله" فيجيب الله دعاءه، ويكشف عنه ما هو فيه، ويحصل له المطلوب، فدل هذا على أن هناك رباً سمع دعاءه وأجابه. وفي كتاب الله أنه سبحانه استجاب لأنبيائه:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَآتَىٰ مَسْنَىٰ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [٨٣]

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]

ولاحظوا أن الآيات تأتي معقبة بالفاء قال: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ أي: جاءت الإجابة سريعة. إذاً هذا دليل حسي على وجود الله ﷻ.

دلالة الفطرة:

وهناك أيضاً دليل الفطرة؛ فالإنسان بطبيعته إذا أصابه الضر قال: يا الله. قال الشيخ ابن عثيمين ﷻ: "حُدِّثْنَا أَنَّ بَعْضَ الْكُفَّارِ الْمُجُودِينَ الْمُلْحِدِينَ إِذَا أَصَابَهُ الشَّيْءُ الْمُهْلِكُ بَغْتَةً يَقُولُ عَلَى فِلَتَاتٍ لِسَانِهِ: "يا الله" من غير أن يشعر؛ لأنَّ فطرة الإنسان تدله على وجود الرب ﷻ" (١).

ويقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وهذا أخذ ربنا ﷻ للميثاق على الكفار وعلى جميع نسمات بني آدم أن الله ﷻ هو الخالق وأنه - سبحانه - هو الإله المعبود بحق.

دلالة الشرع:

ثم هناك الأدلة الشرعية، وهي كثيرة جداً في كتاب الله ﷻ. إذاً هناك أدلة كثيرة يمكن للمسلم من خلالها أن يزداد إيماناً، ويزداد يقيناً بمعرفة ربه ﷻ.

وأعود فأقول: تأملوا كتاب الله، وتدبروا القرآن، ففوا عند الآيات، واقروا تفسير السلف فيها، وليكن عندكم تفسير معتمد من تفاسير السلف؛ لأنها تُعين على فهم القرآن وتأمّل الآيات البيّنات كتفسير الإمام الطبري والحافظ ابن كثير والبغوي ومثل تفسير السعدي من المعاصرين.

الإيمان بربوبية الله:

الأمر الثاني مما يتضمنه الإيمان بالله ﷻ: الإيمان بربوبية الله، ويعبر عنه العلماء بتوحيد الربوبية. فما معنى ذلك؟

معنى "الرب":

يقول العلماء رَحْمَهُمُ اللَّهُ: الرب هو الخالق والمالك والمدبر.

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤٩/٣).

هذه كلمات يفسر بها العلماء كلمة الرب. يقول الإمام الجوهري رحمته الله وهو من أئمة اللغة: "ربُّ كل شيء: مالكه، والربُّ: اسم من أسماء الله سبحانه، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة" (١).

وفي الشرع، في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتي الآيات للدلالة على أن الله - سبحانه - هو المالك الخالق المدبر كما قال ربنا سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون].

يقول الإمام الطبري رحمته الله: "ربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر" (٢).
ومن السنة نجد مثلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» (٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "الرب هو الذي يربي عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها" (٤).
ويقول أيضاً: "الرب سبحانه هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل" (٥).

ويضيف بعض العلماء إلى ذلك المحيي المميت، فهو تعالى الذي بيده هذه الأمور.
ويقول شمس الدين ابن القيم رحمته الله: "والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح. والله تعالى هو الربُّ بهذه الاعتبارات كلها" (٦).
ويقول الحافظ ابن كثير رحمته الله: "الرب: هو المالك المتصرف" (٧).

(١) الصحاح، مادة (ربب).

(٢) تفسير الطبري (١/١٤٢).

(٣) مسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٤) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص ٣٢.

(٥) مجموع الفتاوى (١/٩٢).

(٦) بدائع الفوائد (٤/١٣٢).

(٧) تفسير ابن كثير (١/١٣١).

ويقول علامة القصيم في زمانه الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "والرب: هو المربي جميع عبادِه بالتدبير وأصناف التَّعم، وأخصُّ من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم"^(١).

أقسام الربوبية:

ولهذا يقول العلماء: الربوبية تنقسم إلى قسمين:
 ربوبية عامة: وهي ربوبية الله ﷻ لجميع خلقه، فهو ربُّ الخلائق أجمعين، ربُّ العالمين بما خلقهم ويزقهم- سبحانه- ويدبر أمورهم.
 وهناك ربوبية خاصة وهي لأوليائه، يصطفي فيها من يشاء ﷻ فيخصهم بالحفظ والرعاية والتأييد، ويكلؤهم بحفظه ﷻ.
 والإله هو المعبود بحق، ولا يكون إلهاً حتى يكون متّصفاً بهذه الصفات التي بيّنها العلماء رحمهم الله.

من معاني توحيد الربوبية:

ويُعبر العلماء رحمهم الله أيضاً عن توحيد الربوبية بأنه إفراد الله في أفعاله، وأفعاله منها هذه الأشياء التي ذكرناها كالإحياء والإماتة والملك والتدبير والنفع والضر، وعلم الغيب، فهذه كلها من أفعال الله سبحانه. ومعنى إفراد الله في أفعاله: أن تؤمن بأن الله هو الخالق، وأن الله هو الرازق، وهو المحيي وهو المميت، وهو المعطي المانع، وهو النافع الضار، وهو الذي بيده الأمر ﷻ؛ تؤمن بذلك كله.

إقرار المشركين بالربوبية لله:

وقد نبهنا في الدرس الماضي أن العلماء رحمهم الله يقولون: إنّ الخلائق جميعاً أثبتت هذا لله ﷻ والأدلة من القرآن كثيرة على ذلك مثل الآيات في سورة المؤمنون، إذ يقول ربنا ﷻ: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٤٥).

تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿المؤمنون﴾.

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية:

وقد ذكر الله ﷻ في كتابه براهين ألوهيته واستحقاقه العبادة، فمن هذه البراهين ما دل عليه توحيد الربوبية، ولنتأمل في ذلك فاتحة سورة الفرقان: حيث يقول ربنا ﷻ:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾، ثم وَصَفَ اللَّهُ-

تعالى-نفسه، فقال: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. إذا هذا الأمر الأول وهو ملك

السموات والأرض، هل من مالك غير الله؟، هل يملك أحد شيئاً غير الله تعالى، ملكاً

تماماً من هذه المعبودات؟ ولهذا قال: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾،

فهذا من ربوبيته سبحانه ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ ﴾، لا أحد يملك مع الله شيئاً

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾، إذا، ذكر لنفسه ﷻ من الصفات العلا أنه

المالك الخالق المدبر لا يملك أحد مع الله شيئاً. ثم قال ﷻ: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ

ءَالِهَةً ﴾ يعني اتخذوا من دون الله آلهة، ما صفاتها؟ قال الله: ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ

يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾

[الفرقان: ٣]. وهذا معروف أنهم لا يملكون. لماذا؟ لأن المالك هو الله ﷻ أي: المالك على

الحقيقية لهذه الأشياء، المالك للخلق والملك والتدبير هو الله ﷻ. ولهذا يقول ربنا -ﷻ

في سورة الزمر: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني أخبروني عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ﴿ إِنْ

أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ

رَحْمَتِيهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ فالنفع والضربيد الله ﷻ عقيدة

صحيحة ثابتة لا بد للمسلم أن يؤمن بها.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ

فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

[الأنعام].

ويقول ربنا ﷺ في خاتمة سورة يونس: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ .

الآية التي قطعت عروق الشرك:

وهناك آية يقول عنها العلماء كابن القيم وغيره من أهل العلم: "إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب" (١) يعني أنها تُرَدُّ على كل شبه المشركين الذين تجدد عندهم اعتراقاً ضمنياً بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المالك، المدبر، ثم يشركون معه غيره، فما هي هذه الآية التي تقطع عروق الشرك؟ هي قول الله- سبحانه- في سورة سبأ: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ كل ما يدعى ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾، انظر ماذا يقول ربنا - سبحانه- فيهم: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وهذا هو الأمر الأول أنهم لا يملكون شيئاً! إذا لا يستحقون العبادة، لماذا؟ لأن المالك هو الله. الأمر الثاني: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ ﴾ إذا أقر بعض الناس بأن المالك هو الله ﷻ، وقد ينازع بعضهم فيقول: هؤلاء لهم شيء مثل ما يقول بعض المؤمنين بالأقطاب والأولياء ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ ﴾ ولا جزء بسيط.

والأمر الثالث: قال الله: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ يعني ليس لله وزير ولا معاون، ولا يحتاج إلى أحد ﷻ فهو الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام في التسعينية (٢/ ٥٢٦) المسائل والأجوبة (ص: ١١٧) واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٢٦) والإخائية أو الرد على الإخائيات العنزي (ص: ٩٩) وسيأتي كلام ابن القيم وانظر: القول السديد للسعدي (٦٧)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٩/ ٣١٤).

والأمر الرابع: قال الله سبحانه بعد هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٣]

إذاً هذه قطعت كل الوسائل التي يتشبث بها أهل الشرك بالله ﷻ؛ فهم لا يملكون شيئاً استقلالاً، ولا يملكون قسطاً من الملك، ولا يعاونون الله لغناه عن جميع خلقه، ثم إنهم بعد ذلك لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه لمن ارتضى. وحيث إن الملك من ملوك الدنيا - والله المثل الأعلى - تجد من يشاركه، وتجد من يعاونه، وتجد من يكون ظهيراً ووزيراً له، وربما من يحبه، فيمكن أن يشفع عنده بلا إذنه؛ لكن الله ﷻ بين في هذه الآية أن هذه المعبودات لا تملك شيئاً؛ لأن الرب على الحقيقة هو الله ﷻ.

قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله: فَتَأَمَّلْ كَيْفَ أَخَذَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَجَامِعَ الطُّرُقِ الَّتِي دَخَلُوا مِنْهَا إِلَى الشَّرْكِ وَسَدَّ بِهَا عَلَيْهِمْ أُنْبَلُغَ سَدٍّ وَأَحْكَمَهُ، فَإِنَّ الْعَابِدَ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْبُودِ لِمَا يَرْجُو مِنْ نَفْعِهِ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ لَا يَرْجُو مَنْفَعَةً لَمْ يَتَعَلَّقْ قَلْبُهُ بِهِ، وَحِينَئِذٍ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْبُودُ مَالِكًا لِلْأَسْبَابِ الَّتِي يَنْفَعُ بِهَا عَابِدَهُ، أَوْ شَرِيكًا لِمَالِكِهَا، أَوْ ظَهِيرًا أَوْ وَزِيرًا أَوْ مُعَاوِنًا لَهُ أَوْ وَجِيهًا ذَا حُرْمَةٍ وَقَدْرٍ يَشْفَعُ عِنْدَهُ، فَإِذَا انْتَفَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ انْتَفَتْ أَسْبَابُ الشَّرْكِ وَانْقَطَعَتْ مَوَادُّهُ، فَنَفَى سُبْحَانَهُ عَنِ آلِهَتِهِمْ أَنْ تَمْلِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَقَدْ يَقُولُ الْمُشْرِكُ: هِيَ شَرِيكَةٌ الْمَالِكِ الْحَقِّ، فَنَفَى شِرْكَهَا لَهُ، فَيَقُولُ الْمُشْرِكُ: قَدْ يَكُونُ ظَهِيرًا أَوْ وَزِيرًا أَوْ مُعَاوِنًا فَقَالَ: ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ فَفَنَفَاهَا عَنِ آلِهَتِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ لِلشَّافِعِ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِالشَّفَاعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا يَكُونُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّ الْمَشْفُوعَ عِنْدَهُ يَحْتَاجُ إِلَى الشَّافِعِ وَمُعَاوَنَتِهِ لَهُ، فَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِيهَا، وَأَمَّا مَنْ كُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ بِدَاتِهِ، فَهُوَ الْغِنِيُّ بِدَاتِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَكَيْفَ يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ بغيرِ إِذْنِهِ؟ ا.هـ^(١)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: نَفَى بِذَلِكَ جَمِيعَ وُجُوهِ الشَّرْكِ، فَإِنَّ مَا يُشْرِكُ بِهِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مُلْكٌ أَوْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، أَوْ يَكُونُ مُعِينًا، فَإِذَا انْتَفَتْ الثَّلَاثَةُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي هِيَ دُعَاءٌ لَكَ وَمَسْأَلَةٌ وَتِلْكَ لَا تَنْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ هَذَا

(١) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله (ص: ٨٣)

أَنَّهُ لَا رَازِقَ يَرْزُقُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ دَلَّ بِهَذَا وَهَذَا عَلَى التَّوْحِيدِ... إلخ اهـ^(١)
 إذا، توحيد الربوبية: هو إفراد الله في أفعاله من الملك، والخلق، والتدبير، والرزق،
 والإحياء، والإماتة. وقد نبه النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك، فقال لابن عباس رضي الله عنهما: «يَا غُلَامُ
 إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذُكَ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،
 وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ
 يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا
 بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

لا يعلم الغيب إلا الله:

ومن أفعال الله العلم بالغيب، فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى ومن أوضح الأدلة في ذلك: قول الله- سبحانه:- ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. آية واضحة؛ فإنه لا يعلم الغيب إلا الله، وقد أمر الله نبيه عليه السلام أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فإذا كان نبينا عليه السلام يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ يعني أنا لا أعلم من الغيب إلا ما أعلمني الله إياه من الوحي كما قال سبحانه: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [٦١] إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦-٢٧] يعني فيوحي الله تعالى إليه بما شاء تعالى. فلا يعلم الغيب إلا الله، وهذا من الإيمان بربوبيته سبحانه، فالذين يعتقدون أن الجن أو أن الأولياء أو أن بعض الناس أو أن السحرة والمشعوذين والكهّان يعلمون شيئًا من الغيب فهؤلاء ما حققوا توحيد الرب تعالى.

وقوع الشرك في الربوبية:

وقول العلماء: "لم يُنكر توحيد الربوبية أحد" يقصدون به: أن الخلائق قد أقرت

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ١٥٤)

(٢) أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) واللفظ له، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

بوجود الله، وبأنه هو الخالق والربُّ بنص القرآن، وليس معناه أنه لم يقع لهم شرك في الربوبية. فمن الناس من يعتقد في القبور والأضرحة والأولياء نفعاً أو دفعَ ضرٍّ، فهذا من شركهم في الربوبية، وإلا فالشيطان لما خاطب ربه ﷻ قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ ناداه باسم الربوبية؛ فهو يقر بأن الله ﷻ ربُّ له. يقول ربنا ﷻ عن إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر]. وقال أيضاً: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ ﴾ [الحجر]. والمقصود أنه خاطب ربه ﷻ باسم الربوبية.

وكذا فرعون الذي أنكر وجود الله ﷻ لما وقع له ما وقع وجاءه الغرق: ﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِء بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس] وقد كان من قبل يقول: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات].

فالمنكرون للربِّ ﷻ ولوجوده ﷻ إنما أنكروا ذلك إنكارَ جحودٍ وعنادٍ كما قال ربنا ﷻ: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] إذا يوجد من أشرك في توحيد الربوبية بادعاء أن أحداً يعلم الغيب أو أن أحداً يملك نفعاً أو دفعَ ضرٍّ أو غير ذلك، لكنَّ الخلائق قد أجمعت على إثبات وجود الله ﷻ.



المجلس الثامن^(١)

الإيمان بالوهمية الله:

لا يتم إيمان امرئ مسلم حتى يوحد الله في ألوهيته. والإيمان بالوهمية الله: هو أن يؤمن الإنسان بأن الله هو الإله الحق لا يشاركه سبحانه أحد في ذلك لا مَلَكٌ مقرب ولا نبي مرسل، وهذا هو معنى قول: "لا إله إلا الله؛"

فشهادة التوحيد تلك الشهادة العظيمة التي لا يدخل أحد في الإسلام إلا بها تتضمن معنى توحيد الألوهية، فيؤمن الإنسان بأن الله هو الإله الحق، وأن ما عُبدَ من دونه إنما يُعبدُ بباطل ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج]

إذا قلت: "أشهد أن لا إله إلا الله" فأنت تُقرُّ بأنه لا معبود بحق إلا الله وما تقدّم من توحيد الربوبية والإيمان بوجود الله. وكلُّ ذلك إذا استقر عند امرئ فإنه يستلزم منه أن يُوحّد الله في العبادة، ويفرده ﷻ.

يقول ابن القيم رحمته الله: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له":

- كلمة قامت بها الأرض والسموات،
- وخلق لأجلها جميع المخلوقات،
- وبها أرسل الله -تعالى- رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه،
- ولأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار،
- وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار،
- فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب،
- وهي الحق الذي خلقت له الخليقة،
- وعنهما وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب،

(١) كان في يوم الخميس الثلاثين من شهر شعبان ١٤٤١هـ.

- وعليها نُصِبَت القبلة، وعليها أُسِّسَت الملة، ولأجلها جُرِّدَت سيوف الجهاد،
- وهي حقُّ الله على جميع العباد،
- فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام،
- وعنها يُسأل الأولون والآخرون،

فلا تزول قَدَمَا العبدِ بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين :

✓ ماذا كنتم تعبدون؟

✓ وماذا أحببتم المرسلين؟

فجواب الأولى بتحقيق "لا إله إلا الله" معرفة وإقراراً وعملاً.

وجواب الثانية بتحقيق "أن محمداً رسول الله" معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة^(١).

الحكمة من خلق الثقلين:

توحيد الألوهية: هو إفراد الله ﷻ بالعبادة، وهو الذي خلقك الله ﷻ لأجله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات] أي إلا ليوحدوا الله ﷻ ولا يكون الإنسان موحدًا لله، ومؤمنًا بالله حتى يفرد الله ﷻ بالعبادة؛

ولهذا قال العلماء: بُعِثَ جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم إلى الدعوة إلى هذا الأمر أي: إفراد الله ﷻ بالعبادة، يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦] الآية. فتأمل ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ ما من أمة من الأمم إلا وبعث الله إليها رسولاً دعوته قائمة على توحيد العبادة.

توحيد الألوهية يسمى توحيد العبادة:

والعلماء يسمون توحيد الألوهية توحيد العبادة، ويُعرِّفونه فيقولون: توحيد الألوهية أو توحيد العبادة هو إفراد الله في أفعال العباد، فلا تُصَرَّفُ أي عبادة من العبادات إلا لله ﷻ. فالصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبرُّك لوالديك، وصلتك لأرحامك، وتبسمك في وجه أخيك، كلُّ أنواع العبادة

(١) زاد المعاد (١/٣٦).

الواجبة والمستحبة، كل ما تعبد به الله ﷻ فإنه يجب أن تُخلصه لله، وأن تُفرد الله ﷻ به.

تعريف العبادة:

والعبادة عرفها شيخ الإسلام ﷺ فقال: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُجْبُهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَصِدْقُ الْحَدِيثِ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ؛ وَيُرُّ الْوَالِدِينَ وَصَلَةُ الْأَرْحَامِ وَالْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَالْجِهَادُ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْجَارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ وَالِدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةَ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ. وَكَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ. وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ؛ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْفُ لِعَذَابِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ هِيَ الْغَايَةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ وَالْمَرْضِيَّةُ لَهُ الَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ لَهَا... إلخ^(١). وهي- كما يقول العلماء- قائمة على التعظيم والتذلل لله ﷻ.^(٢)

توحيد الأنووية هودعوة الأنبياء:

فالأنبياء جميعاً بعثهم الله- سبحانه- لتحقيق هذا الأمر ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا ﴾ وقد ذكرنا عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) وغيره من المفسرين أنّ كلمة "اعبدوا" أو كلمة "العبادة" في القرآن يقصد بها الأمر بالتوحيد. فقولته تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١] أي: وحّدوا ربكم. وهنا قال: ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أي: وحّدوا الله، والمقصود بالتوحيد هو توحيد الله في العبادة أي: في ألوهيته سبحانه؛ لأن توحيد الربوبية - كما تقدم معنا- تُقرُّ به الخليفة ولا ينكره إلا معاند، ولكن الذي بعث الله به الأنبياء هو دعوة الناس إلى عبادة رب العباد سبحانه. فالأنبياء لم يأتوا إلى الناس ليقولوا: إن الله هو الخالق، إن الله هو الرزاق، إن الله هو المحيي؛ فهذه أمور يُقرُّون بها، ويؤمنون بها - كما تقدم معنا-؛ وإنما بعثهم سبحانه لتحقيق الأصل العظيم وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة. وقد تقدم معنا قول الله - سبحانه -: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩)

(٢) المرجع السابق (١٠/١٥٢)

(٣) تقدم تخرجه في المجلس السابع.

يَمَلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٦﴾ [يونس] فَإِذَا هُمْ يَقْرُون.

إِذَا مَا الَّذِي كَذَّبُوا الْأَنْبِيَاءَ فِيهِ؟ هُوَ أَنَّهُمْ دَعَا إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ ﷻ فِي الْعِبَادَةِ. كَمَا قَالَ رَبَّنَا ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

واختلفت عبارات العلماء في بيان معنى الطاغوت - وهي متفقة المعنى -:

تفسير الطاغوت:

فَعَنْ حَسَّانَ بْنِ فَائِدٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: "الطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ"^(١) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: وَسُئِلَ عَنِ الطَّوَاعِيتِ الَّتِي كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «كَانَ فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، وَهِيَ كُفَّانٌ تَنْزِلُ عَلَيْهَا الشَّيْطَانُ»^(٢)

وقال ابن وهب: قال لي مالك: الطاغوت ما يعبد من دون الله.^(٣)

(١) علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم، ووصله سعيد بن منصور (٢٥٣٤) والطبري (٩٧٦٦/ط شاکر) بسند صحيح عن أبي إسحاق، عن حسان به. وجاء تصريح أبي إسحاق بالسماع في بعض طرقه، ومن رواه عنه شعبة أيضاً، وهو لا يروي عن أبي إسحاق إلا ما لم يدلسه. وحسان بن فائد روى عنه أبو إسحق السبيعي وحده وقال أبو حاتم: "شيخ"، وقال البخاري يعد في الكوفيين. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. وقال الحافظ في الإصابة له إدراك. وقال في الفتح: إسناده قوي وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق له من حسان، وسماع حسان من عمر في رواية رسته، أهيعني عبد الرحمن بن عمر الملقب رسته في "كتاب الإيمان".

(٢) علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم ووصله الطبري (٥٥٨/٤ ط هجر) قال حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: فَذَكَرَهُ. وَشَيْخُ الطَّبْرِيِّ الْقَاسِمُ هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ الشَّيْخُ أَكْرَمُ زِيَادَةَ فِي "مَعْجَمِ شَيْخِ الطَّبْرِيِّ": مِنَ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ، لَمْ أَعْرِفْهُ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجُمَةً، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الشَّيْخُ شَاكِرُ قَبْلِي. هُوَ وَشَيْخُهُ الْحُسَيْنُ هُوَ ابْنُ دَاوُدَ الْمَلْقَبِ سَنِيدٌ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَالْأَثَرُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٥٤٥٢) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ الضَّيْفِ، ثنا حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الطَّوَاعِيتِ، قَالَ: هُمْ كُفَّانٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ شَيْطَانٌ. وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، إِسْحَاقُ بْنُ الضَّيْفِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ صَدُوقٌ، وَبَاقِي رَجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(٣) الجامع لابن وهب (٣/٣٦٣ ط دار البر).

قال القاضي أبو محمد بن عطية رحمته الله: وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون ونمرود ونحوه، وأما من لا يرضى ذلك كعزير وعيسى عليهما السلام ومن لا يعقل كالأوثان فسميت طاغوتا في حق العبد، وذلك مجاز. إذ هي بسبب الطاغوت الذي يأمر بذلك ويحسنه وهو الشيطان ا.هـ. ^(١)

ولذا قال العلماء: كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ فهو طاغوت ^(٢).

وقال الطبري رحمته الله: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي الطَّاغُوتِ أَنَّهُ كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ عَلَى اللَّهِ فَعُبدَ مِنْ دُونِهِ، إِمَّا بِقَهْرٍ مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَهُ، وَإِمَّا بِطَاعَةٍ مِمَّنْ عَبَدَهُ لَهُ، وَإِنْسَانًا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، أَوْ شَيْطَانًا، أَوْ وَثَنًا، أَوْ صَنَمًا، أَوْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ. ا.هـ. ^(٣)

وقال شمس الدين ابن القيم رحمته الله: والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم... إلخ ^(٤)

فإذا تأملت ما ذكره ابن القيم رحمته الله في تعريف الطاغوت عرفت أن الطواغيت كثيرون؛ وذلك أن كل من تجاوز حده في الشرع صار بخروجه منه وتجاوزه طاغوتاً لكن قال العلماء: رؤوسهم خمسة: أولهم: إبليس لعنه الله، والثاني: من عُبد وهو راضٍ، والثالث: من دعا الناس إلى عبادة نفسه، يعني ممن يقر الغلو والتعظيم بغير حق كفرعون ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مآتهم. والرابع: من ادعى شيئاً من علم الغيب، كالمنجمين والعرافين والسحرة والمشعوذين. والخامس: من حكم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الطواغيت، أمرنا الله باجتناهم فقال: ﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

إذا هذه هي دعوة جميع الأنبياء، فكلهم دعوا إلى هذه الكلمة ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٤٤)

(٢) المرجع السابق وانظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص ٣١) و «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (١/ ١٦٣)

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤/ ٥٥٨)

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين ت مشهور (٢/ ٩٢)

فَأَعْبُدُونِ ﴿ ولهذا لو قيل لك: ما معنى لا إله إلا الله؟ فالجواب الصحيح أن معناها: لا معبود بحق إلا الله.

الخطأ في تفسير كلمة التوحيد:

ومن الناس من يقول: "لا إله إلا الله" ويفسرها بأنه: لا خالق إلا الله، أو لا مدبر إلا الله، أو لا موجود إلا الله، وهذا كله غير صحيح. فإن دعوة الأنبياء قائمة على: إثبات العبادة لله ونفي استحقاق العبادة عما سوى الله كما في الآية السابقة: ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] فالله تعالى ابتعث الرسل بهاتين الكلمتين: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾. ففي قوله: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ إثبات، وفي قوله: ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ نفي، وهذا هو معنى التوحيد المشتمل على إثبات ونفي، والنفي فيه اجتناب الطاغوت ونفي الشرك، والإثبات فيه: إثبات العبادة لله وحده دون ما سواه.

فضل كلمة التوحيد:

وإنما معنى هذه الكلمة العظيمة التي دعا إليها جميع الأنبياء: لا معبود بحق إلا الله ﷻ؛ ولهذا جاء في القرآن الإشادة بهذا التوحيد.

كلمة التوحيد هي العروة الوثقى:

فكلمة التوحيد: هي العروة الوثقى التي ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان]. قال سعيد بن جبیر قوله: ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ﴾ هي لا إله إلا الله ^(١).

(١) رواه الطبري (٥٨٧٦) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد؛ ورواه الطبراني في الدعاء: (١٥٦٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ؛ كِلَاهِمَا (أَبُو أَحْمَدَ، وَوَكَيْعٌ) قَالَا: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ أَبِي السُّودَاءِ، عَنْ جَعْفَرِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي الْمَغِيرَةِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ بِهِ. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ (٥٨٧٧) قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ أَبِي السُّودَاءِ =

هي الكلمة العليا

وهي الكلمة العليا التي ذكر الله -تعالى- في كتابه إذ قال: ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ [التوبة: ٤٠]. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: "هي لا إله إلا الله" ^(١).

هي الكلمة الحق:

وهي الكلمة الحق التي ذكر الله ﷻ إذ يقول: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤]. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤]. يقول "شهادة أن لا إله إلا الله" ^(٢). وقال البغوي والقرطبي وغير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ٦٦ [الزخرف]: قالوا: لا تشفع الملائكة إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون ^(٣).

هي الكلمة الطيبة:

وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ٤١ [إبراهيم] قال ابن أبي

النهدى، عن سعيد بن جبیر. فأسقط من سنده جعفر بن أبي المغيرة. ورواه في (٢٨٣٧٧) - حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفیان، عن أبي السوءاء، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس. وابن وكيع ضعيف. ورواه الطبراني في الدعاء (١٥٦٧) قال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرِيْمٍ، حَدَّثَنَا الْفَرِيَّابِيُّ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنِ سَالِمِ الْأَفْطَسِ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ. وسنده ضعيف.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠٢) وابن جرير (١٦٨١٢) في تفسيريهما، والطبراني في الدعاء (١٥٤٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦). قال الحافظ في كتابه (العجاب في بيان الأسباب): وعلي صدوق، ولم يلق ابن عباس رضي الله عنه لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه، فلذلك كان البخاري وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة. اهـ وقال في الفتح: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه هذا كثيراً على ما بيناه في أماكنه وهي عند الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح. اهـ وقال السيوطي في الإتقان (وقال قوم لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير؛ وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبیر؛ قال ابن حجر: بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك. اهـ (٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠٣٧١) والطبراني في الدعاء (١٥٨٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) في أثناء حديث طويل. وله طرق أخرى عندهم عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) انظر تفسير البغوي (٢٢٤/٧)، وتفسير القرطبي (١٢٢/١٦)،

طلحة عن ابن عباس: ﴿ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وهو المؤمن ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ يقول: لا إله إلا الله، ثابت في قلب المؤمن ﴿ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ يقول: يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ ^(١).

هي القول الثابت:

وقال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. قال العلماء: القول الثابت هو قول: "لا إله إلا الله". وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ " قال: " نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَذَلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ^(٢).

هي العهد:

وهذه الكلمة هي العهد الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مريم]. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: " العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله وألا يرجو إلا الله تعالى" ^(٣).

هي أعظم الحسنات:

وهذه الكلمة هي أعظم الحسنات المنجية لأهلها من فزع يوم القيامة. قال أبو ذر رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاتَّبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ» ^(٤).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠٧٦٥) والطبراني في الدعاء (١٥٩٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) في أثناء حديث طويل.

(٢) البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩) ومسلم (٢٨٧١) واللفظ له.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٢٤١٣٠) والطبراني في الدعاء (١٥٧٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) في أثناء حديث طويل؛ من طرق عن عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة به. وعزاه في الدر المنثور إلى: ابن المنذر، وابن أبي حاتم أيضا.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٤٨٧) عن شمر بن عطية، عن أشياخه، عن أبي ذر فذكره. قال الألباني في الصحيحة

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل] قال: "من جاء بـ(لا إله إلا الله)"^(١).

وكذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٢) وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣).
وقال ابن جرير: ﴿مَنْ جَاءَ﴾ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقناً به قلبه ﴿فَلَهُ﴾ من هذه الحسنه عند الله ﴿خَيْرٌ﴾ يوم القيامة، وذلك الخبير أن يثيبه الله ﴿مِمَّا﴾ الجنة، ويؤمته ﴿مَنْ فَرَجَ﴾ الصيحة الكبرى، وهي النفخ في الصور^(٤).

هي النعمة العظيمة:

قال العلماء أيضاً: وهي النعمة العظيمة التي امتن الله بها على عباده في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]. وقرئ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةَ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾^(٥). قال مجاهد في تفسيرها: "لا

(١٣٧٣) وهذا إسناده حسن، رجاله ثقات غير أشياخ شمر، فلم يسموا، لكنهم جمع ينجبر الضعف بعددهم، كما قال السخاوي في غير هذا الحديث اهـ ويشهد للجملة الثانية منه: حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» رواه الترمذي وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» ورواه ابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم وحسنه الألباني.
(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٤٣٣١، ١٤٣٣٢، ١٤٣٣٣) وابن أبي حاتم (٨١٦٥، ١٦٦٤٤، ١٧١٨٩). والطبراني في الدعاء (١٥٠٣، ١٥٠٢) وأبو نعيم في الحلية (ترجمة عبد الرحمن بن مهدي) والحاكم في المستدرک (٣٥٢٨)، وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٣) وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٦٩) بسند حسن عن سعيد بن جبیر عن ابن مسعود وهو منقطع.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٥٠٧) قال: حَدَّثَنَا فضيل بن محمد الملقبي، حَدَّثَنَا أبو نعيم، حَدَّثَنَا يحيى بن أيوب البجلي، حَدَّثَنَا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة به. ورجاله ثقات سوى شيخ الطبراني: ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. لكن تابعه إسحاق بن راهويه فرواه في مسنده (١٩٢) عن أبي نعيم به. ورواه الحسين المحاملي في أماليه (٤٥٨) قال: ثنا علي بن سهل بن المغيرة حدثنا أبو نعيم به.

(٣) أخرجه الطبري (١٤٣٤٩). والطبراني في الدعاء (١٥٠٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦)

(٤) تفسير الطبري (٥٠٧/١٩).

(٥) ﴿نِعْمَهُ﴾ قرأها نافع وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر بفتح العين وهاء مضمومة غير منونة، جمع ﴿نِعْمَةٍ﴾

إله إلا الله" (١).

هي كلمة التقوى:

وقال العلماء في قول الله تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ [الفتح: ٢٦]: كلمة التقوى هي "لا إله إلا الله" قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس (٢) ومجاهد (٣) وغير واحد من المفسرين (٤).

هي الكلمة الباقية:

وهي الكلمة الباقية التي ذكر الله -تعالى- عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمهٖ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف]

قال قتادة: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ "شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها من بعده: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾". قال: يتوبون أو يذكرون" (٥).

هي الحسنى:

وهي الحسنى التي ذكرها الله في قوله: ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ ﴾ [الليل] قاله أبو عبد الرحمن السلمي (٦) وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك أيضا (٧).

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى ﴾

كسيدة، والباقون بسكون العين وتاء منونة، اسم جنس يراد الجمع، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص ٤٤٨).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٨٣٧٢، ٢٨٣٧٢، ٢٨٣٧١) والطبراني في الدعاء (١٥٨٥) والبيهقي في الأسماء

والصفات (٢٠٧) من طرق عن مجاهد

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠٣٧١) والطبراني في الدعاء (١٦١١) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٩).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠٣٧١)

(٤) المرجع السابق (٢٤/٢٥٤).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (٣١٠٧٦). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٩) من طرق عنه

(٦) أخرجه الطبري في التفسير (٣٧٧٩٢) بسند صحيح عنه وعزاه السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور

(٨/ ٥٣٥) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضا.

(٧) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٤٦٤) وسنده ضعيف.

وَزِيَادَةٌ ﴿ [يونس: ٢٦]: " يقول للذين شهدوا (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الجنة" (١).

وجاء تفسير الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم ﷺ (٢).

هي كلمة الإخلاص المنجية من عذاب الله:

وهي كلمة الإخلاص المنجية من عذاب الله. فعن عثمان بن عفان رضي عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ» [فَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَآمَّ يُخْبِرُنَاهَا]، فقال له عمر بن الخطاب رضي عنه: أنا أهدتك ما هي، هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله ﷺ محمدًا ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألصَّ عليها (٣) نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله (٤)

هي دعوة الأنبياء:

وبعث الله الأنبياء بهذه الكلمة العظيمة التي تدل على التوحيد وإفراد العبادة لله وحده، فلا معبود بحق إلا الله؛ وهو المستحق لجميع أنواع العبادة، وغيره إن عُبد فإنما عُبد بباطل، فما سوى الله من سائر المعبودات ليس بآله حق بل إنه باطل. ولهذا لما قال النبي عليه الصلاة والسلام للكفار: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا» (٥) فهموا مراده من هذا الكلام. أما اليوم فبعض الناس يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم تجده يطوف حول القبور والأضرحة يدعوهم من دون الله. أما الكفار الذين بعث فيهم النبي ﷺ فإنهم عرفوا مراد رسول الله ﷺ، فقالوا: ﴿ أَجْعَلُ

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٠٦)، وأخرجه ابن مردويه أيضًا كما في الدر المنثور (٣٥٨/٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم (١٨١)، وانظر تفسير عبد الرزاق (١١٥٢)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٤٩٦٥)، والدارمي في الرد على الجهمية (١٩١) والسنة لعبد الله بن أحمد (١١٤٥)، وقال البخاري في تفسير هذه الآية من صحيحه: "وقال غيره [يقصد غير مجاهد]: النظر إلى وجهه" (١٧٦/٢).

(٣) الأَصَّ عليها أي: أرادها عليها، وراوده فيها.

(٤) إسناده صحيح. رواه أحمد (٤٤٧/٦٣/١) وابن حبان (٢٠٤) والحاكم (٣٥١/١) والزيادة له.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٩٣) وابن خزيمة (١٥٩) وابن حبان (٦٥٦٢)

والحاكم (٦١١/٢ - ٦١٢) وصححه من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي عنه. ورواه الإمام أحمد في

المسند (٣٤١/٤) وابنه عَبْدُ اللَّهِ بن أحمد في زوائده على المسند (٤٩٢/٣) من حديث ربيعة بن عباد الديلي

رضي عنه. ورواه أحمد (٦٣/٤ و ٣٧٦/٥) عن شيخ من بني مالك ابن كنانة رضي عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق

ذي المجاز يتخللها يقول: فذكره.

الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ [ص: ٥] ففهموا من هذه الكلمة أنها: تُبطلُ عبادة الطواغيت كلها وتخصُ العبادة لله وحده. ومثل هذا قول قوم هود عليه السلام لما دعاهم إلى قول لا إله إلا الله: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠]. وهذا هو معنى "لا إله إلا الله" فإذا قال العبد: "لا إله إلا الله" فقد أعلن وجوب إفراد الله بالعبادة وبطلان عبادة ما سواه من الأصنام والقبور والأولياء وغيرها.

أركان كلمة التوحيد:

يقول العلماء هذه الكلمة لها ركنان عظيمان: ركن فيه نفي، وركن فيه إثبات. ف"لا إله" نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله، و"إلا الله" إثبات استحقاق العبادة لله ﷻ وحده فلا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه ﷻ. ولا ينتفع الإنسان بقول: "لا إله إلا الله" إلا إذا حقق أركانها وشروطها، ومات على ذلك دون أن يرتكب ناقصًا من نواقضها. وبذلك يزول الوهم الذي تعلق به بعض الناس، وهو أن مجرد التلفظ بهذه الكلمة يكفي أخذًا بظاهر هذه النصوص. فيجب على الإنسان أن يقوها بلسانه، وكذلك يجب أن يعتقد بها بقلبه، وأن يحقق ما دلت عليه هذه الكلمة العظيمة المباركة، وهي أن صاحبها لا بد أن يحقق التوحيد لله ﷻ، وسيأتي-إن شاء الله تعالى- في مجلس قادم ذكر ما يتعلق بشروط لا إله إلا الله.

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: "لو أنّ أحدًا آمن بوجود الله، وآمن بربوبية الله، ولكنه يعبد مع الله غيره فلا يكون مؤمنًا بالله حتى يُفردَه-سبحانه-بالألوهية"^(١). هذا يدل على أنه لا بُدَّ من تحقيق ركن الإيمان بالله، فهذه الشعبة العليا من شعب الإيمان لا تتحقق إلا بهذه الأمور العظيمة: إثبات وجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته ﷻ.

العبادة لا تصرف إلا لله:

إذا عرف الإنسان هذا الباب وعرف أن دعوة الأنبياء جاءت لتحقيق هذا الأصل العظيم وفقه معنى التوحيد حقًا عرف أنه لا يجوز أن يُصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا لله. وانظر إلى قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٥٣/٣).

لَا شَرِيكَ لَهُ^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٦﴾ [الأنعام]. فالله يأمر نبيه أن يخبر هؤلاء المشركين بأنه مخالف لهم في دينهم فإن صلاته وذبحه بل حياته كلها والممات، لله رب العالمين ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ في شيء من ذلك لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا خالصا لوجهه الكريم. قال تعالى: ﴿ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾. يعني من هذه الأمة؛ قال الطبري رحمته الله: يَقُولُ: وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ وَأَدْعَنَ وَخَضَعَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِرَبِّهِ، بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ اهـ. (١)

إنها آية عظيمة تدل على أن الإنسان يجب أن يعبد الله وحده لا شريك له. وتأمل أيضًا قول الله تعالى في أنبيائه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر].

لاحظ هنا أنه قدّم ما حقه التأخير ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ ﴾ فما قال: فاعبد الله، بل قال: ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ ﴾ وتقديم المفعول به على عامله يدل على الاختصاص أي: لا تعبد إلا الله، وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاحة].

فوا عجبًا لمن يصلي كل يوم خمس مرات ويقرأ في كل ركعة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ومعناها هو معنى لا إله إلا الله أي: لا نعبد إلا إياك يا رب ولا نستعين إلا بك، ثم يخالف فيقع في الشرك الأكبر!

نعوذ بالله من ذلك، ونسأله تعالى أن يُفَقِّهَنَا فِي الدِّينِ، وأن يشرح صدورنا لهذا الدين العظيم، وأن يجعلنا مؤمنين موحدين، نحيا على الإسلام، ونموت على الإيمان، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ.



(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤٦/١٠)

المجلس التاسع^(١)

الإيمان بأسماء الله وصفاته :

تقدم معنا أن الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور: الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته. وقد وقف بنا الحديث عند الأمر الرابع، وهو: الإيمان بأسماء الله وصفاته، بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

معنى الإيمان بأسماء الله وصفاته :

ومعنى الإيمان بالأسماء والصفات: أن تؤمن بكل اسم سَمِيَ اللهُ ﷻ نفسه به في كتابه أو سمّاه به رسوله ﷺ في سنته، وأن تؤمن بصفات الله التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة. تؤمن بها، ونثبتها من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه؛ ففقيدة أهل السنة والجماعة أن كل ما سَمِيَ أو وصف اللهُ به نفسه في كتابه أو سمّاه أو وصفه به أعلمُ الخلقِ به رسوله محمد ﷺ فإن أهل السنة والجماعة يُثبتونه ويُثبتون ما تضمّنه من المعاني، لا يُحرّفون شيئاً من ذلك على خلاف ما عليه أهل الباطل الذين يُحرّفون معاني الكتاب والسنة، ويُسمّون تحريفهم تأويلاً.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتاً ونفيًا. فهم يسمون الله ويصفونه بما سَمِيَ أو وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه. ومن غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهم أيضا: ينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

معاني الأسماء والصفات ودلائلها :

وأهل السنة يؤمنون بأن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا دالة على معاني في غاية الكمال، وأسماءه ﷻ أعلام وأوصاف، وليست جامدة. وكل اسم يدل على معنى من

(١) كان في يوم الأحد الثالث من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فأسماء الله مشتقة من صفاته وليست جامدة كما يزعم المعتزلة ومن وافقهم الذين ادّعوا أنها أعلام جامدة لا معاني لها، فقالوا: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، فسلبوا بذلك عن أسماء الله معانيها. فالرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته، وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: فَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا مُتَّفِقَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ ثُمَّ كُلُّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى مِنْ صِفَاتِهِ. لَيْسَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْإِسْمُ الْآخَرُ؛ فَالْعَزِيزُ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ عِزَّتِهِ وَالْحَالِقُ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ خَلْقِهِ وَالرَّحِيمُ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ رَحْمَتِهِ وَنَفْسُهُ تَسْتَلْزِمُ جَمِيعَ صِفَاتِهِ فَصَارَ كُلُّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى ذَاتِهِ وَالصِّفَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ بِطَرِيقِ الْمُطَابَقَةِ وَعَلَى أَحَدِهِمَا بِطَرِيقِ التَّضْمَنِ وَعَلَى الصِّفَةِ الْآخَرَى بِطَرِيقِ اللَّزُومِ. اهـ^(١)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: فالاسم له أنواع ثلاثة في الدلالة: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام:

١. دلالة المطابقة: دلالة اللفظ على جميع مدلوله، وعلى هذا، فكل اسم دال على المسمى به، وهو الله، وعلى الصفة المشتق منها هذا الاسم.
٢. ودلالة التضمن: دلالة اللفظ على بعض مدلوله، وعلى هذا، فدلالة الاسم على الذات وحدها أو على الصفة وحدها من دلالة التضمن.
٣. ودلالة الالتزام: دلالة اللفظ على شيء يفهم لا من لفظ الاسم لكن من لازمه ولهذا سميناه: دلالة الالتزام.

مثل كلمة الخالق: اسم يدل على ذات الله ويدل على صفة الخلق. فباعتبار دلالاته على الأمرين يسمى دلالة مطابقة، لأن اللفظ دل على جميع مدلوله، ولا شك أنك إذا قلت: الخالق، فإنك تفهم خالقاً وخلقاً. وباعتبار دلالاته على الخالق وحده أو على الخلق وحده يسمى دلالة تضمن، لأنه دل على بعض معناه، وباعتبار دلالاته على العلم والقدرة يسمى دلالة التزام، إذ لا يمكن خلق إلا بعلم وقدرة، فدلالته على القدرة والعلم دلالة التزام. وحينئذ، يتبين أن الإنسان إذا أنكر واحداً من هذه الدلالة،

(١) مجموع الفتاوى (٧/١٨٥).

فهو ملحد في الأسماء ا.هـ^(١)

معنى التحريف:

والتحريف في باب الأسماء والصفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها. فهو إما تحريف للفظ أو تحريف للمعنى.

مثال تحريف اللفظ:

تحريف إعراب قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء] فإنه يُروى أن عمرو بن عبيد المعتزلي^(٢) قال لأبي عمرو بن العلاء^(٣) أحبُّ أن تقرأ هذا الحرف ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ليكون موسى **عَلِيًّا** هو الذي كلم الله ولا يكون في الكلام دلالة على أن الله كلم أحدًا - يعني يحوله من الرفع إلى النصب فيقرأ (وكلم الله)، أي موسى كلم الله، ولم يكلمه الله-، فقال له وكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى لِيَمِيقَتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف ١٤٣]، -يعني هذا لا يمكن تحريفه^(٤).

مثال تحريف المعنى:

قول المعطلة في معنى استوى: استولى: في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه]. قال ابن القيم **رحمته**: وَأَمَّا ادِّعَاؤُهُمُ الْمَجَازَ فِي الْإِسْتَوَاءِ وَقَوْلُهُمْ فِي تَأْوِيلِ اسْتَوَى: اسْتَوَى فَلَا مَعْنَى لَهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ فِي اللَّغَةِ وَمَعْنَى الْإِسْتِيْلَاءِ فِي اللَّغَةِ الْمُعَالَبَةُ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُعَالَبُ وَلَا يَعْلُوهُ أَحَدٌ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ... وَالْإِسْتَوَاءُ مَعْلُومٌ فِي اللَّغَةِ مَفْهُومٌ، وَهُوَ: الْعُلُوُّ وَالْإِرْتِفَاعُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْإِسْتِقْرَارُ وَالْتِمَكُّنُ فِيهِ، ... إلخ^(٥).

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/١٢٢)

(٢) قال الإمام أحمد: ليس بأهل أن يحدث عنه، مات سنة ثمان وأربعين ومائة. وقال: كان عمرو بن عبيد رأس المعتزلة، وأولهم في الاعتزال ا.هـ انظر: بحر الدم (ص: ١١٨)

(٣) شيخ القراء العربية وكان متبعًا للأثر، قال أبو منصور الأزهرى في " التهذيب " : كان من أعلم الناس بوجوه القراءات وألفاظ العرب ونوادير كلامهم وفصيح أشعارهم .

(٤) انظر: القصة في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/٣٠٣) لشيخ الإسلام، والصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (٣/١٠٣٧) لتلميذه ابن القيم. وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفى.

ت الأرنأؤوط (١/١٧٧)

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/١٤٤).

معنى التعطيل:

والمراد بالتعطيل: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجمود، هذا كله يسمى تعطيلاً.
والتعطيل لغة بمعنى التخلية والترك. فأهل السنة والجماعة لا يعطلون أي اسم من أسماء الله، أو أي صفة من صفات الله ولا يحددونها، بل يقرون بها إقراراً كاملاً.

معنى التكييف:

والتكييف: حكاية كيفية الصفة؛ كقول القائل: كيفية يد الله، أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا. وصفات الله تعالى لها كيفية لكن علم ذلك محجوبٌ عنا فلا نعلم كيفية صفاته كما أننا لا نعرف كنه ذاته سبحانه.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالْأَيْمَةُ يَنْفُونَ عِلْمَ الْعِبَادِ بِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ فَلَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ. اهـ. (١)

وقال ابن القيم رحمه الله: الْعَقْلُ قَدْ يَيْسُ مِنْ تَعْرِفِ كُنْهِ الصِّفَةِ وَكَيْفِيَّتِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ بِ(لَا كَيْفَ) أَيِّ بِلَا كَيْفٍ يَعْقِلُهُ الْبَشَرُ، فَإِنَّ مَنْ لَا تَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ وَمَاهِيَّتَهُ، كَيْفَ تَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ؟ اهـ. (٢)

معنى التمثيل والتشبيه:

والتمثيل: إثبات مثيل للشيء. والتشبيه: إثبات مشابه له. فالتمثيل يقتضي المماثلة، وهي المساواة من كل وجه، والتشبيه يقتضي المشابهة، وهي المساواة في أكثر الصفات، وقد يطلق أحدهما على الآخر.

الفرق بين التشبيه والتمثيل والتكييف:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: والفرق بينهما وبين التكييف من وجهين: أحدهما: أن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أم مقيدة بشيئه، وأما التمثيل والتشبيه فيدلان على كيفية مقيدة بالمماثل والمشابه. ومن هذا الوجه يكون التكييف أعم؛ لأن كل ممثل مكيف، ولا عكس.

(١) مجموع الفتاوى (٣/٥٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٤/٣١٤ ط عطاءات العلم)

ثانيهما: أن التكيف يختص بالصفات، أما التمثيل فيكون في القدر والصفة والذات، ومن هذا الوجه يكون التمثيل أعم؛ لتعلقه بالذات والصفات والقدر اهـ^(١)

السلامة في ألا يتجاوز القرآن والسنة:

فإيمانك -أخي المسلم- بأسماء الله وصفاته قائم على التوقيف والاتباع لما ورد في الكتاب والسنة.

قال الإمام الأوزاعي رحمته الله: «نَدُورٌ مَعَ السَّنَةِ حَيْثُ دَارَتْ»^(٢)

وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ: أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ؛ الْأَوَّلُونَ لَا يَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد رحمته الله: «لَا يُوصَفُ اللَّهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ رحمته الله لَا يَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ»^(٣). وَمَذَهَبُ السَّلَفِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ اهـ^(٤)

فالواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته إبقاءً لدالتها على ظاهرها من غير تغيير ولا تبديل؛ لأن الله سبحانه أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبى رحمته الله يتكلم بلسان عربي مبين، فيجب على المؤمن وهو يقرأ أسماء الله وصفاته أن يثبتها

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص: ١٩). وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص: ٦٣) لشيخنا محمد بن خليفة التميمي.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (١٧٤/١) ومن طريقه اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧١/١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠٠/٣٥) - وسقط شيخ ابن عدي من سند اللالكائي - فليستدرك.

(٣) روى كلمة الإمام أحمد هذه الخلال - كما في ذم التأويل لابن قدامة (٣٣)، والتسعينية لابن تيمية (١/٣١٦) -، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/٣٢٦) (٢٥٢) ولفظه - كما في ذم التأويل -: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: ... وَلَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَكْثَرِ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ بِلَا حَدٍ وَلَا غَايَةٍ ❖ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١]، وَلَا يَبْلُغُ الْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ وَصِفَاتَهُ مِنْهُ وَلَا نَتَعَدَى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ فَتَقُولُ كَمَا قَالَ وَنَصَفَهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَلَا نَتَعَدَى ذَلِكَ نَوْماً بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمَةً وَمَتَشَابَهَةً وَلَا نَزِيلَ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لَشَاعَةِ شَتَّعَتْ اهـ.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٦/٥)

كما أثبتتها الله لنفسه.

فإذا قرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٧٥) [الحج] علم أن الله سبحانه سميع ذو سمع، وبصير ذو بصر، فيثبت ذلك لله إثباتاً يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه فلا تقول: سمعه كسمع الناس وبصره كبصر الناس، ومن غير تكييف أي من غير أن تعتقد كيفية لصفة من صفات الله؛ لأن هذا مما حُجِبَ عَنَّا. وهكذا: اسم الله ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾. فنؤمن بأنه اسم من أسماء الله -تعالى- دالٌّ على صفة عظيمة، وهي: صفة الرحمة الواسعة، ولا نشبه الله بخلقه بل نقول: إن الله ﷻ رحيم رحمةً تليق بجلاله وعظمته.

فنؤمن بما ورد في الكتاب والسنة على طريقة السلف الصالح دون الخوض في كيفية الصفات؛ فإنها مما حجب عنا علمه. كما تقدم.

قال الإمام الشافعي رحمته في مقدمة الرسالة: ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته. الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه ا.هـ^(١)

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمته: لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون ا.هـ^(٢)

ونقل ابن بطلال إجماع الأمة على أن الله تعالى لا يبلغ كنهه الواصفون ولا ينتهي إلى صفاته المقرظون ا.هـ^(٣) أي المادحون. والتقریظ: المدح وشدة تزيينه.

وقال الربيع بن سليمان سألت الشافعي رحمته عن صفات من صفات الله تعالى فقال: حَرَامٌ عَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَمَثِّلَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَلَى الْأَوْهَامِ أَنْ تَحْدَهُ وَعَلَى الظُّنُونِ أَنْ تَقْطَعَ وَعَلَى الثُّفُوسِ أَنْ تَفَكِّرَ وَعَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تَعْمُقَ وَعَلَى الْخَوَاطِرِ أَنْ تَحِيطَ وَعَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَعْقِلَ إِلَّا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ ا.هـ^(٤)

(١) الرسالة للشافعي (٨ / ١)

(٢) الرسالة (ص ٥)

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (١٠٠ / ١٤١)

(٤) ذم التأويل لان قدامة (ص ٢٣)

وقال الإمام أبو محمد البغوي رحمته الله: والواجب ... الإيمان بما جاء في الحديث، والتسليم، وترك التصرف فيه بالعقل، ... وعلى العبد أن يعتقد أن الله تعالى عظيم له عظمة، كبير له كبرياء، عزيز له عزة، حي له حياة، باق له بقاء، عالم وله علم، ومتكلم وله كلام، قوي له قوة، وقادر وله قدرة، وسميع وله سمع، بصير له بصر... ولا يزال موصوفاً بما وصف به نفسه، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم اهـ^(١)

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَبِيعَةَ بِنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:
 ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ۖ﴾ ﴿طه﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: الْإِسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ
 وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ. وَمِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا التَّصَدِيقُ اهـ^(٢)
 وقال يحيى بن يحيى: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رحمته الله فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ،
 ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ۖ﴾ ﴿طه﴾ فَكَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكُ بِرَأْسِهِ حَتَّى
 عَلَاهُ الرُّحْصَاءُ ثُمَّ قَالَ: الْإِسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ،
 وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدَعْوَةٍ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ اهـ^(٣)

(١) شرح السنة (١٧٧/١-١٨٠) باختصار.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٤١/ رقم ٦٦٥) - ومن طريقه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (٧٤) - وعزاه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٠/٥): للخلال وقال بإسناد كلهم ثقات عن سفيان بن عيينة. ورواه الذهبي في العلو من طريق النجّاد قال: حدّثنا معاذ بن المثني حدّثني محمد بن بشر حدّثنا سفيان - وهو الثوري - قال: (كنت عند ربّيعة بن أبي عبد الرحمن ...) فذكره، قال الألباني: (وهو صحيح). وقال شيخنا عبد الرزاق العباد في رسالته في تخريج الأثر: ... ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريق عبد الله بن صالح بن مسلم قال: سئل ربّيعة الرأي ... فقال: (الكيف مجهول، والاستواء غير معقول، ...) هكذا لفظه: (الكيف مجهول، والاستواء غير معقول)، وهو مخالف للفظ السابق في الطريقتين المتقدمتين، وفي إسناده عبد الله بن صالح بن مسلم وهو أبو صالح المصري كاتب الليث، قال الحافظ في التقریب: (صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة) اهـ ثم هو أيضاً لم يدرك ربّيعة، فقد كان مولده سنة سبع وثلاثين ومائة كما في ترجمته في تهذيب الكمال، وكانت وفاة ربّيعة على الصحيح - كما في التقریب - سنة ست وثلاثين ومائة.

(٣) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني - كما في الفتوى الحموية (١٦٧/ت الشيخ دغش) - ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٧) وفي الاعتقاد (ص: ١١٦) وسنده صحيح.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ...-فذكر نحوه- وفي آخره: قال مالك: كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ، وَكَيْفَ عَنْهُ مَرْفُوعٌ، وَأَنْتَ رَجُلٌ سُوءِ صَاحِبٍ بِدَعَاةٍ، أَخْرَجُوهُ. قَالَ: فَأَخْرَجَ الرَّجُلُ اهـ. (١)

وقال شيخ الإسلام: فَبَيَّنَ أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ مَعْلُومٌ وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ مَجْهُولٌ، وَمِثْلُ هَذَا يُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ السَّلَفِ، وَالْأَيْمَةُ يَنْفُونَ عِلْمَ الْعِبَادِ بِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ فَلَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ. اهـ. (٢)

الحذر من التحريف:

واحذروا من أولئك الذين يحرفون المعاني ويؤوِّلون صفاتِ الله ﷻ فيصرفونها عن معانيها التي دلت عليه. وتجد هذا عند بعض الشراح للمتون العلمية في الفقه والحديث والنحو والبلاغة وغير ذلك، يذكرون مثلاً في شرح البسملة: اسم الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ أو ﴿الرَّحِيمُ﴾ فيقولون: يدل على إرادة الإنعام، ويزعمون أن الله منزه عن صفة الرحمة، لأنهم يرون ذلك تشبيهاً لله، فكما قيل: "أرادوا التنزيه فوقوا في التعطيل". يزعمون أن نصوص الأسماء والصفات تدل بظاهرها على تشبيه الله بخلقه فأرادوا أن يفروا من هذا التشبيه الذي وقعوا فيه لسوء فهمهم فوقوا في التعطيل.

الأسماء الحسنى أعلام وصفات:

والحق أن كل اسم من أسماء الله يدل على صفة: فاسمُ السميع يدل على صفة السمع، والبصيرُ يدل على صفة البصير، والرحمن الرحيم يدلان على صفة الرحمة، والعلِيُّ يدل على علوه. وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه] يدل على أن الله ﷻ استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تعطيل ولا تحريف. وهكذا في قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿٢٢﴾ [الفجر] فالآية صريحة في مجيء

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦) من طريق أبي الربيع بن أخي رشدين بن سعد، قال: سمعت عبد الله بن وهب وذكره. وأبو الربيع هو سليمان بن داود بن حماد بن سعد المهري، وجدّه حماد بن سعد أخو رشدين بن سعد. وهو ثقة. كما في التهذيب. وصحح إسناده الذهبي. كما في العلو (ص: ١٣٨). وجود إسناده ابن حجر: في الفتوح (١٣/٤١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٥٨).

الله ﷻ. فقول بعض الناس: "إن المعنى: وجاء أمر الله أو وجاءت ملائكة الله" فهذا تحريف للنصوص. وهكذا في قول النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(١) يقول بعضهم: "ينزل أي: تنزل رحمته أو ينزل أمره أو ملائكته" وهذا تحريف للمعنى الصحيح، بل إن في هذا الحديث إثبات نزول الله إثباتاً يليق بجلاله وعظمته.

قاعدة أهل السنة في هذا الباب:

والقاعدة في باب الأسماء والصفات كما تقدم تجري على ما أمر الله ﷻ في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﷻ﴾ [الشورى]. فعلى هذا يسير أهل السنة والجماعة من لدن الصحابة والتابعين لهم بإحسان كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وغيرهم من أئمة الإسلام في القرون الثلاثة المفضلة. والمقصود أن من الإيمان بالله الإيمان بأسمائه وصفاته إيماناً صحيحاً يجري على وفق ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان دون الدخول في شقشقات علماء الكلام وغيرهم من الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه.

قصة لعبد الرحمن بن مهدي في رفع الشبهة في باب الأسماء والصفات:

وقد روى اللالكائي وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني، قال: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، يَقُولُ: لَفَتِي مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ: «مَكَانَكَ». فَقَعَدَ حَتَّى تَفَرَّقَ النَّاسُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: «يَا بُنَيَّ، تَعْرِفُ مَا فِي هَذِهِ الْكُورَةِ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَالِاخْتِلَافِ وَكُلِّ ذَلِكَ يَجْرِي مِنْكَ عَلَى بَالٍ رَجِيٍّ إِلَّا أَمْرَكَ، وَمَا بَلَغَنِي؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ لَا يَزَالُ هَيِّنًا مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكُمْ، يَعْنِي السُّلْطَانَ، فَإِذَا صَارَ إِلَيْكُمْ جَلَّ وَعَظَمَ»، قَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ وَتُصِفُهُ وَتُشَبِّهُهُ»، قَالَ: الْعُلَامُ: نَعَمْ يَا أَبَا سَعِيدٍ، نَظَرْنَا فَلَمْ نَرِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ شَيْئًا أَحْسَنَ وَلَا أَوْلَى مِنَ الْإِنْسَانِ، فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فِي الصِّفَةِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: رُوَيْدَكَ يَا بُنَيَّ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْلَّ شَيْءٍ فِي الْمَخْلُوقِ، فَإِنْ عَجَزْنَا عَنِ الْمَخْلُوقِ فَنَحْنُ عَنِ الْخَالِقِ أَعْجَزُ، أَخْبَرَنِي عَنْ حَدِيثٍ حَدَّثَنِيهِ شُعْبَةُ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: (سَمِعْتُ

(١) البخاري (٧٤٩٤) واللفظ له، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

زراً^(١) قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿١٨﴾ [النجم] قَالَ: «رَأَى جَبْرِيْلَ لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٌ»^(٢)، فَبَقِيَ الْعَلَامُ يَنْظُرُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي أَهْوَنُ عَلَيْكَ الْمَسْأَلَةَ، وَأَضْعُ عَنْكَ حَمْسِمَاةٍ وَسَبْعًا وَتَسْعِينَ جَنَاحًا. صَفَّ لِي خَلْقًا بِثَلَاثَةِ أَجْنِحَةٍ، رُكِّبَ الْجَنَاحُ الثَّلَاثُ مِنْهُ مَوْضِعًا غَيْرَ الْمَوْضِعَيْنِ اللَّذَيْنِ رَكَّبَهُمَا اللَّهُ ﷻ حَتَّى أَعْلَمَ. فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، قَدْ عَجَزْنَا عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ وَنَحْنُ عَنْ صِفَةِ الْخَالِقِ أَعْجَزُ؛ فَأَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ، عَنْ ذَلِكَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ا.هـ.^(٣)

قصة الشافعي مع تلميذه المزني:

وقال المزني: لَمَّا وَافَى الشَّافِعِيُّ مِصْرَ قُلْتُ فِي نَفْسِي إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُخْرِجُ مَا فِي ضَمِيرِي وَتَعَلَّقَ بِهِ خَاطِرِي مِنْ أَمْرِ التَّوْحِيدِ فَهُوَ -يعني الشافعي-. قال: فَصِرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَسْجِدِ مِصْرَ فَلَمَّا جَثَوْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ هَجَسَ فِي ضَمِيرِي مَسْأَلَةٌ فِي التَّوْحِيدِ فَعَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْلَمُ عِلْمَكَ فَمَا الَّذِي عِنْدَكَ؟؛ فَغَضِبَ؛ ثُمَّ قَالَ لِي: أَتَدْرِي أَيْنَ أَنْتَ جَالِسٌ؟ قُلْتُ نَعَمْ، أَنَا جَالِسٌ بِفُسْطَاطِ مِصْرَ فِي مَسْجِدِهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ. قَالَ: هَيْهَاتَ، إِنَّكَ بِتَارَانَ وَجَنْبَلَانَ -وهما مَوْضِعَانِ عِنْدَ الْبَحْرِ-، يَضْرِبُكَ تِيَارُهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ وَهَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي غَرِقَ فِيهِ فِرْعَوْنُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَبْلَغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالسُّؤَالِ عَنِ ذَلِكَ قَالَ: فَقُلْتُ لَا. فَقَالَ هَلْ تَكَلَّمْتُ فِيهِ الصَّحَابَةَ فَقُلْتُ لَا، فَقَالَ لِي تَدْرِي كَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ فَقُلْتُ لَا، قَالَ فَكَوَّكِبٌ مِنْ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ الَّذِي تَرَاهُ تَعْرِفُ جِنْسِيَّتَهُ طُلُوعَهُ وَأُقُولُهُ مِمَّا خَلَقَ؟ قُلْتُ لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ تَرَاهُ

(١) في الحلية لأبي نعيم (سمعت سعيد بن جبیر) والمثبت من السنة للالكائي. ولم أفد على رواية للحديث من طريق سعيد بن جبیر عن ابن مسعود رضي الله عنه، بل إن سعيد بن جبیر لم يلق ابن مسعود، فقد قتل في شعبان سنة خمس وتسعين، وهو ابن تسع وأربعين سنة؛ وابن مسعود توفي سنة ٣٢ هـ. وانظر: (سير أعلام النبلاء ط الرسالة ٤/٣٢١)

(٢) رواه من طريق ابن مهدي ابن خزيمة في التوحيد (٢/٥٠٢). والحديث في الصحيحين البخاري (٣٢٣٢)، (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) ومسلم (١٧٤) وغيرهما من طرق -عن شعبة وغيره- عن الشيباني عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٣٢)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/٩)

بِعَيْنِكَ خَلْقٌ ضَعِيفٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَسْتَ تَعْرِفُهُ تَتَكَلَّمُ فِي عِلْمِ خَالِقِهِ! ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ
مَسْأَلَةٍ فِي الْوُضُوءِ فَأَخْطَأْتُ فِيهَا فَفَرَعَهَا عَلَيَّ أَرْبَعَةَ أَوْجُهٍ فَلَمْ أُصِبْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ
لِي شَيْءٌ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِرَارًا خَمْسَةً تَدْعُ تَعَلَّمَهُ ا.هـ^(١)

قال البيهقي: "تاران" في بحر القلزم يقال: فيها غرق فرعون وقومه، فشبّه الشافعي
المزني فيما أورد عليه بعض أهل الإلحاد ولم يكن عنده جواب، بمن ركب البحر في
الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه وأشرف على الهلاك. ثم علّمه جواب ما أورد
عليه حتى زالت عنه تلك الشبهة، وفي تلك دلالة على حسن معرفته بذلك، وأنه يجب
الكشف عن تمويهات أهل الإلحاد عند الحاجة إليه، وأراد بالكلام: ما وقع فيه أهل
الإلحاد من الإلحاد، وأهل البدع من البدع. والله أعلم ا.هـ^(٢)

منزلة الإيمان بأسماء الله وصفاته :

وهذا الباب باب عظيم. ويدل على ذلك ما جاء في كتاب الله ﷻ من إشارة وأمر ربّ
العالمين ﷻ بالعناية بهذا الباب العظيم، وهو باب الأسماء والصفات.
فانظر وأنت تقرأ القرآن إلى:

قول الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة].

وقول الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة]

وقال ﷻ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴾ [البقرة].

وقال ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٣٢٤، ٣١) والقصة رواها ابن عساکر في (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري) (ص: ٣٤٢)
وتاريخ دمشق (٥١/٣٨١). وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤/٣١٩): مدارها على أبي علي بن حَمَّان، وهو ضعيف
ا.هـ ورواها -مختصرة- الإمام البيهقي في مناقب الشافعي (١/٤٥٨) - بإسناد آخر - عن المزني قال: دار بيني وبين رجل
مناظرة فسألني عن كلام كاد أن يشككني في ديني؛ فجننت إلى الشافعي، فقلت له: كان من الأمر كيت وكيت. قال: فقال
لي: أين أنت؟ فقلت: أنا في المسجد، فقال لي: أنت في مثل "تاران" تلطمك أمواجه. هذه مسألة الملحدين والجواب فيها
كيت وكيت، ولأن يتلى العبد بكل ما خلق الله من مضاره خير له من أن يتلى بالكلام.

(٢) مناقب الشافعي (١/٤٥٨)

وقال ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة].

وقال ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

حَلِيمٌ﴾ [البقرة].

وقال ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

وقال ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة].

وهذه الآيات كلها في سورة البقرة، وفي غيرها من السور آيات أخرى:

كقول الله ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة].

وقوله ﷻ: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة].

وقوله ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال].

وقال ﷻ: ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦، ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿فَالَّذِي لَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود].

وقال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد].

وقال ﷻ: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[الحديد].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق].

فهذه الآيات كلها فيها توجيه وأمر وإرشاد من الله - سبحانه - لعباده أن يتعرفوا على

أسمائه وصفاته.

والقرآن العظيم مليء بالآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته وهي من أعظم

الآيات.

الآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته ، أعظم قدرا من آيات المعاد :

قال شيخ الإسلام رحمته الله: "الآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدرا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك: كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب رضي الله عنه: «أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟» قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فضرب بيده في صدره، وقال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر»^(١). وأفضل سورة: سورة أم القرآن: كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيح، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَمْ يُنَزَّلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»^(٢) وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد. وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من غير وجه: «أَنَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»^(٣). وثبت في الصحيح: أنه بشر الذي كان يقرؤها ويقول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن: بأن الله يحبه^(٤). فبين أن الله يحب من يحب ذكر صفاته تعالى وهذا باب واسع^(٥).

(١) مسلم (٨١٠).

(٢) الحديث بهذا اللفظ مأخوذ من حديثي أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه عند البخاري (٤٤٧٤) وهو بلفظ «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي (٢٨٧٥) بلفظ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ» وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري (٥٠١٣، ٥٠١٥، ٦٦٤٣، ٧٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه البخاري معلقا (٥٠١٤، ٧٣٧٤، ١٠٤٦٩) ووصله النسائي في السنن الكبرى (٧٩٧٥) وأبو يعلى (١٥٤٨) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢١٨) من حديث أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان رضي الله عنه ورواه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، ومن (٨١٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الباب عن جماعة آخرين من الصحابة رضي الله عنهم: منهم: أبو مسعود البدري الأنصاري، عند ابن ماجه (٣٧٨٩) والنسائي في "الكبرى" (١٠٥٢٩) وأحمد (١٢٢/٤) وفي سنده اختلاف؛ وعن ابن عباس عند الترمذي (٢٨٩٤) وعن أنس بن مالك عند الترمذي (٢٨٩٥) وابن ماجه (٣٧٨٨) وعن أبي أيوب عند الترمذي (٢٨٩٦) والنسائي (٩٩٦) وعن أبي بن كعب عند النسائي في "الكبرى" (١٠٥٢١)، ومسنده أحمد (١٤١/٥) وعن أم كلثوم بنت عقبة، عند النسائي في "الكبرى" (١٠٤٦٤) والمسنده (٤٠٣/٦، ٤٠٤) وعن ابن مسعود عند النسائي في "الكبرى" (١٠٥٠٩) وابن حبان (٢٥٧٦).

(٤) البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٣١٠/٥-٣١٢).

أسماء الله وصفاته في سورة الفاتحة:

وهذه السورة المباركة التي تُتلى في كل ركعة من ركعات الصلاة اشتملت من أسماء الله وصفاته على: أسمائه ﴿اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة].

فاسم الجلالة^(١): ﴿اللَّهُ﴾ هو اسم للرب الإله الحق؛ وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ وهو الاسم الجامع لمعانيها.

قال ابن كثير رحمته الله: وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ رحمته الله اهـ.^(٢)

وهو اسم عربي، وأصله الإله كما قال سيبويه وغيره، فهو مشتق من (أَلَهٌ يَأَلُهُ أُلُوهَةً وَإِلَاهَةً وَأُلُوهِيَّةً) بِمَعْنَى: عَبْدَ عِبَادَةٍ. فَهُوَ إِلَهٌ بِمَعْنَى مَأْلُوهٍ؛ أَي: مَعْبُودٍ^(٣).

وقد روي عن عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنه قال: «اللَّهُ ذُو الْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ»^(٤). والألوهية التعبد بحب وتعظيم. فاسم الجلالة: ﴿اللَّهُ﴾ دال على صفة له -

تعالى-، وهي الإلهية؛ فهو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له، بما فيه من المعنى الموضوع له وهو عِلْمِيَّتُهُ على ذي الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين...

واسمه ﴿الرَّحْمَنُ﴾؛ هو وصف له تعالى بأنه اتصف بغاية الرحمة ومنتهاها. وَمَنْ هذا وصفه وهذا رحمته فقصْدُ غيره وعبادةٌ سواه ورجاؤه من أضل الضلال وأبطل الباطل وأسفه السفه، ...

واسمه ﴿الرَّحِيمُ﴾؛ معناه: الذي أوصل ويوصل إلى عباده غاية الرحمة ومنتهاها، وكل ما في الموجودات من أنواع النعم والهداية والخيرات فمن رحمته وفضله وإحسانه. فمن هذا فعله بعبيده، وهذه رحمته لهم هو الذي يستحق ويجب أن يعبد ويقصد ويرجى ويناب إليه، والعدول إلى غيره ضلال بعيد، وجهل عظيم، وشرك وخيم.

(١) ربما قال بعضنا (لفظ الجلالة) واستعمال (اسم الجلالة) أفضل فتأمل؟.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١٢٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١٢٣) وبدائع الفوائد ط عالم الفوائد (١/ ٣٩).

(٤) تفسير ابن جرير (١/ ٥٤١، ١٤٨) وسنده ضعيف.

سورة الإخلاص:

وقول النبي ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ. معناه كما قال شيخ الإسلام ﷺ: القرآن باعتبار معانيه ثلاث أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي؛ لأن القرآن كلام الله. والكلام: إما إنشاء، وإما إخبار، والإخبار: إما عن الخالق، وإما عن المخلوق. والإنشاء: أمر ونهي وإباحة. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها ثلث التوحيد، الذي هو خبر عن الخالق، وقد قال ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن وعَدَلُ الشَّيْءِ -بالفتح- يكون: ما سواه، من غير جنسه، ... وذلك يقتضي: أن له من الثواب ما يساوي الثلث في القدر، ولا يكون مثله في الصفة، كمن معه ألف دينار وآخر معه ما يعدلها من الفضة والنحاس وغيرهما. ولهذا يحتاج إلى سائر القرآن، ولا تغني عنه هذه السورة مطلقا، كما يحتاج من معه نوع من المال إلى سائر الأنواع، إذ كان العبد محتاجا إلى الأمر والنهي والقصص. وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها التوحيد القولي العملي، الذي تدل عليه الأسماء والصفات، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① ② [الإخلاص: ١-٢] هـ. (١)

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ ﷺ: اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنَانِ جَمِيعَ أَصْنَافِ الْكَمَالِ لَمْ يُوجَدَا فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّورِ وَهُمَا «الْأَحَدُ الصَّمَدُ» لِأَنَّهُمَا يَدُلَّانِ عَلَى أَحَدِيَّةِ الدَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُوصُوفَةِ بِجَمِيعِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ «الْأَحَدَ» يُشْعِرُ بِوُجُودِهِ الْخَاصِّ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ وَالصَّمَدُ يُشْعِرُ بِجَمِيعِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِأَنَّهُ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ سُؤْدُودُهُ فَكَانَ مَرْجِعُ الطَّلَبِ مِنْهُ وَإِلَيْهِ وَلَا يَتَمُّ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ إِلَّا لِمَنْ حَازَ جَمِيعَ خِصَالِ الْكَمَالِ وَذَلِكَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ كَانَتْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْرِفَةِ بِصِفَاتِ الدَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ ثناء هـ. (٢)

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٣٩٤).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٢/٤٤٢ ط ابن كثير).

وقال الحافظ شمس الدين ابن القيم رحمته الله: فَسُورَةٌ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾: مُتَّصِمَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِعْتِقَادِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لِلرَّبِّ تَعَالَى مِنْ:

- الْأَحَدِيَّةِ الْمُنَافِيَةِ لِمُطْلَقِ الْمُشَارَكَةِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ،
- وَالصَّمَدِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ لَهُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يَلْحَقُهَا نَقْصٌ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ،

- وَنَفْيِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الصَّمَدِيَّةِ، وَغَنَاهُ وَأَحَدِيَّتِهِ،
- وَنَفْيِ الْكُفْرِ الْمُتَّصِمِ لِنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ وَالتَّنْظِيرِ،

فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ:

- إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ لَهُ، وَنَفْيَ كُلِّ نَقْصٍ عَنْهُ،
- وَنَفْيَ إِثْبَاتِ شَيْبِهِ أَوْ مَثِيلٍ لَهُ فِي كَمَالِهِ، وَنَفْيَ مُطْلَقِ الشَّرِيكِ عَنْهُ،

وَهَذِهِ الْأُصُولُ هِيَ مَجَامِعُ التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ الْإِعْتِقَادِيِّ الَّذِي يُبَايِنُ صَاحِبَهُ جَمِيعَ فِرَاقِ الضَّلَالِ وَالشَّرِكِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ:

فَإِنَّ الْقُرْآنَ مَدَارُهُ عَلَى الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ،
وَالْإِنْشَاءُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ، وَنَهْيٌ، وَإِبَاحَةٌ.

وَالْخَبَرُ نَوْعَانِ: خَبَرٌ عَنِ الْخَالِقِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَخَبَرٌ عَنِ خَلْقِهِ.
فَأَخْلَصَتْ سُورَةٌ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الْخَبَرَ عَنْهُ، وَعَنْ أَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، فَعَدَلَتْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَخَلَّصَتْ قَارِئَهَا الْمُؤْمِنَ بِهَا مِنَ الشَّرِكِ الْعِلْمِيِّ، كَمَا خَلَّصَتْ سُورَةٌ ﴿ قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ ﴾ مِنَ الشَّرِكِ الْعَمَلِيِّ الْإِرَادِيِّ الْقَصْدِيِّ.

وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ قَبْلَ الْعَمَلِ وَهُوَ إِمَامُهُ وَقَائِدُهُ وَسَائِقُهُ، وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ وَمُنزِلُهُ مَنَازِلُهُ، كَانَتْ سُورَةٌ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ. وَالْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ تَكَادُ تَبْلُغُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ اهـ. (١)

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ الْمِثْلِيَّةَ عَلَى تَحْصِيلِ الثَّوَابِ فَقَالَ مَعْنَى كَوْنِهَا ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَنَّ ثَوَابَ قِرَاءَتِهَا يَحْصُلُ لِلْقَارِئِ مِثْلَ ثَوَابِ مَنْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ... وَقِيلَ الْمُرَادُ: مَنْ عَمِلَ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ كَانَ كَمَنْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ... وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: مَنْ لَمْ يَتَأَوَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ أَخْلَصَ مِمَّنْ أَجَابَ فِيهِ بِالرَّأْيِ. ... وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّهَا تُضَاهِي كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمْلِ الْمُثَبِّتَةِ وَالتَّائِيَةِ مَعَ زِيَادَةِ تَعْلِيلٍ؛ وَمَعْنَى التَّئِي فِيهَا: أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّزَاقُ الْمَعْبُودُ لِأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَهُ مَنْ يَمْنَعُهُ كَالْوَالِدِ وَلَا مَنْ يُسَاوِيهِ فِي ذَلِكَ كَالْكُفَّءِ وَلَا مَنْ يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ كَالْوَالِدِ اهـ. (١)

من التأمل في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى:

فهذا كله يدلنا على أهمية العناية بتعلم أسماء الله وصفاته والتدبر والتفكر فيها؛ فهذا يعود على المسلم بالإيمان الصحيح. ويعود عليه بقوة الإيمان، فيزداد إيماناً.

الغنى الحميد:

فحينما يتأمل في أسماء الله رحمته الله وفي صفاته، ويعلم مثلاً: أن الله تعالى غنى حميدٌ ﴿﴾، فإنه يزداد ثقةً بربه رحمته الله. فله الغنى التام والحمد التام. والغنى صفة كمال لله والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء سبحانه من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما (٢)، ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، وهو الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيها، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه الغنى في حمده. (٣)

الحميد المجيد:

وتأمل مثلاً في اسمه تعالى ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ و ﴿ الْمَجِيدُ ﴾:

قال ابن القيم رحمته الله: فاسمه الحميد المجيد يمنع ترك الإنسان سدًى مهملاً معظلاً، لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب. وكذلك اسمه الحكيم أبى ذلك، وكذلك اسمه

(١) فتح الباري (٦١/٩)

(٢) ينظر: بدائع الفوائد - ط عطاءات العلم (٢٨٣/١)

(٣) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٨٧)

الملك... وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما، ومن آثارهما: مغفرة الزلات، وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات، والمساحة على الجنایات، مع كمال القدرة على استيفاء الحقّ والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها، فجلّمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن كمال عزّته وحكمته، كما قال المسيح — صلى الله على نبينا وعليه وسلم —: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك، ليست كمن يغفر عجزاً ويسامح جهلاً بقدر الحقّ، بل أنت عليمٌ بحقّك، قادرٌ على استيفائه، حكيمٌ في الأخذ به. فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر، تبين له أنّ مصدر قضاء هذه الجنایات من العبيد وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال، وغاياتها أيضاً مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربوبيّته وإلهيّته اهـ^(١)

الحكيم:

وكذلك تأمل في اسمه ﴿الْحَكِيمُ﴾ فإنك تعرف بذلك أنّ الله ﷻ له حكمة عظيمة في خلقه، وفي أمره، وفي شرعه، لم يخلق شيئاً هملًا، ولم يترك شيئاً سدى ﷻ.

السميع البصير العليم المحيط:

وإذا علم العبد أنّ ربّه ﷻ ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ وأنه سبحانه ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] وأنه سبحانه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] وأنه سبحانه ﴿يَعْلَمُ الْبُيُوتَ وَالْأَخْفَى﴾ [طه: ٧] وأنه سبحانه ﴿يَعْلَمُ الْبُيُوتَ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [الفرقان: ٦] وأنه سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٤ ط عطاءات العلم)

﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨]

فَمَنْ عَلِمَ بِاطِّلاَعِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرُؤْيِيهِ لَهُ وَإِحَاطَتِهِ بِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُثْمِرُ لَهُ حِفْظَ لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ وَخَطَرَاتِ الْقَلْبِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يُرِضِي اللَّهَ. وَتَأْمَلُ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق].

فَمَنْ وَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ نُصَبَ عَيْنِيهِ؛ حَجَزَ نَفْسَهُ عَنِ الْغَفْلَةِ وَلَزِمَ الْمُرَاقَبَةَ لِلَّهِ. لِأَنَّ الْعِلْمَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، يَمْنَعُ الْمُؤْمِنَ الصَّادِقَ الْمَوْفِقَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ. وَتَأْمَلُ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات]. فِي ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ الْكَرِيمِينَ؛ بَعْدَ الْأَمْرِ بِتَقْوَاهُ، حَثَّ عَلَى الْإِمْتِثَالِ لِلْأَمْرِ، وَتَرْهِيْبِ عَنِ الْعَدَمِ الْإِمْتِثَالِ.

وَتَأْمَلُوا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت]. فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ تَهْدِيدًا وَوَعِيدًا لِأَعْدَائِهِ وَيُؤَكِّدُهُ خَتَمَ الْآيَةِ ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فَاللَّهُ مَطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

الغني الكريم البر الرحيم:

وَهَكَذَا إِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ بِأَنَّ اللَّهَ: ﴿ عَنِّي كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]، وَأَنَّهُ ﴿ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨] الَّذِي شَمَلَ الْكَائِنَاتِ بِأَسْرَافِ بِرِّهِ وَمَنَّةِ وَعَطَائِهِ؛ فَهُوَ مَغْنِي النِّعَمِ؛ وَهُوَ وَاسِعُ الْإِحْسَانِ، وَأَنَّهُ ﴿ مَعْ غِنَاهُ عَنِ عِبَادِهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَيْهِمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ، يَرِيدُ بِهِمُ الْخَيْرَ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ الضَّرَّ، لَا لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ إِلَيْهِ مِنَ الْعَبْدِ، وَلَا دَفْعِ مَضْرَةٍ بَلْ رَحْمَةً مِنْهُ وَإِحْسَانًا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقَهُ لِيَتَكَثَّرَ بِهِمْ مِنْ قَلَّةٍ وَلَا لِيَعْتَزَّ بِهِمْ مِنْ ذَلَّةٍ وَلَا لِيَرْزُقَهُ وَلَا لِيَنْفَعُوهُ وَلَا لِيُدْفَعُوا عَنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ [الذاريات].

الحق المبين:

وَهَكَذَا حِينَ تَعْلَمُ ﴿ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور] فَتَسْأَلُ نَفْسَكَ: مَا مَعْنَى اسْمِ اللَّهِ ﴿ الْحَقُّ ﴾؟ وَمَا مَعْنَى الْمُبِينِ؟

فالحق هو الذي لا شك فيه ولا ريب، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته؛ فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعده ووعيده، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق. وهو لا يظلم أحداً مثقال ذرة. فكل هذا، يعينك على فهم أسماء الله الحسنى ويعينك على التدبر والتفكير والتأمل.

فإذا علم العبد ذلك أحبّ ربه - سبحانه - وأقبل على ربه ﷻ بكلّيته متعبداً ذاكراً لربه بلسانه، ومطيعاً لربه بجوارحه.

إذا علم العبد ذلك أثمر عنده قوة رجاءٍ بالله، وأثمر عنده الطمع فيما عند الله وإنزال جميع حوائجه به وإظهار افتقاره إليه كما قال سبحانه: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ﴾ [فاطر: ١٥].

كذلك إذا تأمل العبد في عدل الله وانتقامه، وغضبه، سبحانه وسخطه، وعقوبته، أثمر عنده الخشية، والخوف، والحذر، والبعد عن مساخط الرب ﷻ.

ولهذا يقول ربنا ﷻ: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۗ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۗ﴾ [الحجر].

إن التأمل في ذلك يدعوك - أيها المؤمن - إلى أن تعيش بين الخوف والرجاء.

ويقول سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۗ﴾ [المائدة].

وقال ﷻ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ﴾ [البقرة].

وهكذا كلما تأمل الإنسان في أسماء الله وصفاته زاده ذلك إيماناً، وزاده ذلك رفعة وقرباً من الله ﷻ.

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله تعالى: راود رجل امرأة في فلاة ليلاً، فأبَتْ، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب. قالت: فأين مكوبها؟! (١).

أي: أين الله؟! ألا يرانا؟!

فمنعها هذا العلم من اقتراف الذنب والوقوع في الخطيئة.

وكذلك جاء في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار: قال صلى الله عليه وسلم «فَبَيْنَمَا هُمْ فِيهِ إِذْ وَقَعَ حَجَرٌ مِنَ الْجَبَلِ مِمَّا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ ﷻ» (٢)، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذا العمل إلا أن تسألوا الله ﷻ بصالح أعمالكم. فاستحضرهم:

- أن الله مطلع عليهم،
- وأن الله ﷻ لن يخذلهم
- وأن الله لطيف بعباده،
- وأنه سبحانه رؤوف رحيم

هو الذي جعلهم يستحضرون أعمالهم الصالحة؛ ليتوسلوا بها إلى ربهم ﷻ.

وفي نبأ هؤلاء الثلاثة: أن أحدهم ذكر أنه راود ابنة عم له على الزنا بها على أن يعطيها مائة دينار أو مائة وعشرين، وأنها ألمت بها سنة من السنين ثم إنها وافقت، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته، قالت: له: «اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضَحْ الْحَتَامَ إِلَّا بِحَقِّهِ» (٣). فتذكر عظمة الله ﷻ وتذكر اطلاع الله ﷻ عليه، فمنعه ذلك من الوقوع فيما حرم الله ﷻ.

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (٤٩).

(٢) هذه الرواية رواها الطبراني في المعجم الكبير من ج ٢١ (٢١/١٢٩ ط سعد الحميد) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو في كتاب الدعاء أيضاً للطبراني (١٨٩) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح. وصححه شيخنا الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١١٥٢).

(٣) انظر القصة في صحيح البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وفي مسند أحمد (١٢٤٥٤) عن أنس رضي الله عنه وفي مسند البزار (٩٤٩٨، ٩٥٥٦) وصحيح ابن حبان (٩٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي الدعاء للطبراني (١٩٥) ومستخرج أبي عوانة (٥٥٨٧) عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، وفي مسند البزار (١٨٦٧)، وكتاب الدعاء للطبراني (١٨٧) عن علي رضي الله عنه، وفي كتاب الدعاء (٢٠١) والمعجم الأوسط (٦٦٧١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وفي كتاب الدعاء (١٩٦) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

أَسْمَاءُ اللَّهِ كُلُّهَا حَسَنَى وَصِفَاتُهُ كُلُّهَا صِفَاتٌ عَلَيْهَا وَكُلُّهَا كَمَالٌ :

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن: "أَسْمَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كُلُّهَا حُسْنَى؛ وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا جَمِيلَةٌ، وَخَيْرٌ^(١)، وَحِكْمَةٌ، وَمَصْلِحَةٌ، وَإِحْسَانٌ، وَصِدْقٌ، وَعَدْلٌ، وَرَحْمَةٌ؛ وَصِفَاتُهُ: كُلُّهَا كَمَالٌ؛ وَكُلُّهَا صِفَاتٌ مَدْحٌ، لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ بَوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ"^(٢) وقولنا: "حسنى: أي: بالغة في الحسن غايته؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قال ابن القيم رحمته الله: وهي مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها فهو المحبوب المحمود لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه اه^(٣).

فإذا تأملت في اسم الله سبحانه **﴿الحي﴾** عرفت أنه دالٌّ على صفة الحياة لله سبحانه وأنها صفة كاملة لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها نقص بخلاف الصفة للإنسان؛ فالإنسان يُوصف بأنه "حي" لكنَّ حياته حياةٌ تليق بضعفه وعجزه وفقره؛ فإنها حياة سبقها عَدَمٌ كما قال سبحانه: **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾** [الإنسان] وحياة يعقبها موت؛ فالله سبحانه يقول: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴿٣﴾﴾** [الزمر] ويقول سبحانه: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿٥٨﴾﴾** [آل عمران]. وأما ربنا سبحانه فهو الحيُّ **﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾** [الفرقان]:

[٥٨] سبحانه ^(٤).

(١) قال ابن القيم رحمته الله: أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى وهذا باطل فالشر ليس إليه فكما يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته لا يدخل في أفعاله فالشر ليس إليه لا يضاف إليه فعلا ولا وصفا وإنما يدخل في مفعولاته. وفرق بين الفعل والمفعول فالشر قائم بمفعوله المبين له لا بفعله الذي هو فعله فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين وزلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم اه من بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (١/٢٨٨)

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة (١/٤١٧) وكتاب الروح (ص: ٢٦٢) والفوائد (ص: ١٨٢) وروضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤١٩) وزاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٢١١) وطريق المهجرتين وباب السعادتين (ص: ٩٣)

(٣) انظر: طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣١٨).

(٤) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ٧) للعلامة ابن عثيمين رحمته الله.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: ... الكمال ثابت لله، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه؛ فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك... وثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة، دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له، وتفصيل محامده، وأن له المثل الأعلى، وإثبات معاني أسمائه، ونحو ذلك، كله دال على هذا المعنى... ولم يعلم أحد من الأمة نازع في هذا المعنى، بل هذا المعنى مستقر في فطر الناس، بل هم مفطورون عليه، فإنهم كما أنهم مفطورون على الإقرار بالخالق، فإنهم مفطورون على أنه أجل وأكبر، وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء ا.هـ^(١)

أسماء الله غير محصورة بعدد:

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء الله سبحانه غير محصورة بعدد كما ورد في الحديث المشهور: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»^(٢).
قال الخطابي رحمته الله: فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ لِهٖ أَسْمَاءَ لَمْ يُزَلِّهَا فِي كِتَابِهِ، حَجَبَهَا عَنْ خَلْقِهِ، وَلَمْ يُظْهِرْهَا لَهُمْ ا.هـ^(٣). وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَا فَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي

(١) الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال (ص: ٩)

(٢) حديث حسن. أخرجه أحمد (٣٩١/١، ٤٥٢) وغيره من طريق الفضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده. والحديث صححه ابن حبان (٩٧٢) والحاكم في المستدرک (١/ ٦٩٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ إِنْ سَلِمَ مِنْ إِرْسَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ فَإِنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي سَمَاعِهِ عَنْ أَبِيهِ "ا.هـ. وخرجه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩) وتكلم عليه وأجاب عما علل به بما لا مزيد عليه.

(٣) شأن الدعاء (٢٥/١)

ثَنَاءٌ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فأخبر أنه لا يحصي ثناء عليه ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها فكان يحصي الثناء عليه لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه^(٢).
فنؤمن بما ورد في الكتاب والسنة، وبما استأثر الله ﷻ بعلمه عنا مما لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

وأما قوله ﷻ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣). فقولُه: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» صفة لا خبر مستقل، أي له أسماء متعددة موصوفة بأن «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها؛ كما تقول لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة ومائة فرس أعدها للجهاد فهذا لا ينفي أن يكون له سواهم معدون لغير الجهاد؛ وهذا قول الجمهور^(٤) وخالفهم: ابن حزم فرعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد.^(٥)

أسماء الله وصفاته توقيفية:

ثم اعلموا أن أسماء الله لا تثبت بالعقل، وكذلك صفاته، وإنما تثبت بالوحي، فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزداد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء والصفات، فوجب الوقوف في ذلك على النص، فإذا أثبت المسلم لله اسمًا أو صفةً فيجب أن يكون على ذلك دليلٌ من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ.^(٦)

(١) صحيح مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣/٣٣٢)

(٣) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٣/٢٢٣) وبدائع الفوائد (١/١٦٧) وشفاء العليل (ص: ٢٧٧).

(٥) انظر: المحلى (١/٥٠)، والفصل (٢/١٢٦)

(٦) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٧٠) لابن القيم؛ والقواعد المثل

في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ١٣) لابن عثيمين.

بعض الكتب النافعة في هذا الباب:

وأدلكم على بعض الكتب النافعة في هذا الباب ومنها:
 "كتاب القواعد المثلى" للشيخ العلامة ابن عثيمين رحمته الله تعالى،
 وهو كتاب نافع جداً وسهل في فهم هذا الباب.
 وكذلك كتابُ شيخنا وابن شيخنا: الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر "فقه
 الأسماء الحسنى"
 فهو من الكتب العظيمة النافعة التي أحتُتْ إخواني وأحُتُّ السامعين على مراجعتها
 والعيش معها؛ فإنه تكلم فيه عن أسماء الله ﷻ وصفاته، فذكر الأسماء اسماً اسماً،
 وتكلم عمّا فيها من المعاني، بأسلوب سهل واضح.
 وهذا يعيننا على التفكير والتأمل والتدبر.
 والخلاصة: أنّ الشعبة الأولى من شعب الإيمان هي شعبة الإيمان بالله -سبحانه-
 وهي أعظم الشعب، والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:
 الإيمان بوجود الله. وبربوبيته. وبألوهيته. وبأسمائه وصفاته.
 وهذا الباب باب عظيم واسع، لكن نقصر منه على ما تيسر ذكره في هذه المجالس.
 والله أعلم



انتهى الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني:

الإيمان بالرسل الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

المحتويات

٥	التقديم للكتاب
٧	تقديم فضيلة الشيخ الدكتور عزيز بن فرحان العنزي حفظه الله
٩	مقدمة الشيخ الدكتور رشاد بن حمود الحزمي حفظه الله
١١	مقدمة فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله
١٢	مقدمة الشيخ المحدث أبي عمار محمد بن عبد الله باموسى حفظه الله
١٥	مقدمة الشيخ الفقيه نعمان بن عبد الكريم الوتر حفظه الله
١٦	مقدمة الطبعة الثانية
١٧	مقدمة الطبعة الأولى
١٧	نبذة عن الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
١٨	من مؤلفات الإمام البيهقي
٢٠	كتاب شعب الإيمان
٢٠	هذه المجالس
٢١	المنهج المتبع في ري الظمان
٢٣	كلمة شكر
٢٥	تمهيد حديث شعب الإيمان وبيان حقيقة الإيمان
٢٧	المجلس الأول
٢٧	حديث شعب الإيمان
٢٧	فضل العلم
٢٨	ومن أعظم العبادات طلب العلم
٢٩	حديث شعب الإيمان
٣٠	فصل في ذكر روايات الحديث
٣٢	منزلة الإيمان
٣٣	معنى الإيمان
٣٤	الاعتقاد من الإيمان

٣٤	القول من الإيمان
٣٤	أبو طالب عم رسول الله ﷺ
٣٦	العمل من الإيمان
٣٦	من ترك الصلاة كفر
٣٧	معنى كلمة بضع
٣٧	معنى كلمة شعبة
٣٧	قوله ﷺ سَبْعُونَ شُعْبَةً
٣٧	منزلة التوحيد
٣٩	قوله ﷺ «وأدناها» وفضل إماطة الأذى عن الطريق
٣٩	منزلة الحياء من الدين
٤٠	المجلس الثاني
٤٠	بيان حقيقة الإيمان
٤٠	قول القلب وعمله
٤٣	قول اللسان
٤٥	الشهادتان أصل قول اللسان
٤٧	عمل الجوارح
٤٩	زيادة الإيمان ونقصانه
٥٢	المجلس الثالث
٥٢	الأمر التي يُستمد منها الإيمان
٥٢	تدبر معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا
٥٥	دعاء أوصانا نبينا ﷺ بتعلمه يذهب الله به الهم والحزن
٥٥	دعاء علمه نبينا ﷺ لأبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>
٥٦	أسماء الله الحسنى مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة
٥٦	توحيد الربوبية
٥٦	إقرار المشركين بتوحيد الربوبية
٥٧	توحيد الألوهية

٥٧	تفسير كلمة التوحيد
٥٧	دعوة الأنبياء إلى توحيد الألوهية
٥٨	أول نداء وأول أمر في القرآن
٥٩	وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً
٦١	المجلس الرابع
٦١	تتمة الأمور التي يُستمد منها الإيمان
٦١	تدبر كتاب الله ﷻ
٦٢	بركة القرآن
٦٣	آية سورة ص
٦٣	كلام بديع ومهم للحسن البصري
٦٥	أهمية علم وفهم السلف عند تدبر كتاب الله ﷻ
٦٥	الحكمة من طلب الهداية في سورة الفاتحة
٦٨	حال الصحابة مع تدبر القرآن
٧٠	مزيد من الآيات في الحث على تدبر القرآن
٧١	كلام بديع لشيخ الإسلام في بيان أهمية التدبر والعمل بالقرآن
٧٥	المجلس الخامس
٧٥	تفسير آية الحجرات
٧٥	الإيمان أخص من الإسلام
٧٦	الدلائل على أن الأعراب الذين نزلت فيهم الآية كانوا مسلمين
٧٨	من فوائد الآية
٧٨	الفرق بين كلمة الإسلام وكلمة الإيمان
٧٨	إذا اجتمعنا في سياق واحد
٧٩	إذا لم يجتمعا في سياق واحد
٨٠	مسألة الاستثناء في الإسلام والإيمان
٨١	بعض ما ورد عن السلف في ذلك
٨٧	الركن الأول من أركان الإيمان بالإيمان بالله

٨٩ المجلس السادس
٨٩ الشعبة الأولى من شعب الإيمان بالإله
٨٩ تعداد العلماء لشعب الإيمان
٨٩ الشعبة الأولى الإيمان بالإله
٩٠ الإيمان بالإله يتضمن أربعة أمور
٩٠ الأمر الأول الإيمان بوجود الإله
٩١ الأدلة على الأمر الأول الإيمان بوجود الإله
٩٣ من دعوة الخليل إبراهيم <small>عليه السلام</small> لقومه
٩٣ من أدلة الإمام أبي حنيفة العقلية على وجود الإله
٩٤ من أدلة الإمام مالك العقلية على وجود الإله
٩٤ من أدلة الإمام الشافعي العقلية على وجود الإله
٩٥ من أدلة الإمام أحمد العقلية على وجود الإله
٩٦ التأمل في خلق الإنسان
٩٧ فليتنظر الإنسان إلى طعامه
٩٩ التأمل في الكون الفسيح
٩٩ التفكير والتأمل في الآيات الكونية والشرعية
١٠٠ تفكر رسولنا <small>صلى الله عليه وسلم</small> وتأمله
١٠١ من سير السلف في التأمل والتفكير
١٠٢ ذم من لا يعتبر ويتفكر بمخلوقات الإله
١٠٣ تفكروا في آلاء الإله ولا تفكروا في ذات الإله
١٠٥ علاج الوسواس في ذات الإله
١٠٨ المجلس السابع
١٠٨ من أدلة الإيمان بوجود الإله
١٠٨ دلالة العقل على وجود الإله
١١٢ دلالة الحس
١١٣ دلالة الفطرة

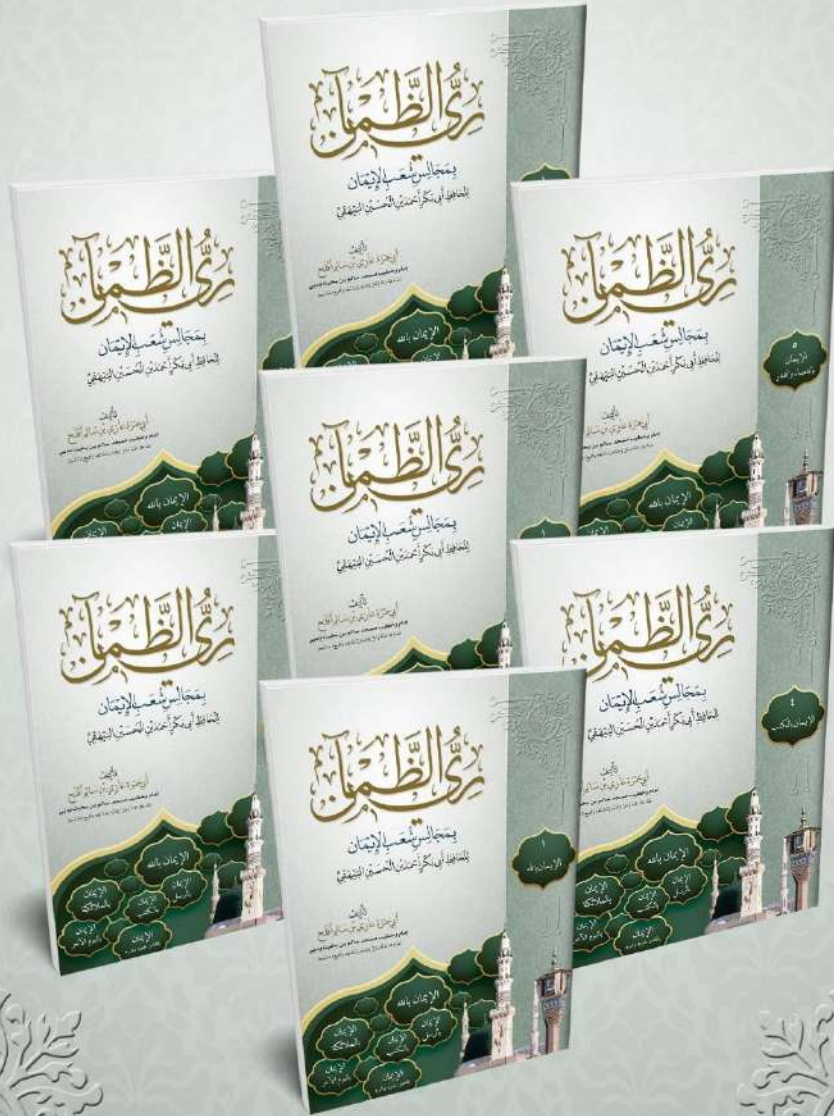
١١٣	دلالة الشرع
١١٣	الإيمان بربوبية الله
١١٣	معنى "الرب"
١١٥	أقسام الربوبية
١١٥	من معاني توحيد الربوبية
١١٥	إقرار المشركين بالربوبية لله
١١٦	توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية
١١٧	الآية التي قطعت عروق الشرك
١١٩	لا يعلم الغيب إلا الله
١١٩	وقوع الشرك في الربوبية
١٢١	المجلس الثامن
١٢١	الإيمان بألوهية الله
١٢٢	الحكمة من خلق الثقلين
١٢٢	توحيد الألوهية يسمى توحيد العبادة
١٢٣	تعريف العبادة
١٢٣	توحيد الألوهية هو دعوة الأنبياء
١٢٤	تفسير الطاغوت
١٢٦	الخطأ في تفسير كلمة التوحيد
١٢٦	فضل كلمة التوحيد
١٢٦	كلمة التوحيد هي العروة الوثقى
١٢٧	هي الكلمة العليا
١٢٧	هي الكلمة الحق
١٢٧	هي الكلمة الطيبة
١٢٨	هي القول الثابت
١٢٨	هي العهد
١٢٨	هي أعظم الحسنات

- ١٢٩..... هي النعمة العظيمة
- ١٣٠..... هي كلمة التقوى
- ١٣٠..... هي الكلمة الباقية
- ١٣٠..... هي الحسنى
- ١٣١..... هي كلمة الإخلاص المنجية من عذاب الله
- ١٣١..... هي دعوة الأنبياء
- ١٣٢..... أركان كلمة التوحيد
- ١٣٢..... العبادة لا تصرف إلا لله
- ١٣٤..... المجلس التاسع
- ١٣٤..... الإيمان بأسماء الله وصفاته
- ١٣٤..... معنى الإيمان بأسماء الله وصفاته
- ١٣٤..... معاني الأسماء والصفات ودلالاتها
- ١٣٦..... معنى التحريف
- ١٣٦..... مثال تحريف اللفظ
- ١٣٦..... مثال تحريف المعنى
- ١٣٧..... معنى التعطيل
- ١٣٧..... معنى التكييف
- ١٣٧..... معنى التمثيل والتشبيه
- ١٣٧..... الفرق بين التشبيه والتمثيل والتكييف
- ١٣٨..... السلامة في ألا يتجاوز القرآن والسنة
- ١٤١..... الحذر من التحريف
- ١٤١..... الأسماء الحسنى أعلام وصفات
- ١٤٢..... قاعدة أهل السنة في هذا الباب
- ١٤٢..... قصة لعبد الرحمن بن مهدي في رفع الشبهة في باب الأسماء والصفات
- ١٤٣..... قصة الشافعي مع تلميذه المزني
- ١٤٤..... منزلة الإيمان بأسماء الله وصفاته

- ١٤٦..... الآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته ، أعظمُ قدرا من آيات المعاد
- ١٤٧..... أسماء الله وصفاته في سورة الفاتحة
- ١٤٨..... سورة الإخلاص
- ١٥٠..... من التأمل في أسماء الله الحسنی وصفاته العلی
- ١٥٠..... الغني الحميد
- ١٥٠..... الحميد المجيد
- ١٥١..... الحكيم
- ١٥١..... السميع البصير العليم المحيط
- ١٥٢..... الغني الكريم البر الرحيم
- ١٥٢..... الحق المبين
- ١٥٥..... أسماء الله كلها حسنی وصفاته كلها صفات عليا وكلها كمال
- ١٥٦..... أسماء الله غير محصورة بعدد
- ١٥٧..... أسماء الله وصفاته توقيفية
- ١٥٨..... بعض الكتب النافعة في هذا الباب
- ١٥٩..... المحتويات

بِرِّ الظَّمَانِ

بِمَجَالِسِ شَعْبِ الْإِيمَانِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

٢
الإيمان بالرسول

تَأَلَّفُ
أَبِي حَمْرَةَ غَازِي بْنِ سَالِمٍ أَفْلَحَ
إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

الإيمان
بالرسول

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان

بالقدر خيره وشره



سلسلة: رِيّ الظَّمَانِ بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ (٢)

الْإِيمَانُ بِالرَّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلح

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي الشيخ محمد بن عبد الله باموسي

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفسح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام

التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com



الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar

الركن الثاني من أركان الإيمان

الإيمان بالرسول

المجلس العاشر (١)

الشعبة الثانية من شعب الإيمان: الإيمان بالرسول

الشعبة الثانية هي الإيمان برسول الله صلوات الله وسلامه عليهم.

الإيمان بالرسول يتضمن أربعة أمور:

والإيمان بالرسول يتضمن أربعة أمور:

أولها: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى.

والثاني: الإيمان بمن عَلِمْنَا اسمه منهم باسمه مثل: نبينا محمد ﷺ، وبقية الأنبياء

المذكورين في القرآن كنوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ.

أولوا العزم من الرسل:

وهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل، وهم أفضل الرسل، ونبينا ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، وأفضل هؤلاء الخمسة. وهؤلاء الأنبياء الخمسة الذين هم أولوا العزم من الرسل قد جاء ذكرهم في موضعين من كتاب الله تعالى:

قال ﷺ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]

وقال ﷺ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً كما سيأتي معنا.

والأمر الثالث: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

والأمر الرابع: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل

إلى جميع الناس إلى الثقلين من الجن والإنس.

(١) كان في يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

يقول الإمام البيهقي رحمته الله تعالى: الثاني من شعب الإيمان، وهو باب في الإيمان برسول الله -صلوات الله عليهم عامة- اعتقادًا وإقرارًا إلا أن الإيمان بما عدا نبينا صلوات الله عليه هو الإيمان بأنهم كانوا مرسلين إلى الذين ذكروا لهم أنهم رسل الله إليهم، وكانوا في ذلك صادقين محققين، والإيمان بالمصطفى نبينا صلوات الله عليه هو التصديق بأنه نبيه ورسوله إلى الذين بعث فيهم، وإلى من بعدهم من الجن والإنس إلى قيام الساعة^(١).

من أدلة الإيمان بالرسول:

ثم ذكر البيهقي رحمته الله أدلة على ذلك^(٢)، منها: قول الله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [النساء: ١٣٦]. هذه الآية دليل على أن الإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان، ويقول ربنا تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ وَ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران].

كفر من كذب بالرسول:

فإذا عرفت أن الإيمان بالأنبياء أصل من أصول الدين، وأصل من أصول الإيمان، فإن من لم يؤمن بالرسول فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً. يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء].

وتأملوا قول الله تعالى في قوم زعموا أنهم مؤمنون، ولكنهم كفروا بالرسول والكتب قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١] فالذين يقدرُونَ الله حق قدره، ويعلمون صفاته التي اتصف بها من العلم والحكمة والرحمة لا بد أن يوقنوا بأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ لأن هذا مقتضى صفاته؛ فهو - سبحانه - لم يخلق الخلق عبثاً، قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة].

(١) شعب الإيمان (٢٧٢/١).

(٢) انظر شعب الإيمان (٢٧٢/١).

كفر من لم يؤمن بنبينا محمد ﷺ من أهل الكتاب:

ومن كفر بالرسول وهو يزعم أنه يؤمن بالله، فهو عند الله كافر؛ إذ أمرنا الله- سبحانه- بالإيمان بجميع الأنبياء فمن كفر برسول واحد كفر بجميع الرسل. وهؤلاء الذين يزعمون أنهم أهل كتاب من يهود ونصارى وهم يكفرون بمحمد ﷺ هم كفار، وبعض الناس يجد حرجاً من وصفهم بالكفر، ويقول: كلاً، إنهم أهل كتاب. وهذا من الجهل فإن التكذيب برسول واحد تكذيب لهم جميعاً.

التكذيب برسول واحد تكذيب لجميع المرسلين:

نعم، هم أهل كتاب، لكنهم لما كفروا بنبينا ﷺ صاروا مكذابين لجميع الأنبياء، وتأمل قول الله ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الشعراء]

وقال ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الشعراء]

وقال سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الشعراء]

وقال سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الشعراء]

وقال سبحانه: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الشعراء]

وقال ﷻ: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا

لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفرقان]

ولو تأملت فكل أمة كذبت رسولها إلا أن التكذيب برسول واحد يعد تكديماً بالرسول كلهم؛ ولهذا لا يفرق المؤمن بين أحد منهم، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء]. فنصت الآية على كفر من زعم الإيمان بالله وكفر بالرسول ﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾. فهذا كفر، حيث فرض الله على الناس أن يعبدوه لكن كيف يعبدونه؟ يعبدونه بما شرع على السنة الرسل، فإذا كفروا برسول منهم فقد ردوا شريعة الله ﷻ، فهذا من التفريق بين الرسل.

وجوب الإيمان بجميع الرسل:

والله-تعالى-يقول: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]

قال ابن تيمية رحمته الله: فَأَمَرْنَا أَنْ نَقُولَ: آمَنَّا بِهَذَا كُلِّهِ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَمَنْ بَلَغَتْهُ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يُقِرَّ بِمَا جَاءَ بِهِ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا مُؤْمِنًا؛ بَلْ يَكُونُ كَافِرًا وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ أَوْ مُؤْمِنٌ ^(١).

ومن سار على هذا النهج فقد اهتدى؛ ولهذا جاءت الآية بعد ذلك: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِءَ فَقَدْ ءَاهْتَدَوْا ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وأنا أدعو كل مؤمن أن يقف عند هذه الآية متأملاً في هذا السياق ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِءَ ﴾. أي من جميع الرسل، وجميع الكتب، وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله ﴿ فَقَدْ ءَاهْتَدَوْا ﴾ للصراط المستقيم. فالهداية التامة هي أن تكون موافقاً في الإيمان لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي في عصيان وفراق وحرب لله ولرسوله ولكم ﴿ فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ ﴾ بأي نوع من العقوبات، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لما يقولون من الباطل ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما يبطنون لك ولأصحابك المؤمنين في أنفسهم من الحسد والبغضاء.

مدح المؤمنين الذين لم يفرقوا بين الله ورسوله:

وإن ربك صلى الله عليه وسلم امتدح رسول هذه الأمة والمؤمنين الذين تابعوه في الإيمان فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِءَ وَكُتُبِهِءَ وَرُسُلِهِءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِءَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ووعد الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يفرقوا

(١) التدمرية ط العبيكان (ص: ١٧٢)

بين الرسل بالمشوبة والأجر العظيم، فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم بِحَسَبِ عَمَلِهِمْ جَزَاءً ﴾ [النساء].

ذم من آمن ببعض الرسل وكفر ببعض:

وذم الله ﷺ أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعض فقال ﷺ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنُؤِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١] فاليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد عليه الصلاة والسلام والنصارى لا يؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام فكانوا بذلك -جميعا- كفارًا. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١)

قال العلامة الألباني رحمته الله: «يَسْمَعُ بِي»: أي: على حقيقته صلى الله عليه وسلم بشراً رسولاً نبياً فمن سمع به على غير ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الهدى والنور ومحاسن الأخلاق؛ بسبب بعض جهلة المسلمين؛ أو دعاة الضلالة من المنصرين والملحدين؛ الذين يصورونه لشعوبهم على غير حقيقته صلى الله عليه وسلم المعروفة عنه؛ فأمثال هؤلاء الشعوب لم يسمعوا به، ولم تبلغهم الدعوة، فلا يشملهم الوعيد المذكور في الحديث اهـ.^(٢)

وقد أصبح بعض الناس بسبب جهلهم بالدين، يعتقدون أن اليهود ليسوا كفارًا، وأن النصارى ليسوا كفارًا، فيقولون: الناس، مسلمون ويهود ونصارى وكفار، على اعتبار أن غير اليهود والنصارى هم الكفار، والله يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة].
-فاللَّهُمَّ اهد ضال المسلمين-

(١) صحيح مسلم (١٥٣)، تفرد به عن أصحاب الكتب الستة كما في تحفة الأشراف (١٥٤٧٤).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢٥١/٧)

عدد الأنبياء والرسل:

جاء حديث صحيح أخرجه الطبراني والحاكم في مستدركه في بيان ذلك. وهو حديث أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيًّا كَانَ أَدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ» قَالَ: كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: «عَشْرُ قُرُونٍ» قَالَ: كَمْ بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: «عَشْرُ قُرُونٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كَانَتِ الرُّسُلُ؟ قَالَ: «ثَلَاثٌ مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ عَشْرَةٌ جَمًّا غَفِيرًا»^(١).

ومما يستفاد من هذا الحديث أن الأنبياء والرسل الذين ذكرهم الله ﷻ في القرآن، وسماهم لنا بالاسم، وعددهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، هم بعض الأنبياء والمرسلين وليسوا جميعاً، وقد جاء القرآن صريحاً في ذلك: فقال ﷻ: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨]

جملة المذكورين في القرآن من الأنبياء والمرسلين خمسة وعشرون:

سمى الله ﷻ من الأنبياء والمرسلين في كتابه خمسة وعشرين. فذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَنُوحًا وَهُودًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٩/٨) وفي الأوسط (٤٠٣) وابن حبان في صحيحه (٦١٩٠) الشطر الأول منه. وابن أبي حاتم في التفسير مفرقا (٦١٧٧، ٦٩٦٩، ١٥١٨٣) والحاكم (٣٠٣٩) وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٤٠). والحديث رواه الحاكم قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَارِيُّ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِيِّ، ثنا أَبُو تَوْبَةَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعِ الْحَلْبِيِّ، ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَامٍ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ سَلَامٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو أَمَامَةَ. وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم. قلت: أبو توبة ومن فوقه على شرط مسلم. لكن أبو توبة من طبقة شيوخ مسلم وروى عنه بواسطة الحسن الحلواني، فيقال رجاله رجال مسلم، ولا يقال على شرط مسلم كما هو محرر في كتب الاصطلاح والله أعلم وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨).

فهذه الآيات من سورة الأنعام ذكر الله فيها ثمانية عشر نبياً ورسولاً.
وقال بعضهم:

في تلك حُجَّتْنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَيَقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ:
إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ، صَالِحٌ وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ، آدَمُ، بِالْمُخْتَارِ قَدْ حُتِّمُوا

فأما أبونا آدم عليه السلام: فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ﴾ [آل عمران: ٣٣].
وتقدم قول النبي عليه الصلاة والسلام عن آدم: إنه «نبيُّ معلَّمٍ مكلَّمٍ».
وقال تعالى في إدريس وذي الكفل عليهما السلام: ﴿ وَاسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ وَادَّكُرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص].
وفي هود عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥].
وفي صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف: ٧٣].
وفي شعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف: ٨٥].
وفي خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولَ اللَّهِ ﴾ [الفتح: ٢٩].
فهؤلاء خمسة وعشرون نبياً عليهم السلام ذكرهم الله جل جلاله في كتابه.

الخلاف في نبوءة الكفل:

وقد ذكر بعض العلماء خلافاً في نبوءة ذي الكفل.
قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي-عليه من ربه الصلاة والسلام- وهذا هو المشهور، وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبياً، وإنما كان رجلاً صالحاً وحكماً مقسِطاً عادلاً، وتوقف ابن جرير في ذلك فالله أعلم^(١).

الأنبياء العرب:

وقال العلماء: أربعة من هؤلاء من العرب وهم: نبي الله هود، ونبي الله صالح،

(١) البداية والنهاية (١/٥١٦).

ونبي الله شعيب، ونبينا صلى الله عليهم أجمعين^(١).

بعض الأنبياء الذين ذكروا في السنة:

وجاء أيضاً في السنة النبوية ذكُر بعض الأنبياء، ومنهم:

نبي الله يوشع بن نون عليه السلام:

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بَضْعَ امْرَأَةٍ...»^(٢) إلى آخر الحديث. وهذا النبي هو يوشع عليه السلام لقوله في الحديث الآخر: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ»^(٣)

الخلاف في نبوءة ذي القرنين وتبع:

واختلف العلماء في ذي القرنين وفي تُبَع المذكور في قوله تعالى: ﴿أَهْمُ حَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَعٍ﴾ [الدخان: ٣٧] هل كانا نبيين أم لا؟ وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا أَدْرِي تُبَعٌ أَنْبِيَاءٌ كَانَ أَمْ لَا؟ وَمَا أَدْرِي ذَا الْقَرْنَيْنِ أَنْبِيَاءٌ كَانَ أَمْ لَا؟» وهو حديث ضعيف^(٤)

(١) وورد ذلك في حديث مرفوع، رواه ابن حبان (٣٦١) وإسناده ضعيف جدا. وانظر: «البداية والنهاية ط هجر» (٢٨٣/١) للحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٨٣١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٢) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩٤٥)

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (١٠٤) بهذا اللفظ من طريق عَبْدِ الرَّزَّاقِ، قَالَ أَنبَاءُ مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذُنَبٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فَذَكَرَهُ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ، ... وَلَمْ يَخْرُجَاهُ. وَاسْتَظْهَرَ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رحمته الله أَنَّهُ بِهَذَا اللَّفْظِ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ أَوْ الطَّابِعِ - كَمَا فِي الصَّحِيحَةِ (٢٥٣/٥) - وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْمُسْتَدْرَكِ (٢١٧٤) - عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ - وَلَفْظُهُ: «مَا أَدْرِي أَتُبَعٌ لَعِينًا كَانَ أَمْ لَا، ...» الْحَدِيثُ وَرَوَاهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ الْحَنَائِي فِي «الْفَوَائِدِ الْحَنَائِيَّاتِ» (٢٥٥/١): وَقَالَ الْحَافِظُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّخَشَبِيُّ فِي تَخْرِيجِهِ لِلْحَنَائِيَّاتِ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ أَه. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ (٤٦٧٤) عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ وَلَفْظُهُ: «مَا أَدْرِي أَتُبَعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا، وَمَا أَدْرِي أَعَزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا» وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (٥٧٠/٨) عَنِ الْحَاكِمِ بِاللَّفْظِ الثَّانِي ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ... وَرَوَاهُ هِشَامُ الصَّنْعَانِيُّ، عَنْ مَعْمَرٍ، -بِهِ- مُرْسَلًا قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَهُوَ أَصَحُّ، وَلَا يَنْبُتُ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، لِأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْحُدُودُ كَقَارَةَ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: قَدْ كَتَبْنَا مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ ابْنِ

الخلاف في نبوءة الخضر عليه السلام :

واختلف العلماء في الخضر عليه السلام، أنبيياً كان أم لا. وسياق القصة يدل على أنه نبي من الأنبياء وليس ولياً من الأولياء فحسب؛ بدليل أن الله قال: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ۗ ﴾ [الكهف] وهذه الرحمة هي النبوة والعلم الذي أوحى الله ﷻ به إليه وكذلك قول موسى عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۗ ﴾ [الكهف] فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم يكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم، واجب العصمة، كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولي غير واجب العصمة؛ فهذا يدل على أنه كان نبياً من الأنبياء. وكذلك أقدم الخضر عليه السلام على قتل ذلك الغلام، وما كان ليفعل ذلك إلا بوحى إليه من المَلِكِ الْعَلَامِ ﷻ. فكل هذا يدل على ماذا؟

يدل على أن الخضر عليه السلام، كان نبياً من الأنبياء في زمن موسى عليه السلام.

إذاً: نؤمن بمن جاء ذكره في الكتاب والسنة تفصيلاً كما ورد ونؤمن إجمالاً بمن لا نعرف اسمه، وقد أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام أنهم جمع غفير وعدد كبير، فنؤمن بهم إجمالاً، ونؤمن بكل نبي بعثه الله ﷻ. يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ ۗ ﴾ [غافر: ٧٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ ﴾ [النحل: ٣٦] فما من أمة من الأمم إلا وبعث الله ﷻ إليها رسولاً.

أبي ذئب مؤصلاً اهتم ذكره البيهقي عن شيخه الحاكم وهو في المستدرک (٣٦٨٢) قال الحاكم حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي... فذكره وعبد الرحمن بن الحسن متهم بالكذب. فلا يفرح به. والحاصل أنه اختلف في سنده ومتمنه، وقد رجح البخاري وكذا الدارقطني والحافظ النخشي وابن عبد البر المرسل. انظر التاريخ الكبير للبخاري (١٥٢/١)، وتخریج الحنائيات (٢٥٥/١) وقول الدارقطني نقله ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عند الحديث (١٥٥٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/١١). وقد سئل أبو زرعة الرازي [كما في الجرح والتعديل (٧١/٩)] عن هشام وعبد الرزاق ومحمد بن ثور فقال: كان هشام أكبرهم وأحفظهم وأتقن. وذكر الذهبي في ترجمة هشام [كما في سير أعلام النبلاء (٥٨٠/٩)] أنه من أقران عبد الرزاق لكنه أجل وأتقن.

أول الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ :

وأولهم نوح عليه السلام؛ وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء: ١٦٣]
وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤﴾ [الأحزاب]

الفرق بين النبي والرسول :

وقد ذكر العلماء من مسائل هذا الباب التفريق أو الفرق بين النبي والرسول، وإن كانت هذه المسألة ليست من المسائل التي ينبني عليها عملٌ إلا أن العلماء ذكروا أن هناك فرقاً بين النبي والرسول، وهذا على الصحيح من الأقوال، فمن العلماء من لا يفرق، ولكن الصواب أن هناك فرقاً بين النبي والرسول. واختلف العلماء في تعيين الفرق بينهما: فقول:

١- إن النبي والرسول كلاهما يوحي إليه بالوحي إلا أن الرسول أمره الله بالتبليغ، والنبي لم يؤمر بالتبليغ، وقد ذهب إلى هذا القول كثير من العلماء.
فإن قيل: فإن كان لا يؤمر بالتبليغ أليس في ذلك كتمانٌ للعلم؟
فالجواب: أن المقصود أنه لم يؤمر بالتبليغ أي: لم يُوجِب عليه، لكنه لم يُنَه عن الدعوة.

٢- ومن أهل العلم من يقول: كلاهما -النبي والرسول- أُوحِيَ إليه، وكلاهما مأمور بالبلاغ إلا أن الرسول معه كتاب من عند الله.

٣- ومنهم من يقول: الرسول ينزل عليه كتاب أو يأتيه ملك، والنبي من يُوحَى إليه أو يكون تبعاً لرسول آخر.

والأقوال في التفريق بينهما كثيرة، لكن من أقرب هذه الأقوال قول من قال:

٤- إن النبي والرسول: يشتركان في أن كليهما يُوحَى إليه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء: ١٦٣] فأخبر الله أن الأنبياء يُوحَى إليهم فكذلك الأنبياء والرسول يوحي إليهم، ويشتركان أيضاً في أن النبي والرسول مأموران

بالبلاغ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]. فأثبت الرسالة للرسول وأثبت الرسالة للنبي. يقول العلامة الشنقيطي رحمته الله في أضواء البيان: وآية الحج هذه تُبَيِّنُ أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أُوحِيَ إليه وحي، ولم يُؤَمَّرَ بتبليغه، وأنَّ الرسول هو النبي الذي أُوحِيَ إليه، وأُمِرَ بتبليغ ما أُوحِيَ إليه غير صحيح؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ يدلُّ على أنَّ كلاً منهما مرسلٌ، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير، واستظهر بعضهم أنَّ النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من لم يُنزل عليه كتابٌ، وإنما أُوحِيَ إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله^(١). إذاً جعلوا التفريق بين النبي والرسول ليس من جهة التبليغ، وإنما من جهة الكتاب الذي أنزل إليه أو الشريعة التي أُوحِيَ إليه بها.

٥- وقال بعضهم: الفرق بين النبي والرسول: أن النبي يُبعثُ لتقرير شريعة من كان قبله من الأنبياء. وقالوا: يُبعثُ إلى قوم مسلمين يدعوهم إلى الله، ويُبَيِّنُ لهم دين الله وشرع الله، وأما من بعثه الله تعالى إلى قوم كافرين يأمرهم وينهاهم فإنه رسول حتى لو لم يُعرف كتاب أنزل إليه، وهذا القول قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله. فإنه قال في جملة ما قال: فالأنبياء يُنبئهم الله؛ فيخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي، فإن أرسلوا إلى كفار يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ولا بُدَّ أن يُكذِّبَ الرسلَ قومٌ قال الله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٢]. فجعل الفرق أنَّ الأنبياء يبعثون ويرسلون إلى قوم مؤمنين، وأما من أرسل إلى كفار فدعاهم إلى التوحيد وإلى نبذ الشرك فهذا هو الرسول.

إذاً هذه جملةٌ من تفريق العلماء بين الرسول وبين النبي. والحاصل أنه لا ينبغي على ذلك كثيرٌ عملٍ، وإنما يجب على المسلم أن يؤمن بكل من سمَّاه الله نبياً أو رسولاً في كتابه الكريم.

(١) أضواء البيان (٢٩٠/٥).

(٢) النبوات (٧١٧/٢).

جميع الأنبياء والرسل دعوا إلى التوحيد:

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نَوْحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]
وفي الآية مسائل منها:

١- بيان الحكمة في إرسال الرسل وهي ليأمرؤا أمهم بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت.

٢- وأن الرسالة عمت كل أمة فإنه لما أخبر الله أنه بعث في كل أمة رسولا أفاد ذلك أن الرسالة عمت جميع الأمم وقامت الحجة على الخلق كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]

٣- وفيها أن دين الأنبياء واحد. لأن الله أخبر أن كل رسول يقول لقومه ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فأفاد ذلك أن دينهم واحد أما الشرائع فمختلفة كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وفي الصحيحين أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(١)

٤- وفي الآية المسألة العظيمة: وهي أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]

فإنه لما أخبر الله أنه أرسل الرسل يدعون أمهم قائلين: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ دل ذلك على أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت فمن لم يكفر بالطاغوت فليس عابدا لله حقيقة ولذلك جعله شرطا للاستمسك بالعروة الوثقى. وسيأتي مزيد من الكلام عن دعوة الأنبياء في مجلس قادم - إن شاء الله -.

(١) صحيح البخاري (٣٤٤٣) وصحيح مسلم (٢٣٦٥)

بعثة الأنبياء والرسول رحمة بالعباد :

وهذا -يا إخواني- من رحمة الله ﷻ بالعباد أن بَعَثَ إليهم أنبياء ورسلاً يخبرونهم عن أمر الله وعن شريعة الله ﷻ إليهم. وقد ذكر ابن القيم وغير واحد من العلماء حاجة العباد إلى إرسال الرسل، وأنه لا يمكن أن يستقيم حال الناس إلا ببعثة الأنبياء والمرسلين.

يقول ابن القيم رحمته الله: من هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم^(١). ولهذا فإن الأمم الضالة التي كفرت بالله- سبحانه- تجد في نفوسهم- مع ما هم عليه- حاجة إلى أن يتخذوا زعماء يهتدون بهديهم، ويسيروا على طريقتهم.

ويقول شيخ الإسلام رحمته الله: والرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأبى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟! والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، كذلك العبد ما لم تُشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة؛ وهو من الأموات قال الله: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فهذا وصف المؤمن كان مَيِّتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات^(٢).

وتأملوا قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

(١) زاد المعاد (٦٨/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٩٤،٩٣/١٩).

الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿ الشورى: ٥٢.]

فذكر الله ﷻ في هذه الآية أن الوحي روح من الله ﷻ فالله يضرب المثل للوحي الذي أنزله حياةً للقلوب ونورًا لها: ومن ذلك أن الله ﷻ ضرب له مثلًا بالماء الذي ينزله من السماء حياةً للأرض ويقول ﷻ: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴿ [الرعد: ١٧]. فشبه الله العلم بالماء المنزل من السماء؛ لأنَّ به حياة القلوب كما أنَّ بالماء حياة الأبدان؛ فهذا يدل-إخواني في الله-على أنَّ حاجة الناس إلى معرفة الأنبياء والمرسلين والإيمان بهم كما أمرهم الله ﷻ فوق كل حاجة وفوق كل ضرورة.

ما على الرسول إلا البلاغ:

من رحمة الله ﷻ بنا أن أمر هؤلاء الأنبياء والرسل بالبلاغ قال الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ ﴿

[المائدة: ٦٧]

فنحن -يا إخواني- نؤمن بأن الأنبياء والرسل سفراء الله إلى عباده وحملته الوحي، ومهمتهم هي إبلاغ الأمم الأمانة التي تحمّلوها من ربهم ﷻ وقد بلغ نبينا ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاءنا بهذا الكتاب العظيم، وبهذا البيان والوحي الإلهي من رب العالمين ﷻ.

ومن رحمة الله ﷻ بالأمم أن الله أمر الأنبياء بالدعوة إليه ﷻ وبيان أمره، ودعوة الناس إلى توحيدهِ؛ فالأنبياء والمرسلون يدعون إلى توحيد الله وإلى كل خيرٍ أمر الله به، وينهون عن الشرك، وعن كل شرٍّ نهى الله ﷻ العباد عنه، والأنبياء والمرسلون مبشرون ومُنذرون كما وصف الله ﷻ نبينا ﷺ بأنه كان بشيرًا ونذيرًا. فمن أطاعهم دخل الجنة، ومن عصاهم دخل النار؛ قال الله ﷻ: ﴿ فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿ [طه].]

ليس للناس على الله حجة بعد الرسل:

وليعلم المؤمن أنه لا صلاح لنفسه ولا تزكية لها إلا بهذا الوحي الذي جاء به الأنبياء والمرسلون.

وقد بين الله ﷻ في كتابه حكمة عظيمة من حكم إرسال الرسل، وهي إقامة الحجة على العباد، فقال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فلا يقبل من أحد يوم القيامة أن يحتج على الله ﷻ ويقول: ما جاءنا إليك من بشير ولا نذير كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَحْزَىٰ﴾ [طه] وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩]

وقال ﷻ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كَلِمَا أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [٨] قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا ﴿[الملك: ٨-٩]... الآيات.

إذا إقامة الحجة على العباد من رحمة الله ﷻ بهم، فلن يُعذَّب أحدًا إلا وقد بلغته الرسالة، وبلغه الوحي من رب العالمين ﷻ عن طريق هؤلاء الأنبياء الكرام.

أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة:

وأهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة، فهم -ومن في حكمهم- يمتحنون يوم القيامة كما في حديث قتادة، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَعْمَى، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فِتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَعْمَى فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَالصَّبِيَّانُ يَحْدِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاتِيْقَهُمْ لِيَطِيعَنَّهُ، فَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»^(١).

ورواه قَتَادَةُ أيضًا، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: «فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا»^(٢)

وعن علي بن زَيْدٍ عَنِ أَبِي رَافِعٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يُدْبِلِي عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحُجَّةٍ وَعُذْرٍ رَجُلٌ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ وَرَجُلٌ أَدْرَكَهُ الْإِسْلَامُ [مَاتَ] هَرَمًا وَرَجُلٌ أَصَمُّ أَبْكَمٌ وَرَجُلٌ مَعْتَوْهُ فَيَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَلَكًا رَسُولًا فَيَقُولُ اتَّبِعُوهُ فَيَأْتِيهِمُ الرَّسُولُ فَيُوجِّحُ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ يَقُولُ اقْتَحِمُوهَا فَمَنْ اقْتَحَمَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا

(١) مسند أحمد (٢٦/٢٢٨) رقم (١٦٣٠١) - ومن طريقه الضياء المقدسي في المختارة (٤/٢٥٥) -، قال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ قَتَادَةَ، بِهِ. ومن طريق علي وهو ابن المديني رواه البيهقي في القضاء والقدر (٦٤٤)، وفي الاعتقاد (ص: ١٦٩)، وتابعه إسحاق بن راهويه فرواه كما في مسنده (٤١) - ومن طريقه المروزي [كما في أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/٢٥٧)]، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١/٢٨٧) رقم (٨٤١) وأبو نعيم في المعرفة (٩١١) والضياء في المختارة (٤/٢٥٦) رقم (١٤٥٦) - قال أخبرنا معاذ به. وأعله محققوا المسند بالانقطاع، فقتادة لم يسمع من الأحنف. واختلف فيه على معاذ: فرواه عبید الله بن عمر القواريري - كما في تاريخ أصبهان (٢/٢٢٥) لأبي نعيم-، ومحمد بن المثنى، - كما في مسند البزار (٩٥٩٧) - قالوا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بِهِ - ليس فيه الأحنف - والحديث يشهد له ما بعده. والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٤٣٤) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٨٤)

(٢) مسند أحمد (٢٦/٢٢٨) رقم (١٦٣٠٢) - ومن طريقه الضياء المقدسي في المختارة (٤/٢٥٥) - قال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ قَتَادَةَ، بِهِ. ومن طريق علي - وهو ابن المديني -، رواه البيهقي في القضاء والقدر (٦٤٥) وفي الاعتقاد (ص: ١٦٩)، وتابعه إسحاق بن راهويه - كما في مسنده (٤٢) [وعنه المروزي كما في أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/٢٥٧)] -، وعبید الله بن عمر القواريري - كما في تاريخ أصبهان (٢/٢٢٥) لأبي نعيم-، ومحمد بن المثنى، - كما في مسند البزار (٩٥٩٧) - (ثلاثتهم: إسحاق، والقواريري، وابن المثنى) قالوا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ قَتَادَةَ، بِهِ. وصح البيهقي إسناده في كتابيه. وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/١٧٦): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات كلهم والحسن هو البصري وإنما يخشى من تدليسه إذا عنعن عن الصحابة وأما إذا عنعن عن أفرانه من التابعين كما هنا فما علمت أنهم يخشون هذه العنينة اه.

وَسَلَامًا وَمَنْ لَا، حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ» (١)

وفي تفسير عبد الرزاق الصنعاني عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ أَهْلَ الْفِتْرَةِ وَالْمَعْتُوَةَ، وَالْأَصَمَّ، وَالْأَبْكَمَ، وَالشُّيُوحَ الَّذِينَ لَمْ يُدْرِكُوا الْإِسْلَامَ، ثُمَّ يُرْسِلُ رَسُولًا إِلَيْهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ»، قَالَ: «فَيَقُولُونَ: كَيْفَ وَلَمْ يَأْتِنَا رَسُولٌ؟»، قَالَ: «وَأَيُّمَ اللَّهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»، ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] (٢).

أطفال المسلمين وأطفال المشركين:

لا خلاف بين العلماء أن أطفال المؤمنين في الجنة. (٣)

(١) رواه أسد بن موسى في «الزهد» (٩٧) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٥١٤) والروزي [كما في أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢٥٧/٢)]، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٠٤) والثعلبي في تفسيره (١٢٥١)، من طرق عن حماد بن سلمة عن علي بنه، قال الألباني في ظلال الجنة: - حديث صحيح ورجاله ثقات غير علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف لكنه قد توبع... إلخ يعني الإسناد المتقدم. ورواه أسد أيضا (٩٨) قال: ثنا حماد بن سلمة، عن حماد - وهو ابن أبي سليمان -، عن إبراهيم - وهو النخعي -، عن أبي هريرة، مثله. والنخعي لم يسمع من أحد من الصحابة.

(٢) «تفسير عبد الرزاق» (١٥٤١) ورواه المروزي كما في «أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم» (٢٥٨/٢) قال: حدثنا أبو بكر بن رنجويه، ثنا عبد الرحمن، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاثة يُمتحنون يوم القيامة: المَعْتُوَةُ، والذي هَلَكَ في الفِترَةِ، والأَصَمُّ ...» فذكر الحديث.

(٣) وقد نقل أبو بكر الخلال كما في أحكام أهل الملل والردة - من «الجامع» (١٢) عن الإمام أحمد أنه قال: ليس فيه خلاف أنهم في الجنة. وهو قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦٠/٥): فَأَمَّا وَلَدَانُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كَمَا حَكَاهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى بْنُ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيُّ، عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُجْتَلَفُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي نَقَطَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ﷺ اهـ. وأما ما رواه مسلم في الصحيح (٢٠٥٠/٤) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا، عُضْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ ﷺ: «أَوْ عَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» فقد قال التَّوَوِيُّ رضي الله عنه في شرحه على مسلم (٢٠٧/١٦): أُجْمِعُ مِنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا؛

واختلف العلماء فيمن يموتون صغاراً من أبناء المشركين على أقوال كثيرة، منها:
١- فمّن أهل العلم من ذهب إلى التوقف فيهم ولا نحكم لهم بجنة ولا نار، ونكّل علمهم إلى الله وهم تحت مشيئة الله تعالى. (١)

لما في الصحيحين عن عطاء بن يزيد الليثي، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذراريّ المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» (٢).
 وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين، فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين» (٣).

٢- وقيل يكونون خدّم أهل الجنة: قال شيخ الإسلام رحمته الله: ولا أصل لهذا القول... ثم قال: والولدان الذين يطوفون على أهل الجنة: خلق من خلق الجنة ليسوا من أبناء الدنيا؛ بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة على صورة

وتوقّف فيه بعض من لا يُعتدّ به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء: بأنّه لعلة نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكّر على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قوله «أعطيه إني لأراه مؤمناً، قال صلى الله عليه وسلم «أو مسلماً...» الحديث ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك أ.هـ.

(١) قال ابن تيمية: وهذا هو الصواب الذي دلت عليها الأحاديث الصحيحة، وهو منصوص أحمد وغيره من الأئمة. وذكره ابن عبد البر عن حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن المبارك وإسحاق بن راهويه. قال: وعلى ذلك أكثر أصحاب مالك،... لكن الوقف قد يفسر بثلاثة أمور: أحدها: أنه لا يعلم حكمهم، فلا يتكلم فيهم بشيء، وهذا قول طائفة من المنتسبين إلى السنة، وقد يقال: إن كلام أحمد يدل عليه. والثاني: أنه يجوز أن يدخل جميعهم الجنة، ويجوز أن يدخل جميعهم النار. وهذا قول طائفة من المنتسبين إلى السنة، من أهل الكلام وغيرهم، من أصحاب أبي الحسن الأشعري وغيرهم. والثالث: التفصيل، كما دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين» فمن علم الله منه أنه إذا بلغ أطاع أدخله الجنة، ومن علم منه أن يعصي أدخله النار. ثم من هؤلاء من يقول: إنهم يجزيهم بمجرد علمه فيهم، كما يحكى عن أبي العلاء القشيري المالكي. والأكثر يقولون: لا يجزي على علمه بما سيكون حتى يكون، فيمتحنهم يوم القيامة، ويمتحن سائر من لم تبلغه الدعوة في الدنيا، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار. انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٤٣٦/٨)

(٢) صحيح البخاري (١٣٨٤، ٦٥٩٨) وصحيح مسلم (٢٦٥٩)

(٣) صحيح البخاري (١٣٨٣، ٦٥٩٧) وصحيح مسلم (٢٦٦٠)

آدم... إلخ اهـ^(١) قلت: وحجتهم في ذلك أحاديث وردت لكنها ضعيفة، وهي ثلاثة:

[١] أحدهما: ما رواه الطيالسي قال: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ ، عَنْ يَزِيدَ ، قَالَ : «قُلْنَا لِأَنْسِ : يَا أَبَا حَمْرَةَ، مَا تَقُولُ فِي أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: «لَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ، فَيَعَاقَبُوا بِهَا، فَيَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ، فَيَجَازُوا بِهَا فَيَكُونُوا مِنْ مَلُوكِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢)

[٢] الثاني: قال أبو نعيم في المعرفة: حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُخْتَارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قال أبو نعيم: كَذَا قَالَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَالْمَشْهُورُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ سِنَانَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ اهـ^(٣)

[٣] الثالث: ما رواه البزار من طريق عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنْ سَمُرَةَ بِنِ

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٧٩)

(٢) رواه الطيالسي (٢٢٢٥) - ومن طريقه البيهقي في القضاء والقدر (٦٢٨-)، والربيع هو ابن صبيح وهو ضعيف، قال الحافظ صدوق سيء الحفظ اهـ وشيخه يزيد هو الرقاشي وهو ضعيف أيضا. ومن طريق الربيع رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٠٨) بسند فيه ضعف عن الثوري عن الربيع وجعله موقوفا إلا الجملة الأخيرة مرفوعة. ورواه الأعمش عن يزيد به مختصرا ولفظه «الْأَطْفَالُ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ» رواه ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (٢٠٥) وأبو يعلى (٤٠٩٠) وتام في فوائده (٢٣٠) وابن عبد البر في «التمهيد - ابن عبد البر» (١١/ ٣٨٠ ت بشار). ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان» (١/ ٤٠٤) - ومن طريقه الديلمي [كما في زهر الفردوس]: بسنده عَنْ حَكِيمِ بْنِ جَرِيرٍ [كذا وصوابه ابن جبير، وهو متروك]، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، بِهِ مَرْفُوعًا وَلَفْظُهُ: «سَأَلْتُ رَبِّي ﷺ أَنْ يَتَجَاوَزَ لِي عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ». ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٩٧٢) عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ، وَمِقَاتِلِ مَتْرُوكٍ. ورواه ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (٢٠٦) والبزار (٧٤٦٦) والطبراني في المعجم الأوسط (٥٣٥٥) عن مُبَارَكِ بْنِ فَصَّالَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ. وعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف.

(٣) «معرفة الصحابة لأبي نعيم» (٦٩٨١) وعلق الحافظ في الإصابة على قول أبي نعيم فقال: وهو كما قال اهـ فالحديث حديث أنس. وهذا إسناد ضعيف، فيه عنعنات ابن إسحاق، وإبراهيم بن المختار وسنان بن سعد مختلف فيهما وهما إلى الضعف أقرب.

جُنْدُب، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

وروي هذا القول موقوفا على سلمان الفارسي رضي الله عنه بسند ضعيف^(٢).

٣- وقيل هم في الجنة مع أولاد المؤمنين: وبهذا جزم البخاري وابن حزم، واختاره جماعة منهم النووي وأبو عبد الله القرطبي وطائفة من المفسرين وغيرهم^(٣).

ومن أدلتهم حديث عَوْفٍ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقْضُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْضَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، ... فذكر الحديث وفيه: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةَ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوَّلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُ...» [وفي رواية: «فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِيْبَانٌ»] فذكر

(١) رواه البزار في «مسنده» (٤٥١٦) والرويانى في «المسند» (٨٣٧) وابن فيل في جزئه (١٠٠ و١٠٣) والطبراني في

«المعجم الكبير» (٦٩٩٣/٢٤٤/٧) و«الأوسط» (٢٠٤٥) وعباد بن منصور ضعفه عامة النقاد، ثم هو مدلس وقد عنعن. انظر: تحرير تقريب التهذيب (١٨٠/٢) والحديث رواه جماعة من الثقات منهم جرير بن

حازم، وعوف بن أبي جميلة عن أبي رجاء به بغير هذا السياق كما في الصحيحين وغيرهما وسيأتي.

(٢) رواه معمر بن راشد في «الجامع» (١١٧/١١): عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ سَلْمَانَ، قَالَ: «أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ خَدَمٌ

لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» ثُمَّ قَالَ الْحَسَنُ: «مَا يُعْجِبُونَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ بِهِمْ» والحسن لم يسمع من سلمان. وخولف فيه معمر، فقد رواه لوين في «جزئه» (٣٣) والمروزي - كما في «أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم» (٢/

٢٥٠-)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٠) من طريق أبي عَوَانَةَ - [وتابعه شعبة وسعيد بن أبي عَرُوبَةَ

كما في «التمهيد - ابن عبد البر» (٣٧٩/١١) ت بشار، والخليل بن مرة وهمام بن يحيى كما في تفسير يحيى

بن سلام (٢/٦٥٧)-] كلهم عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ أَبِي مُرَايَةَ، عَنِ سَلْمَانَ الْقَارِسِيِّ، قَالَ: «هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وقال يحيى بن سلام: قَالَ الْخَلِيلُ: قَالَ قَتَادَةُ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلْحَسَنِ قَالَ: «وَمَا تُنْكِرُونَ؟ قَوْمٌ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ

وَأَكْرَمَ بِهِمْ، يَعْنِي: أَهْلَ الْجَنَّةِ» وقال البيهقي: الْخَبْرُ مَوْقُوفٌ، وَأَبُو مُرَايَةَ فِيهِ نَظَرٌ. اهـ. قلت: وأبو مراية اسمه

عبد الله بن عمرو العجلي البصري تابعي روى عنه اثنان، وذكره البخاري وابن أبي حاتم في كتابيهما ولم

يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الأجرى عن أبي داود [الجامع في الجرح

والتعديل] «(٤٠٦/٣): «أَبُو مُرَايَةَ لَمْ يَرَ سَلْمَانَ قَطُ» اهـ.

(٣) انظر: «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح» (ص ٥١٩)

الحديث وفيه: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا الْوَلَدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ» [وفي رواية: «وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصَّبْيَانُ، حَوْلَهُ، فَأَوْلَادُ النَّاسِ»]، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ» ^(١).

قالوا: ففي هذا الحديث التصريح بأنهم في الجنة، قال ابن بطال: وهذا الحديث حجة قاطعة ثم قال: وهذا القول أصح ما في هذا الباب من طريق الآثار وصحيح الاعتبار. اهـ قلت: وهذا الحديث يعارضه الأحاديث المتقدمة التي قال فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»

وفي الجمع بينهما:

اختار بعض العلماء تقديم القول بأنهم في الجنة على غيره لأن الحديث نص في المسألة. ^(٢).

(١) رواه البخاري (١٣٨٦، ٧٠٤٧)، وقد اختلف العلماء في الجمع بينهما على أقوال: فقيل بتقديم هذا الحديث لأنه نص على غيره مما لم يقع الجزم فيه بما لهم. قال النووي في شرح صحيح مسلم (٢٠٨ / ١٦): «وَالْجَوَابُ عَنْ حَدِيثِ «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ فِي النَّارِ وَحَقِيقَةٌ لَفْظُهُ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْ بَلَّغُوا وَلَمْ يَبْلُغُوا إِذِ التَّكْلِيفِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْبُلُوغِ» اهـ وقال غير واحد من أهل العلم: إنهم يمتحنون يوم القيامة، فَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ أَنَّهُ يُطِيعُ جَعَلَ رُوحَهُ فِي الْبَرْزَخِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الْفِطْرَةِ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ، فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ فِي النَّارِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَحَادِيثُ الْإِمْتِحَانِ. وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، قال ابن كثير: وَهَذَا الْقَوْلُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَدْلَةِ كُلِّهَا، وَقَدْ صَرَّحَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُتَعَاذَةُ الشَّاهِدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ: عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الَّذِي نَصَرَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ النَّبِيهِيُّ فِي «كِتَابِ الْإِعْتِقَادِ» وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ مُحَقِّقِي الْعُلَمَاءِ وَالْحَفَاطِ الْمُتَقَادِرِ اهـ. قلت: قوله: وقد صرحت به الأحاديث... إلخ. الأحاديث التي ورد فيها عدُّ المولود من أهل الفترة الذين يمتحنون لا تصح، (وهي ثلاثة: حديث أنس، رواه البرزاري وأبو يعلى. وحديث أبي سعيد: رواه البزار؛ وحديث معاذ بن جبل: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ) قال ابن عبد البر في التمهيد (١٣٠ / ١٨): روي هذا المعنى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة وثوبان بأسانيد صحيحة... وليس في شيء منها ذكر المولود اهـ.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٢٠٨ / ١٦)

واختار جماعة من العلماء في التوفيق بين هذه الأحاديث القول الآتي.

٤- وقيل: إنهم يُمتَحَنُونَ فِي الآخِرَةِ بِأَنْ تُرْفَعَ لَهُمْ نَارٌ فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا وَمَنْ أَبِي عُدْبَ، فَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ أَنَّهُ يُطِيعُ جَعَلَ رُوحَهُ فِي الْبَرْزَخِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الْفِطْرَةِ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ فِي النَّارِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَحَادِيثُ الإِمْتِحَانِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وكذا أحاديث أخرى وردت فيهم خاصة وهي ثلاثة أحاديث -ضعيفة الإسناد- (١):

[١] حديث فضيل بن مرزوق، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْتَجَّ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ، وَالْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ، وَالصَّيِّ الصَّغِيرُ، فَيَقُولُ الْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ: لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلًا أَنْتَفِعَ بِهِ، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ: لَمْ يَأْتِنِي رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ، وَلَوْ أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ لَكُنْتُ أَطْوَعَ خَلْقِكَ لَكَ. ... وَيَقُولُ الصَّيِّ الصَّغِيرُ: كُنْتُ صَغِيرًا لَا أَعْقِلُ» قَالَ: «فَتُرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ وَيُقَالُ لَهُمْ: رُدُّوهَا» قَالَ: «فَبَرِدُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَعِيدٌ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بَرُسُلِي لَوْ أَتَيْتُكُمْ؟» رواه البزار والطبري وغيرهما (٢).

(١) قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (١٨/١٣٠): روي هذا المعنى -أي أحاديث الامتحان- عن النبي ﷺ من حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة وثوبان بأسانيد صحيحة ... وليس في شيء منها ذكر المولود. وقال ابن بطال في شرحه للبخاري (٣/٣٧٤): الآثار الواردة بذلك ضعيفة لا تقوم بها حجة.

(٢) «كشفت الأستار عن زوائد البزار» (٢١٧٦)- و«تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (١٦/٢١٩) - واللفظ له-، ورواه أيضا المروزي -كما في «أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم» (٢/٢٥٩)-، وأبو القاسم البغوي في «مسند ابن الجعد» (٢٠٣٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير -مختصرا-» (٩/٢٩٨٤) رقم (١٦٩٥٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٠٧٦) وابن عبد البر في «التمهيد - ابن عبد البر» (١١/٣٨٨ ت بشار) وقال: من التائب من يُوقَفُ هذا الحديث على أبي سعيد ولا يرفعه، منهم: أبو نعيم الملائني، ووسنده ضعيف، فضيل صدوق فيه لين، وعطية ضعيف. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧/٢١٦): «رواه البزار، وفيه عطية وهو ضعيف» اه.قلت: قال عبد الله بن الإمام أحمد كما في «العلل ومعرفة الرجال لأحمد» (١/٥٤٨) سَمِعْتُ أَبِي ذَكَرَ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيَّ فَقَالَ هُوَ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ، قَالَ أَبِي: بَلْغَنِي أَنْ عَطِيَّةَ كَانَ يَأْتِي الْكَلْبِيَّ فَيَأْخُذُ عَنْهُ التَّفْسِيرَ وَكَانَ يَكْنِيهِ بِأَبِي سَعِيدٍ فَيَقُولُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ =

[٢] حديث لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوتَى بِأَرْبَعَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: بِالْمَوْلُودِ، وَبِالْمَعْتُودِ، وَبِمَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ، وَالشَّيْخِ الْفَانِي، كُلُّهُمْ يَتَكَلَّمُ بِحُجَّتِهِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعُنُقِ مِنَ النَّارِ: اْبْرُزْ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنِّي كُنْتُ أَبْعَثُ إِلَى عِبَادِي رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنِّي رَسُولُ نَفْسِي إِلَيْكُمْ، ادْخُلُوا هَذِهِ، فَيَقُولُ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ: يَا رَبِّ، أَيْنَ نَدْخُلُهَا، وَمِنْهَا كُنَّا نَفِرُّ؟ قَالَ: وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ يَمْضِي، فَيَتَقَحَّمُ فِيهَا مُسْرِعًا، قَالَ: فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْتُمْ لِرُسُلِي أَشَدُّ تَكْذِيبًا وَمَعْصِيَةً، فَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ، وَهَؤُلَاءِ النَّارَ» رواه البزار (١)

[٣] حديث عَمْرٍو بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُوتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْمَمْسُوحِ عَقْلًا وَبِالْهَالِكِ فِي الْفِتْرَةِ، وَبِالْهَالِكِ صَغِيرًا، فَيَقُولُ الْمَمْسُوحُ عَقْلًا: يَا رَبِّ، لَوْ آتَيْتَنِي عَقْلًا مَا كَانَ مِنْ آتَيْتَهُ عَقْلًا بِأَسْعَدَ بِعَقْلِهِ مِنِّي، وَيَقُولُ الْهَالِكُ صَغِيرًا: يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِي عَمْرًا مَا كَانَ مِنْ آتَيْتَهُ عَمْرًا بِأَسْعَدَ مِنْ عَمْرِهِ مِنِّي، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ: يَا رَبِّ لَوْ جَاءَنِي مِنْكَ رَسُولٌ مَا كَانَ بَشَرًا أَتَاهُ مِنْكَ عَهْدٌ بِأَسْعَدَ بِعَهْدِكَ مِنِّي، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى: فَإِنِّي أَمْرُكُمْ بِأَمْرِ أَفْطِيعُونِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَادْخُلُوا جَهَنَّمَ - وَلَوْ دَخَلُوهَا لَمَا تَضَرَّهُمْ شَيْئًا - فَيَخْرُجُ عَلَيْهِمْ فَرَائِضٌ مِنَ النَّارِ يَطْنُونَ أَنَّهَا قَدْ أَهْلَكَتْ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمُ الثَّانِيَةَ فَيَرْجِعُونَ كَذَلِكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: خَلَقْتُكُمْ بَعْلَمِي، وَإِلَى

... وقال: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزَّبِيرِيُّ قَالَ سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ قَالَ سَمِعْتُ الْكَلْبِيَّ قَالَ كُنَانِي عَطِيَّةُ أَبَا سَعِيدٍ أَهْلُ الْحَدِيثِ ضَعِيفٌ جَدًّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) «مسند البزار» (١٤/ ١٠٤) رقم (٧٥٩٤)، ورواه أيضا أبو يعلى (٤٢٢٤) وابن عبد البر في «التمهيد» - ابن عبد البر (١١/ ٣٨٩) ت (بشار) والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٦٩) وفي «القضاء والقدر» (٦٤٦) وليث في سنده هو ابن أبي سليم قال الحافظ: صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فتركه. وهو عبد الوارث قال ابن معين: مجهول، وقال الترمذي عن البخاري: عبد الوارث منكر الحديث. كما في الميزان. وضعفه الدارقطني كما في السنن الدارقطني (٢٤٠٣)

عَلِي تَصِيرُونَ، فَتَأْخُذُهُمُ النَّارُ» رواه الطبراني وغيره^(١)

وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن القيم، واختاره أيضا تلميذه الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير وغيرهم من المحققين.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: وهذا التفصيل هو الصواب، فإن الله قال في القرآن ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص]، فأقسم سبحانه أنه لا بد أن يملأ جهنم من إبليس وأتباعه، وأتباعه هم العصاة، ولا معصية إلا بعد التكليف، فلو دخلها الصبي والمجنون لدخلها من هو من غير أتباعه، فلم تمتلئ منهم. وأيضًا فقد قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء]...، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن الله لا يُعَذِّبُ إلا من جاءه نذير وأناه رسول، والطفل والمجنون ليسا كذلك كالبهائم... إلخ اهـ.^(٢)

وقال ابن القيم رحمته الله - عن القول بأنهم يُمتحنون في الآخرة -: وهذا قول جميع أهل السنة والحديث، حكاه الأشعري عنهم في كتاب «الإبانة» الذي اتفق أصحابه على أنه تأليفه، وذكره ابن فورك، وذكره أبو القاسم بن عساكر في تصانيفه، ... وحكاه محمد بن نصر المروزي في كتابه في «الرد على ابن قتيبة»، واحتج له - ثم ذكر أحاديث الامتحان المقدمة والأحاديث الواردة في المولد خاصة وذكر أنه يعضد بعضها بعضها - وبين أنها "هي الموافقة للقرآن وقواعد الشرع، فهي تفصيل لما أخبر به القرآن أنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجّة عليه. وهؤلاء لم تقم عليهم حجّة الله في الدنيا، فلا بد أن يقيم

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول للحكيم النسخة المسندة (ص: ٣٤٩) والمروزي [كما في «التمهيد لابن عبد البر» (١١/ ٣٨٩ ت بشار)، و«أحكام أهل الذمة لابن القيم - ط عطاءات العلم» (٢/ ٢٦٠)] - والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٨٣) رقم (١٥٨) وفي المعجم الأوسط (٧٩٥٥) وفي مسند الشاميين للطبراني (٢٢٠٥) وعنه وعن غيره أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٢٧/٥ و ٣٠٥/٩). وذكر الطبراني وأبو نعيم: أنه تفرد به عمرو بن واقد اهـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عمرو بن واقد، وهو متروك عند البخاري وغيره، ورمي بالكذب،... إلخ اهـ.

(٢) «جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم» (٣/ ٢٣٥)

حجته عليهم. وأحقّ المواطن أن تُقام فيه الحجّة يوم يقوم الأشهاد،... قال والقول بموجبها هو قول أهل السنة والحديث كما حكاه الأشعري عنهم في «المقالات» وحكى اتفاقهم عليه، وإن كان قد اختار هو فيها أنّهم مردودون إلى المشيئة، وهذا لا يُنافي القول بامتحانهم، فإنّ ذلك هو موجب المشيئة... إلخ^(١)

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير رحمته الله: وَهَذَا الْقَوْلُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ كُلِّهَا، وَقَدْ صَرَّحَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُتَعَاضِدَةُ الشَّاهِدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ: عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الَّذِي نَصَرَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي "كِتَابِ الْإِعْتِقَادِ" وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ مُحَقِّقِي الْعُلَمَاءِ وَالْحَفَاطِ الْتُقَادِ اهـ.

قلت: قوله: وقد صرحت به الأحاديث... إلخ. الأحاديث التي ورد فيها عدّ المولود من أهل الفترة الذين يمتحنون ضعيفة الإسناد، وارتقاؤها للصحة بالمجموع مما ينازع فيه. لكن يستفاد مسألة الامتحان من الأحاديث الصحيحة الواردة في غيرهم. ومن عموماً الشريعة الدالة على أن الله لا يعذب أحداً بلا حجة كما تقدم.

وقال ابن القيم رحمته الله: وفي استدلال هذه الفرقة -يعني القائلين بالوقف- ... بهذه النصوص نظراً، فإنّ النبي صلّى الله عليه وآله لم يُجب فيهم بالوقف، وإنّما وكلّ علم ما كانوا يعملون لو عاشوا إلى الله، والمعنى: الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا. فهو سبحانه يعلم القابل منهم للهدى العامل به لو عاش، والقابل منهم للكفر المؤثر له لو عاش. ولكن لا يدلُّ هذا على أنّه سبحانه يجزئهم بمجرد علمه فيهم بلا عمل يعملونه. وإنّما يدلُّ هذا على أنّه يعلم من يؤمن ومن يكفر بتقدير الحياة. وأمّا المُجازاة على العلم فلم يتضمَّنْها جوابه صلّى الله عليه وآله «^(٢)». ثم ذكر ابن القيم ما في سنن أبي داود بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) ينظر: «أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم» (٢/٢٥٦ - وما بعدها)

(٢) «أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم» (٢/٢٢٠)

بِلا عَمَلٍ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «مِنْ آبَائِهِمْ» قُلْتُ: بِلا عَمَلٍ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»^(١).

وبين ﷺ أن هذا الحديث يوضح أن قوله ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» خرج جواباً لهم حين أخبرهم أنهم من آبائهم، فقالوا: "بلا عمل؟". فهو يدلُّ على أَنَّ الذين يُلْحَقُونَ بِآبَائِهِمْ مِنْهُمْ هم الذين علم الله أنهم لو عاشوا لاختاروا الكفر وعملوا به، فهؤلاء مع آبائهم. ولا يقتضي أن كلَّ واحدٍ من الذرية مع أبيه في النار، وقول عائشة: بلا عمل؟ وإقرار النبي ﷺ لما فهمته معناه أنهم يُلْحَقُونَ بِهِمْ بلا عمل في أحكام الدنيا، ولا ينفي هذا أن يُلْحَقُوا بِهِمْ في الآخرة بأسبابٍ أُخْر كامتحانهم في عَرَصات القيامة.^(٢)



(١) سنن أبي داود (٤٧١٢) وصححه سنده العلامة الألباني في صحيح السنن، وقال شيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤١٣): هذا حديث صحيح من حيث السند، وأما من حيث المتن فإنَّ مُجْمَل على الحكم الديني؛ فيما إذا بَيَّنَّ الكفار المسلمون ولم يستطيعوا التمييز بين الكبير والصغير فالأبناء من آبائهم. وأما الحكم الأخرى فهم في الجنة، كما في حديث سمرة بن جندب. راجع "تهذيب السنن" لابن القيم اه.

(٢) انظر: «أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم» (٢/ ٢٢٠) وفي «التمهيد - لابن عبد البر» (١٨/ ١٢١ ط المغربية) قال: «وَيُحْتَمَلُ مِنَ التَّأْوِيلِ أَنْ يَكُونَ كَحَدِيثِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ سَوَاءً فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا. قلت: وحديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ رضي الله عنه رواه البخاري (٣٠١٢) ومسلم (١٧٤٥) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قِيلَ لَهُ: لَوْ أَنَّ خَيْلًا أَغَارَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَأَصَابَتْ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ» والمعنى: أَنَّهُمْ إِنْ أُصِيبُوا فِي التَّنْبِيْتِ وَالغَارَةِ فَلَا قُوْدَ وَلَا دِيَّةَ عَلَى مَنْ أَصَابَهُمْ لكونهم أولاداً من لا قُوْدَ وَلَا دِيَّةَ لَهُمْ. وعلى ذلك مخرج الحديث سؤالاً وجواباً. فهو في أحكام الدنيا.

المجلس الحادي عشر (١)

مقامات وحي الله إلى الرسل :

ومما ذكره العلماء في مسألة الإيمان بالرسول ما يتعلق بمقامات وحي الله إلى رسوله، وفي ذلك يقول ربنا ﷺ في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾ [الشورى]. فالمقامات ثلاثة: أولها: الإلقاء في روع النبي الموحى إليه بحيث لا يمتري النبي بأن هذا الذي أُلقي في قلبه من الله ﷻ كما جاء في المستدرک عن ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرَّبُ إِلَى الْجَنَّةِ، إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا عَمَلٌ يُقَرَّبُ إِلَى النَّارِ، إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، لَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ فَإِنَّ جَبْرِيَل عليه السلام أَلْقَى فِي رُوعِي أَنْ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنْ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ، فَلَا يَطْلُبُهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ فَضْلَهُ بِمَعْصِيَةٍ» (٢) قال الشافعي: الرُّوع: الفزع. والرُّوع: القلب (٣).

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا

(١) كان في يوم الثلاثاء الخامس من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢١٣٦) - وعنه البيهقي في القضاء والقدر (٢٣٥) وفي كتاب الاعتقاد (ص ١٧٣) وفي المدخل (١٦٨) - عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الثَّقَفِيِّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ [كذا]، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ بِهِ. وسعيد بن أبي هلال كان قد اختلط قاله الإمام أحمد. لكنه هنا من رواية القدماء عنه. وسعيد الثقفى وشيخه مجهولان. ويونس هو ابن كثير وليس ابن بكير، وجاء على الصواب في كتاب الاعتقاد للبيهقي وفي إتحاف المهرة لابن حجر (١٤٠٠٨). وللحديث طريق أخرى فيها انقطاع وشواهد من حديث حذيفة وأبي أمامة وأنس ومالك بن ربيعة رضي الله عنهم وقد جمعتهما في جزء فالحديث صحيح بشواهد. والجملة «لَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ... فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» شواهد أيضا من حديث جابر وعمر وأبي حميد الساعدي رضي الله عنهم وهي مخرجة في الجزء المشار إليه.

(٣) رواه عنه البيهقي في مناقب الشافعي (١/٣٢٣).

وَحَيًّا ﴿ [الشورى: ٥١] قال: الوحي في المنام ^(١)، وهذا ما يتعلق برؤيا الأنبياء و «رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيِي» ^(٢)؛ ولذلك فإنَّ خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بادر إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنه يذبحه، وعدَّ هذه الرؤيا أمراً إلهياً ^(٣). يقول عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَابَتِ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصفات: ١٠٢]... الآيات. وجاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ» ^(٤).

المقام الثاني: الذي دلت عليه آية الشورى: ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ ﴾ وهو تكليم الله لرسوله من وراء حجاب كما كلم الله -تعالى- موسى عليه السلام؛ قال ربنا عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُوْدِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه]. وكما قال عليه السلام في شأن آدم عليه السلام: ﴿ قَالَ يَتَادَمُ أَنْبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٣]، ولهذا لما سئل النبي صلَّى الله عليه وآله عن أئبنا آدم عليه السلام: «أكان نبياً؟ قال: «نعم، مكمم معلّم» ^(٥).

والمقام الثالث: الوحي إلى الرسول بواسطة الملك، وهذا هو الذي يفهم من قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾.

(١) التفسير الوسيط للواحدى (٦٠/٤) والأسماء والصفات للبيهقى (٤٩١/١)

(٢) رواه البخاري (١٣٨) عن عبيد بن عمير مقطوعاً. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٣٢٨) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٦٥/١٤) والطبراني في المعجم الكبير (٦/١٢) رقم (١٢٣٠٢) وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٣) والحاكم في المستدرک (٣٦١٣، ٨١٩٧) من طرق عن الثوري عن سماك عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس موقوفاً وإسناده حسن. وقال الإمام الشافعی كما في الأم (٥/١٣٧): «قَالَ عَمْرٌ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ «رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيِي» لِقَوْلِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَمَرَ بِذَبْحِهِ ﴿ يَتَابَتِ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ ﴾ [الصفات: ١٠٢] وَمَعْرِفَتُهُ أَنَّ رُؤْيَاهُ أَمْرٌ أَمْرٌ بِهِ. هـ.

(٣) انظر: الأم للشافعی (٥/١٣٧)، الأسماء والصفات للبيهقى (٤٩١/١)

(٤) البخاري (٣) واللفظ له، ومسلم (١٦٠).

(٥) تقدم تخريجه في المجلس العاشر.

مقامات وحي الله إلى رسولنا محمد ﷺ :

قال الحافظ ابن القيم رحمته الله: وَكَمَّلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْوَحْيِ مَرَاتِبَ عَدِيدَةً: إِحْدَاهَا: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَكَانَتْ مَبْدَأَ وَحْيِهِ ﷺ، «وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»^(١).

الثَّانِيَةُ: مَا كَانَ يُلْقِيهِ الْمَلَكُ فِي رَوْعِهِ وَقَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ...
الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُخَاطِبُهُ حَتَّى يَبْعِي عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ كَانَ يَرَاهُ الصَّحَابَةُ أَحْيَانًا^(٢).

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَكَانَ أَشَدَّهُ عَلَيْهِ، فَيَتَلَبَّسُ بِهِ الْمَلَكُ حَتَّى إِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ^(٣)، وَحَتَّى إِنَّ رَاحِلَتَهُ لَتَبْرُكُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا^(٤). وَلَقَدْ جَاءَ الْوَحْيُ مَرَّةً كَذَلِكَ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

(١) تقدم قريبا

(٢) كما في حديث جبريل المشهور، وكما في البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١): أَنَّ جَبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيُّمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ جَبْرِيلَ، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَفِي مسند أحمد (٥٨٥٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما: «وَكَانَ جَبْرِيلَ عليه السلام يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ».

(٣) رواه البخاري (٢) ومسلم (٢٣٣٣) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْبِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا».

(٤) روى الإمام أحمد في المسند (٤١/٣٦٢/٢٤٨٦٨) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وهو ابن أبي الزناد - عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنَّ كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا» قال السندي: (بجرانها)، بكسر الجيم: باطن العنق، والبعير إذا استراح، مدَّ عنقه على الأرض. اهـ والحديث رواه الحاكم (٣٨٦٥) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ نُورٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، به قالت: كَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَضَعَتْ جِرَانَهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَحَرَّكَ، وَتَلَّتْ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل] وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُجَرِّجْهُ»

فَثَقُلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى كَادَتْ تَرُضُّهَا^(١).

الخَامِسَةُ: أَنَّهُ يَرَى الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَيُوحِي إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَهُ، وَهَذَا وَقَعَ لَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي النَّجْمِ [١٣، ٧]

السَّادِسَةُ: مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ وَهُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ وَعَظِيمًا.

السَّابِعَةُ: كَلَامُ اللَّهِ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةٍ مَلَكٍ، كَمَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ ثَابِتَةٌ لِمُوسَى قَطْعًا بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَثُبُوتُهَا لِنبينا ﷺ هُوَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ... إلخ^(٢).

الملك الموكل بالوحي:

وهذا الرسول الموكل بالنزول بالوحي على الأنبياء والمرسلين هو جبرائيل عليه السلام، وقد يكون غيره في أحوال قليلة.

[١] وقد كان جبريل عليه السلام ينزل إلى نبينا ﷺ بالوحي،

[٢] ورآه نبينا ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، وذلك مرتين.

قال علقمة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم] قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَحْضَرَ سَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ»^(٣).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم] قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حُلَّةٍ مِنْ رَفْرَفٍ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٤).

وقال زر بن حبيش، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى [النجم]، قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيْلَ لَهُ سِتُّ مِائَةٍ جَنَاحٍ»^(٥).

(١) صحيح البخاري (٤٥٩٢) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٩).

(٣) صحيح البخاري (٣٢٣٣، ٤٨٥٨) وصحيح مسلم (١٧٤).

(٤) جامع الترمذي (٣٢٨٣) وسنن النسائي الكبرى (١١٤٦٧).

(٥) صحيح البخاري (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) وصحيح مسلم (١٧٤).

- وفي رواية: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ السُّدْرَةِ لَهُ سِتْمِائَةٌ جِنَاحٍ، يَتَنَاقَرُ مِنْهَا تَهَاوِيلُ الدَّرِّ»^(١) وَعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها فَأَيْنَ قَوْلُهُ؟ ثُمَّ دَنَا فَدَلَّنِي رضي الله عنها فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى رضي الله عنها؟ [النجم] قَالَتْ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الْأَفُقَ» متفق عليه^(٢)، وفي رواية للبخاري: «وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»^(٣) ولمسلم عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَكَبِّئًا عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها... فذكر الحديث وفيه أنه سأها: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ رضي الله عنه﴾ [التكوير]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى رضي الله عنه﴾ [النجم] فقالت: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»^(٤)
- [٣] وربما أتاه الوحي مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه، وقد وعى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال. كما في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيُفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.^(٥)
- [٤] وكذلك كان يأتيه مرات على صورة رجل، فيكلمه ويخاطبه ويعي عنه قوله كما في الحديث المتقدم قال صلى الله عليه وسلم « وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»،
- [٥] وقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث جبريل عليه السلام، على هيئة رجل أعرابي.
- [٦] وكان كثيراً ما يأتي على صورة دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه.^(٦)

(١) سنن النسائي الكبرى (١١٤٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٢٣٥)، صحيح مسلم (١٧٧).

(٣) صحيح البخاري (٤٨٥٥).

(٤) صحيح مسلم (١٧٧).

(٥) صحيح البخاري (٣٢١٥، ٢) وصحيح مسلم (٢٣٣٣).

(٦) وهو دحية بن خليفة بن قروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر

[٧] وأخبر ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل معاينته للملك «يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلَا يَرَى شَيْئًا»^(١).

قال النووي رحمته الله: قال القاضي: أي صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى الضوء أي نور الملائكة ونور آيات الله تعالى حتى رأى الملك بعينه، وشافهه بوحى الله تعالى^(٢). فهذه أمور تتعلق بالوحي الذي كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكذا على غيره من الأنبياء. وكان النبي صلى الله عليه وسلم تُصيبه من ذلك شدة كما أخبرتنا أمنا عائشة رضي الله عنها أنها رأت الرسول

الأكبر ابن عوف الكلبي رضي الله عنه. جاء في صحيح البخاري (٣٦٣٤) ومسلم (٢٤٥١) عن أبي عثمان، قَالَ: أَنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَعِنْدَهُ أُمَّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ نُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دَحِيَّةُ، قَالَتْ أُمَّ سَلَمَةَ: أَيُّمَ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخْبِرُ جِبْرِيلَ، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: فَقِيلَ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ. وفي مسند أحمد (٥٨٥٧) بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: «وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَأْتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي صُورَةِ دَحِيَّةٍ». وفي صحيح مسلم (١٦٧) عَنْ جَابِرِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «... وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبَ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةَ بِنْتِ خَلِيفَةَ» وفي المسند (٢٥٠٩٧) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ، قَالَ: أَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ رضي الله عنها، قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخُنْدُقِ أَقْفُو آثارَ النَّاسِ... فَذَكَرْتُ الْحَدِيثَ فِيهِ: قَالَتْ: فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَإِنَّ عَلَى ثَنَائِيهِ لَتَمَعُ الْعُبَارِ، فَقَالَ: أَقَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْتَ الْمَلَايِكَةَ بَعْدَ السَّلَاحِ، أَخْرَجَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ. قَالَتْ: فَلَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأُمَّتِهِ، وَأَدَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ أَنْ يُخْرَجُوا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَمَرَّ عَلَى بَنِي عَنَمٍ، وَهُمْ حِيرَانُ الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟» فَقَالُوا: مَرَّ بِنَا دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ، وَكَانَ دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ تُشْبِهُ لِحْيَتَهُ وَسُنَّتَهُ وَجْهَهُ جِبْرِيلَ عليه السلام. ... الْحَدِيثُ. وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٧). وفي المسند أيضا (٢٤٤٦٢، ٢٥١٣١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ، وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا، قُلْتُ: رَأَيْتُكَ وَاضِعًا يَدَيْكَ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتِ تُكَلِّمُهُ، قَالَ: «وَرَأَيْتِيهِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يُفَرِّقُ السَّلَامَ» قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ صَاحِبٍ وَدَخِيلٍ، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ، وَنِعْمَ الدَّخِيلُ -والدَّخِيلُ: الصَّيْفُ-. وروى الطبراني في المعجم الأوسط (٧) وفي المعجم الكبير (١/٢٦٠) رقم (٧٥٨) من طريق عُفَيْرِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «يَأْتِينِي جِبْرِيلُ عَلَى صُورَةِ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ» قَالَ أَنَسٌ: وَدَحِيَّةُ كَانَتْ رَجُلًا جَسِيمًا جَمِيلًا أَبْيَضَ. وعفیر هذا ضعيف جدا. وروى العجلي في تاريخه عن عوانة بن الحكم، قال: أجمل الناس من كان جبرائيل ينزل على صورته.

(١) رواه مسلم (٢٣٥٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/١٠٤).

ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(١). وهذا يعلى بن أمية رضي الله عنه رأى النبي ﷺ وهو ينزل عليه الوحي فإذا رسول ﷺ محمراً الوجه وهو يعط ثم سري عنه^(٢). هذه مقامات الوحي التي كانت تنزل على الأنبياء عليهم السلام وكيف يوحى إليهم، فنؤمن بذلك كما جاء في الكتاب والسنة.

الأنبياء بشر فضلهم الله واختارهم:

ومن مسائل الإيمان بالرسول أن نؤمن بأن الرسل الذين بعثهم الله ﷺ كانوا من البشر كما ذكر الله ﷻ في كتابه فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠، فصلت: ٥] أمر الله نبيه ﷺ أن يخبر الناس بأنه بشر، وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [إبراهيم: ١١]

معنى أنهم من البشر:

ومعنى ذلك أنهم يفعلون ما يفعله البشر من الأمور الجبليّة، فمقتضى كون الرسل بشراً أنهم يتصفون بالصفات التي لا تنفك عنها البشرية فهم:

يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتزوجون، ويولد لهم:

كما قال ربنا ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ [الأنبياء] وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨]

المرض والموت:

ويمرضون ويموتون: كما قال ﷻ في قصة إبراهيم خليله عليه السلام: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي ﴾ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴿٨١﴾ [الشعراء]. فهذه أعراض بشرية يصاب بها الناس، ومنهم الأنبياء عليهم السلام.

(١) تقدم قريبا

(٢) صحيح البخاري (١٥٣٦، ٤٣٢٩)، وصحيح مسلم (١١٨٠).

وقال ربنا ﷺ لعبده ورسوله سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر]. وقال ﷺ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

يخدم نفسه ويحلب شاته

وقد سُئِلْتُ عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ فقالت: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» رواه البخاري ^(١) وفي المسند: قَالَتْ: «نَعَمْ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُحِيْطُ ثَوْبَهُ [وفي رواية: وَيُرْفَعُ ثَوْبَهُ]، وَيُعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ» ^(٢) وفي رواية: قَالَتْ: «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفِيْلُ ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ» ^(٣).

الغضب:

وقال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيْمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسِ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيْمَةَ، فَقَالَ: «أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرْتَ، لَا كَبِيرَ سُنُكٍ» فَرَجَعَتِ الْيَتِيْمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لِكَ يَا بَنِيَّةُ؟ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا يَكْبِرَ سِنِّي، فَالآنَ لَا يَكْبِرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ قَرْنِي فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوْثُ خِمَارَهَا، حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدَعَوْتُ عَلَى يَتِيْمَتِي قَالَ: «وَمَا ذَاكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟» قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبِرَ سِنُّهَا، وَلَا يَكْبِرَ قَرْنُهَا، قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرِيْطِي عَلَى رِيِّي، أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهْرًا وَرِزْقًا، وَقُرْبَةً يَقْرُبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٤).

(١) صحيح البخاري (٦٧٦)

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٧٤٩، ٢٤٩٠٣، ٢٥٣٤١، ٢٦١٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦١٩٤) والبخاري في الأدب المفرد (٥٤١) والترمذي في الشمائل (٣٤٢) وابن حبان (٥٦٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٠٣) وهو حديث متواتر: ففي الباب حديث آخر لأنس رضي الله عنه رواه أحمد (١٢٤٣١) وعن أبي

هريرة رضي الله عنه رواه البخاري (٦٣٦١) ومسلم (٢٦٠١) وعن عائشة رضي الله عنها رواه مسلم (٢٦٠٠) ولها حديث آخر

أشد الناس بلاء:

ولذلك تعرض الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- للابتلاءات كما تعرض غيرهم من البشر، لكن الأنبياء أشد الناس بلاء. فهذا يوسف عليه السلام نبي الله ورسوله **سُجِنَ** ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣] وذكر الله أنه لبث في السجن، فقال: ﴿ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضَعِ سِنِينَ ﴾ [يوسف: ٤٢]. وقال ربنا ﷻ في شأن أنبياء بني إسرائيل: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]. ومن الأنبياء الذين قتلوا: نبي الله يحيى عليه السلام قتل بسبب امرأة ^(١) وقيل إن أباه نبي الله زكريا عليه السلام قتل بعده، وقيل بل مات موتا لم يقتل ^(٢). لكنه عليه السلام ابتلي في قتل ابنه يحيى عليه السلام. وتآمروا على قتل نبي الله عيسى عليه السلام، فرفعه الله إليه. وابتلى الأنبياء بالأمراض كما هو معروف ومعلوم من قصة نبي الله أيوب عليه السلام، فقد لبث في البلاء ثماني عشرة سنة فرَفَضَهُ القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه ^(٣). وقال الله ﷻ في قصته: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ

رواه أحمد (٢٤٢٥٩) وعن جابر رضي عنه رواه مسلم (٢٦٠٢) وعن سلمان رضي عنه رواه أبو داود (٤٦٥٩) وعن أبي

سعيد الخدري رضي عنه رواه أحمد (١١٢٩٠)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت (٤٤) والطبري في تفسيره ط هجر (٥٠٣/١٤) والحاكم في المستدرک (٣١٤٦، ٤١٥١) عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضي عنه. وصححه الحاكم على شرط الشيخين وفيه نظر، فإن المنهال لم يخرج له مسلم شيئا. وانظر الخبر في تفسير الطبري (٤٩٨/١٤-٥٠٠)، وفي مصنف ابن أبي شيبة (٣١٩٠٥): حدثنا عبدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ما قتل يحيى بن زكريا إلا في امرأة بغي قالت لصاحبها: لا أرضى عنك حتى تأتيني برأسه، قال: فذبحه فأتاها برأسه في طست وفي مستدرک الحاكم (٦٣٤٨) عن عبد الله بن الزبير: من أنكر البلاء فإني لا أنكره، لقد ذُكِرَ لي: إنما قتل يحيى بن زكريا في زانية كانت جارية. وانظر كذلك البداية والنهاية (٤١١/٢-٤١٣).

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٣٥٨/٢)

(٣) قصة أيوب عليه السلام، ولبثه في البلاء ثمان عشرة سنة صحيحة، رواها جماعة عن نافع بن يزيد، عن عُمَيْلِ بْنِ خَالِدٍ، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي عنه عن النبي ﷺ. رواها البزار (٦٣٣٣) وأبو يعلى (٣٦١٧) في مسنديهما، والطبري (١٠٩/٢٠) وابن أبي حاتم [كما في «تفسير ابن كثير» (٣٦١/٥)، (٧٥/٧)] والشعبي (٢٠٨/١٨) في تفاسيرهم. والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٥٩٣)، والطبراني في «الأحاديث الطوال»

أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ ﴿[الأنبياء]. فهم يُصابون بالبلاء بل إنهم أشدُّ الناس بلاء. وقد جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رواه الترمذي ^(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وَهُوَ يُوعَاكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللَّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ

(ص ٢٧٦) - [وعنه وعن غيره أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٧٤)، والضياء المقدسي في «الأمراض أو الطب النبوي» (ص ٢٩) -] والديلمي [كما في «زهر الفردوس» (٨٨٧) لابن حجر]، وابن عساكر في «تاريخه» (٧١/١٠). وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الزهري، عن أنس إلا عقيل، ولا رواه عن عقيل إلا نافع بن يزيد ورواه عن نافع غير واحد. اه. قلت: عقيل ومن فوّه على شرط الشيخين، ونافع بن يزيد هو الكلاعي المصري، روى له مسلم واستشهد به البخاري وهو ثقة قال ابن يونس في تاريخه (١/ ٤٩٢): وكان ثبتا في الحديث، لا يختلف فيه. اه. ووثقه غير واحد كما في التهذيب. وخولف في سنده. رواه الطحاوي من طريق نعيم بن حماد، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه، مرسلا. ورواية نافع أصح، فإن في حفظ نعيم بن حماد ضعفا كما في التقريب. والحديث صححه ابن حبان (٢٨٩٨) والحاكم (٤١١٥) وخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» (٢٦١٦). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين؛ وفيه نظر، فنافع بن يزيد، لم يعتمد به البخاري كما تقدم وروايته عن عقيل، ليست على شرط مسلم. وعبارة الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٨) أصح، قال: «رواه أبو يعلى والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح» وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧/ ١٤٢): إسناده صحيح. اه. وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٢١): إنه أصح ما ورد في قصته. والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٧) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: رَفَعُ هَذَا الْحَدِيثَ غَرِيبًا جِدًّا. اه. وقال في «البداية والنهاية ت التركي» (١/ ٥١١): «وَهَذَا غَرِيبٌ رَفَعُهُ جِدًّا، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مَوْفُوقًا». اه. وارتضاه شيخنا الوداعي فذكر الحديث في أحاديث معللة ظاهرها الصحة. والأقرب صحته مرفوعا فإن إسناده صحيح ورجاله ثقات. والحافظ ابن كثير رضي الله عنه لم يذكر حجة فيما ذهب إليه والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وقال حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٢٣) وصححه ابن حبان (٢٩٠٠) والحاكم (١٢١) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٣) وشيخنا الوداعي في الجامع الصحيح (١١٥٣)

بَلَاءٍ؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُتْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدَهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يَحُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ» رواه ابن ماجه^(١) واليوم الناس ينزعجون من الابتلاء، فيجزعون ولا يصبرون، وما علموا أنهم لو صبروا واحتسبوا، فإن ذلك خير ورفعة لهم عند الله ﷻ. كما في صحيح البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»^(٢) وقد روى الترمذي بسند ضعيف عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»^(٣). وروى ابن أبي شيبة عن رَجُلٍ مِنَ النَّحَّاحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْبَلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ»^(٤)

السعي لطلب الرزق:

ومن مقتضى بشرية الأنبياء أنهم يعملون ويشتغلون كما يعمل غيرهم ومن ذلك اشتغال النبي ﷺ بالتجارة قبل البعثة ورعيه للغنم، بل وأخبر ﷺ أنه «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»^(٥). وقد قصَّ الله ﷻ علينا من خبر موسى ﷺ في كتابه أنه قال له العبد الصالح: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَنِّي

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٤) وصححه ابن حبان (٢٩٠٠) والحاكم (١١٩) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٤)

وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١١٥٤)

(٢) صحيح البخاري (٥٦٤٥)

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٢) عن عبد الرحمن بن مغراء أبي زهير، عن الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر، ثم

قال: وهذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وقد روى بعضهم هذا الحديث عن

الأعمش، عن طلحة بن مصرف، عن مسروق، قوله شيئاً من هذا. اهـ. قلت: عبد الرحمن بن مغراء ضعيف

في روايته عن الأعمش خاصة كما في التهذيب. وقد رواه ابن أبي شيبة (٤٤٣/٢) رقم (١٠٨٢٩) عن

الثوري عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن مسروق قَالَ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْبَلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ أَجْسَادَهُمْ

كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ» والثوري أوثق من روى عن الأعمش. وانظر: العلل للدارقطني

(٣٢٢٩) والسلسلة الصحيحة للألباني (٢٢٠٦)

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٢/٧) رقم (٣٥٦٠١)

(٥) البخاري (٢٢٦٢) واللفظ له عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٠٥٠) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَجَّحٌ فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ [القصص]. قال الحافظ ابن حجر: والذي قاله الأئمة إن الحكمة في رعاية الأنبياء للغنم: ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم بالخلوة، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم^(١).

وقص الله ﷺ علينا من خبر نبيه ورسوله داود عليه السلام قال الله: ﴿وَعَلَّمَنَّهُ صِنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠]. كان حدادا وفي نفس الوقت كان ملكا، وكان لا يأكل إلا مما تصنعه يده^(٢).
وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا عليه السلام نجارا»^(٣).

التحذير من الغلو في الأنبياء:

فإذا عرفنا ذلك وأنهم بشر كما أخبرنا الله ﷻ تبين أنه ليس لأحد من الأنبياء ولا من غيرهم شيء من خصائص الربوبية ولا من خصائص الألوهية. ومقتضى كونهم بشرا أنهم ليسوا بألهة، وليس فيهم من صفات الألوهية ولا من صفات الربوبية شيء. ولذلك فالؤمن يعبد الله وحده لا شريك له. ويؤمن بأن الرسول أو النبي **عبد لله** **فلا يُعبد، ورسول كريم يطاع ولا يُكذَّب**، والله ﷻ خصهم بالوحي المنزل وفضلهم على العالمين. ومن الغلو الذي وقعت فيه الأمم أنهم عبدوا الأنبياء وغلوا فيهم وفي صالحهم حتى عُبدوا من دون الله ﷻ. وانظر إلى الآيات في خاتمة سورة المائدة إذ يقص الله ﷻ علينا براءة نبيه عيسى عليه السلام مما نُسب إليه قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْهِ الْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّهِ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ

(١) فتح الباري (٤٣٩/٦).

(٢) البخاري (٢٠٢٧) عن المقدم رضي الله عنه، و (٢٠٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مسلم (٢٣٧٩).

شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٧﴾
 [المائدة: ١٧٧]. فهذه مقالة نبي الله عيسى عليه السلام في الموقف الجامع يوم الحشر الأكبر يبرأ إلى الله ﷻ ممن عبده من دون الله؛ ولهذا يقول ربنا- سبحانه:- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ ﴿٨٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٩٠﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩١﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٣﴾ [مريم: ٩٣]. فليس للأنبياء ولا لغيرهم من صفات الربوبية ولا من صفات الألوهية شيء.

اصطفاء الله للأنبياء والرسول:

ويجب أن نؤمن بأنهم رسل الله، وبأن الله ﷻ قد أكرمهم، ونطيعهم. فطاعتهم من طاعة الله ﷻ قال ربنا سبحانه: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]. ومع أنهم كانوا بشرًا إلا أن الله ﷻ جبلهم على أكمل الأخلاق وأكمل الأوصاف، فلا شك أن البشر يتفاوتون فيما بينهم تفاوتًا كبيرًا في الخلق وفي الخلق لكن أنبياء الله ﷻ كانوا يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صورته؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. فقد اختارهم الله من أطهر البشر قلوبًا، وأزكاهم أخلاقًا، وأجودهم قريحة؛ ولهذا يقول ربنا ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ﴿٦٩﴾ [الأحزاب] فالله ﷻ خلقهم وجعلهم أكمل الناس في خلقهم وفي خلقهم، فكانوا أكمل الناس أجسامًا، وأحسن الناس صورًا. وقد وصف لنا النبي ﷺ بعض الأنبياء وبعض الرسل لما رآهم ليلة أسري به. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَأَيْتُ مُوسَىٰ وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبُ رَجُلٍ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رُبْعَةٌ أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ -عني الحمام- وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ» (١).

(١) البخاري (٣٣٩٤)، (٣٤٣٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٨)، (١٧٢).

والمقصود أنهم كانوا من أحسن الناس صورةً: فليس فيهم أعور، وليس فيهم أعمى، وليس فيهم من هو صاحب عاهة، بل كانوا في جمال صورهم من أحسن الناس عليه السلام.

صفة رسولنا صلى الله عليه وسلم:

وكان نبينا عليه الصلاة والسلام أشبه الناس بنبي الله إبراهيم عليه السلام كما تقدم، و«كَانَ رُبْعَةً مِّنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ، أَمْهَقٌ وَلَا أَدَمٌ، لَيْسَ يَجْعَدُ قَطِطٍ، وَلَا سَبْطُ رَجُلٍ»^(١) وكان صلى الله عليه وسلم: «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا»^(٢) وكان شديد سواد الشعر، «لَمْ يَرِ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا قَلِيلًا»^(٣) «وَكَانَ فِي عَنَقَتِهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ»^(٤) «وَكَانَ قَدْ شَمَطَ مَقْدَمَ رَأْسِهِ وَلِحِيَتَهُ وَكَانَ إِذَا أَدْهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ وَإِذَا شَعَثَ رَأْسَهُ تَبَيَّنَ»^(٥)

«وَتَوَقَّاهُ اللَّهُ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ»^(٦) «وَلَمْ يَخْتَضِبْ صلى الله عليه وسلم، إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنَقَتِهِ وَفِي الصُّدْعَيْنِ وَفِي الرَّأْسِ نَبْدًا»^(٧) وكان صلى الله عليه وسلم: «أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ»^(٨) ويفسره كما ذكر العلماء^(٩) الحديث الآخر أنه: كان «مُشْرَبَ الْعَيْنِ بِحُمْرَةٍ»^(١٠) وكان صلى الله عليه وسلم: «أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ»^(١١) «أَهْدَبَ أَشْفَارِ الْعَيْنَيْنِ»^(١٢) أي: طويل شعر الأجناف. وغير

(١) صحيح البخاري (٣٥٤٧)، وصحيح مسلم (٢٣٤٧)، عن أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (٣٥٤٩)، وصحيح مسلم (٢٣٣٧)، عن البراء رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري (٥٨٩٤) وصحيح مسلم (٢٣٤١) من حديث أنس رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري (٣٥٤٦) عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه. ومسلم (٢٣٤١) من حديث أنس و (٢٣٤٢) من حديث

أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٢٣٤٤) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٦) صحيح البخاري (٣٥٤٧) وصحيح مسلم (٢٣٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) رواه مسلم (٢٣٤١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٨) رواه مسلم (٢٣٣٩) والترمذي (٣٦٤٧) واللفظ له من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٩) نقل النووي عن الفأخي عياض اتفاق العلماء وجميع أصحاب الغريب أن الشكلة حمرة في بياض العينين

قال: وهو محمود أ.هـ.

(١٠) رواه أحمد (٦٨٤، ٧٩٦) من حديث علي رضي الله عنه.

(١١) رواه أحمد (٣٤١٠) والترمذي في الشمائل (٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(١٢) رواه أحمد (٦٨٤، ٧٩٦، ١٣٠٠) والترمذي (٣٦٣٨) من حديث علي رضي الله عنه، وأحمد (٨٣٥٢) والطيالسي (٢٤٣٢)

والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٥، ١١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك من الأوصاف التي وصفه به أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.
 وأما كماله في الأخلاق فإن الله ﷻ يقول في نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٥١﴾ [القلم].

وهكذا جاء ثناء الله ﷻ على أنبيائه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ٥٢﴾ [هود].
 وقالت ابنة العبد الصالح تصف موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ
 الْأَمِينُ ٦٦﴾ [القصاص].

وقال الله في وصف إسماعيل عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ
 وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٥﴾ [مريم].

ومن وصف الله لإبراهيم وإدريس عليهما السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦﴾ [مريم: ٥٦، ٥٦].
 وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١﴾ [مريم].
 وغير ذلك من الأوصاف العظيمة الدالة على كمال الأخلاق التي كان عليها الأنبياء.
 وكان أنبياء الله ورسله خير الناس نسبًا، فهم ذوا أنساب كريمة.

فجميع الرسل من نوح عليه السلام إلى من بعده كانوا ذوي نسب رفيع. بل جميع الرسل
 بعد نوح كانوا من ذريته، وجميع الرسل بعد إبراهيم كانوا من ذريته قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ٢٦﴾ [الحديد: ٢٦].

والذي عليه أهل العلم أن الأنبياء كانوا أحرارًا بعيدين عن الرّق. يقول السفاريني
 رحمه الله: الرّق وصف ناقص لا يليق بمقام النبوة^(١).

وكذلك ذكر العلماء: أن الأنبياء أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان
 المبين، والبديهة الحاضرة. وكان رسولنا ﷺ يحفظ ما يلقى إليه ولا ينسى منه كلمة كما
 قال ربنا سبحانه: ﴿سَمِعْرُكَ فَلَا تَنْسَى ٦﴾ [الأعلى].

وكان موسى عليه السلام يجيب فرعون على البديهة حتى انقطع، وانتقل إلى التهديد بالقوة:
 ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/٢٦٥).

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٥٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَ لَئِنْ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٦٩﴾ ﴿الشعراء﴾.

وهذا من الخطاب البديع الذي حاج به موسى عليه السلام فرعون على تكبره وعُتُوّه.

بيان شيخ الإسلام لصفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخلقية والخلقية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: وَقَدْ نَقَلَ النَّاسُ صِفَاتِهِ الظَّاهِرَةَ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِهِ، وَنَقَلُوا أَخْلَاقَهُ مِنْ حَلْمِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَكَرَمِهِ وَرُحْمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ بَعْضَ ذَلِكَ:

[١] فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الدَّاهِبِ وَلَا بِالْقَصِيرِ»^(١).

[٢] وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ [رَجُلًا مَرْبُوعًا] بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، عَلَيْهِ حَلَّةٌ حُمْرَاءُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ»^(٢).

[٣] وَفِي الْبُخَارِيِّ: وَسُئِلَ الْبَرَاءُ رضي الله عنه: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِثْلَ السَّيْفِ^(٣)، قَالَ: «لَا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ»^(٤).

[٤] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ فَلَاقَهُ قَمَرٌ»^(٥).

[٥] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ^(٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ضَخْمَ

(١) صحيح البخاري (٢٣٣٧، ٣٥٤٩)، ومسلم (٩٣/٢٣٣٧)

(٢) صحيح البخاري (٣٥٥١، ٥٨٤٨)، ومسلم (٩٢/٢٣٣٧) واللفظ له والزيادة منه. وللبخاري نحوه.

(٣) (مثل السيف) أي في البريق واللمعان والصقالة. (مثل القمر) الذي هو فوق السيف في الإشراق إلى جانب الاستدارة في جمال.

(٤) صحيح البخاري (٣٥٥٢) وفي صحيح مسلم (٢٣٤٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَخَلِيَّتِهِ، وَكَانَ إِذَا آدَهَنَ لَمْ يَتَّبِعْنِ، وَإِذَا شَعَتَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ»، فَقَالَ: رَجُلٌ وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَرَأَيْتُ الْحَاتِمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ»

(٥) صحيح البخاري (٣٥٥٦، ٤٤١٨، ٤٦٧٧)، ومسلم (٢٧٦٩) وفي رواية للبخاري: «وَكَانَ إِذَا اسْتَبَشَّرَ...»

(٦) لم يروه مسلم بهذا اللفظ، وإنما رواه باللفظ الآتي.

(الرَّأْسِ) وَالْقَدَمَيْنِ، [حَسَنَ الْوَجْهِ] ^(١) لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ ^(٢) (ضَخَمَ الْيَدَيْنِ) ^(٣) ^(٤)

[٦] «وَسُئِلَ ﷺ عَنْ شَعْرِهِ، فَقَالَ: «كَانَ شَعْرًا رَجِلًا، لَيْسَ بِالْجَعْدِ وَلَا بِالسَّبِطِ، بَيْنَ أَدْنِيهِ وَعَاتِقِهِ» ^(٥).

[٧] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ، قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ» ^(٦). وَقَسَرَهَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: وَاسِعَ الْفَمِ، طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ، قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ. ^(٧)

(١) زيادة من الصحيح (٥٩٠٧)

(٢) وردة في سياق الحديث من طريق أخرى عند البخاري (٥٩٠٦) وانظر تخريج الحديث.

(٣) قال الحافظ في فتح الباري (٣٥٩/١٠): «كَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ» وَوَقَعَ هُنَا فِي رِوَايَةِ الْكُشَيْبِيِّ «سَبِطَ الْكَفَّيْنِ» بِتَقْدِيمِ الْمُهْمَلَةِ عَلَى الْمُوَحَّدَةِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لَوْصَفِهَا بِاللَّيْنِ قَالَ عِيَّاضٌ وَفِي رِوَايَةِ الْمُرْزِيِّ «سَبِطٌ أَوْ بَسِطٌ» بِالشَّكِّ ... ثم قال: وَالْمُرَادُ وَصْفُ الْخُلُقَةِ وَأَمَّا مَنْ فَسَّرَهُ بِبَسِطِ الْعِظَاءِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْوَاقِعُ كَذَلِكَ لَكِنَّ لَيْسَ مُرَادًا هُنَا أ.هـ.

(٤) رواه البخاري (٥٩٠٧) بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخَمَ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، لَمْ أَرْ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرِّ الْهَرَوِيِّ الَّتِي شَرَحَ عَلَيْهَا الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣٥٨/١٠): «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخَمَ الرَّأْسِ وَالْقَدَمَيْنِ، ...» إلخ وَمِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ (٣٦٣٦) بِهَذَا اللَّفْظِ «ضَخَمَ الرَّأْسِ». وَذَكَرَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ الْحَمِيدِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ (٥٣٦/٢) وَأَبُو السَّعَادَاتِ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِ الْأَصُولِ (٢٢٩/١١). وَجَاءَ هَذَا الْوَصْفُ أَيْضًا فِي حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَوَاهُ الطِّيَالِسِيُّ (١٦٦) وَابْنُ سَعْدٍ (٤١١/١) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٦٣٧) وَأَحْمَدُ (١٠٠/٢ ط الرسالة) رَقْم (٦٨٤) وَالبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ (١٣١٥). وَحَدِيثِ أَنَسٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (٥٩٠٦) بِلَفْظِ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخَمَ الْيَدَيْنِ، لَمْ أَرْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ شَعْرُ النَّبِيِّ ﷺ رَجِلًا، لَا جَعْدَ وَلَا سَبِطَ» وَانظُرِ الْحَدِيثَ الْآتِي.

(٥) رواه البخاري (٥٩٠٥) ومسلم (٢٣٣٨)

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٣٩) ولم يروه البخاري كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (٢١٨٣)

(٧) ورد في صحيح مسلم عقب الحديث. وقال النووي في شرح مسلم (٩٣/١٥): أَمَا قَوْلُهُ فِي صَلْبِ الْعَقِبِ فَكَذَا قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ وَهُوَ الْأَظْهَرُ ... وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي أَشْكَلِ الْعَيْنِ فَقَالَ الْقَاضِي هَذَا وَهُمْ مِنْ سِمَاكِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَعَلَّطَ ظَاهِرَ وَصَوَابِهِ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَنَقَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْعَرَبِ أَنَّ الشُّكْلَةَ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِ الْعَيْنَيْنِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ وَالشُّهْلَةُ بِالْهَاءِ حُمْرَةٌ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ وَأَمَّا الْمَنْهُوسُ فَبِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ هَكَذَا صَبَطَهُ الْجُمْهُورُ وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَابْنُ الْأَثِيرِ رَوَى بِالْمُهْمَلَةِ وَالْمُعْجَمَةِ وَهَمَّا مُتَقَارِبَانِ وَمَعْنَاهُ قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ كَمَا قَالَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ أ.هـ.

- [٨] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِالْأَدَمِ، وَلَا بِالْجَعْدِ الْقَطِطِ وَلَا بِالْسَّبُطِ»^(١).
- [٩] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَزْهَرَ اللَّوْنِ»^(٢)، كَانَ عَرَقَهُ اللَّوْلُؤُ، إِذَا مَشَى تَكْفَأً^(٣)، وَمَا مَسَسْتُ دِيبَاجَةً وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَ وَلَا عَنْبَرَةً أَطِيبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»^(٤).
- [١٠] وَرَوَى الدَّارِمِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَفْلَجَ الثَّيْتَيْنِ»^(٥)، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ الثُّورُ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَائِيهِ»^(٦).
- [١١] وَرَوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أُنْجَدَ»^(٧) وَلَا أَجُودَ وَلَا أَشْجَعَ وَلَا

- (١) أخرجه البخاري (٣٥٤٨، ٥٩٠٠) ومسلم (٢٣٤٧) من طريق مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن أنس بن مالك، أنه سمعه يقول -فذكره وزاد-: «... بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ»^(٢) قَوْلُهُ «أَزْهَرَ اللَّوْنِ» أَي أَبْيَضَ مُشْرَبٌ بِمُحْمَرَةٍ. انظر: فتح الباري (٥٦٩/٦)
- (٣) قَوْلُهُ «إِذَا مَشَى تَكْفَأً» قَالَ النُّووي فِي شَرْحِ مُسْلِمَ (١٥/٨٦): هُوَ بِالْهَمْزِ وَقَدْ يُتْرَكُ هَمْزُهُ ... قَالَ شِمْرٌ أَي مَالَ يَمِينًا وَشِمَالًا كَمَا تَكْفَأُ السَّفِينَةُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ هَذَا خَطَأٌ لِأَنَّ هَذَا صِفَةُ الْمُخْتَالِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنْ يَمِيلَ إِلَى سَمْتِهِ وَقَصْدِ مَشْيِهِ كَمَا قَالَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صِبِّ قَالِ الْقَاضِي لَا بَعْدَ فِيمَا قَالَهُ شِمْرٌ إِذَا كَانَ خُلِقَةً وَجِبِلَّةً وَالْمَدْمُومُ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَعْمَلًا مَقْضُودًا ٥١.
- (٤) أخرجه بهذا اللفظ الإمام مسلم (٢٣٣٠) من طريق حماد بن سلمة قال حدثنا ثابت عن أنس به فذكره وأخرجه البخاري (٣٥٦١) من طريق حماد بن زيد عن ثابت به بلفظ «مَا مَسَسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلَا شَمَمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرَفًا قَطُّ أَطِيبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَفِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم» وفي البخاري (٣٥٤٧) من طريق سعيد بن أبي هلال عن ربيعة عن أنس رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رُبْعُهُ مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ، أَمْهَقٌ وَلَا أَدَمٌ، ...» الْحَدِيثُ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٧) مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ جَعْفَرٍ وَسُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَنْ رَبِيعَةَ بِهِ نَحْوَهُ.
- (٥) الأفلج: هو المتباعد ما بين الثنايا والرباعيات. قاله أبو عبيد في غريب الحديث (٣/٢٣٩).
- (٦) أخرجه الدارمي (٥٩) وعنه الترمذي في الشمائل (١٥) ورواه يعقوب الفسوي في المعرفة (٣/٢٨٨) -ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٢١٥/١)- والطبراني في المعجم الأوسط (٧٦٧) وفي المعجم الكبير (١١/٤١٦) رقم (١٢١٨١) وفي إسناده عبد العزيز بن عمران المعروف بابن أبي ثابت الزهري وهو متروك، وليس له في مسند الدارمي إلا هذا الحديث وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٢٢٠).
- (٧) من التَّجْد وهو الشجاع.

أضوأ من رسول الله ﷺ»^(١).

[١٢] وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ^(٢) عِنْدَنَا، فَعَرَقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَمَّ سَلِيمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟!» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجَعَلُهُ فِي طَيْبِنَا، وَهُوَ أَطْيَبُ مِنَ الطَّيْبِ. أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣).

[١٣] وَرَوَى الدَّارِمِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْلُكُ طَرِيقًا فَيَتَّبِعُهُ أَحَدًا، إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ قَدْ سَلَكَهُ مِنْ طَيْبِ عَرَقِهِ»^(٤).

(١) تفرد به الدارمي (٦٠) رواه عن مسعر، عن عبد الملك بن عمير، قال: قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فذكره. ورجاله ثقات، لكن عبد الملك مدلس ولم يصرح بالسماع. والحديث رواه أيضا ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١٧٠)، (٣٩٦) وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (٨٦) وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٤٤)

(٢) من القيلولة وهو النوم.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٢٣٣١) من طريق ثابت، عن أنس. ورواه البخاري (٦٢٨١) من طريق ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن جده أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ أُمَّ سَلِيمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نِطْعًا، فَيَقْبَلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النَّطْعِ» قَالَ: «فَإِذَا نَامَ النَّبِيُّ ﷺ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعْرِهِ، فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سَكٍّ» قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْوَفَاءَ، أَوْصَى إِلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنَوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السَّكِّ، قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنَوطِهِ. ورواه مسلم (٢٣٣١) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عمه أنس بن مالك، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سَلِيمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأَتَيْتُ فَيَقْبَلُ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِكَ، عَلَى فِرَاشِكَ، قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرَقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةٍ أُدِيمٍ، عَلَى الْفَرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سَلِيمٍ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرَجُّو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ ﷺ: «أَصَبَتْ»

(٤) تفرد به الدارمي (٦٧) من طريق إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي أنبأنا المغيرة بن عطية، عن أبي الزبير، عن جابر به. وهذا إسناد ضعيف، أبو الزبير مدلس وقد عنعنه. والمغيرة بن عطية وتلميذه مجهولان، والحديث ضعف إسناده الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١٦٩/٥) تحت حديث رقم (٢١٣٧)، ولكنه أورد له شاهدا من حديث أنس رواه أبو يعلى الموصلي (٣١٢٥) -واللفظ له، ومن طريقه: تلميذه أبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (٢٢٥) وتلميذ أبي الشيخ: أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٣٦٢) -؛ والبخاري - كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (١٦١/٣) -، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٧٥١) من حديث عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ فِي الطَّرِيقِ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَجَدَ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمَسْكِ، قَالُوا: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الْيَوْمَ.

[١٤] وَفِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدِ الْمَشْهُورِ، لَمَّا مَرَّ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَمَوْلَاهُ، وَدَلِيلُهُمْ، وَجَاءَ زَوْجُهَا فَقَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، فَقَالَتْ: «رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، حُلُوَ الْمَنْطِقِ، فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ حَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرُنْ»^(١)

وفي إسناده عمر بن سعيد وهو ابن الأبيح، منكر الحديث عن سعيد بن أبي عروبة، قاله البخاري. وأخرج حديثه هذا ابن عدي في الكامل (٩٨/٦) وقال البزار: وَرَوَاهُ أَيضًا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعْرِفُ بِرَأْيَةِ الطَّيِّبِ اِهْوَذًا مَعْلَقٌ. ووصله الضياء في المختارة (١٢٩/٧) بسند لا بأس به عن موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان القزاز ثنا عبد الله بن محمد بن حجاج الصراف ثنا معاذ به. ورواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٨/ ١٨٤) عن شيخه صالح بن أحمد بن يونس، حدثنا عبد الله بن محمد بن الحجاج بن أبي عثمان الصواف، حدثنا معاذ بن هشام، به وصالح كذاب لا يفرح بروايته. ورواه ابن سعد في الطبقات (٣٩٨/١) والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٩٠٤) من طريق أبي بشرٍ، صَاحِبِ الْبَصْرِيِّ الْمُرْتَقِ، عَنْ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا نَعْرِفُ خُرُوجَ النَّبِيِّ ﷺ بِرِيحِ الطَّيِّبِ» وأبو بشر لا يعرف، والرقاشي ضعيف. وبالجملة فحديث جابر مع حديث أنس من طريق الدستوائي حسن لغيره والله أعلم.

(١) حسن لغيره، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٨/٤) رقم (٣٦٠٥) وفي الأحاديث الطوال (٣٢) والآجري في الشريعة (١٠٢٠) والحاكم في المستدرک (٤٢٧٦) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٤٣٣) - ومن طريقه إسماعيل الأصبهاني في دلائل النبوة (٤٢) - وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢٣٨) وفي معرفة الصحابة (٧٠٠٢) والبيهقي في الدلائل (٢٧٧/١) وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٩٦١) والبخاري في شرح السنة (٣٧٠٤) وفي الأنوار في شمائل النبي المختار (٤٥٦) وابن عساكر في التاريخ (٣/٣٣٠ و ٣٦٣/١٢) من طرق عن مكرم بن محرز بن مهدي قال حدثني أبي محرز بن مهدي، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٢٦٥) من طريق يحيى بن سليمان بن فضلة (وهو صدوق فيه لين)، وأخرجه الطبري في المنتخب (١١/ ٥٧٧ - ٥٨٠) وفي التاريخ (١١/ ٥٧٧)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٣٤٠) وأبو بكر الشافعي في الفوائد (١١٤٠) - ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٣/ ٣٢٣) وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٦٨٤) - واللالكائي (١٤٣٦، ١٤٣٧) - ومن طريقه إسماعيل الأصبهاني في دلائل النبوة (٤٢) - والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٧٧ - ٢٨٠)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٩٥٨) وابن عساكر في (٣/ ٣٢٧) في التاريخ من طرق عن أبي هشام محمد بن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الكعبي الربيعي، قال: حدثني عمي أيوب بن الحكم بن أيوب. ثلاثتهم (محرز ونضلة وأيوب بن الحكم) عن حزام بن هشام بن خالد، عن أبيه هشام بن حبيش، عن أبيه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ. وحزام قال ابن معين: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: شيخ محله الصدق، وذكره ابن حبان في "الثقات". ووالده هشام ذكره ابن حبان في "الثقات"، وترجمه البخاري وابن أبي حاتم في كتابيهما ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وانظر: السلسلة الضعيفة (١٤/ ١٠٦٣) والحديث أخرجه أيضا الحاكم في المستدرک (٤/ ٤٢٧٤): عن =

[١٥] وَرَوَى أَبُو زُرْعَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ: صِفِي لَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «يَا بِنْتِي، لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً»^(١).

[١٦] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَاَنْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرَيْبِيٍّ؛ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا، وَقَالَ: وَجَدْنَا بِحَرًّا، وَكَانَ الْفَرَسُ قَبْلَ ذَلِكَ بَطِيئًا فَعَادَ لَا يُجَارَى»^(٢).

[١٧] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيْحِ الْمُرْسَلَةِ»^(٣).

الحسين بن حميد بن الربيع الخزاز، حدثنا سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن بشار الخزاعي، ثنا أخي أيوب بن الحكم، وسالم بن محمد الخزاعي جميعا، عن حزام بن هشام، عن أبيه هشام بن حبيش بن خويلد صاحب رسول الله ﷺ، -لم يذكر حبيش بن خالد وجعله من رواية هشام بن حبيش وذكر الحديث. وفي إسناده الحسين بن حميد كذبه مطين واتهمه ابن عدي وهو متابع: فقد أخرجه البغوي في معجم الصحابة (٥٠٥) واللالكائي في شرح السنة (١٤٣٥) من طريق محمد بن هارون الروياني كلاهما (البغوي والروياني) قالا حدثنا سليمان به. وخالفهم مسلم بن قتيبة المروزي قال: حدثني سليمان بن الحكم بقديد حدثني أخي أيوب بن الحكم عن حزام بن هشام عن أبيه هشام بن حبيش عن أبيه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ. فجعله من حديث حبيش والد هشام. مثل رواية الجماعة رواه عنه: ابنه ابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٤٦٥). وتابعه أبو زيد: عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم حدثنا سليمان به. رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٧٧). وانظر: مختصر تلخيص الذهبي (٢/ ١٠٩٢) رقم (٤٦٣) تحقيق عبد الله الحميدان وسعد الحميد. والسلسلة الضعيفة (١٤/ ١٠٦٣)

(١) لم أقف عليه من هذا الوجه، ولعل في النص تحريفا، صوابه (أبو عبيدة بن محمد بن عمار ...) فالحديث أخرجه الدارمي (٦١) ويعقوب بن سفيان في المعرفة (٢/ ٢٨٣) وابن أبي عاصم في الأحاد (٣٣٣٥) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٤٥٨) وفي الكبير (٢٤/ ٢٧٤) رقم (٦٩٦) وغيرهم من طريق عبد الله بن موسى التيمي ثنا أسامة بن زيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع فذكره. وهذا إسناد ضعيف، فيه عبد الله بن موسى هو التيمي الطلحي صدوق كثير الخطأ.

(٢) صحيح البخاري (٢٩٠٨، ٦٠٣٣) وصحيح مسلم (٢٣٠٧)

(٣) صحيح البخاري (٦)، وصحيح مسلم (٢٣٠٨)

[١٨] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا الَّذِي يُحَازِي بِهِ (يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ)»^(١).

[١٩] وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا الْمُشْرِكِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ» ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ^(٢).

[٢٠] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي (أَقَا) قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟»^(٣).

[٢١] وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا قَالَ رضي الله عنه: «خَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟»^(٤)

[٢٢] «وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»^(٥).

[٢٣] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: لَا»^(٦).

[٢٤] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ،

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٦) بهذا اللفظ وهو في صحيح البخاري (٢٨٦٤، ٢٨٧٤، ٢٩٣٠) بمعناه.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (١/٣٢٥)، والحديث رواه أحمد (١٠٤٢، ١٣٤٧) والنسائي في السنن الكبرى (٨٥٨٥) والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢٦٣٣) وصححه.

(٣) صحيح البخاري (٢٧٦٨، ٦٠٣٨)، وصحيح مسلم (٥٠/٢٣٠٩).

(٤) صحيح البخاري (٢٧٦٨، ٦٩١١)، وصحيح مسلم (٥٢/٢٣٠٩).

(٥) هذه الجملة رواها البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (٦٥٩، ٢١٥٠) عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»، وَكَانَ لِي أَحْ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَمِيرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ» نَعَرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْنِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْسُ وَيُنْضِجُ، ثُمَّ يَقُومُ وَيَقُومُ خَلْفَهُ فَيَصِلُ بِنَا. وَرَوَاهَا مُسْلِمٌ (٢٣١٠) وَلَفْظُهُ: قَالَ إِسْحَاقُ قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَتَنَظَّرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ رضي الله عنه: «يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(٦) صحيح البخاري (٦٠٣٤)، وصحيح مسلم (٢٣١١).

أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَاقَةَ»^(١).

[٢٥] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعُذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»^(٢).

[٢٦] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، وَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مَتَفَحِّشًا»^(٣).

[٢٧] وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَبَابًا وَلَا فَحَاشًا وَلَا لَعَانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: مَا لَهُ تَرِبَتْ جَبِينُهُ»^(٤).

[٢٨] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ»^(٥).

[٢٩] وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ، لَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمُ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ»^(٦).

[٣٠] وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْهَا رضي الله عنها، وَقَدْ سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(٧).

[٣١] وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ، وَسَأَلَهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا

(١) أخرجه مسلم (٢٣١١) ولم يخرج البخاري كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (٤١٤/١) رقم (١٦١٤)، والمسند المصنف المعلق (١٤٦/٢) رقم (٦٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٥٦٢، ٦١٠٢)، وصحيح مسلم (٢٣٢٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٥٩، ٣٧٥٩، ٦٠٢٩)، وصحيح مسلم (٢٣٢١).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٣١، ٦٠٤٦).

(٥) صحيح مسلم (٢٣٢٧) وهو في البخاري أيضا (٦١٢٦، ٣٥٦٠) فالحديث متفق عليه.

(٦) صحيح مسلم (٢٣٢٨).

(٧) لفظه عند الإمام مسلم (٧٤٦) في حديث طويل: ... قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ الْقُرْآنَ»

واللفظ المذكور في رواية في مسند أحمد (٢٤٦٠١، ٢٥٠٢، ٢٥٨١٣) والأدب المفرد للبخاري (٣٠٨).

وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا سَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ،
أَوْ يَغْفِرُ» شَكَ أَبُو دَاوُدَ^(١)

[٣٢] وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ^(٢).

[٣٣] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَهَلْ كَانَ يَخْضُ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: «لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيْكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَطِيعُ»^(٣).

[٣٤] وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، وَقَدْ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنُ»^(٤).

[٣٥] وَفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ لِأَتَمَّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٥).

(١) مسند أبي داود الطيالسي (١٦٢٣)، -ومن طريقه رواه الترمذي (٢٠١٦)- ورواه أحمد (٢٥٤١٧، ٢٥٩٩٠)، (٢٦٠٩١) والترمذي في الشمائل (٣٤٨)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٤٣)، من طريق شعبة وزكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق به. وسنده صحيح.

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٤٢٢٤) من طریق أحمد بن عبد الجبار، ثنا یونس بن بکیر، عن یونس بن عمرو، عن العیزار بن حرث، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: لَا قَطُّ وَلَا عَلِيْطٌ وَلَا سَخَابٌ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ». وقال الحاکم: هذا حديث صحيح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. اهوتعقبه شیخنا الوادعی فی التعلیق علی المستدرک فقال: لا، أحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعيف، ويونس بن بکیر ليس من رجال البخاري ما روى له إلا تعليقا كما في تهذيب التهذيب. اهوتعقبه بنحو هذا أيضا -مع فوائد زوائد- العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٥٨). قلت: والحديث رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٦١١) وابن سعد في الطبقات (١/٣٦٣ ط صادر) عن الفضل بن دكين أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن العيزار به. ورواه إسحاق بن راهويه في المسند (١٦١٠) قال: أخبرنا جرير، وعيسى بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن العيزار بن حرث، به، وهذا إسناد صحيح.

(٣) صحيح البخاري (١٩٨٧، ٦٤٦٦)، وصحيح مسلم (٧٨٣)

(٤) صحيح مسلم (٧٤٦)

(٥) المستدرک علی الصحیحین (٤٢٢١) رواه من طریق ابن عجلان، عن القعقاع بن حکيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة وقال: صحيح علی شرط مسلم. وتعقبه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٢/١) وشیخنا

[٣٦] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْمُعْبِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

[٣٧] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ»^(٢).

[٣٨] وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه، أَنَّ أَحَاهُ أْتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: جِيرَانِي عَلَيَّ مَا أُخِذُوا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْعِيِّ، ثُمَّ تَسْتَحْلِي بِهِ، فَقَالَ: «لَأَنْ كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَعَلِّي وَمَا هُوَ عَلَيْهِمْ، خَلُّوا لَهُ جِيرَانَهُ»^(٣).

[٣٩] وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، (وَأَبُو دَاوُدَ)، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ» رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ: ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْهُ^(٤).

الوادي في التعليق على المستدرک بأن ابن عجلان، إنما أخرج له مسلم مقرونا بغيره ولم يعتد عليه اهـ والحديث في مسند أحمد (٨٩٥٢) والأدب المفرد للبخاري (٢٧٣) وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة (٤٥) وشيخنا الوادي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢١٣٦)

(١) صحيح البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٦، ٦٤٧١)، وصحيح مسلم (٢٨١٩). وفي الباب عن عائشة رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠) وعن أبي هريرة رواه الترمذي في الشمائل المحمدية (٢٦٣، ٢٦٤) وابن ماجه (١٤٢٠) ورواه النسائي (١٦٤٥) بلفظ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصَلِّي حَتَّى تَزْلَعَ - يَعْنِي تَشْفُقُ - قَدَمَاهُ».

(٢) صحيح البخاري (٣٥٦٣، ٥٤٠٩)، وصحيح مسلم (٢٠٦٤)

(٣) مسند أحمد (٢٠١٤) وأخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني (٦٩) وهو في سنن أبي داود (٣٦٣٠) والترمذي (١٤١٧) والنسائي (٤٨٧٥، ٤٨٧٦) مختصراً: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حَبَسَ رَجُلًا فِي نُهْمَةٍ» زاد الترمذي والنسائي « ثُمَّ حَلَّى سَبِيلَهُ » والحديث حسنه الألباني في إرواء الغليل (٢٣٩٧) وشيخنا الوادي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٩٣)

(٤) مسند أحمد (١٢٣٤٥)، وسنن الترمذي (٢٧٥٤) ولم يخرج أبو داود كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (٦٢٥) والمسند المصنف المعلل (١١٢٦). والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٣٥٨) وفي هداية الرواة (٤٦٢٤) وشيخنا الوادي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٥٤)

[٤٠] وَرَوَى (عَنْهُ) ^(١) أَبُو نُعَيْمٍ ^(٢) وَأَبُو الشَّيْخِ، وَغَيْرُهُمَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَى نَبِيِّهِ صلوات الله عليه مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: الْمَلَكُ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرُهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا، قَالَ: فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه إِلَى جِبْرِيلَ كَأَلْمُسْتَشِيرِ، فَأَشَارَ جِبْرِيلُ بِيَدِهِ: أَنْ تَوَاضَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «لَا بَلْ أَكُونُ عَبْدًا نَبِيًّا» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ ^(٣).

[٤١] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلوات الله عليه فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنِّي مِنَ النَّارِ» ^(٤).

[٤٢] وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كَلَّمَ رَجُلًا فَأَرَعَدَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَأَنَّكَ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ» رَوَاهُ

(١) كلمة (عنه) لا توجد في بعض النسخ المخطوطة كما أشار محققوا الكتاب. وهو الأقرب والله أعلم.

(٢) عزاه إليه أيضا السيوطي في الخصائص الكبرى (٤٠٧/٢) ولم أفف عليه.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٧١٠) - وعنه الطحاوي في المشكل (٢٠٩٢) -، والبخاري في التاريخ الكبير (١٢٤/١) والذهلي في الزهريات - ومن طريقه الضياء في المختارة (٩٥/٦٢/١٣) - ويعقوب بن سفيان في المعرفة (٣٦١/١ - ٣٦٢) - ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٣٣٣/١) وفي السنن الكبرى (١٣٣٢٧) - ويحيى بن صاعد في زوائده على الزهد لابن المبارك - ت الأعظمي (٧٦٦) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧١/٤) -، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٨٦)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (٦١٨) - ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٣٦٨٤) وفي الشمائل (١٥) - من طرق عن بقرية بن الوليد ثني الزبيدي به حدثني الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس رضي الله عنه يحدث... فذكره وزاد: فقال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا حتى لقي ربه. وفي إسناده محمد بن عبد الله بن عباس، وقيل محمد بن علي بن عبد الله، والأول أصح، ترجمه البخاري وغير واحد ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الحافظ في التقريب: مقبول ١هـ، أي حيث يتابع وإلا فلين الحديث. وله شاهد رواه الإمام أحمد في مسنده (٧١٦٠) والبخاري (٩٨٠٧) وأبو يعلى (٦١٠٥) - وعنه ابن حبان (٦٣٦٥) - من طريق عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، قال: ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جلس جبريل إلى النبي صلوات الله عليه، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل عليه السلام: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق، قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، أوفلكا نبيا يجعلك، أو عبدا رسولا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبدا رسولا» وإسناده صحيح وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٠٢).

(٤) رواه البخاري (١٣٥٦)، ولم يخرج مسلم كما في تحفة الأشراف (٢٩٥)، والمسند المصنف المجلد (٢٣١)

ابْنُ الْجَوْزِيِّ مِنْ طُرُقٍ بَعْضُهَا مُتَّصِلٌ عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) ^(١) (وَجَرِيرٍ) ^(٢)، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَرَوِي مُتَّصِلًا، وَالصَّوَابُ إِرسَالُهُ كَمَا تَقَدَّمَ ^(٣)

(١) كذا وصوابه (عن أبي مسعود) كما سيأتي في التخریج.

(٢) زيادة من بعض النسخ كما ذكر المحقق. وانظر التخریج.

(٣) لم أقف على كلام ابن الجوزي. والحديث مرسل كما قال. رواه يزيد بن هارون وعبد الله بن نمير - كما في

الطبقات الكبرى لابن سعد ط دار صادر (٢٣/١) -، وأبو معاوية - كما في الزهد لهناد (٤١٣/٢) - ووکیع

- كما في عيون الأخبار لابن قتيبة (٣٧٦/١)، وأبو خالد الأحمر - كما في جزء الحميري (٤٤) -، ويحيى بن

سعید القطان - كما في العلل للدارقطني (١٩٥/٦) - وزهير بن معاوية - ذكره ابن عدي في الكامل (٥٤٥/٧)

والخطيب في التاريخ (٢٦١/٧) - وابن عيينة - ذكره ابن عدي في الكامل (٥٤٥/٧) - وهشيم - ذكره الخطيب

أيضا - كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، مرسلا. وخالفهم جعفر بن عون فقال:

حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي مسعود به. رواه ابن ماجه (٣٣١٢) والحاكم

(٤٣٦٦) وأبو الشيخ في أخلاق النبي (١٣٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٢/٤) - وقال: غريب -، عن

إسماعيل بن أسد - وهو إسماعيل بن أبي الحارث -، عن جعفر به. وقال الحاكم هذا حديث صحيح

على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وهو فيه نظر - كما سيأتي -، وقال ابن ماجه والدارقطني: إسماعيل وحده

وصله. وهو تعقب الخطيب ذلك فأسنده في تاريخ بغداد ت بشار (٢٦١/٧) عن محمد بن بكار - وهو

صدوق -، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل ابن عليّة القاضي - وهو ثقة -، قال: حدثنا جعفر بن عون، به

موصولا. وتابعهما أيضا محمد بن الوليد بن أبان رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٥٤٥/٧)

لكنه قال: وهذا الحديث سرقه ابن أبان - يعني محمد بن الوليد - من إسماعيل بن أبي خالد وسرقه منه

أيضا عبید بن المهيثم الحلبي. وهو رواه الطبراني في المعجم الأوسط (١٢٦٠) عن محمد بن كعب الحمصي

قال: نا شقران قال: نا عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم. عن جرير

بن عبد الله البجلي. وقال: لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل، عن قيس، عن جرير إلا عيسى، تفرد به:

شقران. وهو شقران هو: هاشم بن عمرو الحمصي شيخ لمحمد بن عوف كما في «نزهة الألباب في الألقاب»

لابن حجر (٤٠٢/١) - دلني عليه أخونا الشيخ الدكتور رشاد الحزبي جزاه الله خيرا -، وقد جاء مصرحا

باسمه عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٢/٤) لكنه سماه هشيمًا -، وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٩/

٢٤٢) وقال: هاشم بن عمرو شيخ يروي عن عيسى بن يونس روى عنه عمران بن بكار الكلابي. وهو

وعلقه الدارقطني في العلل (١٩٥/٦)، وحكم على روايته بالوهم. وأما تلميذه محمد بن كعب، فلم أقف

على ترجمته، واستظهر بعض الباحثين أنه تصحيف صوابه محمد بن عوف الحمصي وهو ثقة مشهور من

شيوخ أبي داود. وقد تويع عيسى بن يونس، فقد رواه الحاكم في المستدرک (٣٧٣٣) من طريق محمد بن

عبد الرحمن القرشي، ثنا سعيد بن منصور المكي، ثنا عباد بن العوام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس

بن أبي حازم، عن جرير به. وزاد ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي: ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْفُرْقَانِ

[٤٣] وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، خُذِي فِي أَيِّ الطَّرِيقِ شِئْتِ، قَوْمِي فِيهِ حَتَّى أَقُومَ مَعَكَ»، فَخَلَا مَعَهَا يُنَاجِيهَا حَتَّى فَصَّتْ حَاجَتَهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(١).

[٤٤] وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فَتَدُورُ بِهِ فِي حَوَائِجِهَا حَتَّى تَفْرَغَ، ثُمَّ يَرْجِعُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ ^(٢).

[٤٥] وَرَوَى عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه يَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ فَيَقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ». وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْعَبْدِ وَلَا مَعَ الْأَرْمَلَةِ، حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حَاجَتِهِمْ» وَرَوَاهُ الدَّارِمِيُّ، وَالْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ ^(٣).

[٤٦] وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه يَرْكَبُ الْحِمَارَ،

مَنْ يَخَافُ وَعَيْدِ ﷺ [ق: ٤٥] وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه اهـ - وفيه نظر كما لا يخفى - . وقال الدارقطني في العلل: ... والصواب عن إسماعيل، عن قيس، مرسلا، عن النبي صلوات الله عليه اهـ وانظر: أحاديث معلة ظاهرها الصحة (٣٣٠). والسلسلة الصحيحة للألباني (١٨٧٦).

(١) صحيح مسلم (٢٣٢٦) ولفظه: «يَا أُمَّ فُلَانٍ أَنْظِرِي أَيَّ السَّكِّكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. ورواه أبو داود (٤٨١٨) وأحمد (١٢١٩٧، ١٣٢٤١، ١٤٠٤٦) وابن حبان (٤٥٢٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه (٦٠٧٢) معلقا مجزوما به قال: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ الطَّوِيلُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: «إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ». ووصله الإمام أحمد (١١٩٤١) في مسنده قال: حدثنا هشيم، به ووصله أبو داود (٤٨١٨) حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، وكثير بن عبيد، قالوا: حدثنا مروان - وهو ابن معاوية - قال ابن عيسى: قال: حدثنا حميد - وقال كثير، عن حميد به. ووصله ابن ماجه (٤١٧٧) من طريق شعبة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس به. وعلي بن زيد: ضعيف الحديث.

(٣) أخرجه النسائي (١٤١٤) والدارمي (٧٥) وابن حبان (٦٤٢٣، ٦٤٢٤) والحاكم (٤٢٢٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه اهـ. قلت: هو صحيح وليس على شرطهما فقد رواه الحاكم من طريق أحمد بن نصر الخزاعي وهو ثقة عن علي بن الحسين بن واقد ولم يخرجا لهما. ورواه الترمذي في العلل الكبير (٦٧٠) وقال: سألت محمدا - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال: هو حديث حسن وهو حديث الحسين بن واقد تفرد به اهـ والحديث صححه الألباني وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١١٠٥)

وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَلَى حِمَارٍ خَطَامُهُ لَيْفٌ»^(١).
[٤٧] وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»^(٢).

[٤٨] وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْهُ رضي الله عنه، قَالَ «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى صَبِيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»^(٣).

[٤٩] وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٢٦٢) قال: حدثنا شعبة، قال: حدثني مسلم أبو عبد الله الأعور، سمع أنسا، يقول: فذكره. ورواه الترمذي (١٠١٧) وابن ماجه (٤١٧٨، ٢٢٩٦) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣٧٣٤، ٧١٢٨) وصححه وتعقبه الذهبي في الموضوع الثاني فقال: مسلم تركه. وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم، عن أنس، ومسلم الأعور يضعف، وهو مسلم بن كيسان الملائى تكلم فيه، وقد روى عنه شعبة، وسفيان. أهقلت: مسلم متروك فالإسناد ضعيف جدا، لكن جاء معناه في أحاديث أخرى كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢١١٢، ٢١٢٥)

(٢) صحيح مسلم (٢٣١٦)

(٣) صحيح البخاري (٦٢٤٧) ورواه مسلم أيضا (٢١٦٨)

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٧ / ١٢) رقم (١٢٤٩٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٤٤) من طريق عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن سعيدي بن جبير، عن ابن عباس به وزاد في آخره: «... عَلَى خُبْرِ الشَّعِيرِ» وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٤٢٢٢) وقال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٨ / ٥): وهذا إسناد ضعيف، ابن هرمز هذا ضعيف كما في التقريب أهول للحديث طريق أخرى يرويها مسلم الأعور عن سعيد بن جبير به دون الزيادة المذكورة. رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (١١١) وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (١٢٨، ٦١٥) - ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٢٨٤١) مختصرا وفي الشمائل بتمامه (٣٨٤) - والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٤٣) ومسلم الأعور ضعيف جدا. وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيَأْتِي مُرَاعَاةَ الصَّيْفِ». روله الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٢٠٤، ٢٠٥) - وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٤١٨٨) وفي شعب الإيمان (٥٧٤٤) - ورواه البزار في المسند (٣١٢٨) مختصرا بلفظ «أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَعْتَقِلُ الْعَزْرَ» وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أهو قال تلميذه البيهقي: كذا أخبرناه - يعني الحاكم - وهو بهذا الإسناد غير محفوظ أهو وذكر البزار أن بعضهم رواه عن أبي بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. أهو قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٤٨٤ / ٨): وهذا غريب من هذا الوجه، ولم يخرجه، وإسناده جيد. أهو نقل الألباني تصحيح الحاكم في السلسلة الصحيحة (١٥٩ / ٥) ووافقه. وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحیحین (٢١٥٤)

[٥٠] وَعَنْ قُدَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ، لَا ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ وَلَا إِلَيْكَ» رَوَاهُمَا أَبُو الشَّيْخِ (١).

[٥١] وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَطُّ مُسْتَجْمِعًا صَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَبْتَسِمُ، وَكَانَ إِذَا رَأَى عَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النَّاسُ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَّةُ، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَمَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرِّيْحِ، وَقَدْ أَتَى الْعَذَابُ قَوْمًا، وَتَلَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌ نَأْمُطِرْنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]». أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ (٢).

[٥٢] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ - أَيْضًا - عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِي فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدًا شَدِيدًا، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ (٣).

[٥٣] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله لَا يَقُومُ مِنْ مَصَلَاةِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ» (٤).

[٥٤] وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى صَحِيحَةٍ: «كَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ رُبَّمَا تَنَاشَدُوا عِنْدَهُ الشَّعْرَ، وَالشَّيْءَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ» (٥).

[٥٥] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَسَأَلَهَا الْأَسُودُ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله

(١) رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي (١١٨) وهو عند الترمذي (٩٠٣)، والنسائي (٣٠٦١)، وابن ماجه (٣٠٣٥)، وأحمد (١٥٤١٠، ١٥٤١٢) والدارمي (١٩٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٢٥) وقال شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٨٠/١): هو حديث صحيح. وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجها، كما في (رقم ٥٦) من الإلزامات ١. هـ

(٢) صحيح البخاري (٤٨٢٨، ٤٨٢٩) وصحيح مسلم (١٦/٨٩٩)

(٣) صحيح البخاري (٣١٤٩، ٥٨٠٩، ٦٠٨٨) وصحيح مسلم (١٠٥٧)

(٤) صحيح مسلم (٦٧٠، ٢٣٢٢)

(٥) رواه أبو داود الطيالسي (٨٠٨) وأحمد (٢٠٨١٠)

يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ فَقَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ»^(١).

[٥٦] وَمِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَلْ كَانَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ يُخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيْطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ»^(٢).

[٥٧] ... وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ خُبْزِ بُرِّ تِبَاعًا، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ»^(٣).

[٥٨] وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُرُّ بِنَا الْهَلَالَ وَالْهَلَالَ، مَا نُوْقَدُ بِنَارٍ لَطْعَامٍ، إِلَّا أَنَّهُ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ حَوْلَتَا أَهْلَ دُورٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَيَبْعَثُ أَهْلُ كُلِّ دَارٍ بَعْزِيرَةً شَاتِيَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ اللَّبَنِ» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٤).

[٥٩] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَغِيْفًا مُرَقَّقًا، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ، وَلَا رَأَى شَاءَةً سَمِيْطًا^(٥) بِعَيْنِهِ قَطُّ»^(٦).

[٦٠] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَكَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ^(٧)، وَلَا فِي

(١) صحيح البخاري (٦٧٦)

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٧٤٩، ٢٤٩٠٣، ٢٥٣٤١، ٢٦١٩٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٩٧٠) وهو في صحيح البخاري أيضا (٥٤١٦، ٦٤٥٤)

(٤) صحيح البخاري (٢٥٦٧، ٦٤٥٩) وصحيح مسلم (٢٩٧٢) واللفظ المذكور للبيهقي في سننه (١٣٣١٢)

(٥) (سميطا) هي التي أزيل شعر جلدها بالماء الحار ثم شويت قال الحافظ في فتح الباري (٥٣١/٩): الْمَسْمُوطُ الَّذِي أُزِيلَ شَعْرُهُ بِالْمَاءِ الْمُسَخَّنِ وَشُويَ بِجِلْدِهِ أَوْ يُطْبَخُ وَإِنَّمَا يُصْنَعُ ذَلِكَ فِي الصَّغِيرِ السِّنِّ الطَّرِيِّ وَهُوَ مِنْ فِعْلِ الْمُتْرَفِينَ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا الْمُبَادَرَةُ إِلَى ذَبْحِ مَا لَوْ بَقِيَ لَا زِدَادَ تَمَنُّهُ وَتَانِيَهُمَا أَنَّ الْمَسْلُوحَ يُنْتَفَعُ بِجِلْدِهِ فِي اللَّبْسِ وَعَيْرِهِ وَالسَّمْطُ يُفْسِدُهُ أ. هـ.

(٦) صحيح البخاري (٥٤٢١، ٥٣٨٢، ٦٤٥٧)

(٧) قال في الفتح (١١٥/١): قَوْلُهُ (خِوَانٍ) بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَضَمِّ هُوَ الْمَائِدَةُ الْمَعْدَةُ لِلْأَكْلِ أ. هـ.

سُكَّرَجَةٍ^(١)، وَلَا خَيْرَ لَهُ مَرْقَقٍ^(٢). فَقِيلَ لَهُ: عَلَى مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: «عَلَى السُّفْرِ»^(٣).
 [٦١] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ خَطَبَ وَذَكَرَ مَا فُتِحَ عَلَى النَّاسِ،
 فَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَوَّى يَوْمَهُ مِنَ الْجُوعِ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمَلَأُ
 بَطْنَهُ»^(٤)

[٦٢] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُبْزِ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةٍ
 سِنَخَةٍ^(٥)، وَلَقَدْ رَهَنَ دِرْعَهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فَأَخَذَ لِأَهْلِهِ شَعِيرًا، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا أَمْسَى
 عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ بَرٌّ وَلَا صَاعٌ حَبٌّ، وَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ أَبْيَاتٍ»^(٦).

[٦٣] وَفِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لَيْفٌ»^(٧).

[٦٤] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمَّا ذَكَرَ اعْتِرَازَ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ - قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خِزَانَتِهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى
 حَصِيرٍ، فَأَدْنَى إِلَيْهِ إِزَارَهُ وَجَلَسَ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ، وَقَلْبْتُ عَيْنِي فِي بَيْتِهِ فَلَمْ
 أَحِدْ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ قَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ وَقَبْضَةٍ مِنْ قَرْظٍ نَحْوِ الصَّاعَيْنِ، وَإِذَا أَفِيقٌ
 مُعَلَّقَةٌ، فَاِبْتَدَرْتُ عَيْنَايَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» فَقُلْتُ: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ صَفْوَةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ،

(١) قال في الفتح (٩/٥٣٢): قَوْلُهُ عَلَى سُكَّرَجَةٍ بِضَمِّ السَّيْنِ وَالْكَافِ وَالرَّاءِ الثَّقِيلَةِ بَعْدَهَا جِيمٌ مَفْتُوحَةٌ ... قَالَ
 بن مَكِّيٍّ وَهِيَ صِحَافٌ صَعَارٌ يُؤْكَلُ فِيهَا وَمِنْهَا الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ... قَالَ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْعَجَمَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُهُ
 فِي الْكَوَامِيخِ وَالْجَوَارِشِ لِلتَّشْبِيهِ وَالْهَضْمِ ... قَالَ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ التَّرْمِذِيِّ تَرَكُهُ الْأَكْلُ فِي السُّكَّرَجَةِ إِمَّا
 لِكُونِهَا لَمْ تَكُنْ تُصْنَعُ عِنْدَهُمْ إِذْ ذَلِكَ أَوْ اسْتِصْعَارًا لَهَا لِأَنَّ عَادَتَهُمُ الْاجْتِمَاعُ عَلَى الْأَكْلِ أَوْ لِأَنَّهَا كَمَا
 تَقَدَّمَ كَانَتْ تُعَدُّ لَوْضِعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْهَضْمِ وَلَمْ يَكُونُوا غَالِبًا يَشْبَعُونَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ
 بِالْهَضْمِ هـ.

(٢) المرقق: اللين الواسع.

(٣) صحيح البخاري (٥٣٨٦، ٥٤١٥)

(٤) صحيح مسلم (٢٩٧٨) عن سماك بن حرب، قال: سمعت النعمان، يخطب قال: ذكر عمر ما أصاب الناس
 من الدنيا، فقال: وذكره.

(٥) قَوْلُهُ إِهَالَةٌ سِنَخَةٌ بِكَسْرِ الهمزة الإِهَالَةُ مَا يُوْتَدَمُ بِهِ مِنَ الْأَدْهَانِ وَالسِنَخُ الْمُتَغَيَّرُ الرِّيحِ.

(٦) صحيح البخاري (٢٠٦٩)

(٧) صحيح البخاري (٦٤٥٦) وهو في صحيح مسلم أيضا (٢٠٨٢)

وَهَذِهِ الْأَعَاجِمُ كَسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ! فَقَالَ: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْحَطَّابِ؟! أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا»، وَفِي رِوَايَةٍ: «أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَلَنَا الْآخِرَةُ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ﷻ». قَالَ: فَقَلْتُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. (١)

[٦٥] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً» (٢)

[٦٦] وَرَوَى الطَّيَالِسِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَرَ الْحَصِيرُ بِجِلْدِهِ، فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ عَنْهُ وَأَقُولُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا آذَنْتَنَا فَنَبَسْتُ لَكَ شَيْئًا يَفِيكَ مِنْهُ تَنَامُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا وَالِدُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (٣).

[٦٧] وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ نَحْوَهُ. (٤)

[٦٨] وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلِ رَثٍ وَقَطِيفَةٍ» (٥). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - أَيْضًا - عَنْ أَنَسٍ فِي (كِتَابِ الْحَجِّ) فَقَالَ: «حَجَّ أَنَسٌ عَلَى رَحْلِ رَثٍ، وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا، وَحَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلِ، وَكَانَتْ زَامِلَتَهُ» (٦).

(١) صحيح مسلم (١٤٨٩) والحديث رواه البخاري (٢٤٦٨) أيضا. واللفظ المذكور للبيهقي في «دلائل النبوة» (١/٣٣٥).

(٢) صحيح مسلم (١٠٥٥) والحديث رواه البخاري (٦٤٦٠) أيضا.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي (٢٧٥) والحديث رواه الترمذي (٢٣٧٧) وابن ماجه (٤١٠٩) وأحمد (٣٧٠٩) والحاكم (٧٨٥٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٣٨) بشاهده الآتي.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک (٧٨٥٨) وابن حبان (٦٣٥٢) وأحمد (٢٧٤٤) وصححه الألباني لشاهده المتقدم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فانظر: الصحيحة (٤٣٩).

(٥) الترمذي في الشمائل (٣٤١) ورواه ابن ماجه (٢٨٩٠) من طريق الربيع بن صبيح قال: حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ حج على رحل رث وقطيفة، كنا نرى ثمنها أربعة دراهم، فلما استوت به راحلته قال: «لَبَيْكَ بِحَجَّةٍ لَا سُمْعَةَ فِيهَا وَلَا رِيَاءَ» وإسناده ضعيف، وحسنه الألباني لشاهده كما في السلسلة الصحيحة (٢٦١٧).

(٦) صحيح البخاري (١٥١٧).

[٦٩] وَفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ عَنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ خَشِنًا، وَأَكَلَ خَشِنًا، وَلَيْسَ الصُّوفَ، وَاحْتَدَى الْمُخْصُوفَ». قِيلَ: لِلْحَسَنِ: مَا الْحَشِنُ؟ قَالَ: عَلِيْظُ الشَّعِيرِ، مَا كَانَ يُسِيغُهُ إِلَّا بِجُرْعَةِ مَاءٍ. (١) ا.هـ. (٢)

وصف الله لأنبيائه بمقام العبودية:

وكان أنبياء الله ورسله من أحسن الناس عبادةً وتحقيقاً للعبودية لله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولهذا وصف الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المقام العظيم وهو مقام العبودية في مواضع كثيرة من كتابه: فقال سبحانه يصفه به في مقام الوحي: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۗ ﴾ [النجم]. وبعض الناس يعتقد أن الوصف بالعبودية لله من أوصاف النقص. وليس كذلك بل إنه من أعظم أوصاف العبد؛ ولهذا نجد أن الله سبحانه:

وصف نبيه في مقام الوحي بالعبودية، فقال: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۗ ﴾. ووصفه بها في مقام إنزال الكتب: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۗ ﴾ [الفرقان].

ووصفه بها في مقام الدعوة، فقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ ﴾ [الجن].

وفي مقام الإسراء، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ۗ ﴾ [الإسراء].

فهذه العبودية التامة التي كان عليها أنبياء الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتصف لنا أم المؤمنين عائشة، وكذا المغيرة بن شعبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جانباً من عبادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد رآه يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فقيل له في ذلك: يا رسول الله تفعل ذلك وقد غفر

(١) المستدرک علی الصحیحین (٧٩٢٥) ورواه ابن ماجه (٣٣٤٨، ٣٥٥٦). وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: لم يصح. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٠٠/٤): رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ كِلَاهُمَا مِنْ رِوَايَةِ يُوْسُفَ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ وَهُوَ مَجْهُولٌ عَنْ نُوحِ بْنِ ذَكْوَانَ وَهُوَ وَاهٍ. اهـ وقال أيضا في (٧٨/٣): يُوسُفٌ لَا يَعْرِفُ وَنُوحُ بْنُ ذَكْوَانَ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ. اهـ والحديث في ضعيف الترغيب والترهيب للألباني (١٢٦٢، ١٩١٤)

(٢) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية» (٥/٤٤٩-٤٨٢).

الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال **عليه الصلاة والسلام**: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١). فكان نبينا ﷺ وكذا سائر الأنبياء من أعبد الناس وأكثرهم تعبدًا لله ﷻ. وأرشد ﷺ عبد الله بن عمرو **رضي** إلى صيام نبي الله داود **عليه**. فعن عبد الله بن عمرو **رضي** قال: أخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومنَّ النهار، ولأقومنَّ الليل ما عشت. فقال له رسول الله ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ» قلت: قد قلته. قال: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَتَمِّمْ وَنَمِّمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ» فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله. قال: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ» قال: قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ» قلت: إني أطيق أفضل منه يا رسول الله، قال: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

الرسالة والنبوة مختصة بالرجال:

والأنبياء كانوا من الرجال وكانوا ذكورًا، وهذا الذي ذهب إليه كثير من أهل العلم؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٧]. وذكر بعض العلماء ما يتعلق بنبوة مريم **عليها** ونبوة غيرها من النساء والصحيح الذي عليه الجمهور -ونقل عليه الإجماع- أنه ليس في النساء نبية يُوحى إليها^(٣). يقول شيخ الإسلام **رحمته**: بَلْ لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ، كَمَا تَقُولُهُ: عَامَّةُ النَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ ذَكَرَ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِثْلُ: الْقَاضِيَيْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ

(١) البخاري (١١٣٠)، (٤٨٣٦)، (٦٤٧١) ومسلم (٢٨١٩) عن المغيرة **رضي** والبخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠) عن عائشة **رضي**.

(٢) البخاري (١٩٧٦)، (٣٤١٨)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير سلامة (٤/٤٢٣)، الموسوعة العقدية - الدرر السنوية (٤/٢٢، بترقيم الشاملة)

وَأَبِي يَعْلَى بْنِ أَبِي الْفَرَاءِ وَالْأُسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ وَغَيْرِهِمْ^(١)

فحواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسيا ومريم عليها السلام كانوا صديقات؛ ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الله وصف مريم بأنها صديقة في مقام الثناء عليها، فقال: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فلو كان لها وصف النبوة وهو أعلى من الصديقية لجا الثناء عليها بذلك.

الوحي من خصائص الأنبياء والرسل:

ومن مسائل الإيمان بالأنبياء والرسل أن نؤمن بما اختص الله صلى الله عليه وسلم أنبياءه ورسله، ومن ذلك: الوحي، فلا يُوحى إلى أحد بعد الأنبياء والمرسلين. قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] فهو بشر صلى الله عليه وسلم لكن الله صلى الله عليه وسلم خصه كما خص الأنبياء بأنه يُوحى إليه صلى الله عليه وسلم.

الأنبياء والرسل تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

ومن خصائص الأنبياء أنهم «تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ، وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ» كما في حديث الإسراء والمعراج وفيه: «وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ»^(٢) وعن عطاء، مرفوعاً: «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ تَنَامُ أَعْيُنُنَا، وَلَا تَنَامُ قُلُوبُنَا»^(٣)

الأنبياء والرسل يخبرون عند الموت:

ومن خصائصهم أن الله صلى الله عليه وسلم يُخَبِّرُهُمْ عند الموت، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرُضُ إِلَّا خَبَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي فُضِّصَ فِيهِ، أَخَذَتْهُ مَجَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٤٩/٢)

(٢) صحيح البخاري (٣٥٧٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١٧١/١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٠٥)

اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩] فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ (١).

الأنبياء والرسل يقبرون حيث يموتون:

ولا يقبر نبي إلا حيثما يموت كما جاء بذلك الحديث الذي رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «مَا قَبِضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»، اذْفَنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ (٢).

ولابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُحْفَرُ لَهُ، فَقَالَ قَائِلُونَ: يُدْفَنُ فِي مَسْجِدِهِ، وَقَالَ قَائِلُونَ: يُدْفَنُ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ» قَالَ: فَرَفَعُوا فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي تُوْفِّيَ عَلَيْهِ، فَحَفَرُوا لَهُ، ثُمَّ دُفِنَ ﷺ، وَسَطَ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ (٣). فدفن ﷺ في موضع وفاته في حُجْرَةِ أَمَّنَا عَائِشَةَ رضي الله عنها.

الأرض لا تاكل أجساد الأنبياء:

ومن إكرام الله لأنبيائه أن الأرض لا تأكل أجسادهم كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ» (٤).

الأنبياء أحياء في قبورهم:

وقال ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ» (٥).

(١) البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤)

(٢) سنن الترمذي (١٠١٨) وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ١٣٧)

(٣) ابن ماجه (١٦٢٨) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٤٩، ١٥٣٣) والنسائي (١٣٧٣)، وابن ماجه (١١٣٨، ١٧٠٥) عن أوس بن أوس رضي الله عنه. ورواه

ابن ماجه (١٦٣٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩٦-٢٩٧)

(٥) مسند البزار (٢٥٦) ومسند أبي يعلى (٣٤٢٥) عن أنس رضي الله عنه. وهو في السلسلة الصحيحة (٦٢١)

وقال النبي ﷺ: «أتيتُ-وفي رواية: مررتُ-على موسى ليلة أُسري بي عند الكتيب الأحمَر، وهو قائمٌ يُصلي في قبره»^(١).

الأنبياء في أعلى الدرجات عند الله:

والأنبياء في أعلى الدرجات عند الله سبحانه؛ ولهذا قال ربنا سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾ [النساء: ٦٩] فبدأ بهم؛ لأنهم في أرفع الدرجات ثم قال: ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].



(١) مسلم (٢٣٧٥) عن أنس رضي الله عنه.

المجلس الثاني عشر^(١)

العصمة للأنبياء :

الأنبياء والمرسلون ﷺ اختارهم الله ﷻ على غيرهم من البشر، واصطفاهم ﷺ وهو يصطفي من يشاء من خلقه ﷻ. وخصّهم الله ﷻ بخصائص منها: أنهم معصومون. والأمة مجمعة على عصمة الأنبياء والرسول ﷺ؛ من كبائر الذنوب وقبائح الأمور كالزنا والسرقه والمخادعة وعبادة الأصنام والسحر. وقد دلّ الكتاب والسنة على أنّ أنبياء الله ورسله برآء مما افتراه عليهم اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكتاب الذين حصلت عندهم التحريفات.

تعريف العصمة :

قال العلماء: هي لطفٌ من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء.

من جوانب العصمة :

وذكر العلماء بعض الجوانب التي وقعت فيها العصمة من الله ﷻ لأنبيائه فمنها:

العصمة في باب التبليغ ودعوى الرسالة :

وهذه العصمة هي التي عليها المناط؛ فيها يحصل المقصود من البعثة، فتبليغ شرع الله إلى الخلق هي مهمة الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهم الوساطة بين الله وبين خلقه الذين أرسلوا إليهم، فبطريقهم يهتدي البشر، فهم الذين يرشدونهم إلى دين الله؛ إذ هم المبلّغون عن الله أمره ونهيّه وشرعّه؛ ولذلك أوجب الله العصمة لأنبيائه ورسله في هذا الجانب، فهم معصومون في باب البلاغ كما دلّت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، يقول الله ﷻ في حق نبينا ﷺ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ [النجم] فكل ما جاء عن رسول الله ﷺ، وصحّ، وثبت عنه فإنما هو وحْيٌ من الله ﷻ.

(١) كان في يوم الأربعاء السادس من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

وكذلك يقول ربنا ﷺ في كتابه الكريم: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة].

العصمة في التبليغ من براهين صدق المرسلين:

فدلّت الآيات على أن الله لا يؤيد من يكذب عليه، بل لا بُدَّ أن يُظهِر كذبه، وأن ينتقم منه؛ ولذلك فعند التأمل والتدبر في هذه المسألة نجدها: **من أعظم معجزات ودلائل نبوة نبينا محمد ﷺ**. فلا يُعقل أن يخرج رجل يدعي النبوة قبل ألف وأربعمائة سنة ويخبر عن الله ﷻ بأمور، ويؤمن به أناس ثم ينتشر دينه، ويتوسع، ويحارب ويقتل من يقاتله، ويغنم ويسبي، ونحو ذلك، وينتشر عبر مئات السنين إلى هذا اليوم، ويكون مُبْطَلًا كما يقول بعض الناس. فلو تأمل الناس في ذلك لعرفوا أن هذا دليل على صدق النبي محمد ﷺ. وقد أثبت الله ﷻ عصمته لأنبيائه كما قال ربنا ﷻ: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٣﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِفُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء] فهذه الآيات دالة على عصمة ربنا ﷻ لنبيه ﷺ في تبليغ الوحي.

ولهذا كان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يطلب العلم عند رسول الله ﷺ متفرغًا له، فقال رضي الله عنه: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ، أريد أن أحفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم في الغضب والرضا. قال: فأمسكت عن الكتابة. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق» أخرجه الإمام أحمد وأبو داود ^(١).

(١) صحيح رواه أحمد (٦٥١٠) واللفظ له، وأبو داود (٣٦٤٦).

وفي حديث لأبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: له بعض أصحابه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا. قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» أخرجه الإمام أحمد والترمذي ^(١).
وقد أجمع العلماء وأجمعت الأمة على أن الأنبياء والمرسلين معصومون في تبليغهم عن رب العالمين صلى الله عليه وسلم. ^(٢)

الأنبياء معصومون من الكفر والوقوع في الشرك:

كذلك الأنبياء معصومون من الكفر والوقوع في الشرك بالله صلى الله عليه وسلم وهم معصومون من ذلك قبل بعثتهم وإرسالهم، وبعد بعثتهم وإرسالهم. وقد جاءت نصوص كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك، وأجمع العلماء على عصمتهم من الشرك والكفر قبل النبوة وبعدها.

يقول الجرجاني رحمته الله: وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم في ذلك ^(٣).

ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يتعبد الله صلى الله عليه وسلم: فما سَجَدَ لَصْنَمٍ قَطُّ، ولا حلف بألثمتهم قَطُّ، ولا دعا من دون الله صلى الله عليه وسلم أحدًا قَطُّ، بل كان حنيفياً مؤمناً صلوات الله وسلامه عليه.

(١) رواه أحمد (٨٤٨١)، والترمذي (١٩٩٠).

(٢) قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٣/٣٧٢) ردا على الرافي: مَا ذَكَرْتُهُ عَنِ الْجُمْهُورِ مِنْ نَفْيِ الْعِصْمَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَجْوِيزِ الْكُذْبِ وَالسَّرْقَةِ وَالْأَمْرِ بِالْحُطْأِ عَلَيْهِمْ فَهَذَا كَذِبٌ عَلَى الْجُمْهُورِ؛ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ فِي تَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي شَيْءٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ خَطَأً بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَكُلُّ مَا يُبَلَّغُونَهُ عَنِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَجِبُ طَاعَتُهُ فِيهِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَخْبَرُوا بِهِ وَجِبَ تَصْدِيقُهُمْ فِيهِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ وَنَهَوْهُمْ عَنْهُ وَجِبَتْ طَاعَتُهُمْ فِيهِ عِنْدَ جَمِيعِ فِرْقِ الْأُمَّةِ، إِلَّا عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - مَعْصُومٌ فِيمَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللَّهِ لَا فِيمَا يَأْمُرُ هُوَ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ. وَهَذَا ضَلَالٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. اهـ وانظر: «الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٣٢/٤) بترقيم الشاملة) و«المسائل العقدية التي حكي فيها ابن تيمية الإجماع لمجموعة مؤلفين (ص: ٧٧٧).

(٣) شرح الموافف، دار الجيل (٤٣٦/٣).

توجيه بعض الآيات المشككة في باب العصمة :

آية سورة الشورى :

وفي هذا الباب قد يذكر بعض الناس قول الله ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢] ما معنى هذه الآية؟ لما قال الله لنبيه: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ فهل يعني ذلك أن النبي ﷺ كان قبل بعثته على غير هدى؟ والجواب: أن معنى هذه الآية كما يقول الشوكاني رحمه الله: أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع، ولا يهتدي إلى معالمها، وخص الإيمان؛ لأنه رأسها وأساسها^(١). فلما قال الله: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ يعني ما كنت تدري تفاصيل الشريعة حتى بعثك الله -ﷻ- بها.

آية سورة يوسف :

وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ﴿٣﴾ ليس المقصود الغفلة التي هي الكفر والشرك ونحو ذلك، وإنما المقصود بذلك أنه ما كان يعرف قصة يوسف عليه الصلاة والسلام حتى أنبأه الله ﷻ بها.

آية سورة الضحى :

وكذلك قول الله ﷻ في سورة الضحى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ ﴿٧﴾ ما معنى كلمة ضالًّا هنا؟ ليس المقصود بها الضلال الذي هو ضد الهدى، وإنما فسرها العلماء هنا بأنه كان لا يعرف الوحي، ولا يعرف الشريعة بمعنى: وجدك الله ﷻ في قوم على ضلالة، فهداهم الله ﷻ بك كما ذكر ذلك بعض أهل التفسير. وقال بعضهم: أي: لم تكن تدري ما القرآن والشرائع، فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام؛ فهي مثل الآية المتقدمة ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾. ولهذا ذكر العلماء أن الأحاديث التي ورد فيها أن النبي ﷺ شارك المشركين في باطلهم أحاديث لا تصح^(٢). والمتقرر - كما تقدم -: أن الأنبياء والمرسلين ﷺ كانوا معصومين من الكفر والشرك قبل النبوة وبعدها.

(١) فتح القدير (٤/٦٢٤).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣٠).

الأنبياء معصومون من الكذب:

كذلك عصمهم الله ﷺ من الكذب في غير الوحي والتبليغ فيما يبلغون عن الله، وعصمهم في حديث الدنيا كما ذكرنا، فهم معصومون من الكبائر، تقول أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي تصف النبي ﷺ حين نزل عليه الوحي وخاف على نفسه: «فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتَّصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»^(١). فهذه صفاته وهذه خصاله قبل بعثته ﷺ؛ ولهذا لما وقف في أول بعثته عليه الصلاة والسلام إذ قيل له: ﴿فَرُّ فَأَنْذَرِ ۖ﴾ [المدثر] صَعَدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَا حَاهُ» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فاجتمعوا إليه، فَقَالَ ﷺ: «يَا بَنِي فَلَانَ يَا بَنِي فَلَانَ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» فاجتمعوا إليه، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟». قالوا: ما جرّبنا عليك كذبًا. قَالَ: «فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»^(٢) وفي رواية قالوا: ما جرّبنا عليك إلا صدقًا^(٣). فهذه شهادة منهم لنبيّنا ﷺ أنطقهم الله بها بما يعلمون من حاله وخصاله. بل كان يوصف بالأمين والصادق قبل بعثته ﷺ، «فَإِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ، وَكَانُوا يُسْمُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأَمِينِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ رَضِينَا بِكَ، فَدَعَا بِتَوْبٍ فَبَسَطَهُ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِهَذَا الْبُطْنِ، وَلِهَذَا الْبُطْنِ - لِجَمِيعِ الْبُطُونِ مِنْ قُرَيْشٍ - لِيَأْخُذْ كُلُّ بَطْنٍ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةِ مِنَ التَّوْبِ، فَفَعَلُوا، ثُمَّ رَفَعُوهُ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ»^(٤) وفي حديث أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل بعد أن

(١) صحيح البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) عند البخاري (٤٧٧٠).

(٤) حسن صحيح، رواه أحمد في المسند (١٥٥٠٤)، وابن أبي خيثمة في التاريخ مختصرا ومطولا (١٦٧، ٤٩٧، ٥٠٣،

١٢٠٣)، والحاكم (١٦٨٣) وصححه والسياق له وأبو نعيم في الدلائل (١١٣) واختلف في اسم صحابيه فقيل

عن السائب المخزومي رضي الله عنه. وقيل عبد الله بن السائب وقيل غير ذلك. وحسنه الألباني في صحيح السيرة

سمع كلامه وسأله قال: لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله^(١).

الأنبياء معصومون من الكبائر:

وكذلك الأنبياء معصومون من سائر الكبائر، ولا تقع منهم الأمور العظيمة الكبيرة، فلا يقع منهم الزنا، ولا شرب الخمر ولا غير ذلك؛ فقد عصمهم الله ﷺ من هذه الأمور.

هل يقع فعل الصغائر من الأنبياء وهل يقع منهم الخطأ؟

لا بُدَّ أن نعلم أن أكثر العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ قد ذكروا أنه يقع الخطأ من الأنبياء مما هو دون الكبائر، فيقع الخطأ الذي لا يتعمدونه منهم، لكن الله ﷻ لا يُقِرُّهم على هذا الخطأ بل يوجههم للحق، وقد يحصل للأنبياء العتاب على ذلك. ثم إنَّ هذا الخطأ الذي يقع منهم، إنما هو على سبيل الاجتهاد، لا يتعمدونه؛ ولهذا لا يقال عنه: إنه معصية. فهذه العبارة لا تطلق عليهم، وإنما يقصد من ذلك أن الله ﷻ يعاتبهم ويغفر لهم، والتوبة حاصلة على خطئهم، ويقبل الله ﷻ توبتهم كما حصل في قصة آيينا آدم عليه السلام؛ إذ قَبِلَ اللهُ ﷻ توبته واجتباها وهداه، ويكون في ذلك رفعةً لدرجاته عند الله ﷻ.

بطان القصص التي فيها ما يخالف عصمة الأنبياء:

فإذا عرفنا أن الأنبياء والمرسلين معصومون؛ فإن ما يوجد من القصص المنثورة عن بعض الأنبياء:

- كما يُذكر عن نبي الله هارون عليه السلام أنه عَبَدَ العجل مع بني إسرائيل
- أو أن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام قَدَّم زوجته سارة إلى الجبار لينال الخير بسببها
- أو أن لوطاً عليه السلام شرب الخمر وسكر.
- أو أن يعقوب عليه السلام سرق المواشي من حَمِيَّةٍ وخرج بأهله خلصة،
- وكذلك ما يذكر في قصة داود عليه السلام من أنه زنا بزوجة رجل من قُوَاد جيشه
- أو أنه دَبَّرَ حيلةً لقتل الرجل.

فكلُّ هذه الأقوال لا تصح ولا تثبت. وبعضها مبثوث في كتب بني إسرائيل المحرّفة،

(٤٥) وله شاهد عند الطيالسي (١١٥) وابن أبي شيبة (٢٩٠٨٤) والحاكم (١٦٨٤) وصححه والبيهقي

(٩٢٠٨) وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام وإسناده حسن في الشواهد.

(١) البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس عليه السلام.

وتلقاها بعضُ الناس عنهم، وربما وُجِدَتْ في بعض التفسير، فيجب على المسلم أن ينتبه لذلك، وأن يعلم يقيناً أن الله ﷻ قد عصم أنبياءه من ذلك.

هل يقع الخطأ من الأنبياء في أمور الدنيا؟

أما في الأمور الدنيوية فشأنهم كشأن البشر، وهذا لا يُنقصهم، وقد ثبت عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبؤون التَّخَلَّ يعني: يلحقونه؛ فقال: «مَا تَصْنَعُونَ؟» قالوا: كنا نصنعه، يعني: نفعل هذا من أجل تنبيت الرطب، فقال: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فتركوه، فَتَفَضَّتْ أَوْ فَتَقَصَّتْ، قال: فذكروا ذلك له. فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»^(١) يعني: أصيب وأخطأ.

وجاء في حديث عائشة، وأنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِي تَخْلِكُمْ؟» قالوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»^(٢).

فمثل هذا - كما يقول القاضي عياض رحمته الله -: مثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها بعلم ديانة، ولا اعتقادها، ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه؛ إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطَّة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جرَّبها، وجعل همَّه شُغْلَ نفسه بها، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيّد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية...^(٣) إلخ.

تلخيص ما سبق:

حاصل هذا الباب: أن نعلم أن الله ﷻ خصَّ الأنبياء والمرسلين بأنهم معصومون، فقد عصمهم الله ﷻ من الوقوع في الكفر، ومن الوقوع في الشرك، ومن الخيانة، كما عصمهم في تبليغهم للدين والشريعة، فبلغوا دين الله. فنشهد: بأنَّ الأنبياء بلغوا الرسالة، وأدُّوا الأمانة بكل ما ائتمنهم الله ﷻ عليه، وأنهم لم يقصروا في شيء من ذلك،

(١) مسلم (٢٣٦٢).

(٢) مسلم (٢٣٦٣).

(٣) الشفا تعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمسي (١٨٥/٢).

ولكن الهداية بيد الله ﷻ فاهتدى بهم من شاء الله هدايته، وضلّ من شاء الله ﷻ إضلاله بعدله وحكمته ﷻ. وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الأنبياء يأتون يوم القيامة، فيأتي بعضهم يوم القيامة، وليس معه إلا رجل واحد أي: لم يؤمن به إلا رجل واحد، ويأتي النبي وليس معه أحد^(١) ولا يكون ذلك بسبب تقصير من النبي، بل النبي بلغ وأدى ما أمره الله ﷻ به، ولكن هو فضل الله ﷻ يؤتاه من يشاء، والهداية بيد الله ﷻ.

عصمة غير الأنبياء:

إذا عرفنا أنّ من خصائص الأنبياء العصمة تبين لنا أنّ غير الأنبياء لا يقال بعصمتهم؛ فأهل السنة والجماعة لا ينسبون العصمة لغير الأنبياء والمرسلين حتى أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ وهم الصحابة رضوان الله عليهم، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ليسوا بمعصومين، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه: «وَلَيْتُ أَمْرُكُمْ وَلَسْتُ بِمُحْيِرِكُمْ، فَإِنِ أَنَا أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنِ أَنَا أَسَأْتُ فَسَدِّدُونِي، فَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي إِذَا رَأَيْتُمُونِي غَضِبْتُ فَاجْتَنِبُونِي، لَا أُؤَثِّرُ فِي أَجْسَادِكُمْ وَلَا أَبْشَارِكُمْ»^(٢).

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، فيقع الخطأ من غير الأنبياء المرسلين، «وَكُلٌّ» - كما قال الإمام مالك رضي الله عنه: - «وَكُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ» - ويشير إلى قبر نبينا محمد ﷺ^(٣)؛ وهذا القول مأثور أيضا: عن مجاهد التابعي الجليل رضي الله عنه قال: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا وَهُوَ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ»^(٤).

(١) البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الزهد لأبي داود (٣١) وسنده جيد. ورواه معمر في الجامع (٨٥٩٧) وأبو عبيد في الأموال (٨، ٩) والطبراني في الأوسط (٨٥٩٧) والبيهقي (١٣٠٠٩) من طرق.

(٣) ذكره عن الإمام مالك جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو شامة (ت: ٦٦٥هـ) في خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول (١٣٦) وشيخ الإسلام (ت: ٧٢٨هـ) في الإخائية (٤٤١) والذهبي في كثير من كتبه منها سير أعلام النبلاء (٩٥/١٥) وزغل العلم (٣٣) والحافظ ابن كثير في التفسير (٥٤/١) وغيرهم.

(٤) رواه البخاري في رفع اليدين (٣١) وأبو نعيم في الحلية (٣٠/٣) وابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام (١٤٥ / ٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٦٣ و١٧٦٤ و١٧٦٥) والبيهقي في المدخل (٣٠)

والخطيب في الفقيه والمتفقه (٤٤١ / ١)

وعن الحكم بن عتيبة والشعبي^(١) نحوه.
وفي معجم الطبراني عن ابن عباس^{رضي الله عنهما}، رَفَعَهُ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ
وَيُودَعُ، غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ»^(٢)

ومن الفتن التي حصلت في الأمة ادعاء عصمة غير الأنبياء: وقد وقع لهذا في التاريخ الإسلامي صوراً كثيرة، فمن ذلك:

- ما ادّعت بعض الفرق الضالة من عصمة أئمتهم كما ادّعى عصمة المعز الفاطمي العبيدي، فأتباع المعز الذي يسميه بعض الناس المعز لدين الله الفاطمي ادّعوا أنه معصوم، قالوا: هو معصوم هو وأولاده عن الذنوب والخطأ. وهذه الدولة التي قامت في القرن الرابع هي الدولة العبيدية، وتنسب نفسها إلى الفاطمية زوراً وبهتاناً، وقد ارتكبت العظائم، والقبائح، والكفر الواضح البين، وهذا من البلاء الذي وقع في الأمة^(٣).

- كذلك ما يوجد عند بعض الفرق من ادعاء عصمة الأئمة، وأنهم مثل الأنبياء، بل ويبالغ بعضهم، فيقول: إنهم أفضل أو أعلى درجة من الأنبياء والمرسلين!! -نعوذ بالله من الضلال-؛ فلا يوجد أحد معصوم غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم.

فتنة التعصب المذهبي:

- وكذلك من البلاء الذي حصل ادعاء بعض الناس عصمة الأئمة الفقهاء: كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، فتجدهم يدّعون أن ما قالوه وما ثبت عنهم فهم

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي معلقاً (٣١).

(٢) المعجم الكبير (١١/ ٣٣٩) رقم (١١٩٤١) - ومن طريقه رواه أبو الحسين بن النعالي البوشنجي في حديثه (٢٧)- وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٧٩): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون. اهـ وعلقه البخاري في القراءة خلف الإمام وعنه البيهقي في القراءة خلف الإمام أيضاً (ص: ٢١٣) عن ابن عباس^{رضي الله عنهما} موقوفاً ونسبه إلى ابن عباس^{رضي الله عنهما}: أبو طالب المكي في قوت القلوب (١/ ٢٧٤) وعزاه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: ١٦٦) إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد من طريق عكرمة عن ابن عباس موقوفاً.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٥١٩) وتاريخ الإسلام ت بشار (٨/ ٢٤٧، و٣٩٩ و٦٠٢ و٩/ ١٩٨)

مصيبون فيه؛ ولذلك فإنهم يعملون بقول إمامهم حتى وإن خالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ولهذا حصلت فتن كثيرة وانجرف كثير من الناس في مخالفة السنة والبعد عن سنة رسول الله ﷺ؛ بسبب أنهم يعملون على ادعاء العصمة لأئمتهم ولعلمائهم؛ فلا يرون منهم إلا حقًا، ولا يرون إلا أن قولهم هو الصواب حتى إن بعضهم تُعَرِّضُ عليه الآية ويُعَرِّضُ عليه حديث النبي ﷺ، فيترك كل هذا، ويدعي أن ما جاء عن الإمام حقٌّ وصواب. بل قال بعضهم: ... فإن كان الحديث موافقا لهم - يعني لمذهب من ينتسب إليهم - فيها؛ وإلا فذكرت مُسْتَدَلَّتْهُمُ والجواب عن الحديث وتوجيهه اهـ^(١) يعني يجعل كلام من يتبع مذهبهم هو الأصل ثم يجيب عن الحديث وكان الواجب أن يجعل الحديث هو الميزان لأن الله ﷻ أمرنا عند الاختلاف والتنازع بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

دراسة المذاهب:

ولا مانع من أن يتفقه المؤمن على مذهب أبي حنيفة أو مالك أو مذهب الشافعي أو أحمد أو غيرهم من الأئمة، فهذه طريقة مسلوكة عند العلماء، ومن فوائدها: أنها تعين الطالب على حصر مسائل الفقه في كل باب، ومعرفة ترتيب الأبواب ترتيبا تفهم به المسائل الفقهية عموما. فهو بهذا طريقةً للتفقه لا غاية، ووسيلة لفهم النصوص وليس دينا بديلا عنها. وإنما عاب العلماء التعصب لغير الدليل، والتمسك بالمذهب بعد وضوح مخالفته للكتاب والسنة. كما عابوا من أراد فهم النصوص بعيدا عن فقه الأئمة أوراها العمل بالأدلة بمعزل عن فهمهم وحذروا من الطعن فيهم واعتقاد تعمد مخالفتهم للحق والهدى. قال الإمام الطحاوي رحمته الله في عقيدته: «وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ؛ أَهْلُ الْحَبِيرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْحَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ»^(٢) وعلى هذا الطريق الوسط يسير طالب العلم في دراسة السنة دراسة مؤسسة على قواعد أهل العلم المتينة متفرعة من

(١) مقدمة بذل المجهود شرح سنن أبي داود (١٥٩)

(٢) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٨٢)

فروع شجرة علمهم الباسقة فمن علمهم يستفيد ومن معين فقههم يتفقه وعلى دربهم يسير.

وجوب اتباع السنة:

ومن تبين له الحق في غير مذهبه لم يجز له أن يدعه لقول أحد من الناس. وبهذا أوصانا الأئمة العلماء ومن ذلك:

قول الإمام أبي حنيفة رحمته الله: «إِذَا قُلْتُ قَوْلًا يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَخَبَرَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فَاتْرَكُوا قَوْلِي»^(١)

وقال الإمام مالك رحمته الله: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أُحْطِئُ وَأُصِيبُ فَانظُرُوا فِي رَأْيِي فَكَلِّمًا وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَخُذُوا بِهِ وَكَلِّمًا لَمْ يُوَافِقِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَاتْرَكُوهُ»^(٢)

وقال الإمام الشافعي رحمته الله: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَتَذَهَبُ عَلَيْهِ سُنَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَعَزُّبُ عَنْهُ، فَمَهْمَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ أَصَلْتُ مِنْ أَصْلِ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خِلَافَ مَا قُلْتُ فَالْقَوْلُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ قَوْلِي»^(٣)

وكان رحمته الله يقول: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي»^(٤)

وقال أيضًا: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَهُوَ أَوْلَى أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ»^(٥)
وقد كره الإمام أحمد رحمته الله أن تكتب فتاويه، وكان يقول: «لا تكتبوا عني شيئًا، ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلانًا وفلانًا، وخذوا من حيث أخذوا»^(٦).

(١) إيقاظ هم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار للفلاحي (ص: ٦٢)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١٤٣٥)

(٣) المدخل إلى علم السنن ت عوامه (٦/١) رقم (٢) ومناقب الشافعي (١/٤٧٥) كلاهما للبيهقي ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨٩/٥١)

(٤) انظر: الخلافات للبيهقي ت النحال (٦/١٧٩) رقم (٤٢٥٣) بنحوه. نهاية المطلب في دراية المذهب (١/١٦٥)، والتهذيب في فقه الإمام الشافعي للبعوي (١/٦٧). والمجموع شرح المذهب (١/٩٢) للنووي، وانظر: رسالة:

معنى قول المطلبي: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي: للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٥٦هـ (٥) حلية الأولياء (١٠٧/٩).

(٦) مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة المقدسي (ص: ٦١).

وقال أيضاً: «لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا»^(١)

وقال رحمته الله: «رَأْيُ الْأَوْزَاعِيِّ، وَرَأْيُ مَالِكٍ، وَرَأْيُ سُفْيَانَ كُلُّهُ رَأْيٌ، وَهُوَ عِنْدِي سَوَاءٌ وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ فِي الْأَثَارِ»^(٢)

وقال رحمته الله: «مَنْ رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ»^(٣)

فهذه الكلمات تدل على تقواهم لله وإخلاصهم وصدقهم مع الله تعالى وعظيم نصحهم للأمة وإنصافهم للدين والسنة.

وتأمل وصف الحافظ الإمام شمس الدين ابن القيم رحمته الله للسلف في القرون الماضية إذ قال: وَكَانَ دِينَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَجَلٌ فِي صُدُورِهِمْ، وَأَعْظَمَ فِي نُفُوسِهِمْ، مِنْ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِ رَأْيًا أَوْ مَعْقُولًا أَوْ تَقْلِيدًا أَوْ قِيَاسًا، فَطَارَ لَهُمُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فِي الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْأَخِيرِينَ، ثُمَّ سَارَ عَلَى آثَارِهِمُ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَدَرَجَ عَلَى مِنْهَاجِهِمُ الْمُؤَقَّفُونَ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ، زَاهِدِينَ فِي التَّعَصُّبِ لِلرَّجَالِ، وَاقْفِينَ مَعَ الْحُجَّةِ وَالْإِسْتِدْلَالِ، يَسِيرُونَ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَ سَارَتْ رِكَابُهُ، وَيَسْتَقِلُّونَ مَعَ الصَّوَابِ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهُ، إِذَا بَدَأَ لَهُمُ الدَّلِيلُ بِأَخْذِهِ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا، وَإِذَا دَعَاهُمْ الرَّسُولُ صلوات الله عليه إِلَى أَمْرٍ انْتَدَبُوا إِلَيْهِ وَلَا يَسْأَلُونَهُ عَمَّا قَالَ بُرْهَانًا، وَنُصُوصُهُ أَجَلٌ فِي صُدُورِهِمْ وَأَعْظَمَ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا قَوْلَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ يُعَارِضُوهَا بِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ اهـ.

ثم تحدث عن حال المتعصبة فقال: ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ؛ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ، وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا، وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ،

(١) مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة (ص: ٦١) إعلام الموقعين عن رب العالمين مشهور (٣)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢١٠٧)

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (٩٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكافي (٧٣٣)، الفقيه والمتفقه

جَعَلُوا التَّعَصُّبَ لِمَذَاهِبِ دِيَانَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَدِينُونَ، وَرُؤُوسَ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ، وَآخَرُونَ مِنْهُمْ فَتَعُوا بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ وَقَالُوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف]، وَالْفَرِيقَانِ بِمَعْرِزٍ عَمَّا يَنْبَغِي اتِّبَاعُهُ مِنَ الصَّوَابِ، وَلِسَانِ الْحَقِّ يَتْلُو عَلَيْهِمْ: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ١٢٣]. قَالَ الشَّافِعِيُّ قَدَسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتَ لَهُ سَنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدْعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ»^(١). وَقَالَ أَبُو عُمَرَ وَعَبِيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: «أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ أَنَّ الْمُقَلِّدَ لَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعِلْمَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ بِدَلِيلِهِ»^(٢)، وَهَذَا كَمَا قَالَ أَبُو عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ الْحَاصِلَةُ عَنِ الدَّلِيلِ، وَأَمَّا بِدُونِ الدَّلِيلِ فَإِنَّمَا هُوَ تَقْلِيدٌ، فَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَانِ الإِجْمَاعَانِ إِخْرَاجَ الْمُتَعَصِّبِ بِالْهَوَىٰ وَالْمُقَلِّدِ الأَعْمَىٰ عَنِ زُمرَةِ الْعُلَمَاءِ... وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ وَرَثَةِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْ يَجْهَدُ وَيَكْدَحُ فِي رَدِّ مَا جَاءَ بِهِ إِلَى قَوْلِ مُقَلِّدِهِ وَمَتَّبِعِيهِ، وَيُضَيِّعُ سَاعَاتِ عُمُرِهِ فِي التَّعَصُّبِ وَالْهَوَىٰ وَلَا يَشْعُرُ بِتَضْيِيعِهِ... الخ^(٣)

وقال ابن الجزري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في منظومته "الهداية في علم الرواية":

وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ تَعَصُّبٍ وَأَنْ تَرَدَّ سَنَةٌ بِمَذْهَبٍ

وعلى هذا كان الأئمة من السلف الذين كانت لهم كلمات نيرة في دعوة الناس إلى اتباع السنة وعدم التعصب لأحد من الأمة، وهذا هو النهج الذي يجب أن يسير عليه المسلمون.



(١) قال محقق كتاب «الروح - لابن القيم» (٢/ ٧٣٥ ط عطاءات العلم): بهذا اللفظ ذكره المصنف في إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢) ومدارج السالكين (٢/ ٣٣٥) والرسالة التبوكية (٤٠). وكذا نقله الفلاني في إيقاظ الهمم (٥٨) ولعل مصدره كتب ابن القيم. وقال الشافعي في الأم (٧/ ٢٥٩): «ولا يجوز لعالم أن يدع قول النبي ﷺ لقول أحد سواه». ونحوه في (١/ ١٥١). وانظر رسالته (٣٣٠) هـ.

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٩٣).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ت مشهور (٢/ ١٠-١٢)

المجلس الثالث عشر (١)

المعجزات والآيات البيّنات للرسول والأنبياء:

اختصّ الله -تعالى- الأنبياء والمرسلين بالآيات البيّنات والأموّر المعجزات؛ فإن الله ﷻ بعث أنبياءه ورسله إلى الناس يدعونهم إلى التقوى وإلى التوحيد وإفراد الله ﷻ بالعبادة، وقالوا للناس كما أخبر الله ﷻ عن نوح وغيره من الأنبياء أنه قال لقومه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء]. وبهذا خاطب رسل الله: هودٌ وصالحٌ وشعيبٌ ولوطٌ وغيرهم من الأنبياء ﷺ أقوامهم بإخبارهم أنهم رسلٌ من عند الله ﷻ. وقد جعل الله ﷻ للأنبياء والرسل آياتٍ بيّنات تدلُّ على صدقهم كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥] يعني: بالدلائل والبيّنات التي تدل على صدقهم.

ويُسمّى العلماء هذه الآيات بالمعجزات، ويُسمّيها بعض أهل العلم بالآيات، وتسميتها بالآيات هو الذي جرى عليه كثيرٌ من السلف؛ فإنهم لم يكونوا يُفرّقون في التعريف بين الآيات والمعجزات.

تعريف المعجزة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله تعالى: اسم المعجزة يُعمُّ كلَّ خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين: كالإمام أحمد بن حنبل وغيرهم -ويسمونها الآيات- لكن كثيراً من المتأخرين يُفرّق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة^(٢).

فهذا النص لشيخ الإسلام رحمته الله يذكر فيه أن السلف رحمهم الله تعالى لم يكونوا يُفرّقون بين الآية والمعجزة والكرامة وغير ذلك، وإنما كانوا يُسمّون الجميع بالآية،

(١) كان في يوم الخميس السابع من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٣١٢، ٣١١/١١).

فيقولون هذه آيات على صدق النبي ﷺ حتى إنهم أدرجوا الكرامات ضمن الآيات البينات. فنجد أنّ الإمام عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله يترجم في كتابه المصنف بقوله: (باب ما يُعجّل لأهل اليقين من الآيات) ثم يسوق فيه عدداً من الكرامات^(١). وكذلك شيخ المحدثين وجبل الحفظ في الحديث الإمام البخاري في صحيحه يقول: (باب علامات النبوة في الإسلام)^(٢) ثم يذكر أحاديث تضمّنت دلائل النبوة كحديث نبع الماء بين أصابعه ﷺ^(٣) ويسوق مع ذلك أشياء وقعت لبعض الصحابة وللبعض الأولياء - رضوان الله تعالى عليهم - مما يدل على:

- عدم تفريق السلف بين الآية النبوية والكرامة من حيث التسمية.
- كما يدل على أمر آخر، وهو أنهم يُسمّون المعجزات بالآيات، وهذه التسمية هي التي جاء بها القرآن الكريم كما تقدّم معنا في قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بالآيات والدلائل البيّنة.

الفرق بين المعجزة والآية والكرامة:

إذا عرفنا هذا فما هو الفرق عند العلماء - خاصة المتأخرين - بين: ما يسمى بالمعجزة أو الآية وبين ما يكون من الكرامات وبين ما يكون من الخوارق أو الأحوال الشيطانية التي تقع لبعض هؤلاء المفسدين كالسحرة وغيرهم؟ لا شك ولا ريب أنّ هناك فرقاً بين ما يعطيه الله ﷻ لأنبيائه ورسله وبين ما يقع للأولياء من الكرامات وبين ما يكون للسحرة والمشعوذين وغيرهم. إذاً هناك ثلاثة أمور:

- الأول: آيات الأنبياء وهي معجزات،
- والثاني: كرامات الأولياء،
- والثالث: ما هو من الأحوال الشيطانية والسحر والشعوذة.

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢٨٠/١١).

(٢) صحيح البخاري (٢٢٢/٤).

(٣) عند البخاري (٣٥٧٢) من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ: أُنِّي النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزُّورَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنْسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثِمِئَةٍ، أَوْ رُفَاهَاءَ ثَلَاثِمِئَةٍ.

فالعلماء المتقدمون رَحِمَهُمُ اللهُ كما ذكرنا يجمعون بين المعجزة أو بين آيات الأنبياء وبين كرامات الأولياء في سياق واحد وفي كلام واحد، لكنهم يميزون بين الكرامة والمعجزة، ويُفرِّقون بينهما بمجملته من الفروق، نذكر منها ما تيسر من كلام العلماء.

يقول العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ في الفرق بين الكرامة والمعجزة:

* إن الكرامة تابعة للمعجزة.

وذلك أنّ المعجزة للأنبياء، فالمعجزة أو الآية التي تقع للأنبياء والمرسلين تدل على صدقهم وعلى إيمانهم، وهي مستقلة بذاتها، أما كرامة الولي فإنها تابعة لآيات الأنبياء. ويبحث بعض العلماء الجوانب التي يُفرِّق بها بين الآيات والمعجزات وبين الكرامات في جملة من النقاط نوجزها فيما يأتي:

* النقطة الأولى: أنّ آيات الأنبياء المرتبطة بالنبوة لا يمكن أن تقع لغير نبي، وذلك: كنزول القرآن على النبي ﷺ، فإنه آية عظيمة، بل هو أعظم آيات نبوة محمد ﷺ؛ فلا يمكن أن يُؤتى مثلها وليٌّ من باب الكرامة. وهذا فرق بين الكرامة وبين المعجزة أو الآية. ومن الأمور التي لا يمكن أن تقع للأولياء: الإخبار عن أمور الغيب مفصّلة على وجه الصدق كما يقع للأنبياء، فنبيُّنا ﷺ من آياته أنه يخبر عن أمور غيبية مفصّلة، فتقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام، كما أخبر بخروج نار من الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببُصرى^(١) ونحو ذلك فهذه لا يقدر عليها أحد لا بكرامة ولا بسحر ولا نحوه، وكما ذكرنا فإنّ كرامة الولي تابعة، وآيات النبي متبوعة، فأية النبي دليلٌ مستقلٌّ على نبوته، أما كرامة الولي في أيّ أمة من الأمم فإنها تابعة لنبي تلك الأمة.

* ومن الفوارق أيضًا: أنّ كرامة الأولياء والصالحين ليست خارقة لعادة الصالحين بل هي معتادة في الصالحين من أهل الملل، فقد تقع لهذا وقد تكون وقعت لغيره من صالحى الأمم السابقة، أما آيات الأنبياء التي يختصون بها فإنها خارقة لعادة الصالحين. ولهذا قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ في تعريف الكرامة وتمييزها عن المعجزة: هي أمر خارق للعادة (وتشترك في هذا الأمر مع المعجزة) ثم قال: غير مقرون بدعوى النبوة ولا

(١) الخبر في البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولفظه: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى».

هو مقدمة، يظهر على عبدٍ ظاهرٍ الصلاح، ملتزمٍ بمتابعة نبيٍّ كُفِّ بشريعته (وهذا القيد يَخْرُجُ به ما يقع للسحرة والمشعوذين وغيرهم؛ فين علامات الكرامة صلاح صاحبها بأن يكون على خير وعلى صلاة وعلى هدى) ثم قال: مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، عَلِمَ بها ذلك العبدُ الصالح أو لم يعلم^(١).

وفي هذا إشارة إلى أنّ الكرامة لا يشترط فيها أن يطلبها الولي، ولا يشترط أن يعلم بها، فربما عَلِمَ بها وربما لم يَعْلَمَ كما حصل لأصحاب الكهف؛ فإنهم ناموا كما قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝٤٥﴾ [الكهف] ناموا ثلاثمائة وتسع سنين ولم يكونوا يعلمون ما وقع لهم.

ويقول العلامة حافظ الحكمي رحمته الله في تعريف الكرامة وتمييزها عن المعجزة: ظهور الأمر الخارق على أيديهم الذي لا صُنِعَ لهم فيه، ولم يكن بطريق التحدي، بل يُجرِّبه الله على أيديهم، وإن لم يعلموا به كقصة أصحاب الكهف...^(٢).

وقد نبهنا من قبل أنّ العلماء قديماً كانوا يجمعون في التعريف بين المعجزة والكرامة في سياق واحد، لكنّ هذا التفريق فيه تمييز، وقد جرى عليه كثيرٌ من المتأخرين.

* ومما ذكره العلماء في التفريق بينهما أنّ الآثار المترتبة على الآيات والمعجزات كبيرةٌ جدًّا، فمن أهمها إقامة الحجّة على نبوة من أيده الله بها، فمن كَذَّبَ بعد رؤية الآية فإنّ الله يهلكه كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]. يقول الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسير الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ أي: نبعث الآيات، ونأتي بها على ما سأل قومك منك، فإنه سهّل علينا، سيرٌ لدينا، ﴿إِلَّا﴾ أنه قد ﴿كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ بعد أن سألونا، وجرّت سنّتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يُؤخّرون إن كذبوا بها بعد نزولها^(٣).

هذا ما يترتب على نزول الآية على النبي. وأما الكرامة فلا تصل إلى شيء من هذا بلا شكّ كما هو معلوم.

(١) لوامع الأنوار البهية (٣٩٢/٢).

(٢) أعلام السنة المنشورة (ص: ١٣٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٩١/٥).

* ثم إن الكرامات ينالها عبادة الله الصالحون بأفعالهم كعبادتهم، ودعائهم، وتضرعهم إلى الله سبحانه. أما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك؛ فإن النبوة اصطفاً واختياراً من الله ﷻ وليست كسباً، وإنما يصطفي بها الله ﷻ من شاء من عباده، فكل الأنبياء قد اختارهم الله ﷻ وفضلهم على العالمين، وستحدث عن ذلك- إن شاء الله- في تفضيل الأنبياء.

الأحوال الشيطانية:

أما ما يتعلق بالفرق بين الكرامات والآيات والمعجزات من جهة وبين ما هو من الأحوال الشيطانية؛ إذ إن هناك أموراً شيطانية يستغلها بعض السحرة والكهّان، فيظهرونها للناس، ويدعون بذلك أنهم من أولياء الله الصالحين، فيبغى أولاً أن نعرف:

من هو الولي؟

والجواب: أن الولي قد جاء تعريفه في كتاب الله ﷻ يقول ربنا ﷺ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس] فالآية واضحة الدلالة. يقول ابن كثير: يخبر- تعالى- أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون. فكل من كان تقياً كان لله ولياً^(١). فالولاية- إذًا- لها ركنان: الإيمان والتقوى. قال الشوكاني رحمه الله: والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله - سبحانه- بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسّر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس]^(٢).

قال العلماء: وأولياء الله: منهم السابقون المقربون، ومنهم أصحاب يمين مقتصدون، ذكّرهم الله في مواضع من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّدُونَ الْمَشْرِقِيِّونَ ﴿١٠﴾ وَأُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة]. فالمؤمن الذي آمن واتقى بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهى الله ﷻ عنه، فهذا هو المقتصد. ثم من زاد على ذلك بفعل النوافل والتقرب إلى الله ﷻ حتى بلغ أعلى من ذلك، فهو من المقربين السابقين ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٨).

(٢) فتح القدير (٢/٥١٩).

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴿الواقعة﴾ فهؤلاء هم أولياء الله المؤمنون المتقون، والولاية- كما تقدم- هي اجتماع الإيمان والتقوى. فإذا عرفت ذلك تبين لك أن ما يقع على أيدي السحرة والكهّان إنما هو دجل وكذب لا يمكن أن يختلط على مؤمن آمن بالله وعرف شريعة الله.

الفرق بين الآيات والأحوال الشيطانية:

ومع هذا فالعلماء يقولون كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في كتابه النبوات في ذكر الفرق بين معجزات الأنبياء والخوارق التي تحدث على أيدي السحرة والكهّان قال: من ذلك أن التَّبَيُّ صادقٌ فيما يخبر به عن الكتب، لا يكذب قَطُّ، ومن خالفهم من السحرة والكهّان لا بُدَّ أن يكذب كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيْطَانُ ﴾ ﴿٣٣﴾ [الشعراء]. (إذا هذه علامة تدل على الفرق بين الولي وبين الكذاب الساحر؛ فأولياء الله لا يكذبون، والأنبياء لا يكذبون، وأما السحرة والكهّان فينبون أمورهم على الكذب). ثم ذكر: الأمر الثاني وهو: أن الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل وطلب الآخرة وعبادة الله وحده، وأعمالهم البرّ والتقوى، وأما هؤلاء فإنهم يأمرون بالشرك والظلم، ويُعظّمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان^(١). ولهذا تجد هؤلاء يأمرون بالذبح لغير الله، ويأمرون بترك الطاعات، ويأمرون بترك الصلاة وبإهانة المصحف وغير ذلك.

الأمر الثالث: الكهانة والسحر يناهما الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه، وهذا مجرّب عند الناس، بخلاف النبوة؛ فلا يناها أحدٌ باكتسابه. كما قال ربنا ﷺ: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] إلى غير ذلك من الأمور التي يُفرّق بها بين المعجزة والكرامة من جهة وبين هذه الأشياء التي تجري على يد الكهّان ونحوهم.

(١) النبوات (٥٥٨/١).

أعظم كرامة للمؤمن:

وأعظم كرامة للمؤمن هي استقامته على طاعة الله ﷻ ولهذا يقول العلماء: لا يُشترط في المؤمن الولي من أولياء أن تحصل له كرامة أو أن تقع له كرامة، وإنما الواجب على المؤمن أن يسعى للاستقامة على طاعة الله ﷻ لا أن يسعى مجتاً عن الكرامة.

لا يشترط حصول الكرامة للولي:

وقد يقول بعض الناس في أنفسهم: لماذا لا تحصل لي أنا كرامة من الكرامات؟! فنقول: هذا ليس بلازم. فالأمر اللازم والواجب هو الاستقامة على دين الله ﷻ. وفي هذا يقول بعض أهل العلم كما ينقل شيخ الإسلام وغيره أن العلماء من أئمة الدين متفقون على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى يُنظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ^(١).

وقد اشتهر عن الشافعي رحمه الله أنه لما قيل له: إن الليث بن سعد - وهو إمام أهل مصر في زمانه - يقول: لو رأيتُه يمشي على الماء، - يعني: صاحب الكلام - لا تثق به أو لا تغتر به، ولا تُكلمه فقال الشافعي: فإنه والله قد قصر إن رأيتُه يمشي في الهواء، فلا تركن إليه^(٢). وهذا يدل على عظيم هذا الأمر، وأن الواجب هو الاستقامة على دين الله ﷻ.

يقول العلامة ابن كثير: لا بُد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة، فمن وافق حاله الكتاب والسنة، فهو رجل صالح سواء كاشف أم لا، ومن لم يوافق فليس برجل صالح سواء كاشف أم لا^(٣).

والعامة اليوم يغترون بكثير من هؤلاء، - نسأل الله السلامة والعافية -.

إذا الواجب على المؤمن والذي ينبغي أن يسعى إليه هو استقامته على طاعة الله ﷻ - وحرصه على أن يكون موافقاً لسنة الله وسنة رسوله ﷺ.

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ٧٨، ٧٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص: ١٤١) - ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٦٤)، والهروي في أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص: ٩٤) - وابن بطة في الإبانة الكبرى (٦٦٢) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/١١٦) والبيهقي في مناقب الشافعي (١/٤٥٣).

(٣) البداية والنهاية (١٧/٣٩٠).

ذكر بعض معجزات الأنبياء:

إذا عرفنا ذلك فإن الله - سبحانه - قد أيد أنبياءه ورسله بمعجزات كثيرة، وقد جاء في القرآن بيان شيء من ذلك.

قال أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ):
 قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَمْ يَبْعَثَ اللَّهُ ﷺ نَبِيًّا إِلَّا وَمَعَهُ مُعْجَزَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ قَوْلِهِ مِنْ جِنْسِ مَا قَوْمُهُ عَلَيْهِ: فَعِيسَى ﷺ بُعِثَ فِي زَمَانِ الْحُكَمَاءِ وَالْأَطْبَاءِ، وَكَانَتْ مُعْجَزَتُهُ إِبْرَاءَ الْأَكْمَةِ، وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى. فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ مَعَ كَوْنِهِمْ حُكَمَاءَ، اسْتَدَلُّوا عَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ مُوسَى ﷺ بُعِثَ فِي زَمَانِ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ، وَكَانَتْ الْعَصَا مُعْجَزَتَهُ، ابْتَلَعَتْ حَبَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ، وَلَمْ تَطُلْ، وَلَمْ تَقْصُرْ، وَلَمْ يَكْبُرْ بَطْنُهَا. فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِالسَّحْرِ اسْتَدَلُّوا عَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. وَنَبِيًّا ﷺ بُعِثَ فِي زَمَانِ الْفُصَحَاءِ وَالْبُلْغَاءِ، الَّذِينَ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّنْظِيمِ وَالنَّثْرِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَقَالَ لَهُمْ: اثْنُوا بِمِثْلِهِ، فَلَمَّا عَجَزُوا عَنِ الْإِثْيَانِ بِمِثْلِهِ مَعَ اقْتِدَارِهِمْ عَلَى الْكَلَامِ، وَاسْتَجْلَوْا عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالْقُرْآنَ مُعْجَزَتَهُ السَّابِقَةَ الْأَوْلَى وَالنَّبِيَّةَ ثَبَّتَتْ بِالْمُعْجَزَةِ الْأَوْلَى، وَالْمُعْجَزَةَ الثَّانِيَةَ وَالثَّالِثَةَ، كَانَتْ تَأْكِيدًا لِلأَوْلَى اهـ (١)

ما أيد الله به نوحًا عليه السلام:

فمن هذا تأييد الله ﷻ نبيه نوحًا عليه السلام بتلك المعجزة العظيمة، فأنجاه وأصحاب السفينة، وأغرق من كفر به من العالمين.

ما أيد الله به هودًا عليه السلام:

وقال الله تعالى عن هود عليه السلام، لما قال له قومه: ﴿يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣﴾ إِنَّ نَقُولَ إِلَّا أَعْتَرَكُ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴿٥٤﴾. فأجابهم عليه السلام بقلب المؤمن المتوكل على الله متحديًا لهم: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٥﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢١٠)

﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَعْتُمْ مِمَّا أُرْسِلَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا
 إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ [هود]. قال الحافظ ابن كثير: وهذا تحدُّ منه لهم، وتبرُّؤ
 من آلهتهم وتنقُّص منه لها، وبيان أنَّها لا تنفع شيئاً ولا تضرُّ، وأنَّها جمادٍ حكمها حكمه
 وفعلها فعله، فإنَّ كانت كما تزعمون من أنَّها تنصر وتنفَع وتضرُّها أنا بريء منها^(١).
 وقال أيضاً: وقد تضمَّن هذا المقامُ حجةً بالغةً، ودلالةً قاطعةً على صدق ما جاءهم
 به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جمادٍ لا تسمع
 ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له،
 الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا
 هو، ولا ربَّ سواه^(٢).

وقال صديق خان رحمته الله: وفي هذا من إظهار عدم المبالاة بهم وبأصنامهم التي
 يعبدونها ما يصبُّ مسامعهم، ويوضِّح عجزهم وعدم قدرتهم على شيء، وهذا من
 معجزاته الباهرة اهـ^(٣).

وقال الطاهر ابن عاشور رحمته الله: وقولهم: ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ بهتان لأنه أتاهم
 بمعجزات لقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ آيَاتُ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ [هود: ٥٩] وإن كان القرآن
 لم يذكر آية معينة لهود عليه السلام ولعل آيته أنه وعدهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد
 واطِّراد الخصب ووفرة مطردة لا تنالهم في خلاها نكبة ولا مصيبة، بحيث كانت خارقةً
 لعادة النعمة في الأمم، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت:
 ١٥] وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُوتِيَ مِنَ
 الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ»^(٤) الحديث. وإنما أرادوا أن البيئات التي جاءهم بها
 هود عليه السلام لم تكن طبقاً لمقترحاتهم، وجعلوا ذلك علةً لتصميمهم على عبادة آلهتهم،

(١) البداية والنهاية = ط دار إحياء التراث (١٤١/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٣٠/٤).

(٣) فتح المنان في مقاصد القرآن (٢٠١/٦).

(٤) البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ
 مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ».

فقالوا: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾ [هود: ٥٣] (١).

ما أيد الله به صالحاً عليه السلام:

وذكر الله ﷺ في كتابه الكريم آية نبي الله صالح: ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل: ٢٥] أيد الله ﷺ بالناقة التي هي آية عظيمة قال الله سبحانه: ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٥] وقال سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ ﴾ [الأعراف: ٧٣]. فهي آية واضحة بيّنة لا خفاء فيها؛ ولذا سماها ﷺ مبصرة ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: ٥٩] وذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوماً في ناديم، فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام، فدعاهم إلى الله، وذكرهم، وحذّره، ووعظهم، وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة-وأشاروا إلى صخرة هناك- من صفتها كيت وكيت-وذكروا أوصافاً سموها ونعتوها وتعنتوا فيها-قالوا: وأن تكون عُشراء (يعني حاملاً) طويلة من صفتها كذا وكذا، فأجابهم الله ﷻ إلى هذه الناقة، فلما كفروا جاءهم العذاب،-نسأل الله العفو والعافية-.

ما أيد الله به إبراهيم عليه السلام:

كذلك أيد الله-سبحانه-نبيه وخليه إبراهيم عليه السلام بالمعجزة الكبيرة بأن جعل عليه النار برداً وسلاماً، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْنَا يَنْدُرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] هذه آية عظيمة؛ فبعد أن أوقدت له النيران، وألقي فيها جعلها الله ﷻ عليه برداً وسلاماً. وكذلك من الآيات التي أجراها الله على يده إحياء الموتى كما قص في كتابه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] [البقرة: أمره الله بذب

هذه الطيور ثم تقطيعها وتفريقها على عدة جبال ثم دعاها فلَبَّت النداء، واجتمعت الأجزاء المتفرقة، والتحمت كما كانت من قبل، ودبَّت فيها الحياة، وطارَت محلقةً في الفضاء، قال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه ﴿فَصْرَهْنَ إِلَيْكَ﴾: «قَطَّعَهُنَّ» (وفي رواية: قَطَّعَ أَجْنِحَتَهُنَّ) ثُمَّ اجْعَلَهُنَّ فِي أَرْبَاعِ الدُّنْيَا، رُبْعًا هَا هُنَا، وَرُبْعًا هَاهُنَا، ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا^(١) - فسبحان الله ما أعظم شأنه وأجل قدرته!!

ما أيد الله به موسى عليه السلام:

كذلك أيد الله -سبحانه- نبيه موسى عليه السلام بآيات كثيرة. منها الآيات التسع التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] قال الحافظ ابن كثير: وَهِيَ: الْعَصَا، وَالْيَدُ، وَالسِّنِينَ، وَالْبَحْرُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجُرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالصَّفَادِغُ، وَالذَّمُّ، آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: هِيَ الْيَدُ، وَالْعَصَا، وَالْحُمْسُ فِي الْأَعْرَافِ، وَالظَّمْسَةُ وَالْحَجَرُ. وَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ، وَقَتَادَةُ: هِيَ يَدُهُ، وَعَصَاهُ، وَالسِّنِينَ، وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجُرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالصَّفَادِغُ، وَالذَّمُّ. وَهَذَا الْقَوْلُ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ حَسَنٌ قَوِيٌّ. وَجَعَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ "السِّنِينَ وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ" وَاحِدَةً، وَعِنْدَهُ أَنَّ التَّاسِعَةَ هِيَ: تَلَقُّفُ الْعَصَا مَا يَأْفِكُونَ أ.هـ.^(٢) فأعظمها وأكبرها العصا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَعَارِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْفَهَا يَا مُوسَى (١٩) قَالَ لَقَدْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ حُذِّهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) ﴿[طه]. وهذه العصا الآية العظيمة ابتلعت عشرات من الحبال والعصي التي جاء بها السحرة، ولما رآها السحرة عرفوا أنها ليست من جنس السحر والخيالات التي يعملونها، وعابنوا الحق، فبادروا إلى الإيمان، وشرح الله صدورهم، ﴿فَأَنقَى السَّحْرَةَ سَاجِدًا قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧) ﴿[طه]. ومن الآيات التي أرسل الله بها موسى ما ذكره الله في قوله: ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٦٣٩) وسعيد بن منصور (٤٤٣) وابن أبي حاتم (٢٧٠٧، ٢٧٠٨) في تفاسيرهم.

(٢) تفسير ابن كثير - ت السلامة (١٢٤/٥).

جَنَاحَكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَى ﴿١٢٢﴾ [طه] كان يُدخِل يده في جيبه، (والجيب هو درع القميص الذي فيه الأزرار) فكان يُدخِل يده ثم ينزعها، فإذا هي تتلأأ كالقمر بياضاً من غير برص ولا بهق.

وذكر الله كذلك من الآيات ما أصابهم به من السنين: إذ أصابهم بالجذب، والقحط، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِنَتَّحَرَّنَا بِهَا فَمَا نَخْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأعراف].

وكذلك أرسل الله موسى عليه السلام بآيات أخر، فمنها: أنه صَرَبَ البحر بعصاه، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. ومنها: صَرَبَهُ للحجر، فكان الحجر ينفلق عن اثنتي عشرة عيناً. وأنزل الله ﷻ المن والسلوى على بني إسرائيل في صحراء سيناء وغير ذلك من الآيات والمعجزات.

ما أيد الله به عيسى عليه السلام:

وأيد الله كذلك نبيه عيسى عليه السلام بمعجزات عظيمة، فقد كان يصنع من الطين ما يُشبهه الطير ثم ينفث فيه، فتُصبح طيوراً بإذن الله وقدرته،

ويمسح الأكمه، فيبرأ بإذن الله،
ويمسح الأبرص فيذهب عنه البرص،
ويمرُّ على الموتى فيناديهم فيحييهم الله-تعالى-بأمره سبحانه،
وقد حكى القرآن لنا ذلك في آيات سورة المائدة، ومن قبلها في آيات سورة آل عمران.

ما أيد الله به خاتم الأنبياء نبينا محمداً ﷺ :

وأما نبينا محمد - ﷺ - فقد جمع الله له آيات كثيرة عظيمة.
يقول البيهقي رحمه الله - تبعاً للحلي - : وذكر بعض أهل العلم أن أعلام نبوته تبلغ ألفاً^(١).

وهكذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أن معجزات النبي ﷺ قد بلغت أكثر من ألف آية^(٢).

وذكر شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى أن : الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل، فليس لنبي من الأنبياء آية تُوجب الإيمان به إلا ولمحمد ﷺ مثلها، أو ما هو في الدلالة مثلها، وإن لم يكن من جنسها^(٣).

فأكثر الرسل آيات وبينات هو خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام .
قال بعض العلماء: لئن كان سليمان، عليه السلام، أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر لقد أعطي نبينا ﷺ البراق الذي هو أسرع من الريح، ولئن كان موسى عليه السلام، أعطي حجراً تتفجر منه اثنتا عشرة عيناً لقد وضع أصابعه، في الإناء والماء ينبع من بين أصابعه حتى ارتوى أصحابه يومئذ، وما لهم من الخيل، ولئن كان عيسى عليه السلام، أحيا النفس بإذن الله لقد رفع ﷺ، ذراعاً إلى فيه فأخبرته أنها مسمومة^(٤).

القرآن أعظم المعجزات :

فمن أعظم الآيات التي أوتيتها نبينا ﷺ هذا الكتاب الجليل، القرآن المعجز الذي هو آية عظيمة مستمرة، تحدى الله ﷻ بها الثقلين.

(١) شعب الإيمان (٢٧٩/١) والمنهاج في شعب الإيمان (٢/٨٨).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٩٩/١).

(٣) هداية الحيارى (٥٧٨/٢).

(٤) المحاسن والمسائى لإبراهيم البيهقي (ص ٨).

من معجزات الرسول ﷺ :

كما أيده ﷺ بآيات كثيرة، جمعها العلماء في كتب مستقلة، سُميت بدلائل نبوته ﷺ. وقد جمع البيهقي رحمه الله كتابًا في دلائل نبوته ﷺ. ومما أُلّف في هذا: دلائل النبوة للفريابي، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني قوام السنة. وكتب شيخنا العلامة الشيخ مقبل الوداعي رحمه الله صحيح دلائل النبوة. وهو مطبوع. فمن معجزاته ﷺ:

اجابة الشجرة إياه لما دعاها.

ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحًا، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَتَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بَعْضِنِ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «أَنْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ لِلَّهِ» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى آتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بَعْضِنِ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «أَنْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ لِلَّهِ» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمْ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمْعَهُمَا - فَقَالَ: «التَّيْمَا عَلَيَّ يَا ذَنْ لِلَّهِ» فَالْتَأَمَتَا. (١)

وفي سنن ابن ماجه عن أنس بن مالك، قال: جَاءَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالدَّمَاءِ، قَدْ ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: «فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ، وَفَعَلُوا»، قَالَ: أَلَمْ تُحِبَّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟ قَالَ: «نَعَمْ، أُرِنِي» فَتَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، قَالَ: ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ، فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي، حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: قُلْ لَهَا فَلْتَرْجِعْ، فَقَالَ لَهَا، فَرَجَعَتْ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبِي» (٢)

تَكَلُّمُ الذَّرَاعِ الْمَسْمُومَةِ.

وقد ورد ذلك في أحاديث - مفرداتها فيها ضعف، لكنها بمجموعها تثبت -: ففي سنن أبي داود عن ابن شهاب، قال: كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ يَهُودِيَّةً، مِنْ أَهْلِ حَيْبَرَ

(١) صحيح مسلم (٣٠١٢)

(٢) سنن ابن ماجه (٤٠٢٨) بسند صحيح وصححه الألباني في هداية الرواة (٥٨٦٧)

سَمَّتْ شَاةً مَضْلِيَّةً ثُمَّ أَهَدَتْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّرَاعَ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ» وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاَهَا، فَقَالَ لَهَا «أَسَمَّيْتَ هَذِهِ الشَّاةَ» قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ «أَخْبَرْتَنِي هَذِهِ فِي يَدِي» لِلدَّرَاعِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ «فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا، وَتُوِّفِيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَاحْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كَاهِلِهِ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ، حَجَمَهُ أَبُو هِنْدٍ بِالْقَرْنِ وَالشَّفْرَةَ، وَهُوَ مَوْلَى لِبَنِي بِيَاضَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ. (١)

وفيه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» فَأَهَدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بَحِيرَ شَاةً مَضْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» الْحَدِيثُ (٢)

وروى البزار عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهَدَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةً سَمِيظًا، فَلَمَّا بَسَطَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكُوا، فَإِنَّ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهَا يُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَتِهَا: «أَسَمَّيْتَ طَعَامَكَ هَذَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟» قَالَتْ: أَحَبَبْتُ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا أَنْ أُرِيحَ النَّاسَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُطْلِعُكَ عَلَيْهِ، فَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ: «كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ» قَالَ: فَأَكَلْنَا وَذَكَّرْنَا اسْمَ اللَّهِ، فَلَمْ يَضُرَّ أَحَدًا مِنَّا. (٣)

(١) سنن أبي داود (٤٥١٠) وفي إسناده انقطاع. وله شواهد منها ما بعده. وصححه الألباني لذلك كما في هداية

الرواة (٥٨٧٤) والسلسلة الضعيفة (تحت الحديث ٦٤٤١)

(٢) سنن أبي داود (٤٥١٢) وهو مرسل ووصله الحاكم (٤٩٦٧) بذكر أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه على شرط مسلم

- وفيه نظر، فإن ابن عمرو لم يعتمد عليه مسلم. وله شواهد منها ما بعده. وصححه الألباني لذلك كما في

هداية الرواة (٥٨٧٤) والسلسلة الضعيفة (تحت الحديث ٦٤٤١)

(٣) أخرجه البزار - كما في كشف الأستار (٢٤٢٤) والبداية والنهاية لابن كثير (٦/٢٣٣/٦ ط هجر) - والحاكم

في المستدرک على الصحيحين (٧٠٩٠) وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (١٤٧) وإسماعيل الأصبهاني

قوام السنة في دلائل النبوة (٢٩٧) وصححه الحاكم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٩٦): رواه البزار،

ورجاله ثقات. اهـ وقال الحافظ ابن كثير: قلت: وفيه نكارة وغرابة شديدة. والله أعلم. اهـ يعني الزيادة

وروى البزار أيضا عن مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه في قصة الشاة المسمومة وفيه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهَا يُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ»^(١).
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم:

تكثير الطعام القليل حتى أصاب منه ناس كثير:

وفيه أحاديث منها: حديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: ثُوِّفِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ رضي الله عنه - يعني والده- وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاسْتَعَنْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى غُرْمَائِهِ أَنْ يَضْعُوا مِنْ دَيْنِهِ، فَطَلَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَذْهَبْ فَصَنَّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا، الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ، وَعَدَقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ»، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلَاهُ، أَوْ فِي وَسْطِهِ، ثُمَّ قَالَ: «كُلْ لِلْقَوْمِ»، فَكَلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ. رواه البخاري^(٢)

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟»، فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوَهُ، فَعَجَنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ، مُشْعَانٌ طَوِيلٌ، بَغْنِمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً»، أَوْ قَالَ: «أَمْ هِبَةٌ؟»، قَالَ: لَا بَلْ بَيْعٌ، فَأَشْتَرِي مِنْهُ شَاةً، فَصَنَعْتُ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى، وَائِمُ اللَّهِ، مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا قَدْ حَزَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَهُ حَزَّةٌ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ، فَجَعَلَ مِنْهَا قِصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا، فَفَضَلَتِ الْقِصْعَتَانِ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ. متفق عليه.^(٣)

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو

في آخره: فَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ... الحديث. فإنه مخالف لما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أكل منها ثم لما علم أنها مسمومة ترك. رواه البخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) عن أنس رضي الله عنه. وهذه الزيادة ضعفها أيضا الشيخ الألباني في الضعيفة (٩٩١/١٣).

(١) أخرجه البزار - كما في كشف الأستار (٢٤٢٣) - وإسناده ضعيف، كما في السلسلة الضعيفة (٩٩١/١٣): والعلة التدليس فالحسن - وهو: البصري -، ومبارك بن فضالة، مدلسان، وقد عنعنا. والقدر المذكور يشهد له ما قبله.

(٢) صحيح البخاري (٢١٢٧)

(٣) صحيح البخاري (٢٦١٨) وصحيح مسلم (٢٠٥٦)

فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا لَهَا» فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا، فَجَعَلُوهَا فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا، قَالَ لَهَا: «تَعْلِمِينَ، مَا رَزَيْنَا مِنْ مَائِكَ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا»، فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدِ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ، قَالُوا: مَا حَبَسَكَ يَا فُلَانَةُ، قَالَتْ: الْعَجْبُ لِقَيْنِي رَجُلَانِ، فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ، وَقَالَتْ: بِإِصْبَعَيْهَا الْوُسْطَى وَالسَّبَابِيَّةَ، فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ - تَعْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ - أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ يُغَيِّرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يُصَيِّبُونَ الصَّرْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَقَالَتْ: يَوْمًا لِقَوْمِهَا مَا أَرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَدْعُونَكُمْ عَمَدًا، فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؟ فَأَطَاعُوهَا، فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ. متفق عليه. (١)

وفي صحيح البخاري عن المسور بن مخرمة، ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قال: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية... فذكر الحديث وفيه: قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه،... الحديث (٢).

خروج الماء من بين أصابعه ﷺ:

وفيه أحاديث منها: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء، فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال: «فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ» متفق عليه (٣)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوها، فقال: «مَا لَكُمْ؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، «فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرُّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمْثَالِ

(١) صحيح البخاري (٣٤٤) وصحيح مسلم (٦٨٢)

(٢) صحيح البخاري (٢٧٣١)

(٣) صحيح البخاري (٣٥٧٣) وصحيح مسلم (٢٢٧٩)

العيون»، فشرَبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةً أَلْفٍ لَكَفَّانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً. رواه البخاري (١).

حنين الجذع:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجِذْعُ «فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ» رواه البخاري (٢).

وفيه أيضاً عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلَامًا نَجَّارًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ [الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا] صِيَاحَ الصَّيِّ [حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ]، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَبَّخُنُ أَيْنَ الصَّيِّ الَّذِي يُسْكُنُ [حَتَّى اسْتَقَرَّتْ]. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا» (٣).

وروى الترمذي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ إِلَى لِزْقِ جِذْعٍ وَاتَّخَذُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَخَطَبَ عَلَيْهِ فَحَنَّ الْجِذْعُ حَنِينَ النَّاقَةِ، فَتَزَلَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَمَسَّهُ فَسَكَتَ (٤).

وفي رواية عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى جِذْعٍ مَنْصُوبٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَيَخْطُبُ النَّاسَ، فَجَاءَهُ رُومِيٌّ، فَقَالَ: أَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ، فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ، وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّالِثَةِ، فَلَمَّا قَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى ذَلِكَ الْمِنْبَرِ، حَارَ الْجِذْعُ كَخُورِ الثَّوْرِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ لِحُورِهِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَتَزَلَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ

(١) صحيح البخاري (٣٥٧٦) ورواه مسلم مختصراً (١٨٥٦)

(٢) صحيح البخاري (٣٥٨٣).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٨٤، ٢٠٩٥) وقال الحافظ في الفتح (٣١٩/٤): وقوله: «قَالَ بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ» صَرَحَ وَكَيْعٌ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ بِأَنَّهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْهُ أ. هـ.

(٤) سنن الترمذي ت شاكر (٣٦٢٧) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١١٠١)

وانظر: السلسلة الصحيحة (٢١٧٤)

يَحُورُ، فَلَمَّا التَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَكَتَ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ أَلْتَزِمَهُ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» تَحَرُّنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ. (١)

ولا بن ماجه عن ابن عباس، وأنس بن مالك، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِدْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ ذَهَبَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِدْعُ فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنُهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٢)

وروى ابن المبارك عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى خَشَبَةٍ، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ، قَالَ: «ابْنُوا لِي مِنْبَرًا»، فَبَنَوْا لَهُ مِنْبَرًا [لَهُ عَتَبَتَانِ]، إِنَّمَا كَانَ عُسْرٌ فَتَحَوَّلَ مِنَ الْخَشَبَةِ إِلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ: [فَلَمَّا قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ] فَحَنَّتْ وَاللَّهِ الْخَشَبَةُ [إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] حَنِينَ الْوَالِدِ [وفي رواية: الوالد]. قَالَ أَنَسُ ﷺ: وَأَنَا وَاللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ أَسْمَعُ ذَلِكَ، قَالَ: قَوْلَ اللَّهِ مَا زَالَتْ تَحْنُ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَمَشَى إِلَيْهَا فَاحْتَضَنَهَا فَسَكَتَتْ [وفي رواية: فَسَكَتَتْ] فِيهَا الْحُسْرَةُ. قَالَ: فَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى [وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ يَا عِبَادَ اللَّهِ]، الْخَشْبُ يَحْنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ] أَفَلَيْسَ الَّذِينَ يَرْجُونَ لِقَاءَهُ أَحَقُّ أَنْ يَشْتَاقُوا إِلَيْهِ؟ (٣).

ظهور صدقه ﷺ في مغيبات كثيرة أخبر عنها:

قال البيهقي رحمه الله: وَأَمَّا إِخْبَارُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْكَوَائِنِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ وَظُهُورِ صِدْقِهِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ فَهِيَ كَثِيرَةٌ وَهِيَ فِي كِتَابِ الدَّلَائِلِ مَنْقُولَةٌ:

(١) أخرجه الدارمي (٤٢) وابن خزيمة (١٧٧٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤١٧٩) وحسنه شيخنا

الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١١٠١)

(٢) سنن ابن ماجه (١٤١٥) ورواه الإمام أحمد (٢٤٠٠) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في

الصحيحين (٥٤٨)

(٣) مسند عبد الله بن المبارك (٤٨) ورواه الإمام أحمد (١٣٣٦٣) مختصراً، وابن خزيمة (١٧٧٦)، وعلي بن

المعجم (٣٢١٩)، وأبو يعلى (٢٧٥٦) - وعنه ابن حبان (٦٥٠٧) - ومنهما الزيادات، وابن الأعرابي في المعجم

(٢٢٥٧) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (١٤٠٨، ٣٦٣١) بسند صحيح عن يزيد بن إبراهيم التستري

قال: سمعت الحسن يقول: أخبرني أنس... فذكره.

١- فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... حِينَ أَخْبَرَ عَنْ مَسْرَاهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ إِلَى السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَكُذِّبَ فِيهِ؛ أَخْبَرَ عَنْ عَيْرِهِمُ الَّتِي رَأَاهَا فِي طَرِيقِهِ: عَنْ قُدُومِهَا، وَعَنْ نَبَأِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ.

٢- وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِمَا وَقَعَ لِيَزِيدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمُوتِهِ، وَنَعَاهُمْ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ خَبْرُهُمْ.

٣- وَنَعَى التَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ.

٤- وَأَخْبَرَ عَنْ كِتَابِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، ...

٥- وَوَعَدَ أُمَّتَهُ الْفُتُوحَ الَّتِي وُجِدَتْ بَعْدَهُ

٦- وَحَدَّرَهُمُ الْفِتْنَ الَّتِي بَدَتْ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَظَهَرَتْ عِنْدَ قَتْلِهِ وَبَعْدَهُ،

٧- وَأَخْبَرَهُمْ بِمُدَّةِ بَقَاءِ الْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ،

٨- وَأَشَارَ إِلَى الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَكُونُونَ بَعْدَهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، ثُمَّ بَنِي الْعَبَّاسِ فَكَانُوا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩- وَسَمَى جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ شُهَدَاءَ، فَأَذْرَكُوا الشَّهَادَةَ بَعْدَهُ، ...

١٠- وَأَخْبَرَ عَنِ الْبَلَاءِ الَّذِي أَصَابَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ،

١١- وَعَنْ قَتْلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ

١٢- وَقَتْلِ ابْنِ ابْنَتِهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ،

١٣- وَإِصْلَاحِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ ابْنَتِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،

فَوُجِدَ تَصْدِيقُهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ،

١٤- وَنَعَى نَفْسَهُ إِلَى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهَا لِحُوقِهَا بِهِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ،

١٥- وَبَشَّرَ أُمَّتَهُ بِكَفَايَةِ اللَّهِ شَرَّ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ وَمُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِينَ، فَكَانَ كَمَا

أَخْبَرَ،

١٦- وَذَكَرَ أَوْيَسًا الْقُرْنِيَّ وَوَصَفَهُ بِمَا وَجِدَ تَصْدِيقُهُ بَعْدَهُ. ... ١هـ. (١)

ومما ذكره أيضا من دلائل نبوته ﷺ:

- ١- إخبار المتقدمين وغيرهم بنبوته.
 - ٢- وكذلك ما جاء عن الكُفَّان والجن وأهل الكتاب في شأنه ﷺ.
 - ٣- وإسلام الجن على يديه ﷺ.
 - ٤- وانقياد الحيوانات له ﷺ.
 - ٥- وسلام الأحجار عليه ﷺ.
 - ٦- ومن دلائل نبوته مَنْ شَفَّاهُ اللهُ ﷺ ببركة دعائه ﷺ له.
 - ٧- ومنها أيضًا حادثة الإسراء والمعراج.
- في أمور كثيرة تراجع في مظانها من الكتب المذكورة

وجوب الإيمان بالمعجزات والتصديق بالكرامات:

فهذه التي ذكرناها هي جملة من الآيات والبيئات التي أُيِّدَ بها الأنبياء ﷺ.
 فنحن نؤمن بما أُيِّدَ اللهُ ﷻ به أنبياءه من الآيات والمعجزات كما أننا نؤمن
 بكرامات الأولياء. ومثل ما ذكرنا فإن المسلم يجب أن يُفرِّق بين ذلك وبين ما هو من
 وساوس الشياطين والسحرة والكُفَّان والمشعوذين.



المجلس الرابع عشر (١)

دعوة الأنبياء والمرسلين :

أكرمنا الله -ﷺ- ببعثة الأنبياء والمرسلين، واختارهم، واصطفاهم، وبعثهم رحمة للعالمين. فما من خير إلا وبيئوه لنا، ودلونا عليه، وما من شر إلا وحدرونا منه، وبيئوه لنا، صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وهو في سفر ناداهم، فقال: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ» يقول: فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيَّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا» (١) إلى آخر الحديث.

فكل الأنبياء بعثهم الله ﷻ برسالة سامية، وهي الدلالة على كل خير، والتحذير من كل شر. وأعظم الخير وأوجهه أن الله بعثهم بالدعوة إلى التوحيد الذي هو أعظم الحسنات، والدعوة إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، والنهي عن الشرك الذي هو أعظم السيئات، والنهي عن كل ما يبغضه الله ﷻ ويأباه.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: وَاللَّهِ ﷻ أَرْسَلَ رُسُلَهُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَمَنْ اتَّبَعَ الرُّسُلَ، حَصَلَ لَهُ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَإِنَّمَا دَخَلَ فِي الْبِدْعِ مَنْ قَصَرَ فِي اتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عِلْمًا وَعَمَلًا. هـ. (٢)

(١) كان في يوم الأحد العاشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) صحيح مسلم (١٨٤٤)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤٤٥).

قل هذه سبيلي :

ويقول الله ﷻ في كتابه الكريم لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف] هذه الآية العظيمة تُبَيِّنُ لنا منهج الأنبياء في دعوتهم.

يقول شيخ المفسرين المحافظ عماد الدين ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في هذه الآية: يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين: الإنس والجن، أمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهانٍ هو وكلُّ من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي^(١).

وفي ختام هذه الآية يقول ﷻ: ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ أي: وأنزه الله وأجله وأعظمه عن أن يكون له شريك وند ﷻ عن ذلك علواً كبيراً. ثم تختتم الآية بقوله ﷻ: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وهذه خاتمة مهمة، فقد بيّن النبي ﷺ طريقه ومنهجه وهو الدعوة إلى التوحيد، وخُتِمَت الآية بالبراءة من المشركين. فالنبي ﷺ بيّن دعوته، وقال: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ كما تبرأ منهم خليل الرحمن ﷺ يقول ربنا ﷻ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [المتحنة: ٤]. بُعِثَ النبي ﷺ إلى قوم يعبدون الله، لكنهم لا يعبدون الله وحده، وإنما يعبدون من دونه آلهةً وأوثاناً. فهم لا ينكرون وجود الله ولا كونه خالقاً رازقاً، ولكنهم يُشْرِكُونَ مع الله غيره! فمن المهم أن نعرف حقيقة دعوة الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ما هي دعوة الأنبياء؟

تلك الدعوة العظيمة التي بعثهم الله بها، ووضّحها في كتابه العظيم القرآن أوضح الدلالة، وبيّن معانيها ومعالمها التي غفل عنها الناس اليوم؛ فوقعوا في الشرك الذي نهى الله ﷻ عنه، وبعث الأنبياء للتحذير منه.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٢٢).

اتفاق دعوة الأنبياء والمرسلين على الدعوة إلى التوحيد:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض
فأنظروا كيف كان عاقبة المكدبين ﴿٦٦﴾﴾ [النحل]

فكل الأنبياء دعوا إلى هذه الكلمة ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. دعوا إلى
توحيد الله، وإفراده بالعبادة، والبراءة من الشرك وأهله.

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنبياء] فما من نبي بعثه الله إلا ودعوته الدعوة إلى التوحيد وإفراد
الله - ﷻ - بالعبادة، قال: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أي: فوحدوني.

وذكر الله ﷻ قصص عدد من الأنبياء في سورة الأنبياء ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ
هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء].

وكذلك ذكر قصص الأنبياء في سورة المؤمنون، فذكر نوحًا وهودًا وصالحًا وموسى
وهارون ثم قال بعد ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون].

فقوله في الآيتين: آية الأنبياء، وآية المؤمنون: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةً
وَاحِدَةً﴾. قال الحافظ ابن كثير: قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: دينكم دين
واحد^(١).

فالأنبياء جميعًا بعثوا بأصل واحد عظيم، ما هو هذا الأصل؟
هو توحيد الله وإفراده بالعبادة ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
ويقول النبي ﷺ كما في الصحيحين: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا

(١) تفسير ابن كثير (٣٧١/٥).

وَالْآخِرَةَ، وَالْأَنْبِيَاءَ إِخْوَةً لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدًا^(١).

وقوله: «إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ» العلات هم الإخوة من الأب أمهاتهم شتى؛ فالنبي ﷺ ضرب مثلاً للأنبياء بأنهم جاؤوا بمشكاة واحدة، وهي توحيد الله.

ويقول ربنا ﷺ عن أولي العزم من الرسل كما في سورة الشورى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى]

فتلك هي دعوة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم أولو العزم منهم. ولما سُئِلَ النبي ﷺ عن الرسل قال: «ثَلَاثٌ مِائَةٌ وَخَمْسَ عَشْرَةَ جَمًّا غَفِيرًا»^(٢). فكل هؤلاء الرسل من أولهم إلى خاتمهم نبينا محمد ﷺ ساروا على منهج واحد، وانطلقوا من منطلق واحد، وهو التوحيد الذي هو أعظم القضايا وأعظم المبادئ التي جاؤوا بها من رب العالمين ﷺ، وهذه الآيات فيها ذكر دعوة الأنبياء على جهة الإجمال.

دعوة نوح عليه السلام إلى التوحيد:

وجاء التفصيل أيضاً في كتاب الله - ﷻ - في ذكر دعوة الأنبياء. فتأملوا معي في سورة الأعراف، فقد ذكر الله ﷻ أول الرسل نبيه نوحاً عليه السلام، فقال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف] كانت كلمة نوح عليه السلام ﴿ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ فأمرهم بتوحيد الله، وأن يعبدوه وحده لا شريك له. وكذلك في سورة نوح قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا إِلَيْكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴾ [نوح]

(١) صحيح البخاري (٣٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه في المجلس العاشر.

﴿٣﴾ [نوح] وقد مرّ معنا قول ابن عباس رضي الله عنه أن العبادة في القرآن معناها التوحيد^(١) فقولُه: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحّدوا الله تعالى.

دعوة هود عليه السلام إلى التوحيد:

وذكر الله ﷻ هودًا عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف] وكذلك في سورة هود عليه السلام يقول ربنا ﷻ في قصته: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [هود] فدعوتهم واحدة، وهي الدعوة إلى توحيد الله، وإلى مثل ما دعا إليه نوح من قبله.

جواب قوم هود لنبيهم عليه السلام ومعنى كلمة التوحيد:

وتأملوا -إخواني في الله- هذه الدعوة العظيمة المباركة التي وضّحها الأنبياء لأقوامهم، وانظروا إلى جواب قوم هود عليه السلام لنبيهم لما دعاهم إلى إفراد الله بالعبادة ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] تأملوا في قولهم ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ لنعلم أن هودًا عليه السلام قد وضّح لهم وبين لهم أن أساس الأمور هو إفراد الله ﷻ بالعبادة. ونأسف كثيرًا حينما نجد من الناس اليوم من يقول: (لا إله إلا الله) وهي كلمة التوحيد، الكلمة العظيمة، كلمة التقوى، لكنه لا يفهمها!! وهؤلاء قوم هود عليه السلام فهموا من دعوته إلى التوحيد أنه يريد إفراد الله ﷻ بالعبادة، فقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

دعوة صالح عليه السلام إلى التوحيد:

وهكذا ذكر الله ﷻ نبيه صالحًا عليه السلام، وأخبر أنه قال لقومه: ﴿قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] وذكر قصته في سورة هود عليه السلام، فأخبر عنه أنه قال: ﴿يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَفِرُّوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود].

(١) تقدم في المجلس السادس.

دعوة شعيب عليه السلام إلى التوحيد:

وذكر الله أيضًا بعد ذلك قصة لوط عليه السلام وقصة شعيب عليه السلام، قال شعيب لقومه: ﴿يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

دعوة لوط عليه السلام إلى التوحيد:

وهكذا دعا لوط قومَه إلى توحيد الله، وحذَّره من البليَّة التي كانوا واقعين فيها مع الشرك وهي فعل الفاحشة العظيمة! نَسأل الله السلامة والعافية، وهكذا ما من نبي بعثه الله - ﷻ - إلى قومه إلا ودعا قومه إلى إفراد الله - ﷻ - بالعبادة.

الأمر لنبينا ﷺ بالدعوة إلى التوحيد:

ففي فاتحة سورة هود عليه السلام يقول سبحانه: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرُ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١﴾ [هود] إنها دعوة واحدة.

دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد:

وتأملوا أيضًا قصة نبي الله ورسوله يوسف عليه السلام حين أُدخِل السجن، وهو مظلوم عليه السلام، إلام دعا هناك؟ دعاهم إلى توحيد الله ﷻ قال الله ﷻ في ذكر دعوته لما قال للرجلين: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْطَحِبِي اللَّيْلَ الْجِنِّ أَزْرَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿٤٠﴾. فسبحان الله! وهو في السجن ومع الظلم الذي وقع عليه، فإنه مأمور من ربه ﷻ أن يدعو إلى توحيد الله ﷻ. إنه النبي الكريم ابن الكريم؛ نبي الله يوسف ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم عليه السلام يدعو إلى توحيد الله. فما دعا وهو في سجنه مظلومًا إلى التهيب ولا إلى السياسات، ولا انطلق من مبدأ الثأر، وإنما دعا إلى التوحيد، ونبذ الشرك مؤكِّدًا دعوته ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ومفسرًا ذلك

بقوله: ﴿أَمَرَ آلًا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ويقول عن التوحيد: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

البحث على تأمل الآيات في قصص الأنبياء:

تأملوا - يا إخواني - في هذه القصص، قصص الأنبياء كيف أن الله ﷻ أخبر أن نبيّه نوحًا ﷺ، مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعو إلى توحيد الله ﷻ!! يذكر الله - سبحانه - لنا ذلك في كتابه، ويثني على نبيّه نوح ﷺ، بدعوته إلى توحيد الله سبحانه، ألا يدل ذلك على أن هذا هو المنهج الحق والمنهج الصواب؟

دعوة إبراهيم ﷺ، إلى التوحيد:

ثم تأملوا أيضًا قصة خليل الرحمن إبراهيم ﷺ، وقد ذكرها الله في مواضع عدة، وكلها في بيان الدعوة إلى توحيد الله. إنه أبو الأنبياء، وإمام الموحدّين الحنفاء، خليل الله الذي أمر الله سيد المرسلين وخاتم النبيين وأمته باتباعه، والتأسي بدعوته، والاهتداء بهديه ومنهجه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزْرَأَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام] إلى آخر الآيات التي حاج فيها إبراهيم قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام ويشركون بالله - ﷻ - بعبادة الكواكب، وعبادة الشمس والقمر، فدعاهم إلى الله ﷻ. وانظر إلى محاورته مع أبيه في سورة مريم: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [٤١] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [٤٢] [مريم] إلى آخر الآيات العظيمة التي فيها دعوة مُشْفِقٍ رحيم على أبيه، دعوة إلى توحيد الله سبحانه، قائمة على العلم والمنطق والعقل، وعلى الخلق القويم، يريد أن يهديه الصراط المستقيم، ويُبعد عنه ما به من التعصب، مُبَيِّنًا له بالعلم والحجة والبرهان.

دعوة إبراهيم ﷺ، النمرود إلى التوحيد:

وكذلك ذكر الله ﷻ دعوة إبراهيم ﷺ، لذلك الطاغية إلى توحيد الله سبحانه، وهو نمرود بن كنعان^(١)، قال الله في قصته: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] أي: هو

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤/ ٥٦٨).

الله المنفرد بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة، فقال ذلك الطاغية: ﴿ قَالَ أَنَا أَحْيَاهُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

ودعا قومه إلى توحيد الله سبحانه، قال ﷺ: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٨﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٩﴾ ﴿ [الأنبياء] إلى آخر القصة العظيمة التي ذكرها الله في سورة الأنبياء، وفيها أنه كسّر أصنامهم، ودعاهم بالحكمة إلى الله ﷻ.

صلاح الناس في الدعوة إلى التوحيد:

إن الأنبياء جميعاً عَرَفُوا أَنَّ صلاح الناس إنما يبدأ من هاهنا من توحيد الله -ﷻ- يبدأ من توحيد الله ﷻ لا كما يظنه كثير من الناس اليوم أنه لا يمكن أن يدخل الشرك والفساد إلى الأمة، وأن الأمة في مأمن من ذلك، كلاً -والله- إنه ظنُّ مَنْ لا يعرف منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

نبي الله إبراهيم وخليه عليه السلام، يخاف الشرك على نفسه وذريته:

بل إن نبي الله إبراهيم خافه على نفسه وذريته فقال في دعائه ما أخبر الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ ﴿١﴾ [إبراهيم].

وكان إبراهيم التيمي -التابعي الجليل- ﷺ، يقصُّ ويقول في قصصه: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم عليه السلام، حين يقول: رب ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ ﴿١﴾

وقال يحيى بن يمانٍ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: قَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَمْرَضَ وَأَمُوتَ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَيْتَنِي مِتُّ فُجَاءَةً؛ لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ أَتَحَوَّلَ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ، مِنْ يَأْمَنِ الْبَلَاءِ بَعْدَ خَلِيلِ

الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَجَبُّنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. (١)

دعاء يوسف عليه السلام، أن يتوفاه الله على الإسلام:

وفي دعاء يوسف عليه السلام يقول: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١١)

دعاء نبينا ﷺ الثبات وخوفه من الفتنة:

وكان من دعاء رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «وَإِذَا أَرَدْتَ بِالنَّاسِ فِتْنَةً فَاقْبِضِي إِلَيْكَ غَيْرَ
مَفْتُونٍ» (٢)

وكان ﷺ يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (٣)

وكان يَحْلِفُ بقوله: «لَا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ» (٤) فيقسم بالله مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ، لأنها كثيرة
التقلب، والله ﷻ هو الذي يقلبها، كما جاء في الحديث: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ
إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» (٥).

قال ابن عبد البر: فَمَا يَأْمُنُ الْفِتْنَةَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ اهـ.

وقال أيضا: قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّحِيُّ لَا يَأْمُنُ الْفِتْنَةَ وَالْإِسْتِدْرَاجَ إِلَّا مَفْتُونٌ.

وقال: وَلَا نِعْمَةَ أَفْضَلَ مِنْ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ فِيهِ تَزْكُو الْأَعْمَالُ وَمَنْ ابْتَغَى دِينًا غَيْرَهُ
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَلَوْ أَنْفَقَ مِائَةَ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَمَاتَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلِ آمِينَ
اهـ. (٦)

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ت بشار (١١/٤٠٩) وأخرج ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/١٠٢، وأبو

نعيم في حلية الأولياء ٧/٦٧ الجملة الأولى منه إلى قوله (فجاءة).

(٢) حديث صحيح. رواه الترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس و(٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل. وسيأتي في

مبحث الإيمان بالملائكة (ص: ٥٨)

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٤٠) وابن ماجه (٣٨٣٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والترمذي (٣٥٢٢) عن أم سلمة. وابن ماجه

(١٩٩) عن النّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِي الْبَابِ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَانظُرْ: الصَّحِيحَةُ (٢٠٩١) وَالْجَامِعُ الصَّحِيحُ مِمَّا

لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ (٤٢٤)

(٤) أخرجه البخاري (٦٦١٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) «الاستذكار» (٢/٥٣٤، و٢٢٤/٤)

دعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد:

ثم انظروا إلى نبي الله موسى عليه السلام، وكيف أن الله ﷻ بعثه، وقد تربى في قصور أعظم طاغية يدعو الناس إلى تأليه نفسه وعبادة نفسه! بعثه الله إليه ليدعوه ويدعو الناس في زمانه إلى توحيد الله ﷻ. فيناظر موسى عليه السلام هذا الرجل الطاغية في الله ﷻ ويبيّن له الحق بالحجة والبرهان؛ ليسمع جميع الناس ذلك، يقول ربنا ﷻ في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ فَرَعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤١﴾ قَالَ لَئِن أَخَذْتِ الْهَاغِيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوْنِيْنَ ﴿٤٢﴾ قَالَ أَوْلُوْ جَنَّتِكَ شَيْءٌ مُّبِيْنٌ ﴿٤٣﴾ ﴿ الشعراء ﴾ إلى آخر الآيات. ويخبر ربنا ﷻ في سورة طه أيضاً أن فرعون قال له: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٤٥﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٤٦﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٤٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَاكِنًا لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٤٨﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [طه].

دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد:

وكذلك كانت دعوة نبي الله عيسى عليه السلام، فدعا قومه إلى توحيد الله - ﷻ - ولم يدعهم إلى عبادة نفسه، ولا إلى أن يشركوا بالله ﷻ كما قال ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَدُهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿٧٧﴾ [المائدة] وأخبر الله ﷻ عنه أيضاً أنه قال لقومه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران] ويأتي يوم القيامة، فيتبرأ عند الله ﷻ من عبده من دون الله، يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ

أَتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴿١١٧﴾ [المائدة].

دعوة نبينا ﷺ إلى التوحيد:

وعلى هذا سار خاتم الأنبياء والمرسلين، فكان يأتي قومه، فيدعوهم، ويقول **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (وَالسَّلَامُ): «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»** (١) ويحذرهم من الشرك بالله.

تحقيق أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية:

ويقول بعض الناس: كان الأنبياء يدعون إلى توحيد الربوبية! أي: إلى أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت. ونقول لهم: لم يكونوا إلا دعاة إلى توحيد الألوهية؛ فإن الخلاف الذي وقع بين الأنبياء وبين أقوامهم إنما هو في توحيد الألوهية، الذي هو توحيد العبادة وإفراد الله بالعبادة، أما أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت فإنهم كانوا يعرفون ذلك، ويُقرّون به، وإنما كانوا ينكرون إفراد الله بالعبادة.

وتأملوا فيما ذكرنا سابقًا في جواب قوم هود لهود **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، إذ قالوا: ﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ

اللَّهِ وَحَدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]

ويقول ربنا **ﷺ** في سورة ص: ﴿وَيَحِبُّوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَجْرٌ

كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص].

فتأملوا مقاتلتهم؛ فإنهم عجبوا أن النبي **ﷺ** دعاهم إلى الله وحده لا شريك له.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٩٣) وابن خزيمة (١٥٩) وابن حبان (٦٥٦٢) والحاكم (٦١١/٢ - ٦١٢) وصححه من حديث طارق بن عبد الله المحاري **رضي الله عنه**. ورواه الإمام أحمد في المسند (٣٤١/٤) وابنه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٤٩٢/٣) من حديث ربيعة بن عباد الديلي **رضي الله عنه**. ورواه أحمد (٦٣/٤ و ٣٧٦/٥) عن شيخ من بني مالك ابن كنانة **رضي الله عنه** قال: رأيت رسول الله **ﷺ** بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: فذكره.

ويقول ربنا ﷺ لنبيه: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي
﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ [الزمر]

ويقول ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الأنعام].

وجاء البيان في القرآن الكريم متعدداً في مواضع كثيرة، يقول ربنا ﷺ: ﴿ وَاللَّهُ كَرِيمٌ
إِلَهُ وَحِيدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة].

ويقول لنبيه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف].

وقد كان المشركون يدركون من دعوته عليه الصلاة والسلام أنه إنما دعاهم إلى توحيد الله
ﷻ وعلى ذلك خالفوه وعارضوه وجاؤوا بالإفك العظيم، فآمن من آمن وأراد الله له الهداية،
وضل من ضل وقاتلهم النبي ﷺ على ذلك.

جهل كثير من الناس اليوم بحقيقة دعوة الأنبياء:

والناس في هذه الأعصار يجهلون الدعوة العظيمة التي بعث الله بها الأنبياء
والمرسلين. ومن أدل الأدلة على ذلك انتشار القبورية في كثير من بلاد المسلمين، فتجد
كثيراً من الأضرحة تُدعى من دون الله، وتُعبَد من دون الله، ويُذبح لها، ويُندَر لها،
ويطاف حولها، ويُدعى المقبورون من دون الله ﷻ. وإذا قيل لبعضهم في ذلك وأنكر
عليه، قال: إني أقول: لا إله إلا الله. وظن أن هذه الكلمة تنفعه، وقد جاء بما يناقضها.

علاقة الإرجاء والغلط في فهم الإيمان بانتشار القبورية:

ولهذا الأمر علاقة بتعريف الإيمان الذي ذكرناه من قبل وأنه قول، وعمل، واعتقاد،

يزيد وينقص؛ فإن المجتمعات التي ينتشر فيها الإرجاء، وينتشر فيها اعتقاد أن الإيمان قول فقط أو أنه المعرفة وأن من عرف أنه لا إله إلا الله أو قال: إنه لا إله إلا الله ولم تعمل بذلك جوارحه فإن ذلك يكفيه؛ ولذلك تجدهم يقولون: لا يضُرُّ هذا مع إيماننا بالله ﷻ وهذا هو الفساد العظيم في فهم أعظم أمر بعث الله به الأنبياء والمرسلين، وهو الدعوة إلى توحيد الله ﷻ. فتأملوا دعوة رسول الله ﷺ لتعرفوا منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ﷻ وكيف كانوا يدعون إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ بِالْدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ:

وكان نبينا ﷺ يرسل الدعاة إلى الله ليدعوا إلى التوحيد. كما فعل لما بعث معاذًا إلى أهل اليمن^(١)، وقال له: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(٢)

وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»^(٣)

وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ»^(٤)

فدلّت هذه الروايات الثلاث على أن الدعوة إلى التوحيد هي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وهي الدعوة إلى العبادة، وأن العبادة لا تصح إلا بالتوحيد كما أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة... والحمد لله رب العالمين،،،



انتهى الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث

الإيمان بالملائكة الكرام عليهم السلام

(١) رواه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وفي رواية للبخاري (١٣٩٥) قَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ»

(٣) رواه البخاري (٧٣٧٢)

(٤) رواه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (٣١)

المحتويات

٥	الركن الثاني من أركان الإيمان بالإيمان بالرسول
٧	المجلس العاشر
٧	الشعبة الثانية من شعب الإيمان بالإيمان بالرسول
٧	الإيمان بالرسول يتضمن أربعة أمور
٧	أولوا العزم من الرسل
٨	من أدلة الإيمان بالرسول
٨	كفر من كذب بالرسول
٩	كفر من لم يؤمن بنبينا محمد ﷺ من أهل الكتاب
٩	التكذيب برسول واحد تكذيب لجميع المرسلين
١٠	وجوب الإيمان بجميع الرسل
١٠	مدح المؤمنين الذين لم يفرقوا بين الله ورسوله
١١	ذم من آمن ببعض الرسل وكفر ببعض
١٢	عدد الأنبياء والرسل
١٢	جملة المذكورين في القرآن من الأنبياء والمرسلين خمسة وعشرون
١٣	الخلاف في نبوءة الكفل
١٣	الأنبياء العرب
١٤	بعض الأنبياء الذين ذكروا في السنة
١٤	نبي الله يوشع بن نون عليه السلام
١٤	الخلاف في نبوءة ذي القرنين وتبع
١٥	الخلاف في نبوءة الخضر عليه السلام
١٦	أول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ
١٦	الفرق بين النبي والرسول
١٨	جميع الأنبياء والرسل دعوا إلى التوحيد
١٩	بعثة الأنبياء والرسل رحمة بالعباد
٢٠	ما على الرسول إلا البلاغ



- ٢١ ليس للناس على الله حجة بعد الرسل
- ٢١ أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة
- ٢٣ أطفال المسلمين وأطفال المشركين
- ٣٣ **المجلس الحادي عشر**
- ٣٣ مقامات وحي الله إلى الرسل
- ٣٥ مقامات وحي الله إلى رسولنا محمد ﷺ
- ٣٦ الملك الموكل بالوحي
- ٣٩ الأنبياء بشر فضلهم الله واختارهم
- ٣٩ معنى أنهم من البشر
- ٣٩ يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتزوجون، ويولد لهم
- ٣٩ المرض والموت
- ٤٠ يخدم نفسه ويحلب شاته
- ٤٠ الغضب
- ٤١ أشد الناس بلاء
- ٤٣ السعي لطلب الرزق
- ٤٤ التحذير من الغلو في الأنبياء
- ٤٥ اصطفاء الله للأنبياء والرسل
- ٤٦ صفة رسولنا ﷺ
- ٤٨ بيان شيخ الإسلام لصفات رسول الله ﷺ الخلقية والخلقية
- ٦٦ وصف الله لأنبيائه بمقام العبودية
- ٦٧ الرسالة والنبوة مختصة بالرجال
- ٦٨ الوحي من خصائص الأنبياء والرسل
- ٦٨ الأنبياء والرسل تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم
- ٦٨ الأنبياء والرسل يخبرون عند الموت
- ٦٩ الأنبياء والرسل يقبرون حيث يموتون
- ٦٩ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء
- ٦٩ الأنبياء أحياء في قبورهم

٧٠ الأنبياء في أعلى الدرجات عند الله
٧١ المجلس الثاني عشر
٧١ العصمة للأنبياء
٧١ تعريف العصمة
٧١ من جوانب العصمة
٧١ العصمة في باب التبليغ ودعوى الرسالة
٧٢ العصمة في التبليغ من براهين صدق المرسلين
٧٣ الأنبياء معصومون من الكفر والوقوع في الشرك
٧٤ توجيه بعض الآيات المشككة في باب العصمة
٧٤ آية سورة الشورى
٧٤ آية سورة يوسف
٧٤ آية سورة الضحى
٧٥ الأنبياء معصومون من الكذب
٧٦ الأنبياء معصومون من الكبائر
٧٦ هل يقع فعل الصغائر من الأنبياء وهل يقع منهم الخطأ؟
٧٦ بطلان القصص التي فيها ما يخالف عصمة الأنبياء
٧٧ هل يقع الخطأ من الأنبياء في أمور الدنيا؟
٧٧ تلخيص ما سبق
٧٨ عصمة غير الأنبياء
٧٩ فتنة التعصب المذهبي
٨٠ دراسة المذاهب
٨١ وجوب اتباع السنة
٨٤ المجلس الثالث عشر
٨٤ المعجزات والآيات البيّنات للرسول والأنبياء
٨٤ تعريف المعجزة
٨٥ الفرق بين المعجزة والآية والكرامة
٨٨ الأحوال الشيطانية

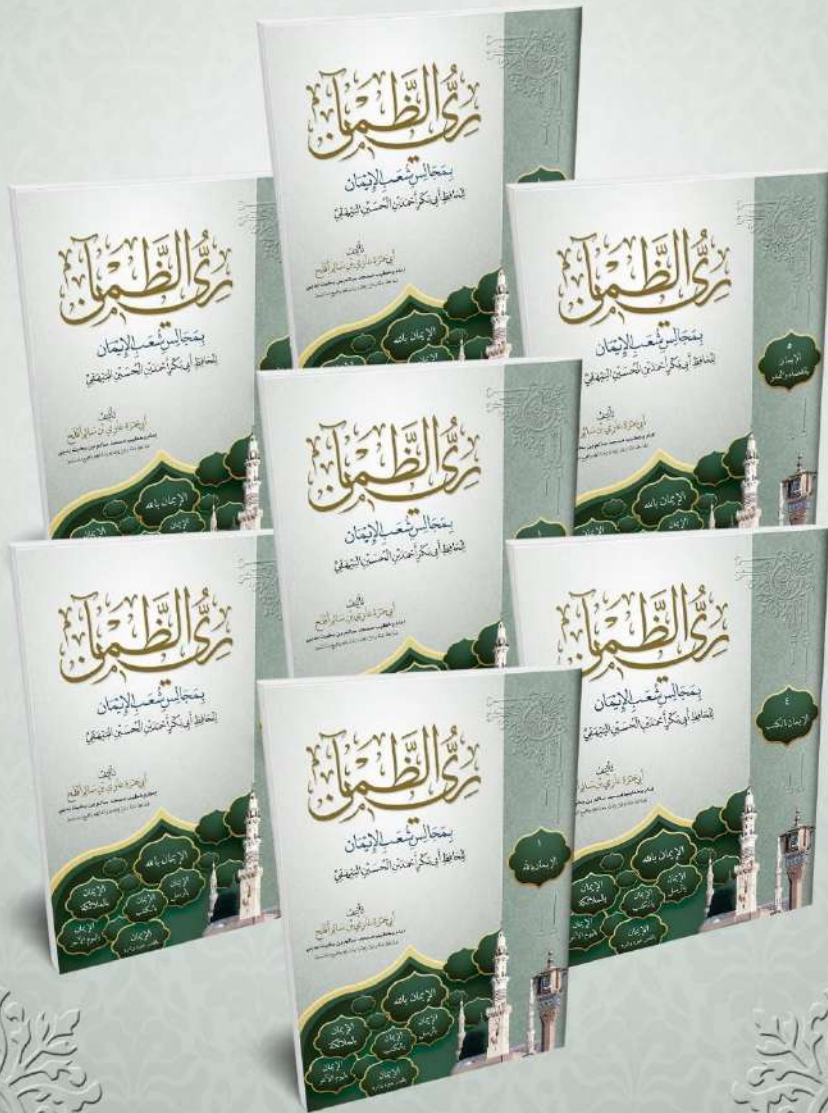


- ٨٨ من هو الوليُّ؟
- ٨٩ الفرق بين الآيات والأحوال الشيطانية
- ٩٠ أعظم كرامة للمؤمن
- ٩٠ لا يشترط حصول الكرامة للولي
- ٩١ ذكر بعض معجزات الأنبياء
- ٩١ ما أيدَ الله به نوحاً عليه السلام
- ٩١ ما أيدَ الله به هوداً عليه السلام
- ٩٣ ما أيدَ الله به صالحاً عليه السلام
- ٩٣ ما أيدَ الله به إبراهيم عليه السلام
- ٩٤ ما أيدَ الله به موسى عليه السلام
- ٩٥ ما أيدَ الله به عيسى عليه السلام
- ٩٦ ما أيدَ الله به خاتم الأنبياء نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم
- ٩٦ القرآن أعظم المعجزات
- ٩٧ من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٩٧ إجابة الشجرة إياه لما دعاها.
- ٩٧ تكلم الذراع المسمومة.
- ٩٩ تكثير الطعام القليل حتى أصاب منه ناسٌ كثيرٌ
- ١٠٠ تكثير الماء القليل حتى أصاب منه ناسٌ كثيرٌ
- ١٠١ خروج الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم
- ١٠٢ حنين الجذع
- ١٠٣ ظهور صدقه صلى الله عليه وسلم في مغيبات كثيرة أخبر عنها
- ١٠٥ وجوب الإيمان بالمعجزات والتصديق بالكرامات
- ١٠٦ المجلس الرابع عشر
- ١٠٦ دعوة الأنبياء والمرسلين
- ١٠٧ ما هي دعوة الأنبياء؟
- ١٠٨ اتفاق دعوة الأنبياء والمرسلين على الدعوة إلى التوحيد
- ١٠٩ دعوة نوح عليه السلام إلى التوحيد

- ١١٠..... دعوة هود عليه السلام إلى التوحيد
- ١١٠..... جواب قوم هود لنبيهم عليه السلام ومعنى كلمة التوحيد
- ١١٠..... دعوة صالح عليه السلام إلى التوحيد
- ١١١..... دعوة شعيب عليه السلام إلى التوحيد
- ١١١..... دعوة لوط عليه السلام إلى التوحيد
- ١١١..... الأمر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى التوحيد
- ١١١..... دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد
- ١١٢..... الحث على تأمل الآيات في قصص الأنبياء
- ١١٢..... دعوة إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد
- ١١٢..... دعوة إبراهيم عليه السلام النمرود إلى التوحيد
- ١١٣..... صلاح الناس في الدعوة إلى التوحيد
- ١١٣..... نبى الله إبراهيم وخليله عليه السلام يخاف الشرك على نفسه وذريته
- ١١٤..... دعاء يوسف عليه السلام أن يتوفاه الله على الإسلام
- ١١٤..... دعاء نبينا صلى الله عليه وسلم الثبات وخوفه من الفتنة
- ١١٥..... دعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد
- ١١٥..... دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد
- ١١٦..... دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد
- ١١٦..... تحقيق أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية
- ١١٧..... جهل كثير من الناس اليوم بحقيقة دعوة الأنبياء
- ١١٧..... علاقة الإرجاء والغلط في فهم الإيمان بانتشار القبورية
- ١١٨..... بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاداً إلى أهل اليمن بالدعوة إلى التوحيد
- ١١٩..... المحتويات

بِرِّ الظَّالِمِينَ

بِمَجَالِسِ شَعْبِ الْإِيمَانِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

الإيمان بالملائكة

تَأَلَّفُ
أَبِي حَمَزَةَ غَازِيَّ بْنَ سَالِمِ أَفْلَحَ
إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالدِّيَةِ وَمَشَاجِيهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

الإيمان
بالرسل

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان
بالقدر خيره وشره



سلسلة: رِيِّ الظَّمَانِ بِمَجَالِسِ شُعَبِ الإِيمَانِ (٣)

الإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلح

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي الشيخ محمد بن عبد الله باموسي

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفسح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام

التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com



الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar

الركن الثالث من أركان الإيمان

الإيمان بالملائكة

المجلس الخامس عشر (١)

الشعبة الثالثة من شعب الإيمان: الإيمان بالملائكة الكرام

تعريف الملائكة:

الملائكة جمع ملك، والمَلَك أصله: مَلَأَك ثم حُذِفَ الهمز، والفعل منه: أَلَك يَأَلِكُ أَلَكًا بمعنى: أبلغ، والألوك: الرسول، والمألكة: الرسالة. فلفظ الملائكة -إذَا- مشتق من الألك. وأطلق عليهم هذا الاسم للدلالة على أنهم رسل الله ﷻ. (٢)

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان كما قال النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورُسُله وتؤمن بالبعث» وهذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة (٣). وفي حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في صحيح مسلم: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (٤).

وقال ابن القيم رحمته الله: الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إلا به. (٥)

معنى الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن التصديق والاعتقاد الجازم: بما أخبر الله تعالى عن ملائكته كما يتضمن إنزالهم منزلتهم التي أنزلهم الله إياها في كتابه وسنة نبيه ﷺ.

(١) كان في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) انظر تاج العروس مادة (ألك).

(٣) البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩).

(٤) مسلم (٨).

(٥) التبيان في إيمان القرآن ط عالم الفوائد (١/ ٢١٦)

الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب:

والإيمان بالملائكة من الغيب الذي أمرنا الله ﷻ أن نؤمن به؛ لأن الملائكة من العوالم الغائبة عنا التي لا نعرفها إلا بأدلة من الكتاب والسنة؛ ولذلك فلا دخل للقصص الإسرائيلية ولا لفلسفة المتفلسفين في إثبات أشياء من هذا الباب؛ لأنه عالم غيبي لا ندرك منه إلا ما جاءنا فيه الوحي من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.

الإيمان بالملائكة من أسباب زيادة الإيمان:

وهو باب عظيم وممتع، يقرؤه المسلم فيزداد به إيمانه. فمن أسباب زيادة الإيمان القراءة في هذه الشعب العظيمة: الإيمان بالله، والإيمان برسله، والإيمان بكتبه وغيرها من أركان الإيمان. يقول ربنا ﷺ: ﴿لَيْسَ الْإِيمَانُ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ أَنْ تَعْلَمُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال ربنا ﷺ: مادحاً نبيه والمؤمنين معه الذين اتبعوه بإيمانهم: ﴿عَاطَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ويقول ربنا ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ويقول ربنا سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. فتبين بهذا أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان، لا يتم إيمان المؤمن إلا به.

الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

يقول العلماء: يتضمن الإيمان بالملائكة الإيمان بأمر أربعة. وقد ذكرها الحافظ أبو عبد الله الحسين الحلبي رحمه الله في كتابه المنهاج في شعب الإيمان، وذكرها أيضاً الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله (١).

فأما الأمر الأول: فهو الإيمان بوجودهم تفصيلاً وإجمالاً: فمن ورد تعيينه باسم

(١) انظر المنهاج في شعب الإيمان (٣٠٢/١)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١١٦/٥-١١٩).

مخصوص كجبريل وميكائيل ومالك فنؤمن بهم وبوظائفهم تفصيلاً على ما بُيّن في الكتاب والسنة. وأما الذين لم يرد ذكر أسمائهم فنؤمن بهم إجمالاً، وهم خلق كثير كما سيأتي معنا.

الأمر الثاني: إنزالهم منازلهم: وإثبات أنهم عباد لله وخلقهم كالإنس والجن، وأنهم مكلفون بعبادة الله، ولا يقدرّون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله جعل لهم أمداً بعيداً، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله ﷻ.

والأمر الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم على الإجمال والتفصيل: فنؤمن إجمالاً بأنهم مخلوقون من نور، وأنهم على صورة حسنة جداً، وأنهم خلق عظيم، ونؤمن تفصيلاً بما علمنا من أوصاف بعضهم.

والأمر الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم على الإجمال والتفصيل.

الإيمان بالملائكة يكون إجمالاً وتفصيلاً:

يقول العلامة ابن باز رحمته الله تعالى: "والإيمان بالملائكة يتضمّن الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ١٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] وهم أصناف كثيرة: فمنهم الموكّلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكّلون بحفظ أعمال العباد، ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم كجبريل، وميكائيل، ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكّل بالنفخ في الصور" (١).

وثبت في حديث المعراج أنه صلى الله عليه رُفِعَ له البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة، بمنزلة الكعبة في الأرض، وإذا هو يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم (٢) وهذا يدل على كثرتهم.

ويقول العلامة ابن عثيمين رحمته الله: "الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور: أولاً: الإيمان بوجودهم.

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٩/١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

ثانياً: الإيمان باسم من علمنا اسمه منهم.

وثالثاً: الإيمان بأفعالهم.

ورابعاً: الإيمان بصفاتهم^(١).

من صفات الملائكة أنهم خلقوا من نور:

في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢).

وجاء عن بعض السلف الكلام في مادة هذا النور، والسلامة ترك الخوض في هذا إذ لم يصح في ذلك شي عن النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ الألباني رحمته الله: ... هذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم اهـ^(٣).

تقديم خلق الملائكة على البشر:

وجاء في كتاب الله تعالى ما يُبين أن الله جل جلاله خلقهم قبل خلق الناس كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: ٣٠] والخليفة المقصود به آدم عليه السلام، فدلت الآية على أن الله جل جلاله خلقهم قبل خلق الجن والإنس.

رؤية الملائكة:

والملائكة خلقوا خلقهم الله تعالى من نور، ولا يستطيع العباد رؤيتهم؛ ولذلك لم ير الملائكة في صورهم الحقيقية من هذه الأمة إلا رسولنا صلى الله عليه وسلم؛ فإنه رأى جبرائيل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها كما سيأتي. ودلت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة إذا تمثلوا في صور البشر كما سيأتي معنا.

عظم خلق الملائكة:

جاءت النصوص أيضاً ببيان عظم خلقهم، فقال الله عز وجل في ملائكة النار: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَتَوُدُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثميين (١١٦/٥-١١٩).

(٢) مسلم (٢٩٩٦).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٨٢٠).

غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم]

ومما جاء أيضاً من السنة في ذلك أن النبي ﷺ رأى جبرائيل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها مرتين في خلقٍ عظيم: قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿١٣﴾ ﴾ [التكوير] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزَلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم]. والمقصود بهذه الآيات جبريل عليه السلام، وأن النبي ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء والمعراج.

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها - كما في صحيح مسلم -: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» (١) وتقول رضي الله عنها أيضاً: كان يأتيه في صورة الرجال وإنه آتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ (٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه كما في الصحيحين: "رأى محمد ﷺ جبريل له ستمائة جناح" (٣) وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم]: "أي: رفرقاً أخضر قد سدَّ الأفق" (٤). وهذا الرفرف الذي سدَّ الأفق هو ما كان عليه جبريل عليه السلام، رفرق ملاً ما بين السماء والأرض. وجاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورته، وله ستمائة جناح، كلُّ جناح منها قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدُّرِّ واليواقيت ما الله به عليم" (٥). والتهاويل أي: الأشياء المختلفة الألوان.

وقال ربنا سبحانه في وصف جبريل عليه السلام: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير]. فالرسول الكريم المقصود به: جبريل عليه السلام، و ﴿ ذِي الْعَرْشِ ﴾ هو ربُّ العزة ﷻ.

(١) صحيح مسلم (١٧٧).

(٢) صحيح مسلم (١٧٧).

(٣) البخاري (٣٢٣٢)، مسلم (١٧٤).

(٤) البخاري (٣٢٣٣).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٧٤٨).

ومما يدل أيضاً على عظم خلق الملائكة: ما جاء في سنن أبي داود عن جابر رضي أن رسول الله ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»^(١).
فهذا ملك واحد من ملائكة الله سبحانه.

وروي أيضاً: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِيهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ حَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتُ» رواه الطبراني في الأوسط^(٢).

عظم خلق الملائكة يدل على عظمة الخالق سبحانه:

وما تقدم من وصف خلق بعض الملائكة يدل على عظم خلقهم، وهذا -يا إخواني - يدل على عظمة الله ﷻ، فإذا كان مخلوق من مخلوقات الله ﷻ بهذه العظمة، فهذا يدل على عظمة الخالق ﷻ. فتؤمن بذلك كما ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

الملائكة ذوا أجنحة:

وقد جاءت الآيات أيضاً ببيان أن للملائكة أجنحة كما في قوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) [فاطر] ويُسمي بعض أهل التفسير سورة فاطر بـ "سورة الملائكة"^(٢)، ومعنى الآية: أن الله جعلهم أصحاب أجنحة، بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أو أربعة أو أكثر من ذلك، وقد سبق أن جبريل عليه له ستمائة جناح.

(١) سنن أبي داود (٤٧٢٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٥٢).

(٢) الطبراني في المعجم الأوسط (٦٥٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي. وقال: «لَمْ يَرَوْهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ إِلَّا ابْنَهُ مُنْكَدِرٌ، تَفَرَّدَ بِهِ وَلَدُهُ عَنْهُ. اهـ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨٠/١): رواه الطبراني في الأوسط، وقال: تفرد به عبد الله بن المنكدر. قلت: هو وأبوه ضعيفان. اهـ وقال الطبراني أيضاً: ... وَرَوَاهُ إِبرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ». اهـ وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٩٢٣): منكر بذكر: (القرن) و: (الخفان). وانظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (٨٥٥).

(٣) الإتيان في علوم القرآن (١/١٩٤)

جمال الملائكة :

وجاءت الأدلة أيضًا ببيان جمال الملائكة، وأنَّ الله سبحانه خَلَقَهُمْ عَلَى صُورَةٍ كَرِيمَةٍ جَمِيلَةٍ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَصْفِ جَبْرَيْلَ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرْقٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾﴾ [النجم]. فعن ابن عباس في قوله: ﴿ذُو مِرْقٍ﴾ قال: "ذو منظر حسن" (١). وقال قتادة: "ذو خَلْقٍ طَوِيلٍ حَسَنٍ" (٢). وقد تقرر عند الناس وَصْفُ الْمَلَائِكَةِ بِالْجَمَالِ كَمَا تَقَرَّرَ عِنْدَهُمْ وَصْفُ الشَّيَاطِينِ بِالْقُبْحِ.

وكذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه كان يحدث الناس يومًا، فقال: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنِ، إِلَّا أَنْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلَكٍ» (ومسحة ملك يعني من جماله ومن حسنه) .. قال في الحديث: فدخل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه (٣).

وقوله ﷺ: «إِلَّا أَنْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلَكٍ» المقصود به جمال الملائكة، وأن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وأرضاه ناله شيء من هذا الجمال؛ ولهذا كان جرير بن عبد الله البجلي يُوصَفُ، فيقال عنه إنه يوسف هذه الأمة كما رُوِيَ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه (٤). ومعنى قول النبي ﷺ: «إِلَّا أَنْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلَكٍ»، كما يقول ابن الأثير: "يقال: على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي: أُنْثِرَ ظَاهِرُ مَنْه، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْمَدْحِ" (٥).

وجاء الحديث أيضًا في صحيح البخاري أن دحية بن خليفة الكلبى كان من أجمل الناس، وكان يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْجَمَالِ وَحَسَنِ الصُّورَةِ، وَأَنَّ جَبْرَيْلَ عليه السلام كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ عَلَى صُورَةِ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ (٦). وبهذا يظهر لنا أن السنة قد جاءت ببيان جمال خَلْقِهِمْ عليهم السلام.

(١) تفسير الطبري (١٠/٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١٠/٢٢).

(٣) عند أحمد (١٩١٨٠)، والطبراني في الكبير (٣٥٢/٢) رقم (٢٤٨٣) وغيرهما.

(٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٨٢/٥)، واعتلال القلوب للخرائطي (٣٢٣).

(٥) النهاية في غريب الأثر (٦٩٩/٤).

(٦) تقدم في المجلس الحادي عشر (ص ١٨١).

وفي حديث البراء بن عازب، قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، ... وَفِيهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ ...» الحديث^(١)

تفاوت الملائكة في الخلق:

وجاءت الأدلة أيضاً ببيان تفاوتهم في الخلق والمقدار، فالملائكة ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار، فبعض الملائكة كما تقدم له جناحان وبعضهم له أكثر.

تفاوت الملائكة في الفضل:

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [١٦٤] ﴿ [الصفات] فهم على منازل، ويتفاضلون، وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر كما جاء عن النبي ﷺ أن جبريل قال له: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ»^(٢).

الملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة:

وقد تقرّر عند العلماء أن الملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة. وهذا من الأبواب التي ضل فيها أقوام بسبب أنهم يتحدثون عن الأمور الغيبية بدون رجوع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ. كما ضلّ في ذلك من قبل مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة بناتُ الله وأنهم إناث، قال الله ﷻ: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلْبَنَاتُ وَلَهُنَّ أَبْنُونَ ﴾ [١٦١] أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ وَكَذَلِكَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ ﴿ [الصفات]

وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿ [الزخرف].

(١) مسند أحمد (١٨٥٣٤) وانظر تخريجه والكلام عليه في مباحث الإيمان باليوم الآخر.

(٢) البخاري (٣٩٩٢) من حديث رفاعة الزرقي رضي الله عنه.

فلا يوصفون بأنهم إناث، ولا يوصفون بأنهم ذكور؛ لأن ذلك لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ لكن بعض الناس لا يريد أن يفهم هذه الأمور الغيبية إلا على ما هو عليه من الأمور البشرية وهذا خطأ وضلال.

الملائكة لا يحتاجون إلى طعام ولا إلى شراب ولا نكاح:

كذلك الملائكة لا يحتاجون إلى طعام ولا إلى شراب. وقد قص الله علينا من خبر الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، فقدّم لهم الطعام، فلم تمتد أيديهم إليه، فأوجس منهم خيفة، فكشفوا حينئذ عن أمرهم. كما قال عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [٤٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٥﴾ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴿٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴿٨﴾ [الذاريات]. قال الفخر الرازي: "اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون" (١).

الملائكة لا يدركهم ما يدرك البشر من الكلل والملل في العبادة:

كذلك جاءت الآيات ببيان أنهم يعبدون الله بلا كلل ولا ملل. فلا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك قال الله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [٢٠] ﴿ [الأنبياء: ٢٠] يعني لا يضعفون. وقال تعالى: ﴿ فَأَلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨].

الملائكة لا يعلمون الغيب:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢] ﴿ [البقرة: ٣١-٣٢] عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

وفي قصة الإسراء والمعراج « لَيْلَةَ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ: قَالُوا: وَمَنْ

مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، ...» الحديث (١)

وفي صحيح مسلم عن أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ رضي الله عنه، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه يُقَالُ لَهُ: حُدَيْفَةُ بْنُ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَأِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالتُّظْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أَنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلِكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ» (٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ نُظْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضَعَّةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَذْكَرٌ، يَا رَبِّ أَنْثَى، يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» متفق عليه (٣)

موت الملائكة عليهم السلام:

وكذلك دلّت الأدلة على أن الملائكة من الخلق الذين يموتون، قال رضي الله عنه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

لكن متى يموتون؟ هذا من الأمور التي لا نعرفها ولا نعلمها، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر]

(١) البخاري (٧٥١٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٤٥).

(٣) صحيح البخاري (٣٣٣٣) وصحيح مسلم (٢٦٤٦).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥،

العنكبوت: ٥٧]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يُخْبِرُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَامًّا يَعُمُّ جَمِيعَ الْخَلِيقَةِ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن] فَهُوَ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ يَمُوتُونَ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَنْفَرِدُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ بِالذِّمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، فَيَكُونُ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا. ا.هـ. (١)

الملائكة يسكنون السماء:

وبيئت الأدلة أيضًا منازل الملائكة ومسكنها، وأنهم في السماء، قال رحمه الله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥] ومما يدل على أن السماء مسكنهم قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْخَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

وسياتي في مبحث عدد الملائكة أدلة تدل على سكناهم السماء.

الملائكة ينزلون إلى الأرض بأمر الله:

وينزلون إلى الأرض بأمر الله لتنفيذ مهمات أمرهم الله صلوات الله عليه بها كما قال رحمه الله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه لِحَبْرِيْلَ: «أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟»، قَالَ: فَنَزَلْتُ: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦١﴾﴾، قَالَ: كَانَ هَذَا الْجَوَابَ

(١) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٢/ ١٧٧)

(٢) أخرجه البخاري (٧٨١) ومسلم (٤١٠)

لِمُحَمَّدٍ ﷺ. (١)

وكما قال تعالى في ليلة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تَزَلُّ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴿[القدر].

الملائكة عددهم كثير لا يحصيهم إلا الله :

والملائكة خَلَقَ كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وقد تقدم معنا أن البيت المعمور في السماء يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم. (٢)

وجاء في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ وَلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» (٣) وفي جامع الترمذي وسنن ابن ماجه عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْظَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، ...» (٤) الحديث

وفي مسند البزار وغيره عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟»، قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَمَا تَلَامُ أَنْ تَنْظَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ» (٥)

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٨، ٧٤٥٥) واستدركه الحاكم (٤٢١٥) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. هـ. وتعقبه شيخنا الوادعي في التعليق على المستدرک.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٤٢)

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣١٢) وقال: هذا حديث حسن. وابن ماجه (٤١٩٠) وأحمد (٢١٥١٦) والحاكم (٣٨٨٣) وإسناده ضعيف لكن له شواهد منها ما سيأتي بعده وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٨٠) والسلسلة الصحيحة (١٧٢٢)

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٥٩٧) والبزار (٣٢٠٨) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٥٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٣٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٢، ٦٣٤٦) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠١/٣) رقم (٣١٢٢) وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٥٠٩)، وأبو الفضل الزهري في حديثه (٤٣٢) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/٢١٧) وفي معرفة الصحابة (١٨٩١)، من طرق =

قال المنذري رحمته الله: (أَطَّتْ) بفتح الهمزة وتشديد الطاء المهملة من (الأطيط): وهو صوت القَتَب والرحل ونحوهما إذا كان فوقه ما يثقله. ومعناه: أن السماء من كثرة ما فيها من الملائكة العابدين أثقلها حتى أطَّتْ اهـ^(١)

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] مَلَائِكَةً [سَيَّارَةً، فَضَلًا] يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ» قَالَ: «فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...» متفق عليه وفي رواية لمسلم «... فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا...»^(٢)

وفي مسند أبي داود الطيالسي قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ -وهو القطان-، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةِ أَوْ تَاسِعَةِ وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى»^(٣)

عن عبد الوهاب بن عطاء، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام. وقال البزار: ولا نعلم رواه عن سعيد عن قتادة إلا عبد الوهاب بن عطاء اهـ. وقال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث صفوان بن محرز عن حكيم، تفرد به -يعني عبد الوهاب- عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة اهـ. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/٣٣٦ ط سلامة): غريب ولم يخرجوه، وقال: رواه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة مرسلًا اهـ. قلت: ويزيد وإن كان أثبت وأوثق من عبد الوهاب، إلا أن عبد الوهاب قال فيه الإمام أحمد: كان عالماً بسعيد اهـ. والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٥٢، ١٠٦٠) وحسنه شيخنا الوداعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٨٠). وفي الباب حديث أبي ذر المتقدم وآخر من حديث أنس عند أبي نعيم في الحلية (٢٦٩/٦) وسيأتي حديث عائشة وابن مسعود في مبحث تسبيح الملائكة.

(١) انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/٣٢٠)

(٢) صحيح البخاري (٦٤٠٨) واللفظ له، وصحيح مسلم (٢٦٨٩) ومنه الزيادات.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي (٢٦٦٨) ومن طريقه الإمام أحمد في المسند (١٠٧٣٤) والبزار (٩٤٤٧) وابن خزيمة في صحيحه (٢١٩٤). ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٩٣٧، ٢٥٢٢) من طريقين عن عمرو بن مرزوق عن عمران به. وعمران مختلف فيه، وقاتادة مدلس وقد عنعن، وأبو ميمونة هو الآبار قال الدارقطني مجهول يترك. وفرق الحفاظ بينه وبين أبي ميمونة الفارسي الثقة (انظر: فضل الرحيم الودود تخريج سنن أبي داود (١٨٦/١٦) للشيخ أبي عمرو ياسر آل عيد). وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/٤٤٩): تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٠٥)

وفي رواية: «... أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّجُومِ»^(١)

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ... قَالَ فَيَقُولُ: «كُنْ أَلْفَ أَلْفِ أَلْفَيْنِ»^(٢) فَيَكُونُونَ»^(٣). وفي رواية: «خلق الله الملائكة ثم قال، ليكن منكم ألف ألفين، فيكونون، فإن في الملائكة خلقاً هم أصغر من الذباب»^(٤).

وفي رواية: «لَيْسَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَخْلُقُهُمْ مِثْلَ الذُّبَابِ، ثُمَّ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كُونُوا أَلْفَ أَلْفَيْنِ»^(٥)

وروى ابن عدي في الكامل عن أبي يحيى القنات عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَيْسَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا مِنْ شَجَرَةٍ تَنْبُتُ إِلَّا وَمَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا»^(٦).

فدلت هذه الأدلة على كثرتهم، وأنهم خلق كثير لا يحصيهم إلا الله.

الملائكة كرام بررة:

وَصَفَّ اللَّهُ ﷻ الملائكة في كتابه، بأنهم كرام بررة، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٦﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٥-١٦]. قال البخاري رحمته الله: «سَفَرَةٍ ﴿١٦﴾ الملائكة، واحدُهم: سافر، سَفَرَتْ: أصلحت بينهم، وجُعِلَتْ الملائكة إذا نزلت بوحى الله وتأديته كالسفير

(١) المعجم الأوسط (٢٥٢٢) للطبراني.

(٢) سئل ابن جريج عن ذلك فقال: معناه ما لا تحصى كثرتة. انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٧٤٤) وصفات رب العالمين لابن المحب الصامت (١/ ٦٨٥) رسائل جامعية بترقيم الشاملة)

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١١٩٤) - ومن طريقه ابن منده في الرد على الجهمية (٣٤) - قال حدثني سريج بن يونس، نا سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر، عن هشام به.

(٤) أخرجه ابن منده في الرد على الجهمية (٧٧) بسنده عن صدقة بن سابق، قال: قرأت على محمد بن إسحاق حدثني هشام بن عروة، به.

(٥) أخرجه البزار في المسند (٢٤٧٧) قال: أخبرنا محمد بن العلاء، قال: أخبرنا أبو معاوية، عن هشام به. وضح إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤/ ١٤٩)

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ٢١١) وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٧٤٤) وإسناده ضعيف وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٥٦٦).

الذي يصلح بين القوم" (١).

وقوله تعالى: ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ أي: خَلَقَهُمْ كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلَقَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ بَارَةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ. ومناسبةً لهذه الأوصاف ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد يقول النبي ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ» (٢).

استحياء الملائكة ﷺ:

جاء وصف الملائكة بأنهم خلق حيي. كما جاء في حديث عائشة في صحيح مسلم أن النبي ﷺ ذكر عثمان حين دخل عليه، فقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» (٣).

فهذه بعض أوصافهم التي جاء خبرها في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

ذكر بعض من سمي لنا من الملائكة وبعض أعمالهم:

وكما ذكرنا فقد أمرنا الله - ﷻ - أن نؤمن بما جاء من أخبارهم في الكتاب والسنة، فنؤمن بأسماء من سمي لنا منهم فمن أولئك:

جبريل عليه السلام:

وتسميته معروفة ومشهورة. وهو مقرئ رسول الله ﷺ القرآن ومعلمه. قال رسول الله ﷺ، قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» (٤). «وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَى النَّبِيَّ ﷺ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» متفق عليه (٥).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ - أَي جِبْرِيلُ - يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً،

(١) صحيح البخاري (٢٠٦/٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٣٧) واللفظ له، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) مسلم (٢٤٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢١٩)، ومسلم (٨١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) صحيح البخاري (١٩٠٢) وصحيح مسلم (٢٣٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ ...» رواه البخاري (١).
وقد أمَّ جبريل عليه السلام، النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وعلمه المواقيت. (٢)
وهو الرُّوح الأمين المذكور في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

وَقَالَ أَنَسُ رضي الله عنه قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه، لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ جَبْرِيْلَ عليه السلام، عَدُوُّ الْيَهُودِ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَرَأَ هَذِهِ آيَةَ: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ
بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧] رواه البخاري. (٣)

وفي المسند عن بُكَيْرِ بْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ:
أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسَأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ
أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، ... فذكر الحديث وفيه: إِنَّمَا بَقِيَّتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي
نُبَايَعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْحَبْرِ، فَأُخْرِزْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟
قَالَ: «جَبْرِيْلُ عليه السلام»، قَالُوا: جَبْرِيْلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوْنَا، لَوْ
قُلْت: مِيكَائِيْلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ
عَدُوًّا لِجَبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧]. (٤)

وجبريل هو المعنى بقوله تعالى: ﴿ عَالِمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٦﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ
بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾ [النجم]
و ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أي: ذو قوة. قاله مجاهد، والحسن، وابن زيد. وقال ابن عباس: ذو
منظر حسن. وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن. ولا منافاة بين القولين؛ ...

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٨).

(٢) صحيح البخاري (٥٢١) وصحيح مسلم (٦١٠) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه وفي الباب أحاديث كثيرة انظر:
نيل الأوطار (١/٣٧٣)

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٢٩، ٤٤٨٠)

(٤) مسند أحمد (٢٤٨٣) وأخرجه الترمذي مختصراً (٣١١٧) وصححه الشيخ الألباني لغيره في السلسلة
الصحيحة (١٨٧٢) وحسنه لغيره شيخنا الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ١٨)

وقوله: ﴿ فَأَسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۗ ﴾ (٧) يعني: جبريل عليه السلام استوى في الأفق الأعلى والأفق الأعلى: الذي يأتي منه الصبح ^(١).

وقد تقدم - في مبحث عظم خلق الملائكة - أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبرائيل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها مرتين في خلقٍ عظيم. ففي صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِّنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»

وقال ابن مسعود رضي عنه - كما في الصحيحين -: "رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح" وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: "رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدُّرِّ واليواقيت ما الله به عليم" ^(٢).

والتهاويل أي: الأشياء المختلفة الألوان.

وفي الصحيحين أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُحَدِّثُ عَن فِتْرَةِ الْوَحْيِ: «قَبِينَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِّنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَ فِي بَجَاءِ جَالِسًا عَلَيَّ كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» ^(٣)

وقال ربنا سبحانه في وصف جبريل عليه السلام: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير]. فالرسول الكريم المقصود به: جبريل عليه السلام، و ﴿ ذِي الْعَرْشِ ﴾ هو ربُّ العزة تعالى.

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: وقد كان لجبريل عليه السلام من الصفات الحميدة العظيمة، من الكرم والقوة والقرب من الله تعالى والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة؛ ما جعله أهلاً لأن يكون رسول الله تعالى بوحيه إلى رسله ... وقد بين الله تعالى لنا أوصاف جبريل، الذي نزل بالقرآن من عنده، وتدل على عظم القرآن، وعنايته تعالى به؛ فإنه لا يرسل من كان عظيماً إلا بالأمر العظيمة اهـ ^(٤)

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤٤٤)

(٢) تقدم تخريج هذه الأحاديث

(٣) صحيح البخاري (٤) وصحيح مسلم (١٦١).

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (المقدمة/ ١١)

ميكائيل عليه السلام :

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة: ٩٨] وَقُرَيْشٍ: ﴿ وَمِيكَائِيلَ ﴾^(١). قال ابن كثير: وَأَمَّا مِيكَائِيلُ فَمُوكَّلٌ بِالْقَطْرِ وَالتَّبَاتِ، وَهُوَ دُو مَكَانَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، وَمِنْ أَشْرَافِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ... وقال: وَمِيكَائِيلُ مُوكَّلٌ بِالْقَطْرِ وَالتَّبَاتِ اللَّذَيْنِ يُخْلَقُ مِنْهُمَا الْأَرْزَاقُ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَلَهُ أَعْوَانٌ يَفْعَلُونَ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ بِأَمْرِ رَبِّهِ يُصَرِّفُونَ الرِّيَّاحَ وَالسَّحَابَ كَمَا يَشَاءُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ اهـ.^(٢) وتقدم حديث ابن عباس رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ...وفيه فقالوا: لَوْ قُلْت: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ ...الحديث.^(٣)

وفي صحيح البخاري عَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنها، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، ... فذكر الحديث بطوله وفي آخره: فقالا للنبي ﷺ: وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ...» الحديث.^(٤)

وفي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلَامُ عَلَى مِيكَائِيلَ،

(١) قرأ حفص، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ وَمِيكَالَ ﴾ على وزن «مئثال» بحذف الهمزة من غير ياء بعدها، وهي لغة «الحجازيين». وقرأ قنبل بخلف عنه، وأبو جعفر، ونافع: ﴿ وميكايل ﴾ بهمزة بعد الألف من غير ياء، وهي لغة لبعض العرب. وقرأ الباقر ﴿ وميكايل ﴾ بالهمزة، وإثبات ياء بعدها، وهو الوجه الثاني «لقنبل» وهي لغة أيضا. وميكال: اسم أعجمي، فمن قرأه «ميكال» على وزن «مفعال» فقد جاء على وزن أبنية العرب. ومن قرأه بغير ذلك فليعلم أنه خارج عن أبنية العرب. "الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر (٤٦/٢)"

(٢) البداية والنهاية ط هجر (١٠٥/١)

(٣) تقدم

(٤) صحيح البخاري (١٣٨٦)

...الحديث في التشهد. (١) وزاد الدارمي وابن الجارود: ...السَّلَامُ عَلَى إِسْرَافِيلَ (٢).

وفي المسند والمستدرک عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ وَلَا بِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ وَيَكُونُ فِي الصَّفِّ» (٣)

وفي المسند أيضا عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِجِبْرِيلَ: «مَا لِي لَمْ أَرِ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟ قَالَ مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ» (٤)

وفي سنن النسائي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، قَالَ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِي مُنْذُ أُسَلِّمْتُ إِلَّا أَيُّ قَرَأْتُ آيَةَ وَقَرَأَهَا آخَرَ غَيْرَ قِرَاءَتِي، فَقُلْتُ: أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ الْآخَرُ: أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَآتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَقْرَأْتَنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «نَعَمْ». وَقَالَ الْآخَرُ: أَلَمْ تُقْرَأْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﷺ أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ مِيكَائِيلُ ﷺ: اسْتَزِدَّهُ اسْتَزِدَّهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ فَكُلُّ حَرْفٍ شَافٍ كَافٍ» (٥)

وفي الصحيحين عن سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أَحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، اِيعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﷺ» (٦)

وفي المعجم الكبير للطبراني عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكَينِ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِالشَّدَّةِ وَالْآخَرُ يَأْمُرُ بِاللِّينِ وَكُلُّ

(١) صحيح البخاري (٨٣١، ٦٢٣٠).

(٢) سنن الدارمي (١٣٧٩) والمنتقى لابن الجارود (٢٠٥).

(٣) مسند أحمد (١٢٥٧) والمستدرک علی الصحيحین (٤٤٣٠، ٤٦٥٣) وقال الحاكم: صحيح الإسناد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٤١) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٨٤).

(٤) مسند أحمد (١٣٣٤٣) وسنده ضعيف لكن له ما يعضده ولذا صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥١١) وقال في صحيح الترغيب (٣٦٦٤) حسن لغيره. وانظر: السلسلة الضعيفة (٤٤٥٤).

(٥) سنن النسائي (٩٤١) وصححه ابن حبان (٧٣٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٤٣).

(٦) صحيح البخاري (٤٠٥٤) وصحيح مسلم (٢٣٠٦) واللفظ له ومنه الزيادة.

مُصِيبٌ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَنَبِيَّانِ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللَّيْنِ وَالْآخَرُ يَأْمُرُ بِالشَّدَةِ وَكُلُّ مُصِيبٍ،
وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحًا، وَوَلِي صَاحِبَانِ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللَّيْنِ وَالْآخَرُ بِالشَّدَةِ وَكُلُّ مُصِيبٍ،
وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ^(١)

إسرافيل عليه السلام :

وهو الذي وكل الله ﷺ إليه النفخ في الصور. و «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ» كما صح عن
النبي ﷺ. ^(٢)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وإسرافيل موكَّل بالنفخ في الصور للقيام من القبور،
والخُصُورِ يَوْمَ البُعْثِ وَالتُّشُورِ لِيُفُوزَ الشُّكُورُ، وَيُجَازِيَ الكُفُورُ فَذَلِكَ ذَنْبُهُ مَعْفُورٌ وَسَعِيهِ
مَشْكُورٌ، وَهَذَا قَدْ صَارَ عَمَلُهُ كَالهَبَاءِ المُنْتُورِ وَهُوَ يَدْعُو بِالوَيْلِ وَالتُّبُورِ ا.هـ. ^(٣)

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٣١٥) رقم (٧١٥) وأخرجه عبد الله في زوائده على أبيه في فضائل الصحابة
(٣٠٠) وأبو بكر النيسابوري في فوائده (٨٩) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٤٥٠) - وقال
الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٥١): رواه الطبراني، ورجاله ثقات. ا.هـ. وضعفه الألباني في
السلسلة الضعيفة (٤٠١٥) لجهالة عبد الله بن أبي سفيان وقال: قال الحافظ في "التقريب": "مقبول". يعني
عند المتابعة. وبقية رجال الإسناد ثقات، على ضعف في حفظ بعضهم. ا.هـ. وللحديث شاهد في مسند أحمد
(٣٦٣٢) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا
تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟»... فذكر الحديث وفيه: «... وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ...
وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى ... وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرَ كَمَثَلِ نُوحٍ ... وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرَ كَمَثَلِ مُوسَى،
... الحديث ورواه الترمذي (١٧١٤، ٣٠٨٤) وقال: هذا حديث حسن، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. ا.هـ. وله
شاهد آخر يرويه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٢٤) عَنْ رَبَاحِ بْنِ أَبِي مَعْرُوفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَجَلَانَ، عَنْ
سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَلَا أُخْبِرُكُمَا بِمَثَلِكُمَا فِي
الْمَلَائِكَةِ وَمَثَلِكُمَا فِي الْأَنْبِيَاءِ، أَمَّا مَثَلُكَ أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي الْمَلَائِكَةِ كَمَثَلِ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ،
وَمَثَلُكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ ... وَمَثَلُكَ يَا عُمَرُ فِي الْمَلَائِكَةِ كَمَثَلِ جَبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالْبَأْسِ وَالشَّدَةِ
وَالثَّقْمَةِ عَلَى أَعْدَائِ اللَّهِ، وَمَثَلُكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ نُوحٍ ...». الحديث ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء (٤/ ٣٠٤) وقال: غريب من حديث سعيد بن جبيرة تفرد به رباح عن ابن عجلان. ا.هـ.
وابن عجلان ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: (يخطئ ويخالف)، وقال الأزدي: (فيه نظر). ورباح بن
أبي معروف ضعيف الحديث. فالحديث حسن لغيره بهذه الشواهد والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٢) والترمذي (٢٤٣٠، ٣٣٢٤) وصححه الحاكم (٣٦٣١، ٨٦٨٠) وصححه الألباني

في الصحيحة (١٠٨٠) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٩١)

(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٠٦/١)

وقال القرطبي رحمته الله: «وَالْأُمَّمُ مُجْمَعَةً عَلَى أَنَّ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عليه السلام»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «اشْتَهَرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عليه السلام، وَنَقَلَ فِيهِ الْخَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ ١٠٥٠»^(٢).

وفي مسند أبي يعلى عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ التَّقَمَ وَحَنَا جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ؟»، قِيلَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»^(٣) وروى الحاكم في المستدرک عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُدٌّ وَكُلُّ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ»^(٤).

توسل النبي بربوبية الله لهؤلاء الأملاك الثلاثة:

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوسل إلى الله تعالى بربوبيته لهؤلاء الملائكة، فيقول في قيام الليل في استفتاحه: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٥).

قال ابن القيم رحمته الله: فتوسل إليه سبحانه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة: فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم. فسأله رسوله بربوبيته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف فيه

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٧).

(٢) فتح الباري (٣٦٨/١١).

(٣) مسند أبي يعلى (١٠٨٤) وشرح مشكل الآثار للطحاوي (٥٣٤٣) وصححه ابن حبان (٨٢٣) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٥٥) والحديث أخرجه الترمذي (٢٤٣٣) وغيره من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد به. وعطية ضعيف. وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٧٩)

(٤) المستدرک على الصحيحين (٨٦٧٦) وصححه ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧٨)

(٥) رواه مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من الحق يأذنه في ذلك من الحياة النافعة. (١)

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: فَجَبْرِيلُ عليه السلام يَحْصُلُ بِمَا يَنْزِلُ بِهِ الْهُدَى، وَمِيكَائِيلُ عليه السلام يَحْصُلُ بِمَا هُوَ مُوَكَّلٌ بِهِ الرَّزْقُ، وَإِسْرَافِيلُ عليه السلام يَحْصُلُ بِمَا هُوَ مُوَكَّلٌ بِهِ النَّصْرُ وَالْجَزَاءُ. هـ. (٢)

وفي المعجم الكبير للطبراني عن أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ أَبِيهِ أَسَامَةَ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رُكْعَتِي الْفَجْرِ، فَصَلَّى قَرِيبًا مِنْهُ، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمُحَمَّدٍ [النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم] أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. (٣)

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يلحقه بهؤلاء الأملك الثلاثة:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَعْمِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِي، فَجَعَلْتُ أُمْسَحُهُ وَأَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَا بَلْ أَسْأَلُ اللَّهَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى الْأَسْعَدَ مَعَ جَبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ» (٤)

(١) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ط عالم الفوائد (١٤٤٤/٢)

(٢) البداية والنهاية ط هجر (١٠٦/١)

(٣) المعجم الكبير (١٩٥/١) رقم (٥٢٠) - ومن طريقه الضياء في المختارة (١٤٢٢/٢٠٥/٤) - وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٠٣) ومنه الزيادة. والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٦٦١٠). وأخرجه مختصراً البزار (٢٣٣٦) وسنده ضعيف وضعفه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٩/٤).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٠٦٧) وابن حبان (٦٥٩١) وأبو محمد الفاكهي في فوائده (١٥٤) - ومن طريقه ابن بشران في الأمالي (١٥٨٥)، والبيهقي في الدلائل (٢٠٩/٧) - من طرق عن الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بردة به وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥/٧). وقد خولف فيه الثوري فرواه ابن سعد في الطبقات (٢٣٠/٢) قال: أخبرنا يعلى، ومحمد ابنا عبيد قالا: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بردة بن أبي موسى به، مرسلًا. وخالفهم بشر بن سلم الهمداني البجلي فرواه عن إسماعيل عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه. رواه الخطيب في المتفق والمفترق (١٩٥٤/٣) بسند ضعيف إلى بشر، وبشر قال أبو حاتم منكر الحديث كما في الجرح والتعديل لابنه (٣٥٨/٢). وحديث أبي موسى ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٧) وقال: رواه الطبراني، وفيه محمد بن سلام الجمحي، وهو ثقة، وفيه ضعف، وبقيه رجاله ثقات هـ.

خزنة الجنة ﷺ :

وأما خازن الجنة فرؤي أنه يقال له: "رضوان"، وجاء في بعض الأحاديث لكنها لا تصح عن النبي ﷺ. (١) وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» (٢)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةٍ بَابٍ: أَيُّ فُلٍ هَلُمَّ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَاكَ الَّذِي لَا تَوَى عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» (٣)

مالك خازن النار ﷺ :

وجاء في كتاب الله ذكْرُ مالكٍ وهو خازن النار، قال الله تعالى: ﴿ وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّنَا قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي صحيح البخاري عن سمرّة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ» (٤)
وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى... فذكر الحديث وفيه: وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ...» الحديث (٥).

خزنة السموات :

وجاء في حديث الإسراء في الصحيح عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُرَجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَعَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٨٧٠) وضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٠٠) رقم (٥٩٤)

(٢) صحيح مسلم (١٩٧)

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤١) وصحيح مسلم (١٠٢٧)

(٤) صحيح البخاري (٣٢٣٦)

(٥) صحيح البخاري (٣٢٣٩) وصحيح مسلم (١٦٥)

فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ: لِحَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ،...- فذكر الحديث ثم قال-
: حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِحَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ حَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ:
فَفَتَحَ، ...» الحديث (١).

الملائكة حراس مكة والمدينة:

عن إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ» (٢)، إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ يَحْرُسُونَهَا، [فَيَنْزِلُ بِالسَّبْحَةِ] ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةَ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ» (٣)

وَعَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ، فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا، فَلَا يَقْرُبُهَا الدَّجَالُ، وَلَا الطَّاعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٤)
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ، وَلَا الدَّجَالُ» (٥)

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُغْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ» (٦)
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هِمَّتُهُ الْمَدِينَةَ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرُ أَحَدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلِ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ» (٧)
وفي صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في قصة الجساسة قالت: ... فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر، وهو يضحك، فقال: «لِيلِزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ... فذكرت الحديث - وفيه قول المسيح الدجال - قال: ... وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا

(١) صحيح البخاري (٣٤٩) وصحيح مسلم (١٦٣)

(٢) أي: أنقَابُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، وَالْأَنْقَابُ: جَمْعُ نَقَبٍ، وَالْأَنْقَابُ مداخل المدينة، وقيل: هي أبوابها.

(٣) صحيح البخاري (١٨٨١) وصحيح مسلم (٢٩٤٣) ومنه الزيادة.

(٤) صحيح البخاري (٧١٣٤، ٧٤٧٣)

(٥) صحيح البخاري (١٨٨٠، ٧١٣٣)، وصحيح مسلم (١٣٧٩)

(٦) صحيح البخاري (١٨٧٩، ٧١٢٥)، وصحيح مسلم (١٣٧٩)

(٧) صحيح مسلم (١٣٨٠)

المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحداً - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإن عليّ كل ثقبٍ منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته - يعني العصا - في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» - يعني المدينة - ... الحديث (١)

الملائكة حراس الشام:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع فقال رسول الله ﷺ: «طوبى للشام»، فقلنا: لأبي ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأن ملائكة الرحمن بأسطة أجنحتها عليها» (٢) قال المناوي: أي لأن ملائكة البليغ الرحمة، الذي وسعت رحمته كل شيء تحفها وتحوطها بإنزال البركات ودفع المهالك والمؤذيات اهـ (٣)

ملك الموت عليه السلام:

وكذلك ملك الموت: جاء ذكره في الكتاب والسنة بـ "ملك الموت"، ويُسميه بعض الناس عزرائيل وهذه التسمية لا وجود لها في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة (٤). قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة إبراهيم،

(١) صحيح مسلم (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٥٤) وأحمد (٢١٦٠٦، ٢١٦٠٧) وصححه ابن حبان (٧٣٠٤) والحاكم (٢٩٠٠) وقال على شرط الشيخين ووافقه العلامة الألباني في الصحيحة (٥٠٣). قلت: الحديث حسن صحيح وأسانيده عند الحاكم ليست على شرطهما فإنه من رواية: عبد الرحمن بن شماسه، عن زيد بن ثابت وعبد الرحمن ليس من رجال البخاري ثم إن آخر الرجال في السند ليس من رجالهما وانظر تحقيق المسألة في بيان شرط الشيخين في السلسلة الصحيحة (٦٦/٣) وإسناد ابن حبان قال محققه: صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حرمله وابن شماسه، فمن رجال مسلم اهـ وهو كما قال. والله أعلم.

(٣) «فيض القدير» (٤/٢٧٤)

(٤) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٠٦/١): وَأَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَلَيْسَ بِمُصَرَّحٍ بِاسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحَّاحِ، وَقَدْ جَاءَ تَسْمِيَتُهُ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ بِعِزْرَائِيلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ اهـ وقال الألباني في أحكام الجنائز (٢٥٤/١) اسم عزرائيل: لا أصل له في السنة اهـ وانظر: موسوعة الألباني في العقيدة (٣٨/٨)

وَقَدْ سُمِّيَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ بِعِزْرَائِيلَ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ، قَالَهُ قَتَادَةُ وَعَيْرٌ وَاحِدٌ. اهـ^(١)

وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه، المذكور رواه أحمد وغيره مطولا وفيه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، ... فِيهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضَ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عليه السلام، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ...»

وقال ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرَجِي إِلَى سَحَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظَبٍ...» الحديث^(٢)

أعوان ملك الموت عليه السلام:

وله أعوان من الملائكة يعينونه، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَقَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾^(٦)

[الأنعام] قال ابن كثير رحمته الله: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَيْرٌ وَاحِدٌ: لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يُخْرِجُونَ الرُّوحَ مِنَ الْجَسَدِ، فَيَقْبِضُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى الْخُلُقُومِ. اهـ^(٣) وقال أيضا: وَلَهُ أَعْوَانٌ يَسْتَخْرِجُونَ رُوحَ الْعَبْدِ مِنْ جُثَّتِهِ حَتَّى تَبْلُغَ الْخُلُقُومَ فَيَتَنَاوَلُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ بِيَدِهِ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا مِنْ يَدِهِ فَيَلْقُوهَا فِي أَكْفَانِ تَلِيْقٍ بِهَا. ... ثُمَّ يَصْعَدُونَ بِهَا، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَإِلَّا غُلِقَتْ دُونَهَا، وَأُلْقِيَ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ... وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مَلَائِكَةَ الْمَوْتِ يَأْتُونَ الْإِنْسَانَ عَلَى حَسَبِ عَمَلِهِ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا أَتَاهُ مَلَائِكَةٌ بِيضَ الْوُجُوهِ بِيضَ الثِّيَابِ طَيِّبَةٌ

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٣٦٠)

(٢) مسند أحمد (١٨٥٣٤) وانظر تخرجه والكلام عليه في مباحث الإيمان باليوم الآخر.

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٢٦٧)

الْأَرْوَاحِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَبِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ عِيَادًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ ذَلِكَ أ.هـ^(١)
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «خُطْوَةُ مَلِكِ الْمَوْتِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢)

استئذان ملك الموت عليه السلام على الأنبياء:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ وَهُوَ صَاحِحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فِخْذِي عُثَيْبِي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى». فَقُلْتُ: إِذَا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَاحِحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَتْ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»^(٣)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ يَا بَابِئِنَّا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخَيِّرُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ يَا بَابِئِنَّا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»^(٤)

مجيء ملك الموت عليه السلام إلى أبينا آدم عليه السلام:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ طَرُقٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ

(١) البداية والنهاية ط هجر (١٠٦/١)

(٢) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (٢٦) والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٥٨٠) وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤٥٧) وأبو إسحاق الثعلبي في (تفسيره (٢٢٣٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٤٨) ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٨٧/٢٤٤٤)

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)

إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هُوَ لَآءٍ؟ قَالَ: هُوَ لَآءٍ دُرِّيَّتِكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصٌ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ دُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ دُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ دُرِّيَّتُهُ، وَخَطِيءَ آدَمَ فَخَطِيءَتْ دُرِّيَّتُهُ»^(١)

ورواه ابن وهب في القدر عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه وزاد في آخره: «... وَخَطِيءَ فَخَطِيءَتْ دُرِّيَّتُهُ ...، فَرَأَى فِيهِمُ الْقَوِيَّ وَالضَّعِيفَ، وَالغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالصَّحِيحَ وَالْمُبْتَلَى، قَالَ: يَا رَبِّ، أَلَا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْكُرَ»^(٢)

ورواه الترمذي أيضا عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، أَذْهَبَ إِلَى أَوْلِيكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَائِكَةٍ مِنْهُمْ جُلُوسٌ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةَ بَيْنِكَ، بَيْنَهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْتُ أَيُّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكَلْنَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينًا مُبَارَكَةً ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَدُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَا هُوَ لَآءٍ؟ فَقَالَ: هُوَ لَآءٍ دُرِّيَّتِكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَوْهُمْ - أَوْ مِنْ أَضْوَائِهِمْ -

(١) جامع الترمذي ت شاكر (٣٠٧٦) وأخرجه الفريابي في القدر (١٩) والحاكم في المستدرک (٤١٣٢، ٣٢٥٧)

وابن منده في الرد على الجهمية (٢٣) عن أبي نعيم وأبو يعلى الموصلي (٦٦٥٤) في مسنده عن القاسم - وهو العربي - وابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٢٧/١) وأبو محمد الفاكهي في الفوائد (١٣٤) والبخاري في مسنده (٨٨٩٢) عن خالد بن يحيى كلهم عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ا.هـ وخالفهم ابن وهب في سنده كما سيأتي. ورواه ابن أبي حاتم، في التفسير (١٦١٤/٥) وأبو الشيخ في العظمة (١٠١٥) وابن منده في الرد على الجهمية (٢٤) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء به مختصرا

(٢) كتاب القدر (٨) - ومن طريقه أبو يعلى (٦٣٧٧) والفريابي في القدر (٢٠) - قال أبو زرعة الرازي - كما في

العلل لابن أبي حاتم (١٧٥٧) -: حديث أبي نعيم أصح، وهما ابن وهب في حديثه ا.هـ.

قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمْرِهِ. قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كُتِبَ لَهُ. قَالَ: أَيُّ رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ. قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَهْبِطُ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ جَعَلْتُ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ دُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَتْ دُرِّيَّتَهُ. قَالَ: فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أَمَرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ ^(١)

وقال أبو خالد سليمان بن حيان الأحمري: حدثني محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو خالد: وحدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو خالد: وحدثني داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو خالد: وحدثني ابن أبي ذباب قال: حدثني سعيد المقبري، وي زيد بن هرمز، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فجلس فعطس، فقال: الحمد لله فقال له ربه: يرحمك ربك، انت أولئك الملائكة فقل: السلام عليكم، فاتاهم فقال: السلام عليكم، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه تعالى فقال له: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم [ثم قبض له يديه، فقال له: خذ واختر، قال: اخترت يمين

(١) جامع الترمذي ت شاكر (٣٣٦٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وهو أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٧٥) مختصراً وابن خزيمة في التوحيد (١٦٠/١) - وعنه ابن حبان (٦١٦٧) - والحاكم (٢١٤)، ٧٦٨ مختصراً) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وهو قال في الموضوع الثاني: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وهو أخرجه النسائي بقوله: خالفه محمد بن عجلان فيه؛ ثم أسنده عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام ببعضه موقوفاً، وقال هذا هو الصواب. وهو في العلل لأحمد - رواية ابنه عبد الله - خالفه الليث بن سعد عن بن عجلان عن سعيد عن عبد الله بن سلام. وهو لعل الخطأ من ابن عجلان فقد نُكِّم في روايته عن المقبري، ثم إن الحارث قد توبع كما سيأتي مما يدل على أن روايته محفوظة. والحديث قال الذهبي في المذهب في اختصار السنن الكبير (٤١٥٠/٨): إسناده صالح. وأصل الحديث في الجملة في صحيفة همام. وهو صححه الألباني كما في هداية الرواة (٤٥٨٥) وظلال الجنة (٢٠٦) وشيخنا مقبل الوداعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٨٠/١) وقول الحاكم "على شرط مسلم"، فيه نظر: فرجاله وإن كانوا رجال مسلم إلا أنه لم يتحقق فيهم أن يروي لهم مسلم بهذا السياق في صحيحه. كما أن آخر الإسناد لا يلتقي بشيخ مسلم والله أعلم.

رَبِّي وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، فَفَتَحَهَا لَهُ، فَإِذَا فِيهَا صُورَةُ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ كُلِّهِمْ، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ أَجَلُهُ، وَإِذَا آدَمُ قَدْ كُتِبَ لَهُ عُمُرُ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِذَا قَوْمٌ عَلَيْهِمُ التُّورُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ التُّورُ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ الَّذِينَ أُرْسِلُ إِلَى عِبَادِي، وَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ هُوَ أَضْوَأُهُمْ نُورًا، وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا أَرْبَعُونَ سَنَةً^(١)، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَا بَالُ هَذَا، مَنْ أَضْوَأُهُمْ نُورًا وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ فَقَالَ: ذَلِكَ مَا كُتِبَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنْقُصْ لَهُ مِنْ عُمْرِي سَتِينَ سَنَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَمَّا أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ كَانَ يَعُدُّ أَيَّامَهُ، فَلَمَّا أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَهُ قَالَ لَهُ آدَمُ: عَجِلْتَ عَلَيَّ يَا مَلَكُ الْمَوْتِ! فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ، فَقَالَ: قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِي سِتُّونَ سَنَةً، فَقَالَ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ شَيْءٌ، قَدْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يَكْتُبَهُ لَابْنِكَ دَاوُدَ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَنَسِيَ آدَمُ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، فَيَوْمَئِذٍ وَضَعَ اللَّهُ الْكِتَابَ، وَأَمَرَ بِالشُّهُودِ^(٢)

مجيء ملك الموت ﷺ إلى موسى ﷺ:

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى ﷺ. فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ قَالَ فَلَطَمَ مُوسَى ﷺ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ فَمَقَّأَهَا، قَالَ فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةُ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَثْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمْتِنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، رَمِيَةً بِحَجْرٍ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ

(١) في الرواية المتقدمة "ستون سنة" وهي أرجح.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٩٧٧) والطبري في تاريخه (١٥٥/١) قالوا: أخبرنا محمد بن خلف قال:

حدثنا آدم قال: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان به والزيادة للطبري. وقال النسائي: حديث محمد بن خلف وهو منكر. اهـ قلت: وقد توبع تابعه مغلذ بن مالك وهو ثقة عن أبي خالد به. رواه الحاكم (٢١٥) وابن عساکر في تاريخ دمشق (٣٩٣/٧) عنه عن أبي خالد الأحمر، به واقتصر الحاكم على طريق داود بن أبي هند، به.

أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرِيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»^(١)

قال الحافظ ابن قدامة رحمته الله: ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلوات الله عليه وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات. ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقا عينه اه.^(٢)

وقال الحافظ أبو حاتم ابن حبان رحمته الله: وَهَذَا الخَبْرُ مِنَ الأَخْبَارِ الَّتِي يُدْرِكُ مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يَحْرُمِ التَّوْفِيقَ لِإِصَابَةِ الحَقِّ. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جل جلاله أَرْسَلَ مَلَكَ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام رِسَالَةَ ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، أَمْرَ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ لَا أَمْرًا يُرِيدُ اللهُ جل جلاله إِمضَاءَهُ كَمَا أَمَرَ خَلِيلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ بِذَبْحِ ابْنِهِ أَمْرَ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ، دُونَ الأَمْرِ الَّذِي أَرَادَ اللهُ جل جلاله إِمضَاءَهُ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَبْحِ ابْنِهِ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ فَدَاهُ بِالدَّبْحِ العَظِيمِ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ جل جلاله المَلَائِكَةَ إِلَى رُسُلِهِ فِي صُورٍ لَا يَعْرِفُونَهَا كدُخُولِ المَلَائِكَةِ عَلَى رُسُلِهِ إِبرَاهِيمَ، وَلَمْ يَعْرِفَهُمْ، حَتَّى أَوْجَسَ مِنْهُمُ خِيفَةً، وَكَمَجِيءِ جِبْرِيلَ عليه السلام إِلَى رُسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وَسؤالِهِ إِيَّاهُ عَنِ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ المُصْطَفَى صلوات الله عليه حَتَّى وَلى. فَكَانَ مَجِيءُ مَلَكِ المَوْتِ عليه السلام إِلَى مُوسَى عليه السلام عَلَى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا مُوسَى عليه السلام عَلَيْهَا، وَكَانَ مُوسَى عليه السلام غَيُورًا فَرَأَى فِي دَارِهِ رَجُلًا لَمْ يَعْرِفْهُ، فَشَالَ يَدَهُ فَلَطَمَهُ فَأَتَتْ لَطْمَتُهُ عَلَى فَقْءِ عَيْنِهِ الَّتِي فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا لَا الصُّورَةَ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا، ... وَلَمَّا كَانَ مِنْ شَرِيعَتِنَا أَنَّ مَنْ فَقَأَ عَيْنَ الدَّاخِلِ دَارَهُ بغيرِ إِذْنِهِ أَوْ النَّاطِرِ إِلَى بَيْتِهِ بِغَيْرِ أَمْرِهِ جُنَاحٌ عَلَى فَاعِلِهِ، وَلَا حَرَجٌ عَلَى مُرْتَكِبِهِ، لِلأَخْبَارِ الحَمَّةِ الوَارِدَةِ فِيهِ الَّتِي أَمَلَيْنَاهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كُتُبِنَا: كَانَ جَائِزًا اتِّفَاقًا هَذِهِ الشَّرِيعَةَ بِشَرِيعَةِ مُوسَى، بِإِسْقَاطِ الحَرَجِ عَمَّنْ فَقَأَ عَيْنَ الدَّاخِلِ دَارَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَكَانَ اسْتِعْمَالُ مُوسَى هَذَا الفِعْلِ مُبَاحًا لَهُ وَلَا حَرَجٌ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهِ. فَلَمَّا رَجَعَ مَلَكُ المَوْتِ عليه السلام إِلَى رَبِّهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ مُوسَى عليه السلام فِيهِ، أَمَرَهُ ثَانِيًا بِأَمْرِ آخَرَ أَمْرَ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ كَمَا دَكَّرْنَا قَبْلُ، إِذْ قَالَ اللهُ لَهُ: قُلْ لَهُ:

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٩، ٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢)

(٢) لمعة الاعتقاد (ص ٢٨)

إِنْ شِئْتَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَثْنِ ثَوْرٍ فَلَكَ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، فَلَمَّا عَلِمَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَنَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ جَاءَهُ بِالرَّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، طَابَتْ نَفْسُهُ بِالْمَوْتِ، وَلَمْ يَسْتَمْهِلْ، وَقَالَ: قَالَ: فَلَوْ كَانَتْ الْمَرَّةُ الْأُولَى عَرَفَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ، لَأَسْتَعْمَلَ مَا اسْتَعْمَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى عِنْدَ تَيْقُنِهِ وَعِلْمِهِ بِهِ ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ حَمَالَةٌ الْحَطْبِ، وَرِعَاةُ اللَّيْلِ يَجْمَعُونَ مَا لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَيَرُودُونَ مَا لَا يُوجِرُونَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ بِمَا يُبْطِلُهُ الْإِسْلَامُ جَهْلًا مِنْهُ لِمَعَانِي الْأَخْبَارِ، وَتَرَكَ التَّفَقُّهَ فِي الْأَثَارِ مُعْتَمِدًا مِنْهُ عَلَى رَأْيِهِ الْمُنْكَوسِ وَقِيَاسِهِ الْمَعْكَوسِ اهـ. (١)

المنكر والنكير عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وجاء أيضًا من أسماء الملائكة "المنكر" و"النكير"، وهما ملكان وكلَّ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إليهما: السؤال في القبر؛ فيسألان الميت في قبره، عن ربه، ودينه، ونبيه، ويمتحانان البر والفاجر وهما فتانا القبر، -أجارنا الله من عذاب القبر، وثبتنا بالقول الثابت آمين-.

وقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: التَّكْيِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمَّ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأُخِّرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمَّ كَنُومَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعَهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَدَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ» (٢)

(١) صحيح ابن حبان (١٤/١١٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧) وغيرهما. وهو في السلسلة الصحيحة (١٣٩١)

هاروت وماروت ﷺ :

ومن الملائكة الذين سَمَى اللهُ ﷻ في كتابه: "هاروت" و "ماروت" في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَابِلٍ هَرُوتَ وَمَرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقد ذُكِرَ في تفسير الآية أن الله بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات. ويذكر بعض أهل التفسير قصصاً عن هذين المَلَائِكَيْنِ، وأنهما وقعا في الزنى وغير ذلك، وأنهما هما كوكب الزهرة، وكلُّ ذلك لا يثبت عن رسولنا ﷺ.

قال ابن كثير ﷻ: وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَنْصُوصِ عَلَى أَسْمَائِهِمْ فِي الْقُرْآنِ: هَارُوتُ، وَمَارُوتُ، فِي قَوْلِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ السَّلَفِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي قِصَّتِهِمَا وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ غَالِبُهَا إِسْرَائِيلِيَّاتٌ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدِيثًا مَرْفُوعًا، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي تَقَاسِيمِهِ، وَفِي صِحَّتِهِ عِنْدِي نَظَرٌ، وَالْأَشْبَهُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَيَكُونُ مِمَّا تَلَقَّاهُ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ... (١) وَفِيهِ: أَنَّهُ تَمَثَّلَتْ لَهُمَا الزُّهْرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ... ثُمَّ قِيلَ: كَانَ أَمْرُهُمَا، وَقِصَّتُهُمَا فِي زَمَانِ إِدْرِيسَ. وَقِيلَ: فِي زَمَانِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ... وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ خَبَرٌ إِسْرَائِيلِيٌّ مَرْجِعُهُ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ، كَمَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنِ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ بِالْقِصَّةِ (٢). وَهَذَا أَصَحُّ إِسْنَادًا، وَأَثْبَتَ رِجَالًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. هـ (٣)

ملك الجبال :

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ -، أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ آتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أُسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ»، قَالَ

(١) انظر: مسند أحمد ط الرسالة (٦١٧٨) وصحيح ابن حبان (٦١٨٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٠).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٢٨٣/١) رقم (٩٧)

(٣) انظر: البداية والنهاية ط هجر (١٠٩/١) وتفسير ابن كثير ت سلامة (٣٢/١)

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّم عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١)

ملك الرعد:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرَةٌ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا: صَدَقْتَ. فَقَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: «اشْتَكَى عِرْقُ النَّسَاءِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا لَحُومَ الْإِبِلِ وَالْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا» قَالُوا: صَدَقْتَ^(٢).

وروى البخاري في الأدب المفرد عن الحكم - وهو ابن أبان -، قَالَ: حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَبَّحْتَ لَهُ»، قَالَ: «إِنَّ الرَّعْدَ مَلَكٌ يَنْعِقُ بِالْعَيْثِ، كَمَا يَنْعِقُ الرَّاعِي بِعَنَمِهِ»^(٣).
وعن علي بن الحسين قال: «الرَّعْدُ مَلَكٌ وَالْبَرْقُ مَخْرَاقٌ مِنْ حَدِيدٍ»^(٤).
وقال مجاهد: «الرَّعْدُ مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ بِصَوْتِهِ»^(٥).
قال الشافعي: ما أشبه ما قال مجاهد بظاهر القرآن^(٦).

(١) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٧) عن بكير بن شهاب، عن ابن جبير، عن ابن عباس به وصححه الألباني لغيره في الصحيحة (١٨٧٢) وحسنه لغيره شيخنا الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ١٨).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٢٢) وابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق (٩٤) وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد كما في العلل ومعرفة الرجال رواية ابنه عبد الله (٥٦٣٧) وابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق (١٢٦)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١٠١٥)، والطبري في تفسيره (٣٥٧/١ ط هجر).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٣٦٣) وابن الجعد في مسنده (٢٥٢) - وعنه ابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق (١٠٦) - والطبري في تفسيره (٣٥٧/١ ط هجر) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/

٢٨٤) والبيهقي في السنن الكبرى ت التركي (٦٥٥١)

(٦) الأم للشافعي (٥٥٨/٢ ط الوفاء)

وقال أبو صالح السمان: الرَّعْدُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسْبِحُ ^(١)
وقال عِكْرِمَةُ: الرَّعْدُ مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ كَمَا يَزْجُرُ الْحَادِي الْإِبِلَ. ^(٢)

حملة العرش والملائكة المقربون:

قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ^(٣)
[النساء] وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ ^(٤) [الحاقة]

وفي صحيح مسلم أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْأَنْصَارِ، -فذكر الحديث وفيه- ... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «... وَلَكِنْ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ... الحديث» ^(٥)

وخرَّج الإمام الطبراني، في المعجم الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعَنْقُهُ مُنْتَهَى تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا فَرَدَّ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا» ^(٦) والمعنى: ملكٌ على هيئة ديك ^(٧). ويؤيده رواية أبي يعلى ولفظه: «أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَهُوَ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (١١٦١) والخرائطي في مكارم الأخلاق (١٠١٢) والطبري في تفسيره

(٢) (٣٥٧/١ ط هجر)، والطبراني في الدعاء (١٠٠٠)

(٣) أخرجه صالح في مسائله (٤٥٩)، والخرائطي في المنتقى (٥٦٤) والطبري في تفسيره (٣٥٩/١ ط هجر)

والبيهقي في السنن الكبرى ت التركي (٦٥٥٠)

(٤) صحيح مسلم (٢٢٢٩).

(٥) المعجم الأوسط (٧٣٢٤)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٥٢٤، ١٢٤٨) والحاكم (٧٨١٣)،

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في

الصحيحين (٤٥٢)

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٢٤٥).

يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ؟ وَأَيْنَ تَكُونُ؟»^(١)

وفي سنن أبي داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»^(٢)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «حَمَلَةُ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ كَعْبِ أَحَدِهِمْ إِلَى أَسْفَلِ قَدَمِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»^(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: «[إِنَّ اللَّهَ صلى الله عليه وسلم جَزَأَ الْخَلْقَ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ الْمَلَائِكَةَ، وَجُزْءًا سَائِرِ الْخَلْقِ، وَجُزْءًا] الْمَلَائِكَةَ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةُ أَجْزَاءٍ الْكُرُوبِيُّونَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، وَجُزْءٌ وَاحِدٌ الَّذِينَ وَكَّلُوا بِخَزَائِنِ كُلِّ شَيْءٍ^(٤)، وَالْمَلَائِكَةُ وَالْحِجْنُ وَالْإِنْسُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ الْمَلَائِكَةُ، وَجُزْءٌ وَاحِدٌ الْإِنْسُ وَالْحِجْنُ، وَالْحِجْنُ وَالْإِنْسُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ الْحِجْنُ، وَجُزْءٌ وَاحِدٌ الْإِنْسُ، فَإِذَا وُلِدَ وَاحِدٌ مِنَ الْإِنْسِ وُلِدَ مَعَهُ تِسْعَةٌ مِنَ الْحِجْنِ، وَالْإِنْسُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَجُزْءٌ وَاحِدٌ سَائِرِ الْإِنْسِ، وَمَا مِنَ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ، ﴿ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ [الذاريات]، قَالَ: «السَّمَاءُ السَّابِعَةَ»^(٥) وَإِنَّ الْحَرَمَ مُحَرَّمٌ مَا بِحَيْالِهِ إِلَى الْعَرْشِ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ بِحَيْالِ الْبَيْتِ، لَوْ سَقَطَ سَقَطَ عَلَيْهِ، يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا»^(٦)

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٦٦١٩) وأخرجه الدارمي في النقص على المريسي (١١١)، وهو في السلسلة الصحيحة

(١٥٠)، وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٥٢)

(٢) سنن أبي داود (٤٧٢٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح

مما ليس في الصحيحين (٤٥٢).

(٣) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (٢٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٤٨) ورجاله ثقات.

(٤) في رواية المروزي والحاكم «وَجُزْءٌ لِرِسَالَتِهِ» زاد المروزي: «وَأَمْرُهُ» وفي رواية يحيى بن سلام: «وَجُزْءٌ مِنْهُمْ

وَاحِدٌ لِرِسَالَتِهِ، وَخَزَائِنُهُ، وَمَا يَنْشَأُ مِنْ أَمْرِهِ»

(٥) في رواية المروزي «السَّادِسَةَ».

(٦) أخرجه أبو بكر النجاد في أماليه (٤٥) - وعنه أبو القاسم ابن بشران في أماليه (٥٢٩) وابن عساكر في

تاريخه (٤٦/٤٦٢) - قال: ثنا جعفر بن محمد الصائغ، ثنا حسن بن موسى الأشيب، ثنا شيبان، عن قتادة،

وروى أسد بن موسى في الزهد قال: ثنا غسان بن برزين الطهوي، نا سيار بن سلامة الرياحي، عن أبي العالِيَةِ الرَّيَاحِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اجْتَمَعَتِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، لَا يَذْكُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَكُونُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَيَكُونُ الْجِنُّ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ، وَيَكُونُ الْإِنْسُ جُزْءًا وَاحِدًا، ثُمَّ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ الدُّنْيَا، فَتَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا، عَلَى كُلِّ صَفِّ رَأْسٍ، فَيَدْعُو أَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهُمْ، فَيَقُولُونَ: فَيْكُمْ رَبَّنَا ﷻ؟ قَالُوا: لَيْسَ فِينَا وَهُوَ آتٍ، فَيَكُونُ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْإِنْسُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَيَكُونُ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ، وَيَكُونُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ جُزْءًا وَاحِدًا، ثُمَّ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ الثَّانِيَةَ، فَتَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا، عَلَى كُلِّ صَفِّ رَأْسٍ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْأَرْضِ: أَفَيْكُمْ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَيَقُولُونَ: لَيْسَ فِينَا، وَهُوَ آتٍ، فَيَكُونُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَأَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَيَكُونُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ، وَيَكُونُ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ جُزْءًا وَاحِدًا، ثُمَّ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ الثَّلَاثَةَ، فَتَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا، عَلَى كُلِّ صَفِّ رَأْسٍ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْأَرْضِ: أَفَيْكُمْ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَيَقُولُونَ: لَيْسَ فِينَا، وَهُوَ آتٍ، فَيَكُونُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ وَمَا أَسْفَلَ مِنْهَا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَيَكُونُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ، وَيَكُونُ مَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ جُزْءًا وَاحِدًا، ثُمَّ يَكُونُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ عَلَى هَذَا حَتَّى يَبْلُغَ لِلْسَّابِعَةِ، حَتَّى يَجِيءَ رَبُّكَ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ»^(١)

عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمرو به. ورجاله ثقات ورواه البيهقي في الشعب (٣٧٠٦) من طريق آخر عن شيبان به مختصراً. ورواه المروزي في أخبار الشيوخ وأخلاقهم (٣١٣) والطبري في التفسير ط هجر (١٦ / ٢٤٤) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (١٥٠٦) من طرق عن عمران القطان عن قتادة به والزيادات من المستدرک. ورواه يحيى بن سلام في تفسيره (١ / ٣٤٤، ٧٧٦/٢) عن سعيد عن قتادة به. وخالفهم معمر فرواه عن قتادة عن عمرو البكالي قوله رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٨٧) عنه والطبري (١٦ / ٤٠١) عن ابن ثور عن معمر به

(١) أخرجه أسد بن موسى في الزهد (٥٢) وقال محققه الشيخ الحويني: إسناده قوي رجاله ثقات اهـ قلت: غسان وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان ممن يخطئ. وقال الحافظ في التقریب: صدوق ربما أخطأ. والحديث رواه عوف وهو ابن أبي جميلة -وهو ثقة- عن أبي المنهال سيار بن سلامة عن شهر بن

ورواه ابن المبارك، وهوذة قالوا: نا عوف، عن أبي المنهال سيار بن سلامة الرياحي، ثنا شهر بن حوشب، حدثني ابن عباس قال: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ، وَجَمَعَ الْخَلَائِقُ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ، جَنَّهُمْ وَإِنْسَهُمْ بِالضَّعْفِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، قُبِضَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ الدُّنْيَا عَنْ أَهْلِهَا فَنُشِرُوا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَأَهْلُ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ جَنَّهُمْ، وَإِنْسَهُمْ بِالضَّعْفِ، فَإِذَا رَأَهُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ فَرِعُوا إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُونَ: أَفِيكُمْ رَبَّنَا؟ فَيَفْرَعُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ رَبَّنَا، لَيْسَ فِينَا، وَهُوَ آتٍ، ثُمَّ تُقْبَضُ السَّمَاءُ الثَّانِيَّةُ، وَأَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَّةِ أَكْثَرُ وَحَدَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالضَّعْفِ، فَإِذَا نُثِرُوا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَرِعَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْأَرْضِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَفِيكُمْ رَبَّنَا؟ فَيَفْرَعُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ رَبَّنَا، لَيْسَ فِينَا، وَهُوَ آتٍ، ثُمَّ يُقْبَضُ السَّمَاوَاتُ سَمَاءً سَمَاءً، كُلَّمَا قُبِضَتْ سَمَاءٌ كَانَتْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ الَّتِي تَحْتَهَا، وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالضَّعْفِ جَنَّهُمْ وَإِنْسَهُمْ، كُلَّمَا نُثِرُوا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَرِعَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْأَرْضِ وَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى تُقْبَضَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، فَلَأَهْلُهَا وَحَدَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ سِتِّ سَمَاوَاتٍ، وَجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالضَّعْفِ، وَيَجِيئُ اللَّهُ فِيهِمْ، وَالْأُمَمُ جُثَى صُفُوفٍ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: سَتَعْلَمُونَ الْيَوْمَ مَنْ أَصْحَابُ الْكَرَمِ، لِيَقُمَ الْحَمَادُونَ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَيَقُومُونَ فَيَسْرَحُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُنَادِي ثَانِيَةً: سَتَعْلَمُونَ الْيَوْمَ مَنْ أَصْحَابُ الْكَرَمِ، لِيَقُمَ الَّذِينَ كَانَتْ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥١﴾ ﴿ السجدة ﴾ فَيَسْرَحُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُنَادِي ثَالِثَةً: سَتَعْلَمُونَ الْيَوْمَ مَنْ أَصْحَابُ الْكَرَمِ، لِيَقُمَ الَّذِينَ كَانَتْ ﴿ لَا تُلَهِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ

حوشب - وهو مختلف فيه - عن ابن عباس بسياق آخر. كما سيأتي. ورواه أسد بن موسى في الزهد (٥٣) والدارمي في الرد على الجهمية (١٤٢) وابن أبي حاتم في التفسير (١٥٠٨٩) - مختصراً - والحاكم في المستدرک على الصحيحين مطولا (٨٦٩٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس به وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير علي بن زيد بن جدعان القرشي وهو وإن كان موقوفا على ابن عباس فإنه عجيب بمره. اهـ وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٣٢٢): منكر موقوف. اهـ

وَأَلْبَصُرٌ ﴿٢٧﴾ [النور] « زاد هودة في روايته ... » قَالَ: فَيَقُومُونَ فَيَسْرَحُونَ إِلَى الْجَنَّةِ. فَإِذَا أَخَذَ مِنْ هَؤُلَاءِ ثَلَاثَةً، خَرَجَ عَنْقُ مِنَ النَّارِ فَأَشْرَفَ عَلَى الْخَلَائِقِ لَهُ عَيْنَانِ تَبْصِرَانِ وَلِسَانٌ فَصِيحٌ فَيَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: إِنِّي وَكَلْتُ بِكُلِّ جُبَارٍ عَيْنِي قَالَ: فَيَلْتَقِطُهُمْ مِنَ الصُّفُوفِ لَقَطَ الطَّيْرِ حَبَّ السَّمْسِمِ فَيَجْلِسُ بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ ثَانِيَةً فَيَقُولُ إِنِّي وَكَلْتُ بِمَنْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: فَيَلْتَقِطُهُمْ مِنَ الصُّفُوفِ لَقَطَ الطَّيْرِ حَبَّ السَّمْسِمِ فَيَجْلِسُ بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يَخْرُجُ ثَالِثَةً قَالَ: ثَالِثَةً فَقَالَ: أَبُو الْمِنْهَالِ أَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي وَكَلْتُ بِأَصْحَابِ التَّصَاوِيرِ قَالَ: فَيَلْتَقِطُهُمْ مِنَ الصُّفُوفِ لَقَطَ الطَّيْرِ حَبَّ السَّمْسِمِ فَيَجْلِسُ بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، فَإِذَا أَخَذَ مِنْ هَؤُلَاءِ ثَلَاثَةً وَمِنْ هَؤُلَاءِ ثَلَاثَةً، نُشِرَتِ الصُّحُفُ، وَوُضِعَتِ الْمَوَازِينُ، وَدُعِيَ الْخَلَائِقُ لِلْحِسَابِ»^(١)

الملائكة الموكلون بالأرحام:

وأخبرنا النبي ﷺ أن من أعمالهم أنهم مسؤولون عن ابن آدم من أول وهلة يعني من أول خلق الله ﷻ له كما جاء في الصحيح عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ: رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلِكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»^(٢).

وجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضَعَّةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلِكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ...»^(٣).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠١/٢/زيادات نعيم). ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الأحوال (١٧٣). - ورواه الحارث في مسنده كما في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١٠١/٢) - ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٦٢/٦) - حدثنا هودة عن عوف به. وقال الحافظ في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٤٥٥٧): هذا موقوف وإسناده حسن ١هـ.

(٢) مسلم (٢٦٤٥).

(٣) صحيح البخاري (٣٢٠٨)، وصحيح مسلم (٢٦٤٣) واللفظ له.

ملائكة الرحمة وملائكة العذاب:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يُسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يُسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرِكُهُ الْمَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نُحُوهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي، وَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ، فَعَفِرَ لَهُ» متفق عليه (١)

وفي سنن النسائي عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ مِنْ أُمَّتِهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بِيضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ، وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيَنَاقِلُهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرَّيْحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِعَائِبِهِ يَفْدُمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي عَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: دُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْجٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاحِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ عز وجل، فَتَخْرُجُ كَأَنَّتِ رِيحَ حَيْفَةٍ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَ هَذِهِ الرَّيْحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ» (٢)

وفي حديث البراء بن عازب، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، ... وَفِيهِ نَمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِيضَ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ... وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةُ سُودَ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ...» الحديث (٣)

(١) صحيح البخاري (٣٤٧٠)، واللفظ له. وصحيح مسلم (٢٧٦٦)

(٢) سنن النسائي (١٨٣٣) وأخرجه ابن حبان (٣٠١٤) والحاكم (١٣٠٢) وصححه الألباني في السلسلة

الصحيحة (١٣٠٩) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤١٢/١)

(٣) مسند أحمد (١٨٥٣٤) وانظر تحريجه والكلام عليه في مباحث الإيمان باليوم الآخر.

القرين من الملائكة :

ومن أعمالهم التي أخبرنا النبي ﷺ عنها أن الله ﷻ وكل بابن آدم ملكاً يدعو للخير. يقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود **رضي**: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» زاد في رواية: «وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ». قالوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّايَ إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ؛ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِالْخَيْرِ»^(١)

فقرين الملائكة لابن آدم يدعو للخير ويذكره ويحثه عليه ويبيِّن له.

وجاء عن ابن مسعود **رضي** مرفوعاً وموقوفاً: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً، -واللمة يعني القرب والدنو- فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فإِيْعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فإِيْعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَوَكَّرْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قرأ ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] الآية^(٢). وهذا يدل على رحمة الله ﷻ بابن آدم وأن الله ﷻ يسدده، وأن الله وكل به هؤلاء الملائكة العظام والمباركين بحراسته وحثه ودعوته إلى الخير. فالحجة قائمة عليك يا ابن آدم؛ فأقبل على طاعة الله ﷻ.

أثر لمة الملك وأثر لمة الشيطان :

قال ابن القيم **رحمته**: وإذا تأملت حال "القلب" مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب، فهذا يُلمُّ به مرّةً، وهذا يُلمُّ به مرّةً، فإذا ألّمَّ به الملك حدثت من لَمَّتِهِ الانفساخ، والانشراح، والثور، والرحمة، والإخلاص، والإنابة، ومحبة الله، وإيثاره على ما سواه، وقصر الأمل، والتجاني عن دار البلاء والامتحان والغرور، فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهنأ عيش وألذّه وأطيبه. ولكن تأتيه لمة الشيطان، فتحدث له من الضيق، والظلمة، والهَمِّ، والغَمِّ، والخوف، والسَخَطِ على المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا وعاجلها، والغفلة عن الله ما هو من أعظم عذاب "القلب".

أحوال القلوب مع لمة الملك ولمة الشيطان :

قال **رحمته**: ثُمَّ للنَّاسِ فِي هَذِهِ المَحْنَةِ مَرَاتِبٌ لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ - ﷻ -: فمنهم من

(١) مسلم (٢٨١٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٨) ورجح أبو حاتم وأبو زرعة وقفه. انظر: العلل لابن أبي حاتم (٢٢٢٤)

تكون لَمَّةُ الْمَلِكِ أَغْلَبُ عَلَيْهِ مِنْ لَمَّةِ الشَّيْطَانِ وَأَقْوَى، فَإِذَا أَلَمَّ بِهِ الشَّيْطَانُ وَجَدَ مِنَ الْأَلَمِ، وَالضَّيْقِ، وَالْحُضْرِ، وَسُوءِ الْحَالِ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنْ حَيَاةِ "الْقَلْبِ"، فَيُبَادِرُ إِلَى مَحْوِ تِلْكَ اللَّمَّةِ، وَلَا يَدَعُهَا تَسْتَحْكِمُ فَيَصْعَبُ تَدَارِكُهَا. فَهُوَ دَائِمٌ بَيْنَ اللَّمَّتَيْنِ، يُدَالُ لَهُ مَرَّةً، وَيُدَالُ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى. وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنْ لَمَّةِ الْمَلِكِ وَأَقْوَى، فَلَا تَزَالُ تَغْلِبُ لَمَّةُ الْمَلِكِ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ وَيَصِيرَ الْحُكْمَ لَهَا، فَيَمُوتُ "الْقَلْبُ"، فَلَا يُجَسُّ بِمَا نَالَ الشَّيْطَانُ، مَعَ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْعَذَابِ، وَالْأَلَمِ، وَالضَّيْقِ، وَالْحُضْرِ، وَلَكِنَّ سُكْرَ الشَّهْوَةِ وَالْغَفْلَةَ حَجَبَ عَنْهُ الْإِحْسَاسَ بِذَلِكَ الْمُؤَلِمِ. فَإِذَا كُشِفَ عَنْهُ بَعْضُ غَطَائِهِ أَدْرَكَ سُوءَ حَالِهِ، وَعَلِمَ مَا هُوَ فِيهِ، فَإِنْ اسْتَمَرَّ لَهُ كُشْفُ الْغَطَاءِ أَمَكَّنَهُ تَدَارِكُ هَذَا الدَّاءِ وَحَسْمُهُ، وَإِنْ عَادَ الْغَطَاءُ عَادَ الْأَمْرُ كَمَا كَانَ، حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ وَقْتُ الْمُقَارَقَةِ، فَتَظْهَرُ حِينَئِذٍ تِلْكَ الْأَلَامُ، وَالْهُمُومُ، وَالْغَمُومُ، وَالْأَحْزَانُ، وَهِيَ لَمْ تَتَجَدَّدْ لَهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَامِنَةً فِيهِ، تُوَارِيهَا الشَّوَاغِلُ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّوَاغِلُ ظَهَرَ مَا كَانَ كَامِنًا، وَتَجَدَّدَ لَهُ أَضْعَافُهُ.

سبب تسلط الشيطان على القلوب :

قال رحمته الله: والشيطان يُلِمُّ بـ "القلب" لِمَا لَهُ هُنَاكَ مِنْ جَوَائِبِ تَجَذُّبِهِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: صِفَاتٍ، وَإِرَادَاتٍ. فَإِذَا كَانَتْ الْجَوَائِبُ صِفَاتٍ قَوِيٍّ سُلْطَانُهُ هُنَاكَ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَوَجَدَ مَوْطِنًا وَمَقَرًّا، فَتَبْقَى الْأَذْكَارُ وَالذَّعَوَاتُ وَالتَّعَوُّذَاتُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْإِنْسَانُ حَدِيثَ نَفْسٍ، لَا تَدْفَعُ سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ مَرَكِبَهُ صِفَةٌ لَازِمَةٌ. فَإِذَا قَلَعَ الْعَبْدُ تِلْكَ الصِّفَاتِ مِنْ قَلْبِهِ، وَعَمِلَ عَلَى التَّطَهُّرِ مِنْهَا وَالِاغْتِسَالِ، بَقِيَ لِلشَّيْطَانِ بـ "القلب" خَطَرَاتٌ، وَوَسَاوِسٌ، وَلَمَّاتٌ مِنْ غَيْرِ اسْتِقْرَارٍ، وَذَلِكَ يُضْعِفُهُ، وَيَقْوِي لَمَّةَ الْمَلِكِ، فَتَأْتِي الْأَذْكَارُ، وَالذَّعَوَاتُ، وَالتَّعَوُّذَاتُ؛ فَتَدْفَعُهُ بِأَسْهَلِ شَيْءٍ. وَإِذَا أُرِدْتَ لِمَثَلًا مِثْلًا: فَمَثَلُهُ مَثَلُ كَلْبٍ جَائِعٍ، شَدِيدِ الْجُوعِ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَحْمٌ أَوْ خَبْزٌ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُكَ، فَيُرَاكَ لَا تَقَاوِمُهُ وَهُوَ قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكَ، فَأَنْتَ تَزْجُرُهُ، وَتَصِيحُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَأْتِي إِلَّا الْهَجُومَ عَلَيْكَ، وَالْغَارَةَ عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْكَ. فَالْأَذْكَارُ بِمَنْزِلَةِ الصِّيَاحِ عَلَيْهِ، وَالزَّجْرُ لَهُ، وَلَكِنَّ مَعْلُومَهُ وَمُرَادَهُ عِنْدَكَ، وَقَدْ قَوَّيْتَهُ عَلَيْكَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْكَ شَيْءٌ يَصِلُحُ لَهُ - وَقَدْ تَأَمَّلَكَ فَرَأَكَ أَقْوَى مِنْهُ - فَإِنَّكَ تَزْجُرُهُ فَيَنْزَجِرُ، وَتَصِيحُ عَلَيْهِ فَيَذْهَبُ. وَكَذَلِكَ "القلب" الْخَالِي عَنْ قُوَّةِ الشَّيْطَانِ يَنْزَجِرُ

بمجرد الذكر. وأما "القلب" الذي فيه تلك الصفات التي هي مركبه وموطنه، فيقع الذكر في حواشيتها وجوانبها، ولا يقوى على إخراج العدو. ومصدق ذلك تجده في الصلاة، فتأمل الحال، وانظر: هل تخرج الصلاة وأذكارها وقراءتها الشيطان من قلبك، وتفرغه كله لله تعالى، وتقيم بين يديه مقبلاً بكليته عليه، يصلي لله -تعالى- كأنه يراه، قد اجتمع همه كله على الله، وصار ذكره، ومراقبته، ومحبتته، والأنس به؛ في محل الخواطر والوسوس؛ أم لا؟ فالله المستعان. وهاهنا نكتة ينبغي التفطن لها، وهي أن القلوب ممتلئة بالأخلاق الرديئة. والعبادات والأذكار والتعوذات أدوية لتلك الأخلاق، كما يثير الدواء أخلاق البدن، فإن كان قبل الدواء وبعده حمية نفع ذلك الدواء، وقاع الداء أو أكثره، وإن لم يكن قبله ولا بعده حمية لم يزد الدواء على إثارتها، وإن أزال منه شيئاً ما. فمدار الأمر على شيئين: الحمية، واستعمال الأدوية اهـ^(١)

الملائكة المولكون بحراسة ابن آدم:

ومن أعمالهم أن الله ﷻ وكل إليهم حراسة ابن آدم قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ لهو معقبت من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﷻ [الرعد].

قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه "المعقبات": "هم الملائكة جعلهم الله؛ ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله (الذي قدر أن يصل إليه) خلوا عنه"^(٢) يعني لم يستطيعوا أن يفعلوا تجاه قدر الله ﷻ شيئاً.

الملائكة الحفظة:

قال ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. قال قتادة، "حَفَظَةٌ يَا ابْنَ آدَمَ يَحْفَظُونَ عَلَيْكَ عَمَلَكَ وَرِزْقَكَ وَأَجَلَكَ، إِذَا تَوَفَّيْتَ ذَلِكَ فُبِضَتْ إِلَى رَبِّكَ."^(٣)

وأخبرنا ربنا ﷻ أيضاً أنه يحيط بابن آدم ملائكة حافظون لأعماله. قال تعالى:

(١) التبيان في إيمان القرآن ط عالم الفوائد (١/ ٦٣٥)

(٢) تفسير الطبري (٤٥٨/١٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٨٩/٩).

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَتَبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار] وكل الله بك يا ابن آدم ملكين حاضرين لا يفارقانك، يُحصيان عليك أعمالك وأقوالك كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوسُ بِهِ نَفْسَهُ ۗ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق].

رقيب عتيد:

وما معنى رقيب وما معنى عتيد؟ الرقيب العتيد هو المراقب المعد لذلك لا يترك كلمة إلا ودونها على صاحبها؛ فينبغي للعبد إذا عرف ذلك أن يستحي من ملائكة الرحمن، وعليه أن يراقب ربه ﷻ في أقواله وفي أفعاله^(١).

وفي المستدرک على الصحيحين للحاكم عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ إِلَّا وَهُوَ يُحْتَمُّ عَلَيْهِ وَلَا لَيْلَةٍ إِلَّا وَهُوَ يُحْتَمُّ عَلَيْهَا حَتَّى إِذَا حِيلَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْعَمَلِ قَالَ الْحَفَظَةُ: يَا رَبَّنَا هَذَا عَمَلُ عَبْدِكَ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَمَلِ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ»

وَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَعْلَمُ بِمَوْتِ الْعَبْدِ الْحَافِظُ لِأَنَّهُ يَعْرِجُ بِعَمَلِهِ وَيَنْزِلُ بِرِزْقِهِ فَإِذَا لَمْ يَخْرُجْ رِزْقٌ عَلَيْهِ أَعْلَمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ»^(٢)

وذكر بعض الناس في قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق] أن الملك في اليمين "رقيب"، وأن ملك الشمال يقال له: "عتيد"؛ وهذا ليس بصحيح؛ فإن قوله تعالى: ﴿ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨] وصفان للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد، ومعنى رقيب عتيد: ملكان حاضران شاهدان لا يغيبان عن العبد.

(١) وفي سنن الترمذي ت شاكر (٢٨٠٠) - وقال حديث غريب - عَنْ لَيْثٍ - وهو ابن أبي سليم - عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: مرفوعاً «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّي فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ» وضعفه الألباني في الإرواء (٦٤)، وله شاهد ضعيف أيضاً، رواه البيهقي في الشعب (٧٣٤٥) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه. وهو في السلسلة الضعيفة (٢٣٠٠)

(٢) المستدرک على الصحيحين (٧٦٦٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه شيخنا الوادعي في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٥١٠).

ملك الحسنات وملك السيئات :

يقول النبي ﷺ كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند الطبراني وغيره: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتًّا - وفي رواية سبع - سَاعَاتٍ، عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً» وفي رواية «صَاحِبُ الْيَمِينِ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشَّمَالِ فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً أَثْبَتَهَا وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً قَالَ لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ: امْكُثْ سِتَّ سَاعَاتٍ...»^(١)

وقال الأعمش، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه، فَقَامَ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ يُصَلِّي فَبَصُقَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا أَنْصَرَفَ قَالَ: «يَا شَبْتُ لَا تَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا عَنْ يَمِينِكَ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِكَ كَاتِبَ الْحَسَنَاتِ، وَأَبْصُقْ عَنْ شِمَالِكَ، وَخَلْفَكَ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَقْبَلَهُ اللَّهُ بِوَجْهِهِ يُنَاجِيهِ فَلَا يَنْصَرِفُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَنْصَرِفُ، أَوْ يُحْدِثُ حَدَثَ سَوْءٍ»^(٢)

وهذا له حكم الرفع، وقد روي مرفوعاً^(٣) - والوقف أصح -.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٥/٨) رقم (٧٧٦٥) من طريق عبد الوهاب الحوطي، وغيره وفي مسند الشاميين (٥٢٦) من طريق إبراهيم بن العلاء وغيره والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٥٠) عن أبي اليمان الحمصي، كلهم عن إسماعيل بن عياش، عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن عروة بن رويم، عن القاسم، عن أبي أمامة به باللفظ الأول. وحسن إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٠٩). ورواه الطبراني في الكبير (١٩١/٨) رقم (٧٧٨٧) وفي مسند الشاميين (٤٦٨) من طريق الوليد بن مسلم، عن ثور بن يزيد، عن القاسم، به باللفظ الثاني. وفيه عنعنة الوليد فإنه مشهور بالتدليس. وتوبع ثور؛ تابعه بشر بن نمير - عند الكلاباذي في بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار (١١١) وابن شاهين في الترغيب (١٨٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٤٩) والتفسير الوسيط للواحدي (١٦٦/٤) - وتابعهما أيضا جعفر بن الزبير عند البيهقي في الشعب (٦٦٤٨) والبعغوي في التفسير البعغوي (٢٧٣/٤)، ولا يفرح بمتابعتهما فإنهما متروكان. وانظر السلسلة الضعيفة (٢٤٣٧).

(٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني (١٦٨٩/٤٣٢ /١) - واللفظ له - وابن أبي شيبة (٧٤٥٤) وابن خزيمة في التوحيد (٣٥/١) وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات (٨٦٩) والبيهقي في الأسماء (٦٥٥) من طرق عن الأعمش، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُدَيْفَةَ... فذكره وعند ابن خزيمة تصريح الأعمش بالسماع.

(٣) رواه ابن ماجه (١٠٢٣) من طريق أبي بكر بن عياش، عَنْ عَاصِمِ بْنِ رَبِيعٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ، أَنَّهُ رَأَى

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَالْمَلَكَ عَنْ يَمِينِهِ»^(١)

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسَنَاتِ، والذي عن شماله يكتب السيئات، ... واختلفوا: هل يكتب كل ما يتكلم به، أو لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب؟ على قولين مشهورين.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله أكلت وشربت ذهبت وحيئت رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائرُه فذلك قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩]»^(٢).

وعن يحيى بن أبي كثير، قال: ركب رجل الحمار، فعثر به، فقال: تعس الحمار، فقال صاحب اليمين: ما هي حسنة أكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي سيئة فأكتبها، فأوحى الله إلى صاحب الشمال: ما ترك صاحب اليمين من شيء، فأكتبه، فأثبت في السيئات "

شبت بن ربعي بزق بين يديه، فقال: يا شبت لا تبرق بين يديك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن ذلك، وقال: «إن الرجل إذا قام يصلي أقبل الله عليه بوجهه، حتى ينقلب أو يمجدت حدت سوء» وحسنه الألباني. ورواه البزار في مسنده (٢٨٨٩) وابن خزيمة (٩٢٤) من طريق عمران القطان، عن عاصم به وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن عاصم، عن أبي وائل مرفوعاً إلا عمران القطان، ورواه غيره مرفوعاً. اهـ. قلت قد تويع كما تقدم. وأيضاً فقد رواه ابن المنذر في الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٢٦٧/٣) رقم (١٦٣٤) من طريق حماد وهو ابن سلمة عن عاصم به. ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٧٦/١) رقم ١٢٢٤ والمحامي (٤١٥) - ومن طريقه الخطيب في التاريخ (٢٩١٣) -، عن حماد - وهو ابن أبي سليمان - وفي حفظه ضعف - عن ربعي بن جراش، أن شبت بن ربعي، بزق في قبلته، فقال حديثه صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ، أَوْ قَالَ الرَّجُلُ، فِي صَلَاتِهِ يُقْبَلُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، فَلَا يَبْرُقَنَّ أَحَدُكُمْ فِي قِبَلْتِهِ، وَلَا يَبْرُقَنَّ عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ كَاتِبَ الْحَسَنَاتِ عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ لِيَبْرُقَنَّ عَنْ يَسَارِهِ» ورواية الوقف وإن كانت أصح فللحديث حكم الرفع والله أعلم.

(١) صحيح البخاري (٤١٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٣٩٩/٧) والدر المنثور (٥٩٣/٧) وذكر إسناده الحافظ في تعليق التعليق على صحيح البخاري (٣٨٠/٥) -، وهو من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه.

تَعَسَ الْحِمَارُ" (١)

قال ابن رجب رحمته الله: وَظَاهِرُ هَذَا أَنَّ مَا لَيْسَ بِحَسَنَةٍ، فَهُوَ سَيِّئَةٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يُعَاقَبُ عَلَيْهَا، فَإِنَّ بَعْضَ السَّيِّئَاتِ قَدْ لَا يُعَاقَبُ عَلَيْهَا، وَقَدْ تَقَعُ مُكْفَرَةٌ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ (٢)، وَلَكِنَّ زَمَانَهَا قَدْ خَسِرَهُ صَاحِبُهَا حَيْثُ ذَهَبَتْ بَاطِلًا، فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ حَسْرَةٌ فِي الْقِيَامَةِ وَأَسْفٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ نَوْعٌ عُقُوبَةٍ ا.هـ. (٣)

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «يُكْتَبُ مِنَ الْمَرِيضِ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى أُنِينُهُ فِي مَرَضِهِ» (٤)

وَقَالَ قَتَادَةُ: تَلَا الْحَسَنُ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، فَقَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ بَسَطْتَ لَكَ صَحِيفَةً، وَوَكَّلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ: أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ؛ فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ؛ وَأَمَّا الَّذِي عَنْ شِمَالِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ، فَاعْمَلْ بِمَا شِئْتَ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ، حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ، فَجَعَلْتَ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [١٣] أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء] عَدَلَ وَاللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ» (٥)

وذكر الحافظ ابن كثير رحمته الله عن الإمام أحمد رحمته الله أنه كان يئنُّ في مرضه (٦)، فبلغه

(١) رواه هناد في الزهد (٢/ ٥٤٢). وجاء نحوه عن حسان بن عطية رواه حسين المروزي في زوائده على الزهد (١٠١٣) وابن وهب في الجامع (٤٦٣) وابن أبي شيبه (٢١٨ / ٧) رقم (٣٥٤٨٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨١٨). ورواه الطبري في تفسيره (٤٢٦ / ٢١) عن عمرو بن الحارث، عن هشام الحمصي، أنه بلغه... فذكر نحوه مختصرا.

(٢) قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]

(٣) جامع العلوم والحكم (ح: ١٥)

(٤) مصنف ابن أبي شيبه (٢/ ٤٤٣) رقم (١٠٨٣٠) والزهد لهناد بن السري (٢/ ٥٣٥)

(٥) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٢٩) رقم (٢٩٥٣) عن معمر عن قتادة به. ومن طريق معمر رواه الطبري في تفسيره

(٦) (٢١/ ٤٢٥) ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٨٥) عن يزيد بن إبراهيم، عن الحسن مختصرا.

(٦) انظر: سيرة الإمام أحمد بن حنبل (ص: ١٢٧) لابنه صالح.



عن طاووس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين^(١).
فصبر، فلم يئن ﷻ تعالى حتى مات^(٢)
وهذا من حرصهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى على أعمالهم.
فراقِبْ رَبَّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، واعلم أن أعمالك تُحصى عليك، قال الله ﷻ: ﴿أَحْصَاهُ
اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].



(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٤) عَنْ لَيْثٍ، عَنْ طَاوُوسٍ، قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ابْنُ آدَمَ إِلَّا أَحْصَاهُ عَلَيْهِ حَتَّى أُنِينَهُ فِي مَرَضِهِ». وهو في مسند ابن الجعد (٢٧٢٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٣٥٤١٢) والزهد لهناد (٣٩٦) والصبر والثواب لابن أبي الدنيا (١٨٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١٨/٥) عَنْ لَيْثٍ قَالَ: «حَدَّثْتُ طَلْحَةَ بْنَ مُصَرِّفٍ، فِي مَرَضِهِ أَنَّ طَاوُوسًا كَانَ يَكْرَهُ الْأُنِينَ، فَمَا سَمِعَ طَلْحَةَ يئنُّ حَتَّى مَاتَ».

(٢) تفسير ابن كثير (٢٩٩/٧).

المجلس السادس عشر (١)

قدرة الملائكة على التشكل :

وأعطى الله ﷺ الملائكة القدرة على أن يتشكّلوا بغير أشكالهم. فقد أرسل الله ﷻ جبرائيل إلى مريم في صورة بشر، كما ذكر ذلك سبحانه في كتابه في سورة مريم: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَلْتَحَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم] الآيات.

كذلك أرسل الله ﷻ الملائكة في صورة بشر إلى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود] الآيات.

وجاءت الملائكة إلى نبي الله لوط عليه السلام في صورة شباب حسن الوجوه، وضاق لوط عليه السلام بهم، وحشي عليهم قومه؛ فقد كانوا قوم سوء، يفعلون السيئات، ويأتون الذُّكران من العالمين قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "تبدؤ لهم في صورة شباب حسن امتحانًا واختبارًا حتى قامت على قوم لوط الحجة، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر" (٢).

وقد جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في صفات عدة: فتارة كان يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي عليه السلام - كما تقدّم معنا- وكان صحابيًا جميل الصورة. (٣) وتارة كان يأتي في صورة أعرابي حسن المظهر، شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب، لا يرى عليه أثر السفر. كما جاء في الصحيح من حديث عمر عليه السلام: بينما

(١) كان في يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) البداية والنهاية (٩١/١)، وانظر تفسير ابن كثير (٣٣٦/٤).

(٣) انظر ما تقدم في مبحث: الإيمان بالرسول (٣٧/٢) من هذه السلسلة المباركة.

نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر... الحديث، وهو حديث مشهور معروف، وأخبر النبي ﷺ بعد ذلك الصحابة بـ «أن هذا جبريل أتاكم يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

ورأت أمنا عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ واضعاً يده على مَعْرِفَةٍ^(٢) فرس دحية الكلبي يُكَلِّمُه، فلما سألته عن ذلك، قال: «ذَٰكَ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَهُوَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ»^(٣).

وقد أخبر النبي ﷺ في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً: أنه لما هاجر تائباً جاءه الموت في منتصف الطريق إلى الأرض التي هاجر إليها قال في الحديث: «فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فحكّموا فيهم ملكاً جاءهم في صورة آدمي»، يقول ﷺ: «فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين». والحديث في الصحيحين^(٤).

سرعة الملائكة:

وكذلك جاء في السنة ما يدل على عِظَمِ سرعتهم، وأنهم سريعون جداً، فسرعة الملائكة فوق ما يُتَصَوَّر؛ فإن السائل لا يكاد ينتهي من سؤاله للنبي ﷺ إلا وينزل جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض، فينزل بالوحي إلى النبي ﷺ، ولا يخفى كم مقدار المسافة بين السماء والأرض. وقد روى عاصم بن أبي النجود، عن زبّ بن حبّيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْبِيِّ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْبِيِّ إِلَى الْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) المَعْرِفَةُ: موضع العُرْف من الفرس، والعُرْف: شعر العنق. انظر القاموس المحيط، والمعجم الوسيط مادة (عرف).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٤٤٦٢، ٢٥١٣١) عن مجالد، وهو ضعيف - عن الشَّعْبِيِّ، عن أَبِي سَلَمَةَ، عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ، وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا، قُلْتُ: رَأَيْتِكَ وَاضِعًا يَدَيْكَ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتِ تُكَلِّمُهُ، قَالَ: «وَرَأَيْتِيهِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «ذَٰكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ» قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ صَاحِبِ وَدَخِيلٍ، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ، وَنِعْمَ الدَّخِيلُ - والدَّخِيلُ: الضَّيْفُ -.

(٤) البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ^(١)

علم الملائكة:

وأخبرنا الله ﷺ عن علمهم، وأن الله ﷻ علمهم علماً آتاهم إياه: قال الله ﷻ في قصة آدم عليه السلام: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة]. فالإنسان يتميز بالقدرة على التعرف على الأشياء واكتشاف سنن الكون والملائكة يعلمون ذلك بالتلقي المباشر عن رب العالمين - سبحانه - ولهذا يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنفطار].

اختصاص الملائكة في الملائ الأعلى:

أخبرنا النبي ﷺ أن الملائكة تختصم في الملائ الأعلى: يعني تتحاور فيما خفي عليها من وحي ربها ﷻ. كما روى الترمذي وأحمد عن مالك بن يحيى، أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: اِحْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنِ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قُرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا، فَثَوَّبَ بِالصَّلَاةِ وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ [دَعَا بِصَوْتِهِ فَ] قَالَ [لَنَا]: « كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ ». ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: « [أَمَا] إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، [فَتَوَضَّأْتُ] فَصَلَّيْتُ مَا قَدَّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي [فَاسْتَثَقَلْتُ] [حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ]، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ [قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ] أَتَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدَتْ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ [قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ] فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكُفَّارَاتِ. قَالَ: وَمَا الْكُفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكُرْبِيَّاتِ. قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ [وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ: ثُمَّ فِيْمَ؟] قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ

(١) حديث حسن؛ رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٨١) وابن خزيمة في التوحيد (٢٤٣/١) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠٢/٩) رقم (٨٩٨٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٥١).

وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا»^(١)

وعن أبي قلابة عن ابن عباس رضي الله عنه - عند أحمد والترمذي - أن النبي ﷺ قال: «آتَانِي رَبِّي ﷺ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - أَحْسَبُهُ يَعْنِي فِي التَّوَمِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ - أَوْ قَالَ: نَخْرِي - فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِي الْكُفَّارَاتِ وَالذَّرَجَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكُفَّارَاتُ وَالذَّرَجَاتُ؟ قَالَ: الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِبْلَغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيْوَمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالذَّرَجَاتُ: بَدَلُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٢).

فدل على تحاورهم في العلم وتساؤلهم فيما بينهم.

انتظام صفوف الملائكة:

كذلك كان النبي ﷺ إذا سَوَى الصفوف يقول: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى، وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ»^(٣) أخرجه مسلم

(١) مسند أحمد (٢٢١٠٩) والسياق له، وسنن الترمذي ت شاكر (٣٢٣٥) وما بين معكوفين منه وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. هَذَا أَصْحَحُ مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ،... إلخ. وضححه الألباني في إرواء الغليل (١٤٨/٣).

(٢) مسند أحمد (٣٤٨٤) وسنن الترمذي ت شاكر (٣٢٣٣) وأبو قلابة لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه. لكن الحديث في الشواهد. ولذا قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٤): صحيح لغيره. اهـ وانظر: إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل (٦٨٤).

(٣) صحيح مسلم (٤٣٠) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

فهذا يدل على أن الملائكة منظمون في عبادتهم لربهم ﷻ.

عصمة الملائكة :

وأخبرنا ربنا ﷻ عن شأن الملائكة وأنهم عباد معصومون. قال الله - سبحانه - في وصف الملائكة الذين هم على النار: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴾ ثم قال في وصفهم: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرُهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم] وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء]. فتأمل قوله تعالى: ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ يدلُّك على أنهم لا يعصون ربهم ﷻ وأنهم مستجيبون لأمر الله ﷻ.

قال القاضي عياض رحمته الله: أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي ...، وذهبت طائفة إن أن هذا خصوص المرسلين منهم والمقرين، واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير ... والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ... فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقله المفسرين ... فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره، وهذه الأخبار من كتب اليهود وأقربائهم... ومما يذكرونه قصة إبليس وأنه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة إلى آخر ما حكوه ... وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر ينفون ذلك وأنه أبو الجن كما آدم أبو الإنس ... ومما روه في الأخبار أن خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم فأبوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله إلا إبليس في

أخبار لا أصل لها ترددها صحاح الأخبار فلا يشتغل بها والله أعلم اهـ^(١)

خشية الملائكة وخوفهم من الله :

أخبرنا ربنا ﷺ عن عبادة الملائكة لربها ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]. وقال في وصفهم ﷻ: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنبياء] فهم شديدو الخوف من الله ﷻ. وقال ﷻ في كتابه الكريم مبيِّنا علو مكانتهم في طاعته وعبادته: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

صح عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: «يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [وَلَهُ كِفَتَانِ]، فَلَوْ وُضِعَتْ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ [وَمَنْ فِيهِنَّ] لَوَسَعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، لِمَنْ تَزَنُّ بِهَذَا؟ قَالَ: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، [قَالَ: وَيُوضَعُ الصَّرَاطُ، وَهُوَ كَحَدِّ الْمَوْسَى]، [فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا مَنْ تُحِيزُ عَلَيَّ هَذَا، فَيَقُولُ: أُجِيزُ عَلَيْهِ مَنْ شِئْتُ] فَيَقُولُونَ - أي الملائكة -: [رَبَّنَا] سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»^(٢)

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (١٧٤ / ٢)

(٢) صحيح رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (١٣٥٧) - ومن طريقه الآجري في الشريعة (٨٩٥) - ويحيى بن سلام في تفسيره (٣١٨/١) وأسد بن موسى في الزهد (٦٦) وابن الأعرابي في المعجم (١٨٢٧) والآجري في الشريعة (٨٩٤) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٢٠٨، ٢٢٢١)، وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٩٥) "جملة الصراط" ورواه الحاكم في المستدرک (٨٧٣٩) من طريق المسيب بن زهير عن هدية بن خالد ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان به مرفوعا. وقال: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ". وتعقبه الشيخ الألباني فقال: وفيه نظر، فإن هدية بن خالد وإن كان من شيوخ مسلم، فإن الراوي عنه المسيب بن زهير لم أر من وثقه، وقد ترجم له الخطيب (١٤٩ / ١٣) وكناه أبا مسلم التاجر، وذكر أنه روى عنه جماعة، وأنه توفي سنة (٢٨٥)، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. وقد رواه الآجري في " الشريعة " (٣٨٢) عن عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن سلمة به موقوفا على سلمان. وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي اهـ. قلت: وتويع معاذ - وهو العنبري - على وقفه فقد رواه أيضا أسد بن موسى في الزهد، والحسن بن موسى - عند ابن أبي شيبة -، وأبو نصر التمار - عند ابن أبي الدنيا - كما في البداية والنهاية (١١٠ / ٢٠) - واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد؛ والأسود بن عامر - عند ابن الأعرابي - كلهم (أسد والحسن بن موسى والتمار، والأسود) عن حماد به موقوفا. وله حكم الرفع كما تقدم وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٤١). والسياق للمروزي والزيادات لللالكائي ومعه ابن الأعرابي في الثانية والثالثة والخامسة وللآجري الثانية والخامسة.

وفي الإبانة لابن بطة بسند حسن عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِعِبَادَتِهِ أَصْنَافًا، فَإِنَّ مِنْهُمْ الْمَلَائِكَةَ قِيَامًا صَافِينَ مِنْ يَوْمِ خَلَقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَلَائِكَةَ رُكُوعًا خُشُوعًا مِنْ يَوْمِ خَلَقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَلَائِكَةَ سُجُودًا مُنْذُ خَلَقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَجَلَّى لَهُمْ تَعَالَى، وَنَظَرُوا إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، قَالُوا: سُبْحَانَكَ، مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»^(١)

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى، وَجِبْرِيلَ كَالْحَلِيسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»^(٢) وَالْحَلِيسُ: مَا وَلِيَ الْبَعِيرَ تَحْتَ الرَّحْلِ^(٣).

تسبيح الملائكة وذكرهم لله :

وجاء في الأدلة الشرعية شيء من بيان عبادتهم وتعبدهم لربهم صلى الله عليه وسلم فمن ذلك: التسبيح والذكر؛ يقول ربنا صلى الله عليه وسلم: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [غافر: ٧] وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وأخبرنا ربنا صلى الله عليه وسلم أن تسبيح الملائكة دائم ليلاً ونهاراً لا ينقطع، يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾^(٤) [الأنبياء].

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبِّحون على الحقيقة؛ فإن الله يقول مخبراً عنهم: أنهم قالوا: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾^(٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾^(٦) [الصافات]. وما ذلك إلا لكثرة تسبيحهم وثنائهم على ربهم صلى الله عليه وسلم فهم يقومون ويركعون ويسجدون لربهم صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٌ قَدِمَ

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٣) والبيهقي في كتاب الرؤية - كما في الحباثك في أخبار الملائك للسيوطي (١٤٧) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٦ / ٩) وابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (٢٠٢٦ / ٤) - وسنده حسن. وهو في التاريخ الكبير للبخاري (٨ / ٢) ت المعلمي اليماني) مختصراً - ومن طريقه الخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (٨٤٩ / ٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٧ / ٩) -.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤١٤) وابن أبي عاصم في السنة (٦٢١) والطبراني في الأوسط (٤٦٧٩) وقوام السنة في الحجة (٢٤٨) وابن مردويه كما في الدر المنثور (٥ / ٢١٦) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٨٩)

(٣) انظر: كتاب العين للخليل (٣ / ١٤٢) وتهذيب اللغة للأزهري (٤ / ١٨١)

إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ، وَذَلِكَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴾ (١٦٦) ﴿ [الصفات] ﴾ رواه المروزي (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ مِنَ السَّمَوَاتِ لَسَّمَاءَ مَا مِنْهَا مَوْضِعٌ شِبْرٍ، إِلَّا عَلَيْهَا جِبْهَةٌ مَلِكٌ أَوْ قَدَمَاهُ قَائِمًا أَوْ سَاجِدًا» ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿ [الصفات] ﴾ رواه عبد الرزاق في تفسيره والمروزي، وهذا موقف لكنه في حكم المرفوع. (٢)

وروى المروزي أيضا عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ» (٣)

ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم البيت المعمور في السماء قال عند الصلاة والسلام: «يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» (٤) والبيت المعمور هو للملائكة كالكعبة في الأرض وهو حيال الكعبة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فهو محاذ للكعبة، فهم يحجون إلى البيت المعمور في السماء.

وتقدم أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «... وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحَ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ... الحديث» (٥)

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي دَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢٥٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥٠٨) الكنى والأسماء للدولابي (١٨٢٤). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٥٩).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢٥٦٥) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢٥٤)، وشعب الإيمان للبيهقي (١٥٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٥٩).

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢٥٩) وسنده صحيح ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٥٦٨) والكبير (٢/ ١٧٥١/١٨٤) - وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٤٠٣) - مرفوعا فذكره وزاد: «... فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، إِلَّا أَنَا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا» وسنده ضعيف.

(٤) تقدم تخريجه في المجلس الخامس عشر.

(٥) تقدم في مبحث حملة العرش

«مَا اضْطَمَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(١)

قول الملائكة آمين:

روى مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه^(٢). قال الحافظ ابن رجب: الحديث على ظاهره، وأن الملائكة في السماء تؤمن على قراءة المصلين في الأرض للفاحة اهـ^(٣)

وروى مالك أيضاً، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، أنهما أخبراه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ، فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَاَفَّقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه^(٤) وفي رواية: للبخاري «إِذَا أَمَّنَ الْقَارِئُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤْمِنُ، فَمَنْ وَاَفَّقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٥)

وروى مالك أيضاً عن سمي، مولى أبي بكر، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاحة] فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَاَفَّقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري^(٦)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ

(١) صحيح مسلم (٢٧٣١)

(٢) موطأ مالك ت عبد الباقي (٨٨ / ١) رقم (٤٦) ومن طريقه رواه البخاري (٧٨١) ومسلم (٧٤/٤١٠)

(٣) فتح الباري لابن رجب (١٠٢ / ٧).

(٤) موطأ مالك ت عبد الباقي (٨٧ / ١) رقم (٤٥) ومن طريقه رواه البخاري (٧٨٠) ومسلم (٧٢/٤١٠)

(٥) صحيح البخاري (٦٤٠٢)

(٦) موطأ مالك ت عبد الباقي (٨٧ / ١) رقم (٤٥) ومن طريقه رواه البخاري (٧٨٢) ورواه مسلم من طريق

سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا بِلَفْظٍ: «إِذَا قَالَ الْقَارِئُ: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

[الفاحة: ٧] فَقَالَ: مَنْ خَلَقَهُ: آمِينَ، فَوَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

قَالَ: الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ^(١).

قول الملائكة اللهم ربنا لك الحمد:

وروى مالك، عَنْ سُمَيِّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَاقَفَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه^(٢)

استجابة الملائكة لما يوكل إليهم من الأعمال:

كذلك جاءت الأدلة ببيان ما هم عليه من التعبد لربهم تعالى في استجابتهم لكل الأعمال التي تُوكل إليهم. كما في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتِحْ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٣) فهُمْ مطيعون لربهم، منظمون في أعمالهم تعالى.

محاورة الملائكة لله تعالى في خلق آدم عليه السلام:

ومن أخبار الملائكة ما قصَّ الله تعالى علينا من شأنهم في قصة آدم عليه السلام، وأنهم حاوروا ربهم تعالى فسألوه عن الحكمة من خلق الإنسان: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]

وما هذه المحاورة مع ربهم تعالى إلا لعلو مكانتهم عند الله. والله تعالى لما خلق آدم وبيّن فضله عندهم بعلمه، وأمرهم بالسجود له أذعنوا لربهم تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [ص].

غسل الملائكة لآدم عليه السلام عند وفاته:

ومن أعمال الملائكة التي جاء بيانها في السنة أنهم تولّوا غسل آدم عليه السلام لما تُوفّي، فقد جاء في معجم الطبراني عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا تُوفِّيَ آدَمُ غَسَلَتْهُ

(١) صحيح مسلم (٢٧٣٣).

(٢) موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ٨٨) رقم (٤٧) ومن طريقه رواه البخاري (٧٩٦، ٣٢٢٨) ومسلم (٤٠٩).

(٣) مسلم (١٥٧).

المَلَائِكَةُ بِالْمَاءِ وَتَرًا، وَلِحِدِّ لَهٗ، وَقَالَتْ: هَذِهِ سُنَّةُ آدَمَ وَوَلَدِهِ^(١).

وروي عن أبي بن كعبٍ موقوفا، قال: «إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ بَنِي إِيَّيْ أَشْتَهِي مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَمَعَهُمْ أَكْفَانُهُ وَحَنُوطُهُ، وَمَعَهُمُ الْفُؤُوسُ وَالْمَسَاجِي وَالْمَكَاتِلُ، فَقَالُوا لَهُمْ: يَا بَنِي آدَمَ، مَا تُرِيدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ، أَوْ مَا تُرِيدُونَ وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟، قَالُوا: أَبُونَا مَرِيضٌ فَاشْتَهَى مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، قَالُوا لَهُمْ: ارْجِعُوا فَقَدْ فُضِيَ قَضَاءُ أَبِيكُمْ. فَجَاءُوا، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ حَوَاءٌ عَرَفَتْهُمْ، فَلَادَتْ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنِّي إِنَّمَا أُوتِيتُ مِنْ قِبَلِكَ، خَلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي ﷻ. فَغَسَّوهُ، وَغَسَّلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَحَنَطُوهُ، وَحَفَرُوا لَهُ وَأَلْحَدُوا لَهُ، وَصَلَّوْا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلُوا قَبْرَهُ فَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ اللَّيْنِ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْقَبْرِ، ثُمَّ حَثَّوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ، ثُمَّ قَالُوا: يَا بَنِي آدَمَ هَذِهِ سُنَّتُكُمْ^(٢)».

غسل الملائكة لحنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه:

ومن الصحابة صحابيٌّ أكرمه الله ﷺ بأن الملائكة غسلته، وهو: حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه المشهور بالغسيل. استشهد في معركة أحد. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ» فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِجَةَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِذَلِكَ غَسَلْتُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٣).

نزول الملائكة مع عيسى بن مريم عليه السلام:

ففي صحيح مسلم عن التَّوَّائِسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ، فَحَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّحْلِ، ... فذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ قَالَ ﷺ: «...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ - يَعْنِي الدَّجَالَ - إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَأَضْعَا كَفَّيْهِ عَلَى أُجْنَحَةِ مَلَكَائِينَ، ...»

(١) الطبراني في الأوسط (٨٢٦١، ٩٢٥٩)، والحاكم (٤٠٠٤) وصححه. ووافقه الألباني كما في السلسلة الضعيفة (٤٠٦/٦).

(٢) رواه عبد الله في زوائد مسند أبيه (١٦٢/٣٥) رقم (٢١٢٤٠) ومن طريقه الضياء في المختارة (١٩/٤) وصححه الألباني كما في السلسلة الضعيفة (٤٠٥/٦).

(٣) رواه ابن حبان (٧٠٢٥)، والحاكم (٤٩١٧)، والبيهقي في سننه (٦٦٠٥) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

الحديث (١)

محبة الملائكة للمؤمن:

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ...» (٢).

فهنيئاً لك أيها المؤمن محبة هؤلاء الخلق المباركين لك ولاستقامتك على طاعة الله سبحانه.

تسديد الملائكة للمؤمن:

وجاء عن النبي ﷺ أن الملائكة تسدد العبد المؤمن؛ فإن النبي ﷺ كان يدعو لحسان ويقول: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (٣) يعني جبريل، أي: سدّده به.

وفي المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ - يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ - إِلَّا بِبَابِهِ رَايَتَانِ: رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللَّهُ ﷻ، اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ» (٤).

وفي الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم عن عبد الله بن الحارث قال: نا ميثم، رجُلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قال: بلغني «أَنَّ الْمَلَكَ يَغْدُو بِرَايَتِهِ مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَزَالُ بِهَا مَعَهُ حَتَّى يَرْجِعَ يَدْخُلُ بِهَا مَازِلَهُ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَغْدُو مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو بِرَايَتِهِ إِلَى السُّوقِ فَلَا يَزَالُ بِهَا حَتَّى يَرْجِعَ فَيَدْخُلُهَا مَازِلَهُ» (٥).

وفي سنن الترمذي عن ابن جريج عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ - يَعْنِي: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ - بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٧)

(٢) البخاري (٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.(٣) البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) مسند أحمد (٨٢٨٦) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٩٩)

(٥) الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٢٧١٥) ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٣٥٤) وصححه إسناده

الحافظ في الإصابة ط هجر (٣٥٨/١٠) ووافقه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٢٢).

اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفَيْتَ، وَوُقِيْتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»^(١)

صلاة الملائكة على النبي ﷺ :

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].
وقال البخاري رحمه الله: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «صَلَاةُ اللَّهِ: تَنَاوُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُصَلُّونَ: يَبْرِّكُونَ.^(٢)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: هَكَذَا عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْهُمَا. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ كَذَلِكَ^(٣). وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنِ الرَّبِيعِ أَيْضًا. وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَوَاهُمَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَقَالَ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ^(٤): وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَعَبْدِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: «صَلَاةُ الرَّبِّ: الرَّحْمَةُ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الْإِسْتِغْفَارُ»^(٥) اهـ.

وقد رجح ابن القيم قول أبي العالوية؛ وضعف تفسير الصلاة بالرحمة والاستغفار من عدة أوجه وذكر أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة وإنما المعروف عند العرب إنما هو الدعاء والتبريك والثناء ولا تُعْرَفُ الْعَرَبُ «صلى عليه» بمعنى «رحمه»^(٦).

صلاة الملائكة على المؤمن :

والملائكة كذلك تصلي على عباد الله المؤمنين أي: تدعو لهم وتستغفر لهم، قال ﷻ:

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٦) وأبو داود (٥٠٩٥) وقال الترمذي في العلل الكبير (ص: ٣٦٢/ترتيبه): سألت محمداً -يعني شيخه الإمام البخاري- عن هذا الحديث فقال: ... لا أعرف لابن جريج، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة غير هذا الحديث. ولا أعرف له سماعاً منه اهـ. وقال الدارقطني في العلل (١٣/١٢): والصحيح أن ابن جريج لم يسمعه من إسحاق اهـ وانظر: نتائج الأفكار (١/١٦٥) للحافظ -وقد حسنه لما له من شواهد-. وانظر: تخريج «الذكر والدعاء» للشيخ ياسر فتحي (١/١١٦)

(٢) صحيح البخاري (٥٣٢/٨/مع الفتح).

(٣) رواه القاضي أبو إسحاق الجهمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٥) قال: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: ثنا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ.

(٤) سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر (٣٥٦/٢).

(٥) تفسير ابن كثير، سورة الأحزاب (٦/٤٥٧).

(٦) جلاء الأفهام (ص: ٢٥٣-٢٧٦/ط مشهور) وانظر: كتاب حقوق النبي ﷺ على أمته لشيخنا د. محمد بن خليفة التميمي (٢/٥٠٦-٥١٢).

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب].

تبليغ الملائكة سلام المؤمن على النبي ﷺ :

روى الإمام النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَبْلُغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»^(١)
وروي - بسند لا يصح - عن أبي أمامة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا بِهَا مَلَكَ مُوَكَّلٌ بِهَا حَتَّى يُبْلَغَ بِهَا»^(٢)
وأخرج أصحاب السنن إلا الترمذي عن أويس بن أويس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ: خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبُضُ، وَفِيهِ التَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنْ صَلَّاتَكُمْ مَعْرُوضَةً عَلَيَّ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: "وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَّاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟" يَقُولُونَ بَلَيْتَ. فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٣).

تعظيم الملائكة لطالب العلم :

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثِ بَلْعَنِي، أَنْتَ تَحَدِّثُهُ،

(١) سنن النسائي (١٢٨٢) وأخرجه أحمد (٣٦٦٦) والدارمي (٢٨١٦) وأبو يعلى (٥٢١٣) والبزار (١٩٢٣) وصححه ابن حبان (٩١٤) والحاكم (٣٥٧٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥٣) وقال شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٦٢) حديث صحيح على شرط مسلم. وهو الصواب أنه صحيح فقط كما قال الحاكم والألباني، وليس على شرط مسلم فإنه من رواية: الثوري، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود. ولم يرو مسلم لابن السائب عن زاذان ولا للثوري عن ابن السائب. وليس لعبد الله بن السائب في صحيح مسلم إلا حديث واحد من رواية سليمان الشيباني، عنه عن عبد الله بن مفضل. ولزاذان في صحيح مسلم حديثان من رواية ذكوان وعمرو بن مرة عنه فقط.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٤ / ٨) رقم (٧٦١١) وفي مسند الشاميين (٣٤٤٥) - ومن طريقه الشجري في أماليه (١٣٠ / ١) - وهو حديث واهي الإسناد، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٦٢): ... فيه موسى بن عمير القرشي الأعمى، وهو ضعيف جدا. هـ وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٦٣)

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥)، والنسائي (١٣٧٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ط غراس (٩٦٢) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٦٩٦).

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(١)

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: عَدَوْتُ عَلَى صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْجِعِ عَلَى الْحُقَيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ، قَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ^(٢)

وفي رواية عَنْ صَفْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَّكِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بُرْدٍ لَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، (إِنَّ) طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحْفُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ، ...» الْحَدِيثَ^(٣)

وقوله في الحديث: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ»

يحتمل - عند أهل العلم وجوها - منها: أن يكون محمولا على الحقيقة - وإن لم يُشاهد ذلك الوضع - ومعناه بسط أجنحتها وفرشها لطالب العلم لتكون وطاء له ومعونة إذا مشى في طلب العلم. أو يكون بمعنى التواضع من الملائكة تعظيما لحق طالب

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢١) وصححه ابن حبان (٨٨) وحسنه الألباني

لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠)

(٢) أخرجه أحمد (١٨٠٨٩) واللفظ له والترمذي (٣٥٣٥) وابن ماجه (٢٢٦) وصححه ابن خزيمة (١٩٣) وابن

حبان (٨٥، ١٣١٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٥) وانظر: إرواء الغليل (١٠٤)

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٥٤) رقم (٧٣٤٧) ورواه أبو القاسم البغوي في المعجم (١٢٨٠) وابن

أبي حاتم في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٣/٢) وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٤٢/٨) وأبو

نعيم في معرفة الصحابة (٣٨١٨) وجود إسناده المنذري وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب

(٧١) والسلسلة الصحيحة (٣٣٩٧)

العلم وتوقيرا لعلمه فتضم أجنحتها له وتخفضها عن الطيران أو أن يراد به النزول عند مجالس العلم والذكر وترك الطيران. قاله الخطابي رحمته الله.^(١)

وقال الحلبي رحمته الله: يحتمل أن يكون في الدنيا، ويحتمل في الآخرة، فإن كان في الدنيا فله وجهان: أحدهما أن يعطف عليه ويرحمه،... والآخر أن يكون المراد بوضع الأجنحة فرشها،... أي إن الملائكة إذا رأت طالب العلم فرشت له أجنحتها في رجليه وحملته عليها فمن هناك يسلم فلا يحفى إن كان ماشياً، ولا يُعنى، ويقرب عليه الطريق البعيد، ولا يصيبه ما يصيب المسافرين من أنواع الضرر كالمرض وذهاب المال وضلال الطريق والحصر والله أعلم اهـ.^(٢)

وقال الحافظ أبو موسى المدني رحمته الله: وذكر أبو الحسين ابن فارس صاحب "كتاب المُجمل" في أماليه، عن علي بن إبراهيم القطن. قال: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: سمعت ابن أبي أويس يقول: سمعت مالكا يقول: معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تَضَع، يعني الملائكة أجنحتها، تبسطها بالدعاء لطالب العلم بدلاً من الأيدي.^(٣)

وقال ابن القيم رحمته الله: ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً وتوقيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم،... لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبهة من الملائكة، وبينه وبينهم تناسب، فإن الملائكة أنصحن خلق الله وأنفعهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدي.^(٤)

كتابة الملائكة لمن يحضر الجمعة:

وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأَ الصُّحُفَ، وَجَاوُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»^(٥).

(١) «معالم السنن» (٤/٦١ و ١٨٣)، وانظر: «شرح السنة للبغوي» (١/٢٧٧) و«شرح المشكاة للطيب» (٢/٦٧٣)

«حاشية السندي على ابن ماجه» (١/٩٧)

(٢) «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/١٩٣)، وانظر: تفسير القرطبي (سورة التوبة، آية: ١٢٢)

(٣) «المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث» (١/٣٦٣)

(٤) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/١٧١ ط عطاءات العلم)

(٥) البخاري (٣٢١١)، ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حضور الملائكة مجالس الذكر:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] مَلَائِكَةً [سَيَّارَةً، فَضْلًا] يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ» قَالَ: «فِيحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» [فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ] قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَيَمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» قَالَ: [قَالُوا: وَيَسْتَعْفِرُونَكَ] «فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ» [قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا] قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: [رَبِّ] فِيهِمْ فُلَانٌ [عَبْدٌ خَطَاءٌ] لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِلْحَاجَةِ [إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ]. قَالَ: [فَيَقُولُ: وَلَهُ عَفَرْتُ] هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» متفق عليه^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...» رواه مسلم^(٢)

تنزل الملائكة لاستماع القرآن:

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَسِيدَ بْنَ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أَسِيدُ:

(١) صحيح البخاري (٦٤٠٨) واللفظ له، وصحيح مسلم (٢٦٨٩) ومنه الزيادات.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

فَحَشِيْتُ أَنْ تَطَّأَ بِحَيِّي، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجْتُ فِي الجَوْحِ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَمَا أَنَا البَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأُ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأُ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأُ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَأَنْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، حَشِيْتُ أَنْ تَطَّأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجْتُ فِي الجَوْحِ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ المَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ» رواه مسلم^(١)

دعوة الملائكة الناس إلى الصلاة:

كما في المعجم الكبير للطبراني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُبْعَثُ مُنَادٍ عِنْدَ حَضْرَةِ كُلِّ صَلَاةٍ فَيَقُولُ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطِئُوا عَنكُمْ مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَتَسْقُطُ خَطَايَاهُمْ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، وَيُصَلُّونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يُوقَدُونَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ صَلَاةِ الأُولَى نَادَى: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطِئُوا مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَيُصَلُّونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، فَإِذَا حَضَرَتِ العَصْرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ المَغْرِبُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ العَتَمَةُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَيَنَامُونَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُمْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمُدْلِجٌ فِي خَيْرٍ، وَمُدْلِجٌ فِي شَرٍّ»^(٢)

وفي المعجم الأوسط عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يَنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَطِئُوهَا بِالصَّلَاةِ»^(٣)

(١) صحيح مسلم (٨٩٦) وهو في صحيح البخاري (٥٠١٨) معلقا.

(٢) المعجم الكبير (١٠/١٤١) رقم (١٠٢٥٢) - وعنه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/١٨٩) -، والأصبهاني قوام السنة في الترغيب والترهيب (١٩٨٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/٧٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٥٢٠).

(٣) المعجم الأوسط (٩٤٥٢) وأخرجه في المعجم الصغير (١١٣٥)، وعنه أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات

دعاء الملائكة لمعلم الناس الخير:

ومن ذلك أن الملائكة تدعو لمعلم الناس الخير: كما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه:
**«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى الثَّمَلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ
يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»** ^(١) أي: يدعون له.

دعاء الملائكة لمن يصلي ويجلس في مصلاه:

والملائكة أيضاً تحضر الجماعة والجمعة مع الناس. وتدعوا لمن لزم مصلاه. يقول
النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ،
اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحَدِّثْ..»** ^(٢).

دعاء الملائكة لأصحاب الصف الأول:

والملائكة تدعو أيضاً لأصحاب الصفوف الأولى، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُولِ»** ^(٣).
فالملائكة يدعون لك وأنت تنتظر الصلاة عقب الصلاة، ويدعون لك وأنت
تتقدم إلى الصف الأول، يدعون لك ويستغفرون لك ربك صلى الله عليه وسلم.

دعاء الملائكة للمتسحرين:

يدعون أيضاً ويستغفرون للصائمين الذين يحرصون على السحور كما جاء في
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ»** ^(٤).

دعاء الملائكة لمن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم:

وكذلك من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه بها عشراً، وكذلك تصلي عليه

الأصفياء» (٤٢/٣) - وسقط من سنده الصحابي وجاء على الصواب في «تقريب البغية بترتيب أحاديث
الخلية» (٥٠٦) للهيثمي -، ورواه الضياء في «الأحاديث المختارة» (١٦١/٧) رقم (٢٥٩٠) وفي سنده ضعف،
ولكنه حسن بما قبله. وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٨) والسلسلة الضعيفة (٣٠٥٧)

(١) الترمذي (٢٦٨٥) وغيره.

(٢) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد (١٨٥١٦)، وأبو داود (٦٦٤) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) رواه الإمام أحمد (٨٦١١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو عند ابن حبان (٣٤٦٧)، والطبراني في

الأوسط (٦٤٣٤)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٥٤، ٣٤٠٩)

الملائكة كما في قول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»^(١).

دعاء الملائكة لمن ينفق ويتصدق ودعاؤهم على المسك :

كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(٢).

وفي المسند عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى، وَلَا آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالًا تَلْفًا»^(٣).

الملائكة تدعو للمؤمن بظهر الغيب وتأمّن على دعائه لأخيه بظهر الغيب :

إذا دعا المؤمن لأخيه المؤمن فإن الملائكة تُؤمّن على دعائه وتدعوه له، يقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ: الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»^(٤).

دعاء الملائكة مستجاب :

ومعنى ذلك أنها دعوة مستجابة؛ فإن الملائكة تُؤمّن على الخير، وتؤمّن على الأمر

(١) رواه ابن ماجه (٩٠٧) وأحمد (١٥٦٨٠) من حديث عامر بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو في صحيح الترغيب (١٦٦٩).

(٢) صحيح البخاري (١٤٤٢) وصحيح مسلم (١٠١٠).

(٣) مسند أحمد (٢١٧٢١) وصححه ابن حبان (٣٣٢٩، ٦٨٦) والحاكم (٣٦٦٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٣) وقال على شرط مسلم. وهو الصواب أنه حديث حسن وليس على شرط مسلم فالحديث من رواية قتادة، عن خليلد العصري، عن أبي الدرداء. وخليد روى له مسلم حديثا واحدا متابعه من رواية أبي الأشهب جعفر بن حيان العطاردي عنه عن الأحنف. وخليد روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات وحديثه هذا يشهد له ما قبله.

(٤) صحيح مسلم (٢٧٣٣).

المستجاب كما قال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُو عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»^(١).

استغفار الملائكة لمن عاد مريضاً:

فإنه «مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمَسِيًّا، إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ آتَاهُ مُصْبِحًا، خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمَسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ» هكذا جاء عن النبي ﷺ في سنن أبي داود وغيره من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢).

استغفار الملائكة للمؤمنين:

والملائكة تستغفر للمؤمنين كما قال الله ﷻ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥] وكما قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

قال ابن القيم: فإن الملائكة أنصَح خلق الله وأنفعهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى. ومن نفعهم لبني آدم ونصحهم أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويثبتون مؤمنينهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين، ويحرصون على مصالح العبد أضعاف حرصه على مصلحة نفسه، بل يريدون له من خير الدنيا والآخرة ما لا يريد العبد ولا يخطر له ببال.^(٣)

الدعاء عند سماع صياح الديكة لأنها ترى الملائكة:

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) رواه أبو داود (٣٠٩٨، ٣٠٩٩) موقوفاً ومرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ط غراس (٢٧١٣)

(٣) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/١٧١ ط عطاءات العلم)

مَنْ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»^(١)

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رحمته الله: وذلك - والله أعلم - لتأمين الملائكة على دعاء بني آدم، واستغفارهم له فرحاً ببركة ذلك، وحسن عون الملك به، إذا دعا بحضرتة بالتأمين والاستغفار له، وإشهاده له بالتضرع إلى الله والإخلاص ا.هـ^(٢)

وقال القرطبي رحمته الله: وكأنه إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء عند صراخ الديكة لتؤمن الملائكة على ذلك الدعاء، فتتوافق الدعوات، فيستجاب للداعي، والله أعلم ا.هـ^(٣)

سؤال النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى أن تصلي الملائكة على من أطعمه :

روى البزار من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَزُورُ الْأَنْصَارَ، فَإِذَا جَاءَ إِلَى دُورِ الْأَنْصَارِ جَاءَ صَبِيَانُ [الْأَنْصَارِ] [فَ] [يَدُورُونَ] حَوْلَهُ فَيَدْعُو لَهُمْ وَيَمْسُحُ رُءُوسَهُمْ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَابَ سَعْدٍ [بِئْنِ عِبَادَةٍ] فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ [وَبَرَكَاتُهُ]» فَرَدَّ سَعْدٌ فَلَمْ يَسْمَعْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم [رَدَّهُ] حَتَّى سَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ تَسْلِيمَاتٍ فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا انْصَرَفَ فَرَجَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ سَعْدٌ مُتَبَادِرًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا سَلَّمْتُ تَسْلِيمَةً إِلَّا قَدْ سَمِعْتُهَا وَرَدَدْتُهَا عَلَيْكَ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تُكْثِرَ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامِ وَالرَّحْمَةِ [فَ] [أَدْخُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَخَلَ، فَجَلَسَ [فَتَحَدَّثْنَا] فَقَرَّبَ إِلَيْهِ سَعْدٌ طَعَامًا فَأَصَابَ مِنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا أَرَادَ [النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم] أَنْ يَنْصَرِفَ قَالَ: «أَكَلْ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(٤).

(١) صحيح البخاري (٣٣٠٣) وصحيح مسلم (٢٧٢٩). ومن لطائف هذا الحديث أنه قد أخرجه الأئمة الخمسة عن شيخ واحد، وهو قتيبة بن سعيد، فالبخاري أخرجه في "بدء الخلق" ومسلم هنا في "الدعوات"، وأبو داود في "الأدب"، والترمذي في "الدعوات"، والنسائي في "التفسير"، وفي "عمل اليوم والليلة"، فكلهم عن قتيبة، عن الليث بن سعد، عن جعفر بن ربيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه عن قتيبة أيضا: ابن أبي شيبة في مصنف (١٠١/٦) رقم (٢٩٨٠٥)

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٢٤/٨)، وانظر: شرح النووي على مسلم (٤٧/١٧)

(٣) وقال المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٨/٧)

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٦٨٧٢) قال حدثنا محمد بن عبد الملك -وهو ابن أبي الشوارب- حدثنا جعفر به. وسنده حسن. ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٧٧) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَزِيمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا

قال العلامة الألباني رحمته الله: اعلم أن هذا الذكر ليس مقيدا بالصائم بعد إفطاره بل هو دعاء لصاحب الطعام بالتوفيق حتى يفطر الصائمون عنده وينال أجر إفطارهم فهو كالجملتين الآخرين: "أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة" وهو بالنسبة إلينا لا يمكن أن يكون إلا دعاء كما لا يخفى وليس في الحديث التصريح بأنه صلى الله عليه كان صائما فلا يجوز تخصيصه بالصائم اهـ (١)

تسليم الملائكة على إبراهيم عليه السلام :

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ [هود: ٦٩]

تسليم الملائكة على نبينا عليه الصلاة والسلام :

وتقدم حديث ملك الجبال وسلامه على النبي صلى الله عليه وسيأتي أحاديث في مبحث نزول الملائكة بالبشرى فيها تسليم الملائكة عليه السلام على نبينا صلى الله عليه.

تسليم الملائكة على أهل الجنة :

وقال تعالى: ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]

محمد بن عبد الملك به. وله الزيادات إلا الغانية والسادسة والثامنة. وهي مع الزيادة الرابعة للبيهقي في الآداب (٤٧٠) ومع الزيادة الخامسة في الدعوات الكبير (٥١١) رواه بسنده عن محمد بن إسحاق الصاغاني قال حدثنا محمد بن عبد الملك به. ورواه في السنن الكبرى (١٤٦٧٤) ولم يسق لفظه. والحديث رواه أبو داود (٣٨٥٤) وأحمد (١٢٤٠٦) وغيرهما عن معمر عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به. مطولا ومختصرا، وقال معمر: عن أنس أو غيره. وهذا سند ضعيف. فإن في رواية معمر عن ثابت مقالا. قال الحافظ - كما في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ط ابن كثير (٢٠٤/٥) -: لأن معمر وإن احتج به الشيخان فروايته عن ثابت بخصوصه مقدوح فيها. قال علي بن المديني: في رواية معمر عن ثابت غرائب منكرة. وقال يحيى بن معين: أحاديث معمر عن ثابت لا تساوي شيئا. وساق العقيلي في الضعفاء عدة أحاديث من رواية معمر عن ثابت منها هذا الحديث، وقال: كل هذه الأحاديث لا يتابع عليها، وليست بمحفوظة، وكلها مقلوبة. وليس عند البخاري من رواية معمر عن ثابت سوى موضع واحد متابعة، وأورده مع ذلك معلقاً، وله عند مسلم حديثان أو ثلاثة كلها متابعة. وفي هذا السند مع ذلك علة أخرى، وهي التردد بين أنس وغيره عند الإمام أحمد، لاحتمال أن يكون الغير غير صحابي اهـ.

(١) آداب الزفاف في السنة المطهرة (ص: ١٧١)

تسليم الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه:

وفي صحيح مسلم عن مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أَحَدْتُكَ حَدِيثًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ: ... فذكر الحديث وفيه: «وَقَدْ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، حَتَّى أَكْتَوَيْتُ، فَتَرَكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ»^(١)

وفي سنن أبي داود عن مُطَرِّفٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ صلوات الله عليه عَنِ الْكَيِّ فَأَكْتَوَيْنَا، فَمَا أَفْلَحْنَا، وَلَا أُنْجِحْنَا» قَالَ أَبُو دَاوُدَ رحمته الله: وَكَانَ يَسْمَعُ تَسْلِيمَ الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا أَكْتَوَى انْقَطَعَ عَنْهُ فَلَمَّا تَرَكَ رَجَعَ إِلَيْهِ اهـ.^(٢)

وفي الطبقات لابن سعد عن مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أَشَعَرْتَ أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، فَلَمَّا أَكْتَوَيْتُ انْقَطَعَ التَّسْلِيمُ، فَقُلْتُ: أَمِنْ قِبَلِ رَأْسِكَ كَانَ يَأْتِيكَ التَّسْلِيمُ أَوْ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْكَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ قِبَلِ رَأْسِي، فَقُلْتُ: لَا أَرَى أَنْ تَمُوتَ حَتَّى يَعُودَ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ قَالَ لِي: أَشَعَرْتَ أَنَّ التَّسْلِيمَ عَادَ لِي؟ قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ رضي الله عنه.^(٣)

تسليم جبريل عليه السلام على خديجة رضي الله عنها:

في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صلوات الله عليه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ"^(٤).

تسليم جبريل عليه السلام على عائشة رضي الله عنها:

وفي الصحيحين أيضا أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «يَا عَائِشُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ [وَبَرَكَاتُهُ]. قَالَتْ:

(١) صحيح مسلم (١٢٦٦).

(٢) سنن أبي داود (٣٨٦٥) وصححه الحاكم في المستدرک (٨٢٨٤) على شرط مسلم اهـ. قلت: أما إسناد أبي داود فهو كذلك وقد صححه شيخنا الوادعي على شرط مسلم في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣١٣٩)، وأما إسناد الحاكم فالصحيح أن نقول: صحيح رجاله رجال مسلم.

(٣) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٤/٢٨٩) ورواه الإمام أحمد في الزهد (٨٠٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧١٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٢).

وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى^(١).

رد الملائكة للسلام:

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا-، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خَلَقَ اللَّهُ تعالى آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَيَّ أَوْلِيكَ التَّفَرِّ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعَ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَ فَرَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ» متفق عليه^(٢)

وفي المسند عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ أَهْلِي أُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَإِذَا بِهِ قَائِمٌ، وَرَجُلٌ مَعَهُ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُمَا حَاجَةً، قَالَ: فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ قَامَ بِكَ الرَّجُلُ حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قَالَ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَدْرِي مَنْ هُوَ؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَلَّمْتَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ»^(٣)

وفي المسند أيضاً عَنْ حَارِثَةَ بْنِ التُّعْمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام جَالِسٌ فِي الْمَقَاعِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَجَزْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ وَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «هَلْ رَأَيْتَ الَّذِي كَانَ مَعِيَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ»^(٤)

وروى البخاري في الأدب المفرد وأحمد عن هشام بن عامر رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجَرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَإِنْ كَانَ تَصَارَمَا فَوْقَ

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٧) ومسلم (٢٤٤٧) واللفظ له والزيادة من البخاري.

(٢) صحيح البخاري (٣٣٢٦، ٦٢٢٧) وصحيح مسلم (٢٨٤١)

(٣) مسند أحمد (٢٠٣٥٠، ٢٣٠٩٣) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤٠٣/٣) وفي صحيح الترغيب والترهيب

(٢٥٧٢)

(٤) مسند أحمد (٢٣٦٧٧) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٧٢).

ثَلَاثٍ فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا، وَأَوْلُهُمَا فَيئًا فَسَبَقَهُ بِالْفِيءِ، كَفَارَتُهُ
فَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامُهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَرَدَّ عَلَى الْآخِرِ
الشَّيْطَانُ، فَإِنْ مَاتَا عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَجْتَمِعَا فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا»^(١)

مصافحة الملائكة :

روى قتادة: «أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تُصَافِحُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنه حَتَّى أَكْتَوَى
فَتَنَحَّحَتْ» وهو حديث مرسل لا يصح^(٢).

وفي صحيح مسلم عن حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
- قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةَ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ:
سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُدْكَرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى
كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيْعَاتِ،
فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى
دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «وَمَا
ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُدْكَرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا
خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ،
لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طَرِيقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً»
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٣).

وفي المسند عن أَبِي الْمُدَلَّةِ^(٤)، مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قُلْنَا:

(١) الأدب المفرد (٤٠٢)، مسند أحمد (١٦٢٥٧) وصححه ابن حبان (٥٦٦٤) وصححه الألباني في الصحيحة

(١٢٤٦) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٥٩)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح (٥٠٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٢٨٨ / ٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٧ / ١٨) رقم

(٢٠٣) وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٣٥٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٥٠).

(٤) أبو المدلة: قال ابن المديني - كما في التهذيب -: لا يعرف اسمه ، مجهول ، لم يرو عنه غير أبي مجاهد .هـ

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا إِذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبْنَا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ قَالَ: «لَوْ تَكُونُونَ - أَوْ قَالَ: لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ - عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَكْفِهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْئِبُوا، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْئِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ»^(١)

وفي مسند أبي يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: عَدَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْنَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: التَّفَاقُ، التَّفَاقُ. قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ التَّفَاقُ». قَالَ: ثُمَّ عَادُوا الثَّانِيَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْنَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: التَّفَاقُ، التَّفَاقُ. قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ التَّفَاقُ». قَالَ: ثُمَّ عَادُوا الثَّلَاثَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْنَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: التَّفَاقُ. قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ التَّفَاقُ». قَالُوا: إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ كُنَّا عَلَى حَالٍ، وَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ هَمَّتْنَا الدُّنْيَا وَأَهْلُهَا. قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي تَكُونُونَ عَلَى الْحَالِ الَّذِي تَكُونُونَ عَلَيْهِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِطُرُقِ الْمَدِينَةِ»^(٢)

وقال الآجري عن أبي داود: أبو مدلة من أهل الكوفة، مولى أم المؤمنين ا.هروذكره ابن حبان في الثقات وقال: اسمه عبيد الله بن عبد الله، روى عنه: سعد الطائي ا.هروقال في صحيحه: (١٥٩/٣): مديني، ثقة ا.هروقال ابن ماجه في سننه (١٧٥٢) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنْ سَعْدَانَ الْجُهَيْنِيِّ، عَنْ سَعْدِ أَبِي مُجَاهِدٍ الطَّائِيِّ وَكَانَ ثِقَةً، عَنْ أَبِي مُدِلَّةٍ وَكَانَ ثِقَةً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ... الحديث. وفيه توثيق لأبي مدلة إما من وكيع أو من دونه. وقد صحح حديثه ابن خزيمة وحسنه الترمذي فالراجح أنه ثقة والتعديل هنا مقدم على التضعيف الذي هو الجهالة والله أعلم.

(١) مسند أحمد (٨٠٤٣) وصححه ابن حبان (٧٣٨٧)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٥٧/٢): حديث حسن أو صحيح بشواهد ا.هروصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٥٩٦)، والحديث ورواه الترمذي (٢٥٢٦) عن حمزة الزيات، عن زياد الطائي - وهو مجهول -، عن أبي هريرة، نحوه.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٣٣٠٤) قال: حدثنا عبد الواحد - هو ابن غياث -، حدثنا غسان بن برزين يعني الطهوي، حدثنا ثابت البناني، عن أنس به. ورجاله ثقات. ومن طريق عبد الواحد رواه الإسماعيلي في

تشبيح الملائكة جنازة المؤمن:

روى معمرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَحْخَفَ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ»^(١)

معجم أسامي شيوخه (١/ ٤١٨). ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٧) قال حدثني موسى قال حدثنا غسان به مختصراً. وأشار البخاري في تاريخه إلى إعلاله بالإرسال فقال: حدثني يحيى بن محمد بن السكن، قال: حدثنا حبان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان -يعني النهدي-، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .اهوحماد عن ثابت أوثق من غسان. والحديث وصله الجريري عن أبي عثمان عن حنظلة كما في صحيح مسلم وقد تقدم. ورواه أحمد في مسنده (١٢٧٩٦) قال حدثنا مؤمل -وهو ابن إسماعيل (ضعيف)-، حدثنا حماد، عن ثابت، به مختصراً. ورواه ابن حبان (٣٤٤) وغيره عن معمر، عن قتادة، عن أنس، وفي رواية معمر عن قتادة ضعف كما تقدم.

(١) جامع معمر بن راشد (١١/ ٢٣٥) رقم (٢٠٤١٤) وعنه الإمام عبد الرزاق وعنه رواه عبد بن حميد في المنتخب (١١٩٢) -وعنه الترمذي (٣٨٤٩) -، والبخاري في مسنده (٧٢٥٣) قال حدثنا زهير بن محمد، وأبو يعلى في المسند (٣٠٣٤) قال حدثنا محمد بن مهدي، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٢) رقم (٥٣٤٥) قال حدثنا إسحاق الدبري والحاكم (٤٩٢٦) من طريق محمد بن يحيى وهو الذهلي؛ كلهم (عبد بن حميد وزهير ومحمد بن مهدي والذهلي) عن عبد الرزاق أخبرنا معمر به. وخالفهم أحمد بن منصور الرمادي فرواه عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مرسلًا -لم يذكر عن أنس-، رواه البغوي في شرح السنة (١٤/ ١٨٢) ورواية الجماعة عن عبد الرزاق أصح. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب اهوقال البزار: ولا نعلم رواه عن قتادة، عن أنس إلا معمر اهوقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين اهوفيه نظر: فإن رواية معمر عن قتادة ضعيفة، قال ابن أبي خيثمة -كما في التاريخ الكبير (١/ ٣٢٥)-: سمعت يحيى بن معين يقول: إذا حدثك معمر عن العراقيين فحّفه (أو فخالفه)؛ إلا عن الزُّهري، وابن طاووس؛ فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفة والبصرة فلا، وما عمل في حديث الأعمش شيئاً اهوقال الحافظ في مقدمة الفتوح: لم يخرج يعني البخاري من روايته عن قتادة ولا ثابت البناني إلا تعليقاً. اهوقال الدارقطني في العلل: سيع الحفظ لحديث قتادة اهوقال يحيى بن معين: قال معمر: جلست إلى قتادة وأنا صغير فلم أحفظ عنه الأسانيد -كما في [شرح علل الترمذي (٣٨٤)-. وقد توبع معمر، رواه ابن حبان (٧٠٣٢) أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن عبد الرحمن العلاف، حدثنا محمد بن سواء، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال وجنازة سعد موضوعة: «اهتمز لها عرش الرحمن» فطفق المنافقون في جنازته وقالوا: ما أخفها، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إنما كانت تحمله الملائكة معهم» ورواه الحافظ الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٧/ ٣٠) بسند صحيح عن أبي لبيد محمد بن إدريس -وهو ثقة-

وفي سنن النسائي بسند صحيح عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ «هَذَا الَّذِي تَحْرَكُ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»^(١) ورواه البزار بلفظ: «لَقَدْ هَبَطَ يَوْمَ مَاتَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَهْبُطُوا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضَمَّهُ الْقَبْرُ ضَمَّةً» قال: ثم بكى نافع^(٢)

عن محمد بن ثعلبة بن سواء عن عمه محمد بن سواء به لكن قال (عن سعيد) بدل (عن شعبة)، وقال: أخرجه ابن حبان في كتابه، ... عن شعبة، عن قتادة، والله أعلم بالصواب هل هو عن سعيد أو شعبة اه. قلت: والراجح رواية (سعيد) كما بينه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٥٢/٧) فالحديث رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٦١) ثنا محمد بن عبد الرحمن العلاف، ثنا محمد بن سواء والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٦) رقم (٥٣٤٢) قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعبدان بن أحمد، قالوا: ثنا محمد بن ثعلبة بن سواء، ثنا عبي محمد بن سواء عن سعيد به. مقتصرًا على جملة اهتزاز العرش. وليس فيه جملة حمل الملائكة له. وتابعه عبد الوهاب بن عطاء فرواه عن سعيد كذلك. رواه الإمام مسلم (٢٤٦٧) وأحمد (١٣٤٥٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٤٤) فذكر جملة اهتزاز العرش. والحديث صححه الألباني كما تقدم وقال شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢١٤): هو حسن لغيره اه. وهو كما قال فبا اجتماع رواية معمر، مع رواية ابن سواء - عند ابن حبان - يكون الحديث حسنًا لغيره والله أعلم. (١) رواه النسائي (٢٠٥٥) قال: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْقَزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، بِهِ. وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٤٣/٧): وإسناده صحيح على شرط الشيخين اه. وقال شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢٠١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم اه. والصواب أنه صحيح فقط فإنه ليس في الصحيحين رواية عمرو العنقزي عن ابن إدريس، وعمرو: روى له البخاري حديثًا واحدًا تعليقًا رقم (٥٤٤١). وروى له مسلم حديثًا واحدًا متابعة رقم (٤/٢٠٦٦) والله أعلم

(٢) رواه البزار كما في المسند (البحر الزخار) (١٥٢/١٢) رقم (٥٧٤٦) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ هَبَطَ يَوْمَ مَاتَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَهْبُطُوا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضَمَّهُ الْقَبْرُ ضَمَّةً». ثُمَّ بَكَى نَافِعٌ. قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ إِلَّا دَاوُدَ الْعَطَّارُ وَرَوَاهُ غَيْرُهُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، مُرْسَلًا اه. قلت: قوله لم يروه إلا داود مراده بهذا اللفظ. فقد روى البزار رواية العنقزي المتقدمة عند النسائي قبل هذا مختصرًا برقم (٥٧٣٧) ولفظه «اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى بِهَذَا اللَّفْظِ إِلَّا، عَنْ ابْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ اه. والوجه المرسل الذي أشار إليه رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٤٣٠/٣) قَالَ: أَخْبَرَنَا =

وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَى بِدَابَّةٍ وَهُوَ مَعَ الْجَنَازَةِ فَأَبَى أَنْ يَرْكَبَهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى بِدَابَّةٍ فَرَكَبَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَمْشِي، فَلَمْ أَكُنْ لِأَرْكَبَ وَهُمْ يَمْشُونَ، فَلَمَّا ذَهَبُوا رَكِبْتُ» رواه أبو داود وهو معل (١).

ورواه الترمذي وغيره بلفظ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي جَنَازَةٍ فَرَأَى نَاسًا رُكَبَانًا، فَقَالَ: «أَلَا تَسْتَحْيُونَ إِنْ مَلَائِكَةَ اللَّهِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وَأَنْتُمْ عَلَى ظُهُورِ الدَّوَابِّ» وسنده ضعيف ورجح العلماء وقفه (٢).

وفي الصحيحين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: أُصِيبَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، وَأَبْكِي وَجَعَلُوا يَنْهَوْنِي، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَنْهَانِي، قَالَ: وَجَعَلْتُ فَاطِمَةَ بِنْتُ عَمْرٍو، تَبْكِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تَبْكِيهِ، أَوْ لَا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظَلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا، حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ» (٣).

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: "بَلَّغَنِي أَنَّهُ شَهِدَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ضَمَّ صَاحِبُكُمْ ضَمَّةً ثُمَّ فَرَّجَ عَنْهُ».

(١) سنن أبي داود (٣١٧٧) وصححه الحاكم في المستدرک علی الصحيحین (١٣١٤) وقال: علی شرط الشيخین اهـ ووافقه الألبانی فی أحكام الجنائز (٧٥). قلت: الحديث من رواية يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن ثوبان به. ويحيى مدلس وقد عنعن وقد أعله الإمام أبو حاتم الرزي فقال - كما في العلل لابن أبي حاتم (٣/٥٥٤) - قَالَ أَبِي: هَذَا حَدِيثٌ خَطَأٌ، لَيْسَ الْحَدِيثُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلْمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو سَلْمَةَ عَنْ ثَوْبَانَ لَا يَحْيَى؛ إِنَّمَا هَذَا حَدِيثٌ يَرَوِيهِ أَبُو سَلَامٍ، عَنْ ثَوْبَانَ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ يَرَوِي عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي سَلَامٍ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ عَنْ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَأَسْقَطَ زَيْدًا مِنَ الْوَسْطِ، أَوْ لَمْ يَحْفَظْ عَنْهُ اهـ.

(٢) جامع الترمذي (١٠١٢) ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١٤٥٢) وأبو نعيم في الحلية (١١٨/٦، ٣٠٨/٩) والحاكم (١٣١٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٦٨٥٦) من طرق عن عيسى بن يونس، عن أبي بكر بن أبي مريم - وهو ضعيف - عن راشد بن سعد، عن ثوبان به. وتابعه بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم. رواه ابن ماجه (١٤٨٠) والطبراني (١٤٥٢) وابن عساکر في تاريخه (١٠٦٠٤). ورواه البيهقي (٦٨٥٥) بسند فيه ضعف عن بقية به موقوفاً. وقال الترمذي: حديث ثوبان قد روي عنه موقوفاً. قال محمد - يعني البخاري -: الموقوف منه أصح اهـ وقال البيهقي: هذا هو المحفوظ بهذا الإسناد موقوف ... ورواه ثور بن يزيد عن راشد بن سعد موقوفاً على ثوبان، وفي ذلك دلالة على أن الموقوف أصح، وكذا قاله البخاري اهـ. وفي جامع التحصيل (ص: ١٧٤) قال أحمد بن حنبل: راشد لم يسمع من ثوبان اهـ.

(٣) صحيح البخاري (١٢٤٤)، وصحيح مسلم (٢٤٧١) واللفظ له.

نزول الملائكة بالبشرى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿يَزَكَّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَسْحَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم: ٧]

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥]

تقدم حديث بشرى جبريل وسلامه لخديجة رضي الله عنها.

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى، قَالَ: «وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى»^(١)

وفي صحيح مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَزَلَّ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرُ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتِيْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيْتَهُ»^(٢)

وروى الترمذي وأحمد عن حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتَنِي أُمِّي: مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَتَأَلَّمْتُ مِنِّي وَسَبَّتَنِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي، فَإِنِّي أَتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُصَلِّيَ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَا أَدْعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكَ، قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعِشَاءِ، ثُمَّ انْقَلَبَ فَتَبِعْتُهُ، فَعَرَّضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ، ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»، فَقُلْتُ: حُدَيْفَةُ، قَالَ: «مَا لَكَ؟»، فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: «عَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَا مَمَكَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَّضَ لِي قُبَيْلُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا

(١) صحيح البخاري (٧٤٨٧) واللفظ له، وصحيح مسلم (٩٤)

(٢) صحيح مسلم (٨٠٦).

شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١)

شفاعة الملائكة يوم القيامة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَأَنْتُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا»... فذكر الحديث ثم قال: فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ،... الحديث^(٢)

شفاعة الملائكة للمؤمن الذي يحمد الله في السراء :

وَصَحَّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَيَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضَرٌّْ فَدَعَا اللَّهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتُ مَعْرُوفٍ مِنْ أَمْرِي ضَعِيفٍ. قَالَ: فَتَسْتَغْفِرُ لَهُ. قَالَ: وَإِذَا كَانَ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَلَا يَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضَرٌّْ فَدَعَا اللَّهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتُ مُنْكَرٍ»^(٣)

وقد روى يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال ولا أعلم إلا أن أنسا، يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ دَعَا اللَّهَ بِهذه الْكَلِمَاتِ أَقْبَلَتْ الدَّعْوَةُ نَحْوَ الْعَرْشِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبُّ، هَذَا صَوْتُ ضَعِيفٍ مَعْرُوفٍ مِنْ بِلَادِ غَرِيبَةٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: يَا رَبُّ، وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ، قَالُوا: عَبْدُكَ يُونُسُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ وَدَعْوَةٌ مُجَابَةٌ؟ قَالُوا: يَا رَبُّ، أَفَلَا تَرَحَّمُ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ فَتُنَجِّيه مِنَ الْبَلَاءِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَمَرَ الْحُوتَ فَطَرَحَهُ بِالْعَرَاءِ»^(٤)

(١) جامع الترمذي (٣٧٨١) ومسنند أحمد (٢٣٣٢٩) ورواه النسائي في الكبرى (٨٢٤٠) وصححه الألباني في

السلسلة الصحيحة (٧٩٦) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩١)

(٢) صحيح البخاري (٧٤٣٩) وصحيح مسلم (١٨٣).

(٣) رواه محمد بن فضيل الضبي في الدعاء (٨٥) - وعنه ابن أبي شيبة (٢٩٤٨٠) - ورواه البيهقي في الشعب

(١١٠٠).

(٤) رواه عبد الرزاق (٢٥٥٨) والطبري (١٩/٦٢٨) وابن أبي حاتم في (١٣٧١٠، ١٨٢٨١) في تفاسيرهم، وابن أبي

الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص ٤٦) والطبراني في الدعاء (٤٧) والتنوخي في «الفرج بعد الشدة» (٩٢/١).

وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه البزار (٨٢٢٧) والطبري في تفسيره (٣٨٤/١٦) وفي تاريخه (١٦/٢) وفي

اللَّهُ ﷻ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ:

عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» رواه مسلم ^(١).

وفي المسند عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْنًا غُبْرًا» ^(٢).

وفيه أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ، يَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْنًا غُبْرًا» ^(٣).

وفي الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنُحَمِّدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ» ^(٤).

سنده ضعف وإبهام. وحسنه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٢٣ ت التركي) فقال: يزيد الرقاشي ضعيف، ولكن يتقوى بحديث أبي هريرة المتقدم، كما يتقوى ذلك بهذا. والله أعلم اهـ.

(١) صحيح مسلم (١٣٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ط الرسالة (٧٠٨٩). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٥٣): حسن

صحيح. وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٥٦)

(٣) مسند أحمد (٨٠٤٧) وصححه ابن خزيمة (٢٨٣٩) وابن حبان (٣٨٥٢) والحاكم (١٧٠٨) وقال: صحيح

على شرط الشيخين اهـ. والصواب أن إسناده عند الحاكم صحيح فقط. والحديث صححه الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (١١٣٢) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين

(٤٥٥)

(٤) صحيح مسلم (٢٧٠١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَغْرِبَ، فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُسْرِعًا، قَدْ حَفَزَهُ التَّفْسُ، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: «أَبْشُرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى» رواه ابن ماجه ^(١)

وجوب محبة المؤمن للملائكة :

وهذا مما يدعو المؤمن إلى محبة الملائكة، فيحبهم؛ لأنهم عباد الله مكرمون، ولأنهم عباد لله مطيعون، فهذا من واجب المؤمن تجاه الملائكة أن يحبهم؛ فإن الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن شأنهم بأنهم عباد لله لا يعصونه أبدًا، وهم يحبونك فأحبهم كما يحبونك.

البعد عن كل ما يؤذي الملائكة :

ومن حب الملائكة أن نبتعد عن إيذائهم وعن كل ما يؤذيهم؛ ولذلك جاء في الحديث في نهى المصلي أن يأتي إلى المسجد وقد أكل ثومًا أو بصلاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ» ^(٢).

وصح عن علي رضي الله عنه أنه قال: أُمِرْنَا بِالسَّوَاكِ وَقَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَتَاهُ الْمَلَكُ فَقَامَ خَلْفَهُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُو، فَلَا يَزَالُ يَسْتَمِعُ وَيَدْنُو حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَلَا يَقْرَأُ آيَةً إِلَّا كَانَتْ فِي جَوْفِ الْمَلِكِ». أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وصححه الضياء المقدسي في المختارة. ^(٣)

(١) أخرجه ابن ماجه (٨٠١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٦١) وشيخنا الوداعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٤٦)

(٢) مسلم (٥٦٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) السنن الكبرى (١٦٦ ط هجر)، والأحاديث المختارة (١٩٨ / ٢). وهو موقوف لكنه مرفوع حكما، ويؤيده أنه جاء مرفوعا صريحا بسند لا بأس به في الشواهد فقد رواه البزار في مسنده (٦٠٣) وابن صاعد في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٢٢٥) عَنْ فَضِيلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ أَمَرَ بِالسَّوَاكِ، وَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ الْمَلِكُ خَلْفَهُ، فَتَسَمِعُ لِقْرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا «حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلِكِ، فَطَهَّرُوا أَفْوَاهَهُمْ لِلْقُرْآنِ» قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ =

وروي أيضاً: «طيبوا أفواهكم بالسُّوَاكِ فَإِنَّهَا طَرِقُ الْقُرْآنِ». ولا يصح^(١)

الملائكة لا تدخل بيتنا فيه كلب ولا صورة:

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ» متفق عليه^(٢)

وَعَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ» قَالَ بُسْرٌ: ثُمَّ

لَا نَعْلَمُهُ يُرَوَى عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه بِإِسْنَادٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه مَوْفُوعًا. اهـ قلت: فضيل فيه ضعف وقد خالفة خالد الطحان - عند البيهقي -، وابن عيينة - عند ابن المبارك في الزهد (١٢٢٤) وعبد الرزاق في المصنف (٤١٨٤) فوقفاه وتابعهما الأعمش عن سعد بن عبيدة. رواه ابن أبي شيبه (١٧٩٩) بدون ذكر السواك. وانظر السلسلة الصحيحة (١٢١٣).

(١) أخرجه الدارقطني في غرائب مالك (كما في لسان الميزان ٤٣٧/٥)، من طريق عبد الله بن نافع؛ والسلفي في معجم السفر (٢٦٦/١) من طريق عبد الملك الأصبغي؛ كلاهما (ابن نافع والأصبغي) عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن». قال الدارقطني هذا باطل لا يصح. قلت: في إسناد الدارقطني: محمد بن يوسف الحواري وشيخه سلام، ضعفهما الدارقطني وفي إسناد السلفي: سليمان بن أحمد بن يحيى ولعله الملطي المضري قال ابن ماكولا في الإكمال (٢٤٣/٧) يتهم بالكذب لا يوثق بما يرويه. اهـ ورواه ابن ماجه في سننه موقوفا عن علي رضي الله عنه والسمعاني في أدب الإملاء (٢٧/١) وأبو نعيم في الحلية (٢٩٦/٤) ترجمة سعيد بن جبير) عن بحر بن كنين السقاء ثنا عثمان بن ساج عن سعيد بن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا، قال أبو نعيم: غريب من حديث سعيد لم نكتبه إلا من حديث بحر. اهـ وعزاه الهندي في كنز العمال إلى أبي نعيم في كتاب السواك والسجزي في الإبانة عن علي رضي الله عنه. وقال العراقي في تحريج الأحياء وكلاهما ضعيف. أي المرفوع والموقوف. اهـ وقال الحافظ في التلخيص: ورواه أبو مسلم الكجي في السنن وأبو نعيم من حديث الوضين وفي إسناده مندل وهو ضعيف. اهـ ورواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه كما في كنز العمال بلفظ: «نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن». ورواه البيهقي في الشعب من حديث سمرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طيبوا أفواهكم بالسواك فإنها طرق القرآن». وفي سنده غياث بن كlob قال البيهقي مجهول. اهـ وضعفه الدارقطني (كما في الميزان) وقال له نسخة عن مطرف بن سمرة، وقال المناوي في فيض القدير: بعد أن ذكر ضعف غياث: وأقول: فيه أيضا الحسن بن الفضل بن السمح قال الذهبي: مزقوا حديثه. اهـ.

(٢) صحيح البخاري (٤٠٠٢، ٣٣٢٢، ٣٢٢٥) وصحيح مسلم (٢١٠٦).

اشتكى زيد، فعدناه، فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله، ريب ميمونة زوج النبي ﷺ: ألم يُخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: «إلا رقماً في ثوب» متفق عليه^(١)

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل النبي ﷺ البيت، فوجد فيه صورة إبراهيم، وصورة مريم، فقال «أما لهم، فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، هذا إبراهيم مصور، فما له يستقسم»^(٢)

وفي موطأ مالك: عن إسحاق بن أبي طلحة؛ أن رافع بن إسحاق مولى الشفاء أخبره، قال: دخلت أنا وعبد الله بن أبي طلحة على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه نعوذه. فقال لنا أبو سعيد رضي الله عنه: أخبرنا رسول الله ﷺ: «أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير». يشك إسحاق لا يدري، أيتهما قال أبو سعيد الخدري^(٣).

وفي صحيح مسلم عن سليمان بن بلال، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير»^(٤)

وفي صحيح البخاري عن سالم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: وعد النبي ﷺ جبريل فرأته عليه^(٥)، حتى اشتد على النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ فلقية، فشكا إليه ما وجد، فقال له: «إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب»^(٦)

وفي صحيح مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: وأعد

(١) صحيح البخاري (٥٩٥٨) وصحيح مسلم (٢١٠٦).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥١)

(٣) رواه مالك في الموطأ (ت الأعظمي (٥/١٤٠٥) رقم (٣٥٤٥) ومن طريقه: أخرجه أحمد (٩٠/٣) والترمذي (٢٨٠٥) وأبو يعلى (١٣٠٣) وابن حبان (٥٨٤٩) وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وانظر: المسند المصنف المجلد (٢٨/٤٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٦٧٢) رقم (٢١١٢)

(٥) يعني احتبس عليه وتأخر عن لقيه.

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٢٧، ٥٩٦٠)

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصَا، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: «مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ»، ثُمَّ التَفَتَ، فَإِذَا جَرُوكُلْبٌ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟» فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا دَرَيْتُ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جَبْرِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ»، فَقَالَ: «مَنْعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»^(١)

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قَالَ: أَخْبَرْتَنِي مَيْمُونَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَانِي، أَمْ وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي»، قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُوكُلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَضَحَّ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ»، قَالَ: «أَجَلٌ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»... الحديث^(٢)

وفي سنن أبي داود والترمذي عن يونس بن أبي إسحاق، عن مجاهد، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لِي: [إِنِّي كُنْتُ] أَتَيْتَكَ الْبَارِحَةَ فَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ [عَلَيْكَ الْبَيْتَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ] إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْبَابِ تَمَائِيلٌ [وفي رواية: كَانَ فِي بَابِ الْبَيْتِ تَمَثَالُ الرَّجَالِ]، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامٌ سَتْرٌ فِيهِ تَمَائِيلٌ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ، فَمُرُّ بِرَأْسِ التَّمَثَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ يُقَطِّعُ، فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، وَمُرُّ بِالسَّتْرِ فَيُقَطِّعُ، فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وَسَادَتَيْنِ مَنبُودَتَيْنِ تُوْطَلَنِ، وَمُرُّ بِالْكَلْبِ فَلْيُخْرِجْ»، فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِذَا الْكَلْبُ لِحْسِنٍ - أَوْ حُسَيْنٍ - كَانَ تَحْتَ نَصْدِ لَهْمٍ^(٣)،

(١) أخرجه مسلم (٢١٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٥).

(٣) قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "وَالنَّصْدُ: شَيْءٌ تُوضَعُ عَلَيْهِ الثِّيَابُ شَبَهُ السَّرِيرِ"

فَأَمْرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. (١).

وفي سنن النسائي عَنْ أَبِي إِسْحَقَ السَّبْعِيِّ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَأْذَنَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [وَفِي بَيْتِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرٌ مُصَوَّرٌ فِيهِ تَمَاثِيلٌ] فَقَالَ [نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]: «ادْخُلْ» فَقَالَ: كَيْفَ ادْخُلُ وَفِي بَيْتِكَ سِتْرٌ فِيهِ تَصَاوِيرٌ (وفي رواية: تَمَاثِيلٌ خَيْلًا وَرِجَالًا)، فِيمَا أَنْ تُقَطَعَ رُءُوسُهَا، أَوْ تُجْعَلَ بِسَاطًا يُوطَأُ فَإِنَّا مَعْشَرَ الْمَلَائِكَةِ لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ تَصَاوِيرٌ [وفي رواية: تَمَاثِيلٌ]» (وفي رواية: فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ جَاعِلًا فِي

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤١٥٨) - ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٤١) رقم (١٤٥٧٨) وفي شعب الإيمان (٥٩٠١)، وفي الآداب (٥٣٢) - قال: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ مَحْبُوبٌ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ؛ ورواه الترمذي في جامعه (٢٨٠٦) قال: حَدَّثَنَا سُؤَيْدٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ؛ ورواه أحمد في المسند (١٣/ ٤١٣ ط الرسالة) رقم (٨٠٤٥) حدثنا أبو قطن، وفي (١٥٢/ ١٦) رقم (١٠١٩٣) مختصراً قال: حدثنا وكيع، ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٨٥٤) قال أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَنْزَلِيُّ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٤٠) (١٤٥٧٦) قال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بَشْرَانَ، أَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ نَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الطَّنَافِسِيِّ، كلهم (الفزاري، وابن المبارك، وأبو قطن، ووكيع، والنضر، والطنافسي) عَنْ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، والتصريح بالتحديث من رواية ابن المبارك والنضر بن شميل. والزيادات من روايتهما. وزاد النضر في روايته: «.. ثُمَّ أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَمَا زَالَ يُوصِينِي بِالْحَجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ» ورواه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٢٨٧) رقم (٦٩٤٥) قال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ، قَالَ: ثنا الْوُحَاظِيُّ، قَالَ: ثنا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، قَالَ: ثنا أَبِي، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُجَاهِدٌ الْكُوفَةَ، أَتَيْتُهُ أَنَا وَأَبِي، فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي جِئْتُكَ الْبَارِحَةَ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ ادْخُلَ الْبَيْتَ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْبَيْتِ تِمْتَالٌ رَجُلٍ، فَمَرَّ بِالتَّمَالِ، فَلَيَقُطَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ». قلت: والحديث في إسناده يونس بن أبي إسحاق السبيعي: قال صالح بن أحمد بن حنبل، عن علي ابن المديني: سَمِعْتُ يَحْيَى، وَذَكَرَ يُونُسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ، فَقَالَ: كَانَتْ فِيهِ عَقْلَةٌ وَكَانَتْ فِيهِ سَجِيَّةٌ، كَانَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ: «انْقَمُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قال يَحْيَى: وَهَذَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ وَشُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ ابْنِ مَعْقِلٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ. قال يَحْيَى: وَكَانَتْ فِيهِ عَقْلَةٌ. وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ حَدِيثُهُ فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى حَدِيثِ النَّاسِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ يُونُسَ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، فَقَالَ: حَدِيثُهُ مُضْطَرَبٌ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ثِقَةٌ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كَانَ صَدُوقًا إِلَّا أَنَّهُ لَا يَحْتَجُّ بِحَدِيثِهِ. وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٤٩١). وقد توبع يونس، تابعه أبو إسحاق كما في الحديث التالي.

بَيْتِكَ، فَاقْطَعْ رُءُوسَهَا أَوْ اقْطَعْهَا وَسَائِدَ، وَاجْعَلْهَا بُسْطًا» (١)

وفي المسند عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ الْكَأْبَةُ، فَسَأَلْتُهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ: «لَمْ يَأْتِنِي جِبْرِيلُ مُنْذُ ثَلَاثٍ» قَالَ: فَإِذَا جَرُّوْ كَلْبٍ بَيْنَ بَيْتَيْهِ، فَأَمَرَهُ بِه فَقْتَلَهُ، فَبَدَأَ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَبَهَشَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ، فَقَالَ: «لَمْ تَأْتِنِي فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَصَاوِيرٌ» (٢)

قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ امْتِنَاعِهِمْ مِنْ بَيْتٍ فِيهِ صُورَةٌ كَوْنُهَا مَعْصِيَةٌ فَاحِشَةٌ وَفِيهَا مُضَاهَاةٌ لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَعْضُهَا فِي صُورَةِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى. وَسَبَبُ امْتِنَاعِهِمْ مِنْ بَيْتٍ فِيهِ كَلْبٌ لِكَثْرَةِ أَكْلِهِ التَّجَاسَاتِ وَلِأَنَّ بَعْضَهَا يُسَمَّى شَيْطَانًا كَمَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ وَالْمَلَائِكَةُ ضِدُّ الشَّيَاطِينِ وَلِقُبْحِ رَائِحَةِ الْكَلْبِ وَالْمَلَائِكَةُ تَكْرَهُ الرَّائِحَةَ الْقَبِيحَةَ وَلِأَنَّهَا مِنْهُيٌّ عَنِ اتِّخَاذِهَا فَعُوقِبَ مَتَّخِذُهَا بِجِرْمَانِهِ دُخُولِ الْمَلَائِكَةِ بَيْتَهُ وَصَلَاتِهَا فِيهِ وَاسْتِغْفَارِهَا لَهُ وَتَبْرِيكِهَا عَلَيْهِ وَفِي بَيْتِهِ وَدَفْعِهَا أَذَى لِلشَّيْطَانِ وَأَمَّا هُوَلَاءِ الْمَلَائِكَةُ لَذِينَ لَا يَدْخُلُونَ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ فَهُمْ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّبْرِيكِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَأَمَّا الْحَفَظَةُ فَيَدْخُلُونَ فِي كُلِّ بَيْتٍ وَلَا يَفَارِقُونَ بَنِي آدَمَ فِي كُلِّ حَالٍ لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ وَكِتَابَتِهَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَانَمَا لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ مِمَّا يَحْرُمُ اقْتِنَاؤُهُ مِنَ الْكِلَابِ وَالصُّورِ فَأَمَّا مَا لَيْسَ بِجِرَامٍ مِنْ كَلْبٍ

(١) رواه النسائي (٥٣٦٥) وفي الكبرى (٩٧٠٨) قال: أَخْبَرَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، وَالطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مَعَانِي الْآثَارِ (٦٩٤٦) قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ شُعَيْبٍ، قَالَ: ثنا عَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ، كَلَّمَهُمْ (هناد، وعلي بن معبد) عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي الْمَصْنَفِ (١٩٤٨٨) قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، - وَمِنْ طَرِيقِهِ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ (١٣/٤٤٣ ط الرسالة رقم ٨٠٧٩) وَابِيهَيْتِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (١٤٥٧٧)، وَفِي مَعْرِفَةِ السَّنَنِ وَالْآثَارِ (٢٥٥/١٠) رَقْم (١٤٤٢٨) - وَرَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ (٥٨٥٣) قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَرُوبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبٍ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحِيمِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنْبَسَةَ، ثَلَاثَتِهِمْ (أبو بكر ومعممر وزيد) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ. وَالزِّيَادَاتُ بَيْنَ مَعْكُوفَتَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنْبَسَةَ الْأُولَى مِنْ سَنَنِ النَّسَائِيِّ الْكُبْرَى وَالطَّحَاوِيِّ وَغَيْرِهِ وَرِوَايَةِ فِي آخِرِهِ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنْبَسَةَ عِنْدَ ابْنِ حَبَانَ.

(٢) صحيح أخرجه أحمد (١٠٧/٣٦ ط الرسالة) رقم (٢١٧٧٢) - ومن طريقه الضياء المقدسي في "المختارة" (١٣٤٦) - والطيلاسي (٦٢٧)، والبخاري (٢٥٩٠).

الصَّيْدِ وَالزَّرْعِ وَالْمَأْشِيَةِ وَالصُّورَةَ الَّتِي تُمْتَهَنُ فِي الْبِسَاطِ وَالْوَسَادَةِ وَغَيْرَهُمَا فَلَا يَمْتَنِعُ دُخُولُ الْمَلَائِكَةِ بِسَبَبِهِ وَأَشَارَ الْقَاضِي إِلَى نَحْوِ مَا قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ كَلْبٍ وَكُلِّ صُورَةٍ وَأَنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْجَمِيعِ لِإِطْلَاقِ الْأَحَادِيثِ وَلِأَنَّ الْجُرُوءَ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ تَحْتَ السَّرِيرِ كَانَ لَهُ فِيهِ عُدْرٌ ظَاهِرٌ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ وَمَعَ هَذَا امْتَنَعَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ دُخُولِ الْبَيْتِ وَعَلَّلَ بِالْجُرُوءِ فَلَوْ كَانَ الْعُذْرُ فِي وُجُودِ الصُّورَةِ وَالْكَلْبِ لَا يَمْنَعُهُمْ لَمْ يَمْتَنِعْ جَبْرِيلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ١٥١ (١)

لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ» وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢). قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَمَّا فَهْهُ الْحَدِيثُ فَفِيهِ كَرَاهَةٌ اسْتِصْحَابِ الْكَلْبِ وَالْجَرَسِ فِي الْأَسْفَارِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَصْحَبُ رُفْقَةً فِيهَا أَحَدُهُمَا وَالْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَا الْحِفْظَةِ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا قَرِيبًا وَسَبَقَ بَيَانُ الْحِكْمَةِ فِي مُجَانِبَةِ الْمَلَائِكَةِ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَأَمَّا الْجَرَسُ فَقِيلَ سَبَبُ مُنَافَرَةِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ أَنَّهُ شَبِيهُ بِالنَّوَاقِيسِ أَوْ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعَالِيقِ الْمُنْهِي عَنْهَا وَقِيلَ سَبَبُهُ كَرَاهَةُ صَوْتِهَا وَتُوَيْدُهُ رَوَايَةُ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَرَاهَةِ الْجَرَسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَآخَرِينَ وَهِيَ كَرَاهَةُ تَنْزِيهِهِ وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ مُتَقَدِّمِي عُلَمَاءِ الشَّامِ يُكْرَهُ الْجَرَسُ الْكَبِيرُ دُونَ الصَّغِيرِ ١٥٢ (٣)

لعن الملائكة لمن يستحق اللعن :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [البقرة].

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/٨٤)

(٢) صحيح مسلم (٢١١٣، ٢١١٤)

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤/٩٥)

وقال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعَدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٦) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ [آل عمران]

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا^(١)، لا يُقَطَّعُ شَجَرُهَا، وَلَا يُحَدَّثُ فِيهَا حَدَثٌ، مَنْ أَحَدَّثَ حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» متفق عليه^(٢)

وعن علي رضي الله عنه قال: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرم، ما بين عائرٍ إلى كذا^(٣)، مَنْ أَحَدَّثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ»، وَقَالَ: «ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، (يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ) فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بَعِيرٍ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ» متفق عليه^(٤)

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المدينة حرم، فَمَنْ أَحَدَّثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ، وَلَا صَرْفٌ» رواه مسلم وفي رواية له: «وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ، وَلَا صَرْفٌ»^(٥)

وعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بَعِيرٍ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ

(١) (من كذا إلى كذا) يعني ما بين عير إلى ثور، وهما جبلان معروفان في المدينة. انظر: فتح الباري (٤/٨٣).

(٢) صحيح البخاري (١٨٧٦)، وصحيح مسلم (١٣٦٦)

(٣) في رواية مسلم: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور»

(٤) صحيح البخاري (١٨٧٠، ٣١٧٩)، وصحيح مسلم (١٣٧٠)

(٥) صحيح مسلم (١٣٧١)

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ، وَلَا صَرْفٌ» رواه مسلم^(١)
 وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَتَلَ فِي عِمِّيَا، أَوْ رِمِّيَا^(٢) يَكُونُ
 بَيْنَهُمْ بِحَجْرٍ، أَوْ بِسَوْطٍ، فَعَقْلُهُ عَقْلُ خَطَا، وَمَنْ قَتَلَ عَمْدًا فَقَوْدُ يَدَيْهِ، فَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» رواه أبو داود^(٣)
 وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ خَلَادٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَحَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَافَهُ
 اللَّهُ ﷻ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا
 وَلَا عَدْلًا» رواه أحمد^(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ
 فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» متفق عليه^(٥)
 وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَسَارَ
 إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»^(٦)

(١) صحيح مسلم (١٥٠٨)

(٢) قال في عون المعبود (١٢/١٨٢): (مَنْ قُتِلَ فِي عِمِّيَا) بِكَسْرِ عَيْنٍ وَتَشْدِيدِ مِيمٍ مَكْسُورَةٍ وَقَصْرٍ فِعْيَالًا مِنْ

الْعَمَى كَالرَّمِيَا مِنَ الرَّيِّ أَيُّ مَنْ قُتِلَ فِي حَالِ يَعْمَى أَمْرُهُ فَلَا يَتَّبِعِينَ قَاتِلَهُ وَلَا حَالَ قَتْلِهِ اهـ.

(٣) سنن أبي داود (٤٥٩١) ورواه النسائي (٤٧٨٩) وابن ماجه (٢٦٣٥) من طريق سليمان بن كثير، حدثنا عمرو

بن دينار، عن طاووس، عن ابن عباس به. وصححه الألباني في هداية الرواة (٣٤٠٨). وقد أعل الحديث

برواية ابن عيينة عن عمرو بن طاووس مرسلًا. لم يذكر ابن عباس. رواه الشافعي ومن طريقه البيهقي

في الكبرى (١٦٠١) وقال: هذا مرسل اهـ ورواه أبو داود من طريق ابن السرح حدثنا سفيان عن عمرو

بن طاووس قوله. ورواه حماد بن زيد عن عمرو بن طاووس مرسلًا رواه أبو داود ورجح الدارقطني المرسل

كما في العلل (٢١٠٨) وقال البزار في مسنده (٤٧١٤): ولا نعلم أسنده عن عمرو بن دينار، عن طاووس،

عن ابن عباس، إلا سليمان بن كثير. ورواه غير سليمان، عن عمرو بن دينار، عن طاووس، عن النبي

ﷺ مرسلًا اهـ وذكره شيخنا الوادعي في أحاديث معللة ظاهرها الصحة (٢٢٧).

(٤) المسند (١٦٥٥٩) وصححه الألباني في الصحيحة تحت الحديث (٢٦٧١) على شرطهما. وصححه شيخنا

الوادعي في الجامع الصحيح (٣٧٧) وقال: حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح اهـ وهو الصواب:

فالحديث عند أحمد من رواية حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن أبي مريم عن عطاء بن

يسار عن السائب. ورجاله رجال الشيخين سوى حماد فمن رجال مسلم وإنما اعتمده عن ثابت فحسب.

(٥) صحيح البخاري (٣٢٣٧، ٥١٩٣)، وصحيح مسلم (١٤٣٦)

(٦) صحيح مسلم (٢٦١٦)

تحرير سب الملائكة:

ولا يجوز سب الملائكة ولا الكلام عليهم بشيء فيه نقص أو عيب؛ فإن هذا من الأمور العظيمة. فإنه يجب على كل مكلف تعظيم الأنبياء عليهم السلام وكذلك الملائكة عليهم السلام ومن نالهم بسب أو شتم فقد كفر.

يقول ابن نجيم الحنفي رحمته الله: ويكفر... بعيه ملكاً من الملائكة أو الاستخفاف به ^(١). ويقول القاضي عياض المالكي رحمته الله: قال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته: من سب الله وملائكته قتل. وقال سحنون: من شتم ملكاً من الملائكة فعليه القتل اهـ ^(٢).

وقال الدردير المالكي رحمته الله: ويكفر إن سب نبياً مجمعاً على نبوته، أو ملكاً مجمعاً على ملكيته، أو ألحق به نقصاً وإن ببدنه كعرج، وشلل اهـ ^(٣).

ويقول ابن غنيم المالكي رحمته الله: وَمَنْ سَبَّ ... نَبِيًّا مُجْمَعًا عَلَى نُبُوَّتِهِ أَوْ مَلَكًا مُجْمَعًا عَلَى مَلَكِيَّتِهِ أَوْ لَعَنَهُ أَوْ عَابَهُ أَوْ قَذَفَهُ أَوْ اسْتَحَفَّ بِحَقِّهِ أَوْ غَيَّرَ صِفَتَهُ أَوْ أَلْحَقَ بِهِ نَقْصًا فِي دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ خَصَلْتِهِ أَوْ غَضَّ مِنْ مَرْتَبَتِهِ أَوْ وُفِّرَ عَلَيْهِ أَوْ زُهِدَ، أَوْ أَصَافَ لَهُ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ عَلَى طَرِيقِ الدَّمِّ... قُتِلَ حَدًّا لِأَنَّ قَتْلَهُ لِإِزْدِرَائِهِ بِحَقِّ النَّبِيِّ أَوْ الْمَلِكِ، لَا لِأَنَّهُ كَافِرٌ... وَيُسْتَعَجَلُ بِقَتْلِهِ. ^(٤).

ويقول ابن قدامة الحنبلي رحمته الله: إِنْ جَحَدَ نَبِيًّا، أَوْ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ كِتَابًا مِنْ كُتُبِهِ، أَوْ مَلَكًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ ثَبَتَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ، أَوْ اسْتَبَاحَ مُحَرَّمًا، فَلَا بُدَّ فِي إِسْلَامِهِ مِنَ الْإِفْرَارِ بِمَا جَحَدَهُ اهـ ^(٥).

وروى الدينوري في المجالسة عن أحمد بن شعيب البصري أنه قال: كُنَّا عِنْدَ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ بِالْبَصْرَةِ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق (١٣١/٥)

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٦٤٢/٢)

(٣) الشرح الصغير للدردير ط الكتب العلمية (٢٢٦/٤)

(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢٠٢/٢)

(٥) المغني لابن قدامة (٢١/٩)

الْعِلْمِ»، وَفِي الْمَجْلِسِ مَعَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ؛ فَجَعَلَ يَسْتَهْزِئُ بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَأَقْظِرَنَّ غَدًا نَعْلِي فَأَطَأُ بِهِمَا أَجْنِحَةَ الْمَلَائِكَةِ. قَالَ: فَقَعَلَ وَمَشَى فِي التَّعْلِينَ، فَجَعَلَتْ رِجْلَاهُ جَمِيعًا، وَوَقَعَتْ فِي رِجْلَيْهِ جَمِيعًا الْآكَلَةَ. (١)

وقال الطبراني: سمعتُ أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال: كنتُ نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعنا المشي، وكان معنا رجلٌ ماجنٌ متهمٌ في دينه، فقال: «ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة، لا تكسروها»، كالمستهزاء؛ فما زال من موضعه حتى جفت رجليه وسقط. (٢)

فانظر إلى عاقبة الاستهزاء بالسنة، وما حل بهؤلاء من العقوبة العاجلة نسأل الله السلامة والعافية (٣)

من محبة المؤمن للملائكة البعد عن المعاصي:

ومن محبتنا للملائكة الرحمن وعدم إيذائهم البعد عن الذنوب والمعاصي والآثام؛ فإن الملائكة لا تحب المعاصي، ولذلك جاء في الحديث كما تقدم: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ»، و «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ» وغير ذلك من الأحاديث التي تبين أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. وقال النبي ﷺ ناهياً عن البصاق على اليمين في الصلاة قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلَا عَن يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ عَن يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَن يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَدْفِنُهَا» (٤).

ويجب على المؤمن أن يوالي الملائكة، وأن يحبهم؛ فهم عباد الله، عاملون بأمره، تاركون لنهيهِ، وهم أولياء الله ﷻ.

وأخبار الملائكة في الكتاب والسنة كثيرة جداً، وواجب المؤمن في كل ما ورد من

(١) المجالسة وجواهر العلم (٢١٥٤)

(٢) أخرجه الطبراني في كتاب «السنة»، كما ذكر شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٤/٥٣٩)، وابن القيم في «مفتاح

دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/١٧٣ ط عطاءات العلم). ومن طريقه الخطيب في «الرحلة»

(٨)، والهروي في «ذم الكلام» (٤/٣٦٩)، والنووي في «بستان العارفين» (١١١)

(٣) انظر: كتاب «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» لشيخنا محمد بن عبد الله باموسى حفظه الله.

(٤) البخاري (٤١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخبار في الكتاب والسنة هو الإيمان والتسليم، وهم عالم غيبي؛ فلا ينبغي للإنسان أن يتخرص القول في أخبارهم، وإنما يؤمن بما ثبت وصح من أخبارهم وأعمالهم وأحوالهم في الكتاب والسنة.

إقسام الله بالملائكة:

القسم في سورة الصافات:

قال الله تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ ﴾

﴿ [الصافات] ﴾

قال العلامة السعدي رحمته الله: هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال عبادتها وتديبرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته،

فقال: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ ﴾ أي: صفوفًا في خدمة ربهم، وهم الملائكة.

﴿ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝ ﴾ وهم الملائكة، يزرعون السحاب وغيره بأمر الله.

﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ ﴾ وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى. فلما كانوا متأهلين

لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه طرفة عين،

أقسم بهم على ألوهيته فقال: ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ ﴾ ليس له شريك في الإلهية،

فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة اهـ^(١)

وقال ابن القيم رحمته الله: ومن ذلك قوله - رحمته الله -: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ ﴾ أقسم - سبحانه -

بملائكته الصافات للعبودية بين يديه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا

تَصِفُ الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ رَبِّهَا؟!... يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ»^(٢)،

وكما قالوا عن أنفسهم: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥].

والملائكة "الصافات": التي تصف، أجنحتها في الهواء.

و"الزجاجات": الملائكة التي تزجر السحاب وغيره بأمر الله،

ف"التاليات": التي تتلو كلام الله.

(١) تفسير السعدي " تيسير الكريم الرحمن " (ص: ٧٠٠) وانظر: تفسير ابن كثير سلامة (٥/٧)

(٢) صحيح مسلم (٤٣٠) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

وقيل: "الصَّاقَاتُ" الطير، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [المك: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١]؛
و"الزَّاجِرَاتُ": الآيات والكلمات الزاجرات عن معاصي الله، و"التاليات": الجماعات التاليات كتاب الله - ﷻ -.

وقيل: "الصَّاقَاتُ" للقتال في سبيل الله، فـ "الزَّاجِرَاتُ" الخيل للحمل على أعدائه، فـ "التاليات" الذاكرين له عند مُلَاقَاةِ عدوِّهم.
وقيل: "الصَّاقَاتُ": الجماعاتُ الصَّاقَاتُ أبدانها في الصلاة، "الزَّاجِرَاتُ" أنفسها عن معاصي الله، فـ "التاليات" آياتِ الله.
واللفظ يحتمل ذلك كلّه، وإن كان أحقّ من دخل فيه وأولى الملائكة،... إلخ اهـ^(١)

القسم في سورة الذاريات:

وقال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ [الذاريات]

قال العلامة السعدي رحمته الله: هذا قسم من الله الصادق في قبيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق، وأن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع، فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه، فلم يكذب به المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون.

والمراد بالذاريات: هي الرياح التي تذرّوا، في هبوبها ﴿ذَرْوًا﴾ بلينها، ولطفها، ولطفها وقوتها، وإزعاجها.

﴿فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا﴾ السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به البلاد والعباد.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ النجوم، التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها

(١) التبيان في أيمان القرآن ط عالم الفوائد (١/ ٦٤٨)

السموات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها^(١).
 ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حد ورسم، ولا ينقص منه ا.هـ^(٢)

القسم في سورة المرسلات:

وقال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ١ ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾ ٢ ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ ٣ ﴿فَالْفَرْقَاتِ فَرَقًا﴾ ٤ ﴿فَالْمُغَلِّقَاتِ ذِكْرًا﴾ ٥ ﴿عُدْرًا أَوْ نُدْرًا﴾ ٦ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ﴾ ٧ ﴿[المرسلات].
 قال العلامة ابن جزي رحمه الله:

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين: أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح.

فعل القول بأنها الملائكة: سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحي وغيره، وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى،

وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو، وينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل.

وعلى القول بأنها الرياح:

سماها المرسلات لقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الروم: ٤٨]

وسماها العاصفات من قوله: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس] أي شديدة،

وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب في الجو ومنه قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ

سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨]

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤١٤): المشهور عن الجمهور - كما تقدم -: أنها السفن، تجري ميسرة في الماء جريا سهلا. وقال بعضهم: هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها، ليكون ذلك ترقيا من الأدنى إلى الأعلى، إلى ما هو أعلى منه، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق ذلك، والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك، تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية ا.هـ

(٢) تفسير السعدي " تيسير الكريم الرحمن " (ص: ٨٠٨) وانظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٥)

وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله: ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ﴾ [الروم:

[٤٨

وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء ﷺ. والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة، والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح.

ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ ﴿ فَأَلْعِصْفَاتِ ﴾

ثم عطف ما ليس من جنس بالواو فقال: ﴿ وَاللَّيْثَاتِ ﴾

ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء.

وقد قيل في المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء ﷺ.

﴿ عُرْفًا ﴾ معناه: فضلا وإنعاما وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل: معناه

متتابعة وهو مصدر في موضع الحال.

وأما ﴿ عَصْفًا ﴾ و ﴿ نَشْرًا ﴾ و ﴿ فَرْقًا ﴾ فمصادر، وأما ﴿ ذِكْرًا ﴾ فمفعول به.

﴿ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى: إعدار الله إلى عباده

لئلا تبقى لهم حجة أو عذر... وأما ﴿ نُذْرًا ﴾ فمن الإنذار وهو التخويف... إلخ^(١)

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير رحمته الله:

والأظهر أن: "المرسلات" هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾

[الحجر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾

[الأعراف: ٥٧]

وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عصفت الريح إذا هبت بتصويت،

وكذا الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب

عَزَّجَلَّ.

وقوله: ﴿ فَأَلْفَرَقَتْ فَرْقًا ﴾ ﴿ فَأَلْمَلَقَيْتِ ذِكْرًا ﴾ ﴿ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ يعني: الملائكة

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤٤١-٤٤٢)

قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري. ولا خلاف هاهنا؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، واهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعدار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره اهـ^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله:

فُسرَّت "المرسلات" بالملائكة، ... وفُسرَّت بالرياح، ... وفُسرَّت بالسحاب، ...
وفُسرَّت بالأنبياء، ...

قلت: الله - سبحانه - يرسل الملائكة، ويرسل الأنبياء، ويرسل الرياح، ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء.

فإرساله واقع على ذلك كله، وهو نوعان:

إرسال دينٍ يحبُّه ويرضاه، كإرسال رسله وأنبيائه.

وإرسال كونه؛ وهو نوعان:

نوعٌ يحبُّه ويرضاه، كإرسال ملائكته في تدبير أمر خلقه.

ونوعٌ لا يحبُّه، بل يسخطه ويبغضه، كإرسال الشياطين على الكفار.

فالإرسال المقسم به هاهنا مُقيَّدٌ بـ "العرف":

فإنَّ أن يكون ضد المنكر، فهو إرسال رسله من الملائكة، ولا يدخل في ذلك إرسال الرياح، ولا الصواعق، ولا الشياطين.

وأما إرسال الأنبياء فلو أُريد لقال: والمرسلين، وليس بالفصيح تسمية الأنبياء

"مرسلات"، ...

وإن كان "العرف" من: التتابع، ... جاز أن تكون "المرسلات": الرياح، ويؤيده عطف

"العاصفات" عليه و "التأثيرات". وجاز أن تكون: الملائكة، وجاز أن يعمَّ التوعين؛

لوقع الإرسال - عُرْفًا - عليهما. ويؤيده أن "الرياح" موكلٌ بها ملائكةٌ تسوقها وتُصرِّفها.

ويؤيد كونها "الرياح" عطف "العاصفات" عليها بـ "فاء" التعقيب والتسبيب، فكانَّها

أُرسلت، فَعَصَفَتْ.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٢٩٧)

ومن جعل "المرسلات": الملائكة قال: هي تعصف في مضيها مسرعة كما تعصف "الرياح". والأكثر على أنها "الرياح" ... وأما "النّاشرات نشرًا"؛ فهو استئناف قسَمٍ آخر، ولهذا أتى به بـ "الواو"، وما قبله معطوفٌ على القسَمِ الأوّل بـ "الفاء".

قال ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وقتادة: "هي الرياح تأتي بالمطر". ويدلُّ على صحّة قولهم قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ يعني أنّها تنشرُ السحابَ نشرًا، وهو ضدُّ الطّي.

وقال مقاتل: "هي الملائكة تنشر كتب بني آدم وصحائف أعمالهم"، وقاله: مسروق، وعطاء عن ابن عباس.

وقالت طائفة: هي الملائكة تنشر أجنحتها في الجوّ عند صعودها ونزولها.

وقيل: تنشر أوامر الله في السماء والأرض.

وقيل: تنشر النفوس، فتحييها بالإيمان.

وقال أبو صالح: "هي الأمطار تنشر الأرض، أي: تحييها".

قلت: ويجوز أن تكون "النّاشرات" لازماً لا مفعول له، ولا يكون المراد أنّهن ينشرن كذا، فإنّه يقال: نشر الميت، أي: حيي، وأنشره الله: إذا أحياه، فيكون المراد بها: الأنفس التي حييت بالعرف الذي أرسلت به "المرسلات"، أو الأشباح والأرواح والبقاع التي حييت بالرياح المرسلات، فإنّ "الرياح" سبب لنشور الأبدان والنّبات، والوحي سبب لنشور الأرواح وحياتها.

لكن هنا أمرٌ ينبغي التفطن له، وهو أنّه - سبحانه - جعل الإقسام في هذه السورة نوعين، وفصل أحدهما من الآخر، وجعل "العاصفات" معطوفاً على "المرسلات" بـ "فاء" التعقيب، فصارا كأنهما نوعٌ واحدٌ، ثمّ جعل "النّاشرات" كأنه قسَمٌ مبتدأٌ فأتى فيه بـ "الواو"، ثمّ عطف عليه "الفارقات" و "المُلقيّات" بـ "الفاء"، فأوهم هذا أنّ "الفارقات" و "المُلقيّات" مرتبطٌ بـ "النّاشرات"، وأنّ "العاصفات" مرتبطٌ بـ "المرسلات".

وقد اختلف في "الفارقات"؛ والأكثر على أنّها الملائكة، ويدلُّ عليه عطف "المُلقيّات" ذكراً عليها بـ "الفاء"، وهي الملائكة بالاتفاق.

وعلى هذا فيكون القسَم بالملائكة التي كُشرت أجنحتها عند النزول، ففرقت بين

الحق والباطل، فألقت الذِّكْرَ على الرُّسُلِ إعدارًا وإنذارًا.
ومن جعل "التأثيرات": الرِّيح جعل "الفَارِقَات" صفةً لها، وقال: هي تفرِّقُ السَّحَابَ هاهنا وهاهنا، ولكن يأبى ذلك عطفُ "المُلقِيَات" بـ "الفاء" عليها.
ومن قال: "الفَارِقَات": آي القرآن؛ تُفرِّقُ بين الحقِّ والباطل، فقوله يلتئم مع كون "التأثيرات" الملائكة أكثر من التثامه إذا قيل: إنَّها "الرِّيح".
ومن قال: هي جماعات الرُّسُل؛ فإن أراد الرُّسُل من الملائكة فظاهرٌ، وإن أراد الرُّسُل من البشر فقد تقدّم بيان ضعف هذا القول. ويظهر - والله أعلم بما أراد من كلامه - أنَّ القَسَمَ في هذه السورة وقع على التَّوعِين: الرِّيح، والملائكة. ووجه المناسبة: أنَّ حياة الأرض والتَّبَات وأبدان الحيوان بالرِّيح، فإنَّها من رَوْحِ اللهِ، وقد جعلها اللهُ - تعالى - نُشُورًا، وحياة القلوب والأرواح بالملائكة. فبهذين التَّوعِين يحصل نوعًا الحياة، ولهذا - والله أعلم - فَصَلَ أَحَدَ التَّوعِين من الآخر بـ "الواو"، وجعل ما هو تابعٌ لكلِّ نوع بعده بـ "الفاء". ... إلخ. (١)

القسم في سورة النازعات:

وقال تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۝١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالْمُدَبِّرَاتِ سَبْعًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾ [النازعات]
قال الحافظ ابن كثير رحمته الله:

قال ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسدي: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۝١ ﴾ الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعنف فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝٢ ﴾ قاله ابن عباس.

وعن ابن عباس: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ۝١ ﴾: هي أنفس الكفار، تنزع ثم تنشط، ثم تغرق في النار. رواه ابن أبي حاتم.

(١) التبيان في أيمان القرآن ط عالم الفوائد (١/ ٢٢٣-٢٢٩)

وقال مجاهد: ﴿وَالْتَرَعَتِ عَرَقًا ۝﴾ الموت.

وقال الحسن، وقتادة: ﴿وَالْتَرَعَتِ عَرَقًا ۝﴾ وَالنَّشِطَاتِ نَشَطًا ۝﴾ هي النجوم.

وقال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَالْتَرَعَتِ ۝﴾ وَالنَّشِطَاتِ ۝﴾ هي القسي في القتال. والصحيح الأول، وعليه الأكثرون.

وأما قوله: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝﴾ فقال ابن مسعود: هي الملائكة. وروي عن علي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح مثل ذلك.

وعن مجاهد: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝﴾ الموت.

وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن.

وقوله: ﴿فَالسَّبِقَاتِ سَبْقًا ۝﴾ روي عن علي، ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري: يعني الملائكة؛ قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به. وعن مجاهد: الموت. وقال قتادة: هي النجوم وقال عطاء: هي الخيل في سبيل الله.

وقوله: ﴿فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ۝﴾ قال علي، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي: هي الملائكة- زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلى الأرض. يعني: بأمر ربها ﷺ. ولم يختلفوا في هذا. اهـ^(١).

وقال السعدي رحمه الله: هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره، يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان، وأنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿وَالْتَرَعَتِ عَرَقًا ۝﴾ وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٣١٢)

الروح، فتجازى بعملها. ﴿وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا ۝﴾ وهم الملائكة أيضا، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النزاع يكون لأرواح المؤمنين، والنشط لأرواح الكفار. ﴿وَالسَّيِّحَاتِ ۝﴾ أي: المترددات في الهواء صعودا ونزولا ﴿سَبْحًا ۝﴾ فَالسَّيِّقَاتِ ﴿لغيرها﴾ سَبْقًا ﴿فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله حتى لا تسترقه﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿الملائكة، الذين وكلهم الله أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار وغير ذلك. ا.هـ. (١).

وقال ابن القيم رحمه الله: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّارِعَاتِ عَرْفًا ۝﴾ وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝﴾ فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝﴾،

فهذه خمسة أمور، وهي صفات الملائكة.

فأقسَمَ -سبحانه- بالملائكة الفاعلة لهذه الأفعال؛ إذ ذلك من أعظم آياته، وحذف مفعول النَّزْعِ والنَّشِطِ لأنه لو ذُكِرَ ما تنزَعُ وتنشِطُ لأوهمَ التقييدَ به؛ ولأنَّ القَسَمَ على نفس الأفعال الصادرة من هؤلاء الفاعلين، فلم يتعلَّقَ العَرَضُ بذكر المفعول...، فكان نفسُ النَّزْعِ هو المقصود لا عَيْنُ المنزوع.

وأكثر المفسرين على أنها الملائكة التي تنزع أرواح بني آدم من أجسامهم، وهم جماعة؛ ...

و"النَّزْعُ": هو اجْتِدَابُ الشيء بقوة، والإغراق في النَّزْعِ أن يجتذبه إلى آخره، ومنه إغراق النَّزْعِ في جَذْبِ القوس: أن يبلغ بها غاية المدِّ، فيقال: أغرق في النَّزْعِ، ثُمَّ صار مثلاً لكلِّ من بالغ في فعلٍ حتَّى وصل إلى آخره.

و"العَرْفُ": اسم مصدرٍ أُقِيمَ مَقَامَهُ، كالعطاء والكلام أُقِيمَ مقام الإعطاء والتكليم.

وقال ابن مسعود: "هي أنفس الكفار"، وفي هذا القول ضعف ...

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٠٨)

وقال الحسن: "التَّازِعَات" هي: التُّجُوم، تنزع من المشرق إلى المغرب، و"عَرَقًا" هو غروبها، قال: "تنزع من هاهنا وتغرق هاهنا"... إلى أن قال: فَأَقْسَمَ بطوائف الملائكة وأصنافهم:

﴿وَالْتَزَعَتِ﴾: التي تنزع الأرواح من الأجساد.

﴿وَالْتَشِطَّتِ﴾: التي تنشطها، أي: تُخرجها بسرعةٍ وخِفَّةٍ، من قولهم: نَشَطَ الدَّلْوُ من البئر؛ إذا أخرجها، وأنا أَشِطُّ لكذا أي: أَخَفُّ له وأَسْرَعُ.

﴿وَالسَّبِيحَتِ﴾: التي تسبح في الهواء في طريق مَمَرِّها إلى ما أَمِرَتْ به، كما تسبح الطير في الهواء.

﴿فَالسَّبِيحَتِ﴾: التي تسبق وتُسْرِعُ إلى ما أَمِرَتْ به، لا تبطئ عنه ولا تتأخر.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾: التي تدبِّرُ أمورَ العباد التي أمرها ربُّها بتدبيرها، وهذا أولى الأقوال.^(١)



انتهى الجزء الثالث

وبليه الجزء الرابع: الإيمان بالكتب المنزلة

(١) التبيان في إيمان القرآن ط عالم الفوائد (١/ ٢٠٧-٢١٨)

المحتويات

٥	الركن الثالث من أركان الإيمان الإيمان بالملائكة
٧	المجلس الخامس عشر
٧	الشعبة الثالثة من شعب الإيمان الإيمان بالملائكة الكرام
٧	تعريف الملائكة
٧	الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان
٧	معنى الإيمان بالملائكة
٨	الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب
٨	الإيمان بالملائكة من أسباب زيادة الإيمان
٨	الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور
٩	الإيمان بالملائكة يكون إجمالاً وتفصيلاً
١٠	من صفات الملائكة أنهم خلِقوا من نور
١٠	تقدم خلق الملائكة على البشر
١٠	رؤية الملائكة
١٠	عظم خلق الملائكة
١٢	عظم خلق الملائكة يدل على عظمة الخالق سبحانه
١٢	الملائكة ذوا أجنحة
١٣	جمال الملائكة
١٤	تفاوت الملائكة في الخلق
١٤	تفاوت الملائكة في الفضل
١٤	الملائكة لا يُوصفون بالذكورة ولا الأنوثة
١٥	الملائكة لا يحتاجون إلى طعام ولا إلى شراب ولا نكاح
١٥	الملائكة لا يدركهم ما يدرك البشر من الكلل والملل في العبادة
١٥	الملائكة لا يعلمون الغيب

- ١٦ موت الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ١٧ الملائكة يسكنون السماء
- ١٧ الملائكة ينزلون إلى الأرض بأمر الله
- ١٨ الملائكة عددهم كثير لا يحصيهم إلا الله
- ٢٠ الملائكة كرام بررة
- ٢١ استحياء الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ٢١ ذكر بعض من سُمِّيَ لنا من الملائكة وبعض أعمالهم
- ٢١ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٢٤ ميكايل عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٢٦ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٢٧ توسل النبي بربوبية الله لهؤلاء الأملك الثلاثة
- ٢٨ دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه أن يلحقه بهؤلاء الأملك الثلاثة
- ٢٩ خزنة الجنة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ٢٩ مالك خازن النار عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٢٩ خزنة السموات
- ٣٠ الملائكة حراس مكة والمدينة
- ٣١ الملائكة حراس الشام
- ٣١ ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٣٢ أعوان ملك الموت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ٣٣ استئذان ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأنبياء
- ٣٣ مجيء ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أبينا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٣٦ مجيء ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٣٨ المنكر والنكير عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ٣٩ هاروت وماروت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ٣٩ ملك الجبال
- ٤٠ ملك الرعد

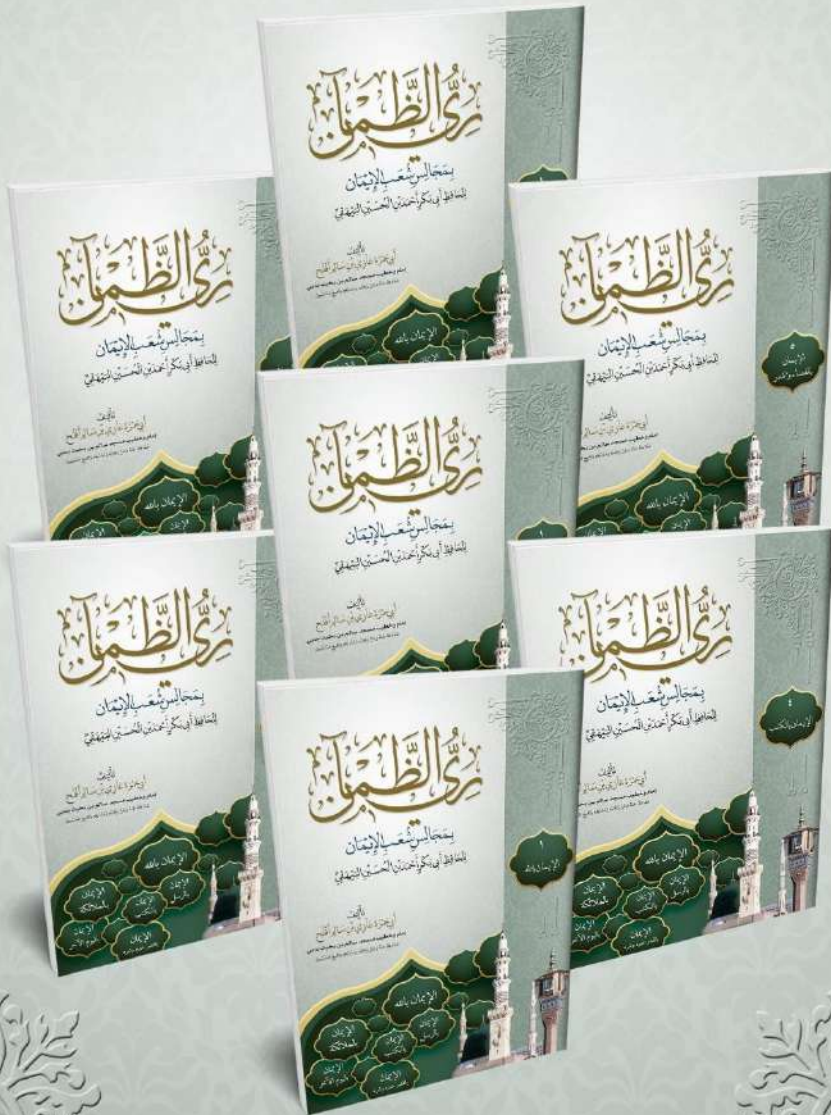
- ٤١ حملة العرش والملائكة المقربون
- ٤٥ الملائكة الموكلون بالأرحام
- ٤٦ ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
- ٤٧ القرين من الملائكة
- ٤٧ أثر لمة الملك وأثر لمة الشيطان
- ٤٧ أحوال القلوب مع لمة الملك ولمة الشيطان
- ٤٨ سبب تسلط الشيطان على القلوب
- ٤٩ الملائكة الموكلون بحراسة ابن آدم
- ٤٩ الملائكة الحفظة
- ٥٠ رقيب عتيد
- ٥١ ملك الحسنات وملك السيئات
- ٥٥ المجلس السادس عشر
- ٥٥ قدرة الملائكة على التشكل
- ٥٦ سرعة الملائكة
- ٥٧ علم الملائكة
- ٥٧ اختصاص الملائكة في المأ الأعلى
- ٥٨ انتظام صفوف الملائكة
- ٥٩ عصمة الملائكة
- ٦١ تسبيح الملائكة وذكرهم لله
- ٦٣ قول الملائكة آمين
- ٦٤ قول الملائكة اللهم ربنا لك الحمد
- ٦٤ استجابة الملائكة لما يوكل إليهم من الأعمال
- ٦٤ مجاورة الملائكة لله تعالى في خلق آدم عليه السلام
- ٦٤ غسل الملائكة لآدم عليه السلام عند وفاته
- ٦٥ غسل الملائكة لحنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه
- ٦٥ نزول الملائكة مع عيسى بن مريم عليه السلام

- ٦٦ محبة الملائكة للمؤمن
- ٦٦ تسديد الملائكة للمؤمن
- ٦٧ صلاة الملائكة على النبي ﷺ
- ٦٧ صلاة الملائكة على المؤمن
- ٦٨ تبليغ الملائكة سلام المؤمن على النبي ﷺ
- ٦٨ تعظيم الملائكة لطالب العلم
- ٧٠ كتابة الملائكة لمن يحضر الجمعة
- ٧١ حضور الملائكة مجالس الذكر
- ٧١ تنزل الملائكة لاستماع القرآن
- ٧٢ دعوة الملائكة الناس إلى الصلاة
- ٧٣ دعاء الملائكة لعلم الناس الخير
- ٧٣ دعاء الملائكة لمن يصلي ويجلس في مصلاه
- ٧٣ دعاء الملائكة لأصحاب الصف الأول
- ٧٣ دعاء الملائكة للمتسحرين
- ٧٣ دعاء الملائكة لمن يصلي على النبي ﷺ
- ٧٤ دعاء الملائكة لمن ينفق ويتصدق ودعاؤهم على الممسك
- ٧٤ الملائكة تدعو للمؤمن بظهر الغيب وتأمّن على دعائه لأخيه بظهر الغيب
- ٧٤ دعاء الملائكة مستجاب
- ٧٥ استغفار الملائكة لمن عاد مريضاً
- ٧٥ استغفار الملائكة للمؤمنين
- ٧٥ الدعاء عند سماع صياح الديكة لأنها ترى الملائكة
- ٧٦ سؤال النبي ﷺ الله تعالى أن تصلي الملائكة على من أطعمه
- ٧٧ تسليم الملائكة على إبراهيم عليه السلام
- ٧٧ تسليم الملائكة على نبينا عليه الصلاة والسلام
- ٧٧ تسليم الملائكة على أهل الجنة
- ٧٨ تسليم الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه

٧٨ تسليم جبريل <small>عليه السلام</small> على خديجة <small>رضي الله عنها</small>
٧٨ تسليم جبريل <small>عليه السلام</small> على عائشة <small>رضي الله عنها</small>
٧٩ رد الملائكة للسلام
٨٠ مصافحة الملائكة
٨٢ تشييع الملائكة جنازة المؤمن
٨٥ نزول الملائكة بالبشرى
٨٦ شفاعة الملائكة يوم القيامة
٨٦ شفاعة الملائكة للمؤمن الذي يحمد الله في السراء
٨٧ الله <small>ﷻ</small> يباهي الملائكة بعباده الصالحين من بني آدم
٨٨ وجوب محبة المؤمن للملائكة
٨٨ البعد عن كل ما يؤذي الملائكة
٨٩ الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة
٩٤ لا تصعب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس
٩٤ لعن الملائكة لمن يستحق اللعن
٩٧ تحريم سب الملائكة
٩٨ من محبة المؤمن للملائكة البعد عن المعاصي
٩٩ إقسام الله بالملائكة
٩٩ القسم في سورة الصافات
١٠٠ القسم في سورة الذاريات
١٠١ القسم في سورة المرسلات
١٠٥ القسم في سورة النازعات
١٠٩ المحتويات

بِرِّ الظَّمَانِ

بِمَجَالِسِ شَعْبِ الْإِيمَانِ



بِرِّ الْإِطْمِئِنَانِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

٤

الإيمان بالكتب

تَأَلَّفُ

أَبِي حَمْزَةَ غَازِي بْنِ سَالِمِ أَفْلَحٍ

إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي

عَمَّا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالدِّيَةِ وَمَشَاجِيهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

الإيمان
بالرسل

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان

بالقدر خيره وشره



سلسلة: رِيّ الظَّمَانِ بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ (٤)

الْإِيمَانُ بِالْكَتَبِ الْمَنْزِلَةِ

تَأْلِيفُ

أبي حمزة غازي بن سالم أفلاح

عفا لله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي الشيخ محمد بن عبد الله باموسى

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفسح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام

التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com



الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar

الركن الرابع من أركان الإيمان

الإيمان بالكتب

المجلس السابع عشر (١)

الشعبة الرابعة من شعب الإيمان: الإيمان بالكتب المنزلة

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان:

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول العقيدة، لا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله ﷺ رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وجوب اليقين في الإيمان بالكتب وسائر أصول الإيمان:

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: اليقين هو الإيمان الحازم الثابت الذي لا ريب فيه ولا تردد ولا شك ولا شبهة بخمسة أصول ذكرها سبحانه في قوله تعالى ﴿ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] وفي قوله ﴿ * وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء] وفي قوله ﴿ * ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] والإيمان بالله واليوم الآخر داخل في الإيمان بالكتب والرسول، وجمع بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عمر رضي الله عنه في قوله: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر» (٢) فهذه الأصول الخمس من لم يؤمن بها فليس بمؤمن واليَقِينُ أن يقوم الإيمان بها حتى تصير كأنها معاينة للقلب مُشَاهِدَةٌ لَهُ نسبتها إلى البصيرة كنسبة الشمس والقمر إلى البصر ولهذا قال من قال من السلف: «الْيَقِينُ

(١) كان في يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان ١٤٤١ هـ.

(٢) أخرجه مسلم (١)

الإيمان كله»^(١) ا.هـ^(٢)

ثناء الله على رسله ﷺ لتبليغهم كتبه المنزلة :

وقد أثنى الله ﷻ على الرسل الذين يبلغون عن الله كتبه ورسالاته فقال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ثناء الله على رسوله والمؤمنين لإيمانهم بالكتب والرسل :

كما أخبر ﷻ أن الرسول والمؤمنين آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، يقول ربنا ﷻ: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۖ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۖ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قال شيخ الإسلام رحمته الله: فَبَايَنُوا بِهِذَا الْإِيمَانَ جَمِيعَ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ الْمُكْذِبِينَ لِجَنَسِ الرُّسُلِ. وَالْمُصَدِّقِينَ لِبَعْضِهِمُ الْمُكْذِبِينَ لِبَعْضِهِمْ ا.هـ^(٣)

ذم المفرقين بين كتب الله :

وذم الله تعالى المفرقين بين كتبه فقال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ۚ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ ﴾ [النساء: ٥٠].

هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٠﴾ [النساء]

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم عن ابن مسعود رضي الله عنه. ووصله وكيع في الزهد (٢٠٣) وسعيد بن منصور في التفسير ط الألوكة (٢٧١ / ٧) رقم (١٩٢٨) وعبد الله بن أحمد في السنة (٨١٧) والحاكم في المستدرک (٣٦٦٦) وقال صحيح الإسناد. وروي مرفوعا ولا يصح كما في السلسلة الضعيفة (٤٩٩). ورواه سعيد بن منصور (١٩٢٧) أيضا وابن أبي الدنيا في الشکر (٥٨) عن الشعبي.

(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه - ط عطاءات العلم (٢١/١)

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/١٣٥).

ذم أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضيضاً:

ووصفهم سبحانه بـ: ﴿ الْمَقْتَسِمِينَ ﴾ [الحجر] أي: المتحالفين، على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم، وكانوا لا يكذبون بشيء إلا أقسموا عليه، فسُموا مقتسمين. ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر] أي: جزّوا كتبهم المنزلة عليهم، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «هم أهل الكتاب [اليهود والنصارى] جزّوه أجزاءً فأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه» رواه البخاري^(٢) وقال مجاهد: عضوه أعضاء، قالوا: سحر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير الأولين.^(٣)

مشابهة المشركين لأهل الكتاب في التكذيب بالقرآن:

وما ذكره مجاهد يصدق على أهل الكتاب كما يصدق على المشركين الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أرو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حصر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حصر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلّفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقل به فقال: بل أنتم فقولوا وأسمع قالوا: نقول إنه كاهن قال: ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمرمة الكاهن ولا سجعهم قالوا: فنقول: إنه لمجنون قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا: فنقول إنه شاعر، قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشاعر قالوا: فنقول ساحر، قال ما هو بساجر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟

(١) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٥٤٩)

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٠٦، ٣٩٤٥) والزيادة رواية له. واستدركه الحاكم (٣٣٥٤) وتعقبه الذهبي في التلخيص

فقال: ذا أخرجه البخاري. وهكذا تعقبه الحافظ في إتحاف المهرة (٧٢٩٠)

(٣) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٤/ ٥٤٩)

قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَمُعْدِقٌ، وَإِنَّ فَرَعَهُ لِحَنَاءَةٌ^(١) وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عَرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لِأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ.^(٢)

وفي المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنه، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقٌّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنَّ يَجْمَعُونَ لَكَ مَالًا. قَالَ: لَمْ؟ قَالَ: لِيُعْطَوْكَه فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِيُعْرِضَ لِمَا قَبْلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ فُرَيْشُ أَيُّ مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَعُلُ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهِ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْحِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثِمِّرٌ أَعْلَاهُ مُعْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعَلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ. قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمَكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أَفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: " هَذَا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ بِأَثَرِهِ مِنْ غَيْرِهِ فَزَلَّتْ الْآيَاتُ ^(٣) .

أي أنزل الله صلى الله عليه وسلم في الوليد بن المغيرة الآيات: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَيْنَ أَيْدِيهِ عُرُوشًا مَنصُوبًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۖ سَاءَ رِهْقُهُ ۖ صَعُودًا ۖ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ۖ فَفَقِمْ كَيْفَ فَدَّرَ ۖ ثُمَّ قَاتِلْ كَيْفَ فَدَّرَ ۖ ﴾

(١) قال السهيلي في الروض الأنف تدمري (٣/ ١٩): وَقَوْلُ الْوَلِيدِ إِنَّ أَصْلَهُ لَعَدْقٌ وَإِنَّ فَرَعَهُ لِحَنَاءَةٌ. اسْتِعَارَةٌ مِنَ التَّخْلَةِ الَّتِي ثَبَّتَ أَصْلُهَا، وَقَوِي وَطَابَ فَرَعُهَا إِذَا جَنَى، وَالتَّخْلَةُ هِيَ الْعَدْقُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ أَهْوَ قَالَ ابْنُ الرَّكْبِ الْأَنْدَلِسِيُّ فِي الْإِمْلَاءِ الْمُخْتَصَرِ فِي شَرْحِ غَرِيبِ السَّيْرِ (ص ٨٥): قَوْلُهُ: وَإِنَّ فَرَعَهُ لِحَنَاءَةٌ، أَي فِيهِ ثَمَرٌ يَجْنَى أَهْ.

(٢) سيرة ابن اسحاق "السير والمغازي" (ص ١٥٠) ومن طريقه رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٩) وفي شعب الإيمان (١٣٤)، وعلقه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٨٣)، ورواه أبو نعيم من طريق آخر عن ابن إسحاق به عن عكرمة - ليس فيه ابن عباس رضي الله عنه -. وعن عكرمة رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨٣) والطبري في تفسيره جامع البيان ط هجر (٤٢٩/ ٢٣).

(٣) المستدرک على الصحيحين (٣٨٧٢) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٨) وفي شعب الإيمان (١٣٣) وأشار البيهقي إلى إعلاله بالإرسال فقال في شعب الإيمان (١/ ٢٨٨): هكذا حدثناه موصولاً، ورواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة مرسلًا، وذكر الآية التي قرأها ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠]. أه وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ٢٢٥).

تُرْ نَظَرَ ﴿١١﴾ تُو عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿١٢﴾ تُو أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ﴿١٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿١٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿١٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿١٨﴾ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٢٠﴾ ﴿[المدثر]

دليل الإيمان بالكتب من القرآن:

هذه الكتب من عند الله ﷻ والله ﷻ أمر المؤمنين أن يؤمنوا بها فقال ﷻ: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ [البقرة].

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ﷻ: فَجَعَلَ الْقَوْلَ فَرَضًا حَتْمًا، كَمَا جَعَلَ مَعْرِفَتَهُ فَرَضًا، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ يَقُولَ: اعْرِفُونِي بِقُلُوبِكُمْ ثُمَّ أَوْجَبَ مَعَ الْإِقْرَارِ الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ كإِجَابِ الْإِيمَانِ اهـ^(١)

وقال الله تعالى: ﴿ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ الآية. [البقرة: ١٧٧] وفي الآية المباركة: أن تحقق ماهية البر لا يكون إلا بأمر لا بد منها أولها: الإيمان بأمر خمسٍ وهي: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسول.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٧﴾ [العنكبوت] قال الطبري ﷻ: يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: كَمَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الرُّسُلِ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ ﴿ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ ﴾ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ يَقُولُ: وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِكَ الْيَوْمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ، وَمَنْ آمَنَ بِرَسُولِهِ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ أ.هـ^(١)

وقال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٧) ﴿أَي: الَّذِينَ أَخَذُوهُ فَتَلَوْهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ مِنْ أَحْبَابِهِمُ الْعُلَمَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَأَشْبَاهِهِمَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، يَعْنِي الْعَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ أ.هـ^(٢)

إهلاك الله المكذبين بكتبه:

ومما يدل على منزلة الإيمان بالكتب في الدين أيضًا أن الله تعالى أهلكت الأمم السابقة بسبب تكذيبهم بهذه الكتب كما أخبر الله ﷺ عن نبيه صالح عليه السلام، أنه قال لقومه: ﴿يَقُومُوا لِقَدِّ أَلْبَغْتِكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحِينَ﴾ (٧٩) ﴿[الأعراف].

وقال تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام -الذي كان يسميه بعض السلف خطيب الأنبياء عليه السلام^(٣) - ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ (٩٢) ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأَيُّكُمْ لَقَدْ أَلْبَغْتِكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٩٣) ﴿[الأعراف]

كفر المكذبين بالكتب المنزلة:

والمكذبون بالكتب المنزلة أو ببعضها كفار مستحقون للعذاب إذ لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بجميع الكتب المنزلة، كما تقدم. يقول ربنا ﷻ:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٨/٤٢٣)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/٢٨٥)

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٨٥) عن الثوري قال: "كَانَ يُقَالُ: شُعَيْبُ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ" ورواه ابن أبي حاتم (٨٧٢٥) عن الإمام مالك أنه قال: كَانَ شُعَيْبُ ﷺ خَطِيبَ الْأَنْبِيَاءِ. وفي تفسير الطبري (١٠/٣٢٣): بسنده عن ابن إسحاق قال: وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَ لِي يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ إِذَا ذَكَرَ شُعَيْبًا، قَالَ: «ذَلِكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ» لِحُسْنِ مُرَاجَعَتِهِ قَوْمِهِ فِيمَا يُرَادُ بِهِمْ.

صَلَّالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء]. (١)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالْمُؤْمِنُ بِبَعْضِ الرَّسَالَةِ دُونَ بَعْضٍ كَافِرٌ أَيْضًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا اللَّهُ عَفْوًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء] وَقَالَ تَعَالَى - يُخَاطَبُ أَهْلَ الْكِتَابِ -: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فِرْيَقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُواهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ صَلَّالًا بَعِيدًا ﴿٥١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء]. فَذَمَّ الَّذِينَ أُوتُوا قِسْطًا مِّنَ الْكِتَابِ لَمَّا ءَامَنُوا بِمَا خَرَجَ عَنِ الرَّسَالَةِ وَفَضَّلُوا الْخَارِجِينَ عَنِ الرَّسَالَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهَا ... وَكَمَا ذَمَّ الْمُدَّعِينَ الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ كُلِّهَا وَهُمْ يَتْرُكُونَ التَّحَاكَمَ إِلَى

(١) قال الطيبي في فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (١٩٢/٥): لم يذكر

فيه الإيمان بالملائكة واليوم الآخر - يعني في صدر الآية - . وأجيب أن الإيمان بالكتب المنزلة إيمان بالملائكة الذين نزلوا بها - ولذلك كرر "نزل" - وإيمان باليوم الآخر لاشتمال الكتب عليه ا.هـ وانظر:

البحر المحيط في التفسير (٩٩/٤)

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَتَحَاكُمُونَ إِلَى بَعْضِ الطَّوَاعِيَةِ الْمُعْظَمَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ فِي الْكِتَابِ الَّذِينَ يُؤْمِنُ كُلُّ مِنْهُمْ بِبَعْضِهِ دُونَ بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة] ... وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۗ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۗ﴾ [الشورى: ١٥] فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهِ ﷺ أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَيَمْنَعُ كُلَّ مُبْطِلٍ عَنِ بَاطِلِهِ؛ فَإِنَّ الْقِسْطَ وَالْعَدْلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فِيمَا جَاءَ بِهِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِزْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ﴾ [الحديد] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة] إِنْخِ السُّورَةِ. وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ: قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «أُعْطِيَهُمَا مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»^(١) «وَأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ بِشَيْءٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَهُ»^(٢). وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ «أَنَّهُ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^(٣) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٢٥١) من حديث حذيفة رضي الله عنه وأصله في صحيح مسلم (٥٢٢)

(٢) أخرجه الإمام مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠٨) ومسلم (٨٠٧) من حديث أبي مسعود البديري رضي الله عنه.

أَعْلِمُ ﴿٣٧﴾ [البقرة]... إلخ (١)

دليل الإيمان بالكتب من السنة:

وجاء في حديث جبرائيل المشهور عليه السلام أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (٢).

فبيّن له النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان.

وجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم من أدعية النوم أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالْتَوَى، وَمُنزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ» (٣) قوله: «وَالْفُرْقَانِ» أي القرآن.

وروى الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، أنّ أبا سعيد، مولى عامر بن كريب، أخبره: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبا بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي، فلما فرغ من صلاته لحقه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده. وهو يريد أن يخرج من باب المسجد. فقال: «إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة، ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها»، قال أبا بن كعب رضي الله عنه: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» قال فقرأت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت» (٤)

ورواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أعلمك

(١) مجموع الفتاوى (٣٣٨/١٢) وما بعدها.

(٢) أخرجه مسلم (١) من حديث عمر رضي الله عنه. وهو في البخاري (٥٠) ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) موطأ مالك ت عبد الباقي (١/٨٣/رقم ٣٧)، وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٤٣٣/١٤): هَذَا مُرْسَلٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ. وَلَكِنْ اخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى الْعَلَاءِ، فَرَوَاهُ الدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه... أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ اهـ قلت: وصله عن مالك زيد بن الحباب كما في تفسير الطبري (١٤/١٢٢/ط هجر) والقعني كما في المستدرک للحاکم (٢/٢٥٨) فقالا: عن مالك عن أبي سعيد مولى عامر، عن أبي بن كعب اهـ والمرسل عن مالك أصح ويشهد له ما بعده.

سُورَةً مَا أُنزِلَ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا؟ قُلْتُ: بَلَى... الحديث. ^(١) وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أَبِي بَرَّةٍ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أُنزِلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمَّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَفْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» ^(٢) وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَرَأَ عَلَيْهِ أَبِي أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ... فذَكَرَهُ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ مَطُولًا ^(٣). فهذه الأدلة كلها تدل على ما أمر الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ به من الإيمان بالكتب المنزلة.

قال الحافظ ابن بطة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله وبجميع ما قال الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو حق لازم فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً كان برّد ذلك الشيء كافراً عند جميع العلماء" ^(٤) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزله الله من الكتب" ^(٥).

وقال تلميذه الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكراً بقية الأنبياء، وألاً يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم" ^(٦).

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٥/٢١ ط الرسالة) - ومن طريقه الضياء في "المختارة" (١٢٣٣) -؛ وأخرجه عبد بن حميد (١٦٥)، والطبري في "التفسير" ٥٨/١٤، وابن خزيمة (٥٠٠)، وابن المنذر في الأوسط (١٣٠٠) والحاكم (٥٥٧/١-٢/٢٥٧-٢٥٨) وقال صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في "القراءة خلف الإمام" (١٠٣) وفي شعب الإيمان (٢١٣٩)، والضياء في "المختارة" (١٢٣٤) من طرق عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة به.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣٢١٥) والنسائي في سننه (٩١٤) وابن حبان في صحيحه (٧٧٥) من طريق أخرى عن عبد الحميد بن جعفر به. والزيادة لابن حبان.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٧٥ م) وأحمد (٣٥٧/٢، ٤١٢) وغيرهم وانظر: المسند المصنف المجلد (١٤٥/١).

(٤) الإبانة لابن بطة (٢١٠).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٧١/٢).

(٦) تفسير ابن كثير (٤٤٨/١).

عيب أهل الكتاب على المؤمنين إيمانهم بالكتب:

ومن جحود اليهود والنصارى أهل الكتاب وكفرهم وعنادهم أنهم عابوا على المؤمنين إيمانهم بالكتب المنزلة كما قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة]. أي: هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا أننا آمننا بالله ووجدناه، وآمنا بجميع كتبه ورسله، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب. (١)

قال أبو حيان: وهذه محاوراة لطيفة وجيزة تنبه الناقم على أنه ما نقم عليه إلا ما لا ينقم ولا يعد عيباً. (٢)

ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول الله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج] أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن ينكر. ومثله قول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ

تكرار ذكر الإيمان بالكتب في سورة البقرة:

قال شيخ الإسلام ﷺ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْوَاحِدَةَ -يعني سورة البقرة- جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ وَأُصُولِهِ وَقُرُوعِهِ، وَافْتَتَحَهَا بِالْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ، وَوَسَّطَهَا بِالْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ، وَخَتَمَهَا بِالْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ. فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ هُوَ عَمُودُ الْإِيمَانِ وَقَاعِدَتُهُ وَجَمَاعُهُ. (٣)

يشير ﷺ تعالى إلى قوله تعالى في أولها: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة] فالإيمانُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِهِ يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ وَالْمَلَائِكَةِ ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [١] وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ

(١) انظر: تفسير الطبري ط هجر (٨/ ٥٣٧)، وتفسير ابن جزي "التسهيل لعلوم التنزيل" (١/ ٢٣٦)

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٣٠٣)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٦٤) وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٥)

يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ فَتَضَمَّنَتْ الْإِيمَانَ بِالْقَوَاعِدِ الْخَمْسِ.

وقال تعالى في وسطها: ﴿وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مِنَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية. [البقرة: ١٧٧]

وقال تعالى في آخرها: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

دَاخِلٌ فِي الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسْلِ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ ابْنِ الْقَيْمِ رحمته الله (١)

الإيمان بالكتب يتضمن جملة من الأمور:

ويتضمن الإيمان بالكتب:

١- الإيمان بأنها وحى أنزلت من عند الله حقاً.

قال السيوطي رحمته الله: وَالْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ يَتَشَعَّبُ شُعَبًا، فَأُولَاهَا: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ مِنْ وَضْعِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَلَا مِنْ وَضْعِ جِبْرِيلَ عليه السلام... فَإِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ٨٢]... ثم ذكر التبيهي رحمته الله: قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾

[النساء: ١٦٤]، وقال: ... الأُمَّة اجْتَمَعَتْ مَعَ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ، عَلَى أَنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ

مُخْصِصًا بِفَضْلِ كَلَامِ اللَّهِ تعالى، وَلَوْ كَانَ إِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ مَخْلُوقٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَاصِيَّةٌ... إلخ

اهـ. (٢)

٢- والإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ عليه السلام والتوراة

التي أُنزِلَتْ عَلَى مُوسَى عليه السلام، والإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام، والزيور الذي أوتيه

داود عليه السلام، وأما ما لم نعلمه من الكتب المنزلة فنؤمن به إجمالاً. قال ابن أبي العز الحنفي

رحمته الله: وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَتُؤْمِنُ بِمَا سَمَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا فِي

كِتَابِهِ، مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزُّبُورِ، وَتُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سِوَى ذَلِكَ كُتُبًا أُنزِلَتْ عَلَى

(١) انظر: (ص ٧).

(٢) شعب الإيمان (١/ ٣٢٦).

أَنْبِيَاءِهِ، لَا يَعْرِفُ أَسْمَاءَهَا وَعَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى اهـ^(١)

٣- تصديق ما صح من أخبارها: كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل، أو يحرف من الكتب السابقة.

٤- العمل بما لم ينسخ منها، والرضا، والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن.

يقول الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمته الله تعالى في (شعب الإيمان): "الرابع من شعب الإيمان: الإيمان بالقرآن المنزل على نبينا محمد صلوات الله وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ... (ثم ذكر جملة من الآيات التي قرأناها، وقال بعد ذلك): والإيمان بالقرآن يتشعب شعباً:

فأولها: الإيمان بأنه كلام الله صلوات الله وسائر الكتب وليس من وضع محمد صلوات الله وسائر الكتب ولا من وضع جبريل عليه السلام.

والثانية: الاعتراف بأنه معجز النظم، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه.

والثالثة: اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي صلوات الله وسائر الكتب عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس ولا ضلال صحيفة ولا موت قارئ ولا كتمان كاتم، ولم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف. (ثم ذكر الأدلة الدالة على هذه الأمور الثلاثة، وقال بعد ذلك):

وأما الإيمان بسائر الكتب مع الإيمان بالقرآن فهو نظير الإيمان بسائر الرسل مع الإيمان بنبينا صلوات الله وسائر الكتب وعليهم أجمعين، والذي يحق علينا معرفته في كلام الله أن نعرف: أن كلامه صفة من صفات ذاته يقوم به. وكلامه مقروء في الحقيقة بقراءتنا. محفوظ في قلوبنا. مكتوب في مصاحفنا. غير حال فيها. كما أن الله-تعالى-مذكور في الحقيقة

(١) شرح الطحاوية ت الأرنؤوط (٢/٤٢٤).

بألسنتنا، معلومٌ في قلوبنا، معبودٌ في مساجدنا غيرُ حالٍ فيها. وكلام الله إذا قرئ بالعربية سُمِّيَ قرآنًا، وإذا قرئ بالسرانية سُمِّيَ إنجيلًا، وإذا قرئ بالعبرانية سُمِّيَ تورا^(١) وقال ابن العز الحنفي رحمه الله:

وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ، فَالْإِفْرَارُ بِهِ، وَاتِّبَاعُ مَا فِيهِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ. فَعَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْكُتُبَ الْمُرْتَلَةَ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ أَتَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا حَقٌّ وَهُدًى وَنُورٌ وَبَيَانٌ وَشَفَاءٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦]

﴿الرَّ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران].

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهَا، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِهِ. وَفِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ وَالْعُلُوِّ... إلخ^(٢)

الاقتصار على القرآن:

قال البيهقي: "وإنما يجوز في هذه الشريعة قراءة ما سُمِّيَ قرآنًا دون ما سُمِّيَ تورا وإنجيلًا؛ لأن الله كذب أهل التوراة والإنجيل الذين كانوا على عهد نبينا عليه السلام، وأخبر عن خيانتهم وتحريفهم الكلام عن مواضعه ووضعهم الكتاب ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٩] ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران]. فلا يأمن المسلم إذا قرأ شيئًا من كتبهم أن يكون ذلك من وضع اليهود والنصارى... إلخ^(٣).

(١) شعب الإيمان (٣٢١/١-٣٤٥).

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/٤٢٤-٤٢٥).

(٣) شعب الإيمان (٣٤٥/١).

التعريف في الكتب السابقة :

وهنا يبين لنا الإمام البيهقي رحمته الله ما قد ثبت بلا شك من تحريف أهل الكتاب للكتب المنزلة. قال الله تعالى: ﴿ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتُرَوْا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْتُمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران]

وفي الصحيحين عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أنه قال: جاءت اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم»؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه، كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، ثم قرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، فقال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة^(١).

النهي عن النظر في الكتب المحرفة والاكتفاء بالقرآن :

ولذا جاء النهي عن النظر في كتبهم -غير حاجة شرعية-، كما روى مجالد، عن الشعبي، عن جابر رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فعضب وقال: «أمتهم كون فيها يا ابن الخطاب، فوالذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدفوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» وفي رواية: أن عمر بن

(١) أخرجه مالك في الموطأ ت عبد الباقي (٨١٩/٢) رقم (١)، ومن طريقه رواه البخاري (٣٦٣٥، ٦٨٤١) ومسلم

الْحُطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنُسْخَةٍ مِنَ التَّوْرَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَةِ، فَسَكَتَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهَهُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَكَلْتِكَ الشَّوَاكِلُ، مَا تَرَى بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ بَدَأَ لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوتِي، لَا تَبْعَنِي»^(١)

وقيل للحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما «مُتَهَوِّكُونَ»؟ فقال: متحيرون. وعلق عليه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يقول: أمتحرون أنتم في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؟ قال أبو عبيد: فمعناه أنه كره أخذ العلم من أهل الكتاب ا.هـ.^(٢)

وقال البغوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَوْلُهُ: «أَمْتَهَوِّكُونَ» أَي: مُتَحَيِّرُونَ أَنْتُمْ فِي الإِسْلَامِ، لَا تَعْرِفُونَ دِينَكُمْ حَتَّى تَأْخُذُوهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. وَقَوْلُهُ: «بَيْضَاءَ نَقِيَّةً» أَرَادَ الْمِلَّةَ، لِذَلِكَ جَاءَ التَّأْنِيثُ، كَقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۖ﴾ [البينة: ٥] أَي: تَفْسِيرُ الْمِلَّةِ الْقِيَمَةُ الْحَنِيفِيَّةِ ا.هـ.^(٣)

وروى الإمام مالك، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْحُطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ مُصْحَفًا، قَدْ تَشَرَّمَتْ حَوَاشِيهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي هَذِهِ التَّوْرَةُ فَأَقْرُؤْهَا؟ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى مُوسَى، يَوْمَ طُورِ سَيْنَاءَ، فَأَقْرَأْهَا آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَإِلَّا فَلَا»، فَرَاغَهُ

(١) أخرجه أحمد (١٥١٥٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٤٢١) - ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم

وفضله (١٤٩٧) - والدارمي (٤٤٩) والرواية الأخرى له. والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٥) وفي إسناده مجالد

وهو ضعيف، لكن للحديث طرق أخرى ولذا حسنه العلامة الألباني في الإرواء (١٥٨٩)

(٢) غريب الحديث (٣٢٤/٢)

(٣) شرح السنة (٢٧١/١)

كَعْبٌ، فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ^(١). قال العلامة القنازعي رحمته الله: ففي هذا من الفقه: أَنَّ عُمَرَ كَرِهَ أَنْ يُقْرَأَ مِنَ الْكُتُبِ الْأَوَّلِ شَيْءٌ إِلَّا مَا صَحَّ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُحَرَّفْ وَلَمْ يُبَدَّلْ، وفيه: أَنَّ كَعْبَ الْأَخْبَارِ قَدْ عَلِمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَدْ حَرَفُوا التَّوْرَةَ، إِذْ لَمْ يُجْبَرْ عُمَرُ بِأَنْ فِي ذَلِكَ الْمُصْحَفِ التَّوْرَةَ الْمُنَزَّلَةَ غَيْرَ الْمُبَدَّلَةِ أ.هـ.^(٢)

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمته الله: ومن صحَّ عنده شيء من التَّوْرَةِ بِنَقْلِ مِثْلِ ابْنِ سَلَامٍ رحمته الله وغيره من أخبار اليهود الذين أسلموا، جاز له أن يقرأه ويعمل بما فيه إن لم يكن مخالفا لما في شريعتنا، من كتابنا وسنة نبينا صلوات الله عليه،... ثم ذكر قول عمر لكعب المتقدم.^(٣)

حكم الرواية عن أهل الكتاب:

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه قَالَ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٤)

قال الحافظ: وَقَالَ مَالِكُ الْمُرَادُ جَوَازُ التَّحَدُّثِ عَنْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ حَسَنِ أَمَا مَا عَلِمَ كَذِبُهُ فَلَا؛ وَقِيلَ الْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِمِثْلِ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ... وَقَالَ الشَّافِعِيُّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه لَا يُجِزُ التَّحَدُّثُ بِالْكَذِبِ فَالْمَعْنَى حَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ كَذِبَهُ وَأَمَا مَا تُجَوِّزُونَهُ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّحَدُّثِ بِهِ عَنْهُمْ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ صلوات الله عليه «إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكْذِّبُوهُمْ»^(٥) وَلَمْ يَرِدِ الْإِذْنُ وَلَا الْمَنْعُ مِنَ التَّحَدُّثِ بِمَا يَقْطَعُ بِصِدْقِهِ. أ.هـ.^(٦)

وروى الإمام البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَفْرَعُونَ

(١) (موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري) (١٠٨ / ١) رقم (٢٧٥) ورواه إبراهيم الحري في غريب الحديث

(٢) (٩٥٠ / ٣) من طريق معن عن مالك. وفيه انقطاع، زيد لم يدرك عمر رضي الله عنه.

(٣) تفسير الموطأ (٢٣٨ / ١)

(٤) التمهيد - ابن عبد البر (٢٧٧ / ٩) ت بشار

(٥) صحيح البخاري (٣٤٦١)

(٦) سيأتي (ص ٢٧) وانظر الحديث الآتي.

(٦) فتح الباري (٤٩٨-٤٩٩)

التَّورَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ، وَ ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦]»
 الآيَة وزاد في رواية: «... وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ» الآيَة^(١) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره وذكر الآيَة تامة ولفظه: «... ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَنَاءُ وَالْهَكْمُ وَحَدُّ وَحَنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت]»^(٢)

وفي الحديث: التَّهْمِيُّ عَن تَصْدِيقِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَا يُعْرَفُ صِدْقُهُ مِنْ قَبْلِ غَيْرِهِمْ.^(٣)

وقال الحافظ: قَوْلُهُ «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ» أَي إِذَا كَانَ مَا يُخْبِرُونَكُمْ بِهِ مُحْتَمَلًا لِئَلَّا يَكُونَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ صِدْقًا فَتُكذِّبُوهُ أَوْ كَذِبًا فَتُصَدِّقُوهُ فَتَقَعُوا فِي الْحَرْجِ أَه.^(٤)

وأرشد في الحديث إلى ما هو الصواب فيه، وهو أن يقول المسلمون إذا حدّثهم أهل الكتاب: ﴿ ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَنَاءُ وَالْهَكْمُ وَحَدُّ وَحَنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾. قال الحافظ: وَلَمْ يَرِدِ التَّهْمِيُّ عَن تَكْذِيبِهِمْ فِيمَا وَرَدَ شَرَعًا بِخِلَافِهِ وَلَا عَن تَصْدِيقِهِمْ فِيمَا وَرَدَ شَرَعًا بِوَفَاقِهِ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَيُوَحِّدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ التَّوَقُّفَ عَنِ الْخَوْصِ فِي الْمَشْكَلاتِ وَالْجُزْمَ فِيهَا بِمَا يَقَعُ فِي الظَّنِّ وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ مِنْ ذَلِكَ أَه.^(٥)

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحَدُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَأُونَهُ [مُحْضًا] لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللهُ وَعَيَّرُوهُ [وَكْتَبُوا] بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ،

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢) والزيادة المذكورة مع ما قبلها ليس بأية.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٧٠/٩) وهو في السنن الكبرى للنسائي (٢١١/١٠) رقم (١١٣٢٣) وشعب الإيمان

للبيهقي (٤٨٤٢)

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٩٢/٥)

(٤) فتح الباري (١٧٠/٨)

(٥) المرجع السابق

فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلَا يَنْهَاكُمُ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمُ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ»^(١)
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَتُكْذَبُوا بِحَقِّ أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَيُضِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كِتَالِيَةَ الْمَالِ»^(٢) وفي رواية: «... إِلَّا فِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَكِتَابِهِ كِتَالِيَةَ الْمَالِ». وَالتَّالِيَةُ: البَقِيَّةُ. ^(٣) وزاد في رواية: قَالَ: «إِنْ كُنْتُمْ سَائِلِيهِمْ لَا مَحَالَةَ فَانظُرُوا مَا وَاظَأَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ»^(٤)

قال ابن بطال رحمته الله: قال المهلب: قوله عليه السلام: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ» إنما هو في الشرائع لا تسألوهم عن شرعهم فيما لا نعرفه من شرعنا لنعمل به؛ لأن شرعنا مكتف وما لا نص فيه عندنا ففي النظر والاستدلال ما يقوم الشرع منه. وأما سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، وما جاء به نبينا عليه السلام من الأخبار عن الأمم السالفة فلم ينه عنه. فإن قيل: فقد أمر الله رسوله عليه السلام بسؤال أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]. قيل: ليس هذا بمفسد لما تقدم من النهي عن سؤالهم؛ لأنه عليه السلام لم يكن شاكاً ولا مرتاباً، وقال أهل التأويل: الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره من الشكك كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، وتقديره: إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا على نبينا. كقولهم: إن كنت ابني فبرني. وهو يعلم أنه ابنه، فإن قيل: فإذا كان المراد بالخطاب غير النبي عليه السلام فكيف يجوز سؤال الذين يقرءون الكتاب مع جردهم النبوة؟ ففيه قولان: أحدهما: سل من آمن من أهل الكتاب كابن سلام، وكعب الأحماس. عن ابن

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٢، ٧٥٢٣) واستدركه الحاكم فرواه في المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٣٠٤١) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه!. وتعقبه الحافظ في إتحاف المهرة (٣٨٤/٧) وقال: قد أخرجه البخاري.هوانظر: السلسلة الصحيحة (٨٠٤/٦)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣١٣/٥) رقم (٢٦٤٢٤) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني (١١١/٦) رقم (١٠١٦٢) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٣٣٤/١٣) وانظر:

موافقة الخبر الخبر (١١٩/١)

(٤) المرجع السابق

عباس والضحاك، ومجاهد وابن زيد. الثاني: سلهم عن صفة النبي ﷺ المبشر به في كتبهم، ثم انظر ما يوافق تلك الصفة ا.هـ^(١)

الأحاديث الإسرائيلية ثلاثة أقسام:

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: الأَحَادِيثُ الإِسْرَائِيلِيَّةُ تُذَكَّرُ لِلإِسْتِشْهَادِ، لَا لِلإِعْتِضَادِ، فَإِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ، فَذَلِكَ صَحِيحٌ.
وَالثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.

وَالثَّالِثُ: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَلَا تُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نُكْذِبُهُ، وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ، وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إِلَى أَمْرِ دِينِي؛ وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي هَذَا كَثِيرًا، وَيَأْتِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ خِلَافٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، كَمَا يَذْكُرُونَ فِي مِثْلِ هَذَا أَسْمَاءَ أَصْحَابِ الْكُهْفِ، وَلَوْنِ كَلْبِهِمْ، وَعِدَّتِهِمْ، وَعَصَا مُوسَى مِنْ أَيِّ الشَّجَرِ كَانَتْ؟ وَأَسْمَاءَ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْقَتِيلُ مِنَ الْبَقْرَةِ، وَنَوْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلِّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا دِينِهِمْ. وَلَكِنَّ نَقْلَ الْخِلَافِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ ا.هـ^(٢)

وفي قول الله تعالى: ﴿ * وَلَا تُجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت]

يقول الحافظ ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿ * وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ * يَعْنِي: إِذَا أَخْبَرُوا بِمَا لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ وَلَا كَذِبُهُ، فَهَذَا لَا نُقَدِّمُ عَلَى تَكْذِيبِهِ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ حَقًّا، وَلَا عَلَى تَصْديْقِهِ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَاطِلًا وَلَكِنْ تُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مُجْمَلًا

(١) «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٣٩١/١٠) وانظر: فتح الباري (٣٣٤/١٣)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٩/١)

مُعَلَّقًا عَلَى شَرْطٍ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُنْزَلًا لَا مُبَدَّلًا وَلَا مُوَوَّلًا... ثم ذكر حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** المتقدم «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ...» ثم قال: وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَمَرَ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي نَمْلَةَ أَنَّ أَبَا نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيَّ **رضي الله عنه** أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجِنَارَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَعْلَمُ». قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ»^(١) قال الحافظ ابن كثير: وَأَبُو نَمْلَةَ هَذَا هُوَ: عُمَارَةُ. وَقِيلَ: عَمَّارٌ. وَقِيلَ: عَمْرُو بْنُ مُعَاذِ بْنِ زُرَّارَةَ الْأَنْصَارِيُّ، **رضي الله عنه**. قال: ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُحَدِّثُونَ بِهِ غَالِبُهُ كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَهُ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلٌ وَتَغْيِيرٌ وَتَأْوِيلٌ، وَمَا أَقَلَّ الصَّدَقَ فِيهِ، ثُمَّ مَا أَقَلَّ فَائِدَةَ كَثِيرٍ مِنْهُ لَوْ كَانَ صَحِيحًا... وَقَالَ الْبُخَارِيُّ^(٢): وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ - وَذَكَرَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ - فَقَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَتَبْلُوْا عَلَيْهِ الْكَذِبَ.^(٣) قال الحافظ ابن كثير

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥، ١٧٢٢٦) وأبو داود (٣٦٤٤) وصححه ابن حبان (٦٢٥٧) وصححه العلامة الشيخ

الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٠٠).

(٢) صحيح البخاري (٧٣٦١)

(٣) قال الحافظ في الفتح: (٣٣٤/١٣): أَي يَقَعُ بَعْضُ مَا يُخْبِرُنَا عَنْهُ بِخِلَافِ مَا يُخْبِرُنَا بِهِ قَالَ ابْنُ التَّيْنِ: وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رضي الله عنه** فِي حَقِّ كَعْبِ الْمَذْكُورِ: «بَدَّلَ مِنْ قَبْلِهِ فَوَقَعَ فِي الْكَذِبِ» قَالَ وَالْمُرَادُ بِالْمُحَدِّثِينَ أَنْدَادُ كَعْبٍ مِمَّنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَسْلَمَ فَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْهُمْ وَكَذَا مَنْ نَظَرَ فِي كُتُبِهِمْ فَحَدَّثَ عَمَّا فِيهَا قَالَ وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا مِثْلَ كَعْبٍ إِلَّا أَنَّ كَعْبًا كَانَ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَصِيرَةً وَأَعْرَفَ بِمَا يَتَوَقَّاهُ وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ فِي كِتَابِ الثَّقَاتِ: أَرَادَ مُعَاوِيَةَ **رضي الله عنه** أَنَّهُ مُخْطِئٌ أَحْيَانًا فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّهُ كَانَ كَذَّابًا وَقَالَ غَيْرُهُ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ «لَتَبْلُوْا عَلَيْهِ» لِلْكِتَابِ لَا لِكَعْبٍ وَإِنَّمَا يَقَعُ فِي كِتَابِهِمُ الْكَذِبَ لِكُونِهِمْ بَدَلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَقَالَ عِيَّاضٌ: يَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى الْكِتَابِ وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى كَعْبٍ وَعَلَى حَدِيثِهِ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدِ الْكَذِبَ وَيَتَعَمَّدُ إِذْ لَا يُشْتَرَطُ فِي مُسَمَّى الْكَذِبِ التَّعَمُّدُ بَلْ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ فِيهِ تَجْرِيعٌ لِكَعْبِ

قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَقَعُ مِنْهُ الْكُذِبُ لِعَنَّةٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ؛ لِأَنَّهُ يُحَدِّثُ عَنْ صُحُفٍ هُوَ يُحْسِنُ بِهَا الظَّنَّ، وَفِيهَا أَشْيَاءٌ مَوْضُوعَةٌ وَمَكْدُوبَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي مِلَّتِهِمْ حَقَاطٌ مُتَقِنُونَ كَهَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ وَقُرْبِ الْعَهْدِ وَضَعَتْ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ مَنَحَهُ اللَّهُ عِلْمًا بِذَلِكَ، كُلُّ بِحَسْبِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ اهـ^(١)

تتمة في أن الإيمان بالكتب السماوية يتضمن عدة أمور:

وحاصل ما تقدم - في تحقيق معنى الإيمان بالكتب المنزلة - من المنقول عن العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى، أنهم قالوا: الإيمان بالكتب المنزلة يتضمن عدة أمور:

الأمر الأول: الكتب السماوية المنزلة كلام الله:

١- فيجب التصديق الجازم بأن جميعها وحى منزل من عند الله ﷻ على أنبيائه ورسوله، وأنها حق وصدق بغير شك ولا ارتياب. وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة؛ فهي كلام الله غير مخلوق لا كلام غيره، فليست كلام النبي، ولا جبريل ولا أحد من البشر بل هذه الكتب جميعها من عند الله ﷻ. هذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني: الكتب السماوية تدعو إلى توحيد الله:

٢- الأمر الثاني: أن نعتقد أن جميع الكتب دعت إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ودعت إلى نبذ الشرك به ﷻ. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]

الأمر الثالث: وجوب الإيمان بما صح من أخبارها:

٣- الأمر الثالث: أن نؤمن بكل ما فيها من الشرائع، ونصدق بكل ما صح من أخبارها كأخبار القرآن، وما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة كما جاء في سورة النجم، فقد ذكر الله بعض الأمور العظيمة التي كانت في كتب سابقة، وحثنا عليها، فقال ﷻ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

بِالْكَذِبِ. وَقَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ: الْمَعْنَى أَنَّ بَعْضَ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ كَعَبُّ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَكُونُ كَذِبًا لَا أَنَّهُ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ كَعَبُّ مِنْ أَحْيَارِ الْأَخْبَارِ ... إلخ.

(١) تفسير ابن كثير سلامة (٢٨٥/٦)

أُخْرَى ﴿٢٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٢٩﴾ [النجم] إلى آخر الآيات التي يبين فيها ﷺ أن هذه الكلمات العظيمة موجودة أيضًا في الكتب السابقة. وفي سورة الأعلى التي نقرأها مرارًا وتكرارًا ذكر الله ﷻ بعض الأمور العظيمة والمواعظ والحكم ثم قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾.

الأمر الرابع: الكتب السماوية يصدق بعضها بعضًا:

٤- الأمر الرابع: أن نؤمن بأن جميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضًا، لا يكذبُ، فلا تناقض بينها، ولا تعارض؛ لأنها كلها من عند الله ﷻ. ولو قال قائل: يوجد في التوراة ويوجد في الإنجيل الآن بعض الأشياء التي تخالف ما عندكم في القرآن. فنقول: هذه محرّفة قد بيّن الله ﷻ أن أهل الكتاب حرّفوا وبدّلوا.

الأمر الخامس: النسخ في الكتب المنزلة:

٥- الأمر الخامس: أن نؤمن أن نسخ الكتب بعضها بعضًا حقٌّ كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة، وكما نسخ القرآن كثيرًا من شرائع التوراة والإنجيل. فيقع نسخٌ في هذه الكتب بأمر من الله - سبحانه - كما قال تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]. وقال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وقال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذه الكتب جميعها قد نسخها الله ﷻ بهذا القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

الأمر السادس: ذكّر ما سمي لنا من هذه الكتب المباركة:

٦- الأمر السادس: أن تؤمن بما سمى الله-تعالى- لنا من هذه الكتب السابقة إجمالاً في الإجمال، وتفصيلاً في التفصيل. وقد جاء في القرآن ذكّر بعض هذه الكتب، وجاء إجمال شيء آخر منها، فما جاء مجملاً تؤمن به مجملاً، وما جاء مفصلاً تؤمن به على جهة التفصيل.

فسمّي في القرآن من هذه الكتب: صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والزيور، والإنجيل ثم ختمت هذه الكتب السماوية بأفضلها وأشرفها وهو القرآن الكريم. وقد نزلت جميعاً في شهر رمضان كما في المسند عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضْيَنٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»^(١)

فأما **صحف إبراهيم** فهي الكتب التي أنزلها الله على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بوحى منه - سبحانه - وقد نزلت عليه جملةً واحدةً في أول ليلة من شهر رمضان. وأما **التوراة** فهي اسم كتاب الله الذي أنزله الله على نبيه وكليمه موسى عليه السلام وألقاه إليه مكتوباً في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدىً ونوراً، وقد نزلت عليه جملةً واحدةً لست مَضْيَنٍ من رمضان. واختلف العلماء أهي صحف موسى أم غيرها؟ على قولين لأهل العلم. ومنهم من توقف فلم يجزم بشيء، قال العلامة ابن عثيمين: يحتمل أنها التوراة ويحتمل غيرها ولم يتبين لي فيها شيء أ.هـ.^(٢) والله أعلم.

وأما **الزيور** فهو اسم كتاب الله الذي أنزله على نبيه داود عليه السلام بوحى منه سبحانه، وقد نزل عليه جملةً واحدةً لثمان عشرة خلت من رمضان.

وأما **الإنجيل** فهو كتاب الله الذي أنزله على نبيه وعبد عيسى بن مريم عليه السلام ليكون لبني إسرائيل هدىً ونوراً وموعظةً للمتقين، وقد نزل عليه جملةً واحدةً لثلاث عشرة خلت من رمضان.

(١) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨) رقم (١٦٩٨٤)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٧٥)

(٢) الكنز الثمين في سؤالات ابن سنيد لابن عثيمين (ص: ٥)

وأما القرآن فهو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل، المنقول بالتواتر، والمتعبد بتلاوته، وقد أنزله الله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم نزل على نبينا ﷺ بعد ذلك منجماً ومفرقاً حسب الوقائع والأحداث.

وبين ﷺ في كتابه الحكمة من ذلك حين تساءل المشركون، فقال ربنا ﷺ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [٢٢] وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [٢٣] [الفرقان]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ أي: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَمَا نَزَلَتْ الْكُتُبُ قَبْلَهُ، كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَعَظِيمًا مِنْ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ. فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ مُنْجَمًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ لِتَثْبِيَتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ. (١)

وقال ﷺ: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]. أي: لِتُبَلِّغَهُ النَّاسَ وَتَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ ﴿ عَلَى مُكْتٍ ﴾ أي: مَهْلٍ ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ أي: شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. (٢). فنؤمن بأن هذه الكتب إنما هي من عند الله وحج، أنزلها الله- سبحانه- فما عرفنا اسمه تفصيلاً نؤمن به تفصيلاً، وما عرفناه إجمالاً نؤمن به إجمالاً، وكلُّ نبي بعثه الله وأنزل عليه كتاباً فنحن نؤمن به كما أمرنا الله ﷻ.

كيفية نزول القرآن:

ونزول القرآن كان نزول سماع؛ سمعه جبريل عليه السلام من رب العالمين ﷻ وسمعه نبينا ﷺ من جبريل عليه السلام، غضا طريا. (٣)

وهذا النزول المذكور غير الكتابة التي دلت عليها الأدلة التي فيها:

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (١٠٩/٦)

(٢) المرجع السابق (١٢٧/٥)

(٣) ينظر: فتاوى العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله (٢١٤/١).

١- أن القرآن الكريم: كتب في اللوح المحفوظ قبل نزوله: كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة] وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [عبس] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف].

٢- ثم أنزله الله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

٣- ثم نزل مفرقاً من بيت العزة على المصطفى ﷺ حسب الوقائع والحوادث وغير ذلك.

وهذا التفصيل ورد موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه من طرق عدة - كما سيأتي - وله حكم الرفع^(١). ولا تنافي بين أدلة نزول القرآن مسموعاً وأدلة كتابته قبل نزوله كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمته الله فقال: كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله. والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان

(١) قال الشيخ الألباني رحمته الله - كما في جامع تراث العلامة الألباني في الفقه (١١ / ٢٦٨) -: مثل هذا القول لا يُمكن أن يُقال بالرأي والاجتهاد؛ ذلك لأنه يتحدث عن بعض الأمور الغيبية، ما يدري ابن عباس رضي الله عنه وهو لا يُوحى إليه أن القرآن نزل كتلة واحدة، جملة واحدة إلى السماء الدنيا دون السماء الثانية أو غيرها، ثم ما يدريه أنه نزل إلى مكان يُسمّى ببيت العزة، ومن السماء الدنيا، هذه أمور غيبية لا طاقة للبشر أن يتحدثوا بها إلا رجماً بالغيب كما يفعل المُنَجِّمون والكُهَّان والعرافون، وحاشا لابن عباس وهو ترجمان القرآن أن يتخرص وأن يتكلم رجماً بالغيب. لذلك يقول العلماء: إن هذا الأثر موقوف في حكم المرفوع؛ لأنه لا يمكن أن يقال بمجرد الرأي. هـ وقال أيضاً: العلماء يعتبرونه في حكم حديث مرفوع للرسول ﷺ، لماذا؟ لأنه أولاً: يتحدث في أمر غيبي. وثانياً: لأنه لا يمكن أن يكون من الإسرائيليات، فإنه يتحدث عما يتعلق بالقرآن ونزوله، وأنه نزل إلى مكان اسمه بيت العزة، وهذا البيت هو في السماء الدنيا وليس في الثانية أو ما فوقها، فقالوا: هذا في حكم المرفوع. هـ وقال الشيخ صالح آل الشيخ كما في "جلسة مع علي العبدان (ص: ٥)" تخصيص بيت العزة في ذلك هذا لا مجال للاجتهاد فيه، كيف من القرآن نعرف أنه في بيت عزة، وأن هذا نزل في بيت العزة، فهذا يحتمل على أنه لا اجتهاد فيه. هـ

كيف كان يكون وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف. ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف وهو حق. فإذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به. **ومن قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه منها:** ... أن قوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر] وقوله ﴿ حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر] وقوله ﴿ حَمَّ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت] وأمثال ذلك يدل على أنه منزل من الله لا من غيره وكذلك قوله ﴿ بَلَغَ مَا نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة: 6٧] فإنه يدل على: إثبات أن ما أنزل إليه من ربه، وأنه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك اهـ^(١)

ذكر ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك:

وقد سئلت عن هذا الأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما ونقل لي السائل عن بعض العلماء - ومنهم العلامة ابن عثيمين رحمته الله - القول بتضعيفه رواية ودراية^(٢). فاجتهدت في جمع طرقه والنظر في كلام العلماء حوله وتبين لي أن الصواب صحته رواية ودراية كما تقدم في كلام شيخ الإسلام وإليك بيان ذلك، فأقول:

قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عكرمة ومقسم وسعيد بن جبير .

فأما رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرواه داؤد بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزل القرآن جملة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان إذا أراد الله أن يحدث منه شيئا أحدثه. هذا لفظ النسائي وفي رواية: " أنزل القرآن جملة واحدة، من اللوح المحفوظ [إلى السماء الدنيا] في رمضان [في ليلة القدر]، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، [كان جبريل عليه السلام ينزل به بعد ذلك الأوّل فالأوّل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله]

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١٢٧).

(٢) انظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/٣٣٣) وشرح العقيدة السفارينية (١/٢١٣).

[حَتَّى جَمَعَهُ] [فَكَانَ فِيهِ مَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ وَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ] قَالَ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [٣٢] ﴿ [الفرقان]، وَقَرَأَ ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء] ﴿^(١)

وأما رواية مقسم عن ابن عباس رضي الله عنه: فرواه السُّدِّيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمُجَالِدِ عَنْ مِقْسَمِ بْنِ أَبِي عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلَهُ عَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي الشَّكُّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ﴿ وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣] وَقَدْ أُنزِلَ فِي شَوَّالٍ وَذِي الْقَعْدَةِ وَذِي الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ وَشَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنَّهُ أُنزِلَ فِي رَمَضَانَ وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ جُمْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ أُنزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ: رُسُلًا فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ. ﴿^(٢)

وأما رواية سعيد بن جبير ف جاءت عنه من طرق:

١- فرواه جرير بن عبد الحميد عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ﴿ قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةٍ

(١) صحيح رواه النسائي في السنن الكبرى (٧٩٣٦، و١١٣٠٨) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٨٧) وابن الضريس في فضائل القرآن (١١٦ و١١٧) وحفص بن عمر في جزء قراءات النبي (٧٥) وابن منده في الإيمان (٧٠٣)، (٧٠٤) والطبراني في المعجمين الأوسط (١٤٧٩) والكبير (١١/٣١٢/١١٨٣٩)؛ والحاكم في المستدرک (٢٨٧٧، ٢٨٧٩، ٣٣٩٠) - وعنه وعن غيره البيهقي في الأسماء والصفات (٤٩٧، ٤٩٨) وفي دلائل النبوة (٧/١٣١) - وقوام السنة في الحجّة في بيان المحجة (٦٠، ٦١) من طرق عن داود به. والزيادة الأولى لابن منده وللبيهقي وقوام السنة (واحدة) والثانية لابن أبي شيبة وابن الضريس والطبراني والثالثة والرابعة لابن الضريس والخامسة لابن منده وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ "

(٢) **إسناده حسن**، رواه ابن أبي حاتم، (١٦٥٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٠١) من طريق السُّدِّيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمُجَالِدِ. قال ابن أبي حاتم: وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ نَحْوَهُ، وَذُكِرَ فِيهِ إِلَى بَيْتٍ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ بَيْتُ الْعُرَّةِ. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٩١/١٢٠٩٥): حدثنا محمد بن عثمان، ثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، ثنا مصعب بن سلام، عن سعد بن طريف، عن الحكم، عن مقسم، به.

الْقَدْرِ، [إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوْجِعِ التُّجُومِ] وَكَانَ اللهُ ﷻ يُنَزِّلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَهُ فِي أَثَرِ بَعْضٍ، قَالُوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان] (١)

٢- ورواه جَعْفَرُ بْنُ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ كَمَا يَزْعُمُ نَبِيًّا فَلِمَ يُعَذِّبُهُ رَبُّهُ؟ أَلَا يُنَزِّلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ يُنَزِّلُ عَلَيْهِ الْآيَةَ وَالْآيَاتِينَ وَالسُّورَةَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ جَوَابَ مَا قَالُوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [الفرقان] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ» (٢)

٣- ورواه حُصَيْنٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « نَزَلَ الْقُرْآنُ جَمِيعًا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا] إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ فُصِّلَ (وَفِي رِوَايَةٍ فَرَقَ) فَانزَلَ فِي السَّنِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ التُّجُومِ ﴾ [الواقعة] قَالَ: « نَزَلَ مُتَفَرِّقًا» (٣)

(١) إسناده صحيح، رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٦٢٥) وابن الضريس في فضائل القرآن (١١٨) والحاكم في المستدرک (٢٨٧٨ و٣٩٥٨) - وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٩٥) والسنن الكبرى (٨٥٢١) ودلائل النبوة (١٣١/٧) - وعن غير الحاكم في شعب الإيمان (٣٣٨٦) وفضائل الأوقات (٨١) - وعلقه ابن منده في الإيمان (٧٠٥/٢) - من طرق عن جرير به. والزيادة الأولى لابن الضريس والحاكم والبيهقي. وقال الحاكم «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ».

(٢) رواه ابن أبي حاتم، في تفسيره (١٥١٢٦) بسند حسن عن جعفر به.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٥٠١) عن أبي عوانة، والحاكم في المستدرک (٣٧٨١) - وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٤٥) - عن عمرو بن عون، وابن منده في كتاب الإيمان (٧٠٥) عن سليمان بن كثير، ثلاثتهم عن حصين به. والزيادة من مستدرک الحاكم والبيهقي. وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ». واختلف فيه على حصين، فرواه الطبري في تفسيره (١٩١/٣) والحاكم في المستدرک على الصحيحين للحاكم (٣٩٥٩) من طريق هُشَيْمٍ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، بِهِ وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ» وتعبه شيخنا الوادعي فقال: حكيم بن جبير ليس من رجال الشيخين وقد قال الإمام أحمد إنه مضطرب الحديث. وهو روي عن حكيم من طرق أخرى ستأتي.

٤- ورواه حَسَّانُ^(١)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «فُصِّلَ (وفي رواية رفع) الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ [في ليلة أربع وعشرين من رمضان]؛ [إِلَى جَبْرِيلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ] فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا [جُمْلَةً]، فَجَعَلَ جَبْرِيلُ عليه السلام يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم [بِجَوَابِ كَلَامِ الْعِبَادِ، وَأَعْمَالِهِمْ] يُرْتِّلُهُ تَرْتِيلاً» قَالَ سُفْيَانُ: «خَمْسَ آيَاتٍ، وَنَحْوَهَا»^(٢)

٥- ورواه سالم بن عجلان الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «نزل القرآن جملة، ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما»^(٣)

(١) جاء في سند النسائي مهملًا وسمي في إسناده الحاكم في المستدرک (حسان بن حريث) - ومن طريقه البيهقي - وهو كذلك في إتخاف المهرة لابن حجر. وسمي في أسانيد ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والطبراني (حسان ابن أبي الأشرس) وهو الأقرب. ومن نبه على هذا الاختلاف محقق كتاب الأسماء والصفات، ومؤلف تخريج فتح الباري أنيس الساري.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٧٩٣٧)، وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير ومن طريقه الضياء في المختارة (١٥٤/١٥٤/١٠) - والطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٨١/٣٢/١٢) - ومن طريقه الضياء في المختارة (١٥١/١٥٣/١٠) -، والحاكم في المستدرک (٢٨١١، ٤٢١٦) وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٩٦) - والضياء في المختارة أيضا (١٤٥/١٥٥/١٠) عن الثوري؛ وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٩٠) عن عمار بن رزيق والطبري في تفسيره (٢٨١٢، ٢٨١٣) وابن أبي حاتم في التفسير (١٥١٢٩) عن أبي يحيى الحماني والطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٨٢) عن عمرو بن عبد الغفار، والدولابي في الكنى والأسماء (٦٤٣) عن جرير كلهم (الثوري، وعمار، والحماني، وعمرو بن عبد الغفار وجرير) عن الأعمش عن حسان به. والزيادات من لفظ ابن أبي شيبة والطبراني عدا الأولى فهي للطبري وسوى الأخيرة فللطبراني من الموضوع الثاني وقوله قال سفيان، هذا من رواية النسائي والحاكم. وقال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجَرِّجَاهُ " وزيادة الطبري من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش وخالف جماعة من أصحاب الأعمش منهم الثوري فلم يذكروها فيتوقف فيها. واختلف فيه على الأعمش، فرواه محاضر كما في فضائل القرآن لابن الضريس (١٢١) عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن (١١٩) عَنْ يَحْيَى بْنِ عِيْسَى الرَّمْلِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَسَّانَ يَعْنِي أَبَا الْأَشْرَسِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَجُعِلَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ» لم يذكر ابن عباس. وتابعه جرير كما في الكنى والأسماء للدولابي (٦٤٣) فرواه عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَسَّانَ أَبِي الْأَشْرَسِ، عَنْ سَعِيدِ، قَوْلُهُ.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١١/٤٣٨/١٢٤٤٣) حدثنا علي بن سعيد الرازي، ثنا علي بن المثنى الطهوي، ثنا زيد بن الحباب، ثنا شريك، عن سالم به.

قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَآتَاهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (٧٦) [الواقعة] قَالَ: «الْقُرْآنُ» فِي قَوْلِهِ ﷺ
 ﴿ * فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥) [الواقعة] قَالَ: «بِنُجُومِ الْقُرْآنِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ
 الدُّنْيَا جُمْلَةً، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِرْقًا قِطْعًا نُجُومًا»^(١)

١٠ - وخالفهم سلمة بن كهيل فرواه عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ^(٢).

ذكر بعض كلام أهل العلم في الحديث:

قال الطبري ﷺ: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فَإِنَّهُ ذَكَرَ
 أَنَّهُ نَزَلَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ
 رَمَضَانَ، ثُمَّ أَنْزَلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْزَالَهُ إِلَيْهِ.^(٣)
 وقال الأجرى ﷺ: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ جُمْلَةً فِي
 لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي
 نَيْفِ وَعِشْرِينَ سَنَةً.^(٤)

وقال السهيلي ﷺ: فَضَّلْ: وَذَكَرَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
 الْقُرْآنُ ﴾ إِلَى آخِرِ آيَةِ مُسْتَشْهَدًا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي لَيْلَةِ
 الْقَدْرِ مِنْ رَمَضَانَ وَهَذَا يَحْمِلُ تَأْوِيلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بَدَأَ التَّزْوِيلَ وَأَوَّلَهُ لِأَنَّ
 الْقُرْآنَ نَزَلَ فِي أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً فِي رَمَضَانَ وَعَظِيمِهِ. وَالثَّانِي: مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ:
 أَنَّهُ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً ... وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ وَأَصَحَّ فِي التَّقْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^(٥)
 وقال القرطبي ﷺ: وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ -

(١) رواه البغوي في مسند ابن الجعد (٢٢٦٢، ٢٣٦٣، ٢٣٦٥) مفردا مختصرا حَدَّثَنَا عَلِيُّ، أَنَا شَرِيكَ بِهِ وَفِي
 (٢٣٦٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ الْحُرَّازِيُّ، نَا شَرِيكَ، بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ. وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (١٢/١٤٤)
 (٤٤) رَقْم (١٤٤٢٦) قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ غَنَامٍ، ثنا عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ، ثنا شَرِيكَ، بِهِ.
 (٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٢٥٤) فَقَالَ: نَا النَّوْرِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ - وَذَكَرَهُ السُّدِّيُّ وَالْأَعْمَشُ
 - قَالَ: نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ فَذَكَرَهُ مَخْتَصِرًا.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣/١٨٨)

(٤) الأربعون حديثا (الحديث ٩)

(٥) الروض الأنف ت السلامي (٢/٢٧١)

عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ - جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ بِهِ نَجْمًا نَجْمًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْأَسْبَابِ، وَذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً... وَقَالَ مُقَاتِلٌ ... أَنْزَلَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كُلَّ عَامٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نُزِّلَ إِلَى السَّفَرَةِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي عِشْرِينَ شَهْرًا، وَنَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ فِي عِشْرِينَ سَنَةً. قُلْتُ: وَقَوْلُ مُقَاتِلٍ هَذَا خِلَافَ مَا نَقَلَ مِنَ الْإِجْمَاعِ... اهـ.^(١)

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّمَا نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْهُ، ... ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ مُفَرَّقًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ ... هَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ فَخْرُ الدِّينِ: وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ قَدْرٌ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى إِنْزَالِهِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ اللَّوْحِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَتَوَقَّفَ، هَلْ هَذَا أَوْلَى أَوِ الْأَوَّلُ؟ وَهَذَا الَّذِي جَعَلَهُ احْتِمَالًا نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، وَحَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا.^(٢)

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة ... ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ﴾ ... وفي المسند^(٣) عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ مَضِينٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ».^(٤)

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ أَنْزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُفَرَّقًا هُوَ الصَّحِيحُ الْمُعْتَمَدُ اهـ.^(٥)

(١) التفسير (٢٩٧/٢).

(٢) تفسير ابن كثير سلامة (٥٠٢/١).

(٣) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٧٥) وقال البيهقي في الأسماء والصفات (٥٦٩/١): وَإِنَّمَا أَرَادَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ نُزُولَ الْمَلَكِ بِالْقُرْآنِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا اهـ.

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٩).

(٥) فتح الباري (٤/٩).

الأمر السابع: القرآن ناسخ لجميع الكتب ومهيمن عليها:

الأمر السابع: أن القرآن الكريم هو خاتم الكتب المنزلة من عند الله وأعظمها وأشرفها وأهداها، وهو المهيمن عليها، والناسخ لها ولشرائعها، والجامع لأصولها ومحاسنها، والباقي الخالد إلى قيام الساعة.

فالإيمان بالكتب السابقة هو الإقرار بها بالقلب واللسان، أما الإيمان بالقرآن فيتضمن الإقرار مع الاتباع، والله ﷻ قد ذكر التوراة والإنجيل في سورة المائدة ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨]، فذكر أن القرآن مهيمن أي: هو الناسخ لجميع الكتب السابقة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: قَوْلُهُ: ﴿ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ قَالَ: " الْمُهَيِّمُ: الْأَمِينُ ، قَالَ: الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ" (١)

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَمَا وَاقَفَهُ مِنْهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا خَالَفَهُ مِنْهَا فَهُوَ بَاطِلٌ" (٢)

وقال الحافظ: «وَتَوْجِيهِهِ كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ الْقُرْآنَ تَصَمَّنَ تَصْدِيقَ جَمِيعِ مَا أُنْزِلَ قَبْلَهُ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الَّتِي فِيهِ إِمَّا مُقَرَّرَةٌ لِمَا سَبَقَ وَإِمَّا نَاسِخَةٌ وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي إِثْبَاتَ الْمُنْسُوحِ وَإِمَّا مُجَدِّدَةٌ وَكُلُّ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى تَفْضِيلِ الْمُجَدِّدِ» (٣)

وقال ربنا سبحانه: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ ٢١ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿ ٢٢ ﴾ [فاطر]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمته الله: يقول تعالى ذكره: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿ هُوَ الْحَقُّ ﴾ يقول: هو الحق

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ط هجر (٨ / ٤٨٨)، وعلقه البخاري في الصحيح في تفسير سورة المائدة.

(٢) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٣ / ١٢٨).

(٣) «فتح الباري» (٩ / ٤)

عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يقول: هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل... وقال: في قوله تعالى: ﴿ تُوِّرْنَا أَلْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ... ﴿ أَلْكِتَابَ ﴾ هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان. ... قال: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد ﷺ لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد ﷺ وبما جاء به وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله... إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا ﷺ انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمتهم الخ^(١)

الأمر الثامن: التحريف الواقع في الكتب السابقة:

الأمر الثامن: أن نؤمن أن كتب أهل الكتاب السابقة للقرآن، وهي التوراة والإنجيل والزابور قد نالها التحريف والتبديل والتغيير والكتمان، كما تقدم. فنحن نؤمن بأصولها أنها من عند الله لكن ما تضمنته من تحريف وتبديل فإن هذا لا يلزمنا، وإنما نؤمن بما عندنا في كتاب الله ﷻ.

حفظ الله ﷻ للقرآن وللسنة المبينة للقرآن:

وأما القرآن فإن الله قد تكفل بحفظه، فما بين الدفتين مما هو مكتوب في المصحف هو القرآن الكريم بغير ارتياب ولا شك، كما ذكر الإمام البيهقي، وقد قرأنا عبارته، وهي عبارة دقيقة يقول: "أن نعتقد أن جميع القرآن الذي تُوِّفِّي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس ولا ضلال صحيفة ولا موت قارئ ولا كتمان كاتم، ولم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف ولم

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩/٣٧٤)

ينقص منه حرف".

يقول الله ﷻ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٤١﴾ [الحجر] فالله- سبحانه- قد حفظ هذا الكتاب. بل وحفظ ﷺ السنة المطهرة التي هي بيان من رسولنا ﷺ لهذا الكتاب.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت]

يقول البيهقي رحمه الله: "من أجاز أن يتمكن أحد من زيادة شيء في القرآن أو نقصانه منه أو تحريفه فقد كذب الله في خبره، وأجاز الخلف فيه، وذلك كُفْرٌ، وأيضاً فإن ذلك لو كان ممكناً لم يكن أحد من المسلمين على ثقة من دينه ويقين بما هو متمسك به؛ لأنه كان لا يأمن أن يكون فيما كتم من القرآن أو ضاع بنسخ شيء مما هو ثابت من الأحكام أو تبديله بغيره، ووسط الحلبي الكلام فيه، فصَحَّ أن من تمام الإيمان بالقرآن الاعتراف بأن جميعه هو هذا المتوراث خلفاً عن سلف لا زيادة فيه ولا نقصان منه"^(١). إذاً هذه أمور يجب أن نعتقدها في إيماننا بالكتب. فإذا قال: آمنت بكتب الله، فالمقصود: اعتقاد هذه الأمور التي نصَّ عليها العلماء رَحْمَهُمُ اللهُ فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي أمرنا الله ﷻ بها. والقرآن الذي هو كلام الله ﷻ هو الكتاب الذي جعل الله فيه هداية البشرية بعد بعثة النبي ﷺ.

الكتب السماوية مجتمعة على الدعوة إلى توحيد الله:

وهذه الكتب العظيمة دعت إلى أصل واحد، وهو توحيد الله ﷻ. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

(١) شعب الإيمان (٣٣١/١).

من آثار الإيمان بالكتب المنزلة :

قال العلماء من آثار الإيمان بالكتب المنزلة:

* العلم برحمة الله ﷻ، فإذا تأملت فيما أمرك الله ﷻ به من الإيمان بالكتب فإنك تستيقن أن الله رحيم بالناس، ومن رحمته أن أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب المبينة والموضحة، فهذه رحمة من الله ولطف بعباده حيث أنزل للناس كتباً تهديهم إلى صراطه المستقيم، وتبين لهم سبيله القويم، وترشدهم إلى ما يحبه ويرضاه وما يبغضه ولا يرضاه، فالعقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة ذلك كله.

* ثم من آثار ذلك أيضاً: ظهورُ حكمة الله-تعالى- في شرعه: حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسب حالها. فديانة الأنبياء أصلها واحد، وهو التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له لكن شرائعها تختلف بما يناسب كل حال.

فإن موسى عليه السلام لما جاء بالتوراة جاء فيها بشريعة لقومه تناسب حالهم وتناسب ما هم عليه. ثم بعث الله ﷻ عيسى عليه السلام فكان مما قال لقومه: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠] فجاء في الإنجيل بأمر فيه تيسير لقومه الذين بعثه الله ﷻ إليهم. ثم جاءت شريعة محمد ﷺ، وهي شريعة فيها اليسر والرحمة بالناس أجمعين. يقول الله ﷻ في ذكر بعثة نبينا ﷺ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فجاءت هذه الشريعة وفيها التيسير.

القرآن صالح لكل زمان ومكان :

ففي كل كتاب وفي كل شريعة من الأحكام ما يتناسب مع ذلك الزمان وذلك الحال. ثم جاء القرآن الخاتم مناسباً لجميع بني الإنسان في مختلف العصور والأزمان، فهذه الشريعة المطهرة شريعة محمد ﷺ صالحة لكل زمان ومكان، ومن يقل غير ذلك فإنه لا يعرف الإسلام الحق ولا يعرف روح هذه الشريعة المباركة.

* كذلك من ثمرات الإيمان بهذه الكتب: إثباتُ صفة الكلام لله تعالى: وأنه ﷻ

يتكلم حقيقة متى شاء وكيف شاء وبما شاء. وأنه يُسمع من شاء من خلقه كلامه، كما سمعه جبرائيل عليه السلام بلا واسطة وكما سمعه موسى عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء].

* وكذلك الإيمان بعلو الله تعالى على خلقه كما دلت على ذلك آيات القرآن والسنة المطهرة، فنزول القرآن من عند الله يدل على علوه على خلقه تعالى.

* كذلك من ثمرات الإيمان بهذه الكتب: شكرُ نعمة الله تعالى العظيمة من إنزال هذه الكتب، وانظر إلى أنسك وسلوة قلبك وفؤادك -يا عبد الله- وأنت تقرأ كلام الله تعالى وأنت تقرأ القرآن ستجد فيه الراحة، وستجد فيه الهدى وستجد فيه النور. يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: «تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ»^(١)،

والنبي صلى الله عليه وآله يقول: «إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ»^(٢).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا»^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٩٨) -ومن طريقه وطريق غيره البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٣ و٥١٤)- وأحمد في الزهد (١٩٢، ١١٢٣) وابنه عبد الله في السنة (١١١ و١١٢ و١١٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (٣١٠)، والآجري في الشريعة (١٥٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٤٤/٥) رقم (١٩، ٢٠) واللالكائي في الاعتقاد (٥٥٨) والحاكم في المستدرک (٣٦٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٦٣) وفي الاعتقاد (١٠٣ ص)

(٢) رواه مسلم (٨٦٧) والنسائي (١٥٧٨)، وأحمد (١٤٣٣٤)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه واللفظ للأخيرين ولفظ مسلم: «فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله».

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد لأبيه (٦٨٠، ٦٨١) وفي زوائده على فضائل الصحابة لأبيه (٧٧٥) وفي فضائل عثمان بن عفان (٦٥) وفي السنة (١٢٢) -ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣٠٠/٧)- عن إسماعيل أبي معمر القطيعي -وهو ثقة- عن سفيان بن عيينة قال: قال عثمان رضي الله عنه: فذكره. وهذا معضل. ورواه حرب الكرماني في مسائله (١١٣٨/٣) عن علي بن المديني والحسين المروري في زوائده على الزهد لابن المبارك (١١٣٣) كلاهما عن سفيان به. وخالفهم أبو عمر بن أيوب الصريفي -وهو مجهول- فقال: ثنا سفيان بن عيينة ثنا إسرائيل أبو موسى قال: سمعت الحسن يقول: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: فذكره. رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٢٤)، وفي الاعتقاد (١٠٤) -ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣٩/٣٩)- ورواية الحسن عن عثمان مرسلة كما في جامع التحصيل.

فأقبلوا على القرآن إذا أردتم الخير في حياتكم وفي أولادكم وفي أنفسكم، والبركة في أوقاتكم والسعة في أرزاقكم، فعليكم بكتاب الله، عليكم بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار. وقد صحَّ عند الدارمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّ الْبَيْتَ: لَيَتَّسِعُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ الْبَيْتَ: لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقَلُّ خَيْرُهُ أَنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ»^(١)

وليكن لك -يا عبد الله- وردٌ مع كتاب الله ﷻ، لا سيّما في هذا الشهر، فأكثر فيه من قراءة القرآن.

فصل في ذكر بعض ما روي عن السلف في الاشتغال بكتاب الله :

وعناية السلف بتلاوة القرآن وختمه في رمضان وفي غيره باب واسع جدا فمن ذلك: ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي ثَلَاثٍ، وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ^(٢).

وكان تلميذه الأسود بن يزيد رضي الله عنه يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَتَيْنِ^(٣) - يعني في شهر رمضان^(٤). وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ فِي سِتِّ، وَكَانَ عَلَقَمَةُ يَخْتِمُهُ فِي خَمْسٍ^(٥) [وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ]^(٦)

وكان إبراهيم النخعي يقرأ القرآن في رمضان في كلِّ ثلاثٍ فإذا دخلت العشر قرأه في لَيْلَتَيْنِ^(٧).

(١) تقدم في الجزء ١ ص ٦٦

(٢) تفسير سعيد بن منصور - تحقيق الحميد - (١٥٠)

(٣) مصنف عبد الرزاق (٢١٤٨) وشعب الإيمان (٢٠٠)

(٤) «فضائل القرآن - أبو عبيد» (ص ١٨٠)

(٥) «فضائل القرآن - أبو عبيد» (ص ١٧٨)

(٦) تفسير سعيد بن منصور - تحقيق الحميد - (١٥٢)

(٧) مصنف عبد الرزاق (٥٩٥٥)

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ الْأَزْدِيُّ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ^(١).
 وَكَانَ أَبُو مُجَلَّرٍ يَتْلُو بِالْحَيِّ فِي رَمَضَانَ، يَخْتِمُ فِي كُلِّ سَبْعٍ ^(٢).
 وَعَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي الْمُهَلَّبِ قَالَ: كَانَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ
 ثَمَانٍ، وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ ^(٣).
 وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ «كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ» ^(٤)
 وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، قَالَ: كَانَ مَعْرُوفٌ إِمَامَ مَسْجِدِ
 بَنِي عَمْرٍو بْنِ سَعْدٍ وَكَانَ بِهِ فَتْقٌ وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ فِي ثَلَاثٍ، أُمَّ قَوْمَهُ
 سِتِّينَ سَنَةً لَمْ يَسْهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُهْمُهُ ^(٥).
 وَعَنْ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، أَنَّهُ: «كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، ثُمَّ يُصْبِحُ الْيَوْمَ الَّذِي
 يَخْتِمُ فِيهِ صَائِمًا» ^(٦).

وَعَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى يَخْتِمَ الْقُرْآنَ،
 وَكَانَ يَطُوفُ لِكُلِّ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ سُبُوعًا ^(٧).
 وَقِيلَ لِلْإِمَامِ مَالِكٍ رحمته الله: الرَّجُلُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ؟ قَالَ: مَا أَجُودَ ذَلِكَ إِنَّ الْقُرْآنَ
 إِمَامٌ لِكُلِّ حَيْرٍ. وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ كَانَ يَصِلِي إِلَى جَنْبِ عُمَرَ بْنِ حُسَيْنٍ - يَعْنِي الْجَمْحِي - فِي
 رَمَضَانَ قَالَ: فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يَسْتَفْتِحُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ^(٨).
 وَقَالَ الرَّبِيعُ تَلْمِيزُ الشَّافِعِيِّ: كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ سِتِّينَ خْتَمَةً ^(٩).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧١٩٧، ٨٥٩٥)

(٢) المرجع السابق (٧٦٧٧)

(٣) فضائل القرآن - أبو عبيد (ص ١٧٨) «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٣/ ٥٠٠)

(٤) «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٦/ ٢٥٩) و«الزهدي لأحمد بن حنبل» (٢١٦٢) و«مسند الدارمي» (٣٥٢٨)

(٥) «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٦/ ٣٥٦)

(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٤٣ ت الحوت) رقم (٨٥٨٦)

(٧) «أخبار مكة - الفاكهي» (١/ ٢٧٩ ط ٢) (٥٦٨)

(٨) المعرفة والتاريخ (١/ ٦٦٥) وشعب الإيمان (١٩٩٧) و«ما رواه الأكاير عن مالك لمحمد بن مخلد» (٥٤)

(٩) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٧٤) وحلية الأولياء (٩/ ١٣٤)

وفي ترجمة الإمام أبي حنيفة من تاريخ بغداد عن مسعر بن كدام قال: دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلا يصلي فاستحليت قراءته فقرأ سُبْعاً، فقلت يركع، ثم قرأ الثلث، ثم قرأ النصف، فلم يزل يقرأ القرآنَ حَتَّى ختمه كله في ركعة، فنظرت فإذا هُوَ أَبُو حنيفة. وَقَالَ خارِجَةُ بن مُصْعَب: ختم القرآن في ركعة أربعة من الأئمة، عُثْمَان بن عَفَّان، وتميم الداري، وسَعِيد بن جُبَيْر، وأبو حنيفة. وَقَالَ يَحْيَى بن نصر: كَانَ أَبُو حنيفة رحمته الله ربما ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة. ^(١)

وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ بنَ عَيَّاشٍ رحمته الله الوفاة بَكَتْ أُخْتُهُ، فَقَالَ: «لَا تَبْكِي - وَأَشَارَ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْبَيْتِ - فَقَدْ خَتَمَ أَحْوَكُ فِي تِلْكَ الزَّاوِيَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفِ خَتْمَةٍ» ^(٢)
وفي رواية: لَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاة بَكَتْ ابنته، فقال: يا بنية لا تبكي أتخافين أن يعذبنني الله رحمته وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة؟ ^(٣)

ومكث رحمته الله أربعين سنة يجتم في كل يوم وليلة ختمة. ^(٤)
وَقَالَ لِابْنِهِ - وَأَرَاهُ غُرْفَةً - يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْعُرْفَةِ فَإِنِّي خَتَمْتُ فِيهَا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ خَتْمَةٍ. ^(٥)

وَلَمَّا نَزَلَ بِعَبْدِ اللَّهِ بنِ إِدْرِيسَ الْمَوْتُ بَكَتْ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: لَا تَبْكَيْنِ، فَقَدْ خَتَمْتُ

(١) تاريخ بغداد ط العلمية (١٣/ ٣٥٥)

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٠٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ت بشار (١٦/ ٥٤٢) - ومن طريقه ابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص ١٥٥) -، والشجري في ترتيب الأمالي الحميسية (١/ ١٢١) رقم (٤٦٩)

(٣) جامع البيان في القراءات السبع للداني (٣١١)

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ت بشار (١٦/ ٥٤٢) وقال الذهبي - في معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص ٨٣) وفي سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (٨/ ٥٠٣) -: وروى من غير وجه عن أبي بكر، أنه مكث أربعين سنة أو نحوها يجتم القرآن في كل يوم وليلة أ.هـ.

(٥) شرح النووي على مسلم (١/ ٧٩) ومختصر منهاج القاصدين (ص ٢٢٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٣/ ١٣٤)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٢٤٢)

الْقُرْآنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَرْبَعَةَ آلَافِ خْتَمَةٍ. (١)

وقال الحافظ أبو الفضل صالح بن محمد الرازي: ختمت القرآن أربعة آلاف ختمة. (٢)

وكان الإمام البخاري رحمته الله يختم القرآن كل ثلاث ليالٍ، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة (٣)

فما أروع من جيل؛

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرصهم في اغتنام دقائق وساعات هذا الوقت.

وقد يستغرب الإنسان: أيعقل أن يقرأ الإنسان القرآن في يوم واحد مرتين؟!

والجواب: نعم، ويعرف ذلك من تجربته، ومن كان قلبه وأنسه مع كتاب الله ﷻ.

أما نحن في هذا الزمان فإننا نُقَرَّبُ المصحف لنقرأ ونُقَرَّبُ معه هذه الجولات وهذه

الملهيات والمُشغَلَات، فربما قرأ الإنسان دقيقة، وانشغل بهذه المهيات ساعات وساعات

-نسأل الله العفو والعافية-

فتدارك نفسك يا عبد الله.

واجتهدوا -رحمكم الله- في اغتنام ما بقي وسلوا الله القبول لما مضى.



انتهى الجزء الرابع

ويليه الجزء الخامس

الإيمان بالقدر خيره وشره

(١) رواه ابن الأعرابي في المعجم (٢٣٣٣) - ومن طريقه الخطيب في تاريخه ت بشار (١١/٦٩)، وابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص ١٥٤).

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ت بشار (١٠/٤٣٥)

(٣) «شعب الإيمان» (٣/٥٢٤ ط الرشد) رقم (٢٠٥٨) و«تاريخ بغداد ط العلمية» (٢/١٢)

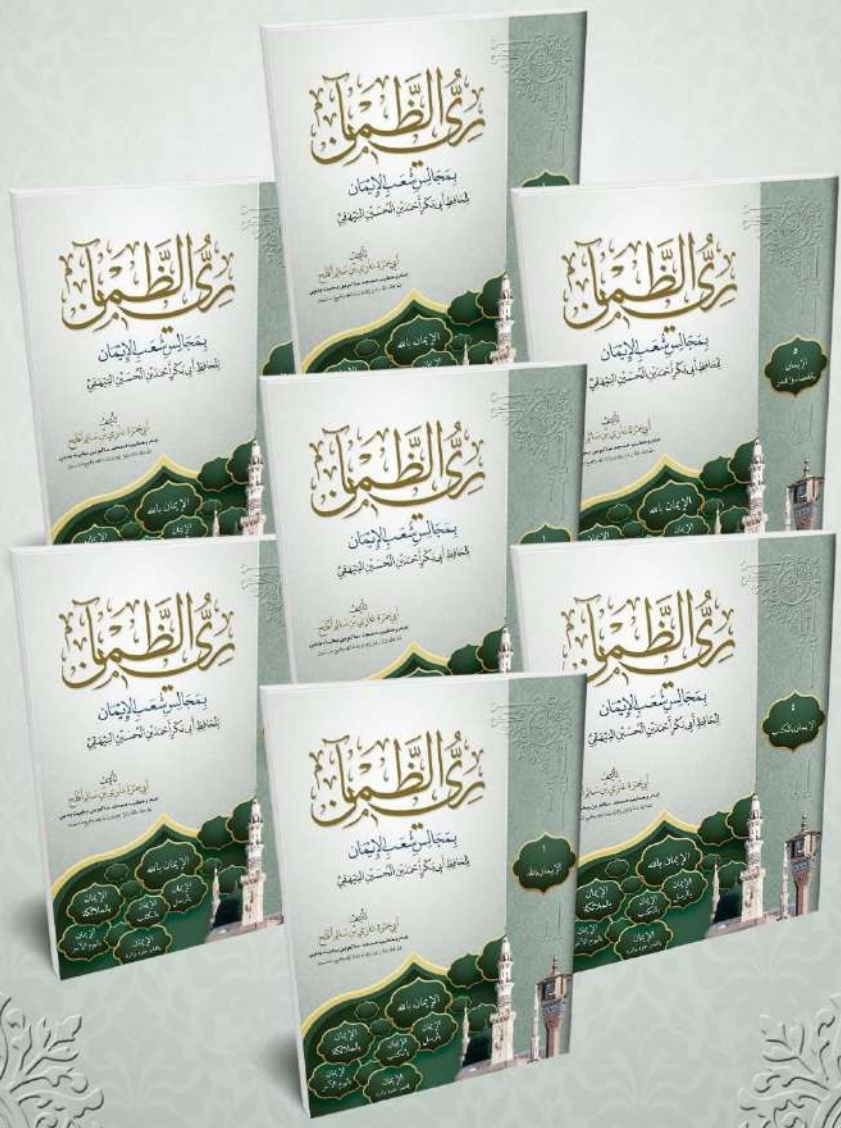
المحتويات

- ٥ **الركن الرابع من أركان الإيمان** الإيمان بالكتب
- ٧ **المجلس السابع عشر**
- ٧ الشعبة الرابعة من شعب الإيمان الإيمان بالكتب المنزلة
- ٧ الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان
- ٧ وجوب اليقين في الإيمان بالكتب وسائر أصول الإيمان
- ٨ ثناء الله على رسله ﷺ لتبليغهم كتبه المنزلة
- ٨ ثناء الله على رسوله والمؤمنين لإيمانهم بالكتب والرسول
- ٨ ذم المفرقين بين كتب الله
- ٩ ذم أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين
- ٩ مشابهة المشركين لأهل الكتاب في التكذيب بالقرآن
- ١١ دليل الإيمان بالكتب من القرآن
- ١٢ إهلاك الله المكذبين بكتبه
- ١٢ كفر المكذبين بالكتب المنزلة
- ١٥ دليل الإيمان بالكتب من السنة
- ١٧ عيب أهل الكتاب على المؤمنين إيمانهم بالكتب
- ١٧ تكرار ذكر الإيمان بالكتب في سورة البقرة
- ١٨ الإيمان بالكتب يتضمن جملة من الأمور
- ٢٠ الاقتصار على القرآن
- ٢١ التحريف في الكتب السابقة

- ٢١ النهي عن النظر في الكتب المحرفة والاكتفاء بالقرآن
- ٢٣ حكم الرواية عن أهل الكتاب
- ٢٦ الأحاديث الإسرائيلية ثلاثة أقسام
- ٢٨ تنتمه في أن الإيمان بالكتب السماوية يتضمن عدة أمور
- ٢٨ الأمر الأول الكتب السماوية المنزلة كلام الله
- ٢٨ الأمر الثاني الكتب السماوية تدعو إلى توحيد الله
- ٢٨ الأمر الثالث وجوب الإيمان بما صحَّ من أخبارها
- ٢٩ الأمر الرابع الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً
- ٢٩ الأمر الخامس النسخ في الكتب المنزلة
- ٣٠ الأمر السادس ذكراً ما سُمِّيَ لنا من هذه الكتب المباركة
- ٣١ كيفية نزول القرآن
- ٣٣ ذكر ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك
- ٣٨ ذكر بعض كلام أهل العلم في الحديث
- ٤٠ الأمر السابع القرآن ناسخ لجميع الكتب ومهيمن عليها
- ٤١ الأمر الثامن التحريف الواقع في الكتب السابقة
- ٤٢ الكتب السماوية مجتمعة على الدعوة إلى توحيد الله
- ٤٣ من آثار الإيمان بالكتب المنزلة
- ٤٣ القرآن صالح لكل زمان ومكان
- ٤٥ فصل في ذكر بعض ما روي عن السلف في الاشتغال بكتاب الله
- ٤٩ المحتويات

بِرَّ الظَّالِمِينَ

بِمَجَالِسِ شَعْبِ الْإِيمَانِ



بِرِّ الْإِيمَانِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

الإيمان
بالقضاء والقدر

تَأَلَّفُ
أَبِي حَمَزَةَ غَازِيَّ بْنَ سَالِمٍ أَمْلَحَ
إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي
عَنْ اللَّهِ عَنَّهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَسَائِدِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

الإيمان
بالرسل

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان
بالقدر خيره وشره



سلسلة: رِيِّ الظَّمَانِ بِمَجَالِسِ شُعَبِ الإِيْمَانِ (٥)

الإِيْمَانُ بِالْقَضَاءِ

وَالْقَدَرِ

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلاح

عفا لله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي الشيخ محمد بن عبد الله باموسى

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفسح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام

التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com



الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar



الركن الخامس من أركان الإيمان
الإيمان بالقضاء والقدر
خيرهُ وشرهُ

المجلس الثامن عشر (١)

الشعبة الخامسة من شعب الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر

كل شيء بقضاء وقدر:

قال البيهقي رحمته الله: "الخامس من شعب الإيمان وهو: باب في القدر خيره وشره من الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَضَبْتَهُمْ لَيَبْغِيَنَّ سَيْئَةٌ يَنْقُلُوا بِهَا حَذْرَهُمْ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨]... وفي هذه الآية دلالة على أن قوله: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] معناه: ما أصابك من شيء يسرك من صحة بدنٍ أو ظفر بعدو وسعة رزق ونحو ذلك فالله مُبْتَدِيكَ بِالْإِحْسَانِ بِهِ إِلَيْكَ، وما أصابك من شيء يسوؤك ويغمك فبكسب يدك لكن الله مع ذلك سائقه إليك والقاضي به عليك، وهو كما قال في آية أخرى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] وقد يكون فيما يسوؤه جراحات تصيبه أو قتل أو أخذ مال أو هزيمة وقد أمر في الآية الأخرى بأن يقول فيها وفيما يصيبه من خلافها: ﴿ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨] فدل أن ذلك كله بتقدير الله ﷻ غير أنه في آية أخرى أخبر أنه إنما يصيبه جزاء له بما جناه على نفسه بكسبه، وليس ذلك بخلاف بما أمر به في الآية الأولى" (٢).

إذا لحص البيهقي رحمته الله اعتقاد المؤمن الواجب عليه في هذا الباب الخطير.

وفي هذه الآية يقول الحافظ ابن كثير رحمته الله:

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُحَاطَبًا لِلرَّسُولِ ﷺ وَالْمَرَادُ جِنْسُ الْإِنْسَانِ لِيَحْضَلَ الْجَوَابُ: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ أي: مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَنِّهِ وَلَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ

(١) كان في يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) شعب الإيمان (١/٣٥٠).

فَمِنْ نَفْسِكَ ﴿ أَيُّ: فَمِنْ قَبْلِكَ، وَمِنْ عَمَلِكَ أَنْتَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْمُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى] قَالَ السُّدِّيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ أَيُّ: بِذَنْبِكَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ عُقُوبَةٌ يَا ابْنَ آدَمَ بِذَنْبِكَ... وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ أَيُّ: بِذَنْبِكَ، وَأَنَا الَّذِي قَدَّرْتُهَا عَلَيْكَ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ^(١). وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَارٍ، حَدَّثَنَا سَهْلٌ -يَعْنِي ابْنَ بَكَّارٍ- حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ، حَدَّثَنِي عُقْبَةُ بْنُ وَاصِلِ بْنِ أَخِي مُطَّرَفٍ، عَنْ مُطَّرَفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَا تَرِيدُونَ مِنَ الْقَدْرِ، أَمَا تَكْفِيكُمْ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿ وَإِنْ نَضُّهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نَضُّهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ [النساء: ٧٨] أَيُّ: مِنْ نَفْسِكَ، وَاللَّهُ مَا وَكَلُوا إِلَى الْقَدْرِ وَقَدْ أَمَرُوا وَإِلَيْهِ يَصِيرُونَ ^(٢). وَهَذَا كَلَامٌ مَتِينٌ قَوِيٌّ فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ أَيْضًا. هـ. ^(٣).

تعريف الإيمان بالقدر:

هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بعلم الله وكتابته السابقة ومشئته النافذة وخلقه له خيراً أو شراً حلواً أو مُرّاً. فما من شيء في هذا الكون يقع إلا بتقدير الله ﷻ. فإيمانك بالقضاء والقدر يعني أن تؤمن بأن كل شيء من عند الله ﷻ.

تعريف القدر بالقدر:

وقد جاء تفسير القدر عند بعض السلف كزيد بن أسلم والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم أن القدر هو "قدرة الله ﷻ على العباد...". أي: إن الله قادر على كل شيء ﷻ. فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْقَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ ﷻ، فَمَنْ كَذَّبَ بِالْقَدْرِ فَقَدْ جَحَدَ قُدْرَةَ اللَّهِ ﷻ ^(٤). وروى عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٥).

(١) انظر: «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٢٤٣/٧).

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠٠٩/٣).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣٦٣/٢).

(٤) القدر للفريابي (٢٠٧) - وعنه الأجرى في الشريعة (٤٨٢) - وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٠٥).

(٥) الإبانة الكبرى لابن بطة (١٥٦٢).

وَقَالَ: زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ أَيْضًا: «مَا أَعْلَمُ قَوْمًا أَبْعَدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَوْمٍ يُحْرِجُونَهُ مِنْ مَشِيئَتِهِ، وَيُنْكِرُونَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ»^(١)

وفي السنة لأبي بكر بن الخلال أَنَّ الإمام أحمد رحمته الله سُئِلَ عَنِ الْقَدْرِ، فَقَالَ: " الْقَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ رحمته الله عَلَى الْعِبَادِ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنْ زَنَى فَبِقَدْرِ، وَإِنْ سَرَقَ فَبِقَدْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، اللَّهُ قَدَرُهُ عَلَيْهِ " ^(٢)

وعلق شيخ الإسلام رحمته الله على كلام الإمام أحمد رحمته الله فقال: يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْقَدْرَ فَقَدْ أَنْكَرَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ^(٣). واستحسن ابن عقيل رحمته الله هذا الكلام من الإمام أحمد غاية الاستحسان وقال: إنه شفى بهذه الكلمة وأفصح بها عن حقيقة القدر. وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين اهـ. ^(٤)

قال ابن القيم رحمته الله: وهو كما قال أبو الوفاء: فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها وسلف القدريّة كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم اهـ. ^(٥)

وقال: والقدر منشؤه عن علم الرب وقدرته ^(٦) وقال أيضا: والمخاصمون في القدر نوعان: أحدهما: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]

والثاني: من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله. قال عوف: مَنْ كَذَّبَ بِالْقَدْرِ، فَقَدْ كَذَّبَ بِالْإِسْلَامِ، إِنَّ اللَّهَ رحمته الله قَدَرَ أَقْدَارًا وَخَلَقَ الْخَلْقَ بِقَدْرِ وَقَسَمَ

(١) القدر للفريابي (٢٠٨) - وعنه الآجري في الشريعة (٤٨٣) واللفظ له - وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٠٤)

(٢) كتاب السنة (٩٠٤) وانظر: مسائل أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ (١٨٦٨)

(٣) منهاج السنة النبوية (٣/٢٥٤)

(٤) نقله عنه ابن القيم في طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٩٢) وشفاء العليل (ص: ٢٨)

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٨)

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٩٢)

الآجال بِقَدَرٍ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ بِقَدَرٍ وَقَسَمَ الْبَلَاءَ بِقَدَرٍ وَقَسَمَ الْعَافِيَةَ بِقَدَرٍ وَأَمَرَ وَنَهَى (١)
ا.هـ (٢)

وقال رحمته في قصيدته الكافية الشافية:

فحقيقة القدر الذي حار الورى
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد
قال: الإمام شفا القلوب بلفظة
ذات اختصار وهي ذات بيان (٣)

وقال رحمته:

القدر بحر محيط لا ساحل له، ولا خروج عنه لأحد من العالمين،
والشرع فيه سفينة النجاة، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها فهو من المُغْرَقِينَ،
وهو قُدْرَةُ اللَّهِ الذي هو على كل شيء قدير، وكل مخلوق فمنه ابتداء وإليه يصير.
والإيمان به قُطْبُ رحا التوحيد ونظامه، ومبدأ الإيمان وتمامه،
فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان،
والحكمة آخِيَّتُهُ التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها،
فالقدر مظهر المُلْكِ، والحكمة مظهر الحُمدِ، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال
التقدير. فلا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير،
فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين، ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف]. ا.هـ (٤)

(١) هذا الأثر معروف من رواية عوف عن الحسن البصري رواه الفريابي في القدر (٢٢٥) وعنه الأجرى في
الشرعية (٤٦٢) وابن بطة في الإبانة (١٧٠٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة
(١٢٥٥). ورواه غير عوف عن الحسن أيضا كما في المصادر المذكورة وكذا القضاء والقدر للبيهقي (٢٧٨)

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ط عطاءات العلم (٩٧/١)

(٣) الكافية الشافية (١٨٤).

(٤) شفاء العليل (٧/١)

الفرق بين القضاء والقدر:

١- من أهل العلم من لم يفرق بينهما

قال العلامة ابن باز رحمته الله: ... ومعناها واحد وهو الشيء الذي قضاه الله سابقاً وقدره سابقاً، يقال لهذا قضاء، ولهذا قدر يعني ما سبق في علم الله أنه قدره من موت وحياة وعز وذل وأمن وخوف، كله وغيره يسمى قضاء ويسمى قدراً أهـ (١) واختاره تلميذه شيخنا العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله (٢).

٢- ومن العلماء من قال: هاتان الكلمتان مترادفتان إن تفرقتا، ومتباينتان إن اجتمعتا. فإذا قيل: القضاء بدون أن يقترن به القدر كان شاملاً للقضاء والقدر، وإذا قيل: القدر دون أن يقترن به القضاء كان شاملاً للقضاء والقدر أيضاً. وإذا قيل: القضاء والقدر جميعاً فالكتابة قدر والمشية قضاء، يعني القدر: ما قدر الله تعالى في الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ، والقضاء: ما يقضي به الله ﷻ من أفعاله أو أفعال الخلق. وهو اختيار العلامة ابن عثيمين (٣)

٣- وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمته الله:

القدر أصل من أصول الإيمان، كما في سؤال جبريل عليه السلام، وما أجابه به رسول الله ﷺ حين سأله، قال: «الإيمانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (٤)، وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. ... فَجَرَى بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٥) أي: جرى بما يكون مما يعلم الله تعالى، فإنه تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون ❀ لَا يَعْزُبُ

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٩١/٤)

(٢) شرح الأربعين النووية - العباد (٢٣/٧) بترقيم الشاملة

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٧٩/٢)

(٤) تقدم تخريجه في المجلس الخامس عشر.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده (٢٢٧٠٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ورواه أبو داود

(٤٧٠٠) بلفظ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ

شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» ورواه الترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩) بلفظ: «... اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى

الْأَبَدِ»

عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ ﴿سبأ﴾.

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به:

أ- إيجاد المقدر، كقوله: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤]؛

ب- ويطلق ويراد به: الإخبار بما سيقع مما قدر، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أخبرهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين.

ت- ويطلق ويراد به الأمر والوصية، كما قال: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر ووصى.

ث- ويطلق ويراد به: الحكم، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩، ٧٥]؛

ج- ويطلق ويراد به القدر، ونحو ذلك اهـ^(١)

وقال أبو محمد ابن حزم رحمته الله: معنى القضاء في لغة العرب: الحكم ولذلك يقولون القاضي بمعنى الحاكم وقضى الله عز وجل بكذا أي حكم به...

ويكون أيضا بمعنى أمر قال تعالى: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء] ويكون أيضا بمعنى أخبر قال الله تعالى: ﴿* وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحَاتٍ﴾ [الحجر: ٦٦] بمعنى أخبرناه ...

ويكون أيضا بمعنى أراد وهو قريب من معنى حكم قال الله تعالى: ﴿* إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧، مريم: ٣٥] ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه.

ومعنى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء تقول قدرت البناء تقديرا إذا رتبته وحددته قال تعالى: ﴿* وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] بمعنى رتب أقواتها وحددها وقال تعالى: ﴿* إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر]

يُرِيدُ تَعَالَى بِرَتْبَةِ وَحْدٍ. فَمَعْنَى قَضَى وَقَدَرَ حُكْمٌ وَرَتْبٌ، وَمَعْنَى الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ يَحْمَدُهُ أَوْ ذَمُّهُ وَبِكَوْنِهِ وَتَرْتِيبِهِ عَلَى صِفَةِ كَذَا وَإِلَى وَقْتٍ كَذَا فَقَطْ أ.هـ. (١)

٤- وقيل: القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق. قال الكرماني رحمته الله: لا فرق بينهما لغة وأما في الاصطلاح فالقضاء هو الأمر الكلي الإجمالي الذي في الأزل والقدر هو جزئيات ذلك الكلي وتفصيل ذلك المجمل الواقعة في الإنزال وفي القرآن إشارة إليه حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] أ.هـ. (٢)

٥- وقال العلامة أبو سليمان الخطابي رحمته الله: والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر كما الهدم والقبض والنشر أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقباض والناشر، يقال قدرت الشيء وقدرت خفيفة وثقيلة بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق قوله ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن ... قال: وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه أ.هـ. (٣)

٦- وقال الراغب الأصبهاني رحمته الله: والقضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل أ.هـ. (٤)

وقال الشيخ الوزير صالح آل الشيخ حفظه الله في شرح الطحاوية (٦) - ما حاصله -: القَدْرُ في اللغة بمعنى ترتيب الشيء ليكون على وَجْهِ ماءٍ، فالقَدْرُ في معناه اللغوي يدخل

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣١)

(٢) يعني القدر بمعنى التقدير، والقضاء بمعنى الخلق. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٧٨).

(٣) معالم السنن (٤/ ٣٢٣)

(٤) معالم السنن (٤/ ٣٢٣)

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص ٦٧٥) وينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (١٥/ ١٤٤) وشرحه للمشكاة

(٢/ ٥٤٠)

(٦) انظر: «شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» (ص ٢٣٨)

فيه الفعل، ويدخل فيه الإرادة والمشية، ويدخل فيه العلم، ويدخل فيه أيضا الحكمة بحسب من قَدَّر.

وأما في الشريعة فالقَدَّر يجمع أربعة أشياء: العلم، والكتابة، وعموم مشيئة الله ﷻ، وعموم خلقه ﷻ للأشياء.

وأما القضاء فإنه في اللغة بمعنى إنهاء الشيء^(١)، ... كما قال سبحانه ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ [طه: ٧٢]. ويأتي القضاء بمعنى القَدَّر كما قال ﷻ ﴿ فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢]، يعني قَدَّرَ ذلك وخلقها وفعله، وكما في قوله أيضا ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ [سبأ: ١٤]، على أنه بمعنى القَدَّر؛ لأنَّ الإنهاء يدخل في القَدَّر.

ولهذا المعنى قال جمع من أهل العلم إنَّ القضاء والقَدَّر بمعنى واحد؛ لأنهم لحظوا أنَّ معنى القضاء داخل في معنى القَدَّر، ومن ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم منهم ابن الجوزي وكثير من العلماء السابقين.

وأما فيما دَلَّتْ عليه نصوص الكتاب والسنة فإنَّ القَدَّرَ أعم من القضاء، والقضاء هو القَدَّر إذا وقع، وقبل وقوع المقدر لا يسمى قضاء.

ومراتب القَدَّر الأربعة منها مرتبتان سابقتان وهي مرتبة العلم والكتابة، ومنها مرتبتان وهي عموم المشيئة وعموم الخلق لله ﷻ وهما مقارنتان لوقوع المقدر. فإذا نُظِرَ لوقوع المُقَدَّر من جهة عموم الخلق وعموم المشيئة فإنه حينئذ يكون قضاءً لله ﷻ لهذا الشيء. فقاضى الله ﷻ الأمر على كذا وكذا بمعنى خلقه وشاءه.

ولهذا نقول القضاء، والقَدَّر بينهما فرق:

✓ فإن: القَدَّرَ أعم، والقضاء أخص.

✓ والقَدَّرَ سابق، والقضاء لاحق.

(١) قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْقَضَاءُ فِي اللَّغَةِ عَلَى وُجُوهِ مَرْجِعِهَا إِلَى انْقِطَاعِ الشَّيْءِ وَتَمَامِهِ. وَكُلُّ مَا أَحْكَمَ عَمَلُهُ أَوْ أُتِمَّ أَوْ حُتِمَ أَوْ أُدِّيَ أَدَاءً أَوْ أُوجِبَ أَوْ أُعْلِمَ أَوْ أُنْفِذَ أَوْ أُمِضِيَ فَقَدْ قُضِيَ. قَالَ: وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ كُلُّهَا فِي الْحَدِيثِ، وَمِنْهُ الْقَضَاءُ الْمَقْرُونُ بِالْقَدْرِ، وَالْمُرَادُ بِالْقَدْرِ التَّقْدِيرُ، وَبِالْقَضَاءِ الْخَلْقُ ... وَقَضَى الشَّيْءَ قَضَاءً: صَنَعَهُ وَقَدَّرَهُ؛ ... وَالْقَضَاءُ بِمَعْنَى الْعَمَلِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الصَّنْعِ وَالتَّقْدِيرِ. ينظر: «لسان العرب»

✓ والقَدَرُ فيه عدة صفات لله ﷻ: العلم والكتابة والمشية والخلق،
 ✓ وأما القضاء قضاء الله ﷻ للشيء في نفسه يدل على خلقه ﷻ للشيء ومشيته

له.

الإيمان بالقضاء والقدر يريح النفوس:

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وهو باب عظيم إذا فهمه المسلم فهمًا صحيحًا كما جاء في كتاب الله وكما جاء في سنة النبي ﷺ فإنه يرتاح، وتطمئن نفسه، ويعيش مُطمئن البال ومرتاح النفس في هذه الدنيا. ولهذا يقول النبي ﷺ: «أَحْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ "لَوْ" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

مجادلة المشركين في القدر:

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٤٩) [القمر]. وهي آية واضحة وعظيمة وصریحة، وقد جاء في سبب نزولها أن المشركين كانوا يجادلون النبي ﷺ في القدر؛ فنزلت الآية ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢).

فالمجادلة في القدر وفي باب الإيمان بالقضاء والقدر هو طريقٌ سلكه الكفار وجاء القرآن بالنهي عنه. روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(٤٨) ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٤٩) [القمر: ٤٨-٤٩]^(٣).

من أدلة الإيمان بالقضاء والقدر:

يقول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(٢٨) [الأحزاب] أي: وَكَانَ أَمْرُهُ الَّذِي يَقْدَرُهُ كَائِنًا لَا مَحَالَةَ، وَوَاقِعًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا مَعْدَلَ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير الطبري (١٦١/٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٦).

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤٢٧/٦).

وقال **عليه السلام**: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٢] [يس] يعني: في كتاب.
 وقال سبحانه: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢] وقال **عليه السلام**: ﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء].
 ويقول نبينا **عليه السلام** كما في حديث جبريل **عليه السلام**: «الإيمان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

ويقول النبي **عليه السلام** كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو **رضي الله عنه**: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢). فإذا قرأت هذا الحديث اطمأنت نفسك، فكلُّ شيء بقضاء وقدر، والله **عليه السلام** قد كتب مقادير الخلائق، ولا يمكن أن يقع في هذا الكون شيء لا يريد الله **عليه السلام**.

كل شيء بقدر:

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو **رضي الله عنه** أن النبي **عليه السلام** قال: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوْ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ»^(٣). و«العجز» هو عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسوية به وتأخيرها عن وقته ويحتمل: العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة. «والكيس» ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمر ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه^(٤).

لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر:

وجاء عن النبي **عليه السلام** أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»^(٥). ولهذا لما أُخْبِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو **رضي الله عنه** عن قوم يَشْكُونَ فِي الْقَدَرِ وَجَاءُوا فِيهِ

(١) تقدم تخريجه في المجلس الخامس عشر.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٥٥).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٢٠٥/١٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٢١٤٥) من طريق الطيالسي عن شعبة، وابن ماجه (٨١) من طريق شريك، وأحمد (٧٥٨)

من طريق محمد بن جعفر عن شعبة كلاهما شريك وشعبة عن منصور عن ربيعي عن علي بن أبي طالب

بأقوابيل لا تُعَرَفُ عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وقيل له: إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ^(١)، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَاقِدْرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفٌ، -أَيُ مَسْتَأْنَفٌ لَمْ يَسْبِقْ بِهِ قَدْرٌ وَلَا عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَعْدَ وَقُوعِهِ-؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ»^(٢)

وجاء في سنن الإمام أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن فيروز الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب (وتأمل هذا الحديث، تأمل هذه القصة لهذا التابعي) يقول: أتيت أبي بن كعب رضي الله عنه (وهو سيد القراء من أصحاب النبي ﷺ)، فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله جل ثناؤه أن يذهبه من قلبي، فقال: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئِكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ» (أعطاه بيانًا شافيًا) يقول ابن الديلمي: ثم لقيت عبد

بن كعب. واختلف فيه على منصور: فرواه الترمذي أيضا عن النضر بن شميل، عن شعبة، نحوه، إلا أنه قال: ربي، عن رجل، عن علي، وقال الترمذي: حديث أبي داود، عن شعبة عندي أصح من حديث النضر وهكذا روى غير واحد، عن منصور، عن ربي، عن علي. وهو تعقبه الحافظ في النكت الطراف (٣٧٢/٧ مع تحفة الأشراف) فقال: قد أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده عن أبي نعيم عن الثوري عن منصور مثل ما قال النضر عن شعبة وكذلك أخرجه عبد بن حميد عن أبي نعيم. اهـ قلت: ورواه أحمد (١١١٢) حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، مثل رواية النضر. وقال الدارقطني في العلل (٣/١٩٦): حدث به شريك وورقاء وجريز وعمرو بن أبي قيس، عن منصور، عن ربي، عن علي. وخالفهم سفيان الثوري، وزائدة، وأبو الأحوص، وسليمان التيمي، فرووه عن منصور، عن ربي، عن رجل من بني راشد، عن علي. وهو الصواب. اهـ وقال الحافظ الضياء المقدسي في المختارة (٢/٦٨): ويحتمل أن يكون ربي سمعه من علي وسمعه من رجل عنه فكان يرويه مرة عن علي ومرة عن رجل عنه والله أعلم. اهـ وبمثلها قال العلامة الألباني في ظلال الجنة (١/٦٠) رقم (١٣٠).

(١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (١/١٥٥): هُوَ بِتَقْدِيمِ الْقَافِ عَلَى الْفَاءِ وَمَعْنَاهُ يَطْلُبُونَهُ وَيَتَّبِعُونَهُ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَجْمَعُونَهُ... إلخ.

(٢) صحيح مسلم (٨).

الله بن مسعود رضي الله عنه (فقيه الصحابة وكبير من كبرائهم الحافظ القارئ) فقال مثل ذلك (يعني بمثل ما أجاب أيُّ بن كعب) قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (وهو صاحب السر) فسألته فقال مثل ذلك قال: ثم أتيت زيد بن ثابت رضي الله عنه فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك^(١). إذا هذه كلمات واضحة تبين أن باب القدر بابٌ عظيمٌ يجب فيه التسليم لله وأمره ولم يزل ابن الديلمي يسأل علماً بعد عالم حتى وقف على الهدى وتبين له الحق.

وصية عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه:

وجاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - في سنن أبي داود من حديث أبي حفصة الشامي واسمه حبيش بن شريح عنه - أنه أوصى ابنه فقال: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، - ثم قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢)

وفي سنن الترمذي عن عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ يَقُولُونَ فِي الْقَدْرِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْرَأِ الزُّخْرَفَ، قَالَ: فَقَرَأْتُ: ﴿حَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف] فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا أُمُّ الْكِتَابِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ، فِيهِ: إِنَّ فِرْعَوْنَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَفِيهِ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد]، قَالَ عَطَاءُ: فَلَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) وابن حبان (٧٢٧) وصححه العلامة الألباني في صحيح موارد الظمان (١٥٢٦) وفي «هداية الرواة» (١١١)، وصححه شيخنا العلامة الوداعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٢٨)

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والطبراني في مسند الشاميين (٥٩) والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١٣٦) وفي السنن الكبرى (٢٠٨٧٥) وفي القضاء والقدر (١١) وفي إسناده أبو حفصة حبيش بن شريح وهو مجهول. وهو متابع كما سيأتي. وفي روايته «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ ...» مرفوع! وسيأتي موقوفاً في رواية المسند.

عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلْتُهُ: مَا كَانَتْ وَصِيَّةُ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: دَعَانِي أَبِي فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، اتَّقِ اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَإِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»^(١)

وفي المسند عن أَيُّوبَ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَحَايِلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي. فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدْرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» يَا بُنَيَّ إِنَّ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ.^(٢) فأوصى عبادة بن الصامت رضي الله عنه ابنه بهذه الوصية النافعة، وهي وصية عظيمة، في الإيمان بكل ما هو مقدر ومكتوب. فقد أحصى الله ﷻ كل شيء.

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٥٧٨) -ومن طريقه الترمذي (٢١٥٥، ٣١٩٩) وابن أبي عاصم في السنة (١٠٥)- ، وابن الجعد في المسند (٣٤٤٤) والشاشي في المسند (١١٩٢)، من طرق عن عبد الواحد بن سليم وهو ضعيف جدا، قال البخاري فيه نظر وقال الإمام أحمد: حديثه حديث منكر، أحاديثه موضوعة. اهـ وقد توبع تابعه عبد الله بن السائب عن عطاء، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٤) وفي الأوائل (٢) والفريابي في القدر (٤٢٥) عن محمد بن مُصطفى الحمصي ثنا بَقِيَّةُ بن الوليد ثني معاوية بن سعيد ثني عبد الله بن السائب به. ومعاوية بن سعيد هو التَّجِيبي مقبول كما في التقريب. ولم ينفرد عطاء به بل تابعه غير واحد كما سيأتي ولذا صححه العلامة الألباني لشواهدة كما في ظلال الجنة (١٠٥)

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٧٠٥) وابن أبي شيبه (٣٥٩٢٢) -ومن طريقه: وابن أبي عاصم في السنة (١٠٧) والفريابي في القدر (٧٢) والآجري في الشريعة (١٨٠، ٣٤٦، ٣٧٢)-، والبزار (٢٦٨٧)، والطبري في تاريخه (٣٢/١) والطبراني في مسند الشاميين (١٩٤٩) والضياء في الأحاديث المختارة (٣٥٢/٨) رقم (٤٣١). وأيوب بن زياد من رجال التعجيل، روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات. والحديث حسن سنده العلامة الألباني في ظلال الجنة (٤٨/١) فقال: وإسناده حسن رجاله ثقات معروفون غير أيوب هذا فقد وثقه ابن حبان لكن روى عنه جماعة. اهـ

مراتب الإيمان بالقدر:

إذا عرفنا هذا فالعلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ يقولون: الإيمان بالقدر له أربع مراتب، لا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها، وبمعرفتها يتبين لك حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر.

المرتبة الأولى: العلم:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عَلِمَ ما الخلق عاملون، وَعَلِمَ جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، وَعَلِمَهُ محيطٌ بهم، وبكل شأن من شؤونهم. ومعنى ذلك: الإيمان بأن الله يعلم كل شيء، يعلم ما كان في الماضي، ويعلم ما هو كائن الآن، ويعلم ما سيكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله بكل شيء عليم ﷻ يعلم الماضي والمستقبل والحاضر. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يعلم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون. وبيانه أن الكفار لما ادَّعَوْا أنهم لو رجعوا إلى الدنيا لآمنوا بالله كذبهم الله، قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا ﴿٢٨﴾ وَهُمْ لَنْ يُرَدُّوا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴿٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨] فالله يعلم الشيء الذي لن يحصل كيف سيحصل. ويقول ربنا سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ [المجادلة].

فإيمانك بالقدر معناه: الإيمان بعلم الله المطلق يقول ربنا ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾ ﴿٥١﴾ [الأنعام] ويقول ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾ [يونس]

فكلُّ شيء مكتوب، وكلُّ ما وقع فقد علمه الله قبل أن يقع، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلاق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها وشاءها سبحانه.

المرتبة الثانية: الكتابة:

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق، وأنه سبحانه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، فكل شيء مكتوب، وهذه كلمة تجري على ألسنة الناس، وهي حق، فكل شيء يقع، وكل ما يحصل فهو مكتوب عند الله سبحانه بل جاء في الحديث كما تقدم معنا «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١) ولهذا يقول ﷺ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج].

ويقول النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيئَةً، أَوْ سَعِيدَةً»^(٢) فيعلم- سبحانه- أهل الجنة من أهل النار، وقد كتب أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار ويعلم ما سيكون ﷻ وكتب كل شيء وقدره.

حديث القبضتين:

وفي المسند عن أبي نضرة: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالُوا لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي»؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً، وَأُخْرَى بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَهَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أَبَالِي» فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا^(٣).

وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الْقَبْضَتَيْنِ: «هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ وَهَؤُلَاءِ لِهَذِهِ» قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي الْقَدْرِ. وفي رواية للبيهقي في القدر:

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٢، ٤٩٤٨)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٩٣) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٠) وشيخنا العلامة

الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤١٥)

«هُؤْلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَهُؤْلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي»^(١)

وفي المسند عن أبي الدرداء رضي عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ الِئْمَنَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَيْضَاءَ، كَانَتْهُمْ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الِئْسَرَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ سَوْدَاءَ كَانَتْهُمْ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا أَبَالِي وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الِئْسَرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي»^(٢)

وفي المسند عن معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي، أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هؤْلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَهُؤْلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي»، قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ»^(٣) ومعنى الحديث أن كل من قدر عليه شيء في سابق علم الله سبحانه، لا بد أن يقع عليه. قاله العلامة الطوفي^(٤)

(١) أخرجه البزار (٥٨٣٣) وأبو يعلى في المعجم (١٠٠) والطبراني في المعجم الصغير (٣٦٢) وأبو نعيم في الحلية

(١١٠/٧) والبيهقي في القضاء والقدر (٧١، ٧٢)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٤٦)

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٤٨٨) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩) وحسنه شيخنا

العلامة الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٢٢)

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧٦٦٠)، ومعاوية بن صالح صدوق له أوهام كما في التقريب، وقد خولف، فقد رواه

الطبراني في المعجم الكبير (١٦٩/٢٢) رقم (٤٣٥) وابن راهويه- كما في المطالب العلية (٢٩٦٢)-، عن بَقِيَّةِ

بْنِ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ، حَدَّثَنِي رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ

هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ رضي عنه: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْبَتِدُّ الْأَعْمَالَ أَوْ قَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا:

بَلَى، ثُمَّ أَفَاضَ فِي كِفَّةٍ فَقَالَ: هؤْلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهُؤْلَاءِ فِي النَّارِ، أَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَمَيْسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَمَيْسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ» وتابعه عبد الله بن سالم الأشعري عن الزبيدي رواه البخاري

في التاريخ الكبير (٣٤١/٥) وفي إسناده إسحاق ابن زبريق وفيه ضعف. وخطأ البخاري في التاريخ الكبير

(٣٤١/٥) رواية معاوية فقال: وقال معاوية مرة: عبد الرحمن بن قتادة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خطأ أهـ

وحكم ابن السكن كما في الإصابة لابن حجر وابن عبد البر في الاستيعاب على اضطراب هذا الحديث.

وشرحه العلامة أحمد شاکر في تخريج تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (٢٤٤/١٣) رقم (١٥٣٧٧)

وقال: معناه صحيح وارد في أحاديث كثيرة. وانظر مزيد تخريج للحديث فيما سيأتي في أحاديث في ذكر

الميثاق.

(٤) «درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح» (ص ٢٢٣)

المرتبة الثالثة: المشيئة:

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، ومعنى هذا: أنه لا يمكن أن يقع في الكون شيء إلا وقد شاءه الله سبحانه.

وقد سئل الإمام الشافعي رحمته الله عن القدر، فأدشأ يقول:

فَمَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ففِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتْى وَالْمُسْنُ
عَلَى ذَا مَنْنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنِ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ^(١)

فما شاءه الله ﷻ هو الذي سيكون، ولن يكون في الكون شيء لا يريداه الله ﷻ والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا.

يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]. فكل شيء يقع في هذا الكون بمشيئة الله ﷻ. يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان]

للعبد مشيئة تابعة لمشيئة الله:

ولو قال قائل: هل للإنسان مشيئة؟ نقول: نعم، الإنسان له مشيئة لكن مشيئته تابعة لمشيئة الله بدلالة هذه الآية، فالله أثبت مشيئة للإنسان، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان] فمشيئته تابعة لمشيئة الله. ولا يجوز أن يعتقد إنسان أنه مغلوب على أمره وأنه مجبور لا مشيئة له. قال العلامة الألباني رحمته الله: كثير من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث -يعني أحاديث القبضتين المتقدمة- ونحوها أحاديث كثيرة تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية، ما دام أنه حكم عليه منذ القديم وقبل أن يخلق بالجنة أو النار، وقد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومن كان من القبضة الأخرى كان من أهل

(١) أسنده عن الشافعي غير واحد منهم: اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١٣٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى

الشقاوة، فيجب أن يعلم هؤلاء جميعاً أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته، فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته، فهو تعالى قبض باليمين على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته، وقبض بالأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته، ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمين على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى، والعكس بالعكس، كيف والله ﷻ يقول: ﴿ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القلم]. ثم إن كلاً من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابهما أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار، بل هو حكم من الله تبارك وتعالى عليهم بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنة، أو كفر يقتضي النار والعياذ بالله تعالى منها، وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان، لا يكره الله تبارك وتعالى أحداً من خلقه على واحد منهما ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، وهذا مشاهد معلوم بالضرورة، ولولا ذلك لكان الشواب والعقاب عبثاً، والله منزه عن ذلك. ومن المؤسف حقاً أن نسمع من كثير من الناس حتى من بعض المشايخ التصريح بأن الإنسان مجبور لا إرادة له! وبذلك يلزمون أنفسهم القول بأن الله يجوز له أن يظلم الناس! مع تصريحه تعالى بأنه لا يظلمهم مثقال ذرة، وإعلانه بأنه قادر على الظلم ولكنه نزه نفسه عنه كما في الحديث القدسي المشهور: « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ... »^(١) إلخ. هـ.^(٢)

المرتبة الرابعة: الخلق:

الأمر الرابع: وهو أن الله خالق كل شيء، فكل شيء مخلوق، والله هو الخالق، خالق كل شيء. كما قال ﷻ: ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنعام].

وقال ﷻ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَتَقْدِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفرقان].

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١١٥-١١٧).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصُنْعَتَهُ»^(١).

وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات]. فكل شيء كتبه الله ﷻ وقدره وشاءه وخلقه، لا يخرج شيء عن ذلك.
فهذه المراتب الأربع إذا فهمها الإنسان فهم معنى الإيمان بالقضاء والقدر.
 ولا يصح إيمان أحد بالقدر ما لم يؤمن بها، ومن أنكر واحدة منها فهو خارج عن مذهب أهل السنة والجماعة.

ترك الخوض والجدال في القدر:

ومما نبه العلماء عليه أنه لا يجوز للإنسان الخوض والجدال والنقاش العقيم في هذا الباب. لماذا؟ لأن باب الإيمان بالقضاء والقدر بابٌ غيبي؛ فلا ينبغي للمسلم أن يخوض فيه بلا علم؛ ولهذا اشتهر عن كثير من السلف أنهم قالوا: "الْقَدْرُ سِرُّ اللَّهِ الْمَكْتُومُ" وروى حديثاً ولا يصح^(٢)

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في العقيدة: وَأَصْلُ الْقَدْرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَالتَّعَمُّقُ وَالتَّنْظُرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ وَسَلْمٌ

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ٤٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٧٤) رقم [٣٧] عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (١٣/٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، والخطيب البغدادي في تاريخه (٦٧١/٣) ط بشار) عن أنس رضي الله عنه وهو موضوع؛ ورواه ابن حبان في المجروحين (ترجمة الهيثم بن حمزة) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٨٢/٦) واللالكائي (١١٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وفيه الهيثم بن حمزة - وتحرف في سند اللالكائي إلى ابن جميل - وابن حمزة متروك الحديث، وانظر: ضعيف الجامع برقم (٤١٣١) ورواه البيهقي في مناقب الشافعي (١/٤١٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفاً. بسند ضعيف. وله طريق أخرى عن علي رضي الله عنه عند الأجرى في الشريعة (٤٢٢، ٥٤٧) وسنده ضعيف جداً. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٠/١٠) رقم (١٠٦٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/٢٠٠): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَفِيهِ أَبُو يَحْيَى الْقَتَّانُ، وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةٍ وَضَعَّفَهُ فِي غَيْرِهَا، وَمُضَعَّبٌ بِنِ سَوَارٍ لَمْ أَعْرِفْهُ، وَبِقِيَّةِ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ. اهـ. قلت مصعب بن سوار صوابه: سوار بن مصعب كما في الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/٣١٤) رقم (١٩٩٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠/٣٢٩) وهو وإيه كما في الميزان. وقد ذكر الدارقطني في سننه (١/٣١٣) أن عبد الله بن رجاء - الراوي عنه - يقلب اسمه ويسميه مصعب بن سوار.

الْحُرْمَانِ وَدَرَجَةِ الطُّعْيَانِ فَالْحَدْرَ كُلِّ الْحَدْرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدْرِ عَنْ أَنْامِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء]. فَمَنْ سَأَلَ لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ اهـ. (١)

وقال الإمام البربهاري رحمته الله: والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأنَّ القدر سر الله ونهى الرب ﷻ الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدل في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء وتسكت عما سوى ذلك اهـ. (٢)

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: أَصْلُ الْقَدْرِ سِرُّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَهُوَ كَوْنُهُ أَوْجَدَ وَأَفْتَى، وَأَفْقَرَ وَأَعْنَى، وَأَمَاتَ وَأَحْيَا، وَأَضَلَّ وَهَدَى ... وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ... وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ الْكُفْرَ مِنَ الْكَافِرِ وَيَشَاءُ، وَلَا يَرْضَاهُ وَلَا يُحِبُّهُ، فَيَشَاءُ كَوْنًا، وَلَا يَرْضَاهُ دِينًا اهـ. (٣)

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمته الله: ... وَقَالَ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ قَدِيمًا: «الْقَدْرُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تَنْظُرُوا فِيهِ فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يُعْصَى مَا عَصَاهُ أَحَدٌ»؛ فَالْعِبَادُ أَدَقُّ شَأْنًا وَأَحَقُّرُ مِنْ أَنْ يَعْصُوا اللَّهَ إِلَّا بِمَا يُرِيدُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ رحمته الله أَنَّهُ قَالَ «لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ» (٤). وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ «لَوْ كَانَ الْخَيْرُ فِي يَدِ أَحَدٍ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْعَلَهُ

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٤٩).

(٢) شرح السنة (ص: ٨٠).

(٣) شرح الطحاوية ت الأرنؤوط (١/ ٣٢٠).

(٤) لم أقف عليه عن الحسن. وهو مأثور عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمته الله، رواه الفريابي في القدر (٣١٠) وغيره بسند صحيح عَنْ عُمَرَ بْنِ دَرٍّ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يُعْصَى، مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ، وَهُوَ رَأْسُ الْخَطِيئَةِ». وروى مرفوعا عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه - عند الزوار وغيره - وعبد الله بن عمر رضي الله عنه - عند أبي نعيم في الحلية -، وجابر رضي الله عنه - عند الأجرى في الشريعة (٤١٦) -، وصححه بمجموع الطرق العلامة الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٤٢). وذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يصح مرفوعا منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن كثير وغيرهما. وهو =

فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ ﷻ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُهُ فِيهِ»^(١). وَقَالَ: «وَجَدتْ بِنَ آدَمَ مُلْقَى بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَالشَّيْطَانِ فَإِنِ اخْتَارَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ نَجَا وَإِنِ خَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ بِهِ»^(٢). وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ:

لَيْسَ لِلَّهِ الْعَظِيمِ نَدٌّ وَهَذِهِ الْأَقْدَارُ لَا تُرَدُّ
لَهُنَّ وَقْتُ وَلَهُنَّ حَدٌّ مؤخر بعض وبعض نقد
وَلَيْسَ مِنْ هَذَا وَهَذَا بُدٌّ وَلَيْسَ مَحْتُومًا لِحَيِّ خُلْدٌ^(٣)

شرح الإمام ابن بطة لمسائل القدر:

وقال الإمام ابن بطة العكبري رحمته الله: وَأَمَّا الْقَدْرُ فَعَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: فُرِضَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ وَمَعْرِفَتُهُ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِجَمِيعِهِ. وَالْآخَرُ: فَحَرَامٌ عَلَيْنَا التَّفَكُّرُ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةُ عَنْهُ، وَالْمُنَاطَرَةُ عَلَيْهِ، وَالْكَلَامُ لِأَهْلِهِ، وَالْخُصُومَةُ بِهِ. فَأَمَّا الْوَاجِبُ عَلَيْنَا عِلْمُهُ وَالتَّصَدِيقُ بِهِ وَالْإِفْرَارُ بِجَمِيعِهِ:

✓ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللَّهِ،
✓ وَأَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ،
✓ وَأَنَّ مَا أَصَابَنَا لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْنَا وَمَا أَخْطَأْنَا لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْنَا،
✓ وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، عَلِمَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، وَوَقَّفَهُمْ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ رَضِيَهَا أَمْرَهُمْ بِهَا، فَوَقَّفَهُمْ لَهَا، وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهَا، وَشَكَرَهُمْ بِهَا، وَأَثَابَهُمْ

الصواب. انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٦٢) و«أحاديث معلقة ظاهرها الصحة» (ص ٩٣) للعلامة الوادعي رحمته الله.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥١٣٣) وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٧١٤، ١٧١٥) والبيهقي في القضاء والقدر (٥٢٨) عَنْ مُطَّرَفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ الْخَيْرُ فِي كَفِّ أَحَدِنَا مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُفْرِعَهُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُفْرِعُهُ فِي قَلْبِهِ» وفي المجالسة وجواهر العلم (٢٣٩٨) للدينوري: عن ابن المبارك قال: قَالَ مُطَّرَفٌ: «لَوْ كَانَ الْخَيْرُ فِي كَفِّي مَا نُلتُهُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ».

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٧١٢) وهو بنحوه في «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (٢٩٨)، و«المعرفة والتاريخ للفسوي - ت العمري - ط العراق» (٢/ ٨١)، و«حلية الأولياء وطبقات

الأصفياء» (٢/ ٢٠١)

(٣) الاستذكار (٨/ ٢٦٣).

الْجَنَّةَ عَلَيْهَا تَفْضُلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً،

✓ وَخَلَقَ الثَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، أَحْصَاهُمْ عَدَدًا، وَعَلِمَ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ، وَقَدَّرَ عَلَيْهِمْ مَا كَرِهَهُ لَهُمْ، خَدَلَهُمْ بِهَا وَعَدَّبَهُمْ لِأَجْلِهَا غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَا هُمْ مَعْدُورُونَ فِيمَا حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ،

فَكُلُّ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ مِنْ عِلْمِ الْقَدَرِ الَّذِي لَرِمِ الْخَلْقِ عِلْمُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالْتِسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ...

✓ وَأَمَّا الْوَجْهُ الْأَخْرَجُ مِنْ عِلْمِ الْقَدَرِ: الَّذِي لَا يَحِلُّ النَّظَرُ فِيهِ وَلَا الْفِكْرُ بِهِ، وَحَرَامٌ عَلَى الْخَلْقِ الْقَوْلُ فِيهِ كَيْفَ وَلَمْ وَمَا السَّبَبُ مِمَّا هُوَ سِرُّ اللَّهِ الْمَخْزُونُ وَعِلْمُهُ الْمَكْتُومُ الَّذِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مَلَكَ مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَحَجَبَ الْعُقُولَ عَنْ تَحْيِيلِ كُنْهِ عِلْمِهِ، وَالتَّائِظُ فِيهِ كَالْتَّائِظِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ، كُلَّمَا زَادَ فِيهِ نَظَرًا زَادَ فِيهِ تَحْيِيرًا، وَمِنْ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّتِهَا بُعْدًا: فَهُوَ التَّفَكُّرُ فِي الرَّبِّ ﷻ

كَيْفَ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ يَقِيسُ فِعْلَ اللَّهِ ﷻ بِفِعْلِ عِبَادِهِ، فَمَا رَأَهُ مِنْ فِعْلِ الْعِبَادِ جَوْرًا يَظُنُّ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ فِعْلِ مِثْلِهِ جَوْرًا، فَيَنْفِي ذَلِكَ الْفِعْلَ عَنِ اللَّهِ، فَيَصِيرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَعْتَرِفَ لِلَّهِ ﷻ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَيَرَى أَنَّهُ جَوْرٌ مِنْ فِعْلِهِ،

وَإِمَّا أَنْ يَرَى أَنَّهُ مِمَّنْ يَنْزِعُ اللَّهُ عَنِ الْجَوْرِ، فَيَنْفِي عَنْهُ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ، فَيَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً كَثِيرَةً يَحُولُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ مَشِيئَتِهِ،

فَبِالْفِكْرِ فِي هَذَا وَشَبْهِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَالتَّنْقِيرِ عَنْهُ هَلَكَتِ الْقَدَرِيَّةُ حَتَّى صَارُوا زَنَادِقَةً وَمُلْحِدَةً وَمَجُوسًا، حَيْثُ قَاسُوا فِعْلَ الرَّبِّ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ وَشَبَّهُوا اللَّهَ بِخَلْقِهِ وَلَمْ يَعُوا عَنْهُ مَا خَاطَبَهُمْ بِهِ، حَيْثُ يَقُولُ ❖ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ❖ [الأنبياء].

فَمِمَّا لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِيهِ وَلَا يُسْأَلَ عَنْهُ، وَلَا يَقُولَ فِيهِ لِمَ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ، لِمَ خَلَقَ اللَّهُ إِبْلِيسَ وَهُوَ قَدْ عَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ أَنَّهُ سَيَعْصِيهِ، وَأَنْ سَيَكُونُ عَدُوًّا لَهُ وَلَا وِلِيًّا لَهُ؟ وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْمَخْلُوقِينَ إِذَا عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ إِذَا اشْتَرَى عَبْدًا يَكُونُ عَدُوًّا لَهُ وَلَا وِلِيًّا لَهُ، وَمُضَادًّا لَهُ فِي مَحَابَبِهِ، وَعَاصِيًّا لَهُ فِي أَمْرِهِ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَحْبَابُؤُهُ: إِنَّ هَذَا خَطَأٌ وَضَعْفٌ رَأْيٍ وَفَسَادٌ نِظَامِ الْحِكْمَةِ، فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُصِبْ فِي فِعْلِهِ حَيْثُ خَلَقَ إِبْلِيسَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ

قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ إِبْلِيسَ أَنَّهُ يَخْلُقُ إِبْلِيسَ عَدُوًّا لَهُ وَلَا وِلِيَاءَ لَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ إِبْلِيسَ أَصْلًا فَقَدْ كَفَرَ. وَهَذَا قَوْلُ الرَّنَادِقَةِ الْمُلْحَدَةِ، **فَالَّذِي يَلْزِمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ إِبْلِيسَ وَقَدْ عَلِمَ مِنْهُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ ذَلِكَ عَدْلٌ صَوَابٌ، وَفِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ٢٣**.

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ عِلْمُهُ وَحَرَامٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهِ وَيُعَارِضُوهُ بِآرَائِهِمْ وَيَقْيِسُوهُ بِعُقُولِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ لِمَ جَعَلَ اللَّهُ لِإِبْلِيسَ سُلْطَانًا عَلَى عِبَادِهِ وَهُوَ عَدُوٌّ وَعَدُوَّهُمْ مُخَالِفٌ لَهُ فِي دِينِهِ، ثُمَّ جَعَلَ لَهُ الْخُلْدَ وَالْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا إِلَى التَّفْخَةِ الْأُولَى، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُ ذَلِكَ، لَوْ شَاءَ أَنْ يُهْلِكَهُ مِنْ سَاعَتِهِ لَفَعَلَ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْعِبَادِ لَكَانَ خَطَأً، وَكَانَ يَجِبُ فِي أَحْكَامِ الْعَدْلِ مِنَ الْعِبَادِ أَنْ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ عَبْدٌ وَهُوَ عَدُوٌّ لَهُ وَلَا حِبَابَهِ وَمُخَالِفٌ لِدِينِهِ وَمُضَادٌّ لَهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَنْ يُهْلِكَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُضِلُّ عِبِيدَهُ وَيُفْسِدُهُمْ، فَفِي حُكْمِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ مِنَ الْعِبَادَاتِ أَنْ لَا يُسَلِّطَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَجْعَلَ لَهُ سُلْطَانًا وَلَا مَقْدِرَةً، وَلَوْ سَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ عِنْدَ الْبَاقِينَ مِنْ عِبَادِهِ ظُلْمًا وَجَوْرًا حَيْثُ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَنْ يُفْسِدُهُمْ عَلَيْهِ وَيُضَادُّهُ فِيهِمْ وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ، وَقَادِرٌ عَلَى مَنْعِهِ وَهَلْكِيَتِهِ، فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ فَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَعِدْ حِينَ جَعَلَ لِإِبْلِيسَ الْخُلْدَ وَالْبَقَاءَ وَسَلَّطَهُ عَلَى بَنِي آدَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُهْلِكَ إِبْلِيسَ مِنْ سَاعَتِهِ حِينَ أَغْوَى عِبَادَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَهَذَا مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَرُدُّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ وَلَا يُقَالُ فِيهِ لِمَ وَلَا كَيْفَ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ٢٣ [الأنبياء].

وَمِنْ ذَلِكَ نَوْعٌ آخَرُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ لِإِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ أَنْ يَأْتُوا بَنِي آدَمَ فِي جَمِيعِ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، يَأْتُونَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُمْ لِقَوْلِهِ ﷻ ﴿ إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وَجَعَلَهُمْ يَجْرُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وَلَمْ يَجْعَلِ لِلرُّسُلِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنَ السُّلْطَانِ مِثْلَ مَا جَعَلَ لَهُمْ، وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي أَحْكَامِ الْعِبَادِ لَكَانَ مِنَ الْعَدْلِ بَيْنَهُمْ أَنْ يَكُونَ مَعَ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ عِلَامَةٌ كَعِلَامَةِ السُّلْطَانِ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ أَجْرَاسٌ يَعْرِفُونَهُمْ بِهَا، وَيَسْمَعُونَ حِسَّهُمْ فَيَأْخُذُونَ حِذْرَهُمْ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا جَاءُوا مِنْ بَعِيدٍ عَلِمَ الْعِبَادُ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَضِلُّونَ النَّاسَ، فَيَأْخُذُونَ حِذْرَهُمْ، أَوْ يَجْعَلِ لِلرُّسُلِ

أَنْ يُزَيَّنُوا وَيُوصَلُوا إِلَى صُدُورِ النَّاسِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ كَمَا يُوسِسُ الشَّيْطَانُ ذُرِّيَّتَهُ وَيُزَيَّنُوا لَهُمُ الْمَعْصِيَةَ، فَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ عَبِيدِهِ الْبَاقِينَ ظُلْمًا وَجَوْرًا لِأَنَّ الْعِبَادَ لَا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ فَيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ مِنْ إِبْلِيسَ، وَالرُّسُلُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُزَيَّنُوا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ طَاعَةَ اللَّهِ وَمَعْرِفَتَهُ كَمَا يُزَيِّنُ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ مَعْصِيَتَهُ بِالْوَسْوَسَةِ، **فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِإِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ سُلْطَانًا أَنْ يَأْتُوا عَلَى جَمِيعِ بَنِي آدَمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُمْ وَيُوسِسُ فِي صُدُورِهِمُ الْمَعَاصِيَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعِدْ حَيْثُ جَعَلَ لِإِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ هَذَا السُّلْطَانَ عَلَى بَنِي آدَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَرُدُّ عِلْمَهُ مَعَ الْإِيمَانِ بِهِ وَالتَّسْلِيمِ فِيهِ إِلَيْهِ** ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿ [الأنبياء].

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ لِمَ سَلَّطَ اللَّهُ الْكُفَّارَ عَلَى الرُّسُلِ فِي الدُّنْيَا، وَسَلَّطَ الْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى قَتَلُوهُمْ وَعَدَّبُوهُمْ وَقَتَلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا سَلَّطَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ لِيُكْرِمَ أَوْلِيَائَهُ فِي الْآخِرَةِ بِهَوَانِ أَعْدَائِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْنَعَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُهْلِكَ الْكُفَّارَ مِنْ سَاعَتِهِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ أَفْعَالِ بَعْضِ مُلُوكِ الْعِبَادِ كَانَ جَوْرًا عِنْدَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ حَيْثُ سَلَّطَ أَعْدَاءَهُ عَلَى أَنْصَارِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى هَلَكْتِهِمْ مِنْ وَقْتِهِمْ، فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ فَظَنَّ أَنَّ هَذَا جَوْرٌ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ حَيْثُ سَلَّطَ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُسَلِّطْهُمْ وَإِنَّمَا الْكُفَّارُ قَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَأَوْلِيَائَهُ بِقُوَّتِهِمْ وَاسْتِطَاعَتِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَنْصُرَ أَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَائَهُ حَتَّى غَلَبُوهُ وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَحَبَّ نَصْرَهُ وَتَمَكِينَهُ فَمَنْ ظَنَّ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿ [الأنبياء]، لَا يُشْبِهُ عَدْلُهُ عَدَلَ الْمَخْلُوقِينَ،

كَمَا أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ لَا يُشْبِهُهُ.

وَخَصْلَةٌ أُخْرَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ لِمَ مَكَّنَ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ فِي الْبِلَادِ، وَأَعَانَهُمْ بِقُوَّةِ الْأَبْدَانِ وَرِشَاقَةِ الْأَجْسَامِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالسَّلَاحِ وَالذَّوَابِّ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْبِيََاءَهُ وَأَوْلِيَائَهُ أَنْ يُعِدُّوا لَهُمُ السَّلَاحَ وَالْقُوَّةَ، وَأَنْ يُجَارِبُوهُمْ وَيُقَاتِلُوهُمْ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَمُدَّهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ قَالَ هُوَ لِنَفْسِهِ: إِنِّي مَعَكُمْ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُهْلِكَ أَعْدَاءَهُ مِنْ وَقْتِهِ بِأَيِّ أَنْوَاعِ الْهَلَاكِ شَاءَ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ، وَبِعَيْرِ أَنْصَارٍ وَلَا سِلَاحٍ، فَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَحْكَامِهِمْ لَكَانَ جَوْرًا وَفَسَادًا أَنْ يَقْوَى أَعْدَاءَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ،

وَيَمُدَّهُمْ بِالْعُدَّةِ، وَيُوَيِّدُهُمْ بِالْحَيْلِ وَالسَّلَاحِ وَالْقُوَّةِ، ثُمَّ يَنْدُبُ أَوْلِيَاءَهُ لِمُحَارَبَتِهِمْ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْعُدَّةَ وَالْقُوَّةَ وَالسَّلَاحَ الَّذِي فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ لَيْسَ هُوَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِهِمْ وَعَطِيَّةِ اللَّهِ لَهُمْ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِهِمْ وَعَطِيَّتِهِ لَهُمْ وَهُوَ جَوْرٌ مِنْ فِعْلِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمْ وَقَوَّاهُمْ وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَسْلِبَهُمْ إِيَّاهُ وَيُهْلِكَهُمْ مِنْ سَاعَتِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَهَذَا مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَعْدَاءَهُ وَقَوَّاهُمْ وَسَلَّطَهُمْ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُهْلِكَهُمْ لَفَعَلَ، وَاللَّهُ أَعْدَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ❖ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ❖ [الأنبياء].

وَمِمَّا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِيهِ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُضْمِرَ فِي نَفْسِهِ فَيَقُولَ: لِمَ خَلَقَ اللَّهُ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَّارِبَ وَالْهُوَامَ وَالسَّبَّاعَ الَّتِي تَضُرُّ بَنِي آدَمَ وَلَا تَنْفَعُهُمْ وَسَلَّطَهَا عَلَى بَنِي آدَمَ وَلَوْ شَاءَ أَنْ لَا يَخْلُقَهَا مَا خَلَقَهَا، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِ مُلُوكِ الْعِبَادِ لَقَالَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ: هَذَا غِشٌّ لَنَا وَمَضَرَّةٌ عَلَيْنَا بَعِيرٌ حَقٌّ حَيْثُ جَعَلَ مَعَنَا مَا يَضُرُّ بَنًا وَلَا نَنْتَفِعُ نَحْنُ وَلَا هُوَ بِهِ، فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ فَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْدِلْ حَيْثُ خَلَقَ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَّارِبَ وَالسَّبَّاعَ وَكَلَّمَا يُؤْذِي بَنِي آدَمَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ خَالِقًا غَيْرَ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَهَذَا قَوْلُ الرَّنَادِقَةِ وَالْمَجُوسِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، فَهَذَا مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا وَعَلِمَ أَنَّهَا تَضُرُّ بَعِبَادِهِ وَتُؤْذِيهِمْ وَهُوَ أَعْدَلُ مِنْ فِعْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا خَلَقَ ❖ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ❖

وَخَصْلَةٌ أُخْرَى لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ وَيُضْمِرَ فِي نَفْسِهِ، لِمَ تَرَكَ اللَّهُ الْعِبَادَ حَتَّى يَجْحَدُوهُ وَيُشْرِكُوا بِهِ وَيَعْصُوهُ، ثُمَّ يُعَدِّبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَمْنَعَ قُلُوبَهُمْ أَنْ تَدْخُلَهَا شَهْوَةٌ شَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، أَوْ مَحَبَّةٌ شَيْءٍ مِنْ مُخَالَفَتِهِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُبَعْضَ إِلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ مَعْصِيَتَهُ وَمُخَالَفَتَهُ، وَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يَهْلِكَ مَنْ هَمَّ بِمَعْصِيَتِهِ مَعَ هِمَّتِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى أَفْضَلِ عَمَلٍ عَبْدٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَلِمَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ؟ فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ فَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْدِلْ حَيْثُ لَمْ يَمْنَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ، وَلَمْ يَمْنَعَ الْقُلُوبَ أَنْ يَدْخُلَهَا حُبُّ شَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَلَمْ يَهْدِ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ فَقَدْ كَفَرَ،

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ هِدَايَةَ الْخَلْقِ وَطَاعَتَهُمْ لَهُ وَأَرَادَ أَنْ لَا يَعْصِيَهُ أَحَدٌ وَلَا يَكْفُرَ أَحَدٌ فَلَمْ يَقْدِرْ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدَرَ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ وَعِصْمَتِهِمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ وَهُوَ جَوْرٌ مِنْ فِعْلِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَهَذَا مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، وَتَرْكُ الْخَوْضِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةَ عَنْهُ، وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ الْكُفَّارَ وَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ، وَخَلَقَ الْعَصَاةَ وَأَمَرَهُمْ بِالطَّاعَةِ وَجَعَلَ حُبَّ الْمَعَاصِي فِي قُلُوبِهِمْ، فَعَصَوْهُ بِنِعْمَتِهِ، وَخَالَفُوهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ قُوَّتِهِ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَهُوَ يُعَذِّبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مَلُومُونَ غَيْرَ مُعْذَرِينَ، وَاللَّهُ ﷻ عَدْلٌ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ بِهِمْ، وَغَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء].

فَهَذَا مِنْ عِلْمِ الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَحِلُّ الْبَحْثُ عَنْهُ وَلَا الْكَلَامُ فِيهِ، وَلَا التَّفَكُّرُ فِيهِ، وَبِكُلِّ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ ذَكَرْتُهُ وَمَا أَنَا ذَاكِرُهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَجَاءَتِ السُّنَّةُ وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ عَلَيْهِ، لَا يَرُدُّ ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا قَدَرِيٌّ خَبِيثٌ مَشُومٌ قَدْ زَاغَ قَلْبُهُ وَالْحَدَّ فِي دِينِ اللَّهِ وَكَفَرَ بِاللَّهِ، ... إلخ^(١)

النهي عن الخوض في القدر:

وقد جاء في مسند الإمام أحمد، وسنن ابن ماجه، من حديث العابد الزاهد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لَقَدْ جَلَسْتُ أَنَا وَأَخِي مَجْلِسًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ التَّعَمِّ، أَقْبَلْتُ أَنَا وَأَخِي وَإِذَا مَشِيخَةٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُلُوسٌ عِنْدَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ، فَكَرِهْنَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَجَلَسْنَا حَجْرَةً، إِذْ ذَكَرُوا آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَتَمَارَوْا فِيهَا، حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ - وفي رواية: وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدْرِ - فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا، قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ - وفي رواية: وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْعَصَبِ - فخرج يَرْمِيهِمْ بِاللُّرَابِ، وَيَقُولُ: «مَهَلًا يَا قَوْمَ، [بِهَذَا أَمْرُكُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟!] [مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ

اللَّهُ بَعْضَهُ بَعْضٌ؟! [بِهَذَا أَهْلَكِ الْأُمَّةَ مِنْ قَبْلِكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَضَرْبِهِمُ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ] قَالَ: «فَمَا عَبَّطُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ أَشْهَدْهُ، بِمَا عَبَّطُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ، أَنِّي لَمْ أَشْهَدْهُ»^(١).

فما أحوجنا في هذا الزمان إلى هذا الأدب مع القرآن والسنة، كل من لم يفهم آية طعن في الإسلام، وكل من أشكل عليه حديث بدأ يتكلم، وهؤلاء مشيخة من الصحابة رضي الله عنهم، والرسول ﷺ يثو في وجوههم التراب، ويعاتبهم: «بِهَذَا أَمَرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟!»، ويقول: «مَا لَكُمْ تَصْرِبُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ؟!»، تأديبا للأمة ﷺ.

وفي الصحيحين عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا اثْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فِقُومُوا»^(٢).

وجاء أيضًا في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً، أَوْ سَعِيدَةً» قال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ (أنتكل على كتابنا وندع العمل ما دام أنه قد كُتِبَ أهل الجنة من أهل النار أنتكل على ذلك وندع العمل؟) فقال النبي ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مَيْسَرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝

وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى ۝ فَسَنِّيْهِ لَهُ لِيْسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ۝ فَسَنِّيْهِ لَهُ لِيْعْسْرَى ۝﴾ [الليل]^(٣). فالإيمان بالقضاء والقدر لا يتعارض أبدًا مع العمل؛ لأن القدر سرُّ

الله المكتوم، فالله ﷻ لم يبين لنا ما في الغيب ونحن لا نعلم ما في الغيب. أمرك أن تطيعه

(١) أخرجه أحمد (٦٧٠٢، ٦٦٦٨)، وابن ماجه (٨٥)، وهو في صحيح مسلم (٢/٢٦٦٦) مختصرًا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٠)، ومسلم (٢٦٦٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



فَلتَطْعُهُ. وأمرک أن تنهی عن المنکرات فأنته عن المنکرات.

ولهذا ذکر العلماء رَحْمَهُ اللهُ أن الذین یعصون الله ویمتجون بالقدر علی معصیة الله أنهم لا یعذرون عند الله ﷻ. وهذا السبیل الذی سلکوه هو سبیل المشرکین وسبیل الکافرین، وسیأتی- إن شاء الله تعالی معنا فی مجلس آخر- الحدیث عن حکم الاحتجاج بالقضاء والقدر علی المعاصی، وأن ذلک لا یجوز؛ لأن الله ﷻ قد أمرک ونهاک، وأمرک بالعمل کما سنبن -إن شاء الله- وأنه لا تعارض بین الإیمان بالقضاء والقدر و بین العمل الذی أمرنا الله ﷻ أنه نأتیة ونعمله.

وقد تقدم معنا قول الإمام ابن القيم رَحْمَتُهُ: القدر بحر محیط لا ساحل له، ولا خروج عنه لأحد من العالمین، والشرع فیة سفینة النجاة، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها فهو من المغرّقین، ... والإیمان به قُطْب رحا التوحید ونظامه، ومبدأ الإیمان وتمامه، فهو أحد أركان الإیمان، وقاعدة أساس الإحسان، .. إلخ. اهـ^(١)



(١) تقدم في أول المجلس.

المجلس التاسع عشر^(١)

مسائل مهمة تتعلق باباب الإيمان بالقضاء والقدر

ذكرنا في الدرس الماضي أنّ الإيمان بالقضاء والقدر يستلزم من المؤمن أن يؤمن بمراتب القدر الأربع وهي:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملةً وتفصيلاً.
والمرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتَبَ ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة.

والمرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فنؤمن بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئة الله ﷻ.

والمرتبة الرابعة: الإيمان بمرتبة الخلق، فنؤمن بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها، فكل ما سوى الله مخلوقٌ، مُوجَدٌ من العدم، كائنٌ بعد أن لم يكن. فيجب على الإنسان أن يؤمن بشرع الله وأمره ونهيه، يصدق الخبر ويطيع الأمر. وبالإيمان بهذه الأمور يكون المؤمن قد آمن بالله ﷻ حقاً في باب الإيمان بالقضاء والقدر، فيؤمن بأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله وكتبه وشاءه وخلقاه، ويؤمن بأن الله أمرَ بطاعته ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة ويترك المعصية.

إذا عرفنا ذلك فإن المسائل التي سنتكلم عنها في بداية هذا المجلس هي ما ذكره العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ مما يتعلق من أنواع التقدير المرتبط بمرتبة العلم.

(١) كان في يوم الأحد السابع عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

مرتبة العلم يتعلق بها أنواع من التقادير:

والتي ورد ذكرها في الكتاب والسنة يقول العلامة الشيخ حافظ الحكيمي رحمته الله (١):
 "يدخل في ذلك خمسة من التقادير كلها ترجع إلى العلم" ثم ذكر التقدير الأول: وهو كتابة
 ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة يدل على ذلك قول الله - سبحانه -
 : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾
 [الحديد: ٢٢]. وفي الحديث: « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » (٢) إذا هذا يدخل في علم الله تعالى فنحن نؤمن
 بأن الله تعالى كَتَبَ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها تعالى.

النوع الثاني من أنواع التقادير: التقدير العمري، وهو حينما أخذ الله الميثاق من
 الناس، يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وجاء في هذه الآية حديثٌ
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم
 في كفيهم، وقال: هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل
 النار ميسرون لعمل أهل النار، والحديث جاء من طرق وجاء في تفسير هذه الآية المباركة
 وسيأتي ذكره - إن شاء الله - (٣).

كذلك النوع الثالث من أنواع التقادير: التقدير العمري، فما من إنسان إلا
 ويكتب الله تعالى ما يكون منه عند خلقه كما جاء بذلك الحديث، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:
 «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا - يَعْنِي نَظْفَةً - ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً
 مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضَعَّةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ
 بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَسَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٌ...» (٤)

إذا هذه كتابة أخرى، وهذا يدل على علم الله تعالى السابق.

(١) أعلام السنة المنشورة (ص: ٨١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) سيأتي ذكره في المبحث التالي.

(٤) صحيح البخاري (٣٢٠٨)، وصحيح مسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كذلك هناك تقدير حَوْليٌّ في كل عام، وذلك في ليلة القدر، يقول الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ ﴾ [الدخان] ويقول ﷺ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبْرَكَةِ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ ﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾ [الدخان]. قال أهل التفسير: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت أو حياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان. قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومقاتل وغير واحد (١).

وأخيرًا النوع الخامس من أنواع التقادير: التقدير اليومي، قال تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝ ﴾ [الرحمن] قال أهل التفسير: إن الله ﷻ في كل يوم يكتب أمرًا ويمحو أمرًا، ويحيي ويميت، ويعزُّ ويذلُّ، ويفعل ما يشاء ﷻ فهذه أنواع التقادير، وليس بينها اختلاف، فقد جاء بيانها في الكتاب والسنة، وهي داخلة في علم الله ﷻ.

أحاديث في أخذ الميثاق:

يقول ربُّنا سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أَدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ» متفق عليه (٢).

قال القاضي عياض رحمته الله: هذا تنبيه على ما جاء في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۚ ﴾، فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم عليه السلام، فمن وَفَّى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يفِّ به فهو الكافر. ومراد الحديث - والله أعلم ونبيه -: قد أردت منك هذا وأنت في

(١) ينظر: مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (٢٥٠/١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٢٧)، والتفسير

البيسط للواحد (٩٥/٢٠)، الدر المنثور (٣٩٩/٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٤، ٦٥٥٧) ومسلم (٢٨٠٥).

صلب آدم ﷺ ألا تشرك بي حين أخذت عليك ذلك الميثاق، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشريك اهـ^(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ؛ بُنْعَمَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا فَتَنَرَّهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قُبَلًا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف] رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يُخرجاه وقد روي من طرقٍ كثيرةٍ موقوفاً.^(٢)

وفي الموطأ عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب، سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُدْخِلُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ،

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٣٧/٨)

(٢) حديث صحيح. رواه النسائي في السنن الكبرى (١١١٢٧)، وأحمد في المسند (١٧٢/١) والحاكم (٢٧/١) و٥٤٤/٢) وغيرهم من طرق عن الحسين بن محمد، أخبرنا جرير بن حازم، عن كُثُوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، وتابعه وهب بن جرير عن أبيه كما في المستدرک (٢٧/١). ورواه حماد بن زيد وعبد الوارث بن سعيد وابن علية وربيعه بن كُثُوم عن كُثُوم به موقوفاً. ورواه جماعة أيضاً عن سعيد بن جبير موقوفاً. فالراجح في الحديث الوقف، ولكن له حكم المرفوع. وانظر الكلام على الحديث رواية ودراية في: تفسير ابن كثير عند تفسير الآية. وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: (١٦٢٣). وتحقيق الشيخ عبد الله الحاشدي لكتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٥١٨-٥١٩).

اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ النَّارَ»^(١)
 وروى الإمام الترمذي وغيره من طرق عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، عن
 أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ،
 فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ
 إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبَيْصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هُوَ لَآءٍ؟ قَالَ: هُوَ لَآءِ
 ذُرِّيَّتِكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبَيْصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ:
 هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ؟ قَالَ:
 سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمُرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ
 الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ
 آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِيَ آدَمُ فَنُسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِيءَ آدَمُ فَخَطِيءَتْ ذُرِّيَّتُهُ»^(٢)

ورواه ابن وهب في القدر عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار،
 عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه وزاد في آخره: «... وَخَطِيءَ فَخَطِيءَتْ ذُرِّيَّتُهُ ...، فَرَأَى فِيهِمُ الْقَوِيَّ

(١) موطأ مالك ت عبد الباقي (٢/ ٨٩٨) رقم (٢) ومن طريقه رواه أبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥) والنسائي
 في الكبرى (١١١٢٦) وأحمد (٣١١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر،
 وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا. هـ. وصححه الشيخ الألباني لغيره
 سوى قوله في الحديث «ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ» انظر: صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (٢/ ٢٠٣)
 والسلسلة الضعيفة (٣٠٧١) وتخريج الطحاوية (٢٤٠/ ٢٢٠)

(٢) جامع الترمذي ت شاكر (٣٠٧٦) وأخرجه الفريابي في القدر (١٩) والحاكم في المستدرک (٣٢٥٧، ٤١٣٢)
 وابن منده في الرد على الجهمية (٢٣) عن أبي نعيم وأبو يعلى الموصلي (٦٦٥٤) في مسنده عن القاسم - وهو
 العرني - وابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٢٧/ ١) وأبو محمد الفاكهي في الفوائد (١٣٤) والبخاري
 في مسنده (٨٨٩٢) عن خالد بن يحيى كلهم عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم به. وقال الترمذي: هذا
 حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي هـ. هـ. وقال الحاكم في الموضوع
 الأول: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هـ. هـ. وفيه نظر: ففي مسنده هشام بن سعد وقد نقل
 الحافظ في التهذيب عن الحاكم نفسه أنه قال: أخرج له مسلم في الشواهد هـ. هـ. هو ضعيف إلا في
 روايته عن زيد بن أسلم فإنه من أثبت الناس فيه كما قال أبو داود وهذا منها. وقال الحاكم في الموضوع
 الآخر: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه هـ. هـ. وهو الصواب. والحديث رواه ابن وهب عن زيد وخالف
 في مسنده كما سيأتي. ورواه ابن أبي حاتم، في التفسير (٥/ ١٦١٤) وأبو الشيخ في العظمة (١٠١٥) وابن منده
 في الرد على الجهمية (٢٤) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء به مختصرا.

وَالضَّعِيفَ، وَالغَيِّ وَالْفَقِيرَ، وَالصَّحِيحَ وَالْمُبْتَلَى، قَالَ: يَا رَبِّ، أَلَا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْكُرَ^(١)

وروى يعقوب الفسوي وابن أبي عاصم وغيرهما من طرق عن بَقِيَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي الرَّبِيعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ النَّصْرِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْبَتِدِي الْأَعْمَالَ، أَمْ قَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَدَ ذُرِّيَةِ آدَمَ مِنْ طُهورِهِمْ، وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِّهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»^(٢).

(١) كتاب القدر (٨) - ومن طريقه أبو يعلى (٦٣٧٧) والفريابي في القدر (٢٠) - قال أبو زرعة الرازي - كما في العلل لابن أبي حاتم (١٧٥٧) -: حديث أبي نعيم أصح، وهم ابن وهب في حديثه. اهـ وللحديث طرق أخرى ذكرتها في الإيمان بالملائكة، في مبحث لقاء ملك الموت مع آدم عليه السلام.

(٢) أخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣٥٦/٢) - ومن طريقه البيهقي في القضاء والقدر (٢٨٤) - وابن أبي عاصم في السنة (١٦٨) والفريابي في القدر (٢٢) - وعنه الآجري في الشريعة (٣٣٠) - والطبراني في مسند الشاميين (١٨٥٥) والطبري في تفسيره (٥٦٢/١٠) والبيهقي في القضاء والقدر (٢٨٤) من طرق عن بقية به. ورواه الفريابي في القدر (٢٤) وأبو نعيم في المعرفة (٦٥٣٤) والبيهقي في القضاء والقدر (٢٨٢) عن عبد الله بن صالح، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، بِهِ. وَقَالَ الْعَلَمَةُ الْأَلْبَانِي فِي ظلال الجنة (١/٧٤): إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات وقد صرح فيه بقية بالتحديث. والحديث أخرجه الآجري ص ١٧٢ عن الفريابي: حدثنا عمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي حدثنا بقية به والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٣٢٦ من طريق أخرى عن بقية به. وتابعه عبد الله بن سالم الحمصي لكن السند إليه ضعيف. واختلف فيه على بقية: فرواه البزار [كما في كشف الأستار (٢١٤٠)] والطبري في تفسيره (٥٦٢/١٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/٣٠٥) رقم (١٣٢٦) والبيهقي في القضاء والقدر (٢٨٣) من طريق أبي عتبة أحمد بن الفرَج الحُمَصي - وهو ضعيف - قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ بِهِ لَكِنَّهُ قَالَ: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ هِشَامِ. ورواه إسحاق بن راهويه [كما في المطالب العالية (٢٩٦٢)] - ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٧١١) - عن بقية كذلك، لكنه قال عبد الرحمن بن أبي قتادة. وتابعهم عبد الله بن سالم الأشعري عن الزبيدي رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٨٥٤) بسند ضعيف عن عبد الله بن سالم به. والأقرب - عن بقية - هو الوجه الأول. واختلف فيه على معاوية بن صالح: فرواه ابن سعد في الطبقات (١/١٤) رقم (٤٨) وفي (٩/٤٢٠) رقم (١٠٥٢٩) عن حماد بن خالد الحَيَّاطُ ومعن بن عيسى، وأحمد في المسند (١٧٦٦٠) عن ليث بن سعد، والفريابي في القدر (٢٥)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قَالَ: أَخَذُوا مِنْ ظَهْرِهِ كَمَا يُؤْخَذُ بِالْمُشْطِ مِنَ الرَّأْسِ، فَقَالَ لَهُمْ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ١٧٢ ﴿[الأعراف: ١٧٢]﴾ رواه الطبري وصرح وقفه ^(١).

وفي القدر لابن وهب عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ الصلوة والسلام نَفَضَهُ نَفْضَ الْمَزُودِ، فَأَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ ذُرِّيَّتَهُ أَمْثَالَ التَّغْفِ، فَقَبَضَهُمْ قَبْضَتَيْنِ ثُمَّ أَلْقَاهُمَا، ثُمَّ قَبَضَهُمَا، فَقَالَ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» ^(٢).

عن معن بن عيسى، وابن قانع في معجم الصحابة (١٥٩/٢) وابن حبان في صحيحه (٣٣٨) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٨٤) عن ابن وهب، كلهم عن معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَتَادَةَ السُّلَمِيُّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدْرِ. وصرحه الألباني في الصحيحة (٤٨). ورواه عبد الله بن صالح عن معاوية واخلتلف عليه: فرواه الفريابي في القدر (٢٥، ٢٤) عن إسحاق بن سيار عن عبد الله بن صالح على وجهين: فمرة قال عن عبد الرحمن بن قتادة لم يتجاوزوه، مثل رواية من تقدم عن معاوية. وحكم البخاري في التاريخ الكبير (٣٤١/٥) على هذا الوجه بالخطأ فقال: وقال معاوية مرة عبد الرحمن بن قتادة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو خطأ. هو مرة زاد بعده عن هشام بن حكيم. وكذا رواه الطبري (٥٦٣/١٠) عن محمد بن عوف. وأبو علي الصواف في جزئه (٣٥) - وعنه ابن بطه في الإبانة (٣/٣٢٩) رقم (١٣٥٥) والبيهقي في القضاء والقدر (٢٨٢) - عن محمد بن إسماعيل الترمذي والطبراني في المعجم الكبير (١٦٨/٢٢) رقم (٤٣٤) عن بكر بن سهل وابن منده في الرد على الجهمية (ص: ٤١) عن أحمد بن الفرات كلهم عنه بذكر هشام. وقال البيهقي عن هذا الوجه: وهو أصح. وهو موافق للوجه الأول عن بقية والخلاصة أن الحديث صحيح من طريق بقية على الوجه الأول والله أعلم. وقد حكم بعض أهل العلم على الحديث بالإضراب كما قدمت في ص (٢٥، ٢٦) والظاهر من هذا التخریج هو رجحان هذا الوجه والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره = جامع البيان ط هجر (٥٥٢/١٠) وقال (٥٦٤/١٠): وَلَا أَعْلَمُهُ صَحِيحًا؛ لِأَنَّ الثَّقَاتَ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ عَلَى حِفْظِهِمْ وَإِتْقَانِهِمْ حَدَّثُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنِ الثَّوْرِيِّ، فَوْقَهُوَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَنَمْ يَرْفَعُوهُ. هو رواه موقوفا الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٣/٥). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٩٣).

(٢) القدر لابن وهب - ت العثيم (١٥) وهو صحيح

الإيمان بالقضاء والقدر لا يتنافى مع العمل:

إذا عرفنا ذلك فننتقل بعد هذا إلى مسألة مهمة من مسائل الإيمان بالقضاء والقدر، وهي هل الإيمان بالقضاء والقدر يتنافى مع العمل بالأسباب والاجتهاد في العمل أم إنه دافع للعمل؟ لأن بعض الناس قد يقول: إذا كنا نؤمن بالقضاء والقدر فلم العمل إذا؟ فنقول: فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، بل إنما مباشرة الأسباب والعمل بها من تمام الإيمان بقضاء الله وقدره؛ ولذلك يجب على العبد مع الإيمان بالقدر أن يجتهد في العمل والأخذ بأسباب النجاة والالتجاء إلى الله بأن يُيسر له أسباب السعادة وأن يعينه عليها.

ذكر بعض الأدلة على ذلك:

ولو تأملنا نصوص كتاب الله وسنة النبي ﷺ لوجدنا ذلك بيننا واضحاً فالقرآن يأمر باستعمال الأسباب ولا يهملها.

انظروا في قول الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠] فالله ﷻ يأمر بالانتشار في الأرض والعمل بالأسباب.

ويقول ﷻ في حث الناس على العمل والسعي في طلب الأرزاق واتخاذ الأسباب: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [المملك]، حثنا على ماذا؟ على السعي.

وانظر إلى قول الله سبحانه: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فالله ﷻ يأمرنا بالعمل بالأسباب.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧] حث - سبحانه - المسافر إذا أراد أن يسافر أن يتزود بالزاد الحسي من الطعام والشراب ويعمل بالأسباب ولا يتكفف الناس. وفي الصحيح عن ابن عباس رضيهما، قال: «كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧].»^(١)

(١) أخرجه البخاري (١٥٢٣)

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، لَقِيَ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حَبَّهُ فِي الْأَرْضِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ»^(١). فهذه كلها تدل على أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتنافى مع العمل بالأسباب. ويقول الله تعالى لنا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. أمرنا أن ندعوه وأن نستعين به ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: ٤٥].

فأمر باتخاذ الأسباب التي تعيننا على طلب المعاش.

اعملوا فكل ميسر لما خلق له :

وكذلك أمرنا باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه وجنته، فأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج، وكل ذلك يدل على أنه لا بُدَّ من العمل؛ ولهذا لما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة -رضوان الله عليهم- ما يتعلق بالقدر وقال لهم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ، أَوْ سَعِيدَةٌ» قال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ [لَمَا خُلِقَ لَهُ]، أَمَا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَيْسِرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَيْسِرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قرأ قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٧﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿١٠﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١١﴾ ﴾ [الليل] متفق عليه^(٢).

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشِمٍ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَّتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَفِيلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَّتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالَ: فَفِيمَا الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ»^(٣)

وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَا يَعْمَلُ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "التوكل على الله" (١٠) وإسناده صحيح إلى معاوية وهو لم يلق عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٢، ٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلُّ مَيْسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١).

وعنه رضي عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْعَرَفُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»
قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلُّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ لِمَا يُسَّرَ لَهُ»^(٢).

وقال أبو الأسود الدَّيْلِيُّ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ رضي عنه، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ
وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ
بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَتَبَتَّ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى
عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَرَعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَرَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ
شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكَ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمَكَ اللَّهُ إِنِّي
لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى
فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَتَبَتَّ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟
فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله: ﴿ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّلَهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ [الشمس]»^(٣)

اعملوا وسددوا وقاربوا :

وفي سنن الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
صلَّى الله عليه وآله وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ
تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ
وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، ثُمَّ
قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ
وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٦) ومسلم (٢٦٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٠).

الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُحْتَمُّ لَهُ بِعَمَلِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُحْتَمُّ لَهُ بِعَمَلِهِ أَهْلُ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرَعَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»^(١)

العمل بالأسباب لا يتنافى مع القدر:

يقول العلامة الشيخ ابن سعدي رحمته الله: "يُظَنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ إِثْبَاتَ الْأَسْبَابِ يَنَافِي الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَهَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ جَدًّا، وَهُوَ عَائِدٌ عَلَى الْقَدْرِ بِالْإِبْطَالِ، وَهُوَ إِبْطَالٌ أَيْضًا لِلْحِكْمَةِ"^(٢). يعني الذين يقولون بأنه لا عمل، ولو أراد الله هدايتي لهداني، وأنا لن أعمل شيئاً فالله تعالى إذا قَدَّرَ عَلَيَّ شَيْئًا فَسَيَكُونُ. فهذا القول ونحوه: يُبْطِلُ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ الْخَلْقِ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ بِالْعَمَلِ وَالسَّعْيِ وَالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَفِيهِ طَعْنٌ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَالْعَجِيبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ تَجِدُهُمْ يَقُولُونَ هَذَا الْكَلَامَ الْفَاحِشَ فِي بَابِ الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ لَكِنَّهُمْ فِي بَابِ الدُّنْيَا لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَلَوْ فَعَلُوهُ وَقَالَه بَعْضُهُمْ لَعَدُّوه مِنَ الْمَجَانِينِ.

يقول العلامة ابن سعدي أيضاً في تمام كلامه: وكأنَّ هذا الظانَّ يقول ويعتقد أنَّ الإيمان بالقدر هو اعتقاد وقوع الأشياء بدون أسبابها الشرعية والقدرية -يعني: وهذا ظنُّ باطل-؛ فالإيمان بالقضاء والقدر ينتظم مع العمل بالأسباب، فمن الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان بأنَّ الأشياء لا تحصل إلا بأسباب قدرها الله ﷻ وشرعها؛ ولذلك في إيجاد الحبوب والثمار والزرع من دون حرث وسقي لا يكون، وكذلك إيجاد الأولاد والنسل من دون نكاح لا يكون، ودخول الجنة من دون الإيمان وعمل صالح ودخول النار من دون كفر ومعصية هذا كله ظنُّ باطلٌ وظنُّ فاسدٌ^(٣).

إذا لا بُدَّ أن يعلم الإنسان أنه لا ينال الشيء إلا بسبب، وهذا السبب هو من قَدَرِ

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤١) وقال: وهذا حديث حسن صحيح غريب. وهو صححه العلامة الألباني في

الصحيفة (٨٤٨)، وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١/٣٥٦)

(٢) الرياض الناظرة (ص: ١٣٥).

(٣) المرجع السابق (ص: ١٣٥).

الله. فطالب الآخرة إذا علم أنها لا تُنال إلا بالإيمان والعمل الصالح وتترك ضدها جَدَّ واجتهد في تحقيق الإيمان وكثرة تفاصيله النافعة، واجتهد في كل عمل صالح يُوصله إلى الآخرة. وهكذا صاحب الدنيا صاحب الحرث إذا علم أنه لا ينال إلا بجرث وسقي وملاحظة تامة جَدَّ واجتهد في كل وسيلة تُنمي حراثته، وتكملها، وتدفع عنها الآفات. وهكذا صاحب الصناعة إذا علم أن المصنوعات على اختلاف أنواعها ومنافعها لا تحصل إلا بتعلم الصناعة وإتقانها ثم العمل بها جَدَّ في ذلك، ومن أراد حصول الأولاد أو تنمية مواشيه عَمَلَ وسَعَى في ذلك، وهكذا جميع الأمور. وهذا كله يؤكد ويدل على أنه لا تعارض بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين ما أمرنا الله ﷻ به من العمل والأخذ بالأسباب.

ويقول شيخ الإسلام رحمته الله: إذا ترك العبد ما أمر به متكلاً على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدر الذي يصير به شقيماً، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا أكل ولا أشرب فإن كان الله قضى بالشبع والري حصل وإلا لم يحصل أو يقول: لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي أن يولد الولد فإنه يكون، وهكذا من غلظ فترك الدعاء أو ترك الاستعانة والتوكل ظاناً أن ذلك من المقامات الخاصة ناظرًا إلى القدر. قال: فكل هؤلاء جاهلون ضالون. ويشهد لهذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحْرَضَ عَلِيٌّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعَانَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَتْ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ "لَوْ" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١). -إذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على ما ينفع، وأمر بالاستعانة بالله ونهى عن العجز الذي هو الاتكال على القدر ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته، بل ينظر إلى القدر ويسلم الأمر لله -سبحانه- فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا

(١) مسلم (٢٦٦٤).

يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه. انتهى ملخصًا من كلام شيخ الإسلام رحمته الله (١).
وقال رحمته الله:

- فالإلتفاتُ إلى الأسبابِ شركٌ في التَّوْحِيدِ
- وَحُجُوُّ الْأَسْبَابِ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا نَقَصُ فِي الْعَقْلِ
- وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ قَدْ حُ فِي الشَّرْعِ؛

بَلِ الْعَبْدُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَوَكَّلَهُ وَدُعَاؤُهُ وَسُؤَالُهُ وَرَغْبَتُهُ إِلَى اللَّهِ تعالى وَاللَّهُ يَقْدِرُ لَهُ مِنْ
الْأَسْبَابِ - مِنْ دُعَاءِ الْخَلْقِ وَغَيْرِهِمْ - مَا شَاءَ أ.هـ. (٢)

قال ابن القيم رحمته الله: وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وتقييد. فالإلتفاتُ إلى الأسبابِ
ضربان: أحدهما شركٌ، والآخر عبوديَّةٌ وتوحيدٌ. فالشرك: أن يعتمدَ عليها ويطمئنَّ إليها،
ويعتقدُ أنها محصلةٌ للمقصود بذاتها؛ فهو معرضٌ عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاتَه
مقصورًا عليها. وأمَّا إن التفت إليها التفاتَ امتثالٍ وقيامٍ بها وأداءٍ لحقِّ العبوديَّةِ فيها
وإنزالها منازلها، فهذا الإلتفاتُ عبوديَّةٌ وتوحيدٌ، إذا لم يشغله عن الإلتفاتِ إلى المسببِ.
وأمَّا محوها أن تكون أسبابًا، فقد حُ في العقل والحسِّ والفِطْرِ.
فإن أعرض عنها بالكلِّيَّةِ كان ذلك قدحًا في الشَّرْعِ، وإبطالًا له.

وحقيقةُ التَّوَكُّلِ: القيامُ بالأسبابِ، والاعتمادُ بالقلبِ على المسببِ، واعتقادُ أنها بيده
فإن شاء منعها اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضيةً لصدِّ أحكامها، وإن شاء أقام لها موانعَ
وصوارفَ تُعارضُ اقتضاءها وتدفعه. فالموحِّدُ المتوَكِّلُ لا يلتفت إلى الأسبابِ، بمعنى أنه
لا يطمئنُّ إليها، ولا يرجوها، ولا يخافها، ولا يركن إليها. ويلتفت إليها بمعنى أنه لا
يُسقطها، ولا يهملها ويلغيتها، بل يكون قائمًا بها، ملتفتًا إليها، ناظرًا إلى مسببها
ومُجرِّبها» (٣)

(١) انظر: في مجموع الفتاوى (٢٨٣/٨، ٢٨٤).

(٢) المرجع السابق (١٣١/١).

(٣) «مدارج السالكين» (٤/٥٢٣ ط عطاءات العلم)

إذا المؤمن مأمور بالإيمان بالقضاء والقدر. ومأمورٌ أيضًا بالعمل الذي هو من القدر. فالنبي ﷺ الذي قال لنا: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمِائَتِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، هو الذي قال لنا: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١). فلماذا تأخذ بعضًا وتترك بعضًا؟! ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

الاحتجاج بالقدر:

مسألة الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات؛ -وهذا للأسف- موجودٌ عند كثير من الناس، فتجده يُفِرُّط فيما أمره الله ﷻ به فيترك الصلاة ويترك البر والإحسان أو يفرط في ترك المعاصي فيأتيها ويواقعها فإن نُصِحَ وقيل له: "اتَّقِ اللَّهَ" احتج بقدر الله ﷻ^(٢) فهل يجوز للإنسان أن يحتج بالقدر على فعل المعاصي وعلى ترك الواجبات؟ الجواب: الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجةً على ترك ما تَرَكَ من الواجبات أو فعل ما فَعَلَ من المعاصي.

المحتج بالقدر إذا احتج عليه بالقدر لا يقبل ذلك:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين

(١) تقدم تخريجها.

(٢) صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: اتَّقِ اللَّهَ، فَيَقُولَ: عَلَيْكَ نَفْسِكَ» رواه محمد بن فضيل في الدعاء (١٠٦) قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد، قال عبد الله، به. وتابعه داود بن نصير عن الأعمش، رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٦٢١). ورواه أبو معاوية عن الأعمش واختلف عليه: فرواه هناد بن السري في الزهد (٤٦٣/٢) ومحمد بن العلاء - كما في سنن النسائي الكبرى (١٠٦٢٠) - قالوا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش به موقوفًا. ورواه محمد بن سعيد بن الأصبهاني، قال: حدثنا أبو معاوية به مرفوعًا. رواه من طريقه: النسائي في السنن الكبرى (١٠٦١٩)، وابن مندة في «التوحيد (٧٠١ ت الفقيهي) - ومن طريقه قوام السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٤٣٦/١) رقم (٧٦٦) -، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٢١ و٧٨٩٦) وفي الدعوات الكبير (١٥٦). والموقوف أرجح وله حكم الرفع. وله طريق آخر موقوف رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٦١٩) وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن (١٥١/١) والطبراني في المعجم الكبير (١١٣/٩) رقم (٨٥٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٩٦) من طريق سعيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، قال: "إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: اتَّقِ اللَّهَ، فَيَقُولَ: عَلَيْكَ نَفْسِكَ، أَنْتَ تَأْمُرُنِي؟". والحديث المرفوع صححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٩٨).

وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإنّ هذا لو كان مقبولاً لأمكن كلّ أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر، ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يُقبل منه، بل يتناقض^(١). يعني هو يحتج بالقدر لكن إذا احتج عليه بالقدر لا يقبل ذلك، فلو اعتدي عليه بأن ضربه إنسان، فقال: له لِمَ ضربتني؟ فقال: قضاء الله وقدره. فإنه لا يقبل ذلك، وهذا يدل على أن الاحتجاج بالقدر باطل.

إبليس أول من احتج بالقدر فلم يقبل الله منه :

وتأملوا في حجة إبليس لما أمره الله ﷻ بالسجود لآدم فأبى، وقال: ﴿فِمَا آغَوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف] فاحتج إبليس بالقدر، وقال: يا رب أنت آغويتني، وأنت قدرت عليّ ألا أسجد لآدم. فهل قبل الله حجته؟ كلا بل طرده الله من رحمته: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِئَهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص] ولم يقبل الله ﷻ له عُذراً، ولو كان الاحتجاج بالقدر سائغاً لقبل منه ذلك.

المشركون احتجوا بالقدر ولم يقبل الله منهم :

وتأملوا رحمكم الله: قول الله - سبحانه - : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُوصٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأنعام]. أخبرنا الله ﷻ في هذه الآية أن المشركين احتجوا بالقدر على تقصيرهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني وهم واقعون في شركهم ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني كل ما وقعنا فيه من المعاصي هو بقدر الله. وهذه كلمة حقّ أريد بها باطل، لكن انظروا هل قبل الله ﷻ منهم حجتهم؟ هؤلاء احتجوا بالقدر على شركهم، فلو كان احتجاجهم مقبولاً لقبل منهم، ولكن الله يقول: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وسماهم - سبحانه - مشركين مكذبين، فقال:

(١) مجموع الفتاوى (١٧٨/٨).

﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ ﴿ فلو كانوا محققين لما أصابهم بأس الله وعذابه. ثم قال- سبحانه:- ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَّا ﴾ ﴿ وهذه حجة عظيمة على المحتج بالقدر، فيقال له: أنت تقول لو كان الله كتب لي الصلاة لصليت. ونحن نقول: هل عرفت أن الله ﷻ قد كتبك عنده في اللوح المحفوظ أنك لست من أهل الهداية أو أنك لست من أهل الصلاة؟ فإذا كنت لا تعلم -وهذا هو الواقع- فالله ﷻ قدر مقادير الخلائق، وحجبتها عن الناس؛ فلا يعلم أحد شيئاً؛ ولذلك كان الواجب على المسلم أن يذعن لأمر الله سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَّا ﴾ ﴿ هل اطلعتم الغيب؟ ﴿ أَظَلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَلْتَمَّذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ ﴿ [مریم]. يقول سبحانه: ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ ﴿ [الأنعام]. يعني هذا كذب منهم. إذاً هذه آية محكمة عظيمة في الرد على من يحتج بالقدر.

لوصح الاحتجاج بالقدر لما كان لإرسال الرسل فائدة:

وكذلك يقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]. لماذا بعث الله الأنبياء والمرسلين؟ بعثهم الله لإقامة الحججة على العباد. فلو كان احتجاج الناس بالقدر حقاً وصواباً لما كان لإرسال الرسل فائدة تُذكر، ولكن الله سبحانه قال: ﴿ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ﴿ فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لما كان هناك داع لإرسال الرسل!

الاحتجاج بالقدر يسوي بين المؤمن والكافر:

كذلك لو كان حجة لتساوى فرعون عدو الله مع موسى كليم الله ﷺ. ولو كان الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي سائغاً لكان في ذلك تصحيح لما عليه الكفار من كفرهم. ولما كان هناك فرق بين مؤمن وكافر.

المحتجون بالقدر لا يحتجون به في أمر الدنيا :

ولو تأملنا أيضًا في هذا الباب لرأينا أن المحتجّين بالقدر لا يحتجون به على أمر دنياهم فإنهم يذهبون إلى عملهم، ويسعون ويكدحون ويطلبون الرزق، ويسلكون الأسباب، ولا يقولون: لو كان الله قدّر لنا رزقًا لآتانا. ثم يمكثون في بيوتهم، ولو فعلوا ذلك لعدّوا من المجانين ولما قُبِلَ ذلك منهم.

إذا الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والذنوب والآثام حُجّةٌ احتجّ بها المشركون وردّ الله ﷻ عليهم هذه الحجة. وقد نَقَلَ شيخُ الإسلام - كما تقدم - إجماع المسلمين وسائر أهل الملل على أن هذه ليست بحجة لأحد قال - كما تقدم -: "وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل". فعلى المسلم أن يتقي ربّه ﷻ وأن يعلم أن إيمانه بالقضاء والقدر يدعوه إلى الاجتهاد والعمل الصالح.

كلمات خطأ في باب القدر:

نختم مجلسنا هذا بذكر بعض الأمور التي يقع فيها بعض الناس، وهي مما يتنافى مع هذا الباب العظيم.

أولاً: الاحتجاج بالقدر:

فمن ذلك ما ذكرناه آنفًا من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والذنوب.

ثانياً: قول بعضهم هل كانت وفاة فلان قضاءً وقدرًا:

يقول بعض الناس إذا سمع بوفاة أحد: هل تُوفِّي بسبب؟ أو توفي قضاءً وقدرًا؟ تأملوا هذا السؤال؛ فإنه خطأ؛ إذ ما من شيء إلا وهو بقضاء وقدر. فمن مات بسبب واضح بيّن فإنما مات بقضاء الله وقدره. ومن مات بغير سبب ظاهر فكذلك مات بقضاء الله وقدره. فهذه من الكلمات المنتشرة، وهي من الأخطاء.

ثالثاً: الاعتراض على القدر بالقول:

كذلك من الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس الاعتراض على أقدار الله ﷻ فإذا نزلت به مصيبة أو نزل به بلاء ينادي ربّه، فيقول: يا ربي ماذا فعلت حتى أستحق منك هذه العقوبة؟! وهذا اعتراض على أمر الله - سبحانه - وعلى قضائه، ولا يجوز؛ فإنّ الله - سبحانه - له ما أخذ، وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بأجل مسمى ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُوَ﴾

يُسْتَلَوْنَ ﴿٣٣﴾ [الأنبياء]. ونقل البيهقي رحمته الله عن سفيان وهو ابن عيينة رحمته الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] قال: "بالرضا والتسليم" (١).

وعن علقمة بن قيس -صاحب ابن مسعود- رحمته الله أنه قال: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ" (٢).
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ" (٣).

رابعا: الاعتراض على القدر بالفعل:

وهكذا أيضًا ما يصاحب بعض ذلك من شقّ الجيوب ولطمّ الخدود والنياحة ورفع الصوت، وكذلك حلق الشعر والدعاء بالويل إذا نزلت مصيبة، فكل ذلك مما يتنافى مع إيمان المسلم بقضاء الله وقدره.

ما يفعله عند المصيبة:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «أَحْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِنُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَتْ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ» (٤). ويقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [البقرة]. هذه هي كلمة المؤمن، فهو رجّاع إلى الله سبحانه. وأما أن تقول: لو أني فعلت لكان كذا وكذا فإن هذا لا ينفع، وإنما تسلم لأمر الله سبحانه. والواجب على المسلم الصبر، فيلزم الصبر الذي يحجز الإنسان عن الوقوع في المعاصي من اللطم والاعتراض على قدر الله تعالى ويقوده إلى الإيمان بقضاء الله وقدره.

خامسا: قول بعضهم: اللهم لا أسألك ردّ القضاء ولكن أسألك اللطف فيه:

كذلك من الأخطاء المنتشرة قول بعض الناس هذا الدعاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ رَدَّ الْقَضَاءِ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ اللَّطْفَ فِيهِ). قال العلماء: هذا الدعاء خطأ، والصواب: أننا نسأل

(١) البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢).

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (٩٥٠٣) وانظر: تفسير عبد الرزاق (٣٢٢٧) وتفسير الطبري (١٢/٢٣).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٢/٢٣)

(٤) تقدم في هذا المجلس.

الله ﷻ ردّ القضاء كما في الدعاء المشهور من أدعية الوتر: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»^(١). وكما في الدعاء الآخر أن النبي ﷺ: «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ سَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»^(٢). فلا مانع أن يسأل الإنسان الله ﷻ أن يرفع عنه البلاء، وأن يرُدَّ عنه القضاء الذي قُضِيَ.

قال الإمام النووي رحمته الله: فَأَمَّا الْإِسْتِعَاذَةُ «مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ» فَيَدْخُلُ فِيهَا سُوءُ الْقَضَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا وَالْبَدَنِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْحَاتِمَةِ وَأَمَّا «دَرَكِ الشَّقَاءِ» فَيَكُونُ أَيْضًا فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا وَمَعْنَاهُ أَعُوذُ بِكَ أَنْ يُدْرِكَنِي شَقَاءٌ؛ وَ «سَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ» هِيَ: فَرَحُ الْعَدُوِّ بِبَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بَعْدَهُ... وَأَمَّا «جَهْدُ الْبَلَاءِ» فروى عن ابن عمر أنه فَسَّرَهُ بِقَلَّةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْعِيَالِ^(٣). وَقَالَ غَيْرُهُ هِيَ الْحَالُ الشَّاقَّةُ^(٤).

سادسا: الحسد:

كذلك من الأخطاء في هذا الباب ما يقع فيه بعض الناس من الحسد، فحقيقة الحسد أنه اعتراض على قدر الله ﷻ فالحاسد لم يُسَلِّمْ لقضاء الله وقدره، وهذا نجده كثيرا في الناس، فيجد بعض الناس أناسا رزقهم الله أموالا وبسط لهم الله من الدنيا، فتجده لا يسلم بل يعترض فيقول: ولماذا رزقوا ولم أرزق ولم أعطوا ولم أعط؟ أو يقول: أنا أحق بذلك منهم. وهكذا في الوظائف إذا ترقى بعض الناس في وظيفته يحسده آخرون فيقولون: والله لا يستحق ذلك. والأرزاق هذه يوزعها رب العالمين ﷻ ويعطيها من يشاء بحكمته - سبحانه -، فلا بُدَّ أن نؤمن بأن ما يقع في هذا الكون إنما يقع عن علم وحكمة لله ﷻ. فمن تمام الإيمان بالقدر: تَرْكُ الْحَسَدِ وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ. فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدّر لهم ذلك، فأعطى من شاء ومنع من شاء؛ ابتلاءً وامتحاناً، كما يدرك المؤمن أنه حين يحسد غيره

(١) أخرجه أحمد (١٧١٨)، والنسائي (١٧٤٥)، وأبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، وابن ماجه (١١٧٨) من حديث الحسن رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) روي موقوفا ومرفوعا ولا يصح. انظر: السلسلة الضعيفة (٢٥٩٢) و"تكميل النفع بما لم يثبت به وقف

ولا رفع" للشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف (ص: ٦٩).

(٤) شرح النووي على مسلم (٣١/١٧).

فهو إنما يعترض على قدر الله ﷻ.

قال الماوردي ﷺ: وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبِ عُصِيِّ اللَّهِ بِهِ فِي السَّمَاءِ، يَعْنِي حَسَدَ إِبْلِيسَ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوَّلُ ذَنْبِ عُصِيِّ اللَّهِ بِهِ فِي الْأَرْضِ، يَعْنِي حَسَدَ ابْنِ آدَمَ لِأَخِيهِ حَتَّى قَتَلَهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَسْخَطْهُ أَحَدٌ، وَمَنْ قَنَعَ بِعِظَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدٌ أَه.

ثم ذكر ﷻ من دواعي الحسد: أَنْ يَكُونَ فِي الْحَاسِدِ شُحٌّ بِالْفَضَائِلِ، وَبُحْلٌ بِالتَّعَمُّعِ وَلَيْسَتْ إِلَيْهِ فَيَمْنَعُ مِنْهَا، وَلَا يَبِيدُهُ فَيَدْفَعُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا مَوَاهِبٌ قَدْ مَنَحَهَا اللَّهُ مَنْ شَاءَ فَيَسْخَطُ عَلَى اللَّهِ ﷻ فِي قَضَائِهِ، وَيَحْسُدُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنْ عِظَائِهِ، وَإِنْ كَانَتْ نِعْمَ اللَّهِ ﷻ عِنْدَهُ أَكْثَرَ، وَمَنَحَهُ عَلَيْهِ أَظْهَرَ. قَالَ: وَهَذَا التَّوَعُّعُ مِنَ الْحَسَدِ أَعْمَمَهَا وَأَخْبَثُهَا إِذْ لَيْسَ لِصَاحِبِهِ رَاحَةٌ، وَلَا لِرِضَاهُ غَايَةٌ، فَإِنْ افْتَرَنَ بِشَرٍّ وَقُدْرَةَ كَانَ بُورًا وَإِنْتِقَامًا، وَإِنْ صَادَفَ عَجْزًا وَمَهَانَةً كَانَ كَمْدًا وَسَقَامًا. (١)

سابعا: الذهاب للسحرة والكهّان واستطلاع الغيب:

كذلك من الأشياء القادحة في باب الإيمان بالقضاء والقدر: سعي بعض الناس وذهابه إلى السحرة والكهّان والعرّافين والدجالين واستطلاع المستقبل -زعموا!- ويصدقونهم في ذلك، فينظرون ماذا سيقول لهم وماذا سيحصل لهم!!

استعمال الأبراج في استطلاع الغيب ومعرفة المستقبل:

ومن هذا الباب: استعمال الأبراج والإيمان بها وأنه سيحصل كذا وسيحصل كذا ويكثر هذا في المجلات والصحف التي يخصصون فيها مكانا للأبراج ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان المرء مولودا في ذلك البرج يقول: سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا، وهذا استدلال منهم بالنجوم والأبراج على التأثير في الأرض والتكهن عما سيحصل، وهو نوع من الكهانة، والتنجيم. ويجب على كل مسلم ألا يقرأه، ولا يطلع عليه؛ لأن الاطلاع على تلك البروج وما فيها- ولو لمجرد المعرفة- يدخل في النهي من جهة أنه أتى الكاهن غير منكر عليه. وهذا يدل على غلبة الجهل وقلة العلم وضعف الإيمان وبعُد كثير- وإن كانوا مثقفين- عن علم العقيدة الصحيحة.

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٦٩).

ثامنا: التأيي على الله:

كذلك مما يتعارض مع هذا الباب: التأيي على الله ﷻ كأن يقول بعض الناس: والله لا يغفر الله لفلان أو والله لا يفعل ﷻ كذا وكذا؛ فهذا مما ينافي الإيمان بالقدر؛ لأن العواقب وعلم الغيب عند الله ﷻ لا يعلمها أحدٌ إلا الله، وقد جاء عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَيَّى عَيَّيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»^(١).

ربما ترى بعض الناس عاصياً مقصراً في جنب الله - سبحانه - فيحبل هذا الأمر أو الغيظ بعض الناس على أن يقول: هذا رجل لا يمكن أن يتوب الله عليه، ولا يمكن أن يغفر الله ﷻ له. وهذا لا يجوز؛ لأنه لا يعلم عواقب الأمور إلا الله ﷻ.

تاسعا: سب الدهر:

ومن الأخطاء والأقوال المحرمة سب الدهر، وفيه سوء أدب مع الله، واعتراض على قدر الله وقضائه. وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ»^(٢) وفي رواية: «... وَلَا تَقُولُوا: حَيَبَةُ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٣) وفي رواية لمسلم «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا حَيَبَةُ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا حَيَبَةُ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»^(٤).

والدهر هو الزمان؛ اليوم، واللييلة، والشهر، والسنة، وهي أزمانة مخلوقة، لا تفعل شيئاً وإنما سخرها الله ﷻ، وهي لا تفعل شيئاً، وإنما الذي يفعل هو الله ﷻ، فمن سب الأيام والليالي فقد آذى الله لأنه هو سبحانه المتصرف فيها.

قال العلامة ابن باز رحمته الله: وقد كان العرب في الجاهلية ينسبون إلى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٦، ٧٤٩١) واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٨٢) واللفظ له، ومسلم (٤/٢٤٤٦).

(٤) أخرجه مسلم (٣/٢٤٤٦).

الدهر ما نالهم من الشدائد، سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمر التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر. وهذا هو معنى قوله: «وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ» يعني أن ما يجري فيهما من خير وشر بإرادة الله وتدبيره وبعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين، وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة... وقال أيضا: كل ما يجري في هذه الحياة هو بتقدير الله وعلمه، والله سبحانه هو الذي يصرف الليل والنهار، وهو الذي يقدر السعادة والشقاء، حسب ما تقتضيه حكمته وقد تخفى تلك الحكمة على الناس؛ لأن علمهم محدود، وعقولهم قاصرة عن إدراك تلك الحكمة الإلهية، وكل ما في الوجود مخلوق لله، خلقه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد ويشقي، ويولي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، وقد أحسن كل شيء خلقه، وكل أفعال الخالق وأوامره ونواهيه، لها حكمة بالغة وغايات محمودة، يشكر عليها سبحانه، وإن لم يعرفها البشر لقصور إدراكهم اه^(١)

فالمقصود بسب الدهر أن ينسب الفعل إليه، وأنه فعل به ما يسوؤه، فهذا هو الذي يكون أذية لله ﷻ. وهو أنواع منها: ما بينه العلامة ابن عثيمين **رحمته الله** فقال:

(الأول): أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسب الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقا؛ فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلهما يستحق أن يعبد؛ فإنه كافر.

(الثاني): أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده؛ فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين؛ لأن حقيقة سبه تعود إلى الله - سبحانه -؛ لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويكوّن فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١/١٤٦)

فاعلا، وليس هذا السب يُكْفَر؛ لأنه لم يسب الله تعالى مباشرة اه^(١)
 ولا يدخل في النهي الوصف للزمان: مثل وصف السنين بالشدة، أو وصف اليوم
 بالسواد، والأشهر بالنحس ونحو ذلك، لأن هذا يكون مقيدا باعتبار ما يقع فيها
 لأصحابها، وهذا جاء في القرآن في قول الله ﷻ ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ
 نَحْسَاتٍ ﴾ [فصلت: ١٦] فوصف الله ﷻ الأيام بأنها نحسات، والمقصود أنها نحسات
 عليهم، لأنه جرى عليهم فيها ما فيه نحس عليهم، ونحو ذلك قوله ﷻ في سورة القمر
 ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر]، ومثله أن يقول يوم
 أسود أو سنة سوداء، ويكون المقصود بهذا وصف ما حصل فيها وأنه كان من صفته
 كذا وكذا على هذا المتكلم. وبين العلامة ابن عثيمين رحمته الله: أنه إذا قصد الخبر المحض
 دون اللوم؛ فهذا جائز، قال: مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه
 ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط
 عليه الصلاة والسلام: ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود] اه^(٢)

هذا ونسأل الله - سبحانه - أن يوفقنا لما يحبه ويرضى، ونسأله ﷻ أن يجعل هذه
 المجالس من مجالس العلم النافعة التي تكون لنا حجة عند الله سبحانه. وأرجو من
 الله ﷻ أن تكون هذه المجالس داخلة في قوله ﷻ: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام]
 فالله ﷻ لما ذكر أن الأمم تصاب بالبلاء قال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ
 بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام]. فارجو أن تكون مجالسنا هذه من
 التضرع إلى الله ﷻ والتوسل إليه في أن يرفع الله عنا هذا البلاء، وأن يصرف عنا هذا
 الوباء، وأن يحفظنا وإياكم وجميع المسلمين.



(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٠)

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٤٠). وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (ص: ٤٦٩)

المجلس العشرون^(١)

ذكر بعض الأدعية النبوية المتعلقة بباب القدر:

حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه في الدعاء في الصلاة:

عن السائب والد عطاء قال: صلى بنا عمار بن ياسر رضي الله عنه صلاة، فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة! فقال: أما على ذلك؟ فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قام تبعه رجل من القوم، فسأله عن الدعاء ثم جاء، فأخبر به القوم، وهذا الدعاء هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ حَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْعَصَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرِيْنَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» رواه النسائي وغيره^(٢).

إنَّ باب الإيمان بالقضاء والقدر بابٌ عظيم، وقد تقدم معنا ذكر تفسير العلماء لهذا الباب، وكيفية الإيمان الصحيح الذي جرى عليه السلف في هذا الباب العظيم. والذي ينبغي أن يعلمه الإنسان أنَّ ما يصاب به بعض الناس من الوسوس والهواجس في باب الإيمان بالقضاء والقدر لا ذهاب لها إلا بالإيمان مع العلم الشرعي ومن ذلك هذه الأدعية المباركة التي علّمنا إياها نبيُّنا صلى الله عليه وسلم. فإن المحافظة عليها: تزيد المؤمن إيمانًا و يقينًا وفهمًا، وتجعله من أصحاب التسليم لأمر الله ﷻ يعمل بما أمره الله، فيأتمر بأمره، وينتهي عمّا نهى عنه الله ورسوله ﷺ.

وهذا الدعاء المبارك دعاءٌ عظيمُ النفع، كبيرُ الفائدة، مشتملٌ على معاني كبيرة

(١) كان في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي (١٣٠٥).

ودلالاتٍ نافعة تتعلق بالعقيدة والعبادة والأخلاق.

التوسل إلى الله بعلمه الغيب

فتأمل قوله في أول الدعاء: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي». فالعبد هنا يتوسل إلى الله ﷻ بعلمه فيقول: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ» فهو يفوض أمره إلى الله ﷻ لأن الله هو الذي يعلم الغيب: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] فيتوسل إلى الله - سبحانه - بعلمه الذي أحاط بكل شيء، وأنه - سبحانه - يعلم خفايا الأمور وبواطنها كما يعلم ظاهرها وعلنها، فيتوسل إلى الله بهذا العلم المحيط وبهذه الصفة من صفاته ﷻ. (١)

قال ابن القيم: «وقد دلَّ الحديث على أنَّ التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحبُّ إليه وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته ... قال: وهذا تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]» (٢)

التوسل إلى الله بقدرته

ثم يتوسل العبد إلى الله ﷻ بقدرته النافذة في جميع الخلق، فلا معقَّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، فيقول: «أَحْيِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي».

الحكمة من التعليق في الدعاء بالعلم والقدرة

وجاء التعليق في هذا الدعاء بعلم الله وقدرته، لأن الموت والحياة، ونحوهما مثل الغنى والفقر، والولد والأهل، وسائر حوائج الدنيا من الأمور التي تُجْهَل عواقبها، فهذه لا ينبغي أن يسأل الله منها إلا ما يعلم فيه الخيرة للعبد، فإن العبد جاهل بعواقب الأمور، وهو مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره، فيتعين عليه أن يسأل حوائجه من

(١) قال ابن القيم ﷻ في «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ط عطاءات العلم» (٣٤٩/٢) وقد دلَّ القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصفًا... ثم ذكر هذا الحديث مع أدلة أخرى وقال: ولولا هذه المصادر لانتفت حقائق الأسماء والصفات والأفعال؛ فإن أفعاله عن صفاته، وأسماءه عن أفعاله وصفاته، فإذا لم يقم به فعل ولا صفة؛ فلا معنى للاسم المجرد، وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئًا، وهذا غاية الإلحاد. هـ

(٢) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ط عطاءات العلم» (٣٦٧/٢)

هو عالم قادر، ولذا قال هنا: «أَحْيِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي». وأما ما يعلم أنه خير محض كسؤاله خشيته من الله تعالى وطاعته وتقواه، وسؤاله الجنة، والاستعاذة به من النار، فهذا يطلب من الله تعالى بغير تردد، ولا تعليق بالعلم بالمصلحة؛ لأنه خير محض.^(١)

حكم تمنى الموت:

وفي الحديث أنه لا يدعو بأن يميته الله ﷻ أبدًا، أو أن يحييه أبدًا، فما نهى عنه النبي ﷺ أن يدعو الإنسان على نفسه بالموت؛ فإن تمنى الموت منهى عنه. كما في الصحيح عن أنس بن مالك رضي عنه، قال النبي ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيُقِلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي»^(٢). وفي الصحيح أيضا عن أبي هريرة رضي عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ»^(٣)

الدعاء بأن لا يكلك الله إلى نفسك:

ولما كان العبد لا يعلم ما في غدٍ، وإنما يعلم ما في غدٍ هو الله ﷻ فإن المؤمن لا يدعو على نفسه بالهلاك وإنما يدعو ربه ﷻ بأن يصلح له شأنه كله، وأن يختار له ما فيه الخير. وقد صح في دعاء الصباح والمساء حديث أنس بن مالك رضي عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا لِفَاطِمَةَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكَ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»^(٤). وفي السنن عن جعفر بن ميمون، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ

(١) ينظر: «شرح حديث عمار بن ياسر رضي عنه لابن رجب» (ص ١٥٣)

(٢) صحيح البخاري (٥٦٧١)، وصحيح مسلم (٢٦٨٠).

(٣) صحيح البخاري (٥٦٧٣).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٣٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٩) والحاكم في المستدرک (٢٠٠٠)

والبيهقي في الأسماء والصفات (٢١٣) وفي الشعب (٧٤٥). وسنده حسن. وقال الحاكم صحيح على شرط

الشيخين وفيه نظر بينه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٧)

عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١)

الخشية في الغيب والشهادة

ثم يدعو فيقول: «وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» يعني أن يرزقه الله الخشية في السر والعلانية، وفي الظاهر والباطن، وفي حال كونه مع الناس أو غائباً عنهم، وهذا من الأدعية المباركة العظيمة التي لو وُفِّقَ إليها الإنسان لصار من السعداء؛ فإن الله يقول في وصف المتقين: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِمَّنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٢١﴾ في [الأنبياء] فهذا ثناءً من الله ﷻ على عباده المقربين المتقين.

ويقول ﷻ: ﴿وَأَرْزَقْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٢٣﴾ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٤﴾ [ق] وهذا وَصْفٌ من ﷻ لأهل الجنة. وأنهم الذين يخشونه، ﷻ. ويتقونه.

وعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -وهو من كبار التابعين- أنه قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَوْتُ سَرِيرَتُهُ، وَعَلَانِيَتُهُ قَالَ اللَّهُ: هَذَا عَبْدِي حَقًّا"^(٢) وروى مرفوعاً بسند ضعيف^(٣).
وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً وَالتَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَإِذَا خَلَا فَلْيَصَلِّ مِثْلَهَا فَإِنَّ لَمْ يَفْعَلْ فَإِنَّهَا اسْتَهَانَةٌ يَسْتَهِينُ بِهَا رَبُّهُ أَلَا يَسْتَجِي أَنْ يَكُونَ التَّاسُ أَعْظَمَ فِي عَيْنِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠) والنسائي في الكبرى (١٠٤١٢) وأحمد (٢٠٤٣٠) والبخاري في الأدب المفرد (٧٠١) وصححه ابن حبان (٩٧٠) وجعفر بن ميمون مختلف فيه والأكثر على تضعيفه، وحسن له الشيخ الألباني حديثه هذا في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٣) وفي كتاب النصيحة بالتحذير من تخريب «ابن عبد المنان» لكتب الأئمة الرجيحة وتضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة (ص: ٢٥٤).

(٢) أخرجه وكيع في الزهد (٥٢٦) -ومن طريقه: هناد في الزهد (٥٣٠) وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد لأبيه (١٣٢٧) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/٢٠٤) -.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى فِي الْعَلَانِيَةِ، فَأَحْسَنَ، وَصَلَّى فِي السِّرِّ، فَأَحْسَنَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا عَبْدِي حَقًّا" وفي سننه بقرينة بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨٤٠٤) قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ -وهو سلام بن سليم-؛ وأخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٦٤) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ؛ ورواه ابن أبي حاتم، في التفسير (٥٩٣٨) قال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا =

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَذْرَجِيِّ، ثنا إِسْحَاقُ الْأَزْرَقِيُّ، عَنْ شَرِيكِ؛ ثَلَاثَتَهُمْ (أَبُو الْأَحْوَصِ وَإِسْرَائِيلَ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَشَرِيكَ) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ - وَهُوَ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ نُضْلَةَ -، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: فَذَكَرَهُ. زَادَ شَرِيكَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]. وَرَجَالُهُ ثَقَاتٌ رَجَالُ الشَّيْخَيْنِ غَيْرِ أَبِي الْأَحْوَصِ - وَهُوَ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ نُضْلَةَ - فَمِنْ رَجَالِ مُسْلِمٍ. وَأَبُو إِسْحَاقَ هُوَ السَّبْعِيُّ ثِقَةٌ مَشْهُورٌ لَكِنَّهُ كَانَ يَدْلَسُ. وَإِسْرَائِيلَ فِيهِ إِسْنَادٌ آخَرَ فَقَدْ أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ المَرْوَزِيُّ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ (٨٦٤) أَيْضًا بِالإِسْنَادِ السَّابِقِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صَلَّةَ، عَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَ: فَذَكَرَهُ. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي المِصْنَفِ (٨٤٥) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ. وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ المَهْجَرِيُّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ، ثُمَّ أَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو، فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتِهَانَ بِهَا رَبُّهُ». رَوَاهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي مِصْنَفِهِ (٣٧٣٨) وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الإِيمَانِ (٢٨٥١) عَنِ الثَّوْرِيِّ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، فِي التَّفْسِيرِ (٥٩٣٩) عَنْ شَرِيكِ، وَأَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الصَّغِيرِ (٨٤٩) وَالسَّنَنِ الكَبِيرِ (٣٥٨٤) وَأَبُو القَاسِمِ الأَصْبَهَانِيُّ فِي التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (١٩٩١) عَنْ زَائِدَةَ، وَأَبُو يَعْلَى فِي مَسْنَدِهِ (٥١١٧) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ دِينَارٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوِيَةَ كَمَا فِي المَطَالِبِ العَالِيَةِ (٣٢١٣) - وَعَنْهُ المَرْوَزِيُّ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ (٨٦٥) عَنْ أَبِي مَعَاوِيَةَ؛ وَالشَّهَابِ فِي مَسْنَدِهِ (٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٥) عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَسْهَرٍ وَابْنِ فَضِيلٍ وَعَلِيِّ بْنِ عَاصِمِ الوَاسِطِيِّ؛ كُلُّهُمُ (الثَّوْرِيُّ وَشَرِيكَ وَزَائِدَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ وَأَبُو مَعَاوِيَةَ وَابْنُ مَسْهَرٍ وَابْنُ فَضِيلٍ وَعَلِيُّ الوَاسِطِيُّ) عَنْ إِبْرَاهِيمِ المَهْجَرِيِّ بِهِ مَرْفُوعًا. وَخَالَفَهُمُ المَحَارِبِيُّ فَوْقَهُ؛ قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَهْذِيبِ الأَثَارِ مَسْنَدَ عَمْرِو (١١٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا المُحَارِبِيُّ، عَنِ المَهْجَرِيِّ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: «إِذَا أَحْسَنَ العَبْدُ الصَّلَاةَ حِينَ يَرَاهُ النَّاسُ، وَأَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو، فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ يَسْتِهِينُ بِهَا العَبْدُ رَبَّهُ» كَذَا وَقَعَ فِيهِ (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ) وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: ابْنُ مَسْعُودٍ. قَالَ أَبُو الحَسَنِ القَطَّانُ فِي بَيَانِ الوَهْمِ وَالإِيهَامِ فِي كِتَابِ الأَحْكَامِ (٢٢٦٠) ... سَكَتَ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ أْبْرَزَ جَمِيعَ إِسْنَادِهِ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَهَّمُ صِحَّتَهُ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَقْدَمْ فِيهِمْ شَيْئًا، فَإِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ المَهْجَرِيَّ: إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُسْلِمٍ. ضَعِيفٌ، قَالَ ابْنُ مَعِينٍ: لَيْسَ حَدِيثُهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَيْسَ بِقَوِيٍّ، لَيْنَ الحَدِيثِ وَأَبُو مُحَمَّدٍ يُضْعَفُهُ. وَقَالَ المَنْذَرِيُّ فِي التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (٣٣ / ١) رَوَاهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي كِتَابِهِ وَأَبُو يَعْلَى كِلَاهُمَا مِنْ رِوَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُسْلِمِ المَهْجَرِيِّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْهُ وَرَوَاهُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ مَرْفُوعًا أَيْضًا وَمَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ أَشْبَهُهُ وَقَالَ المِهْشَبِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (٢٢١ / ١٠): رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُسْلِمِ المَهْجَرِيِّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ أَه.

قال الحافظ ابن رجب: والموجب لخشيته الله في السر والعلانية أمور: منها: قوة الإيمان بوعده ووعيده على المعاصي. ومنها النظر في شدة بطشه وانتقامه، وقوته وقهره، وذلك يوجب للعبد ترك التعرض لمخالفته، ... ومنها قوة المراقبة له، والعلم بأنه شاهد ورقيب على قلوب عباده وأعمالهم وأنه مع عباده حيث كانوا أ.هـ^(١)

كلمة الحق في الرضا والغضب

ثم يدعو العبد فيقول: «وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرَّضَا وَالْغَضَبِ» فهو يسأل الله ﷻ أن يكون دائماً على قول الحق في حال رضاه وفي حال غضبه وسخطه، وهذا من تمام إيمان العبد وصبره وهو دليل على قوة إيمانه؛ حيث لا يقول إلا الحق، في حال رضاه، فلا يجامل أحداً، ولا يطلب من أحد شيئاً، ولا يبغى من أحد شيئاً؛ لأنه قد استقر في قلبه أن أزيمة الأمور بيد الله ﷻ فلن يقدم عنده ولن يؤخر رضا أحدٍ سوى رضا ربِّ العالمين ﷻ. وكذلك كلمة الحق في حال الغضب، فإذا غضب فإنه يضبط أخلاقه ويضبط أقواله ويضبط أفعاله، فلا يقول إلا حقاً، ولا يأتي إلا حقاً، ولا يقع فيما حرم الله ﷻ فانظر إلى أصحاب الجزع الذين إذا نزلت بهم المصيبة أو نزل بهم البلاء ولولوا، وقالوا: لِمَ يَا رَبِّ وَقَعَ كَذَا وَكَذَا؟! ونحوه من الاعتراض على أمر الله ﷻ.

ومن عجيب ما ذكر في التراجم عن السلف أن عبد الله بن عون المزني - وهو إمام ثقة من رجال الجماعة، وكان معروفاً بالعلم والعمل وحفظ اللسان -^(٢)، ذكروا في ترجمته ﷺ أنه "كَانَ لَا يَغْضَبُ، فَإِذَا أَغْضَبَهُ الرَّجُلُ قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ"^(٣). وقيل: كان أصحابه كأنهم يحبون أن يتبينوا فيه الغضب، وكانت له ناقة، وكان بها معجباً، وقد حج عليها غير حجة، فبينما هو في طريق مكة وقد ذهب لحاجة، إذ قام غلام له يعالج من الناقة شيئاً، فضربها بشيء كان معه، ففقأ عينها، قال أصحابه: إن غضب يوماً من الدهر، غضب يومه هذا؛ فلما جاء قالوا: ما ترى الغلام فقأ عين الناقة، فنظر إليها، فما زاد على أن نظر إلى الغلام فقال له: بارك الله فيك، ثم أخذ قطنة فيها دهن، فجعله على عين

(١) ينظر: «شرح حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه لابن رجب» (ص ١٦٥)

(٢) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/٣٧)، وتقريب التهذيب (ص ٣١٧)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/٣٩)

الناقة، فلما قدموا مكة ذهب فطاف، ثم رجع إلى المنزل وقد عي وعطش، فاستسقى الغلام، فقام سريعاً، فدعاه، فقال: يا فلان: ما لي أراك مذأصبت عين الناقة تحف في خدمتي خفة لم تكن تحفها، لعلك تتقيني، لا تتقيني بعد اليوم، وأنت حر لوجه الله، فأعتقه. (١)

القصد في الغنى وفي الفقر

ثم يسأل العبد ربه: «الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى» أي: أن يكون مقتصدًا، والقصد: هو التوسط والاعتدال فإذا كان فقيرًا فإنه يسأل الله ﷻ أن يكون في حال فقره مقتصدًا، لا يبخل خوفًا من نفاذ الرزق، ولا يسرف فيحمل نفسه ما لا طاقة لها به.

يقول ربنا ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء] وكذلك القصد في حال الغنى يقول ربنا ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان] والقوام: هو القصد والتوسط في كل الأمور.

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: والاقتصاد في كل الأمور حسن حتى في العبادة، ولهذا نهى عن التشديد في العبادة على النفس، وأمر بالاقتصاد فيها، وقال رحمته الله: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» (٢)؛ وفي "مسند البزار عن حذيفة عن النبي رحمته الله

(١) «الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم» (١/ ٣٤٧) وانظر أيضا: «حلية الأولياء» (٣/ ٣٩) و«تاريخ دمشق لابن عساكر» (٣١/ ٣٦٠)

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ يُصَلِّي عَلَى صَخْرَةٍ، فَأَتَى نَاحِيَةَ مَكَّةَ، فَمَكَتْ مَلِيًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَجَدَ الرَّجُلَ يُصَلِّي عَلَى حَالِهِ، فَقَامَ فَجَمَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ» ثَلَاثًا «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» وأخرجه أبو يعلى (١٧٩٦)، وعنه ابن حبان (٣٥٧) وفي سنده ضعف، وحسنه لشواهده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦٠) ومنها حديث بريدة بالجملة الأولى التي ذكرها ابن رجب، رواه الإمام أحمد (٢٢٩٦٣) عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ، فَأَدَا أَنَا بِالنَّبِيِّ ﷺ يَمُتِي بَيْنَ يَدَيْ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْنَا نَمُتِي جَمِيعًا، فَأَدَا نَحْنُ بَيْنَ أَيْدِينَا بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرَاهُ يُرَائِي؟» فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَتَرَكَ يَدِي مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يُصَوِّبُهُمَا وَيَرْفَعُهُمَا وَيَقُولُ: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا. عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا. عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ» وصححه شيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٩٠٥).

قال: «مَا أَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْعِبَادَةِ»^(١)
اهـ^(٢)

وقد جمع النبي ﷺ بين هذه الخصال الثلاث - فيما رواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَهَوَى مُتَّبِعٌ، وَشَحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ»^(٣)

سؤال الله نعيما لا ينفد

ثم يسأل الله «نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ» وهو نعيم الآخرة، وهو نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] والعبد إذا تعلق قلبه بالآخرة فهذا من تمام إيمانه بالله واليوم الآخر. وفي المسند عن عبد الله بن مسعود رضي أن النبي ﷺ أتاه بين أبي بكرٍ، وعمر، وعبد الله يَصِلِي، فَافْتَتَحَ النَّسَاءَ فَسَحَلَهَا - أي قرأها كلها قراءة متتابعة -، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ»، ثُمَّ تَقَدَّمَ يَسْأَلُ، [وفي رواية: فَجَعَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَدْعُو، وَهُوَ قَائِمٌ يَصِلِي] فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ»، فَقَالَ: فِيمَا سَأَلَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ». قَالَ: فَأَتَى عُمَرُ رضي عَبْدَ اللَّهِ لِيُبَشِّرَهُ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ رضي قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ: إِنْ فَعَلْتَ، لَقَدْ كُنْتُ سَبَاقًا بِالْخَيْرِ.^(٤)

سؤال الله قرّة عين لا تنقطع

وقال: «وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ» وقرّة العين من جملة النعيم الذي يسأله العبد

(١) مسند البزار = البحر الزخار (٢٩٤٦) وإسناده ضعيف جدا كما في السلسلة الضعيفة (٢١٦٤)

(٢) «شرح حديث عمار بن ياسر رضي» (ص ١٦٩)

(٣) شعب الإيمان (٦٨٦٥) وحسنه الألباني لشواهد في الصحيحة (١٨٠٢).

(٤) مسند أحمد (٤٢٥٥، ٤٣٤٠) وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٠١)، وشيخنا العلامة

الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢٠٨)

ربه ﷺ في قوله: «نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ» ويعني النعيم الحقيقي الذي تنعم به النفس في الدنيا والآخرة. و"النعيم وقرة العين" منه ما هو منقطع، ومنه ما لا ينقطع، فمن قرت عينه بالدنيا، فقرة عينه منقطعة لأن سرورها لا يدوم؛ ولذاتها مشوبة بالفجائع والتنغيص، وسرعة الانقضاء والمفارقة بالموت، وقد روي عن أمير المؤمنين عَمْرَبْنِ الْحَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا تَرَكَ الْمَوْتُ لِذِي لُبِّ قُرَّةَ عَيْنٍ»^(١) وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن طلحة بن محمد التيمي قال سمعت سعيد بن السائب الطائفي يقول: -ونحن في جنازة-: «والله ما ترك الموت للنفس سرورا في أهل ولا ولد والله لقد نقص الموت على المؤمنين الموسع لهم من هذه الدنيا حتى ضيق ذلك عليهم فرفضوه مسرورين برفضه» قال ثم سبقته دمعته فقام.^(٢) وقال مطرف: «أَفْسَدَ الْمَوْتُ عَلَى أَهْلِ التَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ فَأَطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ»^(٣). فلا تقرر عين المؤمن في الدُّنْيَا إِلَّا بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وذكره ومحفته والأنس به، ومن قرت عينه بالله، فقد حصلت له قرة العين التي لا تنقطع في الدُّنْيَا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، وقرت به عيون المؤمنين.

سؤال الله الرضا بعد القضاء

ثم يقول: «وَأَسْأَلُكَ الرَّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ» وهذا من أدعية الإيمان بالقضاء والقدر وسأل الرضا بعد القضاء؛ لأنه حينئذ تبين حقيقة الرضا. وقد ذكر الحافظ البيهقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الجملة من الدعاء جملة من الآثار المتعلقة بالرضا وما هو الرضا وما تفسيره، ونورد ما تيسر من ذلك. فمنها: ما رواه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ لِلْحُكْمِ، وَالرَّضَى بِالْقَدَرِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي التَّوَكُّلِ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ ﷻ»^(٤). ونقل أيضا^(٥)

(١) أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٠/٣٣٣) عن محمد بن سيرين أن عمر فذكره. وفيه انقطاع.

(٢) القبور لابن أبي الدنيا (١٠)

(٣) «الزهد لأحمد بن حنبل» (ص ١٩٣)

(٤) أخرجه ابن المبارك (٣١/٢)، - ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه (٥٨)-، ونعيم بن حماد

في الزيادات على الزهد أيضا، وأبو نعيم في الحلية (١/٢١٦) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة

والجماعة (١٢٣٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٨) وهو من رواية يزيد بن مرثد عن أبي الدرداء وقال

أبو حاتم والمزي: مرسل. أي منقطع بين يزيد وأبي الدرداء.

(٥) شعب الإيمان (٣٧٠/١) رقم (١٩٣)

عن أبي عثمان - وهو سعيد بن إسماعيل الحِزْرِي شيخ نيسابور (ت: ٢٩٨هـ) - قال رحمته الله: "الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا". وبهذا التفريق يفهم النكتة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَسْأَلُكَ الرَّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ» أي: لأن ما كان قَبْلَ القضاء فهو عزم من الإنسان على أنه إذا أصابه شيء فسيرضى، لكنه إذا كان بعد القضاء فهو الرضا الحقيقي لأنه تسليم واستسلام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: سأل «الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ» لأنه حينئذٍ يتبين حقيقة الرضا. وأما الرضا قبله فإنما هو عزم على أنه يرضى به إذا أصابه، وإنما يتحقق الرضا بعده اهـ^(١)

وروى أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «أَدَّ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ، وَاجْتَنِبْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَعْنَى النَّاسِ»^(٢). ثم ذكر البيهقي رحمته الله عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الرِّضَا أَنْ لَا تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْمَدَ أَحَدًا عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَلْمَ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَسُوقُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةٌ كَارِهِ، وَاللَّهُ بِقِسْطِهِ وَعِلْمِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ فِي اليَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ»^(٣). ومعنى ذلك أن الإنسان لا ينسب الأشياء إلى غير مسببها، وهو الله تعالى فإن العبد إنما يعلم أن كل شيء من الله تعالى. يقول رضي الله عنه: "الرِّضَا أَنْ لَا تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ " لأن في هذا تعاسة للإنسان وشقاء له بأن يرضي الناس بسخط الله تعالى. قال: " وَلَا تَحْمَدُ أَحَدًا عَلَى رِزْقِ اللَّهِ " والمعنى: أن الله إذا أنعم عليك بنعمة فاحمد الله تعالى ولا تنسبها لغيره، فإن ذلك كما يقول العلماء باب من أبواب الشرك الخفي^(٤). كما في قوله تعالى:

(١) نقله ابن القيم عنه في «مدارج السالكين» (٥٥٣/٢ ط عطاءات العلم) وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣٧/١٠) و «الاستقامة» (٨٦/٢ - ٨٧)

(٢) صحيح، رواه هناد في الزهد (٥٠١/٢) وأبو داود في الزهد (١٣١) والبيهقي في الشعب (١٩٧، ٨١١٩)
 (٣) حسن، رواه ابن الأعرابي في المعجم (١٤٩١) من طريق عطاء الخراساني، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢١٥) رقم (١٠٥١٤) من طريق خيثمة بن عبد الرحمن، وابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه (٩٤) - وعنه البيهقي في الشعب (٢٠٥) من طريق أبي هارون المدني وهو موسى الحنط، وفي اليقين (٢٢) من طريق زبيد، كلهم عن ابن مسعود. وكلها مرسله عنه. ومجموعها يدل على أن له أصلا.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (باب ٣٥).

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل] قال ابن كثير رحمته الله: أي: يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُسَدِّي إِلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَمَعَ هَذَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَيُسِنِدُونَ النَّصَرَ وَالرِّزْقَ إِلَى غَيْرِهِ اهـ^(١) وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: أي: ينكرون إضافتها إلى الله لكونهم يضيفونها إلى السبب متناسين المسبب الذي هو الله - سبحانه -، ...، ينكرون بإضافتها إلى غير الله، متناسين الذي خلق السبب فوجد به المسبب اهـ^(٢)

ولا مانع أن يشكر المتسبب في ذلك؛ ما دام أن المرء يؤمن أن الأمر بيد الله فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(٣). قال " وَلَا تَلْمُ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ " فإذا لم يكتب الله رحمته الله لك شيئاً فلا تنسب ذلك إلى غير الله - سبحانه - فإن الله هو الذي كتب عليك القدر خيره وشره. فالمؤمن إذا وَّظَنَ نفسه على الرضا بما قدر الله عليه وكتب، مع عمله بالمأذون به من الأسباب ارتاح وسعد.

وفي هذا الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، وَلَا أَنْ أَعْصَى عَلَى جَمْرَةٍ حَتَّى تُطْفَأَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ لِأَمْرِ قِضَاهُ اللَّهُ لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ»^(٤) وهذا هو تمام الرضا المطلوب من المسلم ومن المؤمن، وهو الصبر عند البلاء وعند المصيبة، فهذا هو الصبر. والصبر: هو أن تحجز جوارحك عن الوقوع فيما نهى الله رحمته الله عنه؛ فإن ارتقى الإنسان فوق ذلك إلى أن يرضى عما كتب الله رحمته الله له فإن هذه منزلة عظيمة لا يناها إلا القليل من الناس. قال ابن القيم رحمته الله: إِذَا لَمْ يَرْضَ بِالْقَدْرِ وَقَعَ فِي لَوْمِ الْمَقَادِيرِ. إِمَّا بِقَالِبِهِ، وَإِمَّا بِقَلْبِهِ وَحَالِهِ. وَلَوْ لَمْ يَرْضَ بِالْقَدْرِ لَمْ يَرْضَ بِقَدْرِهَا، وَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي لَوْمِ الْخَلْقِ. وَاللَّهُ وَالنَّاسُ

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٥٩٢).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٠١).

(٣) صحيح، رواه أحمد (٧٩٣٩)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح، رواه مطولا أو مختصرا، ابن أبي شيبه في المصنف (٧/ ١٠٨) رقم (٣٤٥٦٧) وأبو داود في الزهد

(١٢٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٠)، وفي

القضاء والقدر (٢٠٤) وغيرهم.

يَلُومُونَهُ، فَلَا يَزَالُ لَأَيْمًا مَلُومًا. وَهَذَا مُنَافٍ لِلْعُبُودِيَّةِ اهـ^(١)

ونقل البيهقي رحمته الله عن سفيان - وهو ابن عيينة رحمته الله - في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١] قال: "بالرضا والتسليم"^(٢). وعن علقمة أنه قال: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ"^(٣).

وكان عمر بن عبد العزيز رحمته الله كثيرًا ما يدعو فيقول: "اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدْرِكَ حَتَّى لَا أَحِبَّ تَعْجِيلَ شَيْءٍ آخِرَتَهُ، وَلَا تَأْخِيرَ شَيْءٍ عَجَلَتَهُ"^(٤). وهذا مثل دعاء الاستخارة الآتي ففي آخره «وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» ونقل البيهقي عن ذي النون قوله: "ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ التَّسْلِيمِ: مُقَابَلَةُ الْقَضَاءِ بِالرِّضَا، وَالصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرُ عَلَى الرَّخَاءِ"^(٥).

ونقل عن الفضيل بن عياض رحمته الله قوله: "الرَّاضِي لَا شَيْءَ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ"^(٦). ولفظه عند ابن أبي الدنيا «الرَّاضِي لَا يَتَمَنَّى فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ»^(٧) وهو الصواب. قال ابن القيم رحمته الله: الرِّضَا يُفْرِّغُ قَلْبَ الْعَبْدِ. وَيُقَلِّلُ هَمَّهُ وَعَمَّهُ. فَيَتَفَرَّغُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ بِقَلْبٍ خَفِيفٍ مِنْ أَثْقَالِ الدُّنْيَا وَهَمُومِهَا وَعُجُومِهَا اهـ^(٨). والمسلم إذا نزل به البلاء فالمطلوب منه أن يصبر.

والصبر - كما ذكرنا - هو حجز الجوارح عما حرم الله فلا يقول إلا ما يرضي الله ولا يتصرف إلا بما يرضي الله رحمته الله أما رضا القلب وتسليمه وفرحه بما كتب الله رحمته الله له فهذا ليس من المنزلة الواجبة على الإنسان.

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٢١٦)

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢).

(٣) المرجع السابق (٩٥٠٣) وانظر: تفسير عبد الرزاق (٣٢٢٧) وتفسير الطبري (١٢/٢٣).

(٤) المرجع السابق (٢٢٤) وانظر: الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (٤٦)

(٥) المرجع السابق (٢٢٨).

(٦) المرجع السابق (٢٢٧).

(٧) «الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا» (١٦)

(٨) مدارج السالكين (٢/٢١٥)

سؤال الله تعالى برد العيش بعد الموت:

ونرجع إلى حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، يقول في الدعاء: «وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ»، وهذا يدل على أن العيش وطيبه وبرده إنما يكون بعد الموت، أما هذه الدنيا فيكفي أن من منغصاتها أنها محتومة بالموت وأن الإنسان موعود فيها بالموت. فلا عيش يطيب إلا بعد الموت، وهو عيش من أمن من عذاب الله عز وجل، ووصل إلى ثوابه، فكذلك سأل برد العيش بعده، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول - لما حفر الخندق، وجهد هو وأصحابه في حفره-:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ^(١)

سؤال الله تعالى لذة النظر إلى وجه الله تعالى:

ثم يقول: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ صَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ» وهذا من الأدعية العظيمة المؤنسة للعبد؛ وهو من أدلة أهل السنة في إثبات النظر إلى الله يوم القيامة مثل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦] وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْكُفَّارِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [المطففين] أي عن رؤيته يوم القيامة. وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِمَعْنَى مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَاتُ رَوَاهَا أَيْمَةُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثُ فِي دَوَاوِينِ الْإِسْلَامِ عَنْ فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَجَلَاءِئِهِمْ؛ ومنها حديث الباب، وكذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَرِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]^(٢).

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: «هذان الأمران هما سعادة الدنيا والآخرة، وأعظم

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٤) ومسلم (١٨٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه. وفي الباب عن أنس رضي الله عنه وغيره.

(٢) صحيح مسلم (١٨١)

لذاتها وأعلى ما يحصل للمؤمن فيهما، فإن أعلى ما في الآخرة النظر إلى وجه الله عَزَّجَلَّ، وهو أعظم من الجنة وكل ما فيها ^(١).

وقال شيخ الإسلام رحمته الله: وهذه اللذة هي النعيم التام في حظهم من الخالق تعالى... وأهل الجنة مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنة، لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما يكون أحب إليهم لأن تنعمهم وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره. ^(٢).

سؤال الله تعالى الشوق إلى لقائه :

وقوله: «وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِكَ» قال ابن القيم رحمته الله: الشَّوْقُ يَحْمِلُ الْمُشْتَاقَ عَلَى الْحِدِّ فِي السَّيْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، وَيَقْرُبُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَيَطْوِي لَهُ الْبَعِيدَ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْأَلَامَ وَالْمَشَاقَّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعْمَةِ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ، وَلَكِنْ لِهَذِهِ التَّعَمَّةِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ هُمَا السَّبَبُ الَّذِي تُنَالُ بِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ سَمِعَ لِيْلِكَ الْأَقْوَالِ، عَلِيمٌ بِتِلْكَ الْأَفْعَالِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَصْلُحُ لِهَذِهِ التَّعَمَّةِ وَيَشْكُرُهَا وَيَعْرِفُ قَدْرَهَا وَيُحِبُّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ ^(٣).

والشوق من مراتب المحبة التي تقود إلى تمام العبودية لله وقد بينها ابن القيم رحمته الله:
- بما حاصله:- أن خاصية التعبد: هي الحب مع الخضوع والذل للمحبوب، فمن أحب شيئاً وخضع له فقد تعبد قلبه له. والتعبد آخر مراتب الحب، ويقال له التتيم. فإن أول مراتبه: العلاقة، وسميت "علاقة" لتعلق القلب بالمحبوب. ثم بعدها الصبابة، وسميت بذلك لانصباب القلب إلى المحبوب ثم الغرام، وهو لزوم الحب للقلب لزوماً لا ينفك عنه. ثم العشق، وهو إفراط المحبة. ثم الشوق، وهو سفر القلب إلى المحبوب أحث السفر. ثم التتيم، وهو آخر مراتب الحب، وهو تعبد المحب لمحبوبه. يقال: تتيمه الحب إذا عبده. ومنه تيم الله، أي عبد الله. وحقيقة التعبد: الذل والخضوع للمحبوب. ومنه قولهم: "طريق معبود" أي مدلل قد ذلته الأقدام. فالعبد هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه. ولهذا كانت أشرف أحوال العبد ومقاماته هي العبودية، فلا منزل له أشرف منها.

(١) «شرح حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه» (ص ١٧٩)

(٢) ينظر: «قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة» (ص ٣٧)

(٣) «زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة» (١٥/٣)

قال ابن القيم رحمته الله: وأطيب العيش وألذّه على الإطلاق عيش المحبين المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة، ولا حياة للعبد أطيّب ولا أنعم ولا أهنأ منها. وهي الحياة الطيبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح؛ بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافاً مضاعفةً. وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحاً أن يجيئه حياة طيبة، فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده. وأي حياة أطيّب من حياة مَنْ اجتمعت همومه كلّها، وصارت همّاً واحداً في مرضاة الله، ولمّ شعث قلبه بالإقبال على الله، واجتمعت إراداته وأفكاره التي كانت منقسمةً - بكل واحدٍ منها شعبة - على الله. فصار (ذكر محبوبه الأعلى، وحبّه، والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه)، هو المستولي عليه. وعليه تدور همومه وإراداته وقصوده، بل خطرات قلبه. فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله. وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر. وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يتحرك، وبه يسكن. وبه يجيا، وبه يموت، وبه يبعث اهـ^(١)

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: وأما الشوق إلى لقاء الله في الدُّنيا فهو أعظم لذّة تحصل للعارفين في الدُّنيا، فمن أنس بالله في الدُّنيا واشتاق إلى لقائه، فقد فاز بأعظم لذّة يمكن لبشر الوصول إليها في هذه الدار... وأهل الشوق إلى الله على طبقتين: أحدهما: من يفضي بهم الشوق إلى القلق والأرق، ويقل صبرهم عن طلب اللقاء... والثانية: من أعطاه الله بعد بلوغه إلى درجة الشوق إليه الأنس به والطمأنينة إليه، فسكنت قلوبهم بما كشف لها من آثار قربه ومشاهدته، ووجدوا لذّة الأنس به في الذكر والطاعة، وصار عيشهم مع الله في نعيم سرمدي، وطاب لهم السير إليه في الدُّنيا بالطاعات. وهذه كانت حال نبينا صلوات الله عليهم وأصحابه اهـ^(٢)

اقتران اللذة بالنظر، والشوق باللقاء:

واقتران اللذة بالنظر، والشوق باللقاء، يعني: أنك تسأل الله تعالى لذّة النظر إلى وجهه

(١) ينظر: «الداء والدواء = الجواب الكافي - ط عطاءات العلم» (١/٤٣٨)

(٢) «شرح حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه» (ص ١٨١)

مع النظر إليه، والشوق إلى لقائه مع لقاءه، فيكون ذلك الشوق وتلك اللذة مقترنة مع رؤية الله ولقائه لا أنها هي نفس النعيم، قال شيخ الإسلام رحمته الله: فاللذة مقرونة بالنظر إليه، ولا أحب إليهم من النظر إليه لما يقترن بذلك من اللذة، لا أن نفس النظر هو اللذة اهـ. ^(١) وقال رحمته الله: أخبر الصادق المصدوق أنه لم يعط أهل الجنة أحب إليهم من النظر إليه. وسن أن يدعى بلذة النظر إلى وجهه الكريم. وأهل الجنة قد تنعموا من أنواع التعميم، بال مخلوقات بما هو غاية التعميم، فلما كان نظرهم إليه أحب إليهم من كل أنواع التعميم، علم أن لذة النظر إليه أعظم عند أهل الجنة من جميع أنواع اللذات اهـ. ^(٢)

قوله في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة:

وقال الحافظ ابن رجب: وَإِنَّمَا قَالَ «مَنْ عَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ» لِأَنَّ الشوق إلى لقاء الله يستلزم محبة الموت، والموت يقع تمنيه كثيرا من أهل الدنيا بوقوع الضراء المضرة في الدنيا وإن كان منهيًا عنه في الشرع، ويقع من أهل الدين تمنيه لخشية الوقوع في الفتن المضلة، فسأل تمني الموت خاليا من هذين الحالين وأن يكون ناشئا عن محض محبة الله والشوق إلى لقاءه اهـ. ^(٣)

وقال: فالشوق إلى لقاء الله تعالى إنما يكون بمحبة الموت وذلك لا يقع غالبا إلا عند خوف ضراء مضرة في الدنيا أو فتنة مضلة في الدين فأما إذا خلا عن ذلك كان شوقا إلى لقاء الله عز وجل وهو المسؤول في هذا الحديث وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يتمنين الموت إلا من وثق بعمله» ^(٤) فالمطيع لله مستأنس بربه فهو يجب لقاء الله والله يجب لقاءه والعاصي مستوحش بينه وبين مولاه وحشة الذنوب فهو يكره

(١) الإيمان الأوسط - ط ابن الجوزي (ص ٤٢١)

(٢) «النبوات» (١/ ٣٤١)

(٣) «شرح حديث لبيك اللهم لبيك» (ص ٩٥)

(٤) مسند أحمد (٢٦٠/١٤) رقم (٨٦٠٧) عن أبي هريرة مرفوعا: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ، فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا» وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ وقد تفرد بقوله «إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ».

لقاء ربه ولا بد له منه... الخ^(١)

سؤال الله تعالى أن يزيننا بزينة الإيمان:

ثم يقول: «اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ». وزينة الإيمان تشمل زينة القلب بتحقيق الإيمان له. وزينة اللسان بأقوال الإيمان. وزينة الجوارح بأعمال الإيمان، وذلك أن الإيمان قول وعمل ونية. وقد سمي الله تعالى التقوى لباساً، وأخبر أنها خير من لباس الأبدان فقال تعالى: ﴿يَبْنَئِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تَكْمُرٍ وَرِيْشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. فهذه هي الزينة النافعة الدائمة الباقية وهي زينة الإيمان والتقوى، إذا شملت القلب والجوارح.

سؤال الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين:

قال: «وَأَجْعَلْنَا هُدَاةً مُّهْتَدِينَ»، يعني نهدي غيرنا ونهتدي في أنفسنا. وهذه أفضل الدرجات: أن يكون العبد هادياً مهدياً.
قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

وقال ﷺ: «لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(٢)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا...» الحديث^(٣).

ويدخل في ذلك: من دعا إلى التوحيد من الشرك، وإلى السنة من البدعة، وإلى العلم من الجهل، وإلى الطاعة من المعصية، وإلى اليقظة من الغفلة، فمن استجيب له إلى شيء من هذه الدعوات فله مثل أجر من تبعه. ومن دعاء عباد الله الصالحين ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

(١) «لطائف المعارف لابن رجب» (ص ٢٩٦)

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

قال ابن كثير رحمته الله: وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: أَيْمَةٌ يُقْتَدَى بِهَا فِي الْخَيْرِ. وَقَالَ غَيْرُهُمْ: هُدَاةٌ مُهْتَدِينَ وَدُعَاةٌ إِلَى الْخَيْرِ، فَأَحَبُّوا أَنْ تَكُونَ عِبَادَتُهُمْ مُتَّصِلَةً بِعِبَادَةِ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَنْ يَكُونَ هُدَاهُمْ مُتَّعِدِيًّا إِلَى غَيْرِهِمْ بِالنَّفْعِ، وَذَلِكَ أَكْثَرُ نَوَابًا، وَأَحْسَنُ مَأْبَأً، وَلِهَذَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ» اهـ. (٢).

فهذه اثنتا عشرة كلمة مباركة يدعو بها المسلم في صلاته.

بوب عليها الإمامان النسائي في سننه والطبراني في الدعاء - وغيرهما -، بما يدل على قولها قبل السلام من صلاته بعد التشهد (٣).

وبوب عليه الإمام أبو حاتم ابن حبان فقال: «ذَكَرُ جَوَازِ دُعَاءِ الْمَرْءِ فِي الصَّلَاةِ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ» (٤).

قال ابن القيم رحمته الله: فجمع في هذا الدعاء العظيم بين أطيب شيء في الدنيا، وهو الشوق إلى لقاءه سبحانه، وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلى وجهه سبحانه. ولما كان كمال ذلك وتامه موقوفا على عدم ما يضر في الدنيا. ويفتن في الدين قال: «فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ». ولما كان كمال العبد في أن يكون عالما بالحق متبعاً له معلماً لغيره، مرشداً له قال: «وَجَعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» (٥).



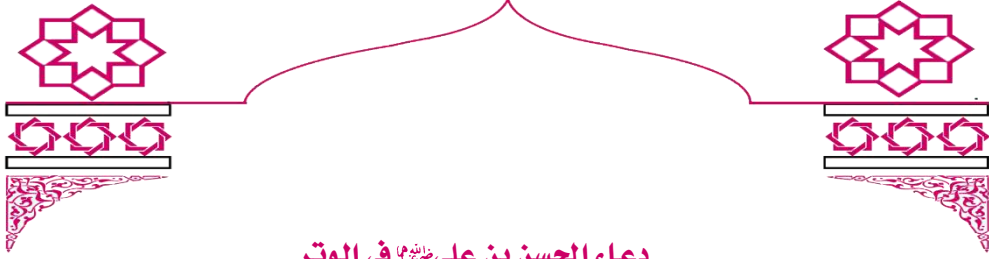
(١) صحيح مسلم (١٦٣١).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١٣٣/٦).

(٣) سنن النسائي (٣/١٣٠٥/٥٤)، الدعاء للطبراني (ص ١٩٨). وانظر: «الكلم الطيب» لابن تيمية (ص ٤٩) و«الوابل الصيب لابن القيم - ط عطاءات العلم» (١/٢٨٠) و«أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني» (٣/١٠٨٠).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٣٠٤/٥).

(٥) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/٢٨).



دعاء الحسن بن علي عليه السلام في الوتر

ومن الأدعية المباركة: الدعاء الذي ندعو الله ﷻ به في صلاة الوتر، وهو الدعاء الذي علمه النبي ﷺ للحسن بن علي عليه السلام أن يدعو به في قنوت الوتر، علمه أن يقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ». خرجه الإمام أبو داود والنسائي وغيرهما.^(١)

وهذه كلمات عظيمة، تشتمل على ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: التوسل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فالداعي بها يدعو ربه متوسلاً بأسمائه الحسنى، فإنّه الهادي، وإنّه المعطي، وإنّه يقضي ولا يقضى عليه، وإنّه المتعالي سبحانه، وإنّه المبارك في الأشياء، فيدعو العبد ربه ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

والفائدة الثانية: أنّ العبد يعترف لله خضوعاً وتذلاً بأنّ الأمور كلها بيده سبحانه، فهو الذي يهدي من يشاء، وهو الذي يعطي من يشاء، ويمنع عن من يشاء، فالعبد يسأل ربه أن يهديه، ويسأل ربه أن يعطيه، ويسأل ربه أن يبارك له، فهو اعتراف من العبد وهو يدعو ربه بأنّ الله ﷻ صاحب العظمة والكبرياء، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير ﷻ، وهو على كل شيء قدير، فالعبد يتذلل لربه سبحانه، سائلاً إياه ﷻ أن يهديه، وأن يرزقه، وأن يبارك له.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥) واللفظ له، والنسائي (١٧٤٥)، والترمذي (٤٦٤)، وابن ماجه (١١٧٨)، وأحمد (١٧١٨).

والفائدة الثالثة: أَنَّ العبد يسأل ربه بهذه الدعوات أن يسلك به سبيل المهتدين، وسبيل من عافاه، وأولئك هم عباد الله الصالحون؛ ولذلك يقول: اهدني يا رب فيمن هديت، قال بعض أهل العلم: «فِيْمَنُ» يعني: مع من هديته من عباد الله الصالحين، وأولئك هم الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وحسن أولئك رفيقاً. فيدعو العبد ربه أن يسلك به هذا السبيل، وهي الدعوات المباركات التي اشتملت عليها فاتحة الكتاب.

وفي قول العبد: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»، سؤال لله ﷻ الهداية التامة الكاملة، الهداية المشتملة على العلم النافع، والعمل الصالح، فالعبد إذا قال: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»، فهو يسأل ربه ﷻ أن يعلمه شرعة الإسلام، وأن يفقهه في هذا الدين؛ لأنَّ الهداية أساسها معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام، والعبد إذا قال: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»، فهو يسأل ربه ﷻ أن يوفقه للعمل الصالح، فلا هداية تامة إلا بعمل صالح، بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج لمن استطاع إليه سبيلاً، بأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، بإقامة شرع الله، بطاعة الله، والائتمار بأمره، والانتهاز عن نهيه. والعبد إذا قال: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»، فهو يسأل الله أن يرزقه التوبة والإنابة والاستغفار، فإنَّ العبد في طريقه إلى الله ﷻ تحتلجه الشياطين، وتأخذه الشياطين، فيقع في المعصية، و«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ» لكن كما قال **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «وَحَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ»^(١). فالعبد إذا قال: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي»؛ تضمن الدعاء لله أن وفقني إلى التوبة إذا وقعت في معصية لأرجع إلى سبيل من هديت، وإلى سبيل من رزقته الهداية، العبد إذا قال: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ» ينطوي قلبه على معرفة أَنَّ الهداية بيد الله فهو الهادي، هو الذي يوفق من يشاء، فيزداد حمداً لله أن وفقه إلى هذا السبيل، وإلى هذا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (١٣٠٤٩) من حديث أنس **رضي الله عنه** وحسنه الألباني

الصراط المجانب للمغضوب عليهم وللضالين من اليهود والنصارى وسائر المشركين والكافرين. والعبد إذا دعا بهذه الدعوة المباركة: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»؛ تعلق قلبه بالله، وتذكر آية الفاتحة، وهو يدعو في كل صلاة ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿٦﴾

ثم يدعو العبد فيقول: «وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ»، وهي سؤال لله ﷻ أن يرزقك العافية التامة في الدنيا وفي الآخرة، فيعافيك الله في بدنك، ويعافيك الله في سمعك وبصرك، يعافيك الله في مالك، وفي ولدك، يعافيك الله في الدنيا من جميع الشرور، وفي القبر من عذاب القبر ومن فتنته، وفي الآخرة من عذاب جهنم، فيستذكر العبد وهو يرفع أكف الضراعة لله قائلاً: «عَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ»، سائلاً ربه ﷻ هذه العافية التامة.

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس بن عبد المطلب أن يدعو بهذه الدعوات، - والعم صنو الوالد^(١) -، فنصح له النبي عليه الصلوة والسلام، وقال: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢). وقال له أيضاً: «أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ»^(٣)

وفي سنن الترمذي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قام على المنبر ثم بكى فقال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «أَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٤).

وفي أدعية الصباح والمساء حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا

(١) روى الإمام مسلم (٩٨٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ رضي الله عنه عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنْعَ ابْنِ جَمِيلٍ، وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَنْقُمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَائِيٌّ، وَمِثْلُهَا مَعَهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ؟»

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥١٤)، من حديث العباس رضي الله عنه، وحسنه لشواهده الألباني في الصحيحة (٢٩/٤).

(٣) أخرجه الحاكم (١٩٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه لشواهده الألباني في الصحيحة (١٥٢٣)

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٧٤)، وابن ماجه (٣٨٤٩) وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

وَالْآخِرَةَ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي،
وَأَمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ قَوْفِي،
وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١). فالعبد إذا دعا بهذه الدعوة العظيمة المباركة فهو يدعو
لنفسه بخيري الدنيا والآخرة.

ثم يقول: «وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»، أي تَوَلَّ - ياربِّ - أمري، وانصري، واهديني، ويسر
لي أمري، وإنه إذا تولاك الله ﷻ أصبحت من الفائزين في الدنيا والآخرة، فإنه لا يذل
من والاه الله، ولا يعز من عاداه الله ﷻ. إذا تولاك الله أصبحت قوياً، مهاباً، عظيم
الجانب، لم يستطع أن ينال منك أحد إلا أن يكون ابتلاءً من الله ﷻ. فما أعظم هذه
الدعوة المباركة، يتولى الله أمرك، ويتولى الله حاجاتك، وينصرك، ويكلوك بالحفظ
والتأييد في الدنيا وفي الآخرة.

وقوله: «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ»، تسأل الله ﷻ أن يبارك لك، والبركة هي الخير الكثير
الثابت، البركة: تكثير الشيء وثباته ولزومه، فتسأله - تعالى - أن يبارك لك في كل ما
أعطاك من علم أو من مال أو ولد أو مسكن؛ وترضى بما آتاك الله، والبركة إذا حلت
في القليل كثرته وفي اليسير نمته وجعلته دائماً ثابتاً. فإذا أعطاك الله المال، وأعطاك
الصحة، وأعطاك الولد، وأعطاك النعم التي لا تعد ولا تحصى، فأنت تسأل ربك أن يثبتها
لك، وأن يبارك لك فيها، وأن يحفظها عليك، وأن يجعلها نعمة تامة دائمة، يرزقك الله
شكرها. فكم من أناس أعطوا مالاً، أو ولداً، أو صحة، أو أي نعمة أخرى، لكن نُزعت
البركة من أعطيائهم، فلم يجدوا لها لذة، فيعيش غنيهم حياة الفقراء البؤساء؛ إذ سُلبت
منه البركة، والبركة من الله ﷻ، هو الذي يبارك الأشياء، وهو الذي يحفظها على الإنسان،
فأنت تدعو بهذه الدعوة أن يحفظ الله ﷻ عليك النعم التي أعطاك إياها.

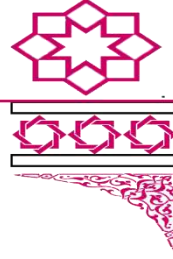
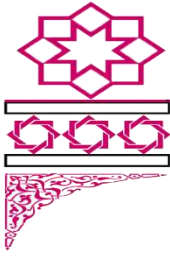
وقوله: «وَقَفِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ» سؤال لله أن يقيك شرّ الذي قضاه؛ فإن الله قد يقضي

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١) واللفظ له وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب
والترهيب (٦٥٩) وصححه شيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٥٤٨)

بالشر لحكمة بالغة، والشر واقع في بعض مخلوقاته لا في خلقه ولا في فعله؛ ولهذا فإن الشر ليس إلى الله ﷻ؛ فإن فعله وخلقه خير كله. والعبد يسأل الله ﷻ أن يصرف عنه شر هذا المقضي الذي قضاه له، وفي هذا تسليم لرب العالمين ﷻ. فهذا الدعاء يتضمن سؤال الله الوقاية من الشرور والسلامة من الآثام والحفظ من البلايا والفتن. ثم يقول: **«إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ»** فيتوسل إلى الله ﷻ بأنه سبحانه -يقضي على كل شيء؛ لأن له الحكم التام والمشئمة التامة والقدرة النافذة. يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ ﴾ [الإنسان: ٣٠] فيجب أن تؤمن أنه لن يكون في الكون شيء إلا بمشيئة الله ﷻ. فقولك: **«وَقِنِي شرَّ مَا قَضَيْتَ»**، تعترف لله ﷻ بأن الأمر أمره، وبأن القضاء قضاؤه، وبأنه سبحانه كتب الأشياء، وقدرها، وشاءها، وخلقها، فلا مفر من قضاء الله وقدره، فيدعو العبد ربه سبحانه أن يقيه جميع الشرور، ولو استجيب لك في هذه لسعدت في الدنيا وفي الآخرة، فالشرور التي تحيط بالإنسان كثيرة، فيلجأ المؤمن والعبد الضعيف إلى الله الغني الحميد أن يقيه جميع الشرور، فالأمر بيد الله، هو الذي يرفع الضر والبأساء، هو الذي يصرف عنك البلاء، وهو الذي يغني بعد فقر، وهو الذي يعافي بعد مرض، وهو الذي يعطي سبحانه من يشاء، فعلق قلبك بربك ﷻ.

ثم يقول العبد في دعائه: **«إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»**، وهي كلمات عظيمة يثني بها العبد على ربه ﷻ، ومن آداب الدعاء: أن يثني العبد على ربه في دعائه، فقم حينئذ أن يستجاب له دعواته لله. فإذا تأملت هذه الكلمات رأيت أنها جمعت فأوعت.





حديث دعاء الاستخارة

كذلك من الأدعية المباركة: التي علمنا إياها النبي ﷺ وله تعلق بهذا الباب العظيم دعاء الاستخارة، فيصلي الإنسان إذا أراد أمراً أو همّ بأمر فيصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يرفع يديه فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ، وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ، وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْ عَنِّي، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ. وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ». وهذا الحديث خرجه الإمام البخاري رحمته الله في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (١).

وهو دعاء عظيم، فيه تثبيتٌ للعبد المؤمن، وبه يأنس القلب بالله تعالى. دعاءٌ كله توحيد وافتقار وعبودية لله سبحانه. وفيه تمام التوكل على الله. وفيه تمام الرضا عن الله تعالى. فإن العبد يسأل من بيده الخير كله، فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ» أستخيرك يعني: أطلب منك يا الله أن تختار لي الخير من الأمور والأرشد والأحسن؛ لأن الله هو العليم، ولأنه هو القدير، ولأنه هو الذي يعلم ما لا نعلم، ويقدر على ما لا نقدر، وهو علام الغيوب تعالى فالعبد يتوسل إلى الله تعالى بهذا الدعاء المبارك وما ندم من استخار ربه بعلمه المحيط بكل شيء واستقدره بقدرته الكاملة على كل شيء وسأله - سبحانه - من فضله العظيم. فإنه - كما قال الحكماء

(١) البخاري (٦٣٨٢).

والأدباء-: «مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ»^(١).

ويروى حديثاً عن النبي ﷺ، ولكنه لا يصح^(٢).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يقول: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبتت في أمره ا.هـ^(٣)

ودعاء الاستخارة من الأدعية العظيمة المباركة، ونحتاج إلى تدبره وتأمله، يقول شمس الدين ابن القيم رحمته الله: فَعَوَّضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّتَهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ، عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ زَجْرِ الطَّيْرِ^(٤) وَالِاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ^(٥) ... وَعَوَّضَهُمْ بِهَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ:

* تَوْحِيدٌ

* وَافْتِقَارٌ،

* وَعُبودِيَّةٌ،

* وَتَوَكُّلٌ،

* وَسُؤَالٌ لِمَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ

✓ الَّذِي لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَصْرِفُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ

(١) ينظر: «اللطف والظرائف» للثعالبي (ص ١١٩) و«أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٣٠٠)

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٣٦٥) رقم (٦٦٢٧) وفي المعجم الصغير (٩٨٠) من حديث أنس. وقال العلامة الألباني: موضوع، كما في السلسلة الضعيفة (٦١١).

(٣) «الكلم الطيب» (ص ٥٦)، وينظر: «الوابل الصيب - ط عطاءات العلم» (١/ ٢٩٤)

(٤) قال الإمام الشافعي رحمته الله: إِنَّ عِلْمَ الْعَرَبِ كَانَ فِي زَجْرِ الطَّيْرِ وَالْبُورِجِ، وَالْحُطِّ وَالِاعْتِيَّافِ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا عَدَا مِنْ مَنَزَلِهِ يُرِيدُ أَمْرًا، نَظَرَ أَوَّلَ طَائِرٍ يَرَاهُ، فَإِنْ سَنَّحَ عَنْ يَسَارِهِ، فَاجْتَاَزَ عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: هَذَا طَيْرُ الْأَيَّامِ، فَمَضَى فِي حَاجَتِهِ، وَرَأَى أَنَّهُ مُسْتَنْجِحُهَا، وَإِنْ سَنَّحَ عَنْ يَمِينِهِ، فَمَرَّ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَ: هَذَا طَيْرُ الْأَشْيَامِ، فَرَجَعَ اِهْيَنْظُرْ: «آداب الشافعي ومناقبه» (ص ١١٢) لابن أبي حاتم.

(٥) الأزلام: هي القداح. والاستقسام بها: أن يضرب بها ثم يعمل بما يخرج فيها من أمر أو نهي. وكانوا إذا أرادوا أن يقتسموا شيئاً بينهم وأحبوا أن يعرفوا قسم كل امرئ تعرفوا ذلك منها. فأخذ الاستقسام من القسم وهو التصيب. كأنه طلب التصيب. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ت سعيد اللحام (ص ١٢٣)

✓ الَّذِي إِذَا فَتَحَ لِعَبْدِهِ رَحْمَةً لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ حَبْسَهَا عَنْهُ، وَإِذَا أَمْسَكَهَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ إِرسَالَهَا إِلَيْهِ مِنَ التَّطْيِيرِ وَالتَّنْجِيمِ وَاخْتِيَارِ الطَّالِعِ وَنَحْوِهِ. فَهَذَا الدُّعَاءُ، هُوَ الطَّالِعُ الْمَيْمُونُ السَّعِيدُ، طَالِعُ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالتَّوْفِيقِ، الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى، لَا طَالِعُ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالشَّقَاءِ وَالْحِذْلَانِ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. فَتَضَمَّنَ هَذَا الدُّعَاءُ:

- * الإِفْرَارَ بِوُجُودِهِ سُبْحَانَهُ،
- * وَالْإِفْرَارَ بِصِفَاتِ كَمَالِهِ مِنْ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ،
- * وَالْإِفْرَارَ بِرُبُوبِيَّتِهِ،
- * وَتَفْوِيضَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ،
- * وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ،
- * وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ،
- * وَالْخُرُوجَ مِنْ عَهْدَةِ نَفْسِهِ، وَالتَّسَبُّرِيَّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ،
- * وَاعْتِرَافَ الْعَبْدِ بِعَجْزِهِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهَا، وَإِرَادَتِهِ لَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِيَدِ وَلِيِّهِ وَقَاطِرِهِ وَإِلَيْهِ الْحَقُّ أَه١.

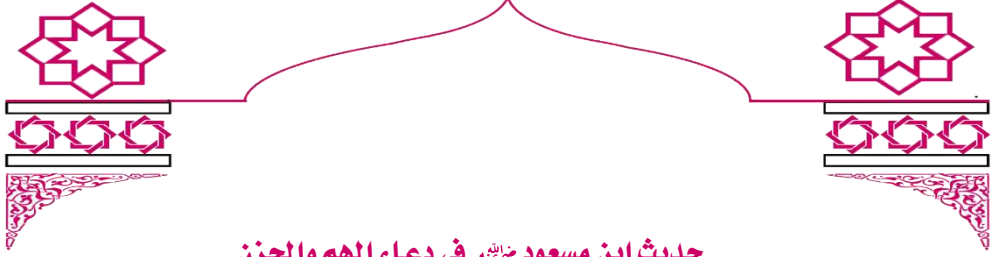
وقال الوزير ابن هبيرة رحمته الله: علّم رسول الله صلّى الله عليه وآله المستخير أحسن لفظ ينطق به في الاستخارة. وقوله: «أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ» فيه أن النبي صلّى الله عليه وآله طلب الخيرة من الله، ثم علق ذلك بعلم الله، وأشار فيما أرى بهذا، إلى قوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] فلما كانت عواقب الأمور لا يعلمها العبد، قال: «أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ» أي ما تعلم أنت أن عاقبته لي الخيرة مقدما علم الله سبحانه واختياره على حد مبلغ علم آدمي واختياره

لنفسه. وقوله: «وَأَسْتَفِدُّكَ بِقُدْرَتِكَ» فإنه يعني أنه بعد أن سأله أن يختار له سبحانه بمقتضى علمه في عواقب الأمور، أي فقد سألتك أن تقديري على ما يقتضيه علمك في ذلك الأمر ولا تقدرني على ما ليست عاقبته جميلة، أي لا تبسط قدرتي إلا على ما هو الخيرة في علمك. ثم عقب ذلك بأن قال: «وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» أي لمّا عرفت أنّ الخيرة بعلمك والقدرة مني بقدرتك حينئذ سألتك من فضلك العظيم، ولما لم يعين عند سؤاله من الفضل جنسا من الفضل، كان هذا الفضل متناولا كل جنس من الفضل، ولما كان ذلك راجعا إلى إنعام الله وصفه بأنه عظيم. ثم قال: «فَأِنَّكَ تَقْدِرُ، وَلَا أَقْدِرُ» أي أنت تقدر، وحالي أنا أني لا أقدر،... وقوله: «ثُمَّ رَضَّيْنِي بِهِ» أي إذا قدرت لي الخير، فاحم قلبي من أن يستزيد بعد أو يرى أنك لم تختبر لي الأفضل، ولم يقل صبرني عليه، ولكن قال: «رَضَّيْنِي بِهِ» أي اجعلني من الراضين فإن مقامه فوق مقام الصبر، فينبغي له إذا صرف عنه الأمر ألا يتأثر بالصبر،... إلخ^(١).

فيا عبد الله، إذا وجدت شكاً أو وسوسة في باب القضاء والقدر فعُدْ إلى هذه الأدعية المباركة العظيمة التي علّمنا إياها النبي ﷺ.



(١) «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٨/ ٣٣٢).



حديث ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والحزن

ونختم بالوقوف مع بعض الكلمات الواردة في دعاء مبارك من الأدعية النبوية أيضاً، وهو ما خرجه الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِيقَ حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيْعَ قَلْبِي، وَتُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرِحًا». - وهذا دعاء عظيم وكلمات عظيمة علّمنا إياها النبي صلى الله عليه وسلم -، ولما سمعها الصحابة فرحوا بها وقالوا: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «بلى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»^(١).

وقد تضمنت هذه الكلمات أربعة أصول عظيمة:

أما الأول: فهو تحقيق العبادة لله وتمام الانكسار بين يديه والخضوع له واعتراف العبد بأنه مخلوق لله، مملوك له هو وآبائه وأماؤه، ابتداءً من أبويه القرييين وانتهاءً بآدم وحواء، وانظر ماذا يقول العبد: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ».

وهذا هو الأصل الثاني أن العبد يؤمن بقضاء الله وقدره وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه - سبحانه - لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢]. ويقول في هذا الدعاء:

(١) أحمد (٣٧١٢)، ابن حبان (٩٧٢) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

«نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ» والناصية: هي مقدمة رأس الإنسان، فهو بيد الله، يتصرف فيه كيف يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه.

فيا أيها العبد، موتك وسعادتك وشقاوتك وعافيتك وبلاؤك كل ذلك إلى الله ﷻ . فكرّر هذا الدعاء وادعُ الله ﷻ به والتجئ إلى الله وأظهر ضعفك وفقرك إلى الغني الحميد ﷻ فهذا تطمئن نفسك. وتأمل قول النبي ﷺ في هذا الدعاء العظيم «مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ» ففيه تمام الرضا عن الله ﷻ فالعبد يدعو الله ويتوسّل إليه بأنه يعلم أن حكمه فيه ماضٍ، وهو يؤمن بحكم الله الشرعي وبحكم الله القدري الكوني، فكلاهما ماضيان في العبد شاء أم أبي ويقول: «عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ» فكلُّ أفضية الله-سبحانه-من صحة وسقم وغنى وفقر ولذة وألم وحياة وموت كل ذلك عدل من الله-سبحانه- لأن العبد المسلم يؤمن بأن الله ليس بظلام للعبيد، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [٤٦] ﴿ [فصلت] وكما قال ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٤٤] ﴿ [يونس].

والأصل الثالث: أن يؤمن العبد بأسماء الله الحسنى وصفاته العظيمة الواردة في الكتاب والسنة، فيتوسل إلى الله ﷻ بها.

والأصل الرابع: العناية بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت: ٤٢]

فالعبد يطلب من ربه بعد أن يتوسل إليه أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلبه، ونور صدره، وجلاء حزنه، وذهاب همه. وهذا الدعاء يقتضي من العبد أن يقبل على القرآن وأن يقبل على تعلم السنة، أما أن يدعو بهذا الدعاء ثم يهجر كتاب الله فإن هذا من المخادعة، وهذا الذي يسأل الله ﷻ ثم لا يعمل بالأسباب التي تعينه على الوصول إلى ذلك فإنه مخدوع. فاتل كتاب الله، وتأمل كتاب الله، وأكثر من تلاوته، وقل: "اللهم اجعل

القرآن ربيع قلبي ونور صدري" فمن دعا بهذا الدعاء كما ينبغي فإن النبي ﷺ يقول:
«إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا».

فيا عبد الله:

هذه الأدعية المباركة وغيرها كثير من أدعية النبي ﷺ تستدعي من العبد المؤمن:

✓ أن يحرص على الدعاء المأثور،

✓ وأن يجتنب الأدعية التي يتداولها الناس مما لم يثبت ولم يرد عن النبي ﷺ.

فالبركة في هذه الكلمات النبوية المباركة الجوامع للكلم التي علمنا إياها نبينا ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يحفظنا بحفظه، وأن يصرف عنا البلاء، وأن يرزقنا العلم النافع

والعمل الصالح، وأن يعيننا على ما تبقى من هذا الشهر المبارك،

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



انتهى الجزء الخامس

ويليه الجزء السادس

الإيمان باليوم الآخر

المحتويات

٥	الركن الخامس من أركان الإيمان الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره
٧	المجلس الثامن عشر
٧	الشعبة الخامسة من شعب الإيمان الإيمان بالقضاء والقدر
٧	كل شيء بقضاء وقدر
٨	تعريف الإيمان بالقدر
٨	تعريف القدر بالقدرة
١١	الفرق بين القضاء والقدر
١٥	الإيمان بالقضاء والقدر يريح النفوس
١٥	مجادلة المشركين في القدر
١٥	من أدلة الإيمان بالقضاء والقدر
١٦	كل شيء بقدر
١٦	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر
١٨	وصية عبادة بن الصامت <small>رضي الله عنه</small> لابنه
٢٠	مراتب الإيمان بالقدر
٢٠	المرتبة الأولى العلم
٢١	المرتبة الثانية الكتابة
٢١	حديث القبضتين
٢٣	المرتبة الثالثة المشيئة
٢٣	لعبد مشيئة تابعة لمشيئة الله

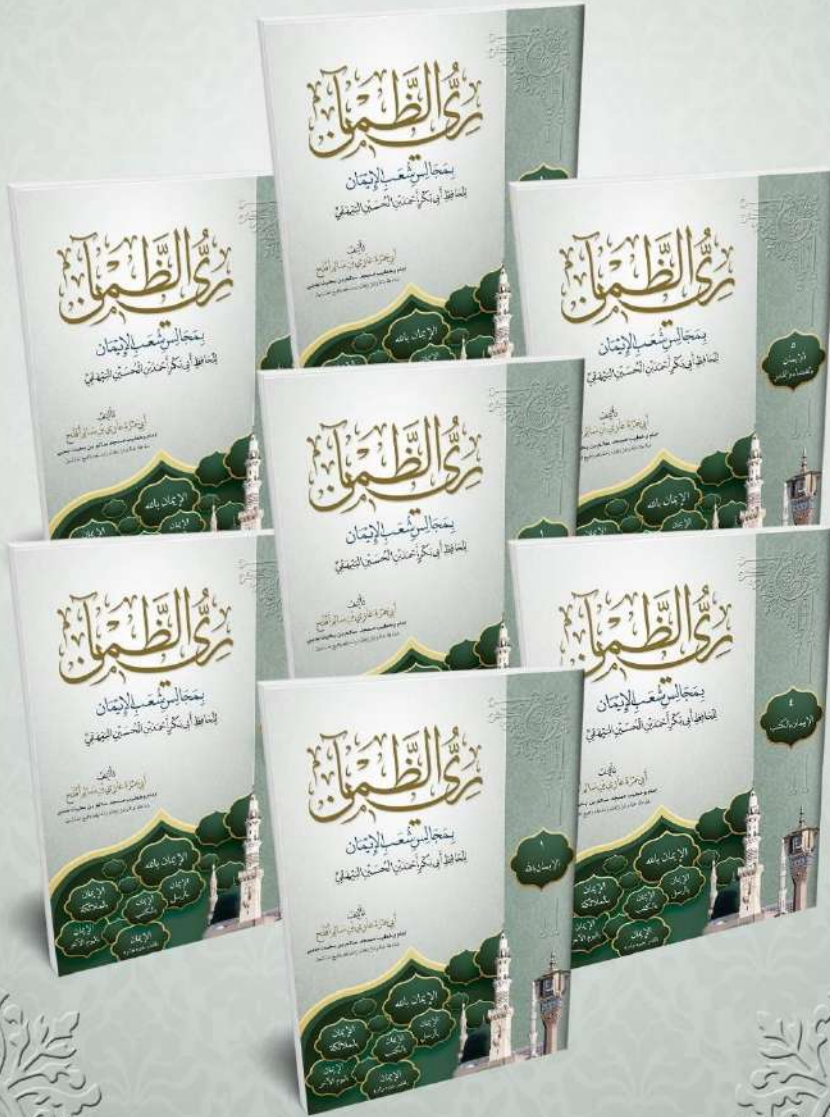
- المرتبة الرابعة الخلق ٢٤
- ترك الخوض والجدال في القدر ٢٥
- شرح الإمام ابن بطلة لمسائل القدر ٢٧
- النهى عن الخوض في القدر ٣٢
- المجلس التاسع عشر** ٣٥
- مسائل مهمة تتعلق بباب الإيمان بالقضاء والقدر ٣٥
- مرتبة العلم يتعلق بها أنواع من التقادير ٣٦
- أحاديث في أخذ الميثاق ٣٧
- الإيمان بالقضاء والقدر لا يتنافى مع العمل ٤٢
- ذكر بعض الأدلة على ذلك ٤٢
- اعملوا فكل ميسر لما خلق له ٤٣
- اعملوا وسددوا وقاربوا ٤٤
- العمل بالأسباب لا يتنافى مع القدر ٤٥
- الاحتجاج بالقدر ٤٨
- المحتج بالقدر إذا احتجَّ عليه بالقدر لا يقبل ذلك ٤٨
- إبليس أول من احتج بالقدر فلم يقبل الله منه ٤٩
- المشركون احتجوا بالقدر ولم يقبل الله منهم ٤٩
- لوصح الاحتجاج بالقدر لما كان لإرسال الرسل فائدة ٥٠
- الاحتجاج بالقدر يسوي بين المؤمن والكافر ٥٠
- المحتجون بالقدر لا يحتجون به في أمر الدنيا ٥١
- كلمات خطأ في باب القدر ٥١

- أولا الاحتجاج بالقدر ٥١
- ثانيا قول بعضهم هل كانت وفاة فلان قضاء وقدرًا ٥١
- ثالثا الاعتراض على القدر بالقول ٥١
- رابعا الاعتراض على القدر بالفعل ٥٢
- ما يفعله عند المصيبة ٥٢
- خامسا قول بعضهم اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه ٥٢
- سادسا الحسد ٥٣
- سابعا الذهاب للسحرة والكهّان واستطلاع الغيب ٥٤
- استعمال الأبراج في استطلاع الغيب ومعرفة المستقبل ٥٤
- ثامنا التألّي على الله ٥٥
- تاسعا سب الدهر ٥٥
- المجلس العشرون** ٥٨
- ذكر بعض الأدعية النبوية المتعلقة بباب القدر ٥٨
- حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه في الدعاء في الصلاة ٥٨
- التوسل إلى الله بعلمه الغيب ٥٩
- التوسل إلى الله بقدرته ٥٩
- الحكمة من التعليق في الدعاء بالعلم والقدرة ٥٩
- حكم تمنّي الموت ٦٠
- الدعاء بأن لا يكلك الله إلى نفسك ٦٠
- الخشية في الغيب والشهادة ٦١
- كلمة الحق في الرضا والغضب ٦٣

- ٦٤ القصد في الغنى وفي الفقر
- ٦٥ سؤال الله نعيما لا ينفد
- ٦٥ سؤال الله قرة عين لا تنقطع
- ٦٦ سؤال الله الرضا بعد القضاء
- ٧٠ سؤال الله تعالى برد العيش بعد الموت
- ٧٠ سؤال الله تعالى لذة النظر إلى وجه الله تعالى
- ٧١ سؤال الله تعالى الشوق إلى لقائه
- ٧٢ اقتران اللذة بالنظر، والشوق باللقاء
- ٧٣ قوله في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة
- ٧٤ سؤال الله تعالى أن يزينا بزينة الإيمان
- ٧٤ سؤال الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين
- ٧٦ دعاء الحسن بن علي عليه السلام في الوتر
- ٨١ حديث دعاء الاستخارة
- ٨٥ حديث ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والحزن
- ٨٨ المحتويات

بِرَّ الظَّالِمِينَ

بِمَجَالِسِ شَعْبِ الْإِيمَانِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

٦
الإيمان
باليوم الآخر

تَأَلَّفَ
أَبِي حَمْرَةَ غَازِي بْنِ سَالِمٍ أَمَّاح

إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَسَاجِدِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

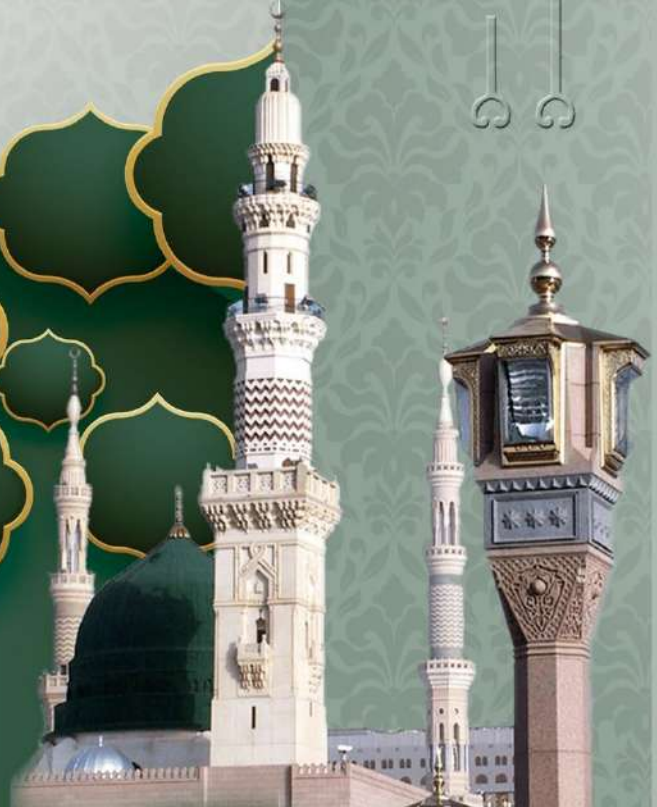
الإيمان
بالرسل

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان

بالقدر خيره وشره



سلسلة: رِيّ الظَّمَانِ بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ (٦)

الْإِيمَانُ

بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

تَأْلِيفُ

أبي حمزة غازي بن سالم أفلاح

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي الشيخ محمد بن عبد الله باموسي

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفصح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام

التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com



الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar

الركن السادس من أركان الإيمان

الإيمان

باليوم الآخر

المجلس الحادي والعشرون^(١)

الشعبة السادسة من شعب الإيمان : الإيمان باليوم الآخر

من شعب الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وقد ذكره البيهقي رحمته الله في الشعبة السادسة من شعب الإيمان، وذكر معه أيضًا أمورًا ترتبط باليوم الآخر، وأدخلها من جملة شعب الإيمان^(٢).

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة:

والإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة. وقد تقدّم معنا ذكر حديث جبرائيل عليه السلام، وأنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٣).

ما هو اليوم الآخر؟

قال العلماء: اليوم الآخر هو يوم القيامة، سُمِّيَ بذلك لأنه لا يوم بعده، وهو اليوم الذي تعاد فيه الأرواح إلى الأجساد، وتُبْعَثُ فيه الخلائق للجزاء والحساب والمعاد؛ فهو آخر يوم لا يوم بعده سواه. قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: "قيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة"^(٤).

(١) كان في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) شعب الإيمان (٤٠٦/١).

(٣) تقدم تخريجه في المجلس الخامس عشر.

(٤) فتح الباري (١١٨/١).

كفر من لا يؤمن باليوم الآخر:

يقول ربنا ﷺ في كتابه الكريم مبيِّنًا كُفْرَ من لم يؤمن بهذا اليوم: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء] فالإيمان به واجب على جهة الإجمال وعلى جهة التفصيل فيما ثبت عند المكلف مما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ

ويقول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ما يتضمَّنه الإيمان باليوم الآخر:

والإيمان باليوم الآخر الذي هو الإيمان بالقيامة يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بأشراط الساعة التي هي من مقدّمات هذا اليوم العظيم.

والأمر الثاني: الإيمان بالبرزخ وما يجري فيه من عذاب ونعيم وكل ما أخبرنا عنه النبي ﷺ مما يقع من سؤال الميت وفتنته في قبره ونحو ذلك مما هو من أمور الغيب منذ أن يموت الإنسان وحتى يدخل قبره وحتى يبعث يوم القيامة كل هذا من الغيب الذي يدخل في الإيمان باليوم الآخر؛ ف«الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ» كما في الحديث^(١).

الأمر الثالث: الإيمان بالنفخ في الصور ثم البعث والجزاء والحساب وما يكون في يوم القيامة.

فالإيمان باليوم الآخر إذاً يتضمَّن الإيمان بهذه الأمور الثلاثة.

وكلُّ أمرٍ منها تدرج تحته جملةً من المسائل العظيمة التي سنجتهد في المرور عليها -إن شاء الله-، على جهة الاختصار بدءًا من مجلسنا هذا ثم المجالس القادمة بإذن الله.

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر له ثمراتٌ جلييلة. فمن ذلك:

١- حَثُّ العبد على فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات رغبةً في الثواب الكائن في ذلك اليوم العظيم، فيجتهد المؤمن في عمل الطاعة وفيما أمره الله ﷻ به، وهو يتذكَّرُ أنَّ هناك يومًا عظيمًا هو يوم الجزاء، وهو يومٌ يكون فيه عظيم الثواب عند الله ﷻ.

(١) رواه أحمد (٤٥٤٠)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

٢- كما أن الإيمان بهذا اليوم يدفع العباد إلى ترك المعاصي والبُعد عن العناد وترك المنكرات وسيء الأفعال خوفاً من العقاب الكائن في ذلك اليوم.

٣- وفيه أيضاً تسلية للمؤمن عما يفوته عن نعيم الدنيا ومتاعها بأن ثمة يوماً عظيماً سيكون فيه الجزء العظيم والنعيم الأبدي السرمدي.

٤- وفيه أيضاً وقوفُ العبد على فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة، فإذا طُلِمَ الإنسان في هذه الدنيا فإنه يتذكر أن يوم القيامة هو يوم الفصل، وأن هناك يوماً عظيماً سيقف فيه الظالم والمظلوم بين يدي الله ﷻ، فيقتص للمظلوم من الظالم.

وسياتي إن شاء الله تعالى بيان أمور أخرى في الكلام عن بعض ما يتعلق بأسماء هذا اليوم العظيم وصفاته المذكورة في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ.

لا يعلم متى الساعة إلا الله :

وقد جاء البيان الواضح في كتاب الله ﷻ مع كثرة تساؤل الناس عن هذا اليوم أنه يومٌ لا يعلم متى يكون إلا الله ﷻ:

يقول ربنا ﷻ: ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ۗ لِيَوْمِ هَٰذَا نَعْتَدُ الْقَوْمَ ۖ بِئْسَ الْعِيسَىٰ ۗ ۝١٣ ذُوهُوا فَتِنَتِكُمْ ۖ ۝١٤ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تَسْتَعْجِلُونَ ۗ ۝١٥﴾ [الذاريات]

ويقول ﷻ: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ ۖ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ ۝١٨﴾ [السجدة]،
ويقول ﷻ: - في ستة مواضع من كتابه الكريم-: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ۖ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ﴾ [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]،

ويقول سبحانه: ﴿ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا ۖ أَمَّا هُوَ ۖ فَيَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ ۝٦١ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۗ ۝٦٢ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ ۝٦٣ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ ۝٦٤﴾ [القيامة].

وهكذا جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة، ولا صوم، ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت»^(١).

(١) البخاري (٧١٦٧)، ومسلم (٢٦٣٩).

هذا الأعرابي جزم جزمًا تامًا بأنه يجب الله ورسوله، فهل يستطيع الواحد منّا أن يكون في صدقه وفي جزمه في هذا الأمر كهذا الصحابي؟!
- نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أولئك-.

كذلك جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكفره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: «أَيْنَ-أَرَاهُ-السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قال: ها أنا يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(١).

فهذه الأحاديث كلها تُبَيِّنُ كثرة التساؤلات التي وقعت من بعض الناس متى تكون الساعة، والنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الساعة غيبٌ لا يعلمه إلا الله.
وفي حديث جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم: "متى الساعة؟" -يعني: متى تقوم الساعة؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»^(٢)
فدلّ هذا على أن الساعة غيبٌ لا يعلمه إلا الله.

الساعة حق:

وهي حقٌ لا ريب فيه كما قال ربُّنا صلى الله عليه وسلم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران]،

وقال صلى الله عليه وسلم في قصة أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [الكهف: ٢١]

وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّتَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

[غافر] ﴿٥٩﴾

وقال سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٢٥]

(١) البخاري (٥٩).

(٢) تقدم في المجلس الخامس عشر.

وقال ﷺ: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ﴿٨٧﴾ [النساء]

وقال ﷺ بعد أن ذكر كيف خلق ابن آدم وكيف تقلب من تراب إلى نطفة إلى عقلة إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة، قال سبحانه: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ وَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ﴿٧﴾ [الحج]

وقال سبحانه: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ [الجاثية].

الآيات التي أمر الله نبيه فيها بالقسم بربه على قيام الساعة:

وقال ﷺ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ [سبأ: ٣]،

وقال ﷺ: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [التغابن: ٧]،

وقال سبحانه: ﴿ وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾ [يونس].

فهذه ثلاث آيات يخبر الله ﷺ فيها عن سؤال الكفار واستخبارهم عن المعاد والقيامة وعن خروج الناس من قبورهم، فيأمر الله نبيه ﷺ أن يُقسم بالله على أن الساعة حق:

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾

﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

ومن دعاء النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ،
وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالتَّبْيُونُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ»^(١).

قوله: «وَالسَّاعَةُ حَقٌّ» أي: يوم القيامة.

وأصل الساعة - كما سيأتي -: القطعة من الزمان.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وإطلاق اسم الحق على ما ذُكِرَ من الأمور معناه: أنه لا بُدَّ من كونها وأنها مما يجب أن يُصدَّقَ بها، وتكرار لفظ «حَقٌّ» للمبالغة في التأكيد»^(٢).

علم الساعة من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله:

قال رحمته الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾

[لقمان: ٣٤]

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»^(٣). فالناس يتساءلون من قديم، ويسألون أنبياءهم عن الساعة ومتى قيامها، والقرآن يُبيِّنُ أن ذلك من علم الغيب.

الساعة قريبة:

وإذا عرفنا ذلك فقد جاء البيانُ في كتاب الله ﷻ أن الساعة قريب

قال ﷻ: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(١) [الأنبياء]

وقال ﷻ: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأُنشِقَ الْقَمَرُ﴾^(٢) [القمر] أي: دَنَتِ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ

فيها القيامة. كما قال ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل]

وكما في الآية السابقة ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء]

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾^(٣) وَرَوْنَهُ قَرِيبًا﴾^(٤) [المعارج]

(١) البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٢٧١٧).

(٢) فتح الباري (٤/٣).

(٣) رواه البخاري (٤٦٩٧) واللفظ له، وهو في مسلم (٩) جزء من حديث جبريل عليه السلام.

وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿١٦﴾ [الأحزاب].

وقد جاء أيضًا في الصحيح من حديث سهل بن سعد وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» ^(١).
وَيُشِيرُ بِإصْبَعَيْهِ فِيمُدُّ بِهِمَا، وَقَرَنَ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ: الْمَسْبُوحَةُ وَالْوَسْطَى ^(٢).
وهذا بيانٌ منه صلى الله عليه وسلم أَنَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ.

وجاء أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري أنه قال: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ» ^(٣).
يعني أن بقاء الأمة في هذه الدنيا بقاء قليل، وأن قلة ما يبقى الناس في هذه الدنيا كما بين صلاة ظهر إلى صلاة عصر. وهذا مقارنةً بالأمم السابقة؛ فإن الساعة كيوم، وقد ذهب أكثره، ولم يبق منه إلا القليل.

الساعة تقوم بغتة:

أخبرنا رحمته الله عن قيام الساعة بأنه يكون فجأة. يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الأنعام]

وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف]

قال الحافظ ابن كثير وغيره من أهل التفسير: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: عظمت وكبرت على أهلها لهولها وما فيها من المحاسبة والمجازاة ^(٤).

(١) حديث سهل رضي الله عنه متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) وحديث أنس رضي الله عنه متفق عليه، رواه

البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه تفرد به البخاري (٦٥٠٥).

(٢)

(٣) رواه البخاري (٥٥٧).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٠٧/٦).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمته الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَجْلُبُ اللَّقْحَةَ فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَّبَايَعَانِ التَّوْبَ فَمَا يَتَّبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ»^(١). ومعنى قوله: يليط أو يلط في حوضه أي: يصلحه ويطيئه.

تقوم الساعة يوم الجمعة :

أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الساعة تقوم في يوم الجمعة، يقول عليه الصلاة والسلام : «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» رواه مسلم^(٢).

وفي الموطأ والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ. وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينِ نُصِبِحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ. إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ. وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٣).

فهذا بيانٌ من النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الأحوال المتعلقة بهذا اليوم العظيم.

من مات قامت قيامته :

وجاء أيضاً البيان عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لكل ساعة وأن من مات قامت قيامته، فإن من يموت تقوم ساعته، ويبدأ حسابه في قبره، -نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده المتقين- ويسمى العلماء "القيامة الصغرى" كما سيأتي في الحديث عن البرزخ- وهي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله. إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر.

(١) صحيح مسلم (٢٩٥٤).

(٢) صحيح مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه.

(٣) الموطأ (٣٦٤) سنن أبي داود (١٠٤٦)، والنسائي (١٤٣٠)، والترمذي (٤٩١) ولفظه: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصَلِّي فَيَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ».

واستدلوا على أن من مات قامت قيامته الصغرى: بحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَنَظَّرَ إِلَى أَحَدِثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «إِنْ يَعْشَ هَذَا، لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَالْمُرَادُ: الْخِرَامُ قَرْنِهِمْ، وَدُخُولُهُمْ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ. وَهَذَا الْكَلَامُ بِهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ، وَقَدْ يَقُولُ هَذَا بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ، وَيُشِيرُونَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الزَّنْدَقَةِ وَالْبَاطِلِ اهـ^(٢)

وقال الشاعر:

خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَامَتْ قِيَامَتِي غَدَاةَ أَقَلِّ الْحَامِلُونَ جِنَازَتِي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كَانَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا قَطُّ صُورَتِي غَدَاةَ أَتَى يَوْمِي عَلَيَّ وَسَاعَتِي^(٣)

وذكر شيخ الإسلام رحمته الله: أن الله تعالى ذكر في سورة الواقعة في أولها انقسام الناس في القيامة الكبرى إلى سابقين، وأصحاب يمين، ومكذبين؛ وذكر في آخرها انقسامهم عند الموت؛ فقال رحمته الله: وهو القيامة الصغرى؛ كما قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «من مات فقد قامت قيامته»^(٤) وكذلك قال علقمة^(٥)، وسعيد بن جبير^(٦) عن ميت: «أما هذا

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٥١١) ومسلم (٢٩٥٢).

(٢) البداية والنهاية ط هجر (٣٢ / ١٩)

(٣) العاقبة في ذكر الموت (٢٥٤) لابن الخراط والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص: ٥٤٧).

(٤) رواه الدولابي في الكنى والأسماء (١٦٢٧) والطبري في تفسيره ط هجر (٤٦٨ / ٢٣) عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثُرَوَانَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عَلَاقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: «يَقُولُونَ الْقِيَامَةَ الْقِيَامَةَ، وَإِنَّمَا قِيَامَةُ أَحَدِكُمْ مَوْتُهُ»

(٥) رواه الدولابي في الكنى والأسماء (١٦٢٦) والطبري في تفسيره ط هجر (٤٦٩ / ٢٣) وفي تهذيب الآثار (٧٩٧)، عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثُرَوَانَ، قَالَ صَلَّى عَلَقْمَةُ عَلَى جِنَازَةٍ، فَقَالَ: «أَمَا هَذَا فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ».

(٦) ذكره ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥ / ٤٠١)

فقد قامت قيامته»^(١)؛ أي صار إلى الجنة أو النار. وإن كان بعد هذا تعاد الروح إلى البدن، وتقعده بقبره اهـ.^(٢)

وفي الحلية لأبي نعيم بسند حسن قال بَشْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ السُّلَمِيُّ: خَطَبَ عُمَرُ -يعني ابن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، النَّاسَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَبْعُدَنَّ عَلَيْكُمْ، وَلَا يَطْوِلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَتْهُ مَنِيَّتُهُ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ قِيَامَتُهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنٍ، وَلَا يَعْتَبَ مِنْ سَيِّئٍ»^(٣)

تقوم الساعة على شرار الخلق:

وأخبرنا النبي ﷺ أن الساعة حين تقوم، تقوم على شرار الخلق، كما في صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ»^(٤).

وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما في حديث الدجال قال: وسمعت النبي ﷺ يقول: «فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِصَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ»^(٥) يعني يكونون في سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوات كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضًا كأخلاق السباع العادية.

(١) وقد روي مرفوعاً من حديث أنس بن مالك رواه ابن لال في مكارم الأخلاق - كما في الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس لابن حجر (٤٨٠) بسنده عن عنبسة بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن زاذان، عن أنس، مرفوعاً: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، فاعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة». وعنبسة وضاع، وشيخه متروك. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٤٦٢) (موضوع)

(٢) النبوات لابن تيمية (٧١١ / ٢)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣٢٥ / ٥)

(٤) صحيح مسلم (٢٩٤٩). وعلقه البخاري في صحيحه (٧٠٦٧) بلفظ: «مِنْ شَرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ».

(٥) صحيح مسلم (٢٩٤٠).

وفي صحيح الإمام مسلم أيضا عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ، اللَّهُ»^(١)

وفي رواية لأحمد «... حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢)

وفي رواية لمسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ، اللَّهُ»^(٣)

وفي رواية لابن حبان «... عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٤).

وهذا الحديث بمعنى الحديث السابق أن الساعة تقوم على شرار الخلق.

وفي صحيح البخاري عَنْ مِرْدَاسِ بْنِ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوْ التَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً»^(٥)

قال الحافظ: قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مَوْتَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَفِيهِ التَّدْبُّ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مُحَالَفَتِهِمْ خَشْيَةً أَنْ يَصِيرَ مَنْ خَالَفَهُمْ مِمَّنْ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ وَفِيهِ أَنَّهُ يَجُوزُ انْفِرَاضُ أَهْلِ الْخَيْرِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا أَهْلُ الشَّرِّ^(٦) هـ.

مناظرة عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر في هذا الحديث :

وقد جرت مناظرة بين عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وبين عقبة بن عامر رضي الله عنه في حديث: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ»، والتوفيق بينه وبين الحديث الوارد في الطائفة المنصورة. أخرجها الإمام مسلم في صحيحه^(٧) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ،

(١) المرجع السابق (١٤٨).

(٢) مسند أحمد (٣٣٢ / ٢١) رقم (١٣٨٣٣)

(٣) صحيح مسلم (١٤٨).

(٤) صحيح ابن حبان (٦٨٤٨)

(٥) صحيح البخاري (٦٤٣٤)

(٦) فتح الباري لابن حجر (٢٥٢ / ١١) وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٥٨ / ١٠)

(٧) وقد أشار إلى هذه المناظرة الحافظ في الفتح (٧٧ / ١٣) وعزاها للحاكم، وفاته في هذا الموضع أنها في =

قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ»، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله، يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه: أَجَلٌ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(١)

ذكر حديث الطائفة المنصورة وبيان عدم معارضته للحديث السابق:

قلت: وحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه المذكور حديث متواتر النقل عن النبي صلَّى الله عليه وآله فقد رواه جماعة من الصحابة غير عقبة رضي الله عنه ومنهم:

(١) المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وحديثه رواه الشيخان في صحيحيهما عنه رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله يَقُولُ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(٢)

(٢) ورواه أيضا من حديث معاوية رضي الله عنه أنه قال عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، وفي رواية: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)

ورواه مسلم أيضا من حديث: ثوبان وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

صحيح مسلم، لكنه ذكرها بعد ذلك في الفتح (٢٩٤/١٣) وعزاها لمسلم.

(١) صحيح مسلم (١٩٢٤) ووهم الحاكم فاستدركه (١٤٠٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩) وصحيح مسلم (١٩٢١) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري (٣١١٦، ٧٤٦٠) وصحيح مسلم (١٠٣٧)

- (٣) فأما حديث ثوبان رضي الله عنه فلفظه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١)
- (٤) وأما حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه فقلوه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢)
- (٥) وأما حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه فلفظه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)
- (٦) وأما حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فقلوه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْعَرَبِ ^(٤) ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٥)

وجاء الحديث في غير الصحيحين أيضا:

- (٧) فرواه النسائي وأحمد عن سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذَالَ النَّاسُ الْحَيْلَ، وَوَضَعُوا السَّلَاحَ، وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «كَذَبُوا الْآنَ، الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، وَالْحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُوحَى إِلَيَّ أَيُّ مَقْبُوضٍ غَيْرِ مُلَبَّثٍ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَادًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَعَقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»^(٦)

- (٨) ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ بْنِ إِيَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّهُ

(١) صحيح مسلم (١٩٢٠)

(٢) المرجع السابق (١٩٢٢)

(٣) المرجع السابق (١٩٢٣)

(٤) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤/٤٤٦): قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: وَأَهْلُ الْعَرَبِ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ مُقِيمًا بِالْمَدِينَةِ فَمَا يَغْرُبُ عَنْهَا فَهُوَ غَرْبُهُ وَمَا يَشْرُقُ عَنْهَا فَهُوَ شَرْقُهُ... الخ.

(٥) المرجع السابق (١٩٢٥)

(٦) سنن النسائي (٣٥٦١) ومسنند أحمد (١٦٩٦٥). وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣٥).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١).

(٩) ورواه ابن ماجه وأحمد بسند حسن عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا» هذا لفظ ابن ماجه؛ ولفظ أحمد: «لَا يَزَالُ لِهَذَا الْأَمْرِ - أَوْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ - عِصَابَةٌ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا يَضُرُّهُمْ خِلَافٌ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ»^(٢)

(١٠) وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ» رواه أبو داود وأحمد وله في رواية: «... حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَيَنْزِلَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ»^(٣).

(١١) وعن أبي عنبَةَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ» رواه ابن ماجه وأحمد وصححه ابن حبان^(٤).

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٢١٩٢) وسنن ابن ماجه (٦) ومسند أحمد (١٥٥٩٦). وزاد الترمذي وأحمد في أوله: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ...». قال الترمذي: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - يَعْنِي الْبُخَارِي -: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ أَهْلُ وَقَالَ الترمذي: هذا حديث حسن صحيح أه وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٣) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١).

(٢) سنن ابن ماجه (٧) ومسند أحمد (٨٢٧٤). وحسنه الألباني في الصحيحة (١٩٦٢).

(٣) سنن أبي داود (٢٤٨٤)، ومسند أحمد (١٩٨٥١، ١٩٨٩٥، ١٩٩٢٠). وصححه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢٣٩٢، ٨٣٩١) على شرط مسلم. ووافقه العلامة الألباني في الصحيحة (١٩٥٩)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤). قلت: الحديث من رواية حماد بن سلمة عن قتادة عن مطرف عن عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحافظ في التهذيب يقول: قال الحاكم: لم يخرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة أه وعلى هذا فلا يقال إنه على شرط مسلم وانظر: التعليق على حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مبحث تتابع العلامات المتقدم

(٤) سنن ابن ماجه (٨) ومسند أحمد (١٧٧٨٧). وصحيح ابن حبان (٣٢٦)، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٤٢).

قلت: وأحق الناس بوصف الطائفة المنصورة المذكورة في هذه الأحاديث هم أهل الحديث كما نص على هذا أئمة السلف^(١).

(١) قال الإمام عبد الله بن المبارك: هُم عِنْدِي أَصْحَابُ الْحَدِيثِ. [رواه أبو طاهر السلفي في المشيخة البغدادية (ص: ٢٣) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٢٦) عن أبي بكر بن أبي داود، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَعْقُوبَ الطَّلَقَانِيِّ، أَوْ عَزِيْرُهُ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارِكِ بِهِ. وسنده صحيح لولا الشك عن الطالقاني]. وقال الإمام أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. [رواه الحاكم في المعرفة - ومن طريقه العلائي في إثارة الفوائد (٨٢/١) - وصحح إسناده الحافظ في الفتح. وأخرجه أيضا الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" (ص ٢٥ و ٢٧) من طريقين عن الإمام أحمد، وهو مشهور عن الإمام أحمد ذكره غير واحد من العلماء والشرح عنه]. وروي عن الحافظ الثقة - شيخ الإمام أحمد -؛ يزيد بن هارون الواسطي المخرج له في الكتب السنة: مثله. [رواه عنه - بسند ضعيف -، الرامهرمزي في المحدث الفاضل ت أبو زيد] (٢٥)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٢٦) وأبو القاسم قوام السنة في كتاب الحجة (٢٦٣/١) عند الحديث رقم ٩٩. وانظر فتح الباري (١٣/٢٩٣)، وقال إمام أهل عصره في الحديث والعلل علي ابن المديني - شيخ البخاري -: هم أصحاب الحديث. [رواه الترمذي عن البخاري عنه. انظر: سنن الترمذي (٤/٤٨٥) عقب حديث رقم (٢١٩٢)]. وقال الإمام البخاري: في صحيحه (٩/١٠١)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ» يُقَاتِلُونَ. وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ. وفي رواية عنه قال: هم أهل الحديث. [أسنده عنه قوام السنة في الحجة في بيان المحجة (١/٢٦٣)] وفي رواية أخرى عنه: وعنه أيضا: أنهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [كما في خلق أفعال العباد (ص ٦٠)]؛ وقال الحافظ الثقة أحمد بن سنان الواسطي (ت: ٥٥٩هـ): هُم أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ الْأَثَرِ. [رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٢٧) وأبو القاسم في الحجة (١/٢٦٣) بسند صحيح عنه]؛ وكل هذه التفاسير صحيحة فهي متفقة على أن المراد بهذه الطائفة: هم أهل العلم بالحديث والسنة. وهم كما قال ابن رجب: من حفظ الحديث وعلمه وعمل به، لا من اقتصر على طلبه [فضائل الشام "مجموع رسائل ابن رجب (٣/٢٢٠)]. وقال الحافظ أبو عبد الله الحاكم: - لما نقل تفسير الإمام أحمد المتقدم -: (وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ: مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحَقِّ فَلَقَدْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا الْخَبْرَ أَنَّ الطَّائِفَةَ الْمُنْصُورَةَ الَّتِي يُرْفَعُ الْخِذْلَانُ عَنْهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ هُمُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، وَمَنْ أَحَقُّ بِهَذَا التَّأْوِيلِ مِنْ قَوْمٍ سَلَكَوا مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ الْمَاضِيْنَ وَدَمَعُوا أَهْلَ الْبِدْعِ وَالْمُخَالَفِيْنَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ مِنْ قَوْمٍ آثَرُوا قَطَعَ الْمَفاوِزَ وَالْقَفَارَ عَلَى التَّنَعُّمِ فِي الدَّمَنِ وَالْأَوْطَارِ وَتَنَعَّمُوا بِالْبُؤْسِ فِي الْأَسْفَارِ، مَعَ مُسَاكِنَةِ الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ، وَقَنَعُوا عِنْدَ جَمْعِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ بِوُجُودِ الْكِسْرِ وَالْأَطْمَارِ، قَدْ رَفَضُوا الْإِحْتِدَادَ الَّذِي تَتَوَقَّأُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الشَّهْوَانِيَّةُ، وَتَوَابَعِ ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمَقَابِيْسِ وَالْأَرَآءِ وَالزَّيْجِ جَعَلُوا الْمَسَاجِدَ بِيُوتِهِمْ، وَأَسَاطِينَهَا تَكَاهُمْ، وَبَوَارِيهَا فُرُشَهُمْ... إلخ) [معرفة علوم الحديث] (ص ٢).

وهذه الأحاديث لا تعارض ما تقدم من قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ».

قال القاضي عياض رحمته الله: وقد قال الطبري رحمته الله: إنه لا تعارض بينهما؛ لأن المراد بهذا الخصوص ومعناه: لا تقوم الساعة على أحد يوحد الله إلا في موضع كذا، التي بها الطائفة المذكورة،^(١) وقيل: بل هذا في وقت دون وقت، وأن هذه الطائفة تبقى إلى حين قيام الساعة التي تقبض روح كل مؤمن، كما جاء في الحديث في الباب في كتاب مسلم: «ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا... فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»، فقد فسر في الحديث نفسه القصة، وجمع الحديثين، وأن أولئك يموتون بين يديها، فلا تقوم حينئذ إلا على شرار الخلق، ومن لا يؤمن بالله ا.هـ.^(٢)

وهذا الأخير هو الذي ارتضاه الحافظ فقال: هَذَا أَوْلَى مَا يُتَمَسَّكُ بِهِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ا.هـ.^(٣)

ويتأكد هذا الجمع بما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها - في صحيح الإمام مسلم أيضا- أن النبي ﷺ قال: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعَزَّى» قالت: فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٢٥] أن ذلك تامًا قال: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفِّي كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»^(٤).

(١) انظر: «تهذيب الآثار مسند عمر» للطبري (٢/ ٨٢٧ وما بعدها)

(٢) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٦/ ٣٤٩) وانظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٧٦٤)،

«فتح الباري لابن حجر» (١٣/ ٧٧، ٢٩٤)

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٩٤)

(٤) صحيح مسلم (٢٩٠٧).

وفي الصحيحين ^(١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ» وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِنَبَالَةٍ. ^(٢)

من أسماء يوم القيامة:

كثُرَ في كتاب الله تَعَالَى ذِكْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ مَا عَظُمَ شَأْنُهُ تَعَدَّدَتْ صِفَاتُهُ وَكَثُرَتْ أَسْمَاؤُهُ ... فَالْقِيَامَةُ لَمَّا عَظُمَ أَمْرُهَا وَكَثُرَتْ أَهْوَالُهَا سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِأَسْمَاءٍ عَدِيدَةٍ وَوَصَفَهَا بِأَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ» ^(٣).

فمن ذلك أن هذا اليوم العظيم يوم القيامة هو:

١- يوم الانشقاق

٢- ويوم الانفطار

٣- ويوم التكوير

٤- ويوم الانكدار

٥- ويوم الانتثار

٦- ويوم التسيير

٧- ويوم التعطيل

٨- ويوم التسجير

٩- ويوم التفجير

١٠- ويوم الكشط

١١- ويوم الطي

١٢- ويوم المد

(١) صحيح البخاري (٧١١٦) وصحيح مسلم (٢٩٠٦).

(٢) ينظر: «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة» (ص ٥٧١) للدكتور سليمان الديخي.

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط دار المنهاج (٥٤٤/٢).

وكل ذلك قد أخذه العلماء من الآيات الواردة في: سورة التكويد وفي سورة الانفطار وفي سورة الانشقاق. وقد جاء في سنن الإمام الترمذي رحمته الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»^(١)

وقال الترمذي: "حديث حسن" وحسنه العلامة الألباني رحمته الله^(٢)

فهذه السور الثلاث ذكر الله صلى الله عليه وسلم فيها أسماء وأوصافاً كثيرة لهذا اليوم.

١٣- كذلك جاء في كتاب الله صلى الله عليه وسلم تسمية هذا اليوم بالساعة، فهو يوم الساعة الموعود أمرها، ولِعَظْمِهَا أَكْثَرَ النَّاسِ السُّؤَالَ عنها كما في الآيات الكثيرة التي تقدم بعضها ومنها: قوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفَيْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]

يقول القرطبي رحمته الله: "الساعة: كلمة يُعَبَّرُ بِهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ عَنْ جُزْءٍ مِنَ الزَّمَانِ غَيْرِ مَحْدُودٍ، وَفِي الْعُرْفِ: عَلَى جُزْءٍ مِنْ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ... قال: وَسُمِّيَتْ بِهِ الْقِيَامَةُ إِمَّا لِقُرْبِهَا؛ فَإِنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونُ سُمِّيَتْ بِهَا تَنْبِيْهًا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْعِظَامِ..."^(٣)

١٤- ويسمى هذا اليوم العظيم أيضًا بيوم القيامة: كما قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمٍ أَقِيَمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة] واختُلف في تسميتها بذلك على أربعة أقوال: أحدها: لوجود هذه الأمور فيها.

والثاني: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٣).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٨١).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط دار المنهاج (٥٤٦/٢).

سِرَاعًا ﴿ [المعارج: ٤٣].

والثالث: قيام الناس لرب العالمين قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴿

[المطففين]

والرابع: لقيام الروح والملائكة صفاً قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴿٦﴾ ﴿

[النبأ: ٣٨]

١٥- كذلك هذا اليوم العظيم هو يوم النفخ في الصور، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ

فِي الصُّورِ ﴿ [الأنعام: ٧٣].

١٦- وهو يوم الزلزلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴿ [الحج]

١٧- ويوم الراجفة وهي النفخة الأولى كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ ﴿

تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ ﴿ [النازعات].

١٨- ومنها: تسميته بيوم الناقور كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴿ فَلَئِكَ يَوْمَئِذٍ

يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ [المدثر]. يعني ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿٩﴾ ﴿ فذلك يومئذ يوم شديد.

١٩- ومنها: القارعة، وسُميت بذلك لأنها تترع القلوب بأهوالها.

٢٠- ومنها: يوم البعث، والبعث حقيقته: إثارة الشيء عن خفاء، فهو يوم البعث

كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

٢١- ومنها: يوم النشور، وهو عبارة عن الإحياء، فهو يومٌ يُخْرِجُ اللَّهُ ﴿١٠﴾ ﴿ فيه الناس

من قبورهم. ولذلك سُمِّيَ أيضًا:

٢٢- بيوم الخروج قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴿ [المعارج: ٤٣]

٢٣- وسُمِّيَ أيضًا بيوم الحشر، وهو اليوم الذي تُجْمَعُ فيه الخلائق إلى الله سبحانه،

وتُسَاقُ إِلَى اللَّهِ ﴿١١﴾ ﴿.

٢٤- وجاء في القرآن وَصَفُهُ بيوم العرض:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ عُدِّبَ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنَّ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ»^(١). فسُوقُ الْعَبْدِ بين يدي الله، وتُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ عَمَلًا عَمَلًا، فيقال: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ نسأل الله ﷻ أن يرحمنا. كما في الصحيحين عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرَزِ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخَذَ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي التَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود]^(٢)

٢٥- ومنها: أنه يوم الجمع كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] وكما قال تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

٢٦- ومنها: يوم التفرق، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَفُورُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٦].

٢٧- ومنها: يوم الفزع، وحقيقته فزع ضعف النفس عن حمل المعاني الطارئة؛ ففي هذا اليوم تفزع الخلائق، وتخاف، فهو يوم الفزع الأكبر.

٢٨- ومنها: يوم التناد كما قال ﷺ: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

اللَّهُ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴿غافر﴾.

٢٩- وهو يوم الدعاء أي: يوم النداء، يومٌ تحصل فيه نداءات عدة، فينادي الله أهل الجنة، وينادي أهل الجنة أهل النار أهل الجنة يستغيثون بهم، ويدعو الله ﷻ كل أناسٍ بإمامهم يوم القيامة.

٣٠- ومنها: أنه يوم الواقعة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿النمل﴾.

٣١- وهو يوم الحساب والجزاء، فيعدّد الله فيه على الخلائق أعمالهم من إحسان وإساءة.

٣٢- وهو يوم السؤال كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَّيْكَ لَسَّنَتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿الحجر﴾.

٣٣- ومنها: أنه يوم الجدال قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ ﴿النحل: ١١١﴾.

٣٤- ومنها: أنه يوم القصاص.

٣٥- ويوم الحاقة.

٣٦- ويوم الطامة، ومعناها: الغالبة.

٣٧- ومنها: أنه يوم الصّاحّة أي: النفخة الأولى تكون فيه والثانية.

٣٨- ومنها: يوم الوعيد.

٣٩- ومنها: أنه يوم الدين أي: يوم الجزاء والحساب كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نُجْزِيْ

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ ﴿غافر: ١٧﴾.

٤٠- ومنها: أنه يوم الندامة والحسرة قال تعالى: ﴿ وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ﴿مريم:

٤١- ومنها: وصفه بأنه يوم الآزفة - سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِفْتِرَابِهِ- قال تعالى: ﴿ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ ﴾ [غافر: ١٨]، أي يوم القيامة القريب، وقال تعالى: ﴿ أَزْفَتِ الْأَزْفَةُ ﴾ ﴿ [النجم].

٤٢- ومنها: أنه يوم المآب.

٤٣- ويوم المصير

٤٤- ويوم القضاء والحكم والفصل

٤٥- ويومٌ توزن فيه الأعمال.

٤٦- ووصفه الله ﷻ بأنه عقيم: فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ عَقِيمٍ ﴾ ﴿ [الحج]

٤٧- وأنه ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ ﴿ [المدثر]

٤٨- و ﴿ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ ﴿ [هود]

٤٩- وهو ﴿ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩] لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله، أهل الهدى تغبن أهل الضلالة، فلا غَبْنُ أعظم منه، فريق في الجنة وفريق في السعير.

٥٠- وجاء وصفه بأنه يوم عبوس قمطير، والقمطير هو الشديد، وقيل: الطويل. والعبوس: هو الذي يُعَبَسُ فيه.

٥١- ومنها: أنه يوم تبلى فيه السرائر. ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ ﴿ [الطارق]

٥٢- ويوم ﴿ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ ﴿ [الانفطار]

٥٣- ويوم ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ ﴿ [الطور: ١٣]، أي يسحبون إليها ويدفعون إليها دفعا، ويساقون إليها سوقا عنيفا، ويجرون على وجوههم كما قال ﷻ عن الكفار ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ ﴿ [القمر: ٤٨]

٥٤- ومنها أنه يوم ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ﴿ [النور].

٥٥- ومنها أنه يومٌ ﴿ تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ ٤٣ ﴾ ﴿ [إبراهيم] أي: لا يغمض فيه من هول ما ترى في ذلك اليوم.

٥٦- ومنها: أنه يومٌ قال فيه ربنا تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ٢٥ ﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فِيعْتَذِرُونَ ٣٦ ﴾ [المسلمات].

٥٧- ومنها: أنه يومٌ لا ينفع فيه الظالمين معذرتهم وتحسُّرهم كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ٥٢ ﴾ [غافر: ٥٢]

٥٨- ومنها: أنه يوم لا يُكْتَمُ فيه عن الله حديثٌ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ٤٢ ﴾ [النساء]

٥٩- ومنها: أنه ﴿ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ٤٣ ﴾ [الروم: ٤٣، الشورى: ٤٧]

٦٠- ومنها: أنه يومٌ تبييضٌ فيه وجوهٌ، وتسودٌ فيه وجوهٌ، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوِدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ١٦ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧ ﴾ [آل عمران].

فتبييضٌ فيه وجوهُ أهل الحق والهدى، وتسودٌ فيه وجوهُ أهل الباطل والردي^(١). قال الإمام الطبري رحمته الله: وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين: أحدهما سودًا وجوهه، والآخر بيضًا وجوهه. فمعلوم - إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان - أن جميع الكفار داخلون في فريق من سود وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون

(١) وروى في الباب أحاديث وآثار - لا تصح -، ومنها أثر ابن عباس رضي الله عنهما المشهور أنه قال: «تبييضٌ وجوهُ أهل السنَّة والجماعة. وتسودُّ وجوهُ أهل البدع والضلالة» رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٥٠)، وإسناده ضعيف جدا. فانظر: - غير مأمور -، تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع (ص: ٥٤) للمحدث محمد عمرو بن عبد اللطيف رحمته الله.

في فريق من بِيض وجهه اهـ^(١)

٦١- ومنها: أنه يوم الغاشية كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ۗ ﴾ [الغاشية] أي التي تغشى الناس بأفراعها وتغمهم، وتغشى الكفار بالنار، وتحيط بهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

٦٢- ومنها: يوم الخلود كما قال تعالى: ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۗ ﴾ [ق] فهذا اليوم العظيم اشتهر بهذه الأسماء والأوصاف الكثيرة^(٢).
وهذه الأسماء والأوصاف التي وردت في كتاب الله لو تأملها الإنسان وتدبرها ووقف عند كلٍّ منها لعرفَ عظمةَ هذا اليوم العظيم.

نسأل الله ﷻ أن يرحمنا برحمته، ونسأله سبحانه أن يُحيينا على الإسلام، وأن يتوقانا على الإيمان، وأن يدخلنا الجنة بسلام، وأن يعيذنا من النار؛ إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، والله تعالى أعلم.



(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٦٦٦/٥)

(٢) انظر سرد أسماء وصفات يوم القيامة في التذكرة للقرطبي، ط دار المنهاج (٥٤٦/٢-٥٧٩).



الإيمان بأشراط الساعة

المجلس الثاني والعشرون^(١)

أشراط الساعة:

مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر - كما تقدم - الإيمان بأشراط الساعة؛ فإنها من مقدمات يوم القيامة. والحديث عن أشراط الساعة، حديث ترغب إليه النفوس، وتشتاق إليه؛ لأنه من علوم الغيب التي أخبرنا عنها النبي ﷺ، والنفوس عادةً تتشوّف إلى معرفة الغيب وما سيقع في المستقبل، وهذا الباب لا يخوضه الإنسان إلا عن طريق الوحي الذي جاءنا عن ربنا ﷻ وبيّنه لنا نبيّنا ﷺ.

تعريف أشراط الساعة:

الأشراط جمع شَرَطَ بالتحريك وهو العلامة، ويقال: أشراط الشيء أوائله، ومنه: شَرَطَ السلطان وهم: نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم^(٢). فالشَرَطُ هنا المقصود به العلامة؛ فأشراط الساعة هي علامات القيامة التي تسبقها وتدلُّ على قُربها.

أشراط الساعة صغرى وكبرى:

وهذه العلامات قسّمها العلماء رَحْمَهُمُ اللهُ إلى أقسام:

- فمنهم من قسّمها إلى علامات صغرى وعلامات كبرى.
- ومنهم من قسّمها إلى علامات قد وقعت وانتهت، وعلامات وقعت وهي باقية، وعلامات تقع حيناً بعد حين، وعلامات لم تقع بعد.
- ومنهم من قسّمها إلى علامات أرضية، وعلامات سماوية.

وكلُّ هذه التقسيمات هي من باب التقريب. وأشهرُ ما اشتهر عند الناس تقسيمها إلى علامات صغرى وعلامات كبرى.

(١) كان في يوم الأربعاء العشرون من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (٤٢٠/٢).

ذكر العلامات الكبرى:

وذكر العلماء أن علامات الساعة الكبرى هي - في الأشهر - ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم من حديث حذيفة الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ» فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالذَّجَالَ، وَالذَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ. وجاء الحديث أيضًا بلفظ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَالذُّخَانَ، وَالذَّجَالَ، وَذَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ». وَالْعَاشِرَةُ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. ^(١)

وكذلك جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ أَوْ الذَّجَالَ أَوْ الذَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ العَامَّةِ» ^(٢). فهذان الحديثان أخذ منهما العلماء ما يتعلق بعلامات الساعة الكبرى.

تتابع العلامات الكبرى عند ظهورها:

وهذه العلامات إذا ظهرت تظهر متتابعة، وتكون الساعة على إثرها. كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجَ الذَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا، فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا» ^(٣). وفي المسند عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكِ، فَإِنْ يُقَطِّعُ السِّلْكَ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا» وسنده ضعيف ^(٤) وله شاهد عند الحاكم في المستدرک عن أنس رضي الله عنه أن رسول

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

(٢) المرجع السابق (٢٩٤٧).

(٣) المرجع السابق (٢٩٤١).

(٤) أخرجه أحمد (٧٠٤٠) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسَلِّكَ، فَإِذَا انْقَطَعَ السَّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١) وشاهد آخر عند ابن حبان والطبراني من حديث أبي هريرة مرفوعاً «خُرُوجُ الْآيَاتِ بَعْضُهَا عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ، يَتْتَابِعْنَ كَمَا تَتَّبَعُ الْخُرَزُ فِي النَّظَامِ»^(٢). يعني: كالعقد من الجوهر إذا خرج منه خرزةً تبعها الباقي. لكنه حديث معل^(٣).

فحمل العلماء ما دلت عليه هذه الأحاديث على علامات الساعة الكبرى التي يتبع بعضها بعضاً. فهذه هي العلامات الكبرى.

ذكر العلامات الصغرى:

أما العلامات الصغرى فهي علامات كثيرة جاءت بها الأحاديث عن النبي ﷺ.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٦٣٩) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. اهـ وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (٤/٣٦١): وافقه الذهبي، وهو كما قالوا. اهـ قلت: الصواب أنه ليس على شرط مسلم، فقد رواه الحاكم من طريق موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس. وهو وإن كان رجاله رجال مسلم، إلا أن فيه علة وهي أن حميداً مدلس وقد عنعن وقد احتل بعض أهل العلم عنعنته كما قال العلاءي لأنه يروي عن ثابت عن أنس ما لم يسمعه منه. والصحيح أنه يتوقف فيما رواه معنعنا فإن الوسطة بينه وبين أنس ليس هو ثابتاً البناني فحسب، بل قد تكون الوسطة قتادة، وهو مدلس أيضاً، وقد يكون غيره، كما في مقدمة "الفتح" (ص ٣٩٩) قال الحافظ: (كان يدلس حديث أنس، وكان سمع أكثره من ثابت وغيره من أصحابه عنه) اهـ. ولذا فإن البخاري لم يخرج حميد في صحيحه إلا بما صرح فيه بالسماع، كما في الفتح (١٠/٤٩٠). فالإسناد ضعيف، لكن يشهد له حديث عبد الله بن عمرو السابق. ثم إن رواية حماد عن حميد ليست على شرط مسلم. وقد نقل الحافظ في التهذيب عن الحاكم نفسه أنه قال: لم يخرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة. اهـ قلت: ويستثنى من ذلك حديث أبي قتادة رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ فَعَرَسَ بِلَيْلٍ، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ» فقد رواه مسلم (٦٨٣) في الأصول من طريق حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبد الله، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة به.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨٣٣) والطبراني في الأوسط (٤٢٧١).

(٣) قال الدارقطني في العلل (١٠/٣٧) رقم (١٨٣٨) يرويه هشام بن حسان، وقد اختلّف عنه، فرّواه أبو الربيع الزهراني، عن أبيه، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة. وهم فيه وإنما رواه هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين، عن أبي العالبيّة من قوله. اهـ قلت: رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٥٠٧) رقم (٣٧٦١٠) قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا هشام، عن حفصة، عن أبي العالبيّة، قال: «مَا بَيْنَ أَوَّلِ الْآيَاتِ وَآخِرِهَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ تَتَابَعُ كَمَا تَتَابَعُ الْخُرَزُ فِي النَّظَامِ»

وقبل أن نشير إلى بعض هذه العلامات نريد أن نتكلم عن مسألتين مهمتين:

أهمية الإيمان بأشراط الساعة:

المسألة الأولى: ما يتعلق بأهمية الإيمان بأشراط الساعة. يقول الله ﷻ: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨] والمعنى كما يقول المفسرون: "جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها"^(١).

فالإيمان بأشراط الساعة هو من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الإيمان، وركن من أركان الإيمان، فلا يكون المؤمن مؤمناً باليوم الآخر حقاً حتى يؤمن بما جاءنا في ديننا وبما صحَّ من هذه الأخبار؛ فإن هذا يثبت الإنسان ويزيده إيماناً وحرصاً. والإيمان بأشراط الساعة يتعلق بالإيمان باليوم الآخر؛ لأن هذه الأشراط هي مقدمات وعلامات لذلك اليوم.

والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها:

تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كي لا يباغتوا بالحوّل بينهم وبين تدارك ما فرطوا فيه. فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانفطموا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها^(٢).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والحكمة في تقديم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد"^(٣). وبهذا يتبين لنا ما يتعلق بأهمية الإيمان بأشراط الساعة.

من ثمرات الإيمان بأشراط الساعة:

١- أن فيه تحقيقاً للإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ؛ لأنه تصديق بالله وتصديق برسوله ﷺ.

٢- وفيه تحقيقٌ للإيمان باليوم الآخر،

٣- وهو أيضاً من الإيمان بالغيب الذي وصف الله ﷻ عباده المؤمنين بأنهم يؤمنون

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠٦/٢١).

(٢) ينظر: التذكرة للقرطبي (ص ١٢١٧).

(٣) فتح الباري (٣٥٠/١١).

به وبالآخرة هم يوقنون.

٤- وفيه أيضاً علم من أعلام نبوة النبي ﷺ فنحن إذا رأينا هذه العلامات التي أخبر عنها النبي ﷺ وتحقق كثير منها فإن ذلك يكون دليلاً لنا على صدق نبينا ﷺ.

٥- وفيه أيضاً تثبيتٌ للمؤمنين وزيادةً ليقينهم وإيمانهم.

وتأملوا قول الحق ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ٥١﴾ [الأحزاب].

فإنه لما رأى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مقدّم الأحزاب وقتالهم للمسلمين تذكروا ما أخبرهم به النبي ﷺ من الوعد بالنصر عقب الابتلاء، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَزُكِّرُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ وَهَذَا هُوَ الْبِتْلَاءُ.

ثم جاء الوعد بعده بالنصر ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

فزادهم ذلك إيماناً وثباتاً وطمانينةً.

قال ابن كثير ﷻ: أَي هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ وَالْإِمْتِحَانِ الَّذِي يَعْقِبُهُ النَّصْرُ الْقَرِيبُ اهـ^(١)

يقول العلامة التوحيدي ﷻ: "وظهور المعجزات بعد زمان النبوة، ولا سيما في هذه الأزمان البعيدة من زمنه ﷺ، مما يزيد المؤمنين إيماناً به، وتصديقاً بما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب الآتية مما لم يقع بعد"^(٢).

٦- كذلك من أعظم الثمرات للإيمان بهذه العلامات: المسارعة إلى التوبة والإنابة إلى الله.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ذلك - كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم - فقال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ أَوْ الدَّجَالَ أَوْ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»^(٣).

فتأملوا قوله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ»

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/٣٩٢)

(٢) إتخاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٧/١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

أي: اجتهدوا في الأعمال الصالحة قبل ظهور ست علامات، فذكرها، وقوله ﷺ: «خَاصَّةً أَحَدِكُمْ» يعني: حادثة الموت التي تخص كل إنسان يعني قبل أن يأتيك الموت. وقوله ﷺ: «وَأَمْرَ الْعَامَّةِ» أراد بالعامية أي: قيام الساعة. فبادر قبل أن تموت، وبادر قبل أن تقوم الساعة، وبادروا قبل طلوع الشمس من مغربها. وبادروا بالأعمال الصالحة والزموها وقت الفتن؛ فإن النبي ﷺ يقول أيضاً: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ»^(١) كَهَجْرَةِ إِيٍّ^(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ بوقوعها وحصولها، وذلك من أمارات الساعة وعلاماتها. فالعبادة في زمن الفتن من الأمور التي تقي الإنسان من الوقوع في الردى، وتقيه من الانخراط مع أصحاب الفتن. والله ﷻ يقول: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] فأعظم ما يُستعان به في هذه الأزمان المتأخرة على الفتن طاعة الله ﷻ.

ومن ثمرات الإيمان بأشراط الساعة: الاضطراب على العلم والتعلم؛ فإن تعلم أشراط الساعة أمرٌ مقصود شرعاً؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحدث الناس بأشراط الساعة ويخبرهم بما سيقع، ويحثهم على معرفة ذلك، فكان يحدثهم عن الدجال، ويخبرهم بأمره وبعلاماته، ويُعرفهم بشأنه، ويقول لهم: «مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ قَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْتَبِهُوا»^(٣)، هكذا كان يُرعب ويحثُّ الناس على ذلك.

ولهذا فإن من واجب العلماء أن يُعلِّموا الناس هذا العلم، ويعرفوهم به، ويخبروهم بما أخبر به النبي ﷺ، وأن يحثوهم على الثبات على العلم؛ فإن العلم والإيمان يعصمان الإنسان من الوقوع في الفتن.

وقد كان من أعظم المثبتات للصحابة في زمن الفتنة، حين خرج الخوارج ما أخبرهم به النبي ﷺ من علاماتهم: فقال لهم ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى

(١) الهرج: الفتن.

(٢) تقدم في المجلس الأول.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

صِيَامِهِمْ بَيْتِي، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يُحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تَجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، ثم أخبرهم ﷺ بعلامة فيهم فقال «وَأَيُّهُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلْمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ»، فحدث بذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس فلما قُتِلَ من قُتِلَ من الخوارج وانتصر عليهم الصحابة، قَالَ لَهُمْ عَلِيُّ رضي الله عنه: التَّمَسُّوا فِيهِمُ الْمُخَدَّجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيُّ رضي الله عنه بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخْرَوْهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا بِي الْأَرْضِ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ، وَبَلَغَ رَسُولُهُ ^(١).

وحدث أبو سعيد الخدري بمثل ما حدث به علي رضي الله عنه وكان يقول: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَمَسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي نَعْتُهُ ^(٢). فكان هذا تثبيتاً للمؤمنين على الحق زمن تلك الفتنة.

وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم ما يحدِّثهم به، ويسألونه، ويستفسرون.

وتأملوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم عن أيام الدجال وأنها ستكون أربعين يوماً قال لهم: «يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قالوا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي هو كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ فقال: «لَا، أَقْدَرُوا لَهُ قَدْرَهُ» ^(٣) فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يُعَلِّمُ النَّاسَ وَيُحِثُّهُمْ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ.

٧- وكذا القراءة في أشراف الساعة وتعلُّمها فيه بشاراً لكل مؤمن:

فحينما تقرأ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَّلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» ^(٤) تزداد ثباتاً و يقينا وطمأنينة بأن الحق باق

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤/١٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥) من حديث النواس بن

سمعان رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه.

ومنصور إلى قيام الساعة.

وكذلك حين تقرأ ما وعد الله ﷺ به المؤمنين إذا لقوا عيسى بن مريم عليه السلام، وما سيكون لهم من الخير بانتشار الإسلام وكسر الصليب وقتل الخنزير. فقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم عن زمان نزول عيسى عليه السلام؛ - فقال: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ - وهي الشياح المصبوغة بالصفرة-، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصْبَهُ بَلَلٌ، فَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، [ثُمَّ تَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالتَّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالدَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَاتِ، لَا تَصْرُهُمْ] فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّى فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ» ^(١)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» وفي رواية لمسلم: «... وَلَتُتْرَكَ الْقِيْلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُونَ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ» ^(٢) وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ طَالَتْ بِي حَيَاةٌ أَنْ أُدْرِكَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجَلَ بِي مَوْتُ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيُقِرَّهُ مِنِّي السَّلَامَ» ^(٣)

وتطمئن نفسك وتفرح حين تقرأ أنه لن يبقى في الأرض مكان إلا ويدخله الإسلام

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤) وأحمد (١٥٣/١٥٣/٩٢٧٠) وابن حبان (٦٨١٤) -والزيادة لهما- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٢، ٢٤٧٦، ٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥)

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٣/٣٥٠/٧٩٧١) وغيره موقوفا ومرفوعا، والموقوف هو الصواب. كما نبه على هذا الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٥٦٤). وللمرفوع شاهد في المستدرک (٨٦٣٥) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَلْيُقِرَّهُ مِنِّي السَّلَامَ» وجود إسناده الشيخ العلامة الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢٣٠٨) والصواب أنه حديث ضعيف وانظر: تحقيق المستدرک لشيخنا العلامة مقبل الوادعي رحمته الله.

بعزّ عزيزٍ أو يدُلّ ذليلٍ، كما في المسند عن تميم الداربي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزٌّ عَزِيزٌ أَوْ بَدُلٌّ ذَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُدُلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِبِيُّ، يَقُولُ: «قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرْفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّعَارُ وَالْحِزْيَةُ»^(١)

وفي المسند أيضا عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه، يقول: سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ، وَلَا وَبْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بَعِزٌّ عَزِيزٌ أَوْ ذُلٌّ ذَلِيلٌ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا»^(٢)

فهذا كله يزيد المؤمن إيمانا وثباتا وطمأنينة.

الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب:

والإيمان بأشراط الساعة هو من الإيمان بالغيب وقد نبّه العلماء في هذا الباب: على جملة من القواعد والضوابط التي ينبغي على المسلمين أن يتنبهوا لها؛ لأن الخوض في أشراط الساعة بغير علم يؤدي بالناس إلى فتنة عظيمة.

ضوابط وقواعد في باب أشراط الساعة:

من هذه القواعد التي نبّه عليها العلماء -ومن جمعها وتكلم عليها الشيخ الدكتور محمد بن غيث حفظه الله- في كتابه "أحاديثُ أشراط الساعة وفقهها". فمنها:

١- أن هذا الباب بابٌ غيبيٌ توقيفي:

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، والحاكم (٨٣٢٦)، وصححه على شرط الشيخين وتعقبه شيخنا الوادعي فقال: سليم بن عامر لم يخرج له البخاري في الصحيح وكذا صفوان بن عمرو. اهـ وقال العلامة الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص ١٥٨): إنما هو على شرط مسلم فقط. اهـ وهو ينطبق على سند الإمام أحمد وانظر "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٢).

(٢) رواه أحمد (٢٣٨١٤)، وابن حبان (٦٦٩٩، ٦٧٠١) والحاكم (٨٣٢٤)، وصححه على شرط الشيخين وتعقبه شيخنا الوادعي فقال: سليم بن عامر لم يرو له البخاري في الصحيح ومحمد بن شعيب بن شابور لم يخرج له. اهـ وقال العلامة الألباني في تحذير الساجد (ص ١٥٩): إنما هو على شرط مسلم فقط. اهـ وهو ينطبق على سند الإمام أحمد. وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٣٦).

فيجب الاقتصار فيه على النصوص الشرعية في الاستدلال، فلا ينبغي أن يقال: "هذا من أشرط الساعة أو هذا من علاماتها" بغير دليل شرعي، بل يجب على المسلم الرجوع في ذلك إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ فما حدث به النبي ﷺ وصح عنه حدثنا به وعرفنا وعلى هذا فيجب التحقق من ثبوت النص الشرعي. وقد انتشر بين الناس أحاديث كثيرة في أخبار الغيب وعلامات الساعة، فيجب على المسلم أن يجتنب الأحاديث الموضوعة والأحاديث المكذوبة والأحاديث الضعيفة، ولا يستدل إلا بما صح وثبت عن النبي ﷺ.

٢- كذلك يجب علينا أن نتحقق من معنى النصوص الشرعية:

فإذا تأكدنا من أن هذا الحديث صحيح وثابت عن النبي ﷺ وجب أن نتأكد أيضاً من فقهه وكيف فسره العلماء. فمن أين نستقي فقه هذه الأحاديث؟ من كلام السلف، فنرجع إليهم وإلى كلامهم، ونستضيء به ونعرف ما المقصود بهذا الحديث؛ حتى لا يأتي إنسان مثلاً فيفسر لنا بعض آيات القرآن أو يفسر لنا بعض أحاديث النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام بأشياء من عنده ومن مخيلته حتى إن بعض هؤلاء قد خرجوا بكلام الله وبكلام رسوله ﷺ عن دلالته الشرعية.

٣- أن يكون تنزيل النص على الواقعة عارياً من التكلف:

إذ مما كثر في هذا الزمان أنه كلما حدثت فتنة برز لنا أناس وقالوا: هذه أخبر عنها الله ﷻ في قوله تعالى كذا أو جاء الخبر عنها عن النبي ﷺ بكذا، فتجده يتكلف جداً في حمل النصوص وليّ النصوص لينزلها على أمور الواقع، ظناً منه أنه بذلك يكون داعياً إلى الله أو إلى رسوله ﷺ، وهذا من الخطأ؛ ولهذا فإن الواجب في هذا الباب أن يرجع فيه إلى أهل العلم، ولا يحق لأحد أن يتكلم بلا علم ولا بينة وأن يفسر الحوادث بتكلف كما في حادثة كورونا وغيرها مثلاً، فلا يحق لأحد أن يقول هذه أخبر عنها النبي ﷺ، ويُنزّل عليها بعض الأحاديث بلا علم وبلا بينة وبلا بصيرة.

٤- مراعاة ألفاظ الشريعة ودلالاتها: وهذا يتعلق بالمعاني أيضاً، فمثلاً ورد في

الأحاديث النبوية وصُفَّ الدجال بأنه المسيح وورد أيضًا وصُفَّ عيسى بن مريم بأنه المسيح، فيأتي بعض الناس فيقول: لا، لا بُدَّ أن نفرِّق، فنقول: المسيح بالخاء للدجال، والمسيح لعيسى بن مريم عليه السلام! فنقول لهذا وأمثاله: هل جاء النص بذلك؟ ولهذا ينبغي أن يُراعى في ذلك الألفاظ الشرعية ولا يتعدى عليها.

٥- أنه ليس كل ما قيل عنه أنه من أشرط الساعة فهو من الأمور المحرمة:

لأن بعض الناس يفهم أنه إذا قيل هذا من أشرط الساعة أن هذا حرام، والجواب أن الأمر ليس كذلك؛ لأن هناك بعض الأمور يكون ظهورها من أشرط الساعة، ولا علاقة لها بالتحريم: كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»^(١) فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بعثته من أشرط الساعة. وكذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من أشرط الساعة وأماراتها التطاول في البنيان وأن يأتي -العالة رعاة الشاة- يتطاولون في البنيان^(٢) يعني أنهم يبنون بنيانًا فاخرًا وغير ذلك بعد أن كانوا فقراء، فكون ذلك علامة لا يقتضي أنه محرّم، ولكنه أمر مباح سيتوسع الناس فيه، وسيظهر في آخر الزمان. فيعلم بهذا أن من أشرط الساعة ما هو محرّم، ومنها ما هو مكروه. ومنها ما هو مباح وكل يرجع فيه إلى العلماء وتفسيراتهم.

٦- كذلك ينبغي أن يُراعى في ذلك الزمان أو النسبة الزمنية عند كلام النبي صلى الله عليه وسلم فالله تعالى قد أخبرنا بأن الساعة قريب، وبأن هناك من أشرط الساعة ما وقع، وبأن الساعة تكاد تكون قريبًا، لكن تفسير هذا القرب ليس إيناء، فهو قريب بالنسبة لشيء آخر. فالنبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرنا أن الساعة قريب يعني بالنسبة إلى عمر الدنيا منذ أن كانت الدنيا وإلى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فما سيكون بعد ذلك أقل بكثير مما تقدم. فمثلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» فيه دلالة على أن بعثته من علامات الساعة وأنها قريبة من قيام الساعة مع أنّ بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أربعة

(١) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

(٢) وهو حديث جبريل المشهور، وقد تقدم في المجلس الخامس.

عشر قرناً أو خمسة عشر قرناً! لكن هذه القرون المتطاولة هي قليلة جداً بالنسبة إلى ما تقدّمها من الأمم السابقة؛ وبهذا تُفهم النصوص الشرعية ولا يعتدى عليها وعلى تفسيرها. فهذه بعض الأمور والتنبيهات التي نبّه عليها العلماء.

من أشراف الساعة الصغرى:

أما ما يتعلق بأشراط الساعة التي ذكرناها فمن أشراف الساعة العلامات الصغرى، فنورد رؤوس أقلام في هذا الباب من الأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ. فمن ذلك:

بعثته ﷺ:

بعثته ﷺ من أشراف الساعة كما تقدم معنا في قوله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وضمّ السبابة والوسطى^(١).

موته ﷺ:

كذلك من أشراف الساعة موتُ النبي ﷺ، وقد جاء في الحديث: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ،... ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظْلُ سَاحِطًا...» الحديث^(٢) فذكر أن موته ﷺ يعتبر من أشراف الساعة، وهو من أعظم المصائب التي وقعت على المسلمين، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(٣)

(١) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح بشواهده، رواه الدارمي (٨٦) وابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٢٧٥/٢) بسند صحيح عن عطاء مرسلا، ورواه الدارمي (٨٥) بسند صحيح عن مكحول مرسلا، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٦٧٠٠) بسند صحيح عن عبد الرحمن بن سابط مرسلا، ووصله ابن بي خيثمة في أخبار المكيين من تاريخه (٢٦٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٦٧/٧) رقم (٦٧١٨) عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه، وسنده ضعيف. وروي من حديث ابن عباس -عند البيهقي في شعب الإيمان (٩٦٧٧)-، ومن حديث بريدة -رواه ابن السني (٥٨٢) ومن حديث عائشة رواه ابن ماجه (١٥٩٩) وأسانيدها ضعيفة. فالحديث بمجموعها حسن. انظر: السلسلة الصحيحة (١١٠٦)

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ»، ثم قال: «مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»^(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا عَدَا وَارَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي التُّرَابِ، فَأَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا. رواه البزار وجود إسناده الحافظ.^(٢)

وَمَا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه فِي رِثَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:
لَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قَيْلٍ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأَضَحَّتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ^(٣)

فتح بيت المقدس:

كذلك من أشرط الساعة فتح بيت المقدس - كما تقدم في الحديث. وقد وقع ذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة خمسة عشر^(٤). - نسأل الله ﷻ: أن يكرم المسلمين بالعودة إلى دينهم واسترجاع مقدساتهم، وأن يخلص المسجد الأقصى من يد العابثين.

استنفاضة المال والاستغناء عن الصدقة:

كذلك مما أخبر عنه النبي ﷺ في الحديث المتقدم أنه من أشرط الساعة «سْتِنْفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَطْلُ سَاخِطًا...» وهذا الفيض تحقق في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه. قال شيخ الإسلام رحمته الله: ثُمَّ اسْتِنْفَاضُ الْمَالِ فِي خِلَافَةِ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ حَتَّى كَانَ أَحَدُهُمْ يُعْطَى مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا، وَكَثُرَ الْمَالُ حَتَّى كَانَتْ الْقُرُسُ تُشْتَرَى بِوَزْنِهَا هـ^(٥) وروى يعقوب بن سفيان - ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة:-

(١) أخرجه أحمد (١٣٨٣٠)، والترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١).

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار (٤٠٣/١) و «فتح الباري لابن حجر» (١٤٩/٨)

(٣) انظر: كتاب «الزهرة» لأبي بكر الأصبهاني (ص ١٥١) والاستيعاب لابن عبد البر (١٦٧٦/٤)

(٤) انظر: البداية والنهاية ط هجر (٦٥٥/٩).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٨٦/٦) وانظر: فتح الباري (٢٧٨/٦)

عَنْ عُمَرَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَطَّابِ، قَالَ: «إِنَّمَا وَلِيَّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَتَيْنِ وَنِصْفًا، ثَلَاثِينَ شَهْرًا، لَا وَاللَّهِ مَا مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِينَا بِالْمَالِ الْعَظِيمِ، فَيَقُولُونَ: اجْعَلُوا هَذَا حَيْثُ تَرَوْنَ فِي الْفُقَرَاءِ، فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يَرْجِعَ بِمَالِهِ يَتَذَكَّرُ مَنْ يَصْعَعُهُ فِيهِمْ فَلَا يَجِدُهُ فَيَرْجِعُ بِمَالِهِ، قَدْ أَغْنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّاسَ»^(١). قال البيهقي: وَفِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ تَصَدِيقُ مَا رُوِيَ فِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَيْنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَى الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً يَلْتَمِسُ مَنْ يَقْبَلُهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ»^(٢) اهـ.^(٣)

ونقل الحافظ في الفتح كلام البيهقي ورجحه^(٤).

وأما ما ورد في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلی الله علیه و آله: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ، فَيَفِضَ حَتَّى يَهُمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي»^(٥). فقال أبو عبد الله القرطبي رحمته الله: «هذا مما لم يقع»^(٦). ويحمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه وما ورد في معناه من الأحاديث^(٧)، بأن ذلك يكون في زمن كثرة المال وفيضه قرب قيام الساعة^(٨). ومن ذلك ما يكون عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، كما سيأتي.

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/٥٩٩) - (وتحرف عنده أسيد إلى أسيل) -، ودلائل النبوة للبيهقي (٦/٤٩٣)

ولم أقف على ترجمة عمر بن أسيد، والأثر جود إسناده الحافظ في الفتح (١٣/٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٣، ٣٥٩٥)

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٦/٤٩٣).

(٤) فتح الباري (٦/٦١٣)

(٥) أخرجه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧) واللفظ له.س

(٦) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ١٢٢٧)

(٧) انظر: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في صحيح البخاري (١٣١٤) ومسلم (١٠١٢)، وحديث حارثة بن

وهب رضي الله عنه في البخاري (١٣١١) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم (١٠١٢)

(٨) انظر: فتح الباري (٣/٢٨٢)

وقال الحافظ في الفتح: قَوْلُهُ: «وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ، فَيَفِيضَ...»
 التَّفْهِيمُ بِقَوْلِهِ «فِيكُمْ» يُشْعِرُ بِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى زَمَنِ الصَّحَابَةِ فَيَكُونُ إِشَارَةً إِلَى مَا
 وَقَعَ مِنَ الْفُتُوحِ وَاقْتِسَامِهِمْ أَمْوَالَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ «فَيَفِيضُ حَتَّى يُهَمَّ رَبُّ
 الْمَالِ...» إِشَارَةً إِلَى مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ... وَيَكُونُ قَوْلُهُ: «... وَحَتَّى
 يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ» إِشَارَةً إِلَى مَا سَيَقَعُ فِي زَمَنِ عَيْسَى بْنِ
 مَرْيَمَ فَيَكُونُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:
 الْأُولَى إِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ فَقَطْ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ فِيهِ «يَكْثُرُ
 فِيكُمْ»...

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ الْإِشَارَةُ إِلَى فَيْضِهِ مِنَ الْكَثْرَةِ بِحَيْثُ أَنْ يَحْصُلَ اسْتِغْنَاءُ كُلِّ أَحَدٍ عَنِ
 أَخْذِ مَالٍ غَيْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ وَأَوَّلِ عَصْرِ مَنْ بَعْدَهُمْ وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ:
 «يُهَمُّ رَبُّ الْمَالِ...» وَذَلِكَ يَنْطَبِقُ عَلَى مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
 الْحَالَةُ الثَّلَاثَةُ فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى فَيْضِهِ وَحُصُولِ الْإِسْتِغْنَاءِ لِكُلِّ أَحَدٍ حَتَّى يَهْتَمَّ صَاحِبُ
 الْمَالِ بِكَوْنِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَيَزِدَادُ بِأَنَّهُ يَعْرِضُهُ عَلَى غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ مِمَّنْ لَا
 يَسْتَحِقُّ الصَّدَقَةَ فَيَأْبَى أَخْذَهُ فَيَقُولُ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ وَهَذَا فِي زَمَنِ عَيْسَى عليه السلام وَيَحْتَمِلُ
 أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَخِيرُ [عند] خُرُوجِ النَّارِ وَاشْتِعَالِ النَّاسِ بِأَمْرِ الْحُشْرِ فَلَا يَلْتَفِتُ أَحَدٌ
 حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ بَلْ يَفْصِدُ أَنْ يَتَخَفَّفَ مَا اسْتَطَاعَ أ.هـ. (١)

وهذا الاحتمال الأخير قال عنه الحافظ قبل ذلك: وَهَذَا أَظْهَرُ الْإِحْتِمَالَاتِ وَهُوَ
 الْمُنَاسِبُ لِصَنِيعِ الْبُخَارِيِّ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أ.هـ. (٢)

الفتن بين يدي الساعة:

كذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم حيث قال صلى الله عليه وسلم:
 «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمُتُ كَافِرًا، أَوْ

(١) فتح الباري لابن حجر (٨٧/١٣-٨٨)

(٢) المرجع السابق (٨٢/١٣)

يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضِيحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

وقال عليه السلام: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ: وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يَهْمَ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ أَنْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقِحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيظُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»^(٢).

في هذا الحديث جملة من الأشراف ومنها الكبرى.

افتراق الأمة

ومن الفتن العظيمة التي أخبر عنها نبينا عليه السلام افتراق هذه الأمة وورد في ذلك أحاديث منها:

(١) حديث أبي هريرة رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» رواه الخمسة إلا النسائي وصححه ابن حبان والحاكم^(٣)

(١) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٢١) من حديث أبي هريرة رضي عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) واللفظ له، والترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (٨٣٩٦) وابن حبان (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، والحاكم (٤١، ٤٤١) وصححه على شرط مسلم، وليس كذلك فإن مسلما لم يحتج

بمحمد بن عمرو. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٣) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح (١٥٣)

(٢) حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَامَ فِينَا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم ^(١)

(٣) وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» رواه ابن ماجه ^(٢).

(٤) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتِ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ» رواه ابن ماجه وأحمد ^(٣).

(٥) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوِ التَّعْلِ بِالتَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رواه الترمذي والحاكم ^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) وأحمد (١٦٩٣٧) والدارمي (٢٥٦٠) والحاكم (٤٤٣). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢). وجود إسناده العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٩٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) وأحمد (١٢٤٧٩). وانظر تخريجه في السلسلة الصحيحة تحت الحديث (٢٠٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤٤) والحاكم (٤٤٤) بسند ضعيف ففي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف. والحديث حسن لغيره له شواهد، فالجملة الأولى لها شاهد من حديث ابن عباس وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (١٣٤٨) وحسن إسناده الألباني - وسيأتي (ص ٥٤) -. وجملة الافتراق صحيحة لها شواهد كثيرة وتقدم شيء منها. وزيادة «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». لها شواهد باللفظ والمعنى. ومنها: حديث =

قال شيخ الإسلام رحمته الله: من قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة اهـ^(١)

وقد تقدم معنا ذكر أحاديث الفرقة الناجية والطائفة المنصورة^(٢)، وهي الفرقة الباقية على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فالواجب على المسلم أن يستمسك بالكتاب والسنة وأن يلزم غرز السلف من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

قال العلامة الألباني رحمته الله: وإنّ مما يجب أن يعلم أن التمسك بما كانوا عليه - أي السلف - هو الضمان الوحيد للمسلم ألا يضل يمينا وشمالاً، وهو مما يغفل عنه كثير من الأحزاب الإسلامية اليوم، فضلاً عن الفرق الضالة اهـ^(٣)

أنس رضي الله عنه، رواه الطبراني في معجميه: الصغير (٧٢٤) والأوسط (٤٨٨٦، ٧٨٤٠) - ومن طريقه الجورقاني في الأباطيل والناكير والصحاح والمشاهير (٢٨٣)، والضياء المقدسي في المختارة رقم (٢٧٣٣) -؛ وبحشل في تاريخ واسط (ص ١٩٦) - وعنه العقيلي في الضعفاء -، من طريق عبد الله بن سفيان الواسطي، قال: ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟ قَالَ: «مَا كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي». وفي إسناده: عبد الله بن سفيان قال العقيلي: لا يتابع على حديثه... ليس له من حديث يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أصل، وإنما يُعْرَفُ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْرِيقِيِّ اهـ وهذه الزيادة هي بمعنى الرواية الأخرى «هِيَ الْجَمَاعَةُ» فالجماعة هي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ولذا قال الجورقاني: هَذَا حَدِيثٌ عَزِيزٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ، وَرَوَاتُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ أَنْبَأَتْ كَأَنَّهُمْ بُدُورٌ وَأَقْمَارٌ. ثم ذكر ما يشهد للزيادة بالمعنى فقال: وَقَدْ رَوَى، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ فِتْنَادَةَ، عَنِ أَنَسِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» قال: وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صَهْبِيٍّ، عَنِ أَنَسِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «وَهُوَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ» ... وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبِي أَمَامَةَ، وَوَائِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، وَعَمْرٍو بْنَ عَوْفِ الْمَزْنِيِّ، كُلُّهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَالُوا: «فِيهِ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» اهـ قال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٩): مفسراً «الجماعة» أي: الصحابة كما في بعض الروايات، وفي أخرى: «هِيَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». رواه الترمذي وغيره. وهو مخرج في المجلد الأول من "الصحيحة" اهـ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٤٦).

(٢) تقدم (ص: ١٨)

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٩)

اتباع اليهود والنصارى والمشركين:

وأخبر صلى الله عليه وسلم باتباع هذه الأمة لسنن اليهود والنصارى - كما في حديث عبد الله بن عمرو المتقدم-، وفي معناه أحاديث أخرى منها:

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرٍ ضَبَّ لَا تَبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» متفق عليه (١).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلِيكَ» رواه البخاري (٢) وفي رواية لأحمد: «وَأَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَبَاعًا فَبَاعًا، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرًا ضَبَّ دَخَلْتُمُوهُ»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلُ الْكِتَابِ؟ قَالَ: «فَمَه» (٣).

(٣) وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَلِكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتِ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» رواه مسلم (٤). ورواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم وزاد: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ

(١) صحيح البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠)، وصحيح مسلم (٢٦٦٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٣١٩).

(٣) مسند أحمد (٧٣١٩).

(٤) صحيح مسلم (٢٨٨٩).

السَّيْفِ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^(١)

(٤) وَعَنْ أَبِي وَقِيدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَنَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ [وفي رواية: وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَكَانُوا أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ] ^(٢)، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. [وفي رواية: وَقَدْ كَانَتْ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ عَامٍ، فَيَعْلُقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، وَيُرِيحُونَ تَحْتَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا،] ^(٣) فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِدْرَةَ خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ^(٤)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴿الأعراف﴾، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». [وفي رواية ^(٥) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ

(١) سنن أبي داود (٤٢٥٢) وهو بتمامه أيضا في سنن ابن ماجه (٣٩٥٢) ومسنند أحمد (٢٧٨/٥، ٢٨٤) وصحيح

ابن حبان (٦٧١٤، ٧٢٣٨) ومستدرک الحاكم (٤٤٩/٤)

(٢) رواها الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٣ رقم ٣٢٩٤). وفي رواية في المعجم الكبير أيضا (٣٢٩٣): (خَرَجْنَا

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ)

(٣) في رواية: (ويذبحون عندها) رواها الأزرق في أخبار مكة (١٢٩/١) لكن سنده واه

(٤) رواها الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٣ رقم ٣٢٩٣).

(٥) لفظ الترمذي في جامعه (٢١٨٠).

- لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِالِهَةٌ ﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرَكِبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ﴾^(١)
- (٥) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِيَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: «فَمَنْ إِذَا» رواه ابن ماجه وأحمد^(٢)
- (٦) وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرَكِبَنَّ سُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا بِمِثْلٍ» رواه أحمد^(٣)
- (٧) وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ سُنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَ الْكِتَابِ حَدْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ» رواه أحمد^(٤)
- (٨) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَنْتُمْ أَشْبَهُ النَّاسِ سَمْتًا وَهَدْيًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَتَسْلُكَنَّ طَرِيقَهُمْ حَدْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ وَالتَّعْلِ بِالتَّعْلِ [حَتَّىٰ لَا يَكُونُ فِيهِمْ شَيْءٌ إِلَّا كَانَ فِيكُمْ مِثْلُهُ]» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ سِحْرًا» رواه ابن أبي شيبة والروزي السنة^(٥)

- (١) صحيح، أخرجه الترمذي في جامعه (٢١٨٠) والنسائي في الكبرى (١١١٢١) وأحمد (٢١٨ / ٥) والطبراني في المعجم الكبير (٣ / ٢٤٣ رقم ٣٢٩٠ - ٣٢٩٤) والسياق له.
- (٢) رواه ابن ماجه (٣٩٩٤) وأحمد (٤٥٠ / ٢) والحاكم (١٠٦) وصححه على شرط مسلم، وإنما هو حسن الإسناد فقط لأنه من طريق محمد بن عمرو بن علقمة وإنما أخرج له مسلم متابعة وهو حسن الحديث
- (٣) رواه أحمد (٣٤٠ / ٥) وسند حسن في الشواهد. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٦١ / ٧): في إسناده أحمد ابن لهيعة، وفيه ضعف اهـ.
- (٤) رواه أحمد (١٢٥ / ٤) وسند حسن في الشواهد. وانظر السلسلة الصحيحة (٣٣١٢).
- (٥) رواه ابن أبي شيبة (٢١ / ١٥٤ ط القبلة) رقم (٣٨٥٣٣) حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ هُرَيْرٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَذَكَرَهُ. ورواه المروزي في السنة (٦٤، ١٠٨) حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثنا سُفْيَانُ بِهِ نحوه دون قوله «إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ سِحْرًا» والزيادة له. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٩١٥ / ٧): وهذا إسناد صحيح موقوف، ولكنه في حكم المرفوع؛ فإنه من الغيبات التي لا تقال بالاجتهاد والرأي، ويؤيده أن قوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ سِحْرًا» قد صح مرفوعاً عن جمع من الصحابة؛ كابن عمر وغيره، وسبق تخريجه برقم (١٧٣١ و ٢٨٥١) اهـ وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩٨٨٢)، والبخاري في مسنده (٢٠٤٨) من طريق ليث ابن أبي سليم وهو محتلط عن أبي قيس وهو عبد الرحمن بن ثروان به فرفعه ولفظه عند الطبراني:

(٩) وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ دَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ ضَاغَعَ أُمَّهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمْ» رواه البزار ^(١)

والحديث عن أشراط الساعة الصغرى طويلٌ جدًا، وليس القصد من هذا المجلس هو ذكر هذه العلامات، وإنما هو الإشارة إلى أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأشراط الساعة الصغرى والأشراط الكبرى وما يتعلق بهما، ويمكن للمسلم أن يراجع ما يتعلق بهذا الباب في كتب أهل العلم المطولة؛ فإنه أيضًا كما ذكرنا باب عظيم النفع، وفيه أيضًا تسلية للمؤمن وزيادة لإيمانه،

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، وبهذا القدر نكتفي،
والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



«أَنْتُمْ أَشْبَهُ الْأُمَمِ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ، لَتَرْكَبَنَّ طَرِيقَتَهُمْ حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِمْ شَيْءٌ إِلَّا كَانَ فِيكُمْ مِثْلُهُ، حَتَّى إِنْ الْقَوْمَ لَتَمُرُّ عَلَيْهِمُ الْمَرْأَةُ فَيَقُومُ إِلَيْهَا بَعْضُهُمْ فَيَجَامِعُهَا، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَصْحَابِهِ يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَضْحَكُونَ إِلَيْهِ» ولفظ البزار: «أَنْتُمْ أَشْبَهُ الْأُمَمِ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ سَمْتًا وَسِمَةً وَهَدْيًا» وانظر السلسلة الصحيحة (٩١٤/٧).

(١) رواه البزار - كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (٣٢٥٨) -، والمروزي في السنة (٤٣)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٢٧٢)، والحاكم في المستدرک (٨٤٠٤) وصححه - وفيه سقط لأول الإسناد يستدرک من إتخاف المهرة (٨٤٦٤) -، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٤٨) ثم قال: بل الحديث صحيح، فإن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو نحوه، أخرجه الترمذي والحاكم (١٢٩/١) بسند ضعيف...، وله شاهد آخر في "المجمع".



**الإيمان
بحياة البرزخ
ونعيم القبر وعذابه**

المجلس الثالث والعشرون^(١)

حياة البرزخ:

ومما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر، - كما تقدم - أيضاً، الإيمان بحياة البرزخ، ثم الإيمان بالبعث والجزاء والنشور وما يكون في يوم القيامة. وحياة البرزخ حياة غيبية جاء ذكرها وبيانها في كتاب الله وفي سنة رسول ﷺ، ولا يتم الإيمان باليوم الآخر إلا بأن يؤمن الإنسان بهذا الغيب الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ وهو عالم البرزخ.

حياة البرزخ القيامة الصغرى:

وُسِّمِيَهُ بعضُ العلماء بالقيامة الصغرى؛ فإن الموت يُسَمَّى بالقيامة، وُسِّمِيَ بالساعة، وقد جاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاهما أنها قالت: كان رجالٌ من الأعراب جفاةً يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم، فيقول عليه الصلاة والسلام: «إِنْ يَعْشُ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»^(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَالْمُرَادُ: انْخِرَامُ قَرْنِهِمْ، وَدُخُولُهُمْ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ. وَهَذَا الْكَلَامُ بِهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ، وَقَدْ يَقُولُ هَذَا بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ، وَيُشِيرُونَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الزُّنْدَقَةِ وَالْبَاطِلِ اهـ.^(٣)

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: الْمَوْتُ مَعَادٌ وَبَعْتُ أَوْلَى، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ لِابْنِ آدَمَ مَعَادِينَ وَبَعْتِينَ يَجْزَى فِيهِمَا الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى،

(١) كان في يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) تقدم (ص: ١٢).

(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٩ / ٣٢)

فالبعث الأول مُفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول؛ والبعث الثاني: يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار وهو الحشر الثاني ولهذا في الحديث الصحيح وتؤمن بالبعث الآخر فإن البعث الأول لا يُنكره أحد وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والتعذيب والعذاب وقد ذكر الله ﷻ هاتين القيامتين وهما الصُّعْرَى والكبرى في سورة المؤمنين وسورة الواقعة وسورة القيامة وسورة المطففين وسورة الفجر وغيرها من السور... الخ^(١).

وتقدم ذكر هذه المسألة تحت مبحث: "من مات قامت قيامته"^(٢)

تعريف البرزخ:

والبرزخ في كلام العرب معناه الحاجز بين الشيئين.
قال الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَحَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣]. فقولهُ: ﴿ بَرْزَخًا ﴾ أي: حاجزًا.
والبرزخ في الشرع: الدار التي تعقب الموت إلى البعث منذ أن يموت الإنسان وإلى أن يبعثه الله ﷻ فإنه يعيش في عالم البرزخ ما بين الموت والبعث.

الدور ثلاثة:

ولهذا يقول العلماء: الدور ثلاثة:

- دار الدنيا،
- ودار البرزخ،
- والدار الآخرة.

ودار البرزخ هي دار بين الموت والبعث، يموت الإنسان فينتقل إلى قبره، فيعيش حياة برزخية الله أعلم بها.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ وَرَّاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون].

(١) الروح (ص: ٧٤).

(٢) انظر: المجلس (٢١: ص ١٢).

الموت بيد الله :

يقول الله ﷻ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حَيْثُ مَوْتَهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢]

الموت حتم لازم على كل حي :

قال ربنا ﷻ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهٗ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص] وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾ ﴾

[الرحمن]

وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَعَةٌ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران]

وربنا ﷻ يخاطب نبيه ﷺ، فيقول: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر] وقال لنبيه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [٢٤] [الأنبياء]. وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(١).

والموت له أجل محدد :

قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَآ مُّوَجَّلَاتٍ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وجاء في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أم حبيبة رضي الله عنها دعت فقالت: اللَّهُمَّ متّعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية (تقصد أن يطال في أعمارهم) فقال النبي ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتِ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَّضْرُوبَةٍ، وَأَثَارِ مَوْطُوعَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَّفْسُومَةٍ، لَا

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧) واللفظ له من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهُ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»^(١).

ولا يعلم أحد متى يموت إلا الله:

لا يعلم أحد متى يموت إلا الله ﷻ فهو من مفاتيح الغيب التي اختص الله ﷻ بها كما في قوله تعالى في خاتمة سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان]. فهذه الخمسة: أمور سماها النبي ﷺ بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله^(٢).

ولا يعلم أحد أين يموت إلا الله:

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال «إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً، أَوْ قَالَ: بِهَا حَاجَةً»^(٣).

للموت سكرات:

والموت له مُقَدِّمَاتٌ وله سكرات يقول الله ﷻ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق] والسكرات: الألم وما يصاب به الإنسان في ذلك الحين. وحين مرض نبينا ﷺ مرضه الأخير كان يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ»^(٤). وتقول عائشة رضي الله عنها في مرض رسول الله ﷺ: «ما رأيتُ أحدًا أشدَّ عليه الوجع من رسول الله ﷺ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

(٢) والخبر في الصحيحين تقدم تخريجه في المجلس الحادي والعشرين.

(٣) رواه الترمذي (٢١٤٧) من حديث أبي عزة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤٦).

وقد دخلت عائشة رضي الله عنها على أبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرض موته، فلما ثقل عليه تمثلت بقول حاتم الطائي:

لَعْمُرِكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَسَمِعَهَا الصَّدِيقُ رضي الله عنه فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ يَا بَنِيَّةَ، وَلَكِنْ قَوْلِي:
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩] (١).

قال رب ارجعون

ويعاين الإنسان في تلك اللحظات ما كان يخفى عليه من قبل، فيشاهد أموراً كان يحيد عنها، وفي ذلك الوقت يتمنى المفرطون العودة لتدارك ما فاتهم. ولكن أينفع ذلك؟! أيجابون إلى ذلك؟! يقول ربنا ﷻ: -مبيناً حقيقة الحال-: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ [١٩] لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون]

فيخبر الله ﷻ أن تلك الساعة يعاين فيها الناس الحقيقة، فيتمنون العودة، ليعملوا عملاً صالحاً؛ ولهذا يقول ربنا ﷻ في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (١٩٥/٣) واللفظ له، والبلاذري في أنساب الأشراف (١٠/٨٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْبُهَيْيِّ عَنْ عَائِشَةَ. ورواه أحمد في الزهد (٥٦٣) عن عبد الله اليمني، -كذا والظاهر أنه تصحيف- مَوْلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ: لَمَّا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه تَمَثَّلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها بِهَذَا الْبَيْتِ (مِنْ قَوْلِ حَاتِمٍ)... فذكره ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦) - ومن طريقه ابن عساکر في تاريخه (٤٢٦/٣٠) - عَنِ الْبُهَيْيِّ قَالَ: " لَمَّا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ، جَاءَتْ عَائِشَةُ ... فذكر الحديث مرسلًا. والأول أرجح. فقد رواه كذلك جماعة منهم: عبد الله بن نمير ويعلى بن عبيد ووکیع كما عند ابن سعد ومن طريق وکیع رواه البلاذري كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي عنها به. وخالفهم يزيد بن هارون عند أحمد وأبو شهاب الحنات عن إسماعيل. وهو صدوق يهم كما في التقريب. وأعل بعدم سماع البهي من عائشة. كما هو قول الدارقطني ومن قبله ابن مهدي. وصحح البخاري سماعه منها وخرج مسلم له عنها في صحيحه. وللأثر طرق أخرى انظرها عند ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٦/٣-١٩٧) والمحتضرين لابن أبي الدنيا (٣٨)، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله (٥٠٥٩)، وتفسير الطبري ط هجر (٤٢٧/٢١)

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ [النساء] ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي: يتوبون قبل أن تغرغر الروح في الجسد كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»^(١) والله ﷻ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ فيريد أن يرجع ليكون من المتصدقين، يريد أن يرجع ليكون من عباد الله الصالحين مصلياً صائماً باراً بوالديه قائماً بفرائض الله سبحانه. ولكن الله يقول: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

حياة البرزخ روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار:

وفي البرزخ يكون العذاب أو النعيم، النعيم لأولياء الله من المؤمنين الصالحين، والعذاب لمن كفر أو أشرك وكذلك لبعض عصاة المسلمين. فحياة البرزخ إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، -نسأل الله السلامة والعافية-.

وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَنِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَيُرْحَبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَتَدْرُونَ فِيمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾» [طه] «أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعُونَ تَيْنًا، أَتَدْرُونَ مَا التَّيْنُ؟ (تَسْعُونَ)^(٢) حَيَّةٌ، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعُ رُءُوسٍ يَلْسَعُونَهُ، وَيُجَدِّشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)

(١) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) الأصل: (سبعون)، والتصحيح من مجمع الزوائد (٥٥/٣) برواية أبي يعلى، وتفسير ابن كثير، برواية ابن أبي

حاتم والمجمع أيضاً برواية أخرى للبخاري. أفاده الألباني في صحيح الترغيب (٣/٣٩٣)

(٣) رواه أبو يعلى (٦٦٤٤) وابن حبان (٣١٢٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٥٥٢)

حديث البراء بن عازب في أحوال الانتقال من الدنيا إلى الآخرة:

وسنقف الآن مع حديث البراء بن عازب الذي قص علينا فيه النبي ﷺ ما يقع للإنسان عند موته في رحلة عظيمة تستقبل الإنسان.

-نسأل الله ﷻ أن يثبتنا على دينه وأن يحمينا على الإسلام ويميتنا على الإيمان-
وسأذكره بسياق الإمام أحمد في مسنده^(١) مع الزيادات التي نبه عليها العلامة الألباني في أحكام الجنائز -وربما ذكرت غيرها وأشارت إليها:-

يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ]^(٢) وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ^(٣)، [فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ وَيَخْفِضُهُ ثَلَاثًا]^(٤) [وَيَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ]^(٥) فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٦) [ثَلَاثًا]^(٧)، ثُمَّ قَالَ ﷺ:

(١) مسند أحمد (١٨٥٣٤)

(٢) سنن أبي داود (٤٧٥٣) ولابن ماجه (١٥٤٨) «فَقَعَدَ حِيَالَ الْقِبْلَةِ» وللحاكم (١١٣) «وَأَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ».
(٣) انظر إلى حال الصحابة رضي الله عنهم جلسوا حول النبي ﷺ يستمعون إليه لا يتحدثون صامتين. ثم انظر إلى حالنا اليوم في المقابر كيف نجد كثيرًا من اللغظ وكثيرًا من الكلام بل تجد بعض الناس يضحك ويفرح ويمرح، وربما استعمل بعضهم السجارة والدخان وغير ذلك من الأمور المحرمة، وكأن شيئًا لا يعنيه والله المستعان وفي الحديث توقير العلم والعلماء ولذا الإمام الحاكم عنون لهذا الحديث فقال: «فَصَلِّ: «...الأمير بتوقير العالم عند الاختلاف إليه والفتود بين يديه» وعنون له البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص: ٣٧٨) بـ(بَابُ تَوْقِيرِ الْعَالِمِ وَالْعُلَمِ).

(٤) من مستدرک الحاكم (١٠٧) ومسند الروياني (٣٩٢)

(٥) من مسند الروياني (٣٩٢).

(٦) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) والمستدرک (١٠٧) والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٤)

(٧) من مصنف عبد الرزاق الصنعائي (٦٧٣٧) ومسند أحمد (١٨٦١٤) والسنة لعبد الله بن أحمد وفي مسندي

الطيالسي والروياني «قَالَهَا مِرَارًا»

«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ [وفي رواية: الْمُطْمَئِنَّةُ] (١)، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا»، [وفي رواية: «حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ: أَنْ يُعْرِجَ بِرُوحِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ»] (٢)، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ (٣)

(١) من زوائد الحسين المرزوي على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) وتهذيب الآثار مسند عمر (٧٢٣) للطبري والشريعة للأجري (٨٦٤) والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٢) من مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦٧٣٧) ومسند أحمد (١٨٦١٤) والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)

(٣) انظر- يا عبد الله- إلى ما يحصل للمؤمن عند موته وعند احتضاره كيف يأتيه ملك الموت ومع ملك الموت أعرافاً له، وملك الموت هذا هو اسمه، ويُسميه بعض الناس بعزرائيل، والصحيح أن اسمه ملك الموت، كما جاء تسميته في هذا الحديث وغيره، وملك الموت معه أعراف- كما تقدم- من الملائكة، فيأتون إلى العبد المؤمن، فتخرج روحه مطمئنة آمنة- فيُصَلِّي عليه كُلُّ مَلَكٍ- يعني تدعوله الملائكة، ملائكة في السماء وملائكة في الأرض، يقول ﷺ: «فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ»، -والحنوط: هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتي وأجسامهم خاصة، من مسك وذريعة وكافور وغير ذلك-، وانظر إلى هذا الحنوط وهذا الطيب، إنه من الجنة! إنه من عند الله ﷻ! فانظر كيف يبدأ هذا النعيم مع العبد المؤمن من هذا الوقت ومن هذه الساعة التي تخرج فيها روحه، فيرتاح من تعب الدنيا ونصبها وما فيها من الآلام. ولهذا لما مرت جنازة بالنبي ﷺ قال: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قالوا: يا رسول الله، ما مستريح؟ وما مستراح منه؟ قال: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالذُّوَابُ» -أخرجه البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠) من حديث أبي قتادة ؓ، فالؤمن يرتاح بموته؛ لأنه يفرح بلقاء الله ﷻ يقول النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» -أخرجه البخاري (٦٥٠٧) ومسلم (٢٦٨٣) من حديث عبادة بن الصامت ؓ وزاد البخاري- وهو =

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَقَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾﴾
 [الأنعام: ٦٦] (١)، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِّنْكَ وَجِدْتَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ:
 «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَىٰ مَلَاٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ
 الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ
 يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُّقْرَّبُوهَا
 إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ
 عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْفُوعٌ ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُرَقَّبُونَ ﴾ ﴿٢١﴾﴾
 [المطففين: ١٩-٢١] فَيَكْتُبُ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ ثُمَّ يُقَالُ [٢]: أَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ [وفي رواية:
 إِلَى التُّرَابِ] (٣)، فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي [٤] مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً
 أُخْرَى، قال:

لمسلم من حديثها منفصلا-: فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إنا لنكره الموت! فقال: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ
 الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ
 وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بِشْرَ بَعْدَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ
 لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» رضي الله عنه. ولذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبرنا عن كيفية ذهاب الميت إلى المقبرة،
 فقال- وذلك من علم الغيب-: «إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً
 قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟!- يعني: تقول: يا ويلى!
 أين يذهبون بي؟!- يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ» أخرجه البخاري (١٣١٦)
 من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. هذا حال المؤمن يا إخواني وهذا من علم الغيب في البرزخ الذي يدخل
 في الإيمان باليوم الآخر وأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان به.

(١) من مسند الروياني (٣٩٢) وهي للطيليسي في مسنده (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار
 قزوين (٦٢/١) - ولليبهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠) الآية من قوله: ﴿ تَوَقَّتُهُ ... ﴾.

(٢) من مسند أبي داود الطيليسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - ومن
 مسند الروياني (٣٩٢).

(٣) من تهذيب الآثار للطبري مسند عمر (٧٢٢) وفي رواية له (٧٢٣): «رُدُّوا عَبْدِي إِلَى مَضْجَعِهِ»

(٤) من مسند أبي داود الطيليسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - ومن

مسند الروياني (٣٩٢). وتهذيب الآثار للطبري مسند عمر (٧٢٢، ٧٢٣) ومستدرک الحاكم (١٠٧) وإثبات
 عذاب القبر لليبهقي (٤٤)

فإِردُّ إِلَى الْأَرْضِ وَ] ^(١) تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، [قَالَ: فَإِنَّهُ يَسْمَعُ حَقَقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ] ^(٢) [مُدْبِرِينَ] ^(٣)، فَإِيَاتِيهِ مَلَكَانِ [شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ] ^(٤) [فَيَنْتَهَرَانِهِ، وَ] ^(٥) يُجَلِّسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ^(٦)، [فَيَنْتَهَرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيِّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿يَشِئْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَوُضِعُ اللَّهُ لِلظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ^(٧) ﴿[إبراهيم: ٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ،

(١) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢) - ومن إثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٢) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) - وفي الباب عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ» قَالَ: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ ...» الحديث رواه البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ حَقَقَ نِعَالِهِمْ، إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» رواه أحمد (٨٥٦٣، ٩٧٤٢)

(٣) من سنن أبي داود (٤٧٥٣) وتهذيب الآثار مسند عمر (٧١٨ و٧٢٢)

(٤) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٦٢) - ومسند الروياني (٣٩٢)، وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠). وفي الباب عن ابن جريج قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ أَتَاهُ مَلَكٌ شَدِيدُ الْإِنْتِهَارِ، فَقَالَ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ ...» رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦٧٤٤) موقوفا ورفع ابن لهيعة عن أبي الزبير. رواه أحمد (١٤٧٢٢) وتابعه يحيى القطان عن ابن جريج به رفعه، رواه عنه الإمام أحمد - كما في تفسير ابن كثير سلامة (٤/ ٤٩٧) - وقال ابن كثير: إسناده صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هـ.

(٥) المرجع السابق.

(٦) وهذه الأسئلة يُسَمِّيها العلماءُ بفتنة القبر، فالإنسان إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ يَأْتِيهِ الْمَلَكَانِ، وَقَدْ جَاءَ فِي خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْمَلَكَ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَيُقَالُ لِلْآخَرِ الْمُنْكَرِ، كَمَا فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ (١٠٧١)، وَابْنُ حَبَانَ (٣١١٧) وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَنَبِيٍّ مُحَمَّدٌ ﷺ^(١)، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: " وَيَأْتِيهِ [وفي رواية: وَيُمَثَّلُ لَهُ]^(٢) رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يُسْرُكَ، [أَبَشِّرُ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ ﷻ لَكَ، أَبَشِّرُ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ]^(٣) [أَبَشِّرُ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامَةِ]^(٤) هَذَا يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، [وَالْأَمْرُ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ]^(٥) فَيَقُولُ لَهُ: [وَأَنْتَ فَبَشِّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ]^(٦) مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، [وفي رواية: يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ]^(٧) فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتُ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا]^(٨)،

- (١) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -. وفي سننه يونس بن خباب فيه ضعف وقد تابعه جرير وأبو عوانة عن الأعمش عن المنهال كما في أهوال القبور لابن رجب (٤٧) ورواية جرير عند الطبري في تهذيب الآثار (٧١٨) لكنه اختصر هذا الموضوع والله أعلم ورواية أبي عوانة رواها الطيالسي (٧٨٩) وليس عنده (وهي آخر فتنة تعرض) والله أعلم
- (٢) من مسند الروياني (٣٩٢). والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) ومستدرک الحاكم (١٠٧) وفي رواية: «وَيُمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ...» وهي لأبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢ / ١) - وللبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠).
- (٣) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢ / ١) - وللبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠).
- (٤) من مسند الروياني (٣٩٢).
- (٥) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢ / ١) -.
- (٦) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (٦٢ / ١) - ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -. وتهذيب الآثار للطبري (٧٢٢، ٧١٨) وإثبات عذاب القبر (٢٠) للبيهقي.
- (٧) من مستدرک الحاكم (١٠٧) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٤ / ٤٩٧)
- (٨) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (٦٢ / ١) - ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -. وفي إثبات عذاب القبر (٢٠) للبيهقي.

فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا^(١) [ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيَقَالُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ، أَبَدَلَكِ اللَّهُ بِهِ هَذَا، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ:]^(٢) فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي ". [فَيَقَالُ لَهُ: اسْكُنْ]^(٣).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ [وفي رواية: الْفَاجِرَ]^(٤) إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ [غِلَاطٌ شِدَادٌ]^(٥) سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ [وفي رواية: أَكْفَانُ]^(٦)، [مِنَ النَّارِ]^(٧) [وفي رواية: مَعَهُمْ سَرَابِيلٌ مِنْ قِطْرَانٍ وَثِيَابٌ مِنْ نَارٍ]^(٨)، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ، أَخْرَجِي إِلَى سَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَعَظْبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ^(٩) [الْكَثِيرُ الشَّعْبِ]^(١٠) مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَتُقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ]^(١١)، [فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ

(١) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -. والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار للطبري (٧١٨)

(٢) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -. وفي سنده ضعف لكن لهذه الزيادة شواهد.

(٣) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -.

(٤) من تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧٢٠) والمستدرک للحاكم (١٠٧)

(٥) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -.

(٦) تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٤٩٤ / ٢)

(٧) ذكرها الشيخ الألباني في أحكام الجنائز ولم أفق عليها عند من عزاها إليه وانظر الزيادة الآتية.

(٨) تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٦٠٤ و ٤٩٢ / ٢)

(٩) السَّفُودُ: بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ، هُوَ الَّذِي يُدْخَلُ فِي الشَّاةِ إِذَا أُرِيدَ أَنْ تُشْوَى. وانظر: فتح الباري، (١١ / ٤٥٩).

(١٠) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (٦٢ / ١) - ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧)

- وعنه أحمد (١٨٦١٤) -. وإثبات عذاب القبر (٢٠). وعند الطيالسي وعبد الرزاق ط الأعظمي (الكبير

الشعب). وضبطت في المصادر: (الشَّعْبِ) وضبطت (الشَّعْبِ).

(١١) من زوائد الحسين المرزوي على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) - ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد

أهل السنة والجماعة (٢١٤٠) وابن عساكر في تاريخه (٣٦٤ / ٦٠) - ومسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه

القزويني في التدوين (٦٢ / ١) - ومصنف ابن أبي شيبة (١٢٠٥٩) - ومن طريقه الأجرى في الشريعة (٨٦٤) -

ومسند أحمد (١٨٥٣٥)، وتهذيب الآثار مسند عمر (٧٢٠) للطبري والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥)

فِي السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ، إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ: أَنْ لَا تَعْرِجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ^(١) فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ حَيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَبِيثُ؟، فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانَ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، ثُمَّ يُقَالُ: أَعِيدُوا عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ»^(٢) [فَائِي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى]^(٣)، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ [مِنَ السَّمَاءِ]^(٤) طَرْحًا «حَتَّى نَقَعَ فِي جَسَدِهِ»^(٥). ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِ أَصْحَابِهِ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ^(٦)؛ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، [شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ، فَيَنْتَهَرَانِهِ، وَ]^(٧) يُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟، فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا

ومستدرك الحاكم (١٠٧) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(١) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -.

(٢) من مستدرك الحاكم (١٠٧)

(٣) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - ومن

مسند الروياني (٣٩٢). وتهذيب الآثار للطبري مسند عمر (٧٢٣) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وإثبات

عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٤) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - ومن

مسند الروياني (٣٩٢). وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٥) من مستدرك الحاكم (١٠٧)

(٦) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -.

(٧) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - ومن

مسند الروياني (٣٩٢). وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: [فَمَا تَقُولُ فِي] ^(١) هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ [فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ، فَيَقَالُ: مُحَمَّدًا!] ^(٢) فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَدْرِي، [سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ! قَالَ: فَيَقَالُ: ^(٣)، [لَا دَرَيْتَ] ^(٤) [وَلَا تَلَوْتَ] ^(٥) فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ [عَيَّ] ^(٦) [عَبْدِي] ^(٧)، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَحْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ [وَفِي رِوَايَةٍ: وَيُمَثَّلُ لَهُ] ^(٨) رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الشَّيْبِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبِشْرُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: [وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ] ^(٩) مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ [وَفِي رِوَايَةٍ: يَبْشُرُ بِالشَّرِّ] ^(١٠)، فَيَقُولُ: أَنَا

(١) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - وتنبيه

الغافلين لأبي الليث لسمرقندي (٣٢). وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٢) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - وإثبات

عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٣) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) - وإثبات

عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٤) من مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٦٢/١) -

ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) - وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٢٠)

(٥) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -

(٦) من تاريخ دمشق لابن عساکر (٣٦٦/٦٠)

(٧) من زوائد الحسين المروزي على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) - ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد

أهل السنة والجماعة (٢١٤٠) وابن عساکر في تاريخه (٣٦٤/٦٠) -، وتنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء

والمرسلين لأبي الليث لسمرقندي (٣٢) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤)

(٨) من مسند الروياني (٣٩٢). والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) ومستدرك الحاكم (١٠٧) وفي رواية:

«وَيُمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ...» وهي لأبي داود الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين

في أخبار قزوين (٦٢/١) - وللبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠).

(٩) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) - وللطبري في تهذيب الآثار (٤٩٣/٢): «فَجَزَاكَ

اللَّهُ شَرًّا قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا»

(١٠) من مستدرك الحاكم (١٠٧) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٤٩٧/٢)

عَمَلِكَ الْحَبِيثِ، فَيَقُولُ: [وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا] ^(١) [كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ] ^(٢)، [فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا] ^(٣)، [قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا] ^(٤)، ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمَّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهِّدُ مِنْ فُرْشِ النَّارِ] ^(٥)، فيقول: [يَا] ^(٦) [رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ] ^(٧)، [يَا] ^(٨) رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ] ^(٩).

- (١) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢) -، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨) وفي إثبات عذاب القبر (٢٠) للبيهقي
- (٢) من مسند الطيالسي (٧٨٩) - ومن طريقه القزويني في التدوين (١/ ٦٢) - ومصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار للطبري (٧١٨)
- (٣) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨)
- (٤) من تهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨، ٧٢٠، ٧٢٣)
- (٥) من مصنف عبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) -، وسنن أبي داود (٤٧٥٣) والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤١)، وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨) وفي سننه يونس بن خباب ضعيف وهذه الزيادة لها شواهد.

- (٦) من الأحاديث الطوال للطبراني (٢٥)
- (٧) من مصنف ابن أبي شيبة (١٢٠٥٩) والزهد لهناد بن السري (٣٣٩) ومسند الروياني (٣٩٢) وتهذيب الآثار مسند عمر للطبري (٧١٨، ٧٢٠) والشريعة للأجري (٨٦٤) والأحاديث الطوال للطبراني (٢٥) وتنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث السمرقندي (٣٢) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٤٤) وشعب الإيمان (٣٩٠)

- (٨) من الأحاديث الطوال للطبراني (٢٥)
- (٩) سياق الحديث من مسند الإمام أحمد (٣٠/ ٤٩٩/ ١٨٥٣٤) قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ زَادَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه. وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

- ١- وأخرجه من طريق أبي معاوية: -بتمامه أو مختصراً-: ابن أبي شيبة (١١٦٤١ و ١٢٠٣٢ و ١٢٠٥٩)، وهناد في الزهد (٣٣٩)، والمروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) - ومن طريقه، اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢١٤٠)-، والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٢٩)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٤٣٨) والطبري في التفسير (٢٠٧٦٤)، وفي تهذيب الآثار (٧٢١)، وابن خزيمة في التوحيد =

هذا سياق الحديث مع ما تيسر من الزيادات التي نبهنا عليها وما لم يذكر:

- (ص ١١٩)، وأبو عوانة- كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢)- والأجري في الشريعة (٨٦٤)، وابن منده في الإيمان (١٠٦٤)، والحاكم في المستدرک (٤١٤)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٤٢١)، وفي شعب الإيمان (٣٩٥) وقال البيهقي في الشعب: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدّة عن الأعمش، وعن المنهال ابن عمرو، والمنهال بن عمرو: هو الأسدي، مولاهم، الكوفي، أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة، ورؤي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنها اهـ.
- ٢- وأخرجه الطيالسي (٧٥٣) - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره، (٧٣٨٥) مختصراً، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠) -، وعبد الرزاق في المصنف (٦٣٢٤) مختصراً، -ومن طريقه أحمد (١٨٦٢٥)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٥/١) - وأبو داود (٣٢١٢ و ٤٧٥٣) - ومن طريقه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٢١) -، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤٣) والرويان في مسنده (٣٩٢) وابن أبي حاتم، في تفسيره (٥/١٤٧٧)، والطبري في التفسير (٢٠٧٦٣) و (٢٠٧٦٥) و (٢٠٧٨٠) و (٢٠٧٨٧)، وفي تهذيب الآثار (٧١٨)، ٧١٩، ٧٢٠)، وأبو عوانة- كما في إتحاف المهرة ٤٥٩/٢- والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٥) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥٦ /٩) وابن منده في الإيمان (١٠٦٤) والحاكم في المستدرک (١٠٧-١١٧)، من طرق عن الأعمش، به.
- ٣- وأخرجه ابن ماجه (١٥٤٨) مختصراً وعبد الرزاق (٦٧٣٧) - وعنه أحمد (١٨٦١٤) - وعبد الله بن أحمد في السنة (١٤٤١، ١٤٤٢) والطبري في تهذيب الآثار مسند عمر (٧٢٢) والحاكم في المستدرک (١١٣) - وعنه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٤) - من طريق يونس بن خباب عن المنهال به
- ٤- وأخرجه ابن ماجه (١٥٤٩) والنسائي في سننه (٢٠١) وفي السنن الكبرى (٢١٣٩) من طريق عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو
- ٥- وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٤٩٩) من طريق عوف الأعرابي، عن المنهال به
- ٦- وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٤١٧) من طريق كامل أبي العلاء، عن المنهال به
- ٧- وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٤٤٤) من طريق محمد بن سلمة بن كهيل عن المنهال به
- ٨- وأخرجه مختصراً النسائي (٢٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩) من طريق عمرو بن قيس، عن المنهال، به.
- ٩- وأخرجه الرويان في مسنده (٣٩١) عن محمد بن عتبة، عن زاذان به
- ١٠- وأخرجه الطبري في تهذيب الآثار (٧٢٣)، وابن الأعرابي في المعجم (٧٨٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٦) من طريق عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، به.
- ١١- وأخرجه أبو الجهم في جزئه (ص: ٥٥) - ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ- من طريق سوار بن مضعب عن المنهال به

ما رواه ابن ماجه وأحمد من طريق مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ^(١)، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: «عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ؟» قِيلَ: عَلَى قَبْرِ يَحْفَرُونَهُ. قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِأَنظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا قَالَ: «أَيُّ إِخْوَانِي لِمِثْلِ الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا؟»^(٢)

من شواهد حديث البراء:

حديث أنس بن مالك:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «(إِنَّ) الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ (عَنْهُ) أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ [إِذَا انْصَرَفُوا]، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ (لِ) مُحَمَّدٍ ﷺ؟ (فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ) فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ (قَدْ) أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - (فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟) فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرِيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ» متفق عليه^(٣) وفي رواية لأبي داود قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنَّ اللَّهَ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ، غَيْرَهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ،

(١) محمد بن مالك هو أبو المغيرة الجوزجاني مولى البراء، قال أبو حاتم: لا بأس به، قال الألباني: واضطرب فيه ابن حبان، فذكره في كتابيه الثقات والضعفاء! وقال فيه: "كان يخطئ كثيرا، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد". وقال في الأول منهما: "لم يسمع من البراء شيئا". قلت: وقد تعقبه الحافظ بما أخرجه أحمد عقب هذا الحديث بالإسناد ذاته عن محمد بن مالك قال: "رأيت على البراء خاتما من ذهب،... إلخ.

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٩٥) وأحمد (١٨٦٠١) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٥١).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) ومنه الزيادة (إذا انصرفوا).

فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهَرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ^(١)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «إِذَا فُيِّرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: التَّكْوِيلُ، فَيَقُولَانِ [لَهُ]: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ [مُحَمَّدٍ]؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ [ذِرَاعًا]، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوَقِّظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^(٢)

حديث ثانٍ لأبي هريرة رضي الله عنه:

روى ابن ماجه عن مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه، قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَرَجٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ

(١) سنن أبي داود (٤٧٥١) وهو في مسند أحمد (١٣٤٤٧) وسنده حسن.

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١) وقال حديث حسن غريب. اهو صححه ابن حبان (٣١١٧) ومنه الزيادات.

إِلَيْهَا يَحِطُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيَقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَجْلِسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ، فَرِعًا مَشْعُوفًا، فَيَقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحِطُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^(١)

حديث ثالث لأبي هريرة رضي الله عنه:

وفي صحيح ابن حبان عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلَّوْنَ عَنْهُ [مُدْبِرِينَ]، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتْ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبِلِي مَدْخَلَ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبِلِي مَدْخَلَ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبِلِي مَدْخَلَ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبِلِي مَدْخَلَ، فَيَقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُذْنِيَتْ لِلْعُرُوبِ، فَيَقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبَرَنِي عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا

مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدَ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَتَجْعَلُ نَسْمَتَهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ» قَالَ: [وَقَالَ أَبُو الْحَكَمِ (١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَيُقَالُ لَهُ: «أَرْقَدُهُ رَقْدَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَعْرُ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، أَوْ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ»] «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أَتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أَتَى عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أَتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتِ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَبِتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: ﴿إِن لَّهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١١٣] ﴿طه﴾ (٢)

حديث عائشة رضي الله عنها:

وفي المسند عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن ذكوان، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: جاءت يهودية، فاستطعمت على بابي، فقالت: أظعموني، أعاذكم الله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر. قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول

(١) هو أبو الحكم، مولى بني ليث. روى له النسائي، وابن ماجه وهو مجهول تفرد عنه محمد بن عمرو. وهو هنا متابع.

(٢) رواه ابن حبان (٣١١٣) والحاكم (١٤٠٣)، ومنه الزيادات.

اللَّهِ، مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟ قَالَ: «وَمَا تَقُولُ؟» قُلْتُ: تَقُولُ: أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ،^(١) ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَالِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا قَدْ حَذَرَ أُمَّتَهُ، وَسَأَحْذَرُ كُفُومَهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحْذَرُهُ نَبِيٌّ أُمَّتُهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللَّهُ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَفْرُوهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ. فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تَفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرِحٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ، فَصَدَّقْتَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحِطُّمُ بَعْضَهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءَ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَرِحًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَتَفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ ﷻ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحِطُّمُ بَعْضَهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَعْدَبُ»^(٢).

(١) هذا القدر من الحديث في الاستعاذة من عذاب القبر جاء في صحيح البخاري (١٠٤٩، ١٠٥٥، ١٣٧٢، ٦٣٦٦)

ومسلم (٥٨٤، ٩٠٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

(٢) رواه أحمد (٢٥٠٨٩) وهو في صحيح الترغيب (٣٥٥٧)

حديث أبي سعيد الخدري رضي :

وفي المسند عن أبي سعيد الخدري رضي، قال: شهدت مع رسول الله صلی الله علیه وسلم جنازة، فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن ففترق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق فأفعدته، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: صدقت ثم يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً، فيقول: لا دريت، ولا تلتيت، ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت به فإن الله تعالى أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار، ثم يغمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين» فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل - أي فقد عقله - عند ذلك، فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] (١)

فصل في ذكر ضمة القبر:

وفي الأحاديث ذكر (الفتنة في القبور) وهي: الامتحان والاختبار للميت، حين يسأله الملكان إذا وُضِعَ في قبره، يأتيه الملكان، يقال لأحدهما المنكر ويقال للآخر النكير، فيسألانه. ويكون قبل السؤال ما أخبرنا عنه النبي صلی الله علیه وسلم أنه ما من أحد يوضع في قبره إلا ويضمه ضمة فلا ينجو منها أحد، وفي ذلك أحاديث:

(١) رواه الإمام أحمد بسند حسن (١١٠٠٠) وهو في صحيح الترغيب (٣٥٥٦).

فصل في ذكر ما ورد من الأحاديث في ضمة القبر:

(١) في سنن النسائي بسند صحيح عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هَذَا الَّذِي تَحْرَكُ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»^(١)

(٢) وفي صحيح ابن حبان ومستدرک الحاكم عن ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَبْرَهُ - يَعْنِي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ - فَأَحْتَبَسَ، فَلَمَّا خَرَجَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: «ضَمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً، فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَكَشَفَ عَنْهُ»^(٢)

(١) رواه النسائي (٢٠٥٥) قال: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْقَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، بِهِ

■ ورواه البزار كما في المسند (البحر الزخار) (١٥٢/١٢) رقم (٥٧٤٦) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ هَبَطَ يَوْمَ مَاتَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَهْبُطُوا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضَمَّهُ الْقَبْرُ ضَمَّةً. ثُمَّ بَكَى نَافِعٌ.

■ قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، (عَنْ نَافِعٍ) عَنْ ابْنِ عُمَرَ إِلَّا دَاوُدُ الْعَطَّارُ وَرَوَاهُ غَيْرُهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، مُرْسَلًا أَه.

■ قلت: قوله لم يروه إلا داود مراده بهذا اللفظ. فقد روى البزار رواية العنقري المتقدمة عند النسائي قبل هذا برقم (٥٧٣٧) وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرَوَى بِهَذَا اللَّفْظِ إِلَّا، عَنْ ابْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَه.

■ والوجه المرسل الذي أشار إليه رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر (٤٣٠/٣) قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: " بَلَغَنِي أَنَّهُ شَهِدَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ضَمَّ صَاحِبُكُمْ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ».

(٢) صحيح ابن حبان (٥٠٦/١٥). مستدرک الحاكم (٢٢٨/٣) رقم (٤٩٢٤) وإسناده ضعيف، قال ابن الجنيدي كما في سؤالاته: قال يحيى بن معين: إن جريرا، وابن فضيل، وهؤلاء، سمعوا من عطاء بن السائب بأخرة. انظر: المسند المصنف المعلق (٤٠٧/١٦)

(٣) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَغْطَةً لَوْ نَجَّ مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَّ مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(١)

(٤) وفي مسند أحمد بسند حسن عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ تُوِّفِّي، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُوي عَلَيْهِ، سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحْنَا طَوِيلًا، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرْنَا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ سَبَّحْتَ؟ ثُمَّ كَبَّرْتَ؟ قَالَ: «لَقَدْ تَصَائِقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ اللَّهُ عَنْهُ»^(٢)

(٥) وقال الطبراني: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِقْلَاصٍ، ثنا أَبِي، ثنا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ أَبَا النَّضْرِ حَدَّثَهُ، عَنْ زِيَادِ مَوْلَى ابْنِ عِيَّاشٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

(١) رواه أحمد في المسند ط الرسالة (٤٠/٣٢٧) ٢٤٢٨٣ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: عَنْ إِنْسَانٍ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَذَكَرَهُ. قال محققوا المسند: (٤٠/٣٢٧). ومحمد بن جعفر من أوثق الناس بشعبة، إلا أنه أبهم الراوي عن عائشة، وقد جاء مصرحاً به فيما رواه كل من: آدم بن أبي إياس - فيما أخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (٨٩٧) (مسند عمر بن الخطاب)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١٠٦) - وعلي بن الجعد - كما في "الجعديات" (١٥٦٦) - وعبد الرحمن بن زياد ويحيى بن أبي بكير - فيما أخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٧٤) و(٢٧٥) - وأبو عائشة - فيما أخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١٠٧) - وعبد الملك بن الصباح - فيما أخرجه ابن حبان (٣١١٢) - وعلي بن عاصم - فيما أخرجه الحارث بن أبي أسامة - سبعتهم عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع عن امرأة ابن عمر صفية، عن عائشة، به، وهو الصواب فيما قال الدارقطني في "العلل" قالوا: وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٧٦)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١٠٨) من طريق سفيان الثوري، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن ابن عمر. اهـ قلت: الراوي له عن سفيان الثوري عندهما هو أبو حذيفة واسمه موسى بن مسعود وفي روايته عن الثوري ضعف. قال الإمام أحمد كأن سفيان الذي يحدث عنه أبو حذيفة ليس هو سفيان الثوري الذي يحدث عنه الناس. والحديث من طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٧٣/٣) ثم قال: كَذَا رَوَاهُ أَبُو حُدَيْفَةَ عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَرَوَاهُ عُندَرٌ وَعَيْرُهُ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ نَافِعٍ عَنْ (إنسان)، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِثْلَهُ. اهـ وقال الحافظ ابن رجب في أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص: ٥٧): وروى الثوري عن سعد عن نافع عن ابن عمر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس بالمحفوظ. اهـ

(٢) مسند أحمد (٢٣/١٥٨)

رواه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ دُفِنَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قَبْرِهِ قَالَ: «لَوْ نَجَّ أَحَدٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ لَنَجَّا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ رُخِّي عَنْهُ»^(١)

(٦) وقال أيضا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، نا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، ثنا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ زِيَادِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَذَكَرَهُ. قَالَ: لَمْ يَرَوْهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي النَّضْرِ إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ وَهْبٍ^(٢).

(٧) وقال أيضا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُمَانَ بْنِ صَالِحٍ، ثنا حَسَّانُ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا ابْنُ لَهَيْعَةَ، عَنِ أَبِي النَّضْرِ الْمَدِينِيِّ، عَنْ زِيَادِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ تُوفِّيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ نَجَّ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ أَحَدٌ لَنَجَّا سَعْدٌ لَقَدْ ضَغَطَهُ، ثُمَّ رُخِّي عَنْهُ»^(٣)

(٨) وأخرجه الحَكِيم التَّرْمِذِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ - يعني ابن وكيع - حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن زياد عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَوْ أَفَلَّتْ أَحَدٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ أَوْ ضَمَهُ لَنَجَّا سَعْدٌ وَلَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ رُخِّي عَنْهُ»^(٤).

قلت: هكذا هو في كل الأسانيد المتقدمة (عن ابن عباس) - بالموحدة والسين المهملة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. والصواب (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ - بالمشناة التحتانية والشين المعجمة-):

(٩) كما رواه يعقوب بن سفيان الفسوي فقال: حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ زِيَادِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَعَدَ عَلَى قَبْرِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَ فَقَالَ: «لَوْ نَجَّ أَحَدٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ أَوْ أَلَمَهُ أَوْ ضَمَّهُ لَنَجَّا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ رُوحَ عَنْهُ»^(٥).

(١) المعجم الكبير (١٠/٣٣٤) رقم (١٠٨٢٧)

(٢) المعجم الأوسط (٦/٣٤٩) رقم (٦٥٩٣)

(٣) المعجم الكبير (١٢/٢٣٢) رقم (١٢٩٧٥)

(٤) نواذر الأصول (٧٢٧)

(٥) المعرفة والتاريخ (١/٢٤٧) - ومن طريقه ابن عساکر في التاريخ (١٩/٢٣٦) -. ومن طريق يعقوب رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر (١١٢) لكن وقع في المطبوع: (عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

(١٠) وفي المسند - بسند ضعيف - عَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ قَعَدَ عَلَى شَفْتِهِ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُ بَصَرَهُ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «يُضَعَطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ ضَغْطَةٌ تَزُولُ مِنْهَا حَمَائِلُهُ، وَيُمَلَأُ عَلَى الْكَافِرِ نَارًا»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللَّهِ؟ الْفُظُّ الْمُسْتَكْبِرُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ؟ الضَّعِيفُ الْمُسْتَضَعْفُ ذُو الطَّمْرَيْنِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا تَبَّرَ اللَّهُ قَسَمَهُ»^(١)

(١١) وروى الطحاوي بسند ضعيف جدا عن عامر بن سعد، عن أبيه أن عمر رضي الله عنه قال لأُمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ: انْظُرِي مَا تَقُولِينَ يَا أُمَّ سَعْدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «دَعَهَا يَا عُمَرُ، كُلُّ نَائِحَةٍ مُكَذِّبَةٌ إِلَّا أُمَّ سَعْدِ، مَا قَالَتْ مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ تَكْذِبَ» ثُمَّ احْتَمَلَ فَوَضَعَ فِي قَبْرِهِ، فَتَعَيَّرَ لَوْنُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَتَقْطَعْنَا، يَعْشُونَ فِي السَّرْعَةِ، قَالَ: «حَشِيتُ أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائِكَةُ إِلَى غُسْلِهِ كَمَا سَبَقْنَا إِلَى غُسْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَا لَوْنَكَ قَدْ تَعَيَّرَ حِينَ قَعَدْتَ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: «ضَمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً، وَلَوْ أُعْفِيَ مِنْهَا أَحَدٌ، أُعْفِيَ مِنْهَا سَعْدٌ»^(٢)

(١) مسند أحمد (٤٤٤/٣٨) بسند ضعيف.

(٢) شرح مشكل الآثار (٣٦٩/١٠)،

■ ورواه الدارقطني كما في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٦١/٢) للسيوطي فقال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْسَرَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَيَانَ الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لَوَفَاةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَنَزَلَ الْأَرْضَ لِشُهُودِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَا نَزَلُوهَا قَبْلَهَا وَاسْتَبَشَّرَ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَلَقَدْ ضَمَّ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ضَمَّةً يَعْنِي فِي قَبْرِهِ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا مُعَافًى عَوْنِي مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ». قال تفرَّد به مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ. قَالَ ابْنُ حَبَانَ: يَرَوِي الْمَتَاكِبِرُ عَنِ الْمَشَاهِيرِ لَا يَجُوزُ الْإِحْتِجَاجُ بِهِ. هـ.

■ ورواه السنن الكبرى للنسائي (٣٣٨/٧) مختصرا (٨١٦٦) أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ، وَأَخْبَرَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ سَعْدًا، حَكَّمَ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ: أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي، وَأَنْ تُسَبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَأَنْ تُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «لَقَدْ حَكَّمَ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ الَّذِي حَكَّمَ بِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ»

■ وفي المسند المصنف المجلد (١٣٢/٩): قال البزار: هذا الحديث قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه، وأعلى من روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم سعد، ولا نعلم له عن سعد طريقا إلا هذا الطريق، إلا حديثا رواه عياض =

(١٢) وقال ابن سعد: أَخْبَرَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ قَائِمٌ عِنْدَ قَبْرِ سَعْدٍ: «لَقَدْ ضُغِطَ ضَغْطَةً، أَوْ هَمَزَ هَمَزَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا بِعَمَلٍ لَتَجَا مِنْهَا سَعْدٌ»^(١)

(١٣) وقال أيضا: أَخْبَرَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْتَبِرٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ قَالَ: لَمَّا دَفَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَعْدًا قَالَ: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ لَتَجَا سَعْدٌ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً اخْتَلَفَتْ مِنْهَا أَضْلَاعُهُ مِنْ أَثَرِ الْبَوْلِ»^(٢) وهذا مرسل ضعيف الإسناد.

(١٤) ومثله في الضعف ما رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر عن ابن إسحاق، حَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَأَلَ بَعْضَ أَهْلِ سَعْدٍ: مَا بَلَغَكُمْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا؟ فَقَالُوا: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «كَانَ يُقَصِّرُ فِي بَعْضِ الظُّهُورِ مِنَ الْبَوْلِ»^(٣)

(١٥) وقال أبو بكر بن أبي داود: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثنا سَعْدٌ، قَالَ: ثنا الأعمش، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: نُوفِيَتْ زَيْنُبُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ بِجَنَازَتِهَا، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَرَأَيْنَاهُ كَيْبًا حَزِينًا، ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَهَا، فَخَرَجَ

بن عبد الرحمن بن سعد، عن أبيه، عن جده، ولم يتابع عليه. «مسنده» (١٠٩١).

■ وقال أبو حاتم الرازي: ذاك خطأ، ومحمد بن صالح شيخ، لا يعجبني حديثه. «علل الحديث» (٩٧١).

■ وقال الدارقطني: حدث به سعد بن إبراهيم، واختلف عنه؛ فرواه محمد بن صالح التمار، عن سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن سعد. وخالفه عياض بن عبد الرحمن، فرواه عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن بن عوف. وكلاهما وهم. وخالفهما شعبة، فرواه عن سعد، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبي سعيد الخدري، وهو الصواب. «العلل» (٦٠٥).

■ وقال البخاري في التاريخ الكبير (٤/٢٩١) ٢٨٦٣ - صالح بن محمد بن صالح بن دينار التمار المديني عن أبيه عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي سَعْدِ بْنِ مَعَادٍ، وَخَالَفَهُ شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي أَمَامَةَ ابْنِ سَهْلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا أَصَحُّ أَه.

■ قلت: وحديث شعبة في الصحيحين.

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٤٣١/٣).

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٤٣٠/٣).

(٣) إثبات عذاب القبر (١١٤)

مُلْتَمِعَ اللّوْنِ، فَسَأَلْتَاهُ عَن ذَلِكِ، فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً مِسْقَامًا، فَذَكَرْتُ شِدَّةَ الْمَوْتِ، وَضَغْطَةَ الْقَبْرِ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ، فَخَفَّفَ عَنْهَا»^(١)

(١) كتاب البعث لابن أبي داود (٨) ومن طريقه: أبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٣٢٣)، وابن عساكر في المعجم (١٤٢) وقال: حسن غريب.

■ قال السيوطي كما في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٦١/٢) وأخرجه أبو عوانة في صحيحه قَالَ كَتَبَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (بْنُ) شَاذَانَ - كَذَا وَالصَّوَابُ حَذْفُ كَلِمَةِ ابْنِ - حَدَّثَنَا سَعِيدٌ (كَذَا) وَصَوَابُهُ (سَعْدُ) بْنُ الصَّلْتِ ... بِهِ. وَعَزَاهُ الْحَافِظُ فِي إِتْحَافِ الْمَهْرَةِ (٦٠/٢) إِلَى أَبِي عَوَانَةَ فِي الْجَنَائِزِ: كَتَبَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، بِهِ. عَنِ أَنَسِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

■ قلت: إسحاق هذا هو الملقب شاذان، وهو سبط سعد بن الصلت القاضي. قال الذهبي: ذكره ابن حبان في "الثقات" وقال: مات لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستين. ولي جده قضاء شيراز، وهو من طبقة وكيع. وقال ابن أبي حاتم: كتب إلي وإلى أبي، وهو صدوق. انظر: تاريخ الإسلام ت بشار (٦/٢٩٤). وقال الحافظ في لسان الميزان ت أبي غدة (٣٣/٢): له مناكير وغرائب مع أن ابن حبان ذكره في الثقات فقال: يروي عن عبّيد الله بن موسى وجده، يعني لأمه - سعد بن الصلت وعنه عبد الكبير الخطايب، وغيره. مات يوم الأحد لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستين ومئتين. قلت: وقد جمع ابن منده غرائب ووقعت لنا من طريقه. اهـ وقد ذكره ابن أبي حاتم فنسبه وقال: إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن زيد النهشلي وقال: هو صدوق.

■ وسعد هو ابن الصلت ذكره ابن حبان في ثقافته وقال: يروي عن الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد. روى عنه ابن ابنته إسحاق بن إبراهيم شاذان. رُبَّمَا أُغْرِبَ اهـ وذكره ابن أبي حاتم (٣٤/٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (١١٠٧/٤): سَأَلَ عَنْهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَقَالَ: مَا فَعَلَ سَعْدُ؟ قَالُوا: وَبَيَّ قَضَاءُ شِيرَازَ. قَالَ: دُرَّةٌ وَقَعَ فِي الْحُشِّ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: قُلْتُ: مَا رَأَيْتُ لِأَحَدٍ فِيهِ جِرْحًا، فَحَلَّهُ الصَّدَقَ اهـ. وعبارته في سير أعلام النبلاء (٣١٨/٩): قُلْتُ: هُوَ صَالِحُ الْحَدِيثِ، وَمَا عَلِمْتُ لِأَحَدٍ فِيهِ جِرْحًا اهـ.

■ ومن فوقه معروفون، لكن أبو سفیان وهو طلحة بن نافع ذكر أبو حاتم أن سماعه من أنس محتمل كما في جامع التحصيل. وقال ابن حبان في الثقات (٣٩٣/٤): روى عنه الأعمش وعتبة بن أبي حكيم والناس وكان الأعمش يُدلس عنه اهـ وقال في مشاهير علماء الأمصار (ص: ١٧٥): وكان يهتم في الشيء بعد الشيء اهـ فيتوقف في الجزم بسماعه من أنس

■ والحديث رواه الحاكم (٦٨٤٥) من طريق شاذان به ووقع في سنده (سعيد) بن الصلت والصواب سعد.

■ ورواه أبو عوانة - كما في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٦١/٢) - والطبراني في المعجمين الكبير (٤٣٣/٢٢) و الأوسط (٥٨١٠) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ كِلَاهِمَا قَالَا (أَبُو عَوَانَةَ) وَالْحَضْرَمِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ) تَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: تَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِي، عَنِ زَكَرِيَّا بْنِ سَلَامٍ، عَنِ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ظَهَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

عَلَيْهِ سَلَامٌ، ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَا مِنْكَ مَا لَمْ نَرَ قَال: «ذَكَرْتُ زَيْنَبَ، وَصَعَفَهَا، وَصَعَطَةً الْقَبْرِ، لَقَدْ هُوْنَ عَلَيْهَا، وَعَلَى ذَلِكَ لَقَدْ صَعَطَهَا صَعَطَةً بَلَغَتِ الْخَافِقِينَ»

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سعيد بن مسروق إلا زكريا بن سلام، تفرد به إسحاق بن سليمان. قلت: إسحاق ثقة، وشيخه زكريا ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤٢٣/٣) و٤٢٤) ومسلم في الكنى (٩٠٣/٢) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥٩٨/٣) ولم يذكروا فيه جرحا ولا تعديلا. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٨٦٥/٣): صدوق. اهـ وقال الذهبي: .. في نفسي من لقي إسحاق بن سليمان له اهـ قلت: أثبت سماعه منه البخاري في التاريخ ومسلم في الكنى.

وسعيد بن مسروق هو والد الثوري ثقة، وفي سماعه من أنس نظر فقد قال القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٤٧/٣): من أتباع التابعين ويقال إنه رأى أنس بن مالك وابن أبي أوفى ولم يسمع منهما اهـ. وقال الحافظ ابن رجب في أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص: ٥٨): وزكريا قيل إنه مجهول وسعيد بن مسروق لم يدرك أنسا فهو منقطع اهـ.

ورواه المُخَلَّص في المخلصيات (٢٠٦/١) رقم (٢٤٩)- ومن طريقه الضياء في المختارة (٢١٦٢)- وابن شاهين كما في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٦٠/٢) للسيوطي قال: حدثنا يحيى بن محمد: حدثنا محمد بن علي بن الحسين بن شقيق المروزي قال: سمعت أبي قال: أخبرنا أبو حمزة، عن سليمان الأعمش، عن سليمان، عن أنس قال: تُوفيت زينب ابنت رسول الله ﷺ، وكانت امرأة مسقامة، فتبعها رسول الله ﷺ [فساءنا حاله]، فلما دخل القبر التمع وجهه صفرة، ثم أسفر وجهه، فقلنا: يا رسول الله، رأينا منك أمرا ساءنا، فلما دخلت القبر التمع وجهك صفرة ثم أسفر وجهك، فم ذاك؟ قال: «ذَكَرْتُ ضَعْفَةَ بِنْتِي وَشَدَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَأُنِيتُ فَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ قَدْ حُقِّفَ عَنْهَا، وَلَقَدْ صُغِطَتْ ضَعْفَةُ سَمَعَ صَوْتِهَا مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ». قلت: وشيخ الأعمش سليمان هو ابن المغيرة ولم يسمع من أنس.

وقال الدارقطني في العلل (٢٥١/١٢): يرويه الأعمش، واختلف عنه؛

- فرواه سعد بن الصلت، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس.
- وخالفه حبيب بن خالد الأسدي، رواه عن الأعمش، عن عبد الله بن المغيرة، عن أنس.
- وَرَوَاهُ أَبُو حَمَزَةَ السُّكْرِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ أَنْسِ.
- وقال مسلم بن الحجاج في هذا الحديث: عن ابن شقيق، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن سليمان بن المغيرة، عن أنس. والحديث مضطرب عن الأعمش اهـ.

(١٦) روى إبراهيم بن الحجاج السائي - بالمهملة - قال ثنا حماد بن سلمة، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ صلى على صبي أو صبية فقال: «لَوْ كَانَ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا هَذَا الصَّبِيُّ»^(١)

(١٧) قال الذهبي رحمه الله: هَذِهِ الضَّمَّةُ لَيْسَتْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَجِدُهُ الْمُؤْمِنُ، كَمَا يَجِدُ أَلَمَ فَقْدِ وَلَدِهِ وَحَمِيمِهِ فِي الدُّنْيَا، وَكَمَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ مَرَضِهِ، وَأَلَمِ خُرُوجِ نَفْسِهِ، وَأَلَمِ سُؤَالِهِ فِي قَبْرِهِ وَامْتِحَانِهِ، وَأَلَمِ تَأْتُرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَأَلَمِ قِيَامِهِ مِنْ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٤٦/٣) وأبو يعلى كما في -المطالب العالية- وعنه ابن عدي في الكامل (ترجمة ثمامة)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٨٢٤) كلهم من طريق إبراهيم به وقال الطبراني: لَمْ يَرَوْهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ثُمَامَةَ إِلَّا حَمَادٌ أَهْوَتْ بَعْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ:

- وكيع: أخرجه عبد الله بن أحمد (رقم: ١٤٣٤) حدثني أبي، حدثنا وكيع به.
- وتابعه أيضا: المؤمل بن إسماعيل والعلاء بن عبد الجبار - كما في العليل لابن أبي حاتم والمختارة للمقدسي (٢٠١/٥) -.
- وتابعه أيضا حرمي بن عمارة وسعيد بن عاصم اللخمي، ذكره عنهما الدارقطني في العليل - كما في المختارة (٢٠١/٥) للضياء المقدسي.
- وخالفهم التبوذكي أبو سلمة فرواه عن حماد عن ثمامة مرسلًا. رواه عنه أبو حاتم كما في العليل لابنه (١٠٣١)
- وتابعه أبو عمر الحوضي وكيع - يعني في رواية عنه - فيما ذكره الدارقطني وصحح إرساله أبو حاتم والدارقطني.
- وقال الحافظ ابن رجب في أهوال القبور: وقد اختلف فيه على حماد،
- فرواه جماعة عن ثمامة مرسلًا. والمرسل هو الصحيح، عند أبي حاتم الرازي، والدارقطني أه.
- واختلف فيه على وكيع أيضا فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢١/٤) رقم (٣٨٥٨) فقال: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، ثنا وَكَيْعٌ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه، أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَقْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَأَقْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ»
- قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٩٦/٥): ولعل رواية ثمامة هذه عن أنس أرجح من روايته عن البراء، فقد قال ابن عدي: "ثمامة بن عبد الله أرجو أنه لا بأس به، وأحاديثه قريبة من غيره وهو صالح فيما يرويه عن أنس عندي". قلت: وقد احتج به الشيخان وغيرهما، ووثقه أحمد والنسائي وسواهما. وحماد بن سلمة ثقة من رجال مسلم. والله أعلم أه.

قَبْرِهِ، وَأَلَمَ الْمَوْقِفِ وَهَوْلِهِ، وَأَلَمَ الْوُرُودِ عَلَى النَّارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الْأَرَجِيْفُ كُلُّهَا قَدْ تَنَالُ الْعَبْدَ، وَمَا هِيَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَلَا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ قَطُّ، وَلَكِنَّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ يَرْفُقُ اللَّهُ بِهِ فِي بَعْضِ ذَلِكَ أَوْ كُلِّهِ، وَلَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ دُونَ لِقَاءِ رَبِّهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] وَقَالَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]، فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَفْوَ وَاللِّطْفَ الْحَفِيَّ، وَمَعَ هَذِهِ الْهَزَاتِ، فَسَعْدٌ مِمَّنْ نَعَلِمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَرْفَعِ الشُّهَدَاءِ رضي الله عنه. كَأَنَّكَ يَا هَذَا تَظُنُّ أَنَّ الْفَائِزَ لَا يَنَالُهُ هَوْلٌ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا رَوْعٌ، وَلَا أَلَمٌ، وَلَا خَوْفٌ، سَلِّ رَبِّكَ الْعَافِيَةَ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ سَعْدِ أَهْلِ (١٨) قلت: وقال ابن الأعرابي: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ، نَا عُقْبَةَ بْنَ مُكْرَمٍ، نَا عَمْرُو بْنُ سُفْيَانَ، نَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ مِنْذُ يَوْمٍ حَدَّثْتَنِي بِصَوْتِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَضَغْطَةِ الْقَبْرِ، لَيْسَ يَنْفَعُنِي شَيْءٌ، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ صَوْتَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، فِي أَسْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَالْإِثْمِيدِ فِي الْعَيْنِ، وَإِنَّ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَأَمِّهِ الشَّفِيفَةِ يَشْكُو إِلَيْهَا ابْنُهَا الصَّدَاعَ، فَتَقُومُ إِلَيْهِ فَتَغْمِزُ رَأْسَهُ غَمْرًا رَفِيقًا، وَلَكِنَّ يَا عَائِشَةَ، وَيَلُّ لِلشَّاكِينَ فِي اللَّهِ كَيْفَ يُضَغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ، كَضَغْطَةِ الْبَيْتَةِ عَلَى الصَّخْرِ»

وإسناده ضعيف جدا (٢)

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠).

(٢) معجم ابن الأعرابي (٣/ ٨٩٥) رقم (١٨٧٠) ورواه البيهقي أيضا في إثبات عذاب القبر (١١٦) قال: وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو سَعِيدٍ قَالَا: تَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ، نَا مُحَمَّدٌ، تَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، بِهِ وَلَفْظُهُ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ أَصْوَاتَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي أَسْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَالْإِثْمِيدِ فِي الْعَيْنِ وَإِنَّ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَأَمِّ الشَّفِيفَةِ يَشْكُو إِلَيْهَا ابْنُهَا الصَّدَاعَ، فَتَقُومُ رَأْسَهُ غَمْرًا رَفِيقًا، وَلَكِنَّ يَا عَائِشَةَ وَيَلُّ لِلشَّاكِينَ فِي اللَّهِ، كَيْفَ يُضَغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ كَضَغْطَةِ الْبَيْتَةِ عَلَى الصَّخْرِ». وإسناده ضعيف جدا، الحسن بن أبي جعفر ضعيف جدا وشيخه هو ابن جدعان ضعيف وتلميذه عمرو بن سفيان ذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٤٨١) فقال: عَمْرُو بْنُ سُفْيَانَ الْقُطَيْبِيُّ - وَيُقَالُ أَيْضًا (القطعي) - يَرُوي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ رَوَى عَنْهُ عَقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِيُّ وَالْعَرَاقِيُّونَ. هَذَا الْقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي سِلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ (١٢/ ٧٦٩): عَمْرُو بْنُ سُفْيَانَ الْقُطَيْبِيُّ؛ لَمْ أَجِدْهُ إِلَّا فِي "ثِقَاتِ ابْنِ حَبَانَ" ... فَهُوَ مَجْهُولُ الْحَالِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فتنة القبر وسؤال الملكين:

والفتنة هي هذه الأسئلة التي يُسألها الإنسان في قبره ويُسمّيها العلماء بفتنة القبر، فالإنسان إذا وُضِعَ في قبره يأتيه ملكان، يقال لأحدهما المنكر ويقال للآخر النكير، فيسألانه. كما تقدم في الأحاديث: يقال له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول العبد المؤمن: رَبِّي اللهُ، - فهو عاش على ذلك وعلى ذلك مات-، يقول: ربي الله أي: إلهي ومعبودي وخالقي هو الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما [علمك]؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنتُ به، وصدقتُ، فينتهرهُ، فيقول: مَنْ رَبُّكَ؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟ قال **عليه الصلاة والسلام**: وهي آخر فتنة تُعرَضُ على المؤمن، كما في حديث البراء المتقدم.

هذه الأسئلة الثلاثة التي من عاش في الدنيا لأجلها وقرقه الله وثبته بالقول الثابت، ومن أعرض عنها لم يستطع أن يجيب.

والمأمل لحديث البراء عند قراءته يعيش هذه الرحلة العظيمة التي تمشي مع النفس مع الإنسان من حين يموت وإلى أن يوضع في قبره، فيكون قبره عليه إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، فيجب على المسلم أن يؤمن بذلك، وأن يصدق بذلك، وأن يعمل من العمل الصالح ما يكون سبباً في نجاته من عذاب الله ﷻ، فإن لنعيم القبر أسباباً وأعمالاً ينبغي على المؤمن أن يسلكها، وأن يعمل بها، وإن لعذاب القبر أسباباً يجب على المؤمن أن يجتنبها وأن يحذر منها. وإن من عقيدة المؤمن التي يجب أن يعتقد أنها أن يعتقد أن القبر فيه نعيم وفيه عذاب كما جاءت بذلك الأخبار والأدلة من كتاب الله وسنة النبي المختار **عليه الصلاة والسلام**.

وسياتي ذكر شيء من ذلك في المجلس القادم -إن شاء الله-.

والحمد لله رب العالمين



المجلس الرابع والعشرون^(١)

عذاب القبر ونعيمه :

ومن المسائل المتصلة بمسائل الدرس الماضي ما يتعلق بالإيمان بنعيم القبر وعذابه، وأن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار؛ فإن الإنسان إذا دخل قبره تحصل له هناك أمورٌ كما أخبرنا النبي ﷺ. وهي مما يدخل في مسائل الإيمان بالغيب الذي أمرنا الله ﷻ أن نؤمن به. ولما وجد في زماننا هذا من ينكر أن يكون في القبر عذابٌ أو نعيمٌ، لزم أن نقف عند هذه المسألة قليلاً لنعرض أدلتها.

الأدلة من القرآن :

قال ابن القيم رحمه الله: نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع؛
 ١- فَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴿ [الأنعام: ٩٣]

وهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون.

٢- وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴿ [غافر: ٤٥-٤٦]

فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره.

٣- وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي

(١) كان في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴿الطور: ٤٥-٤٧﴾

وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمْ بِالْقَتْلِ وَعَظِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَأَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمْ فِي الْبَرزَخِ - وَهُوَ أَظْهَرُ - لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَاتَ وَلَمْ يَعْزُبْ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ يُقَالُ - وَهُوَ أَظْهَرُ -: أَنْ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ عَذِبَ فِي الْبَرزَخِ وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَذِبَ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَعَظِيمٌ فَهُوَ وَعِيدٌ بِعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرزَخِ ^(١).

٤- وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١]

وَقَدْ احْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ ^(٢). وَفِي الْإِحْتِجَاجِ بِهَا شَيْءٌ لِأَنَّ هَذَا عَذَابٌ فِي الدُّنْيَا يَسْتَدْعَى بِهِ رَجوعَهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مَا يَخْفَى عَلَى حَبْرِ الْأُمَّةِ وَتَرْجَمَانَ الْقُرْآنَ لَكِنْ مِنْ فَقْهِهِ فِي الْقُرْآنِ وَدَقَّةِ فَهْمِهِ فِيهِ فَهَمٌّ مِنْهَا عَذَابُ الْقَبْرِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّ لَهُ فِيهِمْ عَذَابِينَ أَدْنَى وَأَكْبَرَ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَذِيقُهُمْ بَعْضَ الْأَدْنَى لِيَرْجِعُوا فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ بَقِيَ لَهُمْ مِنَ الْأَدْنَى بَقِيَّةٌ يُعَذَّبُونَ بِهَا بَعْدَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَلِهَذَا قَالَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى وَلَمْ يَقُلْ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ الْعَذَابَ الْأَدْنَى فَتَأَمَّلْهُ.

(١) وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه - من طرق - في قوله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يقول: «عَذَابُ الْقَبْرِ

قَبْلَ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». انظر تفسير الطبري (٦٠٢/٢١) وإثبات عذاب القبر للبيهقي (٧٠) وتفسير عبد الرزاق (٣٠١٦). ورواه الطبري أيضا (٦٠٣/٢١) عن البراء. وفي سنده شريك ضعيف. ورواه هناد - كما في الدر المنثور (٦٣٦/٧) - ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٠٠) - وعبد الله في السنة (١٤٥٩) عن زاذان.

(٢) عزاه إلى ابن عباس أيضا الحافظ ابن رجب في أهوال القبور (٤٦) والمشهور عنه قولان أولهما من طريق

ابن أبي طلحة عنه أنه قال: هو: مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَأَسْقَامُهَا وَبَلَاؤُهَا مِمَّا يَبْتَلِي اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ حَتَّى يَثُوبُوا.

رواه الطبري (٦٢٧/١٨). والثاني: عَنْ شَيْبٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ قَالَ: الْحُدُودُ " رواه الطبري أيضا (١٨/

٦٢٩). وتفسيرها بعذاب القبر أسنده الطبري (٦٣١/١٨) عن مجاهد. ونقله ابن كثير (٣٦٩/٦) عن البراء

بن عازب ومجاهد وأبي عبيدة - يعني ابن عبد الله بن مسعود - وقول أبي عبيدة والبراء أسنده هناد بن

السري في الزهد (٣٤٥) - ومن طريقه الآجري في الشريعة (٨٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٠٦) - قال

حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، أَوْ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ... فَذَكَرَهُ. وإسناده ضعيف. فتبين بهذا أن

الاستدلال بها هنا فيه ضعف. ومما يضعفه ختام الآية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فتأمل.

وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَفْتَحُ لَهُ طَاقَةَ إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَلَمْ يَقْلُ فَيَأْتِيهِ حَرُّهَا وَسُمُومُهَا فَإِنَّ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ بَعْضُ ذَلِكَ وَبَقِيَ لَهُ أَكْثَرُهُ وَالَّذِي ذَاقَهُ أَعْدَاءُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بَعْضُ الْعَذَابِ وَبَقِيَ لَهُمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ

٥- وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَالْوَلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَالْوَلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلٌّ مِنَ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴿ الواقعة ﴾. فذكرها هنا أحكام الأرواح عند الموت وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر وقدم ذلك على هذا تقديم العناية إذ هي أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام.

٦- وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿١٠﴾ ﴾ [الفجر].

وقد اختلف السلف متى يُقال لها ذلك^(١)؛ فقالت طائفة يُقال لها عند الموت^(٢) وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه وقد فسر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء رضي الله عنه وَعَيْرُهُ فَيُقَالُ لَهَا اِخْرَجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ ﴿١٠﴾ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»^(٣) وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَحَادِيثَ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَجَدْتَهَا تَفْصِيلاً وَتَفْسِيراً لِمَا

(١) انظر تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤ / ٣٩٦).

(٢) رواه الطبري عن أبي صالح مولى أم هانئ ثم قال (٢٤ / ٣٩٧): وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالصَّحَّاحِ، أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ رَدِّ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ يَوْمَ النَّبْثِ لِذِلَّةِ قَوْلِهِ: ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٠﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿١١﴾ ﴾. ١. هـ

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٣) ومسلم (٢٤٤٤) عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا ﷺ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»

دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ اهـ. (١)

٧- قلت: ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه] ففي صحيح ابن حبان عن أبي سلمة عن أبي هريرة

رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في قوله ﷻ: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ قَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ» (٢)

وفي مستدرک الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ مثله. (٣)

٨- ومنها قوله تعالى: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] كما في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ،

قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ. (٤)

٩- ومنها قوله تعالى: ﴿ أَهْلَكُمْ التَّكَاثُرُ ۗ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ ﴾ [التكاثر] فقد روى

الترمذي عن علي رضي الله عنه قَالَ: مَا زِلْنَا نَشْكُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ أَهْلَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. (٥)

وقال الطبري رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ ﴾ [التكاثر] يَعْنِي: حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى

(١) كتاب الروح (ص ١٤٠/ت سيد رجب)

(٢) صحيح ابن حبان (٣١١٩) قال أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ

مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، بِهِ، وَتَابِعَهُ أَبُو زُرْعَةَ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ عِنْدَ الْبَزَارِ - كما في تفسير ابن كثير

(٥/٣٢٤) - ورواه الحاكم (١٤٠٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَقِيهُ، ثنا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ،

ثنا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، بِهِ فَوْقَهُ. وقد تقدم الحديث مطولا (ص ٣٧٦)

(٣) المستدرک (٣٤٣٩) من طريق إسحاق، أنبأ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي حَازِمِ الْمَدَنِيِّ، عَنْ

التُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَقَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ

يُجْرَجَاهُ " وخولف فيه حماد بن سلمة فرواه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي حازم به فوقه. رواه ابن أبي

شيبه (٣٤٨٣٧) ومسدد كما في المطالب العالية (٣٦٥٩) وتابعه موقوفا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَابْنُ أَبِي حَازِمٍ

عن أبي حازم كما في تفسير الطبري (١٦/١٩٨). ورواه ابن عُيَيْنَةَ فقال: عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ

أبي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ مَوْقُوفًا رَوَاهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي الْمُنْتَهَى (٦٧٤١) والطبري (١٦/١٩٦) وقال ابن كثير في

التفسير (٥/٣٢٣): قَالَ أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ: التُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ يُكْنَى أَبُو سَلَمَةَ. هُوَ رَجُلٌ أَبُو زُرْعَةَ

رواية من قال عن النعمان كما في العلل لابن أبي حاتم (١٦٩٤).

(٤) البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩) ومسلم (٢٨٧١) واللفظ له.

(٥) سنن الترمذي (٣٣٥٥)

الْمَقَابِرِ فَدَفِنْتُمْ فِيهَا؛ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، أَخْبَرَ عَنِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ، أَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا يَلْقَوْنَ إِذَا هُمْ زَارُوا الْقُبُورَ وَعِيْدًا مِنْهُ لَهُمْ وَتَهْدَدًا. (١)

الأدلة من السنة:

قال ابن القيم رحمته الله: الأحاديث في عذاب القبر تكاد تبلغ حد التواتر. (٢)

وقال ابن كثير رحمته الله: وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا. (٣)

وقال ابن العز رحمته الله: وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَسُؤَالِ الْمَلَائِكِينَ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِهِ، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وَقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ، لِكُونِهِ لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحْيِلُهُ الْعُقُولُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُّ فِيهِ الْعُقُولُ. فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَةً غَيْرَ الْإِعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي الدُّنْيَا. (٤)

ومن أدلة السنة في إثبات عذاب القبر ونعيمه ما يلي:

١- حديث البراء بن عازب وشواهد المتقدمة.

٢- وكذلك الحديث المشهور حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ صلوات الله عليه

بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالتَّمِيمَةِ» متفق عليه. (٥)

وفي رواية لمسلم وابن ماجه: «وَكَانَ الْآخَرُ لَا يَسْتَنْزِعُهُ عَنِ الْبَوْلِ - أَوْ مِنَ الْبَوْلِ -» (٦)

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٦٠٠/٢٤)

(٢) مفتاح دار السعادة ط عالم الفوائد (١/١١٨).

(٣) تفسير ابن كثير ط سلامة (٧/١٤٧).

(٤) شرح الطحاوية ت الأرنؤوط (٢/٥٧٨)

(٥) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢)، والترمذي (٧٠)

(٦) رواه مسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠) النسائي (٣١) وابن ماجه (٣٤٧)

وللنسائي «فَكَانَ لَا يَسْتَبِرُّ مِنْ بَوْلِهِ»^(١)

وهذه الروايات يفسر بعضها بعضا فمعنى الاستتار أنه لا يجعل بينه وبين بوله سُتْرَةً يَعْنِي لَا يَتَحَفَّظُ مِنْهُ^(٢).

وهذا الحديث فيه فائدتان عظيمتان:

الأولى: ما دلّ عليه الحديث من العذاب الذي يقع لبعض الناس في قبورهم، وأن القبر فيه عذاب كما فيه نعيم، فيجب على الإنسان أن يؤمن بهذا.

والفائدة الثانية: أن هذا العذاب يقع أيضاً على بعض المسلمين وأهل التوحيد وأهل الإيمان؛ لأن النبي ﷺ يقول: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثم ذكر عن الأول أنه «كَانَ لَا يَسْتَبِرُّ مِنْ بَوْلِهِ» وذكر عن الثاني أنه «كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» يعني أنهما من أهل الإسلام ليسا كافرين، ولو كان لهما ذنب أعظم من هذين يُعَذَّبَانِ عليه لذكره النبي ﷺ. والعلماء مجتمعون على هذا.

٣- ومن الأدلة أنه ﷺ علمنا أن نستعيز بالله ﷻ من عذاب القبر في أوقات شتى فمنها:

١. دُبِرَ كل صلاة قبل السلام، كما في حديث أبي هريرة رضي عنه قال رضي الله عنه: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٣).

٢. وكذلك بعد السلام: كما في الصحيح عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: كَانَ سَعْدٌ رضي عنه يُعَلِّمُ بَيْنَهُ هُوَ لَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلَّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبْرَ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ

(١) سنن النسائي (٢٠٦٨، ٢٠٦٩)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣١٨ / ١)

(٣) رواه مسلم (٥٨٨).

أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١)

٣. ومنها أن نتعوذ بالله من عذاب القبر في الصباح والمساء، كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا أَمَسَى قَالَ: «أَمْسَيْتَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ»^(٢)

٤. والدعاء به للميت في الصلاة عليه لحديث عوف بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ -» وفي رواية: «وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ» قَالَ: «حَتَّى تَمَنِّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»^(٣)

٥. وعند الكسوف أو الخسوف لحديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ خَسَفَتْ الشَّمْسُ، لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، «قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» متفق عليه^(٤)

٤- ومن الأدلة أيضا حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كُؤُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى إِنَّهُ - يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكُؤُوبَ

(١) رواه البخاري (٢٨٢٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٣).

(٣) المرجع السابق (٩٦٣).

(٤) رواه البخاري (١٠٥٠) ومسلم (٩٠٣) وبوب عليه البخاري: "بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْكُسُوفِ".

فِي شِدْقِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ
فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ. فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ،
وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَدَهَ الْحَجَرُ،
فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ
فَضَرَبَهُ، قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ. فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ
وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا،
وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ. فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ
دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ الَّذِي فِي النَّهْرِ،
فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ
رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ. فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى
رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصَبِيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنْ
الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرِ قَطُّ أَحْسَنَ
مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُبُوحٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ وَصَبِيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ
فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُبُوحٌ وَشَبَابٌ. قُلْتُ طَوَّقْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي
عَمَّا رَأَيْتُمْ. قَالَا نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ
حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدُخُ رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ
الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ
فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ آكِلُو الرِّبَا. وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصَّبِيَانُ حَوْلُهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ حَازِنُ النَّارِ. وَالذَّارُ الْأُولَى
الَّتِي دَخَلْتُ دَارَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا
مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَارْفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ. قَالَا ذَلِكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ
دَعَانِي أَدْخُلُ مَنْزِلِي. قَالَا إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتِ أَتَيْتِ مَنْزِلَكَ»^(١)

٥- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله، قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١)

٦- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله فِي حَائِطِ لَبْنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةً أَوْ خَمْسَةً أَوْ أَرْبَعَةً فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، قَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.^(٢)

٧- فِي الْمَوْطَأِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ صَلَّىتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٣).

وغير ذلك من الأدلة التي تدل على إثبات عذاب القبر،

نسأل الله ﷻ أن يعيذنا من عذاب القبر.

(١) رواه مسلم (٢٨٦٨).

(٢) المرجع السابق (٢٨٦٧).

(٣) موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ٢٢٨) رقم (١٨).

هول القبر وفضاعته :

وفي جامع الترمذي أَنَّ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ تَذَكَّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ»^(١).

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى امْرَأَةٍ سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ ثُمَّ قَالَ «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»^(٢).

ذِكْرُ بَعْضِ مَا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ :

ومن المسائل التي تتعلق بالإيمان باليوم الآخر:

- ١- مسألة النفخ في الصور، وهي من أوائل ما يدخل معنا في مسائل الإيمان باليوم الآخر؛ لأن ذلك مقدمة ليوم البعث والجزاء والنشور.
- ٢- كذلك يجب أن نؤمن بالبعث والجزاء والنشور.
- ٣- وكذلك نؤمن بما يقع من أحوال عظيمة في تبدل الأرض وتحول الأرض يوم القيامة. فإن هذا مما أخبرنا عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاء أيضًا بيانه في كتاب الله تَعَالَى في سورة التكوير والانفطار وغيرهما من السور.
- ٤- وكذلك نؤمن بما يقع في الموقف وأهواله يوم القيامة
- ٥- وكذلك نؤمن بما أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكرب العظيمة التي تقع في ذلك اليوم

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧) وأحمد (٤٥٤٠)، وقال الترمذي: وقال: هذا حديث حسن غريب اهدوحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٠) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في

الصحيحين (١٢٤٥)

(٢) صحيح مسلم (٩٥٦).

من إجماع الناس بالعرق ومن ذهول كل مُرضعة عما أرضعت، ومن كون الولدان يشيرون، وبلوغ القلوب الحناجر، وتقلب القلوب والأبصار وغير ذلك.

٦- كذلك نؤمن بما أخبرنا النبي ﷺ عن أحوال الناس التي ستكون في عرصات القيامة: من تقطع الأنساب بينهم، ومن أن كل نفس تكون مسؤولة عن نفسها، وأن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وغير ذلك.

٧- كما نؤمن بما أخبرنا من سيأمن ومن سيخاف في ذلك اليوم.

٨- كذلك نؤمن بالحشر وما ورد فيه من الأدلة.

٩- ونؤمن بما سيكون يوم القيامة من الشفاعة العامة لفصل القضاء، وشفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الشافعين.

١٠- كذلك نؤمن بما يكون يوم القيامة من نشر الصحف وتطاير الصحف، فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

١١- كما أخبرنا النبي ﷺ أن ثمة أناساً يأمنون يوم القيامة، ويظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

١٢- كذلك نؤمن بما يكون يوم القيامة من الحساب، وأن الله تعالى سريع الحساب، وأنه يحاسب الخلائق ويسألهم عن أعمالهم.

١٣- ونؤمن كذلك أن من الناس من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب كما أخبر النبي ﷺ.

١٤- كذلك نؤمن بما سيكون يوم القيامة من الحوض ولقاء النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ يقف على حوضه ويرد الناس ليشربوا من حوضه ﷺ.

١٥- كذلك نؤمن بما يقع يوم القيامة من الميزان، وأن الأعمال توزن، وأنه لا يُظلم

أحد عند الله ﷻ.

١٦- كذلك نؤمن بالصراف الذي يكون يوم القيامة.

١٧- وكذلك نؤمن بالجنة والنار،

وغير ذلك من الأحداث التي جاء ذكرها فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

وسنبدأ في هذا المجلس إن شاء الله تعالى بالحديث عن مسألة من هذه المسائل،

وهي: مسألة النفخ في الصور.





**الإيمان
بالنفس في الصور**

النفخ في الصور

يجب على المؤمن أن يؤمن بالنفخ في الصور؛ لأنه قد جاء ذكره في الكتاب وفي السنة ويكون عند بداية يوم القيامة.

وفي الحديث - كما سيأتي - أن الله أوكل بالنفخ في القرن ملكاً قد التّمه؛ لينفخ فيه نفختي الصعق والبعث، وعلى إثرها تقوم الساعة.

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمته الله: "كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه الذي جعله الله سبب الفرع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدّم في ذكر الملائكة، وقد ذكر الله ﷻ النفخ فيه في مواضع من كتابه"^(١).

النفخ في الصور يكون مرتين:

وقد أفادت النصوص الشرعية أن النفخ في الصور يقع مرتين: فالنفخة الأولى: للإفناء وبها يهلك كل شيء إلا ما شاء الله، وتسمى الراجفة، وتسمى الصيحة. والنفخة الثانية: للإنشاء، وبها يُبعث كل شيء، وتسمى الرادفة.

قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر]،

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ ﴾

[النازعات].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الآخرة"^(٢)

(١) معارج القبول (٢/٧٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٦٥).

وقال الحسن البصري: "هما النفختان، أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحي الموتى" (١).

وقال قتادة: "هما الصيحتان: أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتحي كل شيء بإذن الله" (٢).

وهكذا يجد المتأمل للآيات الأخرى التي ورد فيها النفخ في الصور أنها تذكر نفختين أولى وأخرى،

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَلَأُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام]

وقال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف]

وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل]

وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر]

يعني إذا نفخ في الصور. قاله ابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وغيرهم (٣) وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

اللَّهُ تُوِّفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ [الزمر: ٦٨]

اختلف فيه العلماء:

فذهب بعضهم إلى أن النفخ في الصور دلّت الآيات على أنه ثلاث وليست اثنتين،

فقالوا قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هذه واحدة،

وقوله: ﴿فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذه الثانية،

(١) المرجع السابق (٦٥/٢٤).

(٢) المرجع السابق (٦٦/٢٤).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٣٨٢) والأهوال لابن أبي الدنيا (٥٤)، وتفسير الطبري (٤١٩/٢٣)

وقوله: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ هذه الثالثة.

وقال بعض أهل العلم هي أربع.

والصحيح من أقوال العلماء أنها نفختان^(١).

وهو اختيار الشيخ العلامة ابن باز رحمته الله وتلميذه العلامة ابن عثيمين رحمته الله.^(٢)

ولا مانع من أن تكون النفخة الأولى فيها فرعٌ يُؤوّل بالناس بعد ذلك إلى الموت.

كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧].

ويقول النبي صلّى الله عليه وآله وقد سُئِلَ عن الصور كما في سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد

من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال جاء أعرابي إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: ما الصور؟ فقال

صلّى الله عليه وآله: « قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ »^(٣).

وقال صلّى الله عليه وآله: « ... ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لِيَتَا وَرَفَعَ لِيَتَا، قَالَ:

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا

كَأَنَّهُ الظِّلُّ أَوْ الظَّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ

يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ... »^(٤).

(١) ينظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٤٩٠) و«فتح الباري لابن حجر» (٣٦٩/١١)

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٣٢٧/٤) وتفسير العثيمين: النمل (ص ٤٨٦).

(٣) سنن الترمذي (٢٤٣٠، ٣٢٤٤) وسنن أبي داود (٤٧٤٢)، ومسند أحمد (٦٥٠٧) وهو في السلسلة الصحيحة

(١٠٨٠)

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

الملك الموكل بالنفخ في الصور قد التقمه :

وأخبرنا النبي ﷺ أن صاحب الصور الذي وكله الله ﷻ بالنفخ فيه قد التقمه. قال النبي ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدِ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنِ، وَحَتَّى جَبَهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ؟!» فقال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول؟ فقال: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا»^(١) وهذا يدل على قرب قيام الساعة.

صاحب النفخ في الصور:

قال القرطبي رحمه الله: وَالْأُمَّمُ مُجْمَعَةً عَلَى أَنَّ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "اشْتَهَرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَقَلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ"^(٣).

وقت النفخ في الصور:

وقال النبي ﷺ مُبَيِّنًا الْوَقْتَ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ فِي الصُّورِ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ التَّفْحَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ...»^(٤) إلى آخر الحديث،

مدة ما بين النفختين:

وجاء عن النبي ﷺ بيان الفترة التي تكون بين النفختين، وأنها أربعون، لكن لا ندري أهي أربعون يوماً أم شهراً أم سنة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهراً قال: أبيت - يعني لا أستطيع أن أجزم بشيء لا

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣١، ٣٢٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو في السلسلة الصحيحة (١٠٧٩)

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/٧).

(٣) فتح الباري (٣٦٨/١١).

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥) من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.

أعلمه عن النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: «وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ، إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ»^(١)

النفخة الأولى:

أما النفخة الأولى وهي بداية الساعة فيقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:
لَيَنْفُخَنَّ فِي الصُّورِ، وَالتَّاسُ فِي طُرُقِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، حَتَّىٰ إِنَّ الثُّوبَ لَيَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ يَتَسَاوَمَانِ، فَمَا يُرْسَلُهُ أَحَدُهُمَا مِنْ يَدِهِ حَتَّىٰ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَحَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّىٰ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾^(٢) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿ [يس] ﴾^(٣).

وهذا فيه بيان أن النفخة الأولى تكون فجأة، وعليها تقوم الساعة كما جاءت بذلك الأخبار.

-وقد أخبر الله ﷻ في كتابه أن الساعة تكون بغتة.-

يقول العلامة الألوسي رحمته الله: "وهي النفخة الأولى في الصور التي يموت بها أهل الأرض، وعبر بالإنظار نظراً إلى ظاهر قولهم: ﴿ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ﴾ [يونس: ٤٨] أو لأن الصيحة لما كانت لا بُدَّ من وقوعها جُعِلُوا كأنهم منتظروها ﴿ تَأْخُذُهُمْ ﴾ تقهرهم، وتستولي عليهم، فيهلكون ﴿ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ أي: يتخاصمون ويتنازعون في معاملاتهم ومتاجرهم، لا يخطر ببالهم شيء من محاييلها كقوله تعالى: ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٤) واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) رواه الطبري في التفسير (٤٥١/١٩) بسند صحيح عن أبي المغيرة القَوَّاسِ، عن عبد الله بن عمرو، به. والقواس ذكره الذهبي في الميزان (٥٧٦/٤) وقال: ذكره سليمان التيمي ولينه. وقال ابن المديني: لا أعلم أحداً روى عنه غير عوف. اهـ. هزاد الحافظ في لسان الميزان (١٦٨/٩): وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة. وذكره ابن جبان في "الثقات". اهـ. فالراجح فيه أنه ثقة كما قال ابن معين.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ ﴿يوسف﴾ فلا يغتروا بعدم ظهور علائمها حسبما يريدون ولا يزعمون أنها لا تأتي^(١).

وذكر الحافظ ابن كثير رحمته الله أن هذه النفخة يسبقها نفخة الفرع فقال:
 أَوَّلُ شَيْءٍ يَطْرُقُ أَهْلَ الدُّنْيَا بَعْدَ وُقُوعِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَفْخَةُ الْفَرْعِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْفَرْعِ، فَيَطْوُلُهَا، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا السَّمَاوَاتِ إِلَّا فَرْعٌ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا - أَي رَفَعَ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَأَمَالَ الْأُخْرَى -، يَسْتَمِعُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي قَدْ هَالَ النَّاسَ وَأَزْعَجَهُمْ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَشُغِلِهِمْ بِهَا، وَوُقُوعُ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ... ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ فَيَنْفُخُ فِيهِ أُخْرَى فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ... إلخ^(٢)

وذكر رحمته الله حديث الصور المشهور وفيه أن « أن إسرافيل ينفخ فيه ثلاث نفخات؛ الأولى نفخة الفرع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين » وهو حديث ضعيف^(٣).

النفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون:

والنفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون كله علويّه وسفليّه، وقد قال النبي صلّى الله عليه وآله: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »^(٤).

يعني ليقراً هذه السور الثلاث ليرى ما سيكون في ذلك اليوم من عظيم الأمور،

(١) روح المعاني، ط دار الكتب العلمية، (٣٠/١٢).

(٢) البداية والنهاية ت التركي (٣٠٣/١٩).

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: فتح الباري (٣٦٨/١١)

وضعيف الترغيب والترهيب (٤٩١/٢) رقم (٢٢٢٤)

(٤) تقدم تخريجه في المجلس الحادي والعشرين.

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ ﴾ [التكوير].

تتغير معالم الكون: الشمس، والقمر، والسماء، والنجوم، والجبال، كل ذلك يتغير.

وقال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ ﴾ يعني: تشققت،

﴿ وَإِذَا الْكُوكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ ۝ ﴾ [الإنفطار]

وقال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا

فِيهَا وَتَحَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۝ ﴾ [الإنشقاق]

كل ذلك يقع بعد النفخة الأولى في الصور.

النفخة الأولى يتبعها قبض السماوات والأرض:

كذلك جاء عن النبي ﷺ الخبر بأن الله حينئذ يقبض الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر].

قال ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»^(١).

وهذا والله أعلم يكون بعد النفخة الأولى وهلاك الخلق؛ لأن المقصود إظهاره هو: انفرادة تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين؛ فقد ذهب كل ملك وملكته، وكل جبار ومتكبر وملكته، وانقطعت نسبتهم ودعوايهم، وهو مقتضى قوله ﷺ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» ذكر هذا القرطبي رحمه الله^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير القرطبي (٣٠١/١٥).

النفخة الأولى يتبعها فناء من في السماوات والأرض:

وبعد النفخة الأولى يكون فناء من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ

شَاءَ اللَّهُ تَرْتُفُخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ [الزمر]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ بيان أن هناك من استثنى مما يقع له من هذه النفخة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وَأَمَّا الْإِسْتِثْنَاءُ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِمَنْ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَوْرِ الْعَيْنِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا مَوْتُ وَمُتَنَاوِلٌ لِغَيْرِهِمْ وَلَا يُمَكِّنُ الْجُزْمُ بِكُلِّ مَنْ اسْتِثْنَاهُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ أَطْلَقَ فِي كِتَابِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَىٰ آخِذًا بِسَاقِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي هَلْ أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتِثْنَاهُ اللَّهُ» (١) ... فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَجْزِمَ بِكُلِّ مَنْ اسْتِثْنَاهُ اللَّهُ لَمْ يُمَكِّنَّا أَنْ نَجْزِمَ بِذَلِكَ وَصَارَ هَذَا مِثْلَ الْعِلْمِ بِقُرْبِ السَّاعَةِ وَأَعْيَانِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ وَهَذَا الْعِلْمُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْخَبَرِ ... ا.هـ (٢)

النفخة الثانية نفخة الأحياء والحشر:

أما النفخة الثانية فيكون على إثرها قيام الناس من القبور. كما قال الله تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ تَرْتُفُخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨]

فيترتب على النفخة الثانية قيام الناس من قبورهم.

ويقول ربنا صلى الله عليه وسلم أيضا: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٦٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النازعات]

(١) رواه البخاري (٤٤١١، ٣٤١٤) ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦/١٦).

بالساهرة أي: على وجه الأرض.

قال ابن كثير رحمته الله: "أي: فإنما هو أمر من الله لا مثوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب ﷻ ينظرون"^(١).

النفخة الثانية يتتابع بعدها أهوال يوم القيامة:

وبعد النفخة الثانية يكون قيام الناس من قبورهم وتتابع أهوال القيامة. كما جاء في قول النبي ﷺ وهو من تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٦٨.

قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْرَجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ... فذكر الحديث وفيه قَالَ: "فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِقَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارَ رِزْقِهِمْ، حَسَنَ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبْلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطْرًا كَأَنَّهُ الظَّلُّ أَوْ الظَّلُّ فَتَنْبُثُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٦٨، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَلِكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ"^(٢) إلى آخر ما ورد في الحديث.

فدل هذا الحديث على أن من آثار النفخة الثانية تتابع أهوال القيامة،

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل الجنة الآمين في عرصات القيامة.

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

إخواني: يقول النبي ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(١)

ويقول: «جَاءَتِ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»^(٢)

فالمؤمن ينبغي له أن يستعد لهذه الأحداث العظيمة التي تتتابع والتي تكون بغتة، فمن كان في غفلة في هذه الدنيا فعليه أن يراجع نفسه والله المستعان.



(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.



الإيمان بالبعث والنشور

المجلس الخامس والعشرون^(١)

الشعبة السابعة من شعب الإيمان: الإيمان بالبعث والنشور

الشعبة السابعة من شعب الإيمان شعبة متعلقة بركن الإيمان باليوم الآخر، وهي الإيمان بالبعث والنشور بعد الموت. فهي جزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان الستة؛ فلا يصح إيماناً إلا بها.

حكم منكر البعث والنشور:

ومنكره كافرٌ، والأدلة في ذلك كثيرة جداً كما سيأتي معنا، ومنها:
قول الله ﷻ: ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ [الرعد: ٥].

يقول الحافظ ابن عبد البر رحمته الله: "أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة"^(٢).

تعريف الإيمان بالبعث والنشور:

يقول البيهقي رحمته الله: "والإيمان بالبعث هو: أن يؤمن بأن الله تعالى يعيد الرُّفَات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطن السباع وغيرها حتى تصير بهيئتها الأولى، ثم يجمعها حية، فيقوم الناس كلهم بأمر الله تعالى أحياءً صغيرهم وكبيرهم حتى السقط الذي قد تم خلقه ونفخ فيه الروح، فأما الذي لم يتم خلقه أو لم ينفخ فيه الروح أصلاً فهو وسائر الأموات بمنزلة واحدة والله تعالى أعلم"^(٣).

ويقول ابن كثير رحمته الله: "البعث وهو: المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة"^(٤).

(١) كان في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) التمهيد (١١٦/٩).

(٣) شعب الإيمان (٤١٠/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٥).

من أدلة الإيمان بالنشور والنشور

الإيمان بالمعاد بينه القرآن وبينته سنة النبي العدنان **عليه الصلاة والسلام** وجاءت الدلالة عليه دلالة قاطعة بينة. ولذا فإن أصحاب الإلحاد الذين ينكرون وجود الله **ﷻ** ومن ثم ينكرون البعث والجزاء والنشور، ويرون أنه ليس ثمة يوم آخر هؤلاء كالذي يغطي الشمس بيده، ويريد أن يزيح نور الشمس بيده؛ لأن القرآن الكريم جاءت فيه الأدلة متنوعة للدلالة على هذا الأمر العظيم وهو بعث الناس بعد الموت من قبورهم.

الإخبار بوقوع الساعة وقربها:

فمن ذلك أن الله **ﷻ** أخبر بوقوع يوم القيامة، وهذا الإخبار جاء متنوعاً. فمن ذلك أن الله **ﷻ** يقول: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْفَحْ فَأَصْفَحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وغير ذلك من الأدلة. إذاً هذا النوع الأول وهو إخبار الله سبحانه إخباراً مؤكداً بأن الساعة آتية، وأنه لا بد أن يُبعث الناس من قبورهم.

القسم من الله تعالى بقيام الساعة ومن أصدق من الله حديثاً:

وفي مواضع يقسم الله تعالى على ذلك، كما قال **ﷻ**: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء: ٨٧]. فقولُه سبحانه: ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ اللام هنا يُسمِّيها العلماء بلام القسم أي: والله ليجمعنكم الله فهي لام القسم^(١).

ويقول **ﷻ**: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝۱ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ۝۲ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝۳ فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا ۝۴ ﴾ فهذه أربعة أقسام جوابها: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝۵ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝۶ ﴾ [الذاريات].

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٢٣٢) ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/٢٤٦)

المواضع التي أمر الله نبيه بالتقسيم فيها على البعث والمعاد:

وتقدم ذكر الثلاث الآيات التي أمر الله فيها نبيه ﷺ أن يُقسِمَ على صدق البعث ومجيء البعث يوم القيامة، وهي قوله ﷺ: -وهو الموضع الأول-: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣].

ويقول سبحانه في سورة يونس -وهو الموضع الثاني-: ﴿ وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ ﴾ يعني البعث والجزاء والنشور، فيقول الله: ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ ﴾ [يونس: ٥٣]. ويقول ﷺ في سورة التغابن -وهو الموضع الثالث-: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْعَتُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [التغابن: ٧]. فهذه ثلاثة مواضع في القرآن يأمر الله ﷺ فيها نبيه ﷺ أن يُقسِمَ على أن البعث حق.

المدح للمؤمنين المصدقين بالبعث والنشور:

ويأتي في القرآن مدح المؤمنين الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، مثل قول الله ﷻ: ﴿ الْمَلَأْنَا لَهُمُ الْقُلُوبَ قُوَّةً وَمَا أَزَلُّوا فِيهَا شَيْئًا وَكَرَّمُوا فِي ذُرِّيَّتِهِمُ الْمَوْلُودَ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا لِيُحْيُوا الْأَرْضَ بَرْدًا وَحَدَّثُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا حَسْرَتَهُمْ إِنَّهُمْ سَاءُ الْمَالِكِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

الذم لمن كذب بالمعاد:

كما ورد في كتاب الله سبحانه الذم لمن كذب بالمعاد والبعث والنشور، يقول سبحانه: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٤٥].

إخبار الله تعالى بأن القيامة حق:

كذلك يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [فاطر: ٥] فهذا خبرٌ من ربنا ﷻ ووعدٌ صادقٌ وخبرٌ لازمٌ أن يوم القيامة آتٍ لا محالة، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث والمعاد:

كذلك إذا تأملنا في كتاب الله ﷻ نجد أن الله ﷻ يستدل بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى. فتأمل قوله سبحانه: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ لَئِنَّا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿ مريم ﴾ يعني أن المكذبين يقولون: كيف سنبعث بعد أن متنا؟! فقال الله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿ مريم ﴾ يعني: إحيائك بعد وفاتك أهون من خلقك الأول على الله، كما قال ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿ الأحقاف ﴾، وفي أول سورة الحج يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ﴿ الحج: ٥ ﴾.

يسوق لك الله سبحانه حياتك، وكيف بدأت، ويذكرك أنه ﷻ خلقك من عدم، فليست إعادتك بعد موتك بأعظم على الله ﷻ.

ضرب الأمثال على المعاد:

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ﴿٥﴾ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴿٦﴾ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴿٧﴾ ﴿ الحج: ٥ ﴾. فالقرآن يبين لك ما كان عليه الإنسان: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ﴿١﴾ ﴿ الإنسان ﴾ وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ يعني: قد جاء عليه وقت كنت فيه عدما، ولم تكن فيه شيئا مذكورا، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ﴿٣﴾ ﴿ الإنسان ﴾.

وانظر أيضًا إلى قول الله ﷻ: ﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَوَلَا نَحْنُ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ فيقول الله ﷻ مجيبًا لهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء].

ويقول ﷻ: ﴿ أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس].

ويقول ﷻ: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧].
يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"^(١).

ويقول ابن أبي العز رحمه الله - شارح الطحاوية -: "أخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتها، وعظم شأنها، وكبر أجسامها، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظامًا قد صارت رميمًا، فيردها إلى حالتها الأولى"^(٢).
إذا هذه كلها أدلة من القرآن متنوعة في بيان أن الله سبحانه قادر على أن يبعث العباد بعد الموت وأن إنكار من أنكر من الكافرين والمكذابين إنما هو تعام عن الحق وإنكاراً للفطرة وتكذيباً لله ولرسله ﷺ.

التكذيب بالبعث تكذيباً بألوهية الله وربوبيته :

كذلك يأتي في كتاب الله ﷻ بيان أن من تمام ألوهية الله وربوبيته قدرته على تحويل الخلق من حال إلى حال؛ فالتكذيب بالبعث والجزاء والنشور هو: تكذيباً بألوهية الله وربوبيته. يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام].

فالإله الحق والرب سبحانه هو القادر على ذلك.

(١) الفتاوى الكبرى (١/١٢٧).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/٥٩٥).

ويقول **عليه السلام**: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَلَسِي خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٧٨] أي: وضرب لنا هذا المكذب بالبعث ﴿ مَثَلًا وَلَسِي خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٧٨]. جاء رجل إلى النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** معه عظم يفتته بين يديه، ويقول يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟! فنزلت الآيات: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَلَسِي خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٧٨] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٧٩﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس].^(١)

(١) قال ابن كثير في التفسير (٥٩٤/٦): قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعَكْرَمَةُ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَالسُّدِّيُّ. وَقَتَادَةُ: جَاءَ أَبِي بَنْ حَلْفٍ لَعَنَهُ اللَّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وآله وسلم** فِي يَدِهِ عَظْمٌ رَمِيمٌ وَهُوَ يُفْتَتُهُ وَيُدْرِيهِ فِي الْهُوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَخْشُرُكَ إِلَى النَّارِ». وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ «يس»: ... إِلَى آخِرِهِنَّ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْجُنَيْدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الرَّيَّانِ، عَنْ هُشَيْمِ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رضي الله عنه**، أَنَّ الْعَاصِيَّ بْنَ وَائِلٍ أَخَذَ عَظْمًا مِنَ الْبَطْحَاءِ فَفَتَنَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وآله وسلم**: أَيُّجِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وآله وسلم**: «نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يَدْخُلُكَ جَهَنَّمَ». قَالَ: وَنَزَلَتْ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ «يس»: «وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هُشَيْمِ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَذَكَرَهُ وَلَمْ يَذْكَرِ «ابْنَ عَبَّاسٍ» أَه. قُلْتُ: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ **رضي الله عنه** الْمَذْكُورُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَيْضًا الْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي الْمَعْجَمِ (٣٥٩) وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ - كَمَا فِي الدَّر الْمُنْتَوَرِ (٧٤/٧) - وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ الضَّيَاءُ الْمُقَدَّسِيُّ فِي الْمُخْتَارَةِ (٨٧/١٠) - مِنْ طَرِيقِ أَبِي كَرِيبٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بِهِ - وَعُثْمَانُ صَدُوقٌ - وَقَدْ تَوْبَعَهُ؛ فَقَدْ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٦٠٦) - وَعَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ (١٥) - مِنْ طَرِيقِ عَمْرٍو بْنِ عَوْنٍ - وَهُوَ ثِقَةٌ ثَبَتَ - قَالَ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَنْبَأَنَا أَبُو بَشِيرٍ بِهِ. وَقَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ أَه. قُلْتُ: رَجَالُهُ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ، وَلَيْسَ عَلَى شَرْطِهِمَا، فَإِنَّ الْحَاكِمَ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ عَمْرٍو بْنِ عَوْنٍ - وَهُوَ مِنْ شَيْوخِ الْبَخَارِيِّ -؛ وَمُسْلِمٌ إِنَّمَا يَرُوي عَنْهُ بِوَسْاطَةِ، وَتَلْمِيذُهُ عِنْدَ الْحَاكِمِ هُوَ الْفَضْلُ الشَّعْرَانِيُّ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ رِجَالِ الْكُتُبِ السِّتَةِ. - وَهُوَ ثِقَةٌ -، ثُمَّ إِنَّ فِي سِنْدِهِ اخْتِلَافًا وَهُوَ لَا يَضُرُّ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -؛ فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى هُشَيْمِ، فَرَوَاهُ عُثْمَانُ الزِّيَّاتُ وَعَمْرٍو - كَمَا تَقَدَّمَ وَتَابِعَهُمَا مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانٍ - كَمَا فِي تَلْخِيصِ الْمُتَشَابِهِ فِي الرَّسْمِ لِلْخَطِيبِ (٣٨٦/١) - مُوَصُولًا - بِذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رضي الله عنه** - . وَرَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ

وهذه الآيات فيها جملة من الدلائل على تحقق البعث والجزاء والنشور، فالله سبحانه احتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى؛ إذ كل عاقل يعلم ضرورة أن من قدر على هذه قدر هذه. وأكد سبحانه الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر، فقال ﷺ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [يس]. فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة!! فهذا ضربٌ للأمثال وتبيينٌ من الله ﷻ، ثم يأتي التأكيد من الله ﷻ على ذلك في هذه الآيات: يقول: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾. ثم يؤكد الله ﷻ أن فعله ليس بمنزلة غيره: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٧﴾ [يس].

أمثلة حسية رآها الناس لإحياء الموتى:

ومن دلائل القرآن على تحقق البعث والجزاء والنشور أن الله ﷻ أرى الناس بعض هذه الأمور في هذه الدنيا؛ ليتبين لهم أن الله ﷻ على كل شيء قدير. ومن هذه الأمثلة:

المثال الأول:

يقول البيهقي رحمه الله: "وقد نبهنا الله ﷻ على إحياء الموتى بما أخبر من إراءة إبراهيم عليه السلام إحياء الأموات، وقد نقلته عامة أهل الملل (١)".

فهذا أمرٌ بينه الله ﷻ في القرآن، وتناقلته عامة أهل الملل كما يقول البيهقي رحمه الله، وذلك في قول الله ﷻ في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

إبراهيم الدورقي - كما في تفسير الطبري (١٩/ ٤٨٧)، وهو ثقة حافظ-؛ وفضيل بن عبد الوهاب - كما في الأحوال لابن أبي الدنيا (٨٨) وهو ثقة- عن هشيم به مرسلًا - ليس فيه ذكر ابن عباس-؛ وخالفهم جميعا: محمد بن بكار - كما عند الحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث/٧١٩) وهو ثقة- فرواه عن هشيم عن حصين عن أبي مالك - وهو غزوان الغفاري- مرسلًا وسمى الرجل "أبي بن خلف". فالظاهر صحة الحديث موصولًا بذكر ابن عباس وهو زيادة ثقة مقبولة لم يوجد ما يوجب التوقف فيها.

(١) شعب الإيمان (٤١٠/١).

حَكِيمٌ ﴿١٥٦﴾ [البقرة]. أَخَذَ أَرْبَعَةَ مِنَ الطَّيْرِ، وَقَطَعَهَا ثُمَّ أَحْيَاهَا اللَّهُ ﷻ وَرَأَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهَذَا مِثْلٌ حَيٌّ شَاهِدُهُ النَّاسُ، وَعَرَفْتَهُ الْأُمَمُ، وَتَنَاقَلْتَهُ الْمَلَلُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ ذَلِكَ، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ أَرَاهُ إِحْيَاءَ هَذِهِ الطَّيُورِ بَعْدَ أَنْ قُطِعَتْ أَجْزَاءً.

المثال الثاني:

قال البيهقي: "وبما أخبر به عن: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ﴿١٥٧﴾. وذلك في قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] أناس فرؤوا من ديارهم وهم أُلُوفٌ خشية الموت، فأماتهم الله ثم أمر بإحيائهم، فأحياهم ﷻ وهذا مما يعرفه بنو إسرائيل.

المثال الثالث:

ثم قال البيهقي: "وبما أخبر به عن الذي مرَّ على قَرْيَةٍ، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا" (١). يعني بذلك قول الله ﷻ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. رآها خاوية على عروشها، فتعجب كيف يكون إحياء الله لها بعد موتها؟! قال الله: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ وَقَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة].

ويقول بعض أهل التفسير: إن هذا هو عزيز عليه السلام، (٢) وأن الله سبحانه أماته مائة عام ثم أحياه، فرجع إلى أهله وأبنائه وهو على عمره السابق، فرأوه حيًّا بعد أن كان ميتًا.

(١) شعب الإيمان (١/٤١٠).

(٢) نقله الطبري في التفسير (٤/ ٥٧٨) عن جماعة منهم: ناجية بن كعب وسليمان بن بريدة وقتادة والربيع بن أنس وعكرمة والسدي والضحاك ونقل عن غيرهم أنه إرميا بن حلقيا وروى عن ابن إسحاق أن =

المثال الرابع:

قال البيهقي: "وبما أخبر به عن عصا موسى عليه السلام وقلبه إيّاها حيّةً ثم إعادتها خشبةً ثم جعلها عند محاجة السحرة حيّةً ثم إعادتها خشبةً، وقد اشتركت عامة أهل الملل في نقله"^(١). إذاً هذا أيضاً من الأمور التي تدل على تحقق البعث والجزاء والنشور.

المثال الخامس:

قال البيهقي: "وبما أخبر به من شأن أصحاب الكهف الذين ضرب على آذانهم زيادةً على ثلاثمائة سنة ثم أحياهم؛ ليدل قومهم عندما أعتروهم عليهم على أنّ ما أنذروا به من البعث بعد الموت حقٌّ لا ريب فيه"^(٢).

المثال السادس:

ومن ذلك ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم عليها السلام من إحياء الموتي وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى، حيث كان يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكان يُحيي الموتي بإذن الله كما أخبر الله ﷻ عنه في كتابه الكريم.

المثال السابع:

وفي سورة البقرة ذكر لنا ربنا ﷻ أيضاً قصة قتيل بني إسرائيل وقصة ذبح البقرة، وأن الله ﷻ قال: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة]. وذلك أنه لما قتل بنو إسرائيل قتيلاً، وآتهم كلُّ قبيل القبيل الآخر بقتله أمرهم نبيهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة ثم قال: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ يعني: خذوا بعضاً من هذه البقرة واضربوا به الميت فإنَّ الله سبحانه سيُحييه، فكان كما أخبرهم نبيهم موسى عليه السلام فقام، وشاهده الناس.

إِزْمِيًا هُوَ الْحَضْرُ. وقال الطبري: وَلَا بَيَانَ عِنْدَنَا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصْحُ مِنْ قِبَلِهِ الْبَيَانُ عَلَى اسْمِ قَائِلِ ذَلِكَ،... وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَةِ اسْمِهِ، إِذْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ تَعْرِيفَ الْخَلْقِ اسْمَ قَائِلِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ بِهَا تَعْرِيفَ الْمُنْكَرِينَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِحْيَائِهِ خَلْقُهُ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ... إلخ. وكلام الإمام الطبري يكتب بماء الذهب.

(١) شعب الإيمان (١/٤١٠).

(٢) المرجع السابق.

المثال الثامن:

وفي سورة البقرة مثال آخر، وهو في قصة قوم موسى عليه السلام حين قالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأماهم الله تعالى، ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

ذكر ما اشتملت عليه سورة البقرة من المواضع:

وقد اشتملت سورة البقرة وحدها على خمسة أمثلة حسيّة تدل على تحقق البعث والنشور ووجوب الإيمان به:

الموضع الأول: هو المتقدم في قصة قوم موسى عليه السلام حين قالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]

الموضع الثاني: في قصة القتل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة، فيضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله.

الموضع الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم ألوف فأماهم الله تعالى، ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٢].

الموضع الرابع: في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها المتقدمة.
الموضع الخامس: في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الآية.

هذه خمس قصص في سورة البقرة، وهي أمثلة حسية واقعية تدل على تحقق البعث بعد الموت وإحياء الموتى. وأنه حق لا مِرْيَةَ فيه.

ضرب المثل على أن البعث حق بإحياء الله الأرض بالنبات:

وجاء من الأدلة في كتاب الله أيضًا ضربُه المثل بإحيائه الأرض بالنبات. فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢٨] [فصلت].

إخبار الله آدم عليه السلام بالبعث عند إهباطه الأرض:

ولما أهبط الله ﷻ آدم إلى الأرض عرفه بالبعث والمعاد، فقال له: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [٦١] [البقرة] وقال: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٧٨] [البقرة].

اعتراف إبليس بالبعث:

وفي قصة إبليس وطرده من رحمة الله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [٦١] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٧٨﴾ [الحجر].

إخبار الأنبياء أقوامهم بالبعث:

وإذا تأملنا في قصص الأنبياء سنجد أنه ما من نبي بعثه الله ﷻ إلا وقد أندر قومه، وأخبرهم بالبعث والجزاء والنشور ويوم الدين ويوم القيامة. يقول الله ﷻ في شأن أهل النار: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١]. فالكفار كلهم يُسألون يوم القيامة، فيقولون: نعم قد جاءنا رسل وأخبرونا عن هذا اليوم العظيم.

إخبار نوح عليه السلام قومه بالبعث:

ونوح عليه السلام أخبر قومه ففي قصة نوح أخبر الله تعالى أنه قال لقومه: ﴿ وَاللَّهُ أَنْتَبَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [٧٧] ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٧٨﴾ [نوح].

إخبار هود عليه السلام بالبعث:

وفي قصة هود عليه السلام يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِفْعَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ

مِمَّا تَشْرُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَئِنِ اطَّعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ لَأِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٣﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هِيَ هَاتِ هَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿المؤمنون﴾. وهذا يدل على أنه أخبرهم بيوم البعث والجزاء والنشور، فكذبوا ذلك؛ فأخذتهم الصاعقة، وعذبهم الله ﷻ.

إخبار إبراهيم عليه السلام بالبعث:

وفي قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام أنه دعا لمكة وأهلها، قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمِّتُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسُّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [البقرة]

إخبار شعيب عليه السلام قومه بالبعث:

وفي قصة شعيب عليه السلام يخبرنا الله ﷻ أنه قال: ﴿ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [العنكبوت].

إخبار موسى عليه السلام بالبعث:

وكذلك في قصة موسى عليه السلام في مناجاته لله ﷻ: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [طه].

وهكذا في قصص بقية الأنبياء فما من نبي بعثه الله ﷻ إلا وبين لقومه أن الساعة حق، وأن البعث والنشور بعد الموت حق، وأن من كذب ذلك كان من أهل النار.

تكذيب العاصي بن وائل بالبعث ونزول القرآن في ذلك:

وجاء في صحيح البخاري عن الخباب بن الارت رضي الله عنه أنه قال: كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاصًا، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقُلْتُ: "لَا أَكْفُرُ حَتَّىٰ يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ"، قَالَ: دَعْنِي حَتَّىٰ أَمُوتَ وَأُبْعَثَ،

فَسَأَوْتِي مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَتَزَلْتُ: ﴿ أَقْرَعَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ أَظَلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴿ مريم ﴾ (١).

إخبار نبينا ﷺ عن حال أهل القبور وأنهم يبعثون:

وأخبرنا النبي ﷺ أن المؤمن في قبره منعم حتى يبعثه الله يوم القيامة، وأن الكافر معدب حتى يبعثه الله يوم القيامة يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

مزيد من أدلة السنة على البعث والنشور:

ويقول النبي ﷺ كما في البخاري عن أبي هريرة رضي عنه قال: قال الله: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ...» (٣) الحديث. وجاء معناه في صحيح البخاري أيضا من حديث ابن عباس رضي عنهما. (٤)

أول من يبعث نبينا محمد ﷺ:

وأخبرنا النبي ﷺ أنه هو أول من يبعث وأول من ينشق عنه القبر رضي الله عنه. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ» (٥).

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ التَّفْخَةِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكْذَلِكُ كَانَ أَمْ بَعْدَ التَّفْخَةِ» (٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١).

(٢) المرجع السابق (١٣٧٩) من حديث عبدالله بن عمر رضي عنهما.

(٣) المرجع السابق (٤٩٧٤).

(٤) المرجع السابق (٤٤٨٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٦) أخرجه البخاري (٤٨١٣).

وقال عليه السلام: «يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعُقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَمَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ»^(١).

يُبِعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَاتِهِمْ:

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس إذا بُعِثُوا يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ، وَيُبْعَثُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَعْرُضُ جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَبِيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخَسِّفُ بِأَوْلِيهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخَسِّفُ بِأَوْلِيهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسِّفُ بِأَوْلِيهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ»^(٢) يعني: فَإِنَّ رَبَّكَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا. وَعَنْهَا رضي الله عنها أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَوْمُومُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَبِيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ -يعني قد يكون فيهم من ليس منهم- قَالَ: «نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يُبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَاتِهِمْ»^(٣).

يُبِعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلٍ:

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قَالَ صلى الله عليه وسلم: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(٤). يعني على ما مات عليه من عمل.

فاجتهد يا عبد الله في إصلاح عملك؛ لتموت على عمل صالح.
ويقول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا»^(٥) يعني من رباط أَوْ حَجٍّ أَوْ عِمْرَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٩٤١) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه. وصححه شيخنا العلامة الوداعي في الجامع

الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٦٨) وانظر: السلسلة الصحيحة (١/٥٧٢).

وفي قصة الرجل الذي وقصته الدابة في الحج قال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحطوه، ولا تحمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»^(١).

وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

أنه لما حضره الموت، دعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا»^(٢)

-هكذا أجراه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه على ظاهره-

والصحيح أن المراد به العمل كما قال البيهقي وغيره^(٣).

والحديث رواه ابن حبان في صحيحه وقال: أرَادَ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ كَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ ﴾ [المدثر] يُرِيدُ بِهِ: وَأَعْمَالَكَ فَاصْلِحْهَا لَا أَنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا، إِذِ الْأَخْبَارُ الْجَمَّةُ تُصْرِّحُ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ بِأَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا هـ.^(٤)

وَقَالَ الْحَطَّايِيُّ: ... وَالْعَرَبُ تَقُولُ فَلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ إِذَا وَصَفُوهُ بِطَهَارَةِ النَّفْسِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَيْبِ وَدَنْسِ الثِّيَابِ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ هـ.^(٥)

وقال المنذري: وقد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة إن المراد بقوله «يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ» التي قبض فيها أي في أعماله قال الهروي ... وليس قول من ذهب إلى الأكفان بشيء لأن الميت إنما يكفن بعد الموت انتهى قال المنذري: وفعل أبي سعيد

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ومسلم (١٢٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٤) وصححه الحاكم (١٢٦٠) وقال على شرط الشيخين ووافقه الألباني في الصحيحة

(١٦٧١) وفيه نظر فالحديث من رواية يحيى بن أيوب عن ابن الهاد، وليست هذه السياقة في سننه من

شرطهما. ويحيى فيه ضعف، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٠٥): وفي إسناده يحيى بن أيوب وهو

الغافقي المصري احتج به البخاري ومسلم وغيرهما وله مناكير وقال أبو حاتم لا يحتج به وقال أحمد سيب

الحفظ وقال النسائي ليس بالقوي هـ.

(٣) «شعب الإيمان» (١/٥٤٩ ط الرشد) وانظر: «البعث والنشور للبيهقي ت الشوامي» (ص ٢٢٤) و«جامع

المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم» (٤/٢٢٤)

(٤) صحيح ابن حبان (٧٣١٦)

(٥) «معالم السنن» (١/٣٠١)

راوي الحديث يدل على إجرائه على ظاهره وأن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها وفي الصحاح وغيرها أن الناس يبعثون عراة. اهـ^(١)

ما تتميز به هذه الأمة عند البعث:

وأخبرنا النبي ﷺ أن هذه الأمة تتميز حين يبعث الناس، ففي مسند الإمام أحمد عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي ﷺ حَلَّةَ خَصْرَاءَ، ثُمَّ يُؤَدِّنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ»^(٢)

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٥) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٨٣): «وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحْشَرُ عَارِيًا وَبَعْضُهُمْ كَاسِيًا أَوْ يُحْشَرُونَ كُلُّهُمْ عُرَاءَةً ثُمَّ يُكْسَى الْأَنْبِيَاءُ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْقُبُورِ بِالثِّيَابِ الَّتِي مَاتُوا فِيهَا ثُمَّ تَتَنَاضَرُ عَنْهُمْ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْحَشْرِ فَيُحْشَرُونَ عُرَاءَةً ثُمَّ يَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمَ وَحَمَلُ بَعْضُهُمْ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى الشَّهَادَةِ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ أَمَرَ أَنْ يَزْمَلُوا فِي ثِيَابِهِمْ وَيُدْفَنُوا فِيهَا فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعَهُ فِي الشَّهِيدِ فَحَمَلَهُ عَلَى الْعُمُومِ وَمِمَّنْ حَمَلَهُ عَلَى عُمُومِهِ مَعَاذُ بِنِجَلٍ فَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا [في كتاب الأهلوال (٢٢٤)]، وفي كتاب النفقة على العيال (٥١٥) ورواه ابن أبي شيبة (١١١٣٢) - ومن طريقه ابن المنذر في الأوسط (٢٩٨٥) - بِسَدِّ حَسَنِ عَنِ عَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ دَفَنَّا أُمَّ مَعَاذَ بِنِجَلٍ [في مصادر التخريج أنها امرأته لا أمه، وعند ابن المنذر «أوصى بامرأة»] فَأَمَرَ بِهَا فَكَفَّنَتْ فِي ثِيَابٍ جُدِّ وَقَالَ: «أَحْسِنُوا كُفَّانَ مَوْتَاكُمْ فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ فِيهَا» قَالَ وَحَمَلَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى الْعَمَلِ وَإِظْلَاقِ الثِّيَابِ عَلَى الْعَمَلِ وَقَعَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلِبَاسٍ التَّفَوَّى ذَلِكَ حَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ﴾ [المدثر] عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ قَالَ مَعْنَاهُ وَعَمَلَكَ فَأَخْلَصَهُ. وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرٍ ... وَحَدِيثُ فَصَالَةَ بِنِ عُبَيْدٍ ... وَرَجَّحَ الْفَرُطِيُّ الْحَمْلَ عَلَى ظَاهِرِ الْخَبَرِ ... قَالَ فَيَحْمَلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى الشَّهَادَةِ لِأَنَّهُمْ يُدْفَنُونَ بِثِيَابِهِمْ فَيُبْعَثُونَ فِيهَا تَمَيِّزًا لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ وَقَدْ نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَمِنْ حَيْثُ النَّظَرُ إِنَّ الْمَلَائِسَ فِي الدُّنْيَا أَمْوَالٌ وَلَا مَالٌ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا كَانَ فِي الدُّنْيَا وَلِأَنَّ الَّذِي يَبْقَى النَّفْسَ مِمَّا تَكْرَهُ فِي الْآخِرَةِ نَوَابِجٌ بِحُسْنِ عَمَلِهَا أَوْ رَحْمَةً مُبْتَدَأَةً مِنَ اللَّهِ وَأَمَّا مَلَائِسُ الدُّنْيَا فَلَا تُغْنِي عَنْهَا شَيْئًا قَالَهُ الْحَلِيبِيُّ اهـ.

(٢) مسند أحمد (١٥٧٨٣) وصحيح ابن حبان (٦٤٧٩) والحاكم (٣٣٨٣) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٧٠) قلت: وتعقب شيخنا الوادعي الحاكم فقال في كتاب الشفاعة (ص: ٥١): قد اختلف في سماع عبد الرحمن من جده كعب، ولا يضر هنا لأنه في الشواهد اهـ وقال الحافظ في التهذيب: وقع في صحيح البخاري في الجهاد تصريحه بالسماع من جده. وقال الذهلي في العلل: ما أظنه سمع من جده شيئا. وقال الدارقطني: روايته عن جده مرسل. وقال أبو العباس الطريقي: إنما روى عن جده أحرفا في الحديث، ولم يمكنه الحديث بطوله فاستثبته من أبيه. اهـ.

قوله «عَلَى نَلٍّ» أي: على موضع مرتفع. فهذا من تمييز الله ﷻ لهذه الأمة التي شرفها الله ﷻ وكرمها على سائر الخلق.

وقال القرطبي: وذهب أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة» ورواه أبو سفيان مسنداً. وهذا الحديث لم أقف عليه. والله أعلم بصحته، وإن صح فيكون معناه فإن أمتي الشهداء تحشر بأكفانها حتى لا تتناقض الأخبار والله أعلم اهـ^(١)

من أذكار اليوم واللييلة المشتملة على ذكر البعث والنشور:

وقد كان من دعاء النبي ﷺ إذا استيقظ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»^(٣) وفي رواية: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(٤).

الأحوال العظيمة عند البعث:

كان من دعاء نبينا ﷺ إذا أراد أن ينام وتوسد يمينه: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»^(٥).

(١) «التذكرة بأحوال الموتى» (ص ٥٣٧) وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٨٤): وَذَهَبَ الْعَرَالِيُّ إِلَى ظَاهِرِ حَدِيثِ أَبِي

سَعِيدٍ وَأُورِدَهُ بزيَادَةٍ لَمْ أَجِدْ لَهَا أَصْلًا وَهِيَ فَإِنَّ أُمَّتِي تُحْشَرُ فِي أَكْفَانِهَا وَسَائِرُ الْأُمَمِ عُرَاةٌ اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٢) عن حذيفة رضي الله عنه وفي (٦٣٢٥) عن أبي ذر رضي الله عنه وهو في صحيح مسلم (٢٧١١) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨).

(٤) رواها الترمذي (٣٣٩١).

(٥) رواه الترمذي (٣٣٩٨) من حديث حذيفة رضي الله عنه و(٣٣٩٩) من حديث البراء رضي الله عنه وأبو داود (٥٠٤٥) من

حديث أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها. وابن ماجه (٣٨٧٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه والبخاري (٣١١٠) من حديث

أنس رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم عن البراء رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبَلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ»^(١).

فهذا يبين لنا أنه حين يبعث الله ﷻ العباد تكون هناك أهوال عظيمة جداً، وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى ذِكرُ بعض هذه الأهوال في مجلس قادم والله أعلم.



(١) رواه مسلم (٧٠٥) وفي إسناده ومتمنه علة نبه عليها العلامة الألباني رحمته الله في الصحيحة (٥٨٩ / ٦) وفي صحيح الترغيب والترهيب (١ / ٣٣٤).

الإيمان بالحشر

المجلس السادس والعشرون^(١)

الشعبة الثامنة من شعب الإيمان: الإيمان بالحشر

الشعبة الثامنة عَنَوْنَ لها الإمام البيهقي رحمته الله بقوله: "الثامن من شعب الإيمان وهو بابٌ في حشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف الذي بين لهم من الأرض، فيقومون ما شاء الله تعالى، فإذا جاء الوقت الذي يريد الله محاسبتهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره، وهؤلاء هم الأشقياء، قال الله تعالى في المطففين: ﴿الْأَيْظُنُّ أَوْلِيَّكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٤-٦]" وقال: "وأخبر أن الناس يكونون يوم القيامة واقفين على أقدامهم، وأبان أنه لا حال لهم يومئذ سوى القيام"^(٢).

الإيمان بالحشر بعد البعث من الإيمان باليوم الآخر:

ذكر البيهقي رحمته الله هذه الشعبة مستقلة، وأفردا بالعدد، وهي شعبة: الحشر، وذكر بعدها الشعبة التاسعة، وهي ما يتعلق بذكر الجنة والنار وما بين هاتين الشعبتين سرداً أموراً كثيرة مما يتعلق بأمور الآخرة وبأمور الموقف وما يكون بعد حشر الناس إلى رب العالمين ﷻ في أرض المحشر من تطاير الصحف والميزان والسوط والحوض والشفاعة، وسنأتي -إن شاء الله تعالى- على ذكر كل من هذه الأمور بإذن الله تعالى، وكلها داخله في الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

تعريف الحشر:

أصل الحشر الجمع لكنه مع سوق^(٣). ويعرفه العلماء بأنه: "حَشْرُ الْأَمْوَاتِ مِنْ قُبُورِهِمْ وَعَيْرُهَا بَعْدَ الْبُعْثِ جَمِيعًا إِلَى الْمَوْقِفِ"^(٤).

(١) كان في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) شعب الإيمان (١/٤١٥).

(٣) ينظر: «مجمّل اللغة لابن فارس» (ص ٢٣٦).

(٤) ينظر: «فتح الباري لابن حجر» (١١/٣٧٩).

وقال القاسمي رحمته الله: "الحشر: اسم يقع على ابتداء خروجهم من الأجدات إلى انتهاء الموقف" (١).

فالحشر متعلق بالبعث، فبعد أن يقوم الناس من قبورهم، ويبعثهم الله ﷻ يأمر الله ﷻ بهم فيحشرون من قبورهم إلى أرض الموقف للحساب والجزاء ولما سيأتي إن شاء الله تعالى من الأمور التي تظهر في ذلك اليوم العظيم.

الآيات الواردة في الحشر:

وقد ورد في باب الحشر آيات كثيرة وأحاديث عدة

يقول ﷻ: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة].

ويقول ﷻ: ﴿مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام].

ويقول ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِئَاءٌ

وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

ويقول ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ

أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ

مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام].

ويقول ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:

٤٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُحْشَرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: ٢٥].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا

﴾ [الكهف].

فذكر الله ﷻ في هذه الآية المباركة أن هنالك أمورًا تتغير يوم القيامة، وهذا من أهوال يوم القيامة أن الجبال تزول، وأن الأرض تكون ظاهرة لا معلمة فيها لأحد كما

سيأتي. ثم يقول ﷺ: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ يعني جميعا ﴿ فَكَمْ نَغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فلا يتخلف أحد عن أرض المحشر.

وقال ﷺ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْتَهُمْ جَمَاعًا ۝٩٩ ﴾ [الكهف: ٩٩] فيأتي الحشر بعد النفخ في الصور.

ويقول سبحانه: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٥٣] أي: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا فأشهدوا موقف العرض والحساب، ولم يتخلف عنه منهم أحد.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ ﴾ [الملك: ٢٤]

أهمية التذكير بالحشر:

قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٦ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال الطبري: "فمجازيكم هو بأعمالكم، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، وموَّف كل نفس منكم ما عملت وأنتم لا تظلمون"^(١).

وقال ابن عاشور رحمته الله: الأمر في اعلموا للتذكير، لأن ذلك معلوم عندهم اه^(٢) وقال أيضاً: لما أريد تحقيق الخبر افتتح بالأمر بالعلم، لأنه في معنى تحقيق الخبر، كأنه يقول: لا تشكوا في ذلك، فأفاد مفاداً إن اه^(٣).

وقال: افتتح الكلام بكلمة اعلم إيدان بالإهتمام بما سيقوله، فإن قولك في الخطاب: اعلم إنباء بأهميته ما سيلقى للمخاطب اه^(٤).

وقال: من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل المشتملة على خبر أو طلب فهم باعلم أو تعلم لفتنا لذهن المخاطب. وفيه تعريض غالباً بعفلة المخاطب عن أمر مهم فمن المعروف أن المخبر أو الطالب ما يريد إلا علم المخاطب فالتصريح بالفعل الدال على طلب العلم مقصود للإهتمام، ... وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لأبي مسعود

(١) تفسير الطبري (٥٧١/٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٢٦٤).

(٣) المرجع السابق (٢/٢٣٠).

(٤) المرجع السابق (٢/٢١١).

الأنصاريّ رضي الله عنه وقد رآه يضرب عبداً له «اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود: أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» (١) ١هـ. (٢)

الداعي إلى أرض المحشر:

كذلك أخبرنا الله تعالى أن الناس يسمعون داعياً يدعوهم إلى أرض المحشر كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه]. قال القاسمي رحمته الله: «يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ»: أي: يجيبون الداعي إلى المحشر، فينقلبون من كل صوب إليه ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يعوج له مدعو، ولا ينحرف عنه. بل يستون إليه، متبعين لصوته، سائرين بسير» (٣).

وقال القرطبي رحمته الله: «يريد بالداعي إسرائيل عليه السلام، إذا نفخ في الصور» ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال: «الهمس الصوت الخفي قاله مجاهد» (٤)

ويقول ربنا تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]. قال القرطبي: «الدعاء: النداء إلى المحشر بكلامٍ تسمعه الخلائق» (٥).
وقال تعالى: ﴿وَأَسْمَعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق].

يخرجون إلى أرض المحشر سراعاً:

ويقول ربنا تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس]. وينسلون أي: يسرعون في المشي من القبور إلى المحشر، والتسل نوع من أنواع المشي وهو الإسراع (٦).

(١) رواه مسلم (١٦٥٩)

(٢) التحرير والتنوير (٩/٣١٤)

(٣) محاسن التأويل (٧/١٤٨).

(٤) تفسير القرطبي (١١/٢٤٧).

(٥) المرجع السابق (١٠/٢٧٥).

(٦) نَسَلَ فِي الْعَدُوِّ يَنْسِلُ وَيَنْسَلُ نَسْلًا وَنَسْلًا، أي: أسرع. انظر: الصحاح للجوهري وتاج العروس

للزبيدي مادة (نسل).

فأخبرنا ربنا ﷻ أنهم يحشرون إلى أرض المحشر بهذه الصفة: ﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢].

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق] ﴿ سِرَاعًا ﴾ سِرَاعًا: جمع سريع أي: يخرجون من قبورهم إلى أرض المحشر سِرَاعًا. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿ يُؤْفَضُونَ ﴾ أي: يسرعون، والنُّصْب: جمع نَصْبٍ، وهو الصنم.

خشعا أبصارهم سراعاً:

وقال تعالى: ﴿ حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾ [مُتَّطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ] ﴿ القمر ﴾ أي: مسرعين مادّين أعناقهم. فانظروا كيف يُقبِلُ الناس إلى المحشر لا اختيار لهم في ذلك، يسمعون الداعي، فيقبلون إلى أرض المحشر كأنهم جراد منتشر!!

الملائكة تسوقهم إلى المحشر:

ويقول ربنا سبحانه: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق] أي: ملكٌ يسوقها إلى المحشر، وملكٌ يشهد عليها بأعمالها. فهذه إذاً صفة من الصفات التي يأتي الناس بها إلى أرض المحشر، يأتون ومعهم ملائكة، ملكٌ يسوق الواحد منهم، وملكٌ يشهد عليه بأعماله

لا يتخلف أحد عن أرض المحشر:

وقال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف]. فدلّت الآية أنه لا يستطيع أحدٌ أن يتخلف عن أرض المحشر يوم القيامة. فالله ﷻ سيحشر الأولين والآخرين على كثرتهم، سيحشرهم جميعاً في مكان واحد للجزاء والحساب، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وكلٌّ ينال جزاءه.

يأتون أفواجا:

ويقول ربنا سبحانه: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ]. فدلّت هذه الآية أن الناس يأتون يوم القيامة إلى أرض المحشر أفواجا أي:

أُمَّمًا، كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ إِمَامِهِمْ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: "وَقِيلَ: زُمْرًا وَجَمَاعَاتٍ"^(١).
 وقال تعالى: ﴿ وَنُورًا نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ [النمل: ٨٣] ﴿ فَوْجًا ﴾ أي: زمرة وجماعة، ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يُدْفَعُونَ وَيُسَاقُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْحِسَابِ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ [النمل].
 فهذه جملة من الآيات الكثيرة المتعلقة بهذه المسألة، وقد وردَ الإيمان بالحشر كثيرًا في القرآن، وجاء بيانه في آيات وأدلة عدة.

وجوب الإيمان بالحشر:

إذا كلمة الحشر تعني كل ما يحصل من أحداث منذ أن يُبعث الناس من قبورهم إلى انتهاء أرض الموقف وانفصال الناس إلى الجنة والنار، وكل ذلك مما يجب الإيمان به، ويدخل تحت اسم الحشر. والإيمان بالحشر هو من الإيمان باليوم الآخر، فيجب الإيمان بما يكون يوم القيامة من الحشر والحساب وغيرهما. وهذا كما ذكرنا داخل في الشعبة السادسة، وهي الإيمان باليوم الآخر، وهو أحد أركان الإيمان الستة كما قال النبي ﷺ لجبريل لما سأله: ما الإيمان؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٢).

أثر الإيمان بالحشر:

وللإيمان بالحشر أثر عظيم على المؤمن؛ فإنه يُورث عند العبد الخوف مما يكون في ذلك اليوم، فيخشى من الحساب، ويخشى من العذاب، ويدفعه ذلك لفعل الطاعات وترك المنكرات والبُعد عن عصيان ربِّ الأرض والسموات.

من أدلة السنة على الحشر:

ومن أدلة السنة: ما جاء في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١) تفسير القرطبي (١٧٥/١٩).

(٢) تقدم تخريجه في المجلس الخامس.

«إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ فِي الْكُفْرِ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»^(١).

وعلق الحافظ ابن حجر على قوله ﷺ: «وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي»، فقال: «أَيُّ عَلَى أَثْرِي أَيُّ: إِنَّهُ يُحَشِّرُ قَبْلَ النَّاسِ»^(٢).

وجاء في رواية: «يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى عَقْبِي»^(٣) ويفهم من تفسير العلماء لهذا الحديث أن النبي ﷺ أول من يُحَشِّرُ. وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤) يعني: ثم يتتابع الناس بعد ذلك.

وجاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يخطب على المنبر ويقول: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ - وفي رواية: إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ - حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٣٧] إِنْ نُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]»^(٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحَشِّرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا» فُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ! قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»^(٦).

وقوله ﷺ: «حُفَاةٌ» أي غير متعلين،

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) فتح الباري (٥٥٧/٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤١٢) وأحمد (١٠٩٨٧) - واللفظ له - من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له.

«عُرَاءَ» أي: غير لا بسين،

«عُرُلًا» أي: غير محتونين. فدل هذا الحديث على الصفة التي يُحشَر عليها الناس، فإنهم يُحشَرُونَ «حُفَاءَ عُرَاءَ عُرُلًا»، يقفون بين يدي الله ﷻ.

رحلة جابر بن عبد الله رضي الله عنه لسماع حديث القصاص بين الخلائق:

وفي المسند عن عبد الله بن محمد بن عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ رضي الله عنه، فَقُلْتُ لِلْبَوَابِ: قُلْ لهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْقِصَاصِ، فَحَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يُحشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاءَ عُرُلًا بَهُمَا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهُمَا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّظْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ ﷻ عُرَاءَ عُرُلًا بَهُمَا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»^(١)

الله أكبر! والله إنه لموقف عظيم، يستدعي من الإنسان في هذه الدنيا أن يقبل على الله، وأن يهتم بفرائض الله، وأن يؤدي ما أمره الله ﷻ به لا سيما في هذه الأيام المباركة الفاضلة، ونحن مقبلون على ليلة سبع وعشرين من رمضان، الليلة التي هي أرجى الليالي،

(١) مسند أحمد (١٦٠٤٢) وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٨٥١) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠) والحاكم في المستدرک (٨٧١٥) وله طريق أخرى عند الطبراني في مسند الشاميين (١٥٣، ١٥٦) من طريق عثمان بن سعيد الصيداوي، ثنا سليمان (كذا وصوابه: سليم) بن صالح، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن الحجاج بن دينار، عن محمد المنكدر، عن جابر به. ورواته مترجمون في التهذيب سوى عثمان وهو مترجم في تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨/٣٦٧)؛ وشيخه مترجم فيه أيضا (٧٢/٢٨٦) وهما مجهولان يصلح حديثهما للاعتبار.

فيا أيها العبد المؤمن تذكر هذا الموقف العظيم الذي يُحشَر فيه الناس، ومن هول هذا الموقف لا يهتم امرؤ إلا بنفسه.

يُحشَر المؤمنون مكرمين:

وبَيَّن اللهُ ﷺ في كتابه أن أهل التقوى يحشرون مكرمين، فقال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم] قال الطبري رحمه الله: "يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدوا فرائضه إلى ربهم ﴿وَفْدًا﴾ يعني بالوفد: الركبان"^(١). وقال ابن كثير رحمه الله: "يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه، والوفد: هم القادمون ركباناً"^(٢) فهذا من تكريم الله ﷻ للمتقين. إن الواحد منا إذا كرم في الدنيا أمام وزير أو رئيس أو أمام جماعة من الناس يفرح فرحًا عظيمًا، فكيف بهؤلاء الذين يُكْرَمون أمام الخلائق كلهم، منذ أن خلق الله آدم إلى أن تزول هذه الدنيا؟! يُجْمَعُ كُلُّ الخلائق ويكرم أهل التقوى، وغيرهم يحشرون في ذلة ومهانة، كما قال ﷻ: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [مريم].

صفة حشر المتكبرين:

وقد جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ»^(٣) يعني في صور الرجال من جهة وجوههم وهيئتهم لكنهم أمثال الذر في الصغر والحقارة والذل، يغشاهم الذل من كل مكان. نسأل الله السلامة والعافية

صفة حشر الكافرين:

ويقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه]

(١) تفسير الطبري (١٥/٦٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢٦٣).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٢٤٩٢) ومسند أحمد (١١/٢٦٠) رقم (٦٦٧٧) والبخاري في الأدب المفرد (٥٧٧).

وقال الترمذي هذا حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩١١) وقال المنذري:

(بُوئِس) بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة. و (الْحَبَالُ) بفتح الحاء المعجمة

والباء الموحدة اهـ.

قيل: معناه زرق العيون من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر
وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عمياً. (١)

ويقول ﷺ مُبَيِّنًا حَالٍ مِنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] أي: أعمى البصر؛ ولهذا يقول:
﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ تُنسى ﴿ [طه: ١٢٥-١٢٦] (٢).

ويقول ربنا ﷺ في آية أخرى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَكَمَا وَصَمَّا
﴿ [الإسراء: ٩٧]

فيأتون على هذه الهيئة من الذل والحقارة؛
كما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه
يوم القيامة؟ قال:
«أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ؟» (٣)

وفي الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مُشَاهَةً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
وَكَيفَ يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِيَهُمْ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ» (٤)
وقوله: «يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ» الحدب: -بفتحتين-: الغليظ المرتفع من
الأرض، أي: يجعلون وجوههم مكان الأيدي والأرجل في التوقي عن مؤذيات الطرق، وقد
غُلت أيديهم وأرجلهم، وذلك لما لم يجعلوها ساجدة لخالقها.
-نسأل الله السلامة والعافية-.

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٦/١٦١).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (١/١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٤٢) وأحمد (٨٦٤٧)، وسنده ضعيف، لكن يشهد له ما قبله.

طرائق حشر الناس يوم القيامة:

وجاء في مسند الإمام أحمد من حديث حَكِيم بْنِ مُعَاوِيَةَ الْبَهْزِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إِيَّيَ حَلَفْتُ هَكَذَا وَنَشَرْتُ أَصَابِعَ يَدَيْهِ حَتَّى تُخْبِرَنِي مَا الَّذِي بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ؟ قال: «بَعَثَنِي اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ» إلى أن قال النبي صلى الله عليه وسلم له: «هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ، ثَلَاثًا، رُكْبَانًا وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ» وفي رواية: «... وَتُجْرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ» ثم قال «تُوفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَّةِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ...»^(١) الحديث.

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يحشرون يوم القيامة على طرائق، فمنهم من يحشر مكرماً، ومنهم من يحشر على هيئة الذل والمهانة، نسأل الله تعالى السلامة.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!»^(٢)

ويقول تعالى في بيان حال المشركين: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَزَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴾ [يونس].

يقول الطبري رحمته الله: "يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعاً ﴿ ثُمَّ نَقُولُ ﴾ حينئذ ﴿ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ بالله الآلهة والأنداد ﴿ مَكَانَكُمْ ﴾ أي: امكثوا مكانكم وقفوا في موضعكم ﴿ أَنْتُمْ ﴾ أيها المشركون ﴿ وَشُرَكَائِكُمْ ﴾ الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان ﴿ فَرَزَلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ يقول: ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به"^(٣) وهنا يبدأ كل واحد يتبرأ من الآخر، ويكذب الآخر.

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٣) وأحمد (٢٠١١).

(٢) تقدم (ص: ١٣٠).

(٣) تفسير الطبري (١٧٠/١٢)

آخر من يحشر:

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِ- يُرِيدُ عَوَافِيَ السَّبَاعِ وَالظَّيْرِ-وَأَخْرُ مِنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مَرْبِئَةِ، يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعَقَانِ بَعْنِمَهُمَا فَيَجِدَانِهَا وَحُوشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَبِيَّةَ الْوَدَاعِ، خَرَّ عَلَى وُجُوهِهِمَا»^(١).

يقول الحافظ ابن حجر رحمته الله:

"قوله: «فوجدانها وحوشًا» أو يجدانها ذات وحوش أو يجدان أهلها قد صاروا وحوشًا، وهذا على أن الرواية بفتح الواو أي: يجدانها خالية وفي رواية مسلم: «فوجدانها وحشًا» أي: خالية ليس بها أحد، والوحش من الأرض: الخلاء»^(٢).

صفة أرض المحشر:

جاء في الصحيحين بيان صفة الأرض التي يحشر الناس عليها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيضاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»^(٣).

قوله: «عَفْرَاءَ»: قال الخطابي: العفر: بياض ليس بالناصع»^(٤)

وقال عياض: "العفر: بياض يضرب إلى حمرة قليلاً"^(٥)،

وقوله: «كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ» أي: "الدقيق التقي من القشر والنخالة. قاله الخطابي"^(٦).

وقوله: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ» أي: ليس بها علامة سكنى، أو بناء، ولا أثر.

وفي الحديث: إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت، وأعدمت، وأن أرض الموقف تجددت وأنها أكبر من هذه الأرض الموجودة جدًّا. قيل: والحكمة في صفة الأرض المذكورة

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

(٢) فتح الباري (٩١/٤) وانظر طبعة الأرنؤوط (٢٢٦/٦)

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) «أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)» (٣/٢٢٦٨).

(٥) «مشارك الأنوار على صحاح الآثار» (٩٧/٢)

(٦) «أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)» (٣/٢٢٦٨)

أن ذلك اليوم يوم عدل، وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده، قاله أبو بكر ابن أبي جمرة (١) **رحمته** (٢).

مكان الناس عند الحشر:

وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فقالت: فأين يكون الناس يومئذ؟ يا رسول الله. فقال: «عَلَى الصَّرَاطِ» (٣).

حشر الدواب

ودلت الأدلة أن الدواب تُحشَر مع الخلائق أيضاً يقول ربنا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٤) [التكوير] يعني جمعت بعد أن ماتت.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مِّثْلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٥) [الأنعام].

فتحشر الأمم كلها من الدواب والطيور، فيُنصَف بعضهم من بعض حتى إنه يؤخذ للجماء من القرناء.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ» (٦).

الشاة الجلحاء والجماء: التي ليس لها قرن. فإذا ظلمت في الدنيا من ذات القرن يؤتى بها يوم القيامة فيقاد لها.

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأموي، فقيه مالكي من أعيان الأندلس، توفي سنة (٥٩٩هـ).
انظر: شذرات الذهب (٤/٣٤٢)، وسير أعلام النبلاء - ط الرسالة - (٢١/٣٩٨).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/٣٧٥) وشرح النووي (١٧/١٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٩١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٢). ورواه أحمد في المسند (٦٩٦/٧٩٩) بلفظ: «... حَتَّىٰ تُقَادَ الشَّاةُ الْجُمَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهذا تصريحٌ بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها كما يُعاد أهل التكليف، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة.

يجمع الله الخلاق في صعيد واحد:

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝ ٢٩ ﴾ [الشورى] ففي يوم القيامة «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُم الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ»^(١) فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق سبحانه.

قال الله سبحانه: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِّمَّنْ يُؤْمِنُ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ٦١ ﴾ [الحجّية]

وقال ﷺ: ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأُولَىٰ ۝ ﴾ [المرسلات].

فيكون مرجع الخلاق إلى الله سبحانه كما قال ﷺ: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ ٤٨ ﴾ [المائدة]

وكما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝ ١٦ ﴾ [الزخرف].

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ يُحْيِيهِ وَيُمِيتُهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ٥٦ ﴾ [يونس].

وقال ﷺ: ﴿ وَأَتَّفَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ ٢٨١ ﴾ [البقرة].

فالناس كلهم سيجمعون بين يدي الله ﷻ ويُجازى كلُّ بحسب عمله، المحسنُ بإحسانه والمسيءُ بإساءته، -نسأل الله العفو والعافية-.



(١) صحيح البخاري (٤٧١٢) وصحيح مسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



الإيمان
بأهوال يوم القيامة

المجلس السابع والعشرون^(١)

بعض الأهوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة :

ذكرنا أنّ الحشرَ مبتدؤه من طلوع الناس من قبورهم إلى نهاية الموقف وانقسام الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وذلك اليوم العظيم الذي يبدأ من خروج الناس من قبورهم، تتخلّله أحداثٌ عظيمة جاء ذكرها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ. وفي هذا المجلس سنقف على شيء من هذه الأهوال العظيمة.

الأرض تنطق يوم القيامة عند البعث والحشر :

جاء في سنن الإمام ابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَجَلُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ أَوْ ثَبْتُهُ إِلَيْهَا الْحَاجَّةُ، فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ، قَبَضَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَتَقُولُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي»^(٢)

تنطق الأرض حين إخراج الناس من القبور والبعث والنشور، فتقول: «رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي» فيخرج الناس من قبورهم.

يقول ربنا سبحانه: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ﴿٥٥﴾
[طه] فيخرجون للبعث والحساب.

وهذا من آيات الله العظيمة كما قال ﷺ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ [الروم].
قال القرطبي رحمته الله: « إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أي:

(١) كان في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٣). وهو في السلسلة الصحيحة (١٢٢٢). ورجح جماعة وقفه كما في العلل لابن أبي حاتم، والعلل للدارقطني وانظر: أحاديث معلة ظاهرها الصحة (٣١٠) وللموقوف حكم الرفع فمثله لا يقال من قبيل الرأي. وفي جامع الترمذي (٢١٤٧) بسند صحيح عن أبي عزة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً، أَوْ قَالَ: بِهَا حَاجَةً»

الذي فَعَلَ هذه الأشياء قادرٌ على أن يبعثكم من قبوركم، والمراد: سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبُّث، كما يجيب الداعي المطاع مدعوهُ^(١).

وقال الحافظ ابن كثير: ﴿إِذَا دَعَاكَ دَعْوَةٌ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتَ تَخْرُجُونَ﴾ أي: إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالف ولا يمانع^(٢) كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]

وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [١٣] فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ [١٤] [النازعات] وكما قال ربُّنا ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [٥١] [يس].

إذا بعثت القبور يقومون متفرقين:

يقوم الناس من قبورهم ينظرون كالحيارى متفرقين، يقول سبحانه: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [١] مَا الْقَارِعَةُ [٢] وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ [٣] يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ [٤] [القارعة] يعني: منتشرين متفرقين بين ذهاب ومجيء من حيرتهم مما هم فيه.

إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقلون مدة الحياة الدنيا:

يتساءلون فيما بينهم كما قال الله ﷻ: ﴿قَلَّ كَمَ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [١١٢] قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ [١١٣] قَلَّ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [١١٤] أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ [١١٥] [المؤمنون].

هذه الدنيا التي طال زمانها وتعددت سنونها يقولون عنها يوم القيامة: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ يا سبحان الله! فالمدة قصيرة جدًا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾. ويقول ربنا ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات]

قال ابن كثير ﷻ: "أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرن مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت عشيّة من يوم أو ضحى من يوم"^(٣)، و"العشيّة: ما بين

(١) تفسير القرطبي (١٩/١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٨٦/٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣١٨/٨).

الزوال إلى الغروب، والضحى: ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، وهذا تحديد بنصف
نهار^(١) فهم يستقلون هذه المدة.

ويقول ﷺ في آخر سورة الروم: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا
غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ سبحان الله: ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم].
يقولون: ما لبثنا غير ساعة وزمن قصير جدًا.

قال الله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ
فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم].

وهذا يدل على عظيم هول يوم القيامة، وأن الناس يدهشون ويصبحون حيارى
كالفراش المبعوث، كأنهم جراد منتشر، يقول قائلهم: إن لبثنا إلا يومًا أو بعض يوم،
ويقول آخر: إنما هي عشية أو ضحاها، ويقول آخرون: ما لبثنا غير ساعة.

والدنيا لو تأملها الإنسان وتفكر فيها فإنها قصيرة لا تساوي شيئاً عند ما أعد الله
لعباده من النعيم في الآخرة؛ فإنها "ظِلٌّ زَائِلٌ وَحَالٌ حَائِلٌ، وَرُكْنٌ مَائِلٌ وَرَفِيقٌ خَائِلٌ،
وَمَسْئُولٌ بَاخِلٌ، وَعَوْلٌ غَائِلٌ، وَسَمٌّ قَاتِلٌ، وَكُلٌّ وَعُودِهَا غُرُورٌ بَاطِلٌ"^(٢)
وقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ
فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»^(٣)

السُّورَةُ الَّتِي صُوِّرَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :

وقد أُرشدنا نبينا ﷺ إلى السور التي صورت موقف القيامة، فقال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ
يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،
وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» رواه الترمذي من حديث ابن عمر^(٤).

وهذه السور الثلاث فيها ما يتعلق بتغير كل ما هو حولنا من شمس وقمر وسماء
وأرض ونجوم.

(١) أضواء البيان (٤٢٨/٨).

(٢) من التبصرة لابن الجوزي (٢٧٨ / ١)

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٥٨) من حديث مستور بن شداد رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه في المجلس الرابع والعشرين.

تغير السماء:

ذكر **عليه السلام** تغير السماء وانفطارها ومورانها، فقال **عليه السلام**: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۗ وَالسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۗ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۗ ﴾ [المزمل] منفطر أي: متشقق، فالسماة مثقلة بذلك اليوم، متصدعة، متشققة.

وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۗ ﴾ [الطور] أي: تضرب اضطراباً عظيماً. وقال **عليه السلام**: ﴿ إِذَا أُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۗ ﴾ [الرحمن]. قال القاسمي **رحمته الله**: "أي: انفطرت، فاختلف نظامها العلوي، ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ۗ ﴾ أي: كلون الورد الأحمر ﴿ كَالدِّهَانِ ۗ ﴾ أي: كالدهن الذي هو الزيت"^(١)

وقال **عليه السلام**: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۗ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۗ ﴾ [المعارج] وقال **عليه السلام**: ﴿ وَأُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۗ ﴾ [الحاقة] أي: منشفة متصدعة. فهذه السماء التي حثنا الله **عليه السلام** على النظر إليها؛ إذ هي من آيات الله **عليه السلام** العظيمة يقول **عليه السلام**: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۗ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۗ ﴾ [الملك]

فهذه السماء التي ليس فيها تشقق ولا تصدع، والتي زينها الله **عليه السلام** بزينة الكواكب [الصفات: ٦] تتصدع وتشقق وتصبح ﴿ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۗ ﴾ [الرحمن: ٣٧]، كما قال **عليه السلام**: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أُنشِقَّتْ ۗ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۗ ﴾ [الإنشاق]

قال ابن جرير **رحمته الله**: "يقول تعالى ذكره: إذا السماء تصدعت وتقطعت فكانت أبواباً، قوله: ﴿ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۗ ﴾ يقول: وسمعت السماوات في تصدعها وتشققها لربها وأطاعت له في أمره إياها، والعرب تقول: أذِنَ لَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِذْنًا بِمَعْنَى: اسْتَمَعَ لَكَ"^(٢) ويقول **عليه السلام** في آية أخرى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّتْ ۗ ﴾ [المرسلات] أي: تشققت وتفطرت، فهذا من وصف الله **عليه السلام** للسماء وحالها يوم القيامة،

(١) تفسير القاسمي (١١٠/٩)

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٢٢٩، ٢٣٠).

ويقول ﷺ: ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ [النبا] ١٩

ويقول ﷺ: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [الفرقان] ١٥

قال القرطبي: " بِالْغَمَمِ ﴿ أي: عن الغمام" (١).

وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۖ وَرَرُّوا ۗ لِلَّهِ الْوَحْدُ

الْقَهَّارِ ﴿ [إبراهيم] فُتَبَدَّلُ السَّمَاوَاتُ، وَتَتَشَقَّقُ وَيُصِيبُهَا مِنَ الْأَهْوَالِ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ

الآيات العظيمة.

وسيرت الجبال:

أما عن الجبال فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [فيومئذ] ١٤

وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿ [الحاقة] تُدَكُّ وتزلزل زلزلة واحدة، وترفع عن أماكنها.

ويقول ربنا ﷺ: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُغَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ

كُلَّ شَيْءٍ ﴿ [النمل: ٨٨] تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ أي: تُزال عن أماكنها، وهذا يكون يوم

القيامة.

وقال ﷺ: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ [الطور] ١٠ ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور].

ويقول ﷺ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا

﴿ [طه]. وذكر الشنقيطي ﷻ في تفسيره (٢): أن الجبال:

• تُنزع من أماكنها وتُحْمَلُ فتُدَكُّ دَكًّا

• ثم تسير في الهواء بين السماء والأرض

• ثم تُفْتَتُّ حتى تصير كالدقيق الملتوت بسمن

• ثم تصير كالرمل المتهايل

• ثم تكون كالعهن المنفوش

• ثم تصير كالهباء المنبث

• ثم تصير سرابًا والسراب لا شيء،

(١) تفسير القرطبي (٢٣/١٣).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٩٧/٤).

ويبين أنه ﷺ ينسفها نسفاً، ودَكَرَ الآياتِ التي تَدُلُّ على ذلك من وصف ربنا ﷺ للجبال.

فما ورد من تفتتِ الجبالِ قوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ ﴾ [الواقعة: ١٠٤] بُسَّتْ أي: فُتَّتْ فصارت كالدقيق المبلول.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۖ ﴾ [المزمل] والكثيب المهيل: هو ما أشبه الدقيق والسويق.

وقال ﷺ: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ ﴾ [المعارج] والعهن: هو الصوف المصبوغ.

يا سبحان الله! هذه الجبال القوية الثابتة، وذاك الصخر الصلب يصبح كالقطن المنفوش!

ويقول ﷺ: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ ﴾ [الواقعة] وفي سورة طه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ ﴾ أي: بساطًا واحدًا، والقاع: هو المستوي من الأرض.

وقال تعالى: ﴿ وَسِيرَتِ الْجِبَالُ كَانَتْ سَرَابًا ۖ ﴾ [النبأ] أي: كالسراب يعني أنها تصبح لا شيء.

تغير الأرض:

وأما عن الأرض فإن الله ﷻ ذكر ما يحصل فيها من تغير في مواضع شتى، فيقول ﷺ: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ ﴾ [الواقعة]

قال ابن كثير: "أي: حُرِّكت تحريكًا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها؛ ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغير واحد في قوله: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ ﴾ أي: زُلزِلَتْ زلزالًا شديدًا"^(١).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۖ ﴾ [المزمل]

(١) تفسير ابن كثير (٧/٥١٤).

وقال سبحانه: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۗ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۗ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۗ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۗ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۗ ﴾ [الزلزلة] إلى آخر السورة.

فقوله: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أي: تحركت من أسفلها ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾
 تُلقيني ما فيها من الموتى، وتقول كما مر معنا في الحديث: «رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي».

ويقول ﷺ: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۗ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۗ ﴾ [الحج].

يُذِكُّ اللَّهُ ۖ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ: ﴿ كَلَّا ۗ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۗ ﴾ [الفجر]
 تضطرب اضطراباً عظيماً ثم يُسَوِّبُهَا اللَّهُ ﷻ وتستوي مع الجبال تنسف الجبال وتستوي
 الأرض حتى تصبح كبساط واحد كما تقدم معنا في الآيات

ويقول ﷺ: ﴿ وَيَوْمَ نَسِىَ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۗ ﴾ [الكهف].

قوله: ﴿ بَارِزَةً ﴾ قال البغوي ﷺ: "أي: ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا
 نبات كما قال: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۗ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ ﴾ [طه]
 قال عطاء: هو بروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم فترى باطن الأرض ظاهرة"^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۗ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۗ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۗ ﴾
 [الإنشاق]. قال الطبري ﷺ: "﴿ مُدَّتْ ﴾: بُسِطَتْ فزِيدَ فِي سَعَتِهَا"^(٢).

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أي: أَلْقَتْ مَا فِي بَطُونِهَا مِنَ الْمَوْتَى إِلَى ظَهْرِهَا، وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ
 إِلَى اللَّهِ، فَتَبْسُطُ، وَتَفْرَشُ، وَتَتَوَسَّعُ، وَتَمُدُّ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَتُخْرِجُ مَا فِي بَطْنِهَا.

وجاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تَقِيءُ
 الْأَرْضُ أَفْلَادَ كِبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ، فَيَقُولُ: فِي

(١) معالم التنزيل (١٧٥/٥، ١٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٢٣٢).

هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»^(١)

وهذا الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره عند قول الله ﷻ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ يستنكر الإنسان ما يحصل من التغيرات الكونية التي يراها، فيستنكر أمر الأرض بعدما كانت قارةً، ساكنةً، ثابتةً، وهو مستغرٍ عليها، -فَاللَّهُمَّ رَحِمَاكَ يَا رَبِّ، رَحِمَاكَ يَا رَبِّ-.

وأخبرنا النبي ﷺ عما يقع من تبدل الأرض.

قال ﷺ كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «يُحْشِرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ»^(٢). -وقد تقدم معنا في الدرس الماضي-، قال النبي ﷺ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ» يعني ليس فيها علامة سُكْنَى ولا بناء ولا أثر ولا شجر ولا حجر ولا غير ذلك.

تغير البحار:

وأما ما جاء في شأن البحار يوم القيامة فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ [الإنفطار: ٣] أي: فُتِحَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَزُولُ الْحَوَازِجُ الَّتِي بَيْنَهَا بِسَبَبِ اضْطِرَابِ الْأَرْضِ وَارْتِجَافِهَا وَزَلْزَلَتِهَا، فَتَصْبِحُ الْبِحَارُ كُلُّهَا بَحْرًا وَاحِدًا ثُمَّ تَشْتَعِلُ.

كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] وقال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦] وقد ذكر غير واحد من أهل التفسير أنها توقد، فتصير على عظمها نارًا تتوقد، -نسأل الله السلامة والعافية-.

تغير الشمس والقمر والنجوم:

وأما ما جاء في الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فإن الله تعالى يقول: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] ويقول ﷻ: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ١٠]

(١) أخرجه مسلم (١٠١٣).

(٢) تقدم في المجلس السادس والعشرين.

ويقول النبي ﷺ - كما في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

والمقصود بالتكوير: أنها تُزال عن أماكنها، وتُلقى عن فلكها، ويُمحى ضوءها. وقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال الحافظ ابن جرير رضي الله عنه: "وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء؛ فلا ضوء لواحد منهما"^(٢).

ثم تُقرب الشمس من رؤوس الخلائق كما قال النبي ﷺ «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ» إلى آخر الحديث، خرجه مسلم من حديث المقداد بن أسود رضي الله عنه^(٣).

ويقول رضي الله عنه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة]

ويقول رضي الله عنه: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ [المرسلات] أي: طمسها بذهاب ضيائها، فليس لها نور، وليس لها ضوء، وكذلك القمر لا نور له ثم تتساقط النجوم والكواكب.

كما أخبر الله رضي الله عنه: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [الإنفطار].

كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

هذه كلها أهوال عظيمة تقع يوم القيامة؛ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين] وهي كُرْبٌ عظيمة؛ ولهذا سَمَى النبي ﷺ ما يقع في ذلك اليوم بالكرب، قال رضي الله عنه: «مَنْ نَقَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَقَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤).

ففي يوم القيامة كُرْبٌ عظيمة: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ... فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٤٨١/٢٣).

(٣) سياأتي تخريجه في المبحث الآتي.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامًا» (١).

يوم القيامة تذهل كل مرضعة عما أرضعت :

وتأملوا قول الله ﷻ: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴿. المرضعة التي فطرت على حب ولدها،
والإحسان إليه، يقول الله فيها: ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمَلٍ حَمْلَهَا ﴾. وذلك من شدة الفزع والهول! ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ
بِسُكَرَىٰ ﴾ أي: تحسبهم أيها الرائي لهم سكارى من الخمر وليسوا سكارى ﴿ وَالْكَانِ
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج] إنه الهول الذي أذهب عقولهم، وأفزع قلوبهم، وملاها
ذعرا، وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار.

يوم القيامة يشيب الولدان :

وفي ذلك اليوم لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئا، بل يقول
ربنا ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ③﴾ [المزمل].
هؤلاء الولدان الذين ما عملوا في الدنيا شيئا يأتون يوم القيامة شيبا!!
تشيب رؤوسهم وهم صغار!! فما أعظمه من هول!
الوليد الذي لم يرتكب جرما يشيب شعر رأسه؛ لشدة ما يرى من أهوال في ذلك
اليوم ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ④﴾ [المزمل].

تشخص أبصار الظلمة في ذلك اليوم :

وتشخص أبصار الظلمة في ذلك اليوم -أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال
وما أزعجها من القلاقل- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ⑤﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ
طَرْفُهُمْ وَأَفْعَدْتُهُمْ هَوْلًا ⑥﴾ [إبراهيم]. ﴿ وَمُهْطِعِينَ أُنْي: مُسْرِعِينَ، وَمُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ: أَي

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٤) من حديث المقداد بن الأسود رضى الله عنه.

رَافِعِي رُءُوسِهِمْ. وَأَبْصَارُهُمْ طَائِرَةٌ شَاحِصَةٌ، لِكَثْرَةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْمَخَافَةِ
وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً أَيُّ: خَاوِيَةٌ خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ لِكَثْرَةِ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ.

قلوب واجفة وأبصار خاشعة:

ويقع الرعب والفرع، فيصيب العباد أجمع، وتبلغ القلوب الحناجر
كما قال الله: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ ترتفع وبقية الأفتدة
هواء، ووصلت القلوب من الروع والكرب إلى الحناجر شاخصة أبصارهم ﴿ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴾ [غافر]
وقال تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ ﴾ [النازعات]
واجفة أي: منزعجة من شدة ما ترى وتسمع، والأبصار ذليلة حقيرة، قد ملك
قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفرع، إنه ذلكم اليوم الذي تتقلب فيه القلوب
والأبصار.

كما قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور] يعني لشدة
الهلول في ذلك اليوم، في ذلك اليوم الأبصار تكون كما ذكرنا خاشعة ذليلة ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ وفي آية أخرى: ﴿ حُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ
جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾ [القمر]

وقال تعالى: ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ [القلم: ٤٣]
وقال ﷻ: ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا
قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

أسمع بهم وأبصر:

وفي ذلك اليوم يقول ربنا: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ

مُتَّبِعِينَ ﴿٢٨﴾ [مريم].

فيخبر سبحانه عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا

وَسَمِعْنَا ﴿[السجدة: ١٢]

لكن في وقت لا ينفع فيه ولا يجدي فيه السمع والبصر، ولو كان هذا قبل معاينة

العذاب لكان نافعا لهم ومنقدا لهم من عذاب الله ﷻ ولهذا قال: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴿

أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يوم يأتوننا يعني يوم القيامة، يشاهدون النار ويعاينون

الحق، فيؤمنون، ولكن لا ينفع ذلك الإيمان، ولا ينفع الندم، ولات ساعة مندم، نسأل

الله السلامة والعافية.

تتقطع الأنساب:

وفي ذلك يوم تتقطع فيه الأنساب بين الناس: ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا

يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٣﴾ [المؤمنون]

لا ينفع الإنسان يومئذ الأنساب، ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه.

لا يسأل حميم حميماً:

بل قال الله: ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٤﴾ يُبْصِرُونَ ﴿[المعارج]

أي: لا يسأل القريبُ قريبه وهو يبصره، ولو كان عليه من الأوزار ما أثقل ظهره وهو

أعزُّ الناس عليه في الدنيا، لا يلتفت إليه، ولا يحمل عنه وزن جناح بعوضة من عمله.

يفر المرء من أقرب الناس إليه :

يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِهِ ۖ وَصَحْبَتَهُ وَأَخِيهِ ۗ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُهَا ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۗ﴾ [المعارج]

فليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس، يبصر الرجل أباه وأخاه وقرباته وعشيرته ولا يسأله ولا يكلمه ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمُ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ۗ﴾ [عبس]

سبحان الله! فلنتفكر في عظيم هول هذا اليوم الذي يفر فيه كل واحد من الآخر! وفي تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله:

عَنْ عِكْرَمَةَ رحمته الله قَالَتْ: يَلْقَى الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: يَا هَذِهِ، أَيُّ بَعْلِ كُنْتِ لِكِ؟ فَتَقُولُ: نَعَمْ الْبَعْلُ كُنْتُ! وَتُنْثِي بِحَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَتْ، فَيَقُولُ لَهَا: فَإِنِّي أَطْلُبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ حَسَنَةً وَاحِدَةً تَهَيَّبِيهَا لِي لَعَلِّي أَنْجُو مِمَّا تَرِينَ. فَتَقُولُ لَهُ: مَا أَيْسَرَ مَا طَلَبْتَ، وَلَكِنِّي لَا أُطِيقُ أَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَخَافُ. قَالَ: وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْقَى ابْنَهُ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ فَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، أَيُّ وَالِدٍ كُنْتُ لَكَ؟ فَيُنْثِي بِحَيْرٍ. فَيَقُولُ لَهُ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي احْتَجْتُ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ حَسَنَاتِكَ لَعَلِّي أَنْجُو بِهَا مِمَّا تَرَى. فَيَقُولُ وَلَدُهُ: يَا أَبَتِ، مَا أَيْسَرَ مَا طَلَبْتَ، وَلَكِنِّي أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَتَخَوَّفُ، فَلَا اسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا. ثُمَّ قَرَأَ الْآيَاتِ. وَقَالَ: وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ- فِي أَمْرِ الشَّفَاعَةِ-: أَنَّهُ إِذَا طُلِبَ إِلَى كُلِّ مَنْ أُولِي الْعِزْمِ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْخَلَائِقِ، يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي ^(١). قَالَ: حَتَّى إِنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ مَرِيَمَ الَّتِي وَلَدْتَنِي ^(٢) اهـ. ^(٣)

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: حلية الأولياء (٥/٣٧٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/٣٢٥).

كل نفس بما كسبت رهينة :

وقال الله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدر: ٣٨] أي: مرتهنة فينشغل

الإنسان بنفسه

﴿لَنْ تَنفَعَكَ أَرْحَامُكَ وَلَا أَوْلَادُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

[المتحنة: ٣]

ويقول الله ﷻ: ﴿الْأَخِلَاءُ﴾ أي الأحابء المتوآدون في الدنيا: ﴿يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]

قال الله عقب ذلك مباشرة: ﴿يَعْبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾

[الزخرف: ٦٨] وهذا خطاب لأهل الإيمان.

وكان النبي ﷺ يقول لقومه: «يا بني عبد مناف، اشترُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ

اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّمَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ

اللَّهِ، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلَانِي

مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا»^(١).

إنه ذلك اليوم الذي يفرع فيه العصاة والمجرمون والكفار، ويأمن من آمنه الله ﷻ

بتوحيده وإيمانه.

هذه جملة مما يقع من الأهوال في يوم القيامة،

وللحديث بقية إن شاء الله في المجلس القادم، والله تعالى أعلم،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.



(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المجلس الثامن والعشرون^(١)

تتمة في ذكر بعض الأهوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة:

في ذلكم اليوم العظيم الذي يقف فيه الناس لرب العالمين، ينتظرون الحساب والجزاء من الملك العدل الحق ﷻ. وينقسمون أقساما كما يلي:

انقسام الناس يوم القيامة:

جاءت الأدلة مبينة أن الناس في عرصات القيامة يختلفون اختلافاً كبيراً: فمنهم: أهل الإيمان الأبرار ومنهم: الكفار والفجار. وأهل الإيمان أقسام ثلاثة كما قال الله تعالى: ﴿ تَرَى أَوْرَثًا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِي اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر]..

حال الكفار يوم القيامة عند خروجهم من قبورهم:

وقد بينت الأدلة شيئاً من أحوال كل، فنذكر: أولاً بعض ما يتعلق بحال الكفار في يوم القيامة، نسأل الله السلامة والعافية. فتأملوا قول الله ﷻ مبيئاً حال الكفار عند خروجهم من القبور، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ ﴾ [٤٣] خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [المعارج]

والأجداث هي القبور، وهذه الآيات تصوّر لنا سرعة خروجهم من القبور في ذلك اليوم، منطلقين إلى المنادي، كما كانوا يُسرعون إلى الأصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا،

(١) كان في يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان ١٤٤١هـ.

ولكنهم لا ينطلقون فَرِحِينَ بَطْرِينَ متكبرين كما كان حالهم من قبل بل هم أذلاء،
أبصارهم خاشعة، يعلوهم الصغار، كما ذكر الله ﷻ.

ويقول ربنا ﷻ في سورة القمر: ﴿ قَتَلَ عَنْهُمُ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ٦
خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ
هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ٨ ﴾ [القمر]

فهم يعترفون بصعوبة الموقف الذي شاهده وعينوه.

ويقول الله ﷻ أيضًا في سورة يس: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ١٧ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ١٨ ﴾ [يس]. فهذه وأولئك، ينادون بالويل والشبور
متسائلين حين يُنفخ في الصور عمّن أقامهم من رقدتهم ومن أحياهم من موتهم وقد
كانوا ينكرون ذلك! نسأل الله السلامة والعافية.

قال بعض السلف: " إِنَّ الْقِيَامَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَمَعَارِيضُ صِفَةٍ، ذَهَبَتْ فَظَاعَتُهَا
بِأَوْهَامِ الْعُقُولِ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِن كَانَ الْقَوْمُ فِي رَقْدَةٍ مِثْلَ ظَاهِرِ قَوْلِهِمْ لَمَّا دَعُوا بِالْوَيْلِ عِنْدَ
أَوَّلِ وَهْلَةٍ مِنْ بَعْثِهِمْ، وَلَمْ يُوقَفُوا بَعْدَ مَوْقِفِ عَرْضِ، لَا مِثْلَهُ إِلَّا وَقَدْ عَايَنُوا خَطْرًا عَظِيمًا،
وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْقِيَامَةُ بِالْجَلَائِلِ مِنْ أَمْرِهَا، وَلَئِن كَانُوا فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِي الْبَرْزَخِ يَأْتُمُونَ
وَيُعَدُّونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَمَا دَعُوا بِالْوَيْلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ ذَلِكَ عَنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ نُقِلُوا إِلَى ظُلْمَةٍ
هِيَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَلَوْلَا أَنَّ الْأَمْرَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَصْعَرَ الْقَوْمُ مَا كَانُوا فِيهِ فَسَمَوْهُ رُقَادًا،
وَإِنَّ فِي الْقُرْآنِ دَلِيلًا عَلَىٰ ذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ٢٤ ﴾ [النازعات] (١).

ويقول ربنا ﷻ أيضًا في تصوير حالهم يوم القيامة: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا
يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ٤ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ٥ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ
لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ٦ ﴾ [إبراهيم]

فهذه الآية تُبَيِّنُ لنا ما هم فيه من الفزع والخوف حتى إن قلوبهم هواء، وأفئدتهم

هواء؛ لأن القلوب قد بلغت الحناجر من الخوف والفرع والهول.
وقوله تعالى: ﴿عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ يدخل فيه الكفار دخولاً أولياً؛ إذ الشرك بالله ﷻ هو أظلم الظلم، -نسأل الله السلامة والعافية-.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: أذلاء، وتأمل وصف القرآن لهم! ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾، ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقَةِ إِذْ أُلْقُوا لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر] والآزفة: اسم من أسماء يوم القيامة واليوم الآخر، والمقصود بها: القريب العاجل، فهي يوم القيامة. وأولئك الظالمون يأتون على هذا الوصف الذي ذكره الله ﷻ. قلوبهم وأفئدتهم؛ ملئت من الخوف والفرع.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [سرايلهم من قِطْرَانٍ وَتَعْنَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ٥٠] [إبراهيم]

قال الطبري رحمته الله: "تعانين الذين كفروا بالله، فاجتمروا في الدنيا الشرك يومئذ، يعني: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ﴿مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩] يقول: مُّقْرَنَةً أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد، وهي: الوثاق من عُلٍّ وسلسلة، واحدها: صَفْدٌ" (١)

فهم موثقون في الأغلال والسلاسل، والسرايل: هي القُمص التي يلبسونها، والقطران: المادة التي تُطلى بها الإبل إذا أصابها الجرب، وقيل: هو النحاس.

دنو الشمس من رؤوس الخلائق:

وفي ذلك اليوم العظيم تدنو الشمس من رؤوس العباد حتى لا يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل واحد، ولولا أنهم مخلوقون خلقاً غير قابل للفناء لانصهروا وذابوا وتبحروا، ولكنهم بعد الموت لا يموتون، ويذهب عرقهم في الأرض حتى يروها ثم يرتفع

(١) تفسير الطبري (٧٤٠/١٣).

فوق الأرض ويأخذهم على قدر أعمالهم كما تقدم معنا في حديث المقداد بن الأسود، وفيه أن النبي ﷺ قال: «وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامَا»^(١).

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال رضي الله عنه: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»^(٢).

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٣). هذا بيان وتصوير للموقف يوم القيامة، وكيف أن هؤلاء يعانون معاناة عظيمة من الوقوف يوم القيامة،

يقول ابن القيم رحمه الله: وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: وَمِنْهَا: طُولُ وَقُوفِهِ فِي الْمَوْقِفِ وَمَشَقَّتُهُ عَلَيْهِ وَتَهْوِينُهُ عَلَيْهِ "إِنْ طَالَ وَقُوفُهُ فِي الصَّلَاةِ لَيْلًا وَنَهَارًا لِلَّهِ، وَتَحَمَّلَ لِأَجْلِهِ الْمَشَاقَّ فِي مَرْضَاتِهِ وَطَاعَتِهِ حَقَّ عَلَيْهِ "الْوُقُوفُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ"^(٤)

المؤمن في مأمن من هول يوم القيامة:

والمؤمن في مأمن بإذن الله ﷻ. كما في المسند عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ الصَّرَاطَ، إِذْ جَاءَنِي عَيْسَى فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ- أَوْ قَالَ: يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ- وَيَدْعُونَ اللَّهَ، أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ جَمْعِ الْأُمَّمِ، إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ، لِعَمِّ مَا هُمْ فِيهِ؛ فَالْحَلْتُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَهُوَ عَلَيْهِ كَالرُّكْمَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ...» الحديث^(٥).

(١) تقدم في المجلس السابع والعشرين.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٢) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٣).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/٢) (٨٤).

(٥) أخرجه أحمد (١٢٨٢٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٣٩). وحسنه شيخنا الوادعي في كتاب

تتابع الحسرات يوم القيامة:

ومن أعظم ما يكون على الكفار يوم القيامة تتابع الحسرات عليهم، فكلما شاهدوا شيئاً وعينوه مما كانوا ينكرونه ازدادت حسرتهم؛ ولهذا سُمِّيَ يومُ القيامة بيوم الحسرة، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [مريم]. فحين يرى الكفار العذاب والهون الذي يصيبهم ويصيب أمثالهم من الكفرة المشركين تأخذهم الحسرة والندامة؛ فيوقن الكافر أن ذنبه غير مغفور.

يقول الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم] أي: يأسون من رحمة الله ﷻ، نسأل الله العفو والعافية.

وقال الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان]؛ الظالم: هو المشرك، فيزداد ندمه وتزداد حسرته على عدم اتباعه للرسول ﷺ، وينادي على نفسه: ﴿يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]

ويقول ربنا ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٤﴾﴾ [النساء: ٤٤]

يتمنون أن يهلكهم الله ويجعلهم تراباً كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٤٠]

وفي ذلك اليوم يُحْبِطُ اللهُ ﷻ أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٧٩﴾﴾ [الفرقان]

الشفاعة (٦٨). والحديث من رواية حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أبيه. وقد قال الدارقطني - كما في تعليقاته على المجروحين لابن حبان (ص: ٧٩) -: حَرْبٌ... يحدث عن النضر بن أنس بنسخة لا يُتابع عليها. وهو حرب هذا روى له مسلم حديثاً واحداً في المتابعات. وانظر ترجمته وتوثيقه -تفصيلاً وتحققاً بما لا تكاد تجده في مكان غيره- في الصحيحة للعلامة الألباني (٦/٢٦٨).

وتأمل قول الله ﷻ في تشبيه أعمال الكفار: ﴿ أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَهَا ﴾ [النور: ٤٠]، وهذا مثل لأعمالهم الفاسدة التي لا يرجى من ورائها الخير.

وثمة أعمال عملوها كانوا يظنون أنها تُغني عنهم من الله شيئاً كأعمال البرِّ، فقال الله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّهٖ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٢٩]

ويقول سبحانه: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَّتِ قُوَّةٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [آل عمران: ١١٧] والصِّرُّ: هو البرد الشديد، فالرياح الباردة تحطم الزرع، فكذلك الكفر والشرك يحرق الأعمال الصالحة.

لا تقبل أعمال البر من الكافر يوم القيامة:

ولا يقبل الله ﷻ للكافر عملاً، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، فمن تصدَّق أو عمل من الطاعات والإحسان والخير والبر وهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فإن الله ﷻ لا يقبل منه عملاً. و «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُّؤْمِنَةٌ» كما قال نبينا ﷺ^(١) وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣) ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وفي الباب عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه البخاري (٦٥٢٨، ٦٦٤٢) ومسلم (٢٢١) وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه مسلم (١١٤) وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه مسلم (١١٤٢) وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أخرجه الترمذي (٨٧١)، (٣٠٩٢) والنسائي (٢٩٥٨) وغيرهما. وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه الترمذي (٣٠٩١) وقال حسن غريب وصححه الحاكم (٤٣٧٥) وعن بشر بن سحيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه ابن ماجه (١٧٢٠) وصححه ابن خزيمة (٢٩٦٠). وعن سلمان الفارسي رواه أحمد (٢٣٧١٢) وصححه ابن حبان (٧١٢٤).

وعن مصعب بن سعد، قال: سألتُ أبي: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿ [الكهف] هم الحرورية؟ قال: "لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمدًا ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب" (١) ﴿
 فهؤلاء يظنون أنهم هم أهل الجنة وأنهم هم أهل الهدى: كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾ ﴿ فقال الله: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسَمَّ لَوَاجِهُهُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة]... الآية ﴿
 ويقول ربنا سبحانه أيضًا: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ ﴿ [الكهف].

الخصومة بينهم يوم القيامة:

ومن حسراتهم يوم القيامة أنهم إذا دخلوا النار حصلت بينهم الخصومة. فالخصومة لهم كما قال تعالى: ﴿ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ [الزخرف]

- فهؤلاء يُعادي بعضهم بعضًا.
 - ويخاصم أهل النار بعضهم بعضًا،
 - ويحاجُّ بعض الأتباع السادة المتبوعين،
 - ويحاجُّ الضعفاء المستكبرين،
 - ويحاجُّ الإنسان قرينه،
 - بل يخاصم الكافر أعضاءه!!
- وقد وضح ذلك القرآن توضيحًا بيِّنًا، فمن ذلك:

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٨).

قول الله ﷻ: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَافِلِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسَّوْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّتْنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾ [الشعراء]. ﴿ تَاللَّهِ ﴾ يَقْسِمُونَ عَلَى ذَلِكَ ﴿ إِنْ كُنَّا لِنَافِلِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسَّوْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّتْنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴾ . يعني: كانوا يشركون مع الله؛ ولهذا قال العلماء: الشرك هو التسوية أي: تسوية غير الله بالله. والكفار هنا يقولون: ﴿ إِذْ نَسَّوْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فكيف بمن كفر بالله وحده وجود الله وادعى أن لا إله؟! -نسأل الله السلامة-. والآيات في تلاوم أهل النار كثيرة جدًا.

حال عصاة المؤمنين:

إذا مات المؤمن على التوحيد فعقيدة أهل السنة والجماعة أن الموحد ماله إلى الجنة، فمن مات على التوحيد قسما: أحدهما: من يدخل الجنة دخولا أوليا. والثاني: من يُعَذَّب على ذنوبه بقدر ما يشاء الله ﷻ ثم يخرج من النار-إن كان قد دخلها-، ويدخل إلى الجنة كما جاءت النصوص بذلك. وجاءت أحاديث تُبيِّنُ حال بعض العصاة من المؤمنين في عرصات القيامة.

حال الذي لا يؤدي الزكاة يوم القيامة:

فمن هؤلاء العصاة أولئك الذين لا يؤديون الزكاة التي هي حق المال؛ فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ رَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ-يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٣).

الشجاع الأقرع: الحية الذكر المتمعّط شعر رأسه لكثرة سمّه. وقوله: «لَهُ زَبَيْتَانِ» أي: نقطتان سوداوان فوق عيني الحية، فيؤتى بالمال نفسه الذي منعه، فيحوّل ماله إلى هذا الأمر ثم يُعذب به.

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه يؤتى بالمال نفسه فيُعذب به، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ وَظَهْرَهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(١). فقوله في هذا الحديث: «فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» يدل على أن هذا العذاب ليس لكافر كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله^(٢) وغيره؛ لأنه لو كان كافراً لما قال: «يَرَى سَبِيلَهُ» إنما يقال هو من أهل النار، فدل ذلك على أن هذا العذاب لعصاة المؤمنين والذين لم يخرجوا زكاة مالهم.

حال المتكبرين يوم القيامة :

وجاء في بيان حال المتكبر يوم القيامة الحديث في سنن الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرَّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ»^(٣). «يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ» يعني: يأتي مثل الذرة، مثل صغار النمل، لا يعبأ به الناس بل يطؤونه بأقدامهم وأرجلهم وهم لا يشعرون.

حال من كتم علماً يوم القيامة :

وتأمل ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ وذلك لأنه غضبانٌ عليهم؛ لأنهم كتموا وقد علموا، فاستحقوا الغضب، فلا ينظر إليهم، ولا

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧).

(٢) مجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين (١١٣/١٢).

(٣) تقدم (ص: ١٢٧)

يزكيهم، أي: يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذاباً أليماً^(١).
وقال النبي ﷺ: «مَنْ سِئَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) فهذه فضيحة عظيمة لهم يوم القيامة. -نسأل الله السلامة-

المسبل تكبرا والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب يوم القيامة:

ويقول النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» -هذه عقوبتهم في عرصات القيامة، فمن هم؟ -قال أبو ذر: من هم؟ يا رسول الله خابوا وخسروا. قال: الْمُسْبِلُ -يعني: المسبل إزاره قيل: يعني تكبراً- وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(٣).

فهؤلاء أصناف من العصاة، يُعَذَّبُونَ بهذا العذاب يوم القيامة،
-نسأل الله السلامة والعافية-.

شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر:

وقد ورد مثل هذه العقوبة في أحاديث أخرى، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»^(٤). فهؤلاء أصناف ثلاثة ليس عندهم ما يدعو إلى المعصية، لكنهم فعلوها! فشيخ كبير يفترض أن يكون قد استطاع أن يسيطر على شهوته ومع ذلك زنى! وملك ليس ثمة ما يدعو إلى الكذب ومع ذلك فهو كذاب! وعائل أي: فقير ليس هناك ما يدعو إلى الكبر ومع ذلك فهو متكبر! والكبر كما قال النبي ﷺ: «بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»^(٥).

العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث:

وفي سنن النسائي ومسنند الإمام أحمد ومستدرک الحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٨٦١)، وابن ماجه (٢٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ-الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ-وَالدَّيُّوثُ»^(١)
والديوث: هو الذي يرضى الخبث في أهل بيته، فهؤلاء أصناف بينت السنة أن لهم هذه العقوبة، وهم من عصاة المؤمنين. فأقبل أيها المؤمن على التوبة إلى الله ﷻ قبل الممات حتى لا تأتي في ذلك اليوم، فتقف موقف الذل والمهانة، نسأل الله السلامة.

المكثرون هم المقلون إلا من أدى حق المال:

كذلك من هؤلاء أولئك الذين يُمْنُ الله ﷻ عليهم بالمال والنعمة، فيركنون إلى الدنيا، ويكثرُونَ من التمتع بنعيمها على حساب دينهم، وفي أمثالهم يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَفَحَّ فِيهِ يَمِينُهُ وَشِمَالُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا»^(٢).

من أخذ أرضاً بغير حق:

في مسند الإمام أحمد عن يعلى بن مرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بِغَيْرِ حَقِّهَا، كُفِّ أَنْ يَحْمِلَ تُرَابَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ»^(٣)
فتصور أن من الناس من يحشر يوم القيامة ويكلف بنقل ما أخذه في الدنيا ظلماً وعدواناً يكلف بنقل ترابها. وبه فسر بعض العلماء ما في الصحيحين: «مَنْ أَقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٤).
ويقول النبي ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٥).

(١) أخرجه أحمد (٦١٨٠) واللفظ له، والنسائي (٢٥٦٢)، والحاكم (٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٥٦٩) وهو في السلسلة الصحيحة (٢٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٥٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

لكل غادر لواء:

وجاء عن النبي ﷺ أنه أخبر أيضًا بأن الإنسان الذي يأتي يوم القيامة قد غدر يكون له لواء يشاهده كل أحد في ذلك اليوم، فيكون له علامة مميزة.

قال ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ» متفق عليه^(١).

وقال ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ» متفق عليه^(٢).

وقال ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم^(٣).

فتأمل حينما يؤتى بالغادر يوم القيامة في العرصات، وأمام الخلائق، ليس هذا فحسب بل ويوضع له لواء يشاهد عن بُعد: هذه غدره فلان بن فلان.

والغادر: هو الذي يواعد على أمر ولا يفني به، واللواء المقصود به: الراية العظيمة، فترفع للغادر راية يسجل عليها، ويُفصح يوم القيامة.

ويقول النبي ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ»^(٤). يعني: الحاكم إذا غدر؛ لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير.

الغالب يوم القيامة:

ومن أصحاب العقوبات يوم القيامة صاحب الغلول، وهو الذي يأخذ من الغنيمة على وجه الخفية، وهو ذنب يخفي تحته شيئًا من الطمع والأثرة. قال الله سبحانه في عقوبته: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ومن ذلك: التلاعب بالأموال العامة من الموظفين والحكام والعُمَّال والولاية والمسؤولين عنها. فهؤلاء بين النبي ﷺ عقوبتهم، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥) واللفظ له من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٧٣٧) واللفظ له من حديث عبد الله بن مسعود وأنس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) المرجع السابق، وهو من روايات حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

قام خطيباً، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَعْتُكَ...»^(١)

فهذا الذي سرق بغيراً يجيء به حاملاً إياه يوم القيامة، وهكذا الحال فيمن أخذ بقرة أو أخذ شاة يأتي يوم القيامة يصيح، ويقول: يا رسول الله أغنني، فيقول له: «لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَعْتُكَ» وآخر يأتي بذهبٍ، وآخر يأتي بفضة، وهكذا من غل شيئاً أو سرق شيئاً جاء يحمله يوم القيامة.

فاحذر أيها العامل والموظف، احذر من التلاعب والتصرف في الأموال العامة بغير حق وبغير إذن؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا يوم القيامة.

قال النبي ﷺ لِحَبِّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا» رواه ابن ماجه وأحمد وصححه ابن حبان^(٢)

وفي المسند عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ فَإِنَّهَا مِثْلُ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(٣)

ذو الوجهين:

ومن أولئك المعذبين: ذو الوجهين،

يقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (١٨٣١).

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٤٣) ومسند أحمد (٢٤٤١٥) واللفظ له وصحيح ابن حبان (٥٥٦٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٣، ٢٧٣١)

(٣) مسند أحمد (٢٢٨٠٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٩، ٣١٠٢)

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٧٣)، وابن حبان (٥٧٥٦) كلاهما من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويقول **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في ذم ذي الوجهين: «تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَأَءِ بَوَّجِهِ وَهُوَ لَأَءِ بَوَّجِهِ»^(١).

الحاكم المحتجب عن الرعية :

وانظر أيضا في حال من احتجب عن رعيته، يقول النبي **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ **ﷻ** شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ وَقَفَرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَقَفَرِهِ»^(٢)

فاحذر أيها المسؤول من تجاهل المسؤوليات التي أنيطت بك، فيحتجب الله **ﷻ** عنك يوم القيامة، نسأل الله السلامة والعافية.

من كذب في حلمه ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون :

ومن يعاقب أيضًا: من كذب في حلمه، يقول النبي **عَلَيْهِ السَّلَامُ** :

- كما في صحيح البخاري من حديث ابن عباس **رضي الله عنهما**:- «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ -يعني يُؤْتِي بالشعيرة الصغيرة ويقال له: اعقد بينها وبين أخرى- قال: وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)

والآنك: النحاس الحار،-نسأل الله السلامة والعافية-.

المراؤون يوم القيامة :

وفي المرائين يقول النبي **ﷺ**: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يُشَاقِقُ يُشَقَّقِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤)

قوله: «من سمع» أي: بعمله بأن أراد السُّمعة به،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٤٨)، والترمذي (١٣٣٢)، عن أبي مريم الأزدي **رضي الله عنه**.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٥٢) من حديث جندب **رضي الله عنه**.

وفي المسند عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغْرَهُ وَحَقْرَهُ»^(١).

وفي الصحيحين عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ»^(٢).

ويقول صلى الله عليه وسلم أيضًا: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمِعَ رَأَى اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمِعَ»^(٣) قوله: من رأى يرائي الله به، أي: من أراد بعمله الرياء يفضح يوم القيامة. فالجزاء من جنس العمل.

وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة: قارئ للقرآن، ومجاهد، ومتصدق، أرادوا بعملهم الشناء من الناس؛ فيسحبون على وجوههم يوم القيامة^(٤).

أصحاب الغلو في الصالحين شرار الخلق يوم القيامة:

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن عبدة القبور، والأولياء وذلك لما قيل له: إن كنيسة بأرض الحبشة فيها تصاوير، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، فَأَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

المصورون للصور المحرمة:

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الصور الذين يصنعون هذه الصور المحرمة: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٦). يعني: أنهم في عذاب مستمر.

(١) مسند أحمد (٥٦/١١) ط الرسالة رقم (٦٥٠٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٦٦)

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧)

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣٢٢) من حديث أبي هند الداري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٨١٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»^(١).

من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه:

وقد جاء أيضاً عن النبي ﷺ كما في الأدب المفرد للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ضَرَبَ ضَرْبًا اقْتَصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) وفي رواية: «مَنْ ضَرَبَ ضَرْبًا ظُلْمًا...»^(٣)

وفي رواية: «مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظُلْمًا اقْتَصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)

يؤتى به يوم القيامة، فيضرب كما ضرب في الدنيا، فكم ستجد من أناس في عرصات القيامة تُرْفَعُ عليهم الأسواط، ويُضْرَبُونَ كما ضَرَبُوا في الدنيا ظلماً. وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَا يَضْرِبُ أَحَدٌ عَبْدًا لَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لَهُ إِلَّا أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). فالمملوك والخادم والضعيف والمستضعف الذين يُسْتَضْعَفُونَ في هذه الدنيا ولا ناصر لهم، يأتون يوم القيامة ويأخذون حقوقهم^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٨٥، ١٨٦) وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البزار (٩٤٤٦، ٩٥٣٥) والطبراني في الأوسط (١٤٤٥) وحسنه الهيثمي في المجمع (٣٥٣/١٠) والمنذري والألباني وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٩١) والصحيحة (٢٣٥٢)

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١٧٩٥٤)، وابن أبي شيبه (٢٥٤٦١) عن وكيع والبخاري في الأدب المفرد (١٨١) واللفظ له عن محمد بن يوسف، وقبيصة، كلهم (عبد الرزاق ووكيع ومحمد وقبيصة) عن الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن عمار به. وحبيب مدلس وقد عنعن. وخالفهم الأشجعي فرواه عن الثوري به فرفعه. رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٣٧٨) وقال: غريب من حديث الثوري وحبيب، لم يروه عنه مجوداً إلا الأشجعي اه. وحسنه الألباني لشواهد انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٨٠) والصحيحة (٢٣٥٢)

(٥) وقد يشكل على هذا ما ورد في الصحيح أن المجازاة يوم القيامة إنما هي بالحسنات والسيئات - كما سيأتي، والظاهر أنه لا تعارض فقد دلت هذه الأحاديث - كما يقول العلامة ابن عثيمين - على أن الآخرة فيها تكليف، قال: لكنه ليس كالتكليف في الدنيا، أرايتم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْفَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٤١) [القلم]. وهذا تكليف، فالآخرة فيها شيء من التكليف لكن ليس

فإن الله ﷻ هو الذي يقضي بين العباد، ويحكم بينهم يوم القيامة، فاللهم سلم سلم.

قاتل نفسه ومن لعن مؤمناً أو قذفه :

ويؤتى بقاتل نفسه، فيُعَذَّب، يقول النبي ﷺ: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»^(١).

من قذف مملوكه بغير حق أقيم عليه الحد يوم القيامة :

ويقول ﷺ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ»^(٢) فهذا أيضاً ممن يُعَذَّبون يوم القيامة.

وجاء أيضاً في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم رضي الله عنه: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزَّوْنِ يُقَامُ عَلَيْهِ الْحُدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ»^(٣)

«مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ» ولو كان القاذف ذا مكانة في الدنيا، وقذف خادمه بالزنى واتهمه بالباطل فإنه يأتي يوم القيامة، فيقام عليه حدُّ الزنا في عرصات القيامة. فهذه أصنافٌ من أولئك العصاة، نسأل الله السلامة والعافية.

أيها العاصي تَبَّ ولا تأمن مكر الله :

أخي المسلم، لا تأمن مكر الله، ولا تقل: لا يُعَذَّب الله بالذنب الواحد، وإنما خرج آدم عليه السلام من الجنة بأكلة حين ذاق الشجرة، وطُردَ إبليس من الجنة بسجدة أباه، وقال عليه السلام: «دَخَلْتُ امْرَأَةَ النَّارِ فِي هِرَّةٍ رَبَطْتُهَا، فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ»^(٤) فذنبٌ واحدٌ يُوجِبُ العقوبة في الآخرة إن لم يتب الله ﷻ على صاحبه.

كالتكليف في الدنيا. انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (٣٨٢/٥)

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٨) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٧) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

حال المؤمنين يوم القيامة :

أما المؤمنون الأتقياء فقد جاءت الأخبار ببيان سعادتهم وبيان حسن وفادتهم على الله ﷻ بسبب أعمالهم الصالحة التي عملوها. يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنبياء]

فهم في أمن منذ أن يُبعثوا من قبورهم، يُؤمنهم الله، قال ﷻ: ﴿ يَعْبادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزخرف] ويقول ﷻ: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [يونس].

وروي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم يزوي عن ربه ﷻ، قال: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنِينَ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَحَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» والصحيح فيه أنه من مراسيل الحسن البصري ^(١).

(١) ضعيف؛ أخرجه يحيى بن صاعد في زوائده على الزهد لابن المبارك برقم (١٥٨) والبخاري (٨٠٢٩) وابن حبان (٦٤٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٩) وفي الآداب (٨٢٦) وابن عساكر في المعجم (١٤٢٨) من طريق عبد الوهاب بن عطاء حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وعبد الوهاب صدوق، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٧٤٢) لكن الحديث أعل بتفرد عبد الوهاب به. ولذا قال الدارقطني في العلل (١٣٩٦): لا يصح هذا عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، وإنما يعرف هذا من حديث عوف، عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذكره مراسلا. ورواه البخاري (٨٠٢٨) قال: حدثنا محمد بن يحيى بن ميمون، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء (عن) عوف به. ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٥١٠، ٥٤٧، ١٣٣٤) من طريق بشر بن المفضل عن عوف به. ورواه ابن عساكر في تاريخه (٥٤/٢٦٧) من حديث أنس وفي إسناده أبو جعفر أبان النجيري وهو كذاب. ورواه الطبراني في مسند الشاميين (٤٦٢، ٣٤٩٥) وعنه وعن غيره أبو نعيم في الحلية (٥/١٨٩ و٩٨/٦) من حديث شداد بن أوس وفي سننه عمر بن صبح وهو وضاع.

أصناف يُظلمهم الله في ظله :

وهناك أصناف يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله. ومنهم سبعة ذكرهم النبي ﷺ: «الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقالت: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(١).

وينادي الله سبحانه يوم القيامة: «أين المتحابون بجلالي؟! اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»^(٢).

وقال ﷺ: «من أنظر مُعسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»^(٣)

ويقول ﷺ: «من نفس عن غريمه أو محأ عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»^(٤).

ويقول ابن القيم رحمته الله: وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: ومنها: استظلأله بظل العرش أو ضحاؤه للحر والشمس إن كان له من الأعمال الصالحة الخالصة والإيمان ما يُظله في هذه الدار من حر الشرك والمعاصي والظلم استظل هناك في ظل أعماله تحت عرش الرحمن. وإن كان ضاحياً هنا للمناهي والمخالفات والبِدَع والفجور ضحى هناك للحر الشديد أ.هـ.^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) المرجع السابق (٣٠٠٦) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٥٥٩) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٤ / ٢)

أصناف آمنون يوم القيامة :

ويقول **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

ويقول **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ويقول **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ **ﷻ**، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينًا، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ»^(٣) فهؤلاء أصناف آمنون يوم يخاف الناس.

فضل الشهيد :

ويقول **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُسْقَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِيهِ»^(٤)

فما أعظم هذا الفوز الذي يفوزه هؤلاء يوم القيامة!

فضل من كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه :

ويقول **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»^(٥)

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٤)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر **رضي الله عنه**.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو **رضي الله عنه**.

(٤) أخرجه أحمد (١٧١٨٢)، والترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩) عن المقدام بن معد يكرب **رضي الله عنه**.

(٥) أخرجه أحمد (١٥٦٣٧)، وأبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١)، وابن ماجه (٤١٨٦) من حديث معاذ بن

الله أكبر! عملٌ عظيمٌ وشأنه يسيرٌ على من يسره الله ﷻ عليه، ويكون فيه هذا الجزاء العظيم عند الله، والله يحب المحسنين.

فضل المؤذنين:

ويقول **عبد الصلوة (عليه السلام)**: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»^(١).

قيل: إن ذلك يكون لجمالهم ولحسنهم فلما طالت أصواتهم بكلمات الأذان الذي يُعلن فيه التوحيد ويدعى فيه للصلاة طالت أعناقهم يوم القيامة.

فضل من شاب شبيبة في الإسلام:

ويقول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)

هذا الشيب الذي يظهر في المؤمن والمؤمنة يكون نورًا لصاحبه يوم القيامة!

ويقول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ

نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

وفي رواية: «إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ» رواه أبو داود^(٣)

ورواه أحمد بلفظ «لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ نُورٌ الْمُسْلِمِ، مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ،

كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَكَفَّرَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً»^(٤)

(١) أخرجه مسلم (٣٨٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان **رضي الله عنه**.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٤) والنسائي (٣١٤٤) والزيادة منه، من حديث كعب بن مرة **رضي الله عنه**. وأخرجه ابن حبان

(٢٩٨٣) بسند قوي من حديث عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** دون زيادة النسائي، ورواه الترمذي (١٦٣٥) والنسائي

(٣١٤٢) وأحمد في المسند (١٧٠٢٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، بلفظ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ

نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وهو في المسند (٢٣٩٥٢) من حديث فضالة بن عبيد **رضي الله عنه** ورواه الطبراني في المعجم الكبير

(١٥٠/٢٠) برقم (٣١٥) من حديث معاذ **رضي الله عنه**.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٠٢) من طريقين عن ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده **رضي الله عنه**. ورواه

الترمذي (٢٨٢١) والنسائي (٥٠٦٨) بلفظ: «نَهَى عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ» وزاد الترمذي «إِنَّهُ نُورٌ الْمُسْلِمِ»

(٤) مسند أحمد (٦٦٧٢)

وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَنْتَفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَرُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ»^(١).

فضل الوضوء:

ويقول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ»^(٢) وبذلك

يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا تطوافٌ يسيرٌ في بيان شيء من أحوال الناس يوم القيامة، وما يكون من حال المؤمن وحال العاصي وما يكون من حال الكافر.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الإيمان.



(١) أخرجه ابن حبان (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الإيمان بالشفاعة

الجلس التاسع والعشرون^(١)

الشفاعة:

تقدم معنا أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن أموراً منها: الإيمان بالموت وسكراته وما يقع فيه من أهوال، ويتضمن الإيمان بحياة البرزخ، ويتضمن الإيمان بالبعث والجزاء والنشور وما يكون منذ أن يموت الإنسان إلى أن يقسم الله ﷻ العباد إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة. ومن الأمور العظيمة التي تكون في يوم القيامة الشفاعة.

تعريف الشفاعة:

يقول العلماء في تعريف الشفاعة: هي "التوسط للغير بجلبٍ منفعَةٍ أو دفعِ مَضَرَةٍ"^(٢) وقيل أيضاً في تعريفها: "هي التوسط بالقول في وصول شخصٍ إلى منفعَةٍ من المنافع الدنيوية أو الآخروية أو خلاصه من مَضَرَةٍ"^(٣).
وحقيقة الشفاعة أن الله ﷻ يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن الله ﷻ له أن يشفع؛ ليكرمه.

الشفاعة ملك لله:

وقد دلت الأدلة على أن الشفاعة: ملكٌ له ﷻ، ليس لأحد من خلقه حقٌّ فيها إلا بإذنه ﷻ يقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤] فهي ملكٌ لله، ليس لأحد فيها شيء. وسيأتي مزيد شرح لهذا.

(١) كان في يوم الأحد الخامس عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٤٨٥/١).

(٣) تفسير أبي السعود (٢١٠/٢).

الشفاعة لمن أذن الله له ورضي عنه :

وقال الله ﷻ: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]
فأخبر سبحانه أنها لا تكون إلا بإذنه.

وقال ﷻ: ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [يونس: ٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم].

فأخبرنا ﷻ أيضًا أن الشفاعة لا تكون إلا لمن أذن الله ﷻ له، ورضي عنه. وبين
ﷻ أنها لا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يأذن فيها إلا لأوليائه المرتضين الأخيار، قال
ﷻ: ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبا].

وقال ﷻ: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مريم]

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه].

وهو سبحانه لا يرضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فإن الله ﷻ يقول
في حقهم: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر] أي: ليس للذين ظلموا
أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم.

ويخبر ﷻ أن أهل النار يقولون يوم القيامة: ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ [ص] ولا صديق حميم

﴿ [الشعراء]

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر].

الشفاعة قسمان :

ويتبين من هذه الأدلة أن الشفاعة في كتاب الله تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعة مثبتة.

والقسم الثاني: شفاعة منفية.

فالشفاعة المثبتة: هي الشفاعة التي ذكر الله ﷻ لنا أنها لا تكون إلا بإذنه، وأنها

لا تكون إلا لمن رضي الله ﷻ.

والشفاعة المنفية: هي الشفاعة في حق الكافرين والمشركين، ومن مات على غير التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "فنفى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسطن من الملك أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]"^(١).

فالشفاعة في كتاب الله قسمان:

شفاعة مثبتة، وهذه الشفاعة لله تعالى يتفضل بها على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود. وأما الشفاعة المنفية فهي ما كان فيها شرك، فالمشرك لا يقبل الله تعالى فيه الشفاعة، وهذا الباب العظيم من الأبواب التي ضلَّ فيها المشركون والكافرون وعبدة الأوثان والمفتنون المغالون في الأولياء والعلماء والأنبياء والصالحين،

يقول الله تعالى في كتابه الكريم مبيناً خطأ ما كان عليه المشركون: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] فهم يزعمون أن آلهتهم التي تُعبد من دون الله ستكون شفيعاً لهم عند الله تعالى في الموقف يوم القيامة، وقد ظنوا بالله ظنَّ سوء، قال تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ثم قال ربنا تعالى: ﴿قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

الشفاعة العظمى يوم القيامة:

من أعظم الشفاعات يوم القيامة الشفاعة العظمى التي تكون لنبينا صلى الله عليه وسلم وذلك أن الناس حين يجمعهم الله يوم القيامة في صعيد واحد - كما جاء في الأحاديث - يصيبهم الهمُّ والغمُّ والكرب، فيفزعون إلى من يشفع لهم عند الله تعالى ليخلصهم من كرب الموقف، وقد تقدّم معنا في المجلس السابق ذكراً أن الناس حينما يقفون في الموقف العظيم

يتصَبَّبُ منهم العرق وتدنو منهم الشمس مقدارَ ميل، وأنَّ من الناس من يغوص في عرقه ويُلجِئُهُ العرق إلجامًا، وأن منهم من يكون العرق إلى حَقْوِيهِ أو إلى ركبتيهِ، وهاهنا يطلب الناس من يُخلِّصهم في هذا اليوم والموقف العظيمين.

وقد ورد في ذلك أحاديثٌ عن النبي ﷺ فمن ذلك:

ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الدَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَتَهَشَّ مِنْهَا تَهَشَّةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِأَدَمَ، فَيَأْتُونَ أَدَمَ عليه السلام، فَيَقُولُونَ له: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ أَدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ^(١)، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا عليه السلام فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ،

(١) آدم عليه السلام ذو جاه عظيم ومنزلة كريمة عند الله ﷻ ولكنه في هذا الموقف استحميا من ربه ﷻ، والله سبحانه قد خص بهذا المقام نبينا محمدا ﷺ.

وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ الرَّاوي (١) -،
نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ:
يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ،
أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ،
وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي،
اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ: يَا
عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمَتِ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا،
اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ
غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكَرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي
نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ
اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ،
أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! قَالَ: فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷺ، ثُمَّ يَفْتَحُ

(١) جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ [قَالَ النَّبِيُّ ﷺ]: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ،
ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ، قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات]. وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾
[الأنبياء: ٦٣]. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتِ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ
امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ فَسَأَلْهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ:
لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَعَيْرِيكَ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي، فَلَا تُكْذِبِينِي، ...»
الحديث رواه البخاري موقوفًا (٣٣٥٨) ومرفوعًا (٥٠٨٤) ومسلم مرفوعًا (٢٣٧١). وهذه الكلمات الثلاث
إنما كانت من معارضة الكلام، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها؛ استصغارًا لنفسه عن
الشفاعة، مع وقوعها؛ لأن من كان أعرف بالله، وأقرب إليه منزلةً كان أعظم خوفًا. قاله البيضاوي. وقوله:
«ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ» قال في الفتح: حَصَّ الثنيتين بذات الله؛ لأن قصة سارة، وإن كانت أيضاً في ذات
الله، لكن تضمنت حظاً لنفسه، ونفعاً له، بخلاف الثنيتين الأخيرتين، فإنهما في ذات الله محضاً، وقد وقع
في رواية [روها البزار - كما في «البداية والنهاية» (١/ ٣٤٩ ت التركي) - وأبو يعلى (٦٠٣٩) وأبو الشيخ في
طبقات المحدثين بأصبهان (١٠٠/ ٢) وعنه أبو نعيم في طبقات المحدثين بأصبهان (١٠٠/ ٢) -] ... «إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ». اهـ قلت: وهي رواية صحيحة على الراجح.

اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى^(١).

وهذا الحديث ونحوه -مما ورد في الشفاعة في الموقف يوم القيامة- فيه الجمع بين نوعين من الشفاعة:

عامة في أهل الموقف كما يدل عليه أول الحديث.

وخاصة لأئمة كما يدل عليه آخره «فأقول: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ».

ولذلك ذكر جمع من العلماء أن أحاديث الشفاعة وقع فيها اختصار من بعض الرواة. قَالَ الدَّوْدِيُّ: كَانَ رَاوِي هَذَا الْحَدِيثِ رَكَبَ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ أَصْلِهِ وَذَلِكَ أَنَّ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ ذَكَرَ الشَّفَاعَةَ فِي الْإِرَاحَةِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ وَفِي آخِرِهِ ذَكَرَ الشَّفَاعَةَ فِي الْإِخْرَاجِ مِنَ النَّارِ. قَالَ الْحَافِظُ: يَعْنِي وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ التَّحَوُّلِ مِنَ الْمَوْقِفِ وَالْمُرُورِ عَلَى الصَّرَاطِ وَسُقُوطِ مَنْ يَسْقُطُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِي النَّارِ ثُمَّ يَفْعُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّفَاعَةَ فِي الْإِخْرَاجِ اهـ^(٢).

وقد بين العلماء^(٣) أنه يكون أولاً الشَّفَاعَةُ الَّتِي لِحَا النَّاسِ فِيهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ الْإِرَاحَةُ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ ثُمَّ تَجِيءُ الشَّفَاعَةُ فِي الْإِخْرَاجِ بَعْدَ ذَلِكَ. وفسروا حصول الإراحة من هول الموقف بما ورد في حديث أبي سعيد من الأمرِ بِاتِّبَاعِ كُلِّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ثُمَّ تَمَيِّزُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ حُلُولُ الشَّفَاعَةِ بَعْدَ وَضْعِ الصَّرَاطِ وَالْمُرُورِ

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/٤٣٧-٤٣٨).

(٣) انظر المرجع السابق

عَلَيْهِ فَكَانَ الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ كُلِّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ هُوَ أَوَّلُ فَضْلِ الْقَضَاءِ وَالْإِرَاحَةِ مِنْ كَرْبِ الْمُوقِفِ^(١)

ويؤيده ما رواه البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ»^(٢)

ورواه البخاري أيضا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله: «إِنَّ الشَّمْسَ تَدُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأَذْنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَعَاثُوا بِأَدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وآله»^(٣)

قال البخاري: وَزَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ: «فِيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِمَحَلَّةِ الْبَابِ، فَيَوْمِئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ»^(٤)

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ إِبْرَادِ الْأَيْمَةِ لِهَذَا الْحَدِيثِ فِي أَكْثَرِ طُرُقِهِ، لَا يَذْكُرُونَ أَمْرَ الشَّفَاعَةِ الْأُولَى، فِي إِثْبَانِ الرَّبِّ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ، ... وَهُوَ الْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْمَقَامِ. وَمُقْتَضَى سِيَاقِ أَوَّلِ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَى

(١) كما في صحيح البخاري (٤٥٨١) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله قَالَ: «... إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدْنَى مُؤَدَّنٌ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا، وَعُغْبَرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطَشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيُحْتَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْعُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الْأَوَّلِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنْ أَلْبَتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرٍ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نَصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»

(٢) صحيح البخاري (٤٧١٨).

(٣) المرجع السابق (١٤٧٥).

(٤) المرجع السابق معلقا عقب الحديث (١٤٧٥).

أَدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَنْ يَفْصَلَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَ النَّاسِ؟ لَيْسَتْ رِيحُوا مِنْ مَقَامِهِمْ ذَلِكَ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ سِيَاقَتُهُ مِنْ سَائِرِ طُرُقِهِ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى الْمَحْزَنِ تَمَّ يَذْكُرُونَ الشَّفَاعَةَ فِي عَصَاةِ الْأُمَّةِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَكَأَنَّ مَقْصُودَ السَّلَفِ فِي الْإِقْتِصَارِ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الْحَدِيثِ هُوَ الرَّدُّ عَلَى الْحَوَارِجِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْمُعْتَرِثَةِ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ خُرُوجَ أَحَدٍ مِنَ النَّارِ بَعْدَ دُخُولِهَا، فَيَذْكُرُونَ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ النَّصُّ الصَّرِيحُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبِدْعَةِ الْمُخَالَفَةِ لِلْأَحَادِيثِ ١.هـ.

- ثم ذكر حديث ابن عمر المتقدم -.

الشفاعة العظمى يوم القيامة هي المقام المحمود:

والشفاعة العظمى هي المقام المحمود الذي وعده الله ﷻ لنبيه ﷺ كما قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧١]. فالناس إذا ضاق بهم الموقف، وطال المقام، واشتد القلق، وألجمهم العرقُ التمسوا الشفاعة في أن يفصل الله بينهم، فيأتون آدمَ فوحًا ثم إبراهيمَ ثم موسى ثم عيسى، وكلهم يقول: نفسي نفسي، وهم من أشدَّ الأنبياء قربًا إلى الله، وأعظم الناس جاهًا ومنزلة عند الله ﷻ حتى ينتهوا إلى نبينا محمد، فيقول: «أَنَا لَهَا»^(٢) فيشفع ﷺ عند الله سبحانه في أهل الموقف أن يعجل الله ﷻ لحسابهم. وقد تقدم حديث ابنِ عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: «... فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ»^(٣)

وروى مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قَالَ: ضَرَبَ فِي صَدْرِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَفِضْتُ عَرَفًا وَكَأَنَّهَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ ﷻ فَرَفًا، فَقَالَ لِي: «يَا أُبَيُّ أُرْسِلْ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوَّنَ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ أَقْرَأُهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوَّنَ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ أَقْرَأُهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَلَكِ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخْرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمَ يَرَعْبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ،

(١) البداية والنهاية ط هجر (١٩/٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) تقدم

حَتَّىٰ إِبْرَاهِيمَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١). قال ابن كثير: «وَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»^(٢). ا.هـ. (٣).

وفي مسند الإمام أحمد عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ^(٤)، وَيَكْسُونِي رَبِّي ﷻ حُلَّةَ خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤَدِّنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ»^(٥).

الشفاعة لأقوام استحقوا دخول الجنة أن يدخلوها:

ويشفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأقوام استحقوا دخول الجنة في أن يدخلوها،

وهي النوع الثاني من أنواع الشفاعة الخاصة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»، وفي رواية: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»، وفي رواية: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»^(٦).

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٧).

(١) أخرجه مسلم (٨٢٠).

(٢) رواه بهذا اللفظ الترمذي في السنن (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأحمد في المسند (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه وابن حبان (٦٤٧٨) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهو في صحيح البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظهما «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ورواه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله «وَلَا فَخْرَ» وزاد: «... وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»

(٣) قصص الأنبياء (١/٢٤٢)

(٤) أي: على موضع مرتفع

(٥) تقدم (ص ١١١) نهاية المجلس (٢٥).

(٦) أخرجه بروايته كلها الإمام مسلم (١٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) أخرجه مسلم (١٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، وحذيفة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِّنْ وَرَاءَ وَرَاءَ^(١)، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى عليه السلام، الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ

...»^(٢)

شفاة النبي ﷺ في عمه أبي طالب:

ثالثا: ومن أنواع الشفاة الخاصة بنبينا ﷺ: شفاة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب؛ فإنه شفع فيه عند الله ﷻ حتى خُفِّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ. في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِّنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغِي مِنْهُ أُمَّ دِمَاعِهِ»^(٣)

(١) قوله: «وَرَاءَ وَرَاءَ»: بالفتح فيهما على المشهور والثانية مؤكدة للأولى كقولهم شذر مذر كما في شرح النووي على مسلم (٧١/٣). والمعنى كما قال القاضي عياض في «مشارك الأنوار» (٢/٢٨٤): «أي من غير تقريب ولا إبدال بخواصها». وقال في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١/٥٧٦): فيه إشارة إلى تفضيل محمد ﷺ، وفيه حجة على زيادة منزلة محمد ﷺ في القرب على إبراهيم، وليس ذلك إلا بالرؤية والمناجاة - والله أعلم بقوله: "من وراء وراء". وهو قال النووي رحمته الله في «شرحه على مسلم» (٣/٧١): «قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ هَذِهِ كَلِمَةٌ تُذَكِّرُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَضُّعِ أَي لَسْتُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ - ثم نقل النووي عنه أن المعنى -: فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَنَا وَرَاءَ مُوسَى الَّذِي هُوَ وَرَاءَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَسَلَّم.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥). ووهم الحاكم فخرجه في المستدرک على الصحيحين (٨٧٤٩) وصححه على شرطهما.

وتعقبه شيخنا الوادعي في تحقيق المستدرک.

(٣) رواه البخاري (٦٥٦٤) ومسلم (٢١٠).

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيءٍ، فإنه كان يحوطك ويعصب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحاح من نارٍ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(١) وقال عليه السلام: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالبٍ، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»^(٢)

النوع الرابع الشفاعة في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها:

رابعا: ومن أنواع الشفاعة: الشفاعة فيمن دخل النار من أهل التوحيد أن يخرجوا منها، فيخرجون قد امتحشوا،^(٣) وصاروا فحماً، فيطرحون في نهر الحياة، فينبئون كما تنبت الحبة في حميل السيل كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ»^(٤)

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يُرِينَا مِنْ مَكَانِنَا هذا ... ثم ذكر الحديث بمعناه: يأتون آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم قال: فأنتطق، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحُدُّ لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ربي، ثم أشفع فيحُدُّ لي حداً -

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وهو الحاكم فأخرجه في المستدرک علی الصحیحین (٨٧٤٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. هو وتعبه شيخنا الوادعي رحمته الله في التعليقات على المستدرک.

(٣) امتحشوا: أي احترقوا. وتروى: "امتحشوا"

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يعني يعطيه عددًا معيّنًا من الناس يشفع فيهم ﷺ - ثم يقول ﷺ: فأقول: يا ربّ ما بقّي في التّارِ إلّا من حبّسه القرآن، ووجّب عليه الخلود - يعني من كان من الكافرين -، -نسأل الله السلامة والعافية-.

قال: وقال النبي ﷺ: «يُخْرَجُ مِنَ التَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ التَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ التَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً»^(١).

شفاعة المؤمنين لإخوانهم الذين دخلوا النار:

وأخبر النبي ﷺ أن الناجين من عباد الله سبحانه من المؤمنين يجادلون الله ﷻ عن إخوانهم. -وهذا يدل على فضل الأخوة في الله ﷻ-، كما جاء عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أيضا، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... ثُمَّ يُوقَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ»، [وَيُخَلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَرَلَةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالظَّرْفِ وَكَالْبُرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مَحْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ، وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرَجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا... فَيَشْفَعُ التَّيَّبُونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ،

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣).

فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ اْمْتَحَشُوا، فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ... فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، ...» الحديث (١)

وفي رواية في المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: «يُوضَعُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَجْدُوحٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ بِهِ فَمَنْكُوسٌ فِيهَا قَالَ: فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يَصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحْجُونَ حَجَّهُمْ وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَيُّ رَبَّنَا، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا يَصَلُّونَ صَلَاتِنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتِنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحْجُونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ»، قال ﷺ: «فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذْتُهُمُ النَّارُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَرَزَتْهُ - يعني بلغت إلى حد المئزر - وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِيهِ، وَلَمْ تَعَشَّ الْوُجُوهَ فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا فَيُطْرَحُونَ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ»، قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْحَيَاةُ؟ قَالَ: «غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزَّرْعَةِ. وَقَالَ مَرَّةً: فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا. قَالَ: ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا» (٢).

ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين:

وإذا خرج عصاة المؤمنين أهل التوحيد من النار فحينها ﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، كما ورد في تفسير الآية وهي قول الله ﷻ: ﴿رُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) ومنه الزيادة.

(٢) أخرجه أحمد (١١٠٨١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ [الحجر] فقد ذكر العلماء في تفسيرها: أَنَّ عَصَاةَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ يَقُولُ لَهُمُ الْكُفَّارُ: مَا فَضَّلَكُمُ عَلَيْنَا؟ نَحْنُ فِي النَّارِ وَأَنْتُمْ فِي النَّارِ، فَيَغْضَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِذَلِكَ فَيَأْمُرُ بِإِخْرَاجِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَخْلَصًا مِنْ قَلْبِهِ مِنَ النَّارِ، فَحِينَئِذٍ يَتَمَتَّى الْكَافِرُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا.

قال الإمام الترمذي رحمته الله: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه أَنَّهُ قَالَ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» هَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ التَّحِيَّيِّ، وَعَبْدِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قَالُوا: إِذَا أُخْرِجَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَدَّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿١﴾ اهـ (١)

وفي المسند عن أنس رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمُوعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَعْطَى لِرِوَاءِ الْحَمْدِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَإِنِّي آتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَخْذُ بِحَلْقَتَيْهَا، فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، فَأَدْخُلُ، فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْزُقْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمَ يُسْمَعُ مِنْكَ، وَقُلُ يُقْبَلُ مِنْكَ، وَاشْفَعُ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدَتْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، فَأَقْبِلُ فَمَنْ وَجَدَتْ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ. فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْزُقْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمَ يُسْمَعُ مِنْكَ، وَقُلُ يُقْبَلُ مِنْكَ، وَاشْفَعُ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ فَمَنْ وَجَدَتْ فِي قَلْبِهِ نِصْفَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنَ الْإِيمَانِ فَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ فَمَنْ وَجَدَتْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلَتْهُمْ

الْجَنَّةَ. فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي فَأَسْجُدْ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمْ يُسْمَعُ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلُ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَذْهَبَ إِلَى أُمَّتِكَ فَمَنْ وَجَدْتِ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنَ الْإِيمَانِ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمُ الْجَنَّةَ. وَفَرَعَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَأَدْخَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي النَّارَ مَعَ أَهْلِ النَّارِ. فَيَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ، لَا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا. فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: فَبِعِزَّتِي، لَأُعْتِقَنَّهْمُ مِنَ النَّارِ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيَخْرُجُونَ وَقَدْ امْتَحَشُوا، فَيَدْخُلُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، وَيُكْتَبُ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ هَوْلَاءُ عَتَقَاءِ اللَّهِ، فَيَذْهَبُ بِهِمْ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَوْلَاءُ الْجَهَنَّمِيِّونَ. فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَلْ هَوْلَاءُ عَتَقَاءِ الْجَبَّارِ^(١)

الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة:

خامسا: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة، وقد تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ...»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (١٢٤٦٩) والدارمي (٥٣) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٦٨) وابن خزيمة في التوحيد (٢/

٧١٠) وابن منده في الإيمان (٨٧٧) وقال: هذا حديث صحيح مشهور عن ابن الهاد. وهو قال الشيخ الألباني في ظلال الجنة (٢/٤٠٧): صحيح على شرط الشيخين. اهـ. قلت: قول ابن منده أصح، فالحديث من رواية الليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو مولى المطلب عن أنس، وليس هو هكذا على رسم مسلم، كما في ترجمة ابن الهاد من كتاب "رجال صحيح مسلم" لابن منجويه (٢/٣٦٢)، والرواة عن الليث، ليسوا على شرط البخاري، فالإسناد صحيح حسب والله أعلم. وللحديث طرق أخرى عن أنس، وشواهد من حديث أبي موسى وابن عباس وجابر والحسين بن علي رضي الله عنهم انظرها مخرجة في ظلال الجنة للألباني وفي أنيس الساري (تخریج أحاديث فتح الباري) (١/٢٣٥).

(٢) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

هذا هو النوع السادس من الشفاعة، وهذه النوع من أنواع الشفاعة ليس خاصا بنبينا ﷺ، ولكنه المقدم فيها ثم يشفع بعده الأنبياء والملائكة والأولياء والأفراط أي: الأولاد الصغار الذين يموتون صغارا فيشفعون ثم يخرج الله ﷻ برحمته من النار أقواما بدون شفاعة لا يحصيهم إلا الله ﷻ فيدخلون الجنة^(١).

الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن يدخلوها:

سابعا: ومن أنواع الشفاعة التي يذكرها العلماء: الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: وهذه قد يستدل لها: بما رواه مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ»^(٢) قال: فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك. ثم قال: ويشكل على هذا أن هذه شفاعة في الدنيا^(٤).

وابن القيم رحمته الله يقول: وَهَذَا التَّوَعُّ لَمْ أَقِفْ إِلَى الْآنَ عَلَى حَدِيثٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ. وَأَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الشَّفَاعَةَ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَرْبَابِ الْكِبَائِرِ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، وَأَمَّا أَنْ يُشْفَعَ فِيهِمْ قَبْلَ الدُّخُولِ، فَلَا يَدْخُلُونَ. فَلَمْ أَظْفَرْ فِيهِ بِنَصِّ أَهْلِ^(٥)

وذكر الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- أن مما يدل على إثبات هذا النوع من الشفاعة قوله رحمته الله «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٦) فأثبت رحمته الله شفاعته في أهل

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم (٩٤٨).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٣٣٤)

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية (٢/١٧٨)

(٥) انظر: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته (٢/٤٢٥)

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠)

الكبائر، وهو يشمل من استحق النار ممن دخل أو لم يدخل، فيستدل بعموم هذا الحديث على صحة هذا النوع من الشفاعة، وصحة كونه شفاعة^(١).

قصة تبين المعتقد الصحيح في الشفاعة في أهل الكبائر:

قَالَ يَزِيدُ الْفَقِيرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ قَدْ شَعَفَنِي رَأْيِي مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةِ دَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَخْجَ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللَّهِ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] وَ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ -؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَحْمُودِ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرَجُ»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضَعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَلِكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ «أَنْ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا»، قَالَ: - يَعْنِي - «فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاوِيَّاتِ»، قَالَ: «فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقَرَّاطِيُّسُ»، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيَحْكُمُ أَثَرُونَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ. رواه مسلم^(٢)

وفي المسند عن طلق بن حبيب، قَالَ: كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَكْذِيبًا بِالشَّفَاعَةِ، حَتَّى لَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كُلَّ آيَةٍ ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خُلُودُ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ: يَا طَلْقُ، أَتُرَاكَ أَقْرَأَ لِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، وَأَعْلَمُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَاتَّضَعْتُ لَهُ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، بَلْ أَنْتَ أَقْرَأَ لِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، وَأَعْلَمُ بِسُنَّتِهِ مِنِّي، قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي

من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) ينظر: «شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ» (ص ٢٠٣ و ٢١٢) بترقيم الشاملة)

(٢) صحيح مسلم (١٩١).

قَرَأَتْ أَهْلُهَا هُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَلَكِنْ «قَوْمٌ أَصَابُوا ذُنُوبًا، فَعُدُّبُوا بِهَا، ثُمَّ أُخْرِجُوا»، صُمَّتَا - وَأَهْوَى يَدَيْهِ إِلَى أذُنَيْهِ - إِنَّ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ»، وَنَحْنُ نَقْرَأُ مَا تَقْرَأُ. (١)

وقال نعيم بن حماد قال: سُفْيَانُ - يَعْنِي ابْنَ عُيَيْنَةَ -: قَدِمَ عَلَيْنَا عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَمَعَهُ رَجُلٌ تَابِعٌ لَهُ عَلَى هَوَاهُ قَالَ: فَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ الْحِجْرَ فَصَلَّى فِيهِ، وَخَرَجَ صَاحِبُهُ، فَقَامَ عَلَى عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ هَذَا، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَ إِلَى عَمْرُو بْنِ عَبِيدٍ فَقَالَ لَهُ: يَا ضَالُّ أَمَا كُنْتَ تُخْبِرُنَا أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَحَدٌ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ ذَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» قَالَ: فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ: هَذَا لَهُ مَعْنَى لَا تَعْرِفُهُ قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: وَأَيُّ مَعْنَى يَكُونُ لِهَذَا قَالَ: ثُمَّ نَفَضَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ وَفَارَقَهُ. (٢)

وقال ابن أبي عمير: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ عَبِيدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا امْتَحَشُوا فِيهَا، وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، يَسْمَى نَهْرَ الْحَيَاةِ، فَيَنْبِتُونَ فِيهَا كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَوْ كَمَا تَنْبُتُ التَّعَارِيرُ» (٣)، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ: هُوَ لَأَيِّ عِتْقَاءِ اللَّهِ

(١) مسند أحمد (١٤٥٣٤)

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٩) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ت بشار (٤٠٩٩/٧٥/١٤)

(٣) بمثلثة مفتوحة، ثم مهملة، واحدها ثعور كعصفور، قال ابن الأعرابي: هي قثاء صغار، وقال أبو عبيدة مثله، وزاد: ويقال بالشين المعجمة بدل المثلثة، وقيل: هو نبت في أصول الثمام كالقطن، قال الحافظ: والمقصود الوصف بالبياض والدقة، وجاء في تفسيره في رواية البخاري "٦٥٥٨" بالضغابيس، وفسره الأصمعي بأنه شيء ينبت في أصول الثمام يشبه الهليون، قال الحافظ: هذا التشبيه لصفته بعد أن ينبتوا، وأما في أول خروجهم النار فإنهم يكونون كالفتح، ووقع في حديث يزيد الفقيه عن جابر عند مسلم: "فيخرجون كأنهم عيدان السمسم، فيدخلون نهراً، فيغتسلون، فيخرجون كأنهم القراطيس البيض" انظر "الفتح" ٣٢٩/١ و٤٥٧، ٤٥٨. [من تعليق الشيخ شعيب ﷺ في تحقيق صحيح ابن حبان]

عَزَّجَلَّ مِنَ النَّارِ. وقال رجل متهم برأي الخوارج يقال له هَارُونَ أَبُو مُوسَى أَوْ أَبُو مُوسَى بَنُ هَارُونَ: ما هذا الذي تحدث به أبا عَاصِمٍ؟ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا عَلِجُ! فَلَوْلَمْ أَسْمَعُهُ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ أَحَدِّثْ بِهِ ^(١).

كلمة مهمة للإمام البيهقي:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ... وَقَدْ ثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا هَهُنَا، وَفِي كِتَابِ الْبُعْثِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ بِذُنُوبِهِ غَيْرَ أَنْ الْقَدَرَ الَّذِي يَبْقَى فِيهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ، وَالَّذِي تَلَحُّقُهُ الشَّفَاعَةُ ابْتِدَاءً حَتَّى لَا يُعَذَّبَ أَصْلًا غَيْرُ مَعْلُومٍ، فَالذَّنْبُ حَظْرُهُ عَظِيمٌ، وَشَأْنُهُ جَسِيمٌ، وَرَبُّنَا غَفُورٌ رَحِيمٌ عِقَابُهُ شَدِيدٌ أَلِيمٌ اهـ. ^(٢)

أمة محمد ﷺ أول الأمم دخولا الجنة:

وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ فنحن كما قال ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» ^(٣). أي: الآخرون زمنًا المتأخرون وقتًا لكننا الأولون السابقون يوم القيامة، وهذا من تكريمة الله ﷻ لهذه الأمة. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم» ^(٤) فثلثنا أهل الجنة من أمة محمد ﷺ.

رسولنا ﷺ أول شافع:

يقول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»، وفي رواية: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يفرع باب الجنة»،

(١) المطالب العالية (٤٥٦٠) وانظر أيضا: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي (٢٠٤٨) وشعب

الإيمان للبيهقي (٣١٩) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت بشار (٤٠٩٩/٧٥ /١٤)

(٢) شعب الإيمان (١/٥٠٦)

(٣) رواه في مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سيأتي تخرجه في الجزء السابع مبحث "هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة (ح:١٣).

وفي رواية: «أنا أول شفيح في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدق من أمته إلا رجل واحد»^(١).

ويقول ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(٢).

من الأعمال الصالحة التي تشفع لصاحبها:

إخواني في الله: اجتهدوا في الأعمال الصالحات التي تقربكم إلى رب الأرض والسموات؛ فإن الأعمال الصالحة تشفع لصاحبها عند الله ﷻ

كما في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»^(٣)

وفي المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتك الطعام والشهوات بالتهار، فشققني فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل، فشققني فيه»^(٤) قال: «فيشفعان»^(٤) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك»^(٥)

(١) تقدم قريباً

(٢) تقدم قريباً.

(٣) صحيح مسلم (٨٠٤)

(٤) أخرجه أحمد (٦٦٢٦) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٤)

(٥) أخرجه أبو داود (١٤٠٠) والترمذي (٢٨٩١) وابن ماجه (٣٧٨٦) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٧٤)

وصح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ قَادَهُ إِلَى النَّارِ»^(١)
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «نِعْمَ الشَّفِيعُ الْقُرْآنُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: يَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَمْنَعُهُ شَهْوَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَأَكْرِمُهُ، قَالَ: فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ زِدَهُ، قَالَ: فَيَحَلِّي حُلَّةَ الْكِرَامَةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ زِدَهُ، قَالَ: فَيُكْسَى تَاجَ الْكِرَامَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ زِدَهُ، قَالَ: فَيَرْضَى مِنْهُ فَلَيْسَ بَعْدَ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ شَيْءٌ»^(٢)

ما يمنع من الشفاعة:

واحدروا -رحمكم الله- من الأعمال التي تكون سبباً في حرمان الإنسان من الشفاعة يوم القيامة؛ فإن الشفاعة منزلة عظيمة، يأذن الله ﷻ فيها لمن شاء من عباده، ومن ذلك ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)

فاحذر أيها العبد المسلم، وأمسك عليك لسانك، وابتعد عن السباب والشتيم، وابتعد عن اللعن؛ لتكون بذلك من المقربين عند الله ﷻ.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «وَاللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ فِي الرَّفَاقِيَّةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ، فَتُرْدِيهِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٤)

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦٠١٠) ومعجم الطبراني الكبير (١٣٢/٩) وروي مرفوعاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه رواه الطبراني (١٩٨/١٠) بسند واه، ورواه ابن حبان في صحيحه (١٧٩٣) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً، ورجح وقفه على ابن مسعود أبو حاتم كما في العلل لابنه (١٦٨١) والدارقطني في العلل (٧٤٨) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٠٤٧) والدارمي (٣٣٥٤) وهو في سنن الترمذي (٢٩١٥) مرفوعاً ثم ذكره موقوفاً قال بنحوه وقال الموقوف أصح ١هـ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) أخرجه حسين المروري في زوائد الزهد لابن المبارك (٩٩٣) وهناد في الزهد (٥٥٢/٢) بسند صحيح وهو عند الطبراني في المعجم الكبير (٢٣٧/٩) رقم (٩١٦٠) من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه.

أعني على نفسك بكثرة السجود:

واجتهد - رحمك الله - في الإكثار من الصلوات النوافل؛ فقد روى مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كُنْتُ أَيْبُتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(١).

احذر من الاتكال وترك العمل:

واحذر من الوقوع فيما وقع فيه المقصرون وفيما وقع فيه أولئك المفرطون في توحيد الله ﷻ الذين يعتقدون أن بعض الناس له الأحقية وله الصلاحية في أن يكون شافعاً له عند الله - بلا عمل -، بل إن بعض الناس يأتي الأموات والأولياء، فيطلب منهم أن يكونوا له شفعاء عند الله.

الشفاعة ملك لله:

واعلم أن الشفاعة ملك لله سبحانه - كما تقدم - فلا تُطَلَّبُ إلا من الله. قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَقْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ]. قال بعض العلماء: هذه الآية قطعت عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها^(٢).

قال ابن القيم ﷻ: "وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعاً، قطعاً يعلم من تأملُه وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً، أو شافعاً، فهو ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) انظر: كلام شيخ الإسلام في التسعينية (٥٢٦/٢) المسائل والأجوبة (ص: ١١٧) واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢٢٦/٢) والإخائية أو الرد على الإخائيات العنزي (ص: ٩٩) وسيأتي كلام ابن القيم وانظر: القول السديد للسعدي (٦٧)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٣١٤/٩).

فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكٍ وَمَا لُهُم مِّنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سبأ]

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع:

- إما مالك لما يريده عباده منه،
- فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك،
- فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا،
- فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده،

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، منتقلا من الأعلى إلى ما دونه^(١).

ومن تأمل هذه الآية أيقن أنّ الشفاعة ملك لله سبحانه: ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني هؤلاء الذين تدعونهم وتعبدونهم من دون الله ادعوهم هل يملكون شيئا عند الله؟! إنهم ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فالشفاعة لا يملكونها، وكذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكٍ ﴾ يعني ليسوا شركاء في ملك الله ﷻ . ثم قال: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ ﴿٣٣﴾ [سبأ] فليسوا معاونين ولا وزراء ولا وجهاء عند الله سبحانه؛ ليأذن لهم وليكونوا مقرّبين عند الله. قال: ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ﴾ . فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الله سبحانه، -نسأل الله ﷻ أن يُشَفِّعَ فينا نبيّه محمداً ﷺ وأن يُصَلِّحَ أعمالنا-.

الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص:

والشفاعة عند الله ﷻ يوم القيامة لا تكون إلا لأهل التوحيد أي: الذين ماتوا على توحيد الله؛ ولهذا لما سُئِلَ النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»^(١) فبين هذا الحديث أنّ من مات على توحيد الله سبحانه فهو يوم القيامة من أهل الشفاعة الذين يأذن الله ﷻ فيهم بفضله ومَنه وكرمه حتى لو مات على ذنوب عظيمة أو مات على كبيرة فإنه إذا مات على التوحيد يرجى له من الخير ويرجى له عند الله ﷻ من الفضل بقدر توحيدِهِ وإيمانه بالله.

وقد جاء ذلك صريحاً في قول النبي ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٢).
وقال ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأَتْ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وقال ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(٤).

نسأل الله ﷻ أن يعفو عنّا، وأن يغفر لنا خطأنا وزللنا،
وأن يُثَبِّتَنَا عَلَى دِينِهِ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.



(١) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأخرجه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وفي (٢٠٠) من حديث عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو في البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (٩٨) دون الجملة الأخيرة.

الإيمان بالحساب والجزاء

المجلس الثلاثون^(١)

الإيمان بالحساب

تعريف الحساب:

قال أهل اللغة: الحسب هو العد والإحصاء^(٢).
والحساب شرعا: هو: "أن يُوقَفَ الحَقُّ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عباده بين يديه، ويعرّفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا"^(٣).
فمن تمام عدله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يوم القيامة أنه يُعرّف عباده مقادير الجزاء على أعمالهم ويزدّهم بما قد نُسوه من ذلك، يقول ربنا ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وجوب الإيمان بالحساب:

الإيمان بالحساب، من جملة ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ونصوص الكتاب والسنة الدالة على ذلك كثيرة جدًا.

فربنا ﷻ قد امتدح نفسه في كتابه في سبعة مواضع بأنه سريع الحساب:

فقال ﷻ في أربعة مواضع من كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

[آل عمران: ١٩٩، المائدة: ٤، إبراهيم: ٥١، غافر: ١٧]

وقال ﷻ في موضعين من كتابه: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢، النور: ٣٩،

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

(١) كان في يوم الاثنين السادس عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) ينظر: "تهذيب اللغة" (٤/١٩١) و"لسان العرب" (١/٣١١).

(٣) القيامة الكبرى لعمر الأشقر، (ص: ١٩٣).

فامتدح نفسه ﷺ بذلك؛ فهو يأتي بالعباد يوم القيامة، ويُعرّفهم بأعمالهم، لا يحتاج إلى معاونٍ، ولا يحتاج إلى عدٍّ، ولا يحتاج إلى أمرٍ مما يحتاجه البشر.

وإنما قد علم ما كان منهم وما وقع من أعمالهم، فيُعرّفهم إياها ﴿ في يومٍ كان مقداره ﴾
 خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿ [المعارج] يحاسبهم جميعاً، ويُوَقِّفهم على أعمالهم، كما قال ﷺ:
 ﴿ أَحْصَنهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦] فامتداحه لنفسه سبحانه بأنه سريع الحساب دالٌّ

على هذه المسألة العظيمة، وهي أنّ الحساب حقٌّ وكائنٌ يوم القيامة.

وقال ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي هَذَا الْمَسْجِدِ بَدَأَ بِالْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَنَا فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو بِهِ رَبُّهُ كَمَا يَخْلُو أَحَدَكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَيَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَاذَا عَرَّكَ [بِي] يَا ابْنَ آدَمَ؟ [مَا عَرَّكَ بِي] مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ يَا ابْنَ آدَمَ؟ مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ [مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ]، مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ»^(٢).

الاستعاذة من سوء الحساب :

أخبرنا ربُّنا ﷺ عن أوليائه المؤمنين بأنهم يسألونه أن يُعيدهم من سوء الحساب يوم القيامة. يقول ربُّنا ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (٩٠٧) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ هِلَالِ الْوَزَّانِ، عَنْ ابْنِ عُكَيْمٍ بِهِ. وهذا إسناد صحيح. ومن طريق أبي عوانة رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٤٨) والطبراني في الكبير (٨٨٩٩/١٨٠/٩) ومنه الزيادة الأخيرة واللالكائي في شرح السنة (٨٦٠) وأبو نعيم في الحلية (١٣١/١). ورواه ابن المبارك في الزهد (٣٨) وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٤، ٤٧٥، ١١٥١، ١١٥٢) وابن خزيمة في التوحيد (٤٢٠/٢/٣٦٣/١) والطبراني في المعجمين الأوسط (٤٤٩) والكبير (٨٩٠٠/١٨٢/٩) وابن بطة في الإبانة (٤٣/٧) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٠٠) من طرق عن شريك، عن هلال به.

الْمَيْتَقَّ ۝ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝ [الرعد]. فأهل الإيمان يخافون سوء الحساب من ربهم ﷻ. قال أهل التفسير:

سوء الحساب أن تُحصى عليهم جميع أعمالهم، ولا يُغفر لهم منها شيء^(١). والكفار ينالهم هذا البلاء، -نسأل الله العفو والعافية- كما قال ربنا ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَحْسَنُ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝﴾ [الرعد]. وقد أمر الله ﷻ عباده أن يتقوا هذا اليوم العظيم الذي هو يوم الحساب والجزاء، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة]. قال العلماء: هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن. وقال بعضهم: هي آخر ما نزل من كتاب الله. وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢).

وقال أهل التفسير في قوله سبحانه: ﴿مَلَايِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾ [الفاحة] هو يوم الجزاء والحساب^(٣).

وقال ربنا ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [يوسف] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝﴾ [آل عمران]

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا ۗ كُلُّ مَا عَمِلْتَهُ سَتَجِدُهُ أَمَامَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قال سبحانه: ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ﴾.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ [النحل]

(١) انظر تفسير الطبري (٥٠٥/١٣)، وتفسير السمعاني (٨٨/٣)، وتفسير البغوي (٣٠٩/٤).

(٢) انظر تفسير الطبري (٦٧/٥)، وابن كثير (٧٢١/١).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٥٨/١).

ويقول ربنا ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠ ﴾ [النساء].

فأعمالك يحصيها الله ﷻ عليك، وتجدها كلها، ما تذكره منها وما نسيته، تجدها كلها عند الله يوم القيامة، -نسأل الله ﷻ أن يعفو عنا، وأن يغفر لنا، وأن يتجاوز عنا-. ويقول ربنا ﷺ في كتابه الكريم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ٤٧ ﴾ [الزمر].

هذه الأعمال التي يعملها الإنسان في الدنيا يحصيها الله سبحانه الله ﷻ، وقد رصد لها ملائكة، قال ﷺ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨ ﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ٦ ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠ كَرَامًا كَاتِبِينَ ١١ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢ ﴾ [الإنفطار]. تُحصي هذه الأعمال جميعًا، وتأتي يوم القيامة، فيحاسبك الله ﷻ عليها، يقول ربنا ﷺ: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ٦ ﴾ [النساء]. ويقول سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَأْتِنَهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ ﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٣ ﴾ [الحجر]. ويقول ﷺ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦]. ويقول ﷺ: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ٤٧ ﴾ [الأنبياء].

الحساب بين العرض والمناقشة:

يحاسب الله عباده في القيامة ويناقشهم، فيحاسب بالعرض من قضى له بالمغفرة، ويناقش بالحساب من قضى عليه بالعذاب.

يقول شيخ الإسلام رحمته الله: "ويحاسب الله الخلاق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار: فلا يُحاسبون محاسبة من تُوزن

حسنائه وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالهم وتحصى، فيُوقَفون عليها، ويُقَرَّرُونَ بها، ويُجَزَّون بها^(١).

الحساب العسير:

الحساب يشمل كل شيء عمَّله الإنسان، والحسابُ منه العسير، ومنه اليسير، فمنه ما هو تكريم، ومنه ما هو توبيخ وتبكيث، ومنه ما هو فضل وصفح، ومنه ما هو غير ذلك. والمتوَّليُّ للحساب هو أكرم الأكرمين صاحب الحق والعدل ربُّنا ﷻ. يقول الله سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالتِّيَّيْنِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَامُونَ ﴿٦٩﴾ [الزمر].

فتأمل مشهد الحساب يوم القيامة حين يأتي الله سبحانه إتيانًا يليق بجلالته وعظمته، لفصل القضاء: ﴿ وَجِئَءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿ [الفجر] فيجئ الله ﷻ لفصل القضاء وللحساب، فالله هو المحاسب، وهو الحكم العدل، قيوم السماوات والأرض، يقول ﷻ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠١﴾ [البقرة].

فنؤمن بأن الله ﷻ يأتي إتيانًا يليق بجلالته وعظمته؛ فهو حق كما أخبر عن نفسه ﷻ ولا نُؤَوِّله ولا نُحَرِّفه ولا نكذبُ به؛ فالله ﷻ قد نصَّ في كتابه على إتيانه ومجيئه لفصل القضاء يوم القيامة.

والحساب يوم القيامة كما قال ﷻ: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥٩﴾ [الكهف] فكلُّ صغير وكبير سيلقاه الإنسان يوم القيامة، -نسأل الله السلامة والعافية-.

(١) العقيدة الواسطية: (ص: ٩٨).

الحساب عن كل شيء :

يسأل الإنسان في موقف الحساب عن كل ما عمل من خير ومن شر، فإن خيراً كان خيراً، وإن شراً كان شراً، إلا أن يعفو الله ﷻ عن عباده يوم القيامة. قال ربنا سبحانه: ﴿ وَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم].

كل أمة جاثية للحساب :

وتأمل هذا المشهد الذي يصوره الله ﷻ يوم القيامة للحساب، يقول ﷻ: ﴿ وَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [الجاثية: ٢٨]، فمن شدة الهول تجثوا الأمم على الركب عندما يدعى الناس للحساب لعظم ما يشاهدون ولعظم ما هم فيه واقعون.

حساب المؤمن :

ويجعل الله ﷻ حساب المؤمن حساباً يسيراً، فقد سئل النبي ﷺ عن الحساب اليسير، فقال ﷺ: «هو: العَرَضُ»^(١) ومعناه: أن تُعرض عليه أعماله، فيقال له: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ ويجعله الله تعالى في كنفه، ويقول له: «سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»^(٢).

حساب الكافر :

وأما الكفار والفجار فإن الله ﷻ يحاسبهم وتوزن لهم أعمالهم ويُنادون على رؤوس الخلائق: ﴿ هَلْؤَلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ [هود] ويقول ربنا سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ [القصص]. ويقول ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾

(١) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[القصص]. ويقول سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آذْرَكَ مَا هَيْبَةٌ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة] وقال ﷺ في سورة المؤمنون: ﴿ تَلَفَحَ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْتَنِي تَتَّىٰ عَلَيَّكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ . فيقيم الله ﷻ عليهم الحجة، ويظهر ﷻ يوم القيامة عدله، (... وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ ﴿١﴾) وقال ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء] والأمر كما ذكر الله ﷻ - وذكرناه آنفاً- ﴿ وَوَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يُظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف].

حسنات الكفار في الدنيا:

فإن قال قائل: فما هو حال حسنات الكفار التي كانوا يعملونها في الدنيا؟ هل يجازون عليها؟ نقول: أخبر النبي ﷺ أن هؤلاء الكفار الذين ماتوا على كفرهم إذا عملوا خيراً في الدنيا فإن الله يطعمهم به طعمة في الدنيا. يقول النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا ﴾ (٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الفرقان]

السؤال والحساب في موطن وتركه في موطن آخر:

وقد استشكل بعض الناس قول الله ﷻ في حق الكفار:

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة. ورواه مسلم (٢٧٦٠) من حديث

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [٧٨] ﴿ [القصص]،

وقوله سبحانه: ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [٧٥] وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [٣١] ﴿ [المسلمات] وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الكفار لا يُسألون يوم القيامة. والجواب الذي ذكره العلماء في ذلك: أنهم يُسألون في موطن دون موطن، فهذه الآيات التي ورد فيها أنهم لا يسألون دالة على أنهم في بعض المواطن لا يؤذن لهم بالسؤال ثم يؤذن لهم بعد ذلك، فيتخاصمون فيما بينهم (١).

لا يظلم أحد يوم القيامة

وأخبرنا الله ﷻ أن الحساب يوم القيامة حسابٌ عادلٌ، ليس فيه شيء من الظلم؛ فالله ﷻ منزّه عن ذلك، قال ﷻ: ﴿ تَمَّ تَوْفِي كُلِّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة] فلا يقع الظلم من الله ﷻ. يقول ﷻ في حكاية خبر لقمان لابنه: ﴿ يَبْنَىٰ إِنهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان]. ويقول ﷻ: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء]. ويقول تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [٨] [الزلزلة] فقد أخبرنا الله ﷻ بأن الحساب سيكون حساباً عادلاً، فلا يُظلم عند الله ﷻ أحد يوم القيامة.

لا تزر وازرة وزر أخرى:

وأخبرنا الله ﷻ أنه لا يُؤخذُ أحدٌ بذنب أحدٍ في الحساب. كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [١٦٤] ﴿ [الأنعام: ١٦٤]

(١) ينظر: «الانتصار للقرآن للباقلاني» (٥٩٨/٢) و«تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٩/٩٨، ١٧/١٧٤)

سورة الرحمن) وتفسير ابن كثير ت سلامة (٧/٤٩٩).

وقول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾. جاء في أربعة مواضع أخرى

من كتاب الله: [الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧، النجم: ٣٨]

فلا يُظلم أحدٌ عند الله، ولا يُؤخذ أحدٌ بذنوب أحدٍ أبداً إلا أن يكون متسبباً في ذلك، فيكون له نصيبٌ كما قال ﷺ: ﴿ وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾

[العنكبوت: ١٣] وقال ﷺ: ﴿ وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بغيرِ علمٍ ﴾ [النحل: ٢٥] فهم ينالون إثمهم وإثم غيرهم الذين كانوا سبباً في إضلالهم.

وفي صحيح مسلم عن المُنذرِ بنِ جريرٍ، عن أبيه رضي الله عنه، قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءَ عُرَاهُ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَاذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ حَظَبَ فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحُشْرِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴿ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهِمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ﴾ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَقْفُهُ تَعْجُرُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»^(١)

وفيه عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١)

كتاب الإنسان وصحيفته يوم القيامة:

ويقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِبَتَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]. وهذا من عدله سبحانه أنه إذا حاسب العباد يوم القيامة أخرج لكل كتابه؛ ليقراه سواء كان يقرأ في الدنيا أو لا يقرأ، فيخرج إليه الكتاب: ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] ﴿أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وهو كتاب شامل؛ فكل ما عمله يجده فيه. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال قبل ذلك عن الكفار أنهم يقولون: ﴿يَتَوَلَّاتَنَا مَالِ هَذَا الْكُتُبِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾.

تطابير الصحف:

قال الإمام البيهقي رحمه الله: قال الله عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِبَتَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] ﴿أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].

وقال تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾

[الجنانية]

وَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ يَقْرَعُونَ كُتُبَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف: ٤٩]،

وَأَنَّ: ﴿ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾ ﴿١١﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴿ [الحاقفة]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ

الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴿ [الحاقفة] .. (وقال تعالى): ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ

حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا

ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَصَلَّىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴿ [الإنشقاق]: قال: وَإِذْ وَقَفَ النَّاسُ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الصُّحُفِ

الَّتِي يُؤْتُونَهَا حُوسِبُوا بِهَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا بُعْثُوا لَا يَكُونُونَ ذَا كَرِينٍ

لِأَعْمَالِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ

وَنَسُوهُ ﴾ ﴿ [المجادلة: ٦]: فَإِذَا ذَكَرُواهَا وَوَقِفُوا عَلَيْهَا حُوسِبُوا عَلَيْهَا ا.هـ (١)

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ سَعَادَةِ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بِيَمِينِهِ، وَفَرَحِهِ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ: ﴿ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾ ﴿أَي: خُذُوا

أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي فِيهِ خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ مُحْضَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِمَّنْ بَدَلِ اللَّهُ

سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه حِينَ سُئِلَ عَنِ النُّجُومِ،

فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ اللَّهَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يُدْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْرَأُ بِذُنُوبِهِ كُتُبَهَا،

حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ اللَّهُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ، ... الحديث «(١) اهـ» (٢)

وقال ﷺ: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ۗ﴾^(١) وَلَمْ أُدْرِمَا حِسَابِيَةَ ۗ﴾^(٢) يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۗ﴾^(٣) الْآيَاتِ [الْحَاقَّةُ]: وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ كِتَابَهُ فِي الْعَرَصَاتِ بِشِمَالِهِ، فَحِينَئِذٍ يَنْدَمُ غَايَةَ النَّدَمِ، ﴿فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ۗ﴾^(٤) وَلَمْ أُدْرِمَا حِسَابِيَةَ ۗ﴾^(٥) يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۗ﴾^(٦) قَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي مَوْتَهُ لَا حَيَاةَ بَعْدَهَا. وَكَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، وَالرَّبِيعُ، وَالسُّدِّيُّ. وَقَالَ قَتَادَةُ: تَمَّتْ الْمَوْتُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا أَكْرَهُ إِلَيْهِ مِنْهُ. ﴿مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ۗ﴾^(٧) هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۗ﴾^(٨) أَي: لَمْ يَدْفَعْ عَنِّي مَالِي وَلَا جَاهِي عَذَابَ اللَّهِ وَبَأْسَهُ، بَلْ خَلَصَ الْأَمْرُ إِلَيَّ وَحَدِي، فَلَا مُعِينَ لِي وَلَا مُجِيرَ... إلخ (٣). وقوله تعالى في سورة الإنشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۗ﴾^(٩) أَي: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، تُثْنِي يَدُهُ إِلَى وَرَائِهِ وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِهَا كَذَلِكَ.

-نسأل الله السلامة والعافية-

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها:

ومن عدل الله ﷻ وتفضله ورحمته بعباده المؤمنين أن المؤمن يجد في كتاب حسنة الحسنات المضاعفات التي وعد الله ﷻ بها. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۗ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا من رحمة الله ﷻ.

مضاعفة الصدقات:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ﴾ [التغابن: ١٧] وكما جاء في الحديث عن النبي ﷺ في شأن الصدقة فإن المؤمن إذا «تصدق

(١) تقدم (ص: ٢٤)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٢١٣).

(٣) المرجع السابق (٨/ ٢١٥).

بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرِيَّ أَحَدَكُمْ فَلَوْهٗ-أي: فرسه الصغير- حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(١).

مضاعفة الحرف في تلاوة القرآن:

ومما يضاعف: تلاوتك لكتاب الله؛ فإن من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿اللَّهَ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(٢) وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَإِنَّكُمْ تُؤَجَّرُونَ بِتِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ بِـ ﴿اللَّهَ﴾، وَلَكِنْ بِأَلِفٍ، وَلَا مٍ، وَمِيمٍ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ»^(٣).

يُبدل الله السيئات حسنات للتائبين:

ويخبرنا ربنا ﷻ أنه يتفضل على من يشاء من عباده، فيبدل سيئاتهم حسنات، فيجدون ذلك في كتاب حسناتهم يوم القيامة حينما يلقوا ربهم ﷻ. كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ فَذَكَرَهُ وَقَوْلُهُ فِي الْإِسْنَادِ (سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ)، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ (٢١٦/١): لَا أَدْرِي حَفِظَهُ أَمْ لَا. هُوَ جَزَمَ الْحَافِظُ فِي التَّقْرِيبِ وَفِي الْإِصَابَةِ ط هَجَرَ (٥٢٢/١٠) أَنَّهُ وَلِدَ عَامِ أَرْبَعِينَ. يَعْنِي بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه بِسَنِينَ، فَإِنَّهُ تَوَفَّى عَامَ (٥٣٢). وَاخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي رَفْعِهِ، فَرَوَاهُ أَبُو الْأَحْوَسِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا، رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (٣٣٥١). وَاخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى أَبِي الْأَحْوَسِ أَيْضًا، وَالصَّوَابُ وَقْفُهُ؛ رَوَاهُ شُعْبَةُ - كَمَا فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سَنَنِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ (٣٥/١) -، وَالثَّوْرِيُّ - كَمَا فِي سَنَنِ الدَّارِمِيِّ (٣٣٥١)، وَرِسَالَةُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ يَقُولُ الْمِ حَرْفٌ لِابْنِ مَنْدَةَ (ص: ٤٤) مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْهُ - وَحَمَادُ بْنُ زَيْدٍ - كَمَا فِي مَعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ الْكَبِيرِ (٩ / ١٣٠ رَقْم ٨٦٤٨) - عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنِ أَبِي الْأَحْوَسِ بِهِ مَوْقُوفًا. وَلِلْحَدِيثِ أَسَانِيدٌ عِدَّةٌ رَفَعًا وَوَقْفًا. وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْمَوْقُوفَ لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ فَمِثْلُهُ مِمَّا لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧، ٦٦٠).

(٣) سنن الدارمي (٣٣٥١) وانظر التعليق السابق.

صَغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا»^(١).

وهذا هو العرض الذي هو الحساب اليسير الذي يكون للمؤمن يوم القيامة.

إقامة الشهود على العباد:

ومن عَدَلِ اللهُ ﷻ في الحساب يوم القيامة أنه يُقِيمُ الشهودَ على الكفرة والمنافقين وعلى العصاة والمجرمين، نَسَأَلُ اللهُ العفو والعافية.

شهادة السمع والبصر والجلود:

قال اللهُ تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت]. فالله سبحانه يقيم عليهم الحجة يوم القيامة.

ولما يحاسب اللهُ ﷻ الناس يوم القيامة، فينكر بعضهم عمله الذي عمل، ينطق اللهُ أعضاءه بالشهادة ويقطع عليه الحجة. كما في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكْ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُحَاظَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُحِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُحَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُخْفًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ»^(٢)

(١) أخرجه مسلم (١٩٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩) وابن حبان (٧٣٥٨) ووهام الحاكم فاستدركه (٨٧٧٨) وقال على شرط مسلم ولم

وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ... فَيَلْقَى -أي الله تعالى- العبد، فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظنت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنسك كما نسيتني، ... -فذكر الحديث ثم قال في الثالث-، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يَا رَبِّ أَمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَبِئْتِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فيقول: هَاهُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعَذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١)

وهكذا يقطع الله ﷻ الحجة والعدز عن الناس جميعا وعن كل مكابر فيقيم الله ﷻ عليهم الحجة، ويظهر ﷻ يوم القيامة عدله. «... وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ»^(٢)

شهادة الأنبياء:

أول من يشهد على الأمم الرسل والأنبياء، فيشهد كل رسول على أمته بالبلاغ. كما قال ربنا ﷻ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء]

ويقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِمَّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩].

(١) رواه مسلم (٢٩٦٨)

(٢) تقدم قريبا

أمة محمد تصدق الأنبياء:

وأخبرنا النبي ﷺ أن أمة محمد تشهد للأنبياء يوم القيامة كما قال ربنا سبحانه:
 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].
 وخرج البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:
 «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فيقول: هَلْ بَلَغْتَ؟ فيقول: نَعَمْ،
 فيقال لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فيقولون: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فيقول: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيقول:
 مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]
 فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»^(١).

الأرض تشهد:

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَذُكَّرُ بِمَا فَعَلَ النَّاسَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الزلزلة: ٥]. أي: تُحَدَّثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ
 عَلَى ظَهْرِهَا. قال مجاهد والثوري وغيرهما: «تُحَدَّثُ بِأَخْبَارِ النَّاسِ بِمَا عَمِلُوا عَلَيْهَا مِنْ
 خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ»^(٢). وقد روى الترمذي - بسند ضعيف - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ يَذُكَّرُ بِمَا فَعَلَ النَّاسَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا:
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا
 أَنْ نَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَقَالَ: فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا»^(٣)

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٧).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص ٧٤٢) وتفسير عبد الرزاق (٤٥٠/٣) رقم (٣٦٧٤) و«تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٥٦١/٢٤)، وتفسير ابن كثير - ت السلامة (٤٦٠/٨)

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣، ٢٤٢٩) من طريق سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وهو يحيى بن أبي سليمان، لين الحديث - كما في التقريب، وقال البخاري منكر الحديث. ورواه رشدين بن سعد، - وهو ضعيف - عن يحيى بن أبي سليمان، عن أبي حازم، عن أنس به رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٠/٩) ط الرشد). وهذا منكر. قال البيهقي: فهذا - أي رواية بن أبي أيوب - أصح من رواية رشدين بن سعد ورشدين بن سعد ضعيف.

وروى الطبراني عن ابن لهيعة، حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيَّ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اسْتَقِيمُوا وَنِعْمًا إِنِ اسْتَقَمْتُمْ، وَحَافِظُوا عَلَى الْوُضُوءِ، فَإِنَّ خَيْرَ عَمَلِكُمُ الصَّلَاةَ، وَتَحْفَظُوا مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا أُمَّكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ عَامِلٍ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا إِلَّا وَهِيَ مُحْبَرَةٌ»^(١)

وَرُوِيَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَرْثَدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «اذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجِيرَةٍ وَشَجِيرَةٍ لَعَلَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَشْهَدُ لَكُمْ»^(٢)

شهداء آخرون:

وقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْعَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي عَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَرَفَعْتَ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جَنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ^(٣) وفي رواية: «لَا يَسْمَعُهُ إِنْسٌ، وَلَا جِنٌّ، وَلَا حَجَرٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤)

وفي سنن الترمذي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنِ يَمِينِهِ، أَوْ عَنِ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدْرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا»^(٥)

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٥/٥) رقم (٤٥٩٦) وفي سننه ابن لهيعة وهو ضعيف، وقال المنذري: "وربيعة الجُرشي محتلف في صحبته، وروى عن عائشة وسعد وغيرهما، قتل يوم (مرج راهط)". والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٣٨٨/١) وأبو الشيخ في العظمة (١٧١٣/٥) وسنده ضعيف، ثم هو منقطع، يزيد لم يدرك أبا الدرداء.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩).

(٤) أخرجه الحميدي (٧٤٩) وفي سنن ابن ماجه (٧٢٣) نحوه

(٥) أخرجه الترمذي (٨٢٨) وابن ماجه (٢٩٢١) وصححه ابن خزيمة (٢٦٣٤) والحاكم في المستدرک (١٦٥٦)

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الترغيب

والترهيب (١١٣٤) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٣٥٣) وقول الحاكم على

شهادة الليالي والأيام:

وروي بسند لا يصح عن معقل بن يسار، رضي الله عنه مرفوعاً: «لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا يُنَادِي فِيهِ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا خَلَقْتُ جَدِيداً، وَأَنَا فِيمَا تَعْمَلُ فِيهِ عَلَيْكَ شَهِيدٌ، فَاعْمَلْ فِي خَيْرٍ أَشْهَدُ لَكَ بِهِ عَدَاً، فَإِنِّي لَوْ قَدْ مَضَيْتُ لَمْ تَرِنِي أَبَدًا، قَالَ: وَيَقُولُ اللَّيْلُ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١) والصحيح أنه من قول بعض السلف^(٢).

فقد روى ابن أبي الدنيا عن الحسن البصري أنه قال: " لَيْسَ يَوْمٌ يَأْتِي مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا عَلَى مَنْ يَعْمَلُ فِي شَهِيدٌ، وَإِنِّي لَوْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(٣).

وعن عبد الرحمن بن زبيد الإيامي، قال: لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي: أَنَا يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ. ابْنُ آدَمَ إِنِّي لَمْ أَقْرَبْكَ أَبَدًا، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَاعْمَلْ فِي خَيْرٍ، فَإِذَا هُوَ أَمْسَى قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُرِدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا^(٤).

وقال ابن أبي خالد: سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى يَحْيَى بْنَ رَافِعٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَمَانَ يَقُولُ: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق] قَالَ: «سَائِقٌ يُسَوِّفُهَا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ»^(٥)

شرطهما فيه نظر: فإن الحديث من طريق عبدة بن حميد - ولم يرو له مسلم-، قال: حدثني عمارة بن غزية - وهو من رجال مسلم وأما البخاري فقال الحافظ (٢١٥/١) استشهد به في كتاب الزكاة-، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد.

(١) أخرجه ابن سمعون الواقظ في أماليه (٢٢٦) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣٠٣/٢)

والقزويني في التدوين في أخبار قزوين (٩٣/٢) وهو موضوع، كما في السلسلة الضعيفة (٥٦٤٩، ٦٩٧٦)

(٢) انظر: «تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة» (١٠٦/١) للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف.

(٣) الزهد (٤٢٤)، وكلام الليالي والأيام كلاهما لابن أبي الدنيا (٢٢)

(٤) الزهد (٤٠٨)، وكلام الليالي والأيام كلاهما لابن أبي الدنيا (٦)

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١٠٦/٢) -ومن طريقه الدولابي في الكنى والأسماء (١٤١٠)-، وعبد

الرزاق في تفسيره (٢٩٥٥) عن معتمر بن سليمان التيمي، وابن أبي شيبة في المصنف (٢١١/٧) رقم (٣٥٤٢١)

عن وكيع ويزيد بن هارون، وأبو داود في الزهد (١٠١) عن خالد الواسطي والطبري في تفسيره ط هجر

أربع يُسأل عنها المرء يوم القيامة:

كُلِّ عَمَلٍ عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْتَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١). فالذي يتأمل هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم يجد في نفسه حاجة لأن يقف وقفة عظيمة؛ لينظر إلى أعماله التي عملها والتي سيُسأل عنها يوم القيامة.

سؤال العبد عن النعيم والماء البارد:

ويُسأل العباد أيضًا عن النعيم الذي يتنعمون به. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في جامع الترمذي وغيره:

(٢١/٤٢٩) عن مهران وحكام الرازيين، كلهم عن ابن أبي خالد به. ويحيى بن رافع مجهول، ذكره ابن حبان في ثقاته ولم يوثقه معتبر، وليس له راو إلا ابن أبي خالد. ورواه البيهقي في البعث والنشور (٢٨٦) من طريق شيبان، حدثني إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر قال: قال عثمان... فذكره. وحكيم وثقه ابن سعد وابن معين والنسائي والعجلي.

(١) سنن الترمذي (٢٤١٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قلت: وفي سننه سعيد بن عبد الله بن جريج راويه عن أبي برزة، قال أبو حاتم مجهول، وقال الذهبي في تاريخه: مجهول العدالة لم يضعف. واختار الحافظ أنه: صدوق. كما في التقريب. وهو الأقرب فقد روى عنه جماعة وصح له الترمذي وذكره ابن حبان في الثقات. فالحديث حسن من هذا الوجه.. وله شاهد صالح موقوف، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/١١١٧٦٠) مرفوعا وسنده ضعيف، وصحح الدارقطني وقفه كما في العلل (٤٧/٦) والموقوف رواه الدارمي (٥٥٦) وغيره من طريق ليث ابن أبي سليم عن عدي بن عدي، عن أبي عبد الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْتَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا وَضَعَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ» وروي من حديث عبد الله بن مسعود، رواه الترمذي (٢٤١٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ... وَقَالَ: وَحَسِينُ بْنُ قَيْسٍ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ أَهْ قُلْتُ: حَسِينٌ مَتْرُوكٌ كَمَا فِي التَّقْرِيبِ. وفي الباب أيضا عن عبد الله بن عباس - رواه الطبراني في الكبير (١١/١١١٧٧/١٠٢)، وأبي الدرداء، رواه الطبراني في الأوسط (٤٧١٠)، وعن أبي سعيد رواه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٤٧) وعن جابر - رواه الدارقطني ومن طريقه الخطيب في «المتفق والمفترق» (١٣٤٠)، وعن أبي ذر - رواه ابن عساکر (٢٥٩/٤٢) - وأسانيدها لا تصلح للاستشهاد. وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٤٦).

«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ التَّعِيمِ - أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ»^(١).

فهذا الماء الذي تشربه رقرقاً جميلاً بارداً يأتيك صافياً نقياً تُسأل عنه يوم القيامة، وتُسأل عن هذه النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليك.

جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال له: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله بن عمرو: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك^(٢).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ الثَّائِسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٣).
ويقول صلى الله عليه وسلم: «لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَالصَّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطَيْبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعَمِ»^(٤). فهذا من النعيم الذي يُسأل عنه يوم القيامة.

يسأل عن العهود والمواثيق:

ويسأل الله ﷻ عباده عن العهود والمواثيق التي كانت عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّابَّةَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ ﴿١٥﴾ ﴿الأحزاب﴾.

يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده:

ويحاسبون على سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿الإسراء﴾.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال هذا حديث غريب. وصححه ابن حبان (٧٣٦٤)

والحاكم (٧٢٠٣) ووافقه الألباني في الصحيحة (٥٣٩)

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣١٥٨)، وابن ماجه (٢١٤١) والبخاري في الأدب المفرد (٣٠١)، من حديث عم عبد الله بن

خبيب الجهني، واسمه عبيد بن معاذ رضي الله عنه - كما في التقريب وأصله تبعاً لابن منده في المعرفة -. والحديث

صححه الحاكم (٢١٣١) ووافقه الألباني في الصحيحة (١٧٤) وقال الحاكم: الصَّحَابِيُّ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ هُوَ

يَسَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُهَنِيُّ. هفالله أعلم ولم أجد في الإصابة لابن حجر "يسارا" هذا.

يقول قتادة في تفسير هذه الآية: "لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ كُلَّهُ" (١).

ويقول الحافظ ابن كثير: "ومضمون ما ذكره: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَى عَنِ الْقَوْلِ بِمَا لَا عِلْمَ، بَلْ بِالظَّنِّ الَّذِي هُوَ التَّوَهُّمُ وَالخِيَالُ" (٢).

أول ما يحاسب عليه المرء من عمله صلاته :

أخبرنا النبي ﷺ - كما في سنن النسائي - عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ وَجَدَ لَهُ تَطَوُّعًا. قَالَ: أَكْمَلُوا بِهِ الْفَرِيضَةَ» (٣) ورواه الإمام أحمد عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كَتَبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتَكْمِلُوا بِهَا فَرِيضَتَهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤَخَّذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» (٤).

وروى داؤدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، فَإِنْ أَتَمَّهَا وَإِلَّا قِيلَ: انظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ،

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٥٩٤/١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧٥/٥).

(٣) أخرجه النسائي (٤٦٧) عن النضر بن شميل، والبخاري (٩٥٦٦) عن عبد الملك الجدي كلاهما قالوا: حدثنا حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن يحيى بن به. ورجاله ثقات. واختلف فيه على حماد خلافا لا يضر، - كما سيأتي في الذي بعده-. وقد رواه أبو داود (٨٦٤) من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أنس بن حكيم الضبي، عن أبي هريرة، قال يونس: وَأَحْسَبُهُ ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ»، ... الحديث، وأنس الضبي مجهول. واختلف في سنده كثيرا ورجح الدارقطني في العلل (٢٤٨/٨) هذا الطريق عن الحسن.

(٤) أخرجه أحمد (١٦٦١٤، ١٦٩٤٩) قال: حدثنا الحسن بن موسى ورواه ابن أبي شيبة (٣٦٠٠٨) قال حدثنا عفان، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٨٦) عن أبي الوليد، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥٥٢) عن عبيد الله بن محمد التيمي كلهم (عفان، والحسن بن موسى، وأبو الوليد، والتيمي) عن حماد عن الأزرق بن قيس، عن يحيى بن به. وجهالة الصحابي لا تضر، وقد سمي في رواية النسائي. تنبيه: وعن عفان رواه أحمد أيضا (٢٠٦٩٢) لكنه وقفه. ورفعته هو صحيح. وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٥٧).

فَأَكْمَلَتِ الْفَرِيضَةَ مِنْ تَطَوُّعِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكْمُلِ الْفَرِيضَةَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَوُّعٌ أَخَذَ بِطَرَفِيهِ فَقَذَفَ بِهِ فِي النَّارِ» وهذا موقوف - على الصحيح - وله حكم الرفع^(١). وهكذا الزكاة والحج والصيام يسأل عنها العبد، فيسأل عن الفرائض، ويسأل عن أعماله الصالحة التي عملها وعن توحيدِه وعن إخلاصه.

الدعاء بـ (اللهم حاسبني حسابا يسيرا)

- نسأل الله ﷻ أن يجعل حسابنا حساباً يسيراً - وأن يجعلنا ممن قال فيهم ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۗ ﴾ [الإنشقاق]. وقد روي في المسند وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يدعو فيقول: «اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا»^(٢). وتقول عائشة رضي الله عنها: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾^(٣)، قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ»^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٧٧٧١/١٧١ و ٦/ ٣٠٤٢٤/١٧٠) قال حدثنا هشيم، وفي (٦/ ٣٠٤٢٢/١٧٠) و(٧/ ٣٥٩٠٤/٢٦٢) قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ - ومن طريق يزيد رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٤١) -؛ ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٩١، ١٩٢) عن خالد الواسطي، وعن بشر بن المفضل. كلهم عن داود به موقوفا. وتابعهم الثوري، وحفص بن غياث. قاله البيهقي. وخالفهم حماد بن سلمة فرواه عن داود به مرفوعا. رواه أبو داود (٨٦٦) وابن ماجه (١٤٢٦) والدارمي (١٣٩٥) وغيرهم. قال الدارمي: " لَا أَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ عَنِّي حَمَادٌ. اهُوَ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: رَفَعَهُ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ وَوَقَّفَهُ عَنِّيهِ أ. هـ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٢١٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وهو في صحيح ابن خزيمة (٨٤٩)، وصحيح ابن حبان (٧٣٧٢) ومستدرک الحاكم (١٩٠، ٩٣٦، ٧٦٣٦) وصححه على شرط مسلم، وفيه نظر، فإنه من طريق محمد بن إسحاق بن يسار، وهو من روى له مسلم متابعه. والحديث جود إسناده العلامة الألباني في أصل صفة الصلاة (٣/ ١٠٨). وأعله محققوا المسند بتفرد محمد بن إسحاق بهذه الجملة، فالحديث توبع فيه محمد بن إسحاق دون هذه الزيادة فقد رواه الإمام أحمد (٤٢/ ٣٣٣) من طريق عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير - وهو شيخ ابن إسحاق - بسنده عن عائشة، دون ذكر زيادة ابن إسحاق. وعبد الواحد أوثق من ابن إسحاق.

(٣) تقدم في المجلس الحادي والعشرين.

التعوذ من ضيق المقام

كان النبي ﷺ في استفتاح الصلاة في قيام الليل يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضَيْقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)،

وفي رواية: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّيْقِ يَوْمَ الْحِسَابِ»^(٢).

أَيُّ مَنْ شَدَائِدَ أَحْوَالِهِ وَسَكَرَاتِ أَهْوَالِهِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿المطففين: ٦﴾. قال ابن كثير: أَيُّ: يَقُومُونَ حُفَاءَ عُرَاءٍ غُرْلًا فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرَجَ صَيِّقٍ ضَنْكَ عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَعْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ- مَا تَعْجَزُ الْقُورَى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ ا.هـ.^(٣)

المرأون أول من تسعربه النار

وتأملوا ما جاء في شأن أولئك الذين يحاسبهم الله ﷻ على أعمالهم التي عملوها لغير الله، قرؤوا القرآن لغير الله، تصدقوا لغير الله، جاهدوا لغير الله، فيناقشون الحساب يوم القيامة، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه: «يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَا جُحُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ»^(٤)، فهذا ممن يناقش الحساب يوم القيامة، ولا يغفر الله ﷻ له، ويأمر الله ﷻ به، فيُسْحَبُ إلى نار جهنم، -نسأل الله السلامة والعافية-.

(١) أخرجه أبو داود (٧٦٦) والنسائي (١٦١٧) واللفظ له، وابن ماجه (١٣٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه

الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٤٤) وفي الصحيحة تحت الحديث (٣٣٣٨)

(٢) أخرجه أحمد (٢٥١٠٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٤٠)، والطبراني في الأوسط (٢١٠/٨) برقم (٨٤٢٧) من

حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه الألباني في أصل صفة الصلاة (٢٦٧/١)

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣٤٧/٨)

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بعض ما قيل من الشعر في الحساب :

وَأَنْشَدُوا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ مَوْقِفِ الْحِسَابِ مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ:
 مَثَلٌ وَقَوْفَكَ يَوْمَ الْعَرَضِ عُرْيَانَا مَسْتُوحِشًا قَلِقَ الْأَحْشَاءِ حَيْرَانَا
 وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنْقٍ عَلَى الْعُصَاةِ وَرَبُّ الْعَرْشِ غَضْبَانَا
 اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهَلٍ فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا
 لِمَا قَرَأْتَ وَلَمْ تُنَكِرْ قِرَاءَتَهُ إِقْرَارَ مَنْ عَرَفَ الْأَشْيَاءَ عِرْفَانَا
 نَادَى الْجَلِيلُ: خَذُوهُ يَا مَلَائِكَتِي وَامْضُوا بَعْدِي عَصَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا
 الْمُشْرِكُونَ غَدًا فِي النَّارِ يَلْتَهُبُوا وَالْمُؤْمِنُونَ بَدَارِ الْخُلْدِ سُكَّانَا^(١)

فيا إخواني في الله مَنْ عَلمَ وَأَمَنَ حَقًّا بأنه سيقف غداً بين يدي الله ﷻ وَأَنَّ الحساب حَقٌّ؛ فَإِنِ ذَلِكَ يَزْجِرُهُ عَنِ الْوَقُوعِ فِي مَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ، وَيَزْجِرُهُ عَنِ ظَلْمِ النَّاسِ، وَيَزْجِرُهُ عَنِ ظَلْمِ نَفْسِهِ، وَيَجْعَلُهُ يَجْتَهِدُ فِي الْإِصْلَاحِ، وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ يَكُونَ عَبْدًا صَادِقًا فِي دُنْيَاهُ، يَعْبُدُ اللهُ ﷻ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيُرِيدُ وَجْهَ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَعَلَيْكُمْ بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ ﷻ وَالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ فِي إِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي يُؤْنِسُكَ فِي قَبْرِكَ، وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَكُونُ لَكَ شَفِيعًا عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

أَسْأَلُ اللهُ ﷻ أَنْ يَجْعَلَ حِسَابَنَا حِسَابًا يَسِيرًا،

وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) الأبيات أوردها القرطبي في التذكرة (ص: ٦٢٠) ولم ينسبها لقائل



**الإيمان
بإقتصاص المظالم
يوم القيامة**

المجلس الحادي والثلاثون^(١)

اقتصاص المظالم:

ومما يدخل في باب الإيمان باليوم الآخر ما أخبرنا الله ﷻ عنه مما يكون يوم القيامة من اقتصاص المظالم بين الخلق يوم القيامة، فيقتص بعضهم من بعض.

يوم القيامة يوم الفصل:

فالله ﷻ الحكم العدل سمى يوم القيامة بيوم الفصل، قال ﷺ: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْقَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ [النبا: ١٧]

هذا اليوم يُفصل فيه بين الناس، ويقتص فيه للمظلوم من الظالم، وتحيط بالظالم المظالم، وتصعد القلوب إلى الغلاصم، وليس لمن لا يرحمه الإله عاصم. وتعاد الحقوق إلى أهلها، فيقتص العدل للمظلوم من ظالمه حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة حتى الحيوان يُقتص لبعضهم من بعض كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ»^(٢) إنه موقفٌ عظيمٌ، وهذا -والله- ليستدعي من المؤمن أن يقف وقفة عظيمة مع نفسه ويحاسب النفس؛ ليتخلص من كل المظالم.

حديث أتدرون من المفلس؟

وحيثما نتحدث عن هذا الأمر العظيم يتراءى لنا الحديث المشهور المعروف عند العلماء بحديث المفلس وهو ما أخرجه الإمام مسلم والترمذي وغيرهما من حديث أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوماً: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

(١) كان في يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) تقدم في المجلس السادس والعشرين.

«الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

تأملوا سؤال النبي ﷺ للصحابة، - فلم يسألهم إلا ليعلمهم ويخبرهم، وفيه تعليم للأمة كلها- «تَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟» فأجابوا بهذا الجواب الذي هو معروف، وفيه بيان للمفلس في حقيقة حال الناس في الدنيا، وهو من لا درهم عنده ولا متاع. ثم بين النبي ﷺ: «أَنَّ الْمُفْلِسَ» على الحقيقة من يأتي وقد صلى وقبّل الله صلاته وزكّى وقبّل الله زكاته وصام وقبّل الله صيامه وعنده حج وذكر وطاعة، لكن: «وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا» - فمع أنه مُصَلِّ وصائم وقائم ومن أهل التوحيد، لكنه جاء بهذه المظالم التي مات ولم يتحلّل منها ولم يتب إلى الله ﷻ منها فماذا يُصنع به؟ قال ﷺ: «فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ».

نسأل الله السلامة والعافية. وهذه-والله- من أعظم الحسرات.

من الذي يأخذ حسناته؟ ربما من كان يبغضه في الدنيا، أو من كان لا يأبه به واستضعفه، فلم يكن له وزنٌ عنده في الدنيا، فيأتي يوم القيامة، فيأخذ حقه من صاحبه، ولو كان أفقر الناس في الدنيا، ولو كان ضيعاً في نسبه أو حسبه أو غير ذلك في الدنيا، لكنه يأتي يوم القيامة، فيقول: يا رب خذ لي حقي من فلان، ولو كان فلانٌ هذا ملكاً أو رئيساً أو جيهماً أو مديراً أو ذا مال أو جاهٍ في دنياه؛ فإنّ كل ذلك يسقط يوم القيامة، ويقف الناس أجمعون بين يدي الله ﷻ سواسية لا فرق إلا بالتقوى فينتصف للمظلوم من ظالمه.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨) واللفظ له.

التحلُّلُ من أصحاب المظالم في الدنيا :

وقد نصح نبينا ﷺ لهذه الأمة، وبين لنا المخرج من هذه المظالم. كما في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

لا يتقاضى الناس بالدرهم والدنانير يوم القيامة، ولو كان تقاضيهم بهذه الأموال لكان الأمر هيئاً، ولكنها الحسنات والسيئات، فهذه الحسنات التي عملتها في الدنيا وتعبت عليها وقبلها الله ﷻ منك وسررت بها يأخذها أناس يوم القيامة مقابل مظلمتهم، فكيف ستكون الحسرة عند الإنسان يوم القيامة؟!

وجاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ» يعني يوم القيامة. وفي رواية: «...وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَلَيْسَ بِالْدِينَارِ وَلَا بِالْدِرْهَمِ، وَلَكِنَّهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ...»^(٢)

إنها المظالم التي تُقتَضُ من أصحابها في ذلك اليوم!! نسأل الله العفو والعافية.

وروي عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونِي وَيَجُوثُونِي وَيَعْصُونِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوَكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ أَقْتَصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ» فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ ﷻ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩)

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤١٤) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٣) والرواية الثانية رواها أحمد (٥٣٨٥)

والحاكم (٢٢٢٢) ووقع عنده (بن عمرو) وهو خطأ. ورجح الأئمة الوقف في الحديث. انظر: علل

الدارقطني (٢٩٩٢) المسند المصنف المجلد (٤٢٩/١٥)

بِنَا حَسِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴿[الأنبياء]﴾ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُقَارَفَتِهِمْ، أَشْهَدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ (١).

وتقدم حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: -فذكر الحديث وفيه- «... وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ صلى الله عليه وسلم عُرَاهُ عُرَاهُ غُرَاهُ غُرَاهُ بِهُمَا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» (٢).

الظلم ظلمات يوم القيامة:

وجاء أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

والظلم ليس مقتصرًا على أخذ مال الغير بغير حق فحسب بل يشمل هذا وغيره من حقوق الأدميين. ومنه مبارزة الله تعالى بالمعاصي فإنه من ظلم المرء لنفسه. وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم خطره فقال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه (٤).

المقتول ظلماً يطلب حقه يوم القيامة:

بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم عِظَمَ شأن الدماء والقتل بغير حق. كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي. وَيَجِيءُ الرَّجُلُ

(١) أخرجه الترمذي (٣١٦٥) وأحمد (٢٦٤٠١) وغيرهما. والحديث تفرد به قراد أبو نوح وهو عبد الرحمن بن

غزوان، وعده العلماء من أوهامه. انظر: المسند المصنف المجلد (٣٨/٣٤٠) وتحقيق المسند (٤٣/٤٠٧).

(٢) تقدم (ص: ١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

أَخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِيَكُونَ الْعِزَّةَ لِفُلَانٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ^(١).

وهذا المقتول يأتي يوم القيامة ورأسه بين يديه ينادي ربه ﷻ: «يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟». كما في جامع الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيئُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْحَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلَنِي هَذَا، [وفي رواية: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟] حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ». قَالَ: فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، التَّوْبَةَ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣]^(٢).

وهذا من باب تعظيم حرمة قتل المسلمين وإراقة الدماء بغير حق. وإلا فالصحيح أن من تاب، تاب الله عليه.

وفي سنن النسائي من حديث جندب رضي الله عنه قال: حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: [يَا رَبِّ] سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ عَلَى مَلِكٍ فُلَانٍ». قَالَ جُنْدَبٌ: فَاتَّقِهَا^(٣). وهذا يدل على عظم أمر الدم.

أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء:

وجاء عن النبي ﷺ في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُفْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وفي الحديث عِظْمُ أَمْرِ الدَّمِ؛ فَإِنَّ الْبِدَاءَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْأَهْمِ، وَالذَّنْبُ يَعِظُمُ بِحَسَبِ عِظْمِ الْمَفْسُودَةِ وَتَفْوِيتِ الْمَصْلُحَةِ، وَإِعْدَامِ الْبِنْيَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ غَايَةً فِي ذَلِكَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّغْلِيظِ فِي أَمْرِ الْقَتْلِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَثَارٌ شَهِيرَةٌ»^(٥).

(١) أخرجه النسائي (٣٩٩٧) وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩١٠)

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٢٩) وأحمد (٣٤٤٥). وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩١١)

(٣) أخرجه النسائي (٣٩٩٨) وأحمد (١٦٦٠٠). وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٩٠٩)

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٥) فتح الباري (٣٩٧/١١).

تعظيم أمر الدماء:

قلت: ولهذا لم يأت في النصوص الشرعية في الكبائر مثلما جاء في أمر القتل بغير حق، وقد قال النبي ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا» رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ^(١).

قال الحافظ في الفتح: قَوْلُهُ «فِي فُسْحَةٍ» ... أَي سَعَةٍ قَوْلُهُ «مِنْ دِينِهِ» كَذَا لِلْأَكْثَرِ ... وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ «مِنْ ذَنْبِهِ» فَمَفْهُومُ الْأَوَّلِ أَنْ يَضِيقَ عَلَيْهِ دِينُهُ فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِالْوَعِيدِ عَلَى قَتْلِ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِّدًا بِمَا يُتَوَعَّدُ بِهِ الْكَافِرُ وَمَفْهُومُ الثَّانِي أَنَّهُ يَصِيرُ فِي ضَيْقٍ بِسَبَبِ ذَنْبِهِ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِبْعَادِ الْعُفْوِ عَنْهُ لِاسْتِمْرَارِهِ فِي الضَّيْقِ الْمَذْكُورِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْفُسْحَةُ فِي الدِّينِ سَعَةُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَتْلُ صَاقَتْ لِأَنَّهَا لَا تَفِي بِوِزْرِهِ وَالْفُسْحَةُ فِي الذَّنْبِ قَبُولُهُ الْعُفْرَانَ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَتْلُ ارْتَفَعَ الْقَبُولُ وَحَاصِلُهُ أَنَّهُ فَسَّرَهُ عَلَى رَأْيِ ابْنِ عُمَرَ فِي عَدَمِ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ أ.هـ. ^(٢)

ومما يدل على عظمة هذا الذنب: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَظَبَ النَّاسِ - يَوْمَ عَرَفَةَ -: فَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، ...» ثم قال: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَوَصَّحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ^(٣)

ثم خطب الناس يوم النحر فأعاد عليهم مقالته هذه في حرمة الدماء: كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِرِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَّنَا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «الْيَسَّ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَّنَا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «الْيَسَّ بِذِي الْحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ،

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٢)

(٢) فتح الباري (١٨٨/١٢)

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه وفي الباب عن العداء بن خالد رواه أحمد (٢٠٣٣٦) وانظر الحديث الآتي.

كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»^(١).

ثم خطب الناس في أوسط أيام التشريق فأعاد عليهم مقالته هذه في حرمة الدماء: فَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «... «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ...» - قَالَ - وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبْلَغْتُ»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ»^(٢).

قال ابن حبان: فهذا بيانه ﷺ للناس مؤكداً مبيناً قبل أن يقبضه الله ﷻ إلى جنته بثلاثة أشهر ويومين.^(٣)

الجمع بينه وبين حديث «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلواته»:

وقوله في الحديث السابق: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»، لا يتعارض مع قوله ﷺ في الحديث الآخر: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ»^(٤).

(١) رواه البخاري في مواضع أولها (٦٧) ومسلم (١٦٧٩). وهو حديث متواتر رواه جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس رضي الله عنه رواه البخاري (١٧٣٩)، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه رواه البخاري (١٧٤٢) ومسلم مختصراً (٦٦) وعمرو بن الأوص رضي الله عنه رواه الترمذي (٢١٥٩) وابن ماجه (٣٠٥٥) وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه ابن ماجه (٣٩٣١) والحارث بن عمرو السهمي رضي الله عنه رواه أحمد (١٥٩٧٢) وأبي الغادية الجهني رضي الله عنه رواه أحمد (١٦٦٩٩) وثبیط بن شريط رضي الله عنه رواه أحمد (١٨٧٢٢) وحذيم بن عمرو السعدي رضي الله عنه رواه أحمد (١٨٩٦٦). وعم أبي حرة الرقاشي رضي الله عنه رواه أحمد (٢٠٦٩٥) ورجل من أصحاب النبي ﷺ - غير مسمى -، رواه أحمد (٢٣٤٩٧) وعمار بن ياسر رضي الله عنه رواه أبو يعلى (١٦٢٢) ووابصة بن معبد رضي الله عنه رواه أبو يعلى (١٥٨٩) وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (١١٣٣) والسري بنت نبهان رضي الله عنه رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (١٢٧٥) وأنس بن مالك رضي الله عنه رواه الضياء المقدسي في المختارة (٢٦٨٤).

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)

(٣) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٣١٢/١٣)

(٤) تقدم (ص: ٢٣٥)

وقد جاء في رواية -ضعيفة- عن ابن مسعود رضي الله عنه الجمع بينهما ولفظه: «أَوَّلُ مَا يَحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّمَاءِ»^(١)

قال العلماء: "المعاصي التي يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حقُّ الله، وحقُّ العباد، وأوَّلُ ما يُقْضَى فيه يومَ القيامة من حقوقِ الله الصلاةُ، ومن حقوقِ العبادِ الدماءُ"^(٢)

وقال أبو العباس القرطبي رحمته الله: وإنما أراد - والله أعلم -: أن كل واحد من تلك الأوليات أوَّلُ بالنسبة إلى التي في بابه، فأول ما يحاسبُ به من أركان الإسلام الصلاة، وأول ما يحاسب به من المظالم الدماء، وأول ما يحاسب به مما ينتشر فيه صيئتُ فاعله تلك الأمور. وهذا أوَّلُ ما يقاربه ويناسبه، وهكذا تعتبر ما يردُّ عليك من هذا الباب، والله تعالى أعلم اهـ.^(٣)

الاقتصاص بين البهائم:

ومن صور القصاص ما ذكرناه أوَّلًا من أنه يقتص للبهائم بعضها من بعض، فإذا وقع ذلك وقيّد للشاة الجماء من الشاة القرناء قال الله تعالى: ﴿لَهَا: «كُونِي تَرَابًا»﴾ فيقول الكافر حينئذ: ﴿يَلَيَّتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٤) [النبأ]. كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتًا لَكُمْ مَا قَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٥) [الأنعام] قَالَ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمَ، وَالذَّوَابَّ، وَالطَّيْرَ، وَكُلَّ شَيْءٍ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ لِجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ» قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تَرَابًا» قَالَ: «فَلِذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ ﴿يَلَيَّتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾»^(٤)

(١) رواه النسائي (٣٩٩١) عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ بِهِ. وَشَرِيكٌ سَيِّءُ الْحِفْظِ. وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ مِنْ أَخْطَائِهِ.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٢ / ٥) للقرطبي. و"أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور" (ص: ٥٠) لابن رجب. وفتح الباري لابن حجر (٣٩٦ / ١١)

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧٤٧ / ٣)

(٤) رواه عبد الرزاق في التفسير (٣٤٧٣، ٧٨٦) - ومن طريقه الطبري في التفسير (٢٣٥ / ٩ ط هجر) والحاكم في المستدرک (٣٢٣١) -، وابن راهويه في مسنده (٣٢٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٦٢) وسنده حسن.

وَعَنْ أَبِي الْمُغِيرَةَ الْقَوَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ وَحَشَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالذَّوَابَّ وَالْوُحُوشَ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ جَعَلَ اللَّهُ الْقِصَاصَ بَيْنَ الذَّوَابِّ حَتَّى تَقْصَّ الشَّاةُ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرْنَائِ بِنَظْحَتِهَا فَإِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقِصَاصِ بَيْنَ الذَّوَابِّ قَالَ لَهَا: كُونِي تَرَابًا، فَتَكُونُ تَرَابًا فَيَرَاهَا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ سورة النبا» (١)

وقال أبو ذر رضي الله عنه: رأى النبي صلى الله عليه وسلم شاتين تنتطحان فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيْمَ تَنْتَطِحَانِ؟» قال: لا. قال: «لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا» (٢).
وقال صلى الله عليه وسلم: «أَشْوَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَائِ» (٣)

قال النووي رحمه الله: هَذَا تَصْرِيحٌ بِحَشْرِ الْبَهَائِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِعَادَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ أَهْلَ التَّكْلِيفِ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ وَكَمَا يُعَادُ الْأَطْفَالَ وَالْمَجَانِينَ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةٌ وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَالَةُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ سورة التكوير [وَأِذَا وَرَدَ لَفْظُ الشَّرْعِ وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ] (٤)

وقال الملا علي قاري رحمه الله: قال ابن المَلِكِ (٥): ... فَإِنْ قِيلَ: الشَّاةُ غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ، فَكَيْفَ يُقْتَضُ مِنْهَا؟ قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ إِعْلَامٌ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال (١٨٢) وابن جرير في التفسير (٥٤/٢٤) والحاكم في المستدرک (٨٧١٦) وأبو بكر الشافعي في الفوائد الشهير بالغيلانيات (١١٢٥) بسند صحيح عَنْ أَبِي الْمُغِيرَةَ الْقَوَّاسِ بِهِ. والقواس ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٥٧٦/٤) وقال: ذكره سليمان التيمي ولينه. وقال ابن المديني: لا أعلم أحدا روى عنه غير عوف. اهـ زاد الحافظ في لسان الميزان (١٦٨/٩): وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ فالراجح فيه أنه ثقة كما قال ابن معين.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٤٣٨) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٦١٠).

(٣) تقدم في المجلس السادس والعشرين.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/١٣٦).

(٥) هو محمد بن عبد اللطيف، ابن فرشتا، المعروف بابن مَلِكِ الكرمانی (ت: ٨٥٤ هـ) فقيه حنفي، له كتب، منها: (شرح مصابيح السنة للبعوي) نقلا عن: «الأعلام» للزركلي [بزيادة بين معكوفتين]

الْعِبَادِ بِأَنَّ الْحُقُوقَ لَا تَضِيْعُ، بَلْ يُفْتَضُّ حَقُّ الْمَظْلُومِ مِنَ الْمَظَالِمِ اهـ. (١) وَهُوَ وَجْهٌ حَسَنٌ وَتَوْجِيهٌ مُسْتَحْسَنٌ إِلَّا أَنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ الْحِكْمَةِ بِالْعَرَضِ وَقَعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْقَضِيَّةَ دَالَّةٌ بِطَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ عَلَى كَمَالِ الْعَدَالَةِ بَيْنَ كَافَّةِ الْمُكَلِّفِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الْحَيَوَانَاتِ الْخَارِجَةِ عَنِ التَّكْلِيفِ، فَكَيْفَ بِذَوِي الْعُقُولِ مِنَ الْوَضِيْعِ وَالشَّرِيفِ وَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ؟. اهـ. (٢)

يُجَسَسُ الْمُؤْمِنُونَ بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. فَيَتَقَاصُونَ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ :

ومما يتصل بهذا الباب ما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمته الله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه قال: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُوا وَهَدُّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكِنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» (٣). فهذا يدل أيضاً على أنه حتى أهل الإيمان الذين يُوقَفُهُمُ اللهُ سبحانه ويعبرون الصراط يقفون قبل أن يدخلوا الجنة، فيُحَبَسُونَ في قنطرة بين الجنة والنار، فيُهدَّبون من كل المظالم التي كانت بينهم.

لَا قُدْسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا :

وروى ابن أبي شيبة والبخاري حديثاً عجيباً: عن بريدة رضي الله عنه قَالَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه جَعْفَرًا رضي الله عنه، حِينَ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ: «مَا أَعْجَبُ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ؟» قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا مَكْتَلًا مِنْ طَعَامٍ فَمَرَّ فَارِسٌ فَرَكَضَهُ فَأَبْدَرَهُ فَجَلَسَتْ تَجْمَعُ طَعَامَهَا، ثُمَّ التَفَتَتْ قَالَتْ وَيْلٌ لَهُ إِذَا وَضَعَ الْمَلِكُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُرْسِيَّهُ فَأَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه تَصَدِيقًا لِقَوْلِهَا «لَا قُدْسَتْ أُمَّةٌ أَوْ كَيْفَ تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا، وَهُوَ غَيْرُ مُتَعَتِّعٍ؟» (٤).

(١) ينظر: «شرح المصابيح لابن الملك» (٣٦١/٥) وهو منقول عن «المفاتيح في شرح المصابيح» (٢٥٩/٥) لمظهر

الدين الحسين الشيرازي الحنفي (ت: ٧٢٧هـ)

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٢٠٣/٨)

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٠)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة - كما في المطالب العالية (٣٢٩٨) - والبخاري (٤٤٦٤) وابن أبي عاصم في السنة (٥٨٢)

والطبراني في المعجم الأوسط (٥٢٣٤) - وعنه أبو سعيد النقاش في فنون العجائب (٢٢) - والبيهقي في السنن

وروى ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُهَاجِرَةً الْبَحْرَ، قَالَ: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟» قَالَ فِتْنِيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِيْنِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِقَتَى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَأَنْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا عَدْرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيِّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرِكَ عِنْدَهُ عَدًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «صَدَقْتَ، صَدَقْتَ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤَخِّدُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟»^(١)

هذان خصمان اختصموا في ربهم:

ومما يتصل بهذا الباب ما جاء في الصحيح من حديث قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجُثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ قَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ: وَفِيهِمْ أَنْزِلَتْ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] وَهُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه، -تبارز هؤلاء الثلاثة المؤمنون مع ثلاثة من المشركين- وهم: شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ.^(٢)

وقال قيس: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] «إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ...»^(٣)

الكبرى (٢٠٢٣) وفي الأسماء والصفات (٨٦٠) وفي شعب الإيمان (٧١٤٢) وفي إسناده عطاء بن السائب وكان قد اختلط. والرواية عنه هنا من لا يعرف روايتهم عنه أكانت قبل الاختلاط أم بعده. لكن يشهد له الحديث الآتي فهو به حسن.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) وأبو يعلى (٢٠٠٣) وابن حبان (٥٠٥٨، ٥٠٥٩) وفي سنده أبو الزبير وهو مدلس وقد عنعن، لكن يشهد له حديث بريدة رضي الله عنه المتقدم ولآخره شواهد عدة. والحديث حسنه الألباني والأرنؤوط وانظر شواهد في تحقيق الأرنؤوط لصحيح ابن حبان (٤٤٤/١١) / رقم ٥٠٥٨. وتحقيق المطالب العالية لابن حجر لمجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور سعد الشثري (٦٩٨/١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٩٦٥).

(٣) رواه البخاري (٣٩٦٦) ومسلم (٣٠٣٣).

ثلاثة خصمهم الله يوم القيامة:

وقال النبي ﷺ أيضًا: «قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا، فَاسْتَوَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»
رواه البخاري^(١)

ورواه أحمد وزاد: «... وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ» وقال «وَلَمْ يُؤْفِهِ أَجْرَهُ» بدل «يعطه»^(٢).

من ظلم قييد شبر من الأرض:

وفي البخاري وغيره من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٣)
فمن اعتدى على أرض الناس في الدنيا وأخذها بغير حق، فيطوق يوم القيامة من سبع أرضين، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي البخاري أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بغيرِ حَقِّهِ حُسْفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٤).

وفي مسند الإمام أحمد عن يعلى بن مرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بغيرِ حَقِّهَا، كَلَّفَ أَنْ يَحْمَلَ تُرَابَهَا إِلَى الْمُحْشَرِ»^(٥)
- وقد تقدم بعض هذا في المجلس الثامن والعشرين.

فما أعظم هذه المواقف التي ستقع في عرصات القيامة، وحين يقتص الله ﷻ للخلائق بعضهم من بعض، وحين يختصم الناس يوم القيامة بين يدي الحكم العدل الذي هو سريع الحساب، فيقضي بينهم بالحساب!

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه ابن ماجه (٢٤٤٢) بلفظ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...» الحديث، فجعله حديثًا نبويًا لا قدسيًا وما في الصحيح أصح، رواه ابن

ماجه عن شيخه سويد بن سعيد، وهو وإن روى له مسلم إلا أنه ضعيف.

(٢) مسند أحمد (٣١٨/١٤) رقم (٨٦٩٢) ورواه ابن الجارود في المنتقى (٥٧٩)

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

(٤) تقدم في المجلس الثامن والعشرين.

(٥) تقدم (ص: ١١٩)

الولاية خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها :

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أن أبا ذر رضي عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألا تستعملني؟ -يعني: لم لا تجعلني والياً أو عاملاً لك على عمل؟- قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»^(١).

يأتي يوم القيامة أولئك المسؤولون الظلمة أمام الله تعالى ويحاكمون، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، أَطْلَقَهُ الْحَقُّ أَوْ أَوْبَقَهُ»^(٢). وفي رواية: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا، لَا يَفْكُهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقُهُ الْجُورُ»^(٣).

فهذه المسؤوليات التي يتزاحم عليها الناس والتي يتسابقون إليها ويكون الإنسان فيها حاكماً أو والياً أو مسؤولاً أو مديراً ثم لا يقوم فيها بما أمر الله تعالى فيقع منه الظلم يأتي يوم القيامة أمام الخلائق يُقْتَضُّ للمظلوم منه، نَسَأَلُ الله تعالى العفو والعافية.

فهذه جملة من الأحاديث العظيمة التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر العظيم اقتصاص المظالم والانتصاف للمظلوم من الظالم الذي سيقع في عرصات القيامة.

وقد جاء مبيناً موضحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أيما بيان وأيما توضيح وجاءت النصيحة من رسولنا صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ» رواه البخاري^(٤)

فهل نعي هذه الكلمات الطيبات المباركات والنصائح والتوجيهات من رسولنا صلى الله عليه وسلم؟

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٢) أخرجه الدارمي (٢٥٥٧)، والبخاري (١٦٣٩) وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين لشيخنا الوادعي (٣١٨١)

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٩٥٧٣) وهو صحيح

(٤) تقدم.

وإن الآخرة لأقربُ إلى أحدنا من شراك نعله كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «الجنة أقربُ إلى أحدكم من شراك نعله والتَّارُ مثلُ ذلك»^(١).

فليس بينك وبين لقاء الله إلا أن تموت، والأجلُ الذي وضعه الله ﷻ للناس غيرُ معلوم؛ فلا يعلم الإنسان متى يموت؟ قد يخرج ولا يرجع، وقد ينام ولا يستيقظ، وقد يسافر ولا يرجع، فالأجل غير معروف، فيوشك أن يأتي ملك الموت ليأخذ الروح من صاحبها فيموت ويندم ولات ساعة مندم.

فلتكن -يا عبد الله- حريصًا على أن تتحلل في هذه الدنيا في حال حياتك، وما دامت الروح في الجسد فاجتهد على ألا يكون لأحد عليك مظلمة.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه

كما نسأله ﷻ أن يرفع عنا هذا الوباء، ويصرف عنا البلاء، إنه سميع الدعاء؛

اللَّهُمَّ إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الإيمان بالميزان

المجلس الثاني والثلاثون^(١)

نصب الموازين يوم القيامة:

الإيمان بنصب الموازين يوم القيامة؛ هو من الإيمان باليوم الآخر
فما أعظم سعادة هؤلاء الذين يأتون يوم القيامة، فتثقل موازين أعمالهم بما قدموا
من إيمانٍ وعملٍ صالحٍ في الدنيا!

تعريف الميزان:

والميزان في لغة العرب معروفٌ؛ ويطلق على إطلاقات عدة، ومنها أنه يطلق، ويراد
به الميزان ذو الكفتين، كما نقل ذلك غير واحد من أهل اللغة^(٢).
ولذلك فأهل العلم حينما يتكلمون عن الميزان ويعرفونه يقولون: هو الميزان الذي
أخبر عنه الله ﷻ في كتابه، وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته، وهو ميزان حقيقي له كفتان،
توزن به أعمال العباد خيرها وشرها.

إجماع أهل السنة على أن الميزان حق:

قال شيخ الإسلام ﷺ: "وَتُنصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ"^(٣)
وقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ ﷺ: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنِ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ
فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَا:
"أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِهِمُ: الْإِيمَانُ

(١) كان في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) جاء في المحكم لابن سيده (مادة وزن): "والميزان: ما وُزِنَ به" وقال صاحب تاج العروس (مادة: وزن):

"(والميزان)، بالكسر: (م) مَعْرُوفٌ، وَهِيَ الْأَلَّةُ الَّتِي تُوزَنُ بِهَا الْأَشْيَاءُ."

(٣) العقيدة الواسطية (ص: ٩٧).

قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، ... فذكر الاعتقاد إلى أن قالوا: ... وَالْمِيزَانُ حَقٌّ، لَهُ كِفَتَانِ، تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقًّا هـ. (١)

وقال أبو الحسن الأشعري رحمته الله: وأجمعوا على أن الله ينصب الموازين لوزن أعمال العباد (٢).

الميزان ميزان حقيقي:

والميزان الذي أمرنا الله ﷻ أن نؤمن به هو ميزان حقيقي. وذكر عن بعض أهل العلم أنهم يؤولون ويقولون: الميزان المراد به العدل، والصحيح الذي عليه إجماع أهل السنة أنه ميزان حقيقي تُوزَنُ به أعمال العباد كما دلّت عليه الأدلة، -وسياتي ذكرها-، وهي تدل على أنه ميزان حقيقي.

يقول القرطبي رحمته الله: "وروي عن مجاهد والضحاك والأعمش أنّ الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضربٌ مثل كما يقول: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزنه أي: يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن. قلت: وهذا القول مجازٌ، وليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة، للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان، وإن كل كفة منهما طباق السموات والأرض" (٣).

وقال البيهقي في شعب الإيمان: وذهب أهل التفسير إلى إثبات هذا الميزان بكفتيه وجاء في الأخبار ما دل عليه. هـ. (٤)

الميزان له كفتان:

وقال أهل العلم: هذا الميزان ميزانٌ له كفتان حسيّتان مشاهدتان، وله لسان كذلك، وأن هذا الميزان عظيم، بحيث إنه يسع أن يُوزَنَ به ما في السماوات وما في الأرض.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكافي (٣٢١)

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٦١).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٧٢٣، ٧٢٤).

(٤) «شعب الإيمان» (١/ ٤٤٧ ط الرشد)

يقول الحافظ ابن قدامة: "والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال" (١)

لسان الميزان:

روى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: هو ميزان له لسان وكفتان. (٢)

وروى حرب الكرماني واللالكائي عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: "ذكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان اهـ. (٣)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية: وكون الميزان له لسان كما ذكره ابن قدامة في اللمعة وذكره غيره، هذا لا أحفظ فيه دليلاً واضحاً - أو ما اطلعته فيه على دليل واضح -؛ لكن أخذه من أن ظاهر الوزن في الرجحان يتبين باللسان، فأعملوا ظاهر اللفظ وجعلوا ذلك مثبتاً لوجود اللسان، فينبغي أن تكون محل بحث اهـ.

قلت: الحق إثباته فقد نقل غير واحد إجماع السلف على إثباته.

قال الحافظ: قال أبو إسحاق الزجاج أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال اهـ. (٤)

ومثله عن الحافظ ابن بطال. (٥)

ونسبه أبو الحسن الأشعري: إلى قول أهل الحق (٦)

(١) لمعة الاعتقاد (ص: ٣٢).

(٢) نقله ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ١٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/٤٤٧ ط الرشد)، والكلبي: متهم بالكذب. - وشيخه أبو صالح اسمه بادام، وهو: ضعيف.

(٣) «مسائل حرب الكرماني ت فايز حابس» (٣/١٠٨٩ بترقيم الشاملة)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٢١٠).

(٤) «فتح الباري» (١٣/٥٣٨)

(٥) «شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد» (١٠/٥٥٩)

(٦) «مقالات الإسلاميين ت زرزور» (٢/٣٥٣)

وقال الشيخ الغنيمان: الميزان لا يكون إلا بلسان، وبدون لسان لا يكون ميزان، فلا بد أن يكون له لسان يعرف رجحانه من عدمه، وهذا أمرٌ يدل عليه كلمة (ميزان)، وقد أثبت العلماء ذلك من هذا. اهـ^(١)

ونقل الطبري في تفسيره قول جماعة من العلماء: الْمِيزَانُ الَّذِي يَعْرِفُهُ النَّاسُ، لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ^(٢). وعند قول الله تعالى - في سورة الرحمن -: ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾^(٣) قال غير واحد من المفسرين: المعنى أقيموا لسان الميزان^(٣).

من أدلة القرآن على أن الميزان حق:

قال ربنا ﷺ: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٤) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهُونَ ﴾^(٥) [الأعراف] وقال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال ربنا ﷺ في سورة القارعة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾^(٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾^(٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾^(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾^(٩) [القارعة]

من أدلة السنة على أن الميزان حق:

وقد جاء في السنة أحاديث كثيرة، منها قول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٤).

فقوله «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ» يدل على أنه ميزان حقيقي.

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١٣/٢٠) بترقيم الشاملة آليا

(٢) «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٦٩/١٠)

(٣) ينظر: «موسوعة التفسير المأثور» (٨٢/٢١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تزود بما يتقل ميزانك يوم القيامة:

ونحن في هذه الدنيا في فرصة ومهلة، والله ﷻ أخبرنا أن موازيننا تثقل يوم القيامة بقدر ما نعمل من الأعمال الصالحات. وقد ضرب لذلك بعض أهل العلم مثلاً بأقوام جاؤوا على ساحل البحر، فانحسر البحر عن الجواهر والنفائس، فأخذ الناس يجمعون، كلُّ يجمع بقدر ما يستطيع، فإذا رُئي في هذا الموطن رجلٌ متغافلٌ عن جمع الجواهر وعن جمع الذهب وما انحسر عنه البحر فإنه يُعدُّ في عُرف الناس متكاسلاً، وربما قيل عنه: إنه مجنونٌ، فهكذا نحن في الدنيا في فرصة وفي مهلة^(١).

ومن رحمة الله ﷻ وفضله أنه أخبرنا أن الأعمال الصالحة تضاعف في الميزان، وأن الحسنة لا توزن بحسنة عند الله، وإنما تُوزَنُ بعشر حسنات؛ فتثقل بذلك الموازين: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٦] ﴿[الأنعام] وقال ربنا ﷻ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَأْمُونُونَ﴾ [٨١] ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٩٠] ﴿[النمل] وقال سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٨٤] [القصص: ٨٤].

لا وزن للحسنات بدون توحيد الله:

فالأيات دالة على أنه بقدر ما تستزيد من أعمالك الصالحة في الدنيا التي أساسها توحيد الله والإيمان بالله والإخلاص لله فإن حسناتك تضاعف يوم القيامة، وتثقل الموازين بهذه الحسنات المضاعفة من رب العالمين.

ويقول ربنا ﷻ في كتابه الكريم عن حال الكفار: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف]

تأملوا حال هؤلاء! لماذا حبطت أعمالهم؟

(١) انظر في أمثلة الدنيا: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - ط عطاءات العلم» (١/ ٤٤٤-٤٧٠)

لأنهم جاؤوا ربهم سبحانه بالشرك، ولم يكونوا موحدين، فلو جاء رجلٌ بأعمال الدنيا الصالحة كلها إلا التوحيد فإن الله ﷻ لا يقبل له عملاً؛

ولذا قال: ﴿ خِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥]

ولهذا قال ﷺ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِينُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحٌ

بِعَوْضَةٍ»^(١)

وإنما الذي ينفع في الميزان هو العمل الصالح مع إيمان بالله وتوحيد به.

قال الشوكاني رحمه الله: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ أي: لَا يَكُونُ لَهُمْ عِنْدَنَا قَدْرٌ وَلَا نَعْبَأُ بِهِمْ، وَقِيلَ: لَا يُقَامُ لَهُمْ مِيزَانٌ تُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُهُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَهْلِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَهَؤُلَاءِ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ أ.هـ.^(٢)

أمور عظيمة تثقل الميزان :

التسييح :

من ذلك ما جاء في الحديث السابق: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

وقال ﷺ: «الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَانِ- أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ...» الحديث^(٣). فتأملوا قوله ﷺ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَانِ- أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ...» فإنه دالٌّ على أن هذه الكلمات المباركات لعظيم فضلها وعلو مكانتها تملأ الميزان، والحديث على ظاهره من غير تأويل بثوابها؛ لعدم ما يمنع من كونها هي الموزون.

الكلمات الأربع الباقيات الصالحات واحتساب الولد الصالح إذا مات :

كذلك جاء عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٨)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) فتح القدير (٣/٣٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

يَقُولُ: «بَيْحَ بَيْحٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ بِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»^(١)

وقوله: «... وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى...» يعني: يموت فيحتسبه والده سواء كان الأب أو الأم، فإذا مات الولد - وهذا ليس مقيِّدًا بالصغير - إذا مات الابن أو البنت صالحًا أو صالحةً فاحتسبته عند الله ﷻ فإنَّ هذا الاحتساب عظيمٌ عند الله ﷻ في الميزان. ويدل هذا الحديث أيضًا على ما دلت عليه الأدلة الأخرى من إثبات الميزان يوم القيامة.

الذكر دبر كل صلاة وعند النوم:

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلْتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَلَا وَهَمَّا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا»، قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالَ: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ، وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ تُسَبِّحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِائَةً، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ سَيِّئَةٍ؟» قَالُوا: فَكَيْفَ لَا نُحْصِيهَا؟ قَالَ: «يَأْتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، حَتَّى يَنْفَتِلَ، فَلَعَلَّهُ أَلَّا يَفْعَلَ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلَا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ»^(٢)

وقوله ﷺ: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ، وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ» هو مجموع ما تقوله من هذه الكلمات؛ لأنك تقولها خمس مرات عقب كل صلاة، ثلاثون بعد صلاة الفجر: عشر تسبيحات وعشر تحميدات وعشر تكبيرات، وهكذا بعد كل صلاة ثلاثون، فهذه مائة وخمسون

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٩٢٣) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي (٤٧٠) وابن حبان (٨٣٣) والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٣/٣٤٨/٢٢) والحاكم (١٨٨٥) من حديث أبي سلمى رضي الله عنه. وهو في مسند الإمام أحمد (١٥٦٦٢) و(١٨٠٧٦) عن مولى لرسول الله ﷺ غير مسمى وفي (٢٣١٠٠) أن رجلاً سمع النبي ﷺ. وضححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٠٤) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٠٩)

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠) واللفظ له، والنسائي (١٣٤٨)، وابن ماجه (٩٢٦).

باللسان. قال صلى الله عليه وسلم: «وَأَلْفٌ وَخَمْسٌ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ» يعني: الحسنة بعشرة أمثالها، وهذا الحديث الصحيح أيضًا من الأحاديث الدالة على الميزان كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم. وانتبهوا -يا إخواني- إلى هذه الحسنات العظيمة التي يفقدها كثيرٌ من الناس، وقد اشتهر عند الناس اليوم أن من أذكار الصلاة أن تسبح ثلاثًا وثلاثين، وتحمد ثلاثًا وثلاثين، وتكبر ثلاثًا وثلاثين دُبر كل صلاة، وهذا صحيحٌ لكن الإنسان قد يكسل أحيانًا أو ينشغل فنقول: لا تحرم نفسك من أن تقولها عشر مرات: عشر تسيحات، وعشر تحميدات، وعشر تكبيرات، فالمجموع ثلاثون مرة، تقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر عشر مرات، لا تأخذ منك دقيقة واحدة، فتنال هذا الأجر والثواب.

ولهذا بين النبي صلى الله عليه وسلم لنا أنّ الموفق من وفقه الله ﷻ إذا كان المؤمن حقيقة يؤمن حَقًّا وصدقًا بأن هناك موازين ستُنصب يوم القيامة، وتوزن الأعمال، ويرى الناس ما عملوا من خير ومن شر فإنه سيستحضر هذا في كل يوم عقب كل صلاة، ويستحضر أن عنده هنا عمل إذا عمله كان مثقلًا لميزانه يوم القيامة.

الرفق بالخدام والعامل :

وفي صحيح ابن حبان عن عمرو بن حريث رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا خَفَّفْتُ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ كَانَ لَكَ أَجْرًا فِي مَوَازِينِكَ»^(١)

الخلق الحسن أعظم ما يثقل به الميزان :

والخلق الحسن من أعظم ما تثقل به الموازين يوم القيامة. كما في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» ورواه الترمذي وزاد «... وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»^(٢)

وبعض الناس اليوم تسوء أخلاقه، فتجده سبابًا، ذرَبَ اللسان، يُسبُّ ويشتم ويلعن

(١) رواه ابن حبان (٤٣١٤) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦١١)

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)

ويهزأ ويسخر، وربما يفعل بعض الناس ذلك على سبيل المزاح واللعب واللهو. والنبي ﷺ يقول: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»^(١).

فحسّن خلقك - يا عبد الله - ما استطعت لتكون من الفائزين.

ثواب حضور الجنائز تثقل الميزان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ» متفق عليه. وفي رواية لهما: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» وفي رواية لمسلم «أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ»^(٢)

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا، وَيَفْرُغَ مِنْهَا، فَلَهُ قِيرَاطَانِ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهَوَ أَنْتَقِلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ أُحُدٍ»^(٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي جَنَازَةِ فِيهَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا فَأَنْصَرَفَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِحَاجَةٍ فَضْرَبَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْكَبِي وَقَالَ أَتَدْرِي بِكُمْ أَنْصَرَفَ هَذَا؟ قُلْتُ لَا أَدْرِي قَالَ أَنْصَرَفَ بِقِيرَاطٍ فَقُلْتُ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَا الْقِيرَاطُ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَأَنْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْهَا كَانَ لَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ أَنْتَظَرَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ، وَالْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»،

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٥٣/٩٤٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٤١) وأحمد (٢١٢٠١) والطبراني في المعجم الأوسط (٥٥٤) وهو في صحيح الترغيب

والترهيب (٣٥٠١)

ثُمَّ قَالَ: أَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْلِي مِثْلَ أَحَدٍ، حَقٌّ لِعَظَمَةِ رَبَّنَا أَنْ يَكُونَ قَيْرَاطُهُ مِثْلَ أَحَدٍ وَيَوْمُهُ كَأَلْفِ سَنَةٍ. (١)

العناية بالخيال في سبيل الله تتقل الميزان :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «... الخيلُ ثلاثةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزُرٌّ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وَزُرٌّ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنَوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وَزُرٌّ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسِ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٍ، وَلَا تَقْطَعُ طُولَهَا فَاسْتَنْتَبَتْ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ» (٢)

وفي المسند من حديث شهر بن حوشب، قَالَ: حَدَّثَنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الخيالُ في نواصيها الخَيْرُ مَعْقُودٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ رَبَطَهَا عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا احْتِسَابًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ شَبَعَهَا وَجُوعَهَا، وَرِيَّهَا، وَظَمَّأَهَا، وَأَرْوَاثَهَا، وَأَبْوَالَهَا فَلَا حُجْرَ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَبَطَهَا رِيَاءً، وَسُمْعَةً، وَفَرْحًا، وَمَرْحًا فَإِنَّ شَبَعَهَا، وَجُوعَهَا، وَرِيَّهَا، وَظَمَّأَهَا، وَأَرْوَاثَهَا، وَأَبْوَالَهَا خُسْرَانٌ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣)

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٨٠٨) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٢/٥٣) - وإسناده حسن في الشواهد، رجاله ثقات سوى محمد بن سعيد وهو ابن الفضل الدمشقي ذكره ابن أبي حاتم وترجم له ابن عساكر من رواية جمع عنه ولم يذكر بتوثيق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧)

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٥٧٤) وأعله الشيخ الألباني بضعف شهر بن حوشب في السلسلة الضعيفة (٦٨٣٦) وحسنه شيخنا أحمد الشريف في موسوعته المباركة "وبل الغمامة في فضل الخيل التي في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" (٦٦/١)

حاجة المرء إلى الحسنة الواحدة يوم القيامة:

وإن الواحد منا يوم القيامة ليجتاج إلى الحسنة الواحدة، فيطلبها من أبيه، يطلبها من أخيه، يطلبها من أمه، يطلبها من أقرب الناس إليه، فلا يجدها أبداً، كل يقول: نفسي نفسي، كما ذكر ذلك جماعة من أهل التفسير عند قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٢٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٢٦﴾﴾ [عبس]. فالأب يقول لأبنائه: أي أب كنت لكم؟ فيقولون: كنت خير أب لنا، فيقول: حسنة واحدة. فيقولون له: نحن نريد ما تريد لا نستطيع نحن نريد ما تريد^(١).

أصحاب الأعراف:

قد دلت الأدلة على أن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح. وأصحاب الأعراف هم: قوم يأتون يوم القيامة، تستوي حسناتهم وسيئاتهم. فيُحجزون على الأعراف^(٢) ينظرون إلى أهل الجنة، وينظرون إلى أهل النار، ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار، ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف]، فيتعوذون بالله من منازلهم. فهؤلاء حُجزوا بسبب أنهم لو كان لهم حسنة زائدة لنجوا في حينها مما هم فيه من كرب وهم وغم.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: هَلْكَ مَنْ عَلَبَتْ وَحَدَاتُهُ أَعْشَارُهُ»^(٣)

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣٢٥/٨). وانظر ما تقدم (ص: ١٦٣)

(٢) الأعراف: جَمْعُ "عُرْفٍ"، وَكُلُّ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسَمَّى "عُرْفًا"، وَهُوَ: حِجَابٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ: السُّورُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُٗ بَابٌ﴾ [الحديد: ١٣] تفسير ابن كثير (٤١٨/٣).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (١٢٣/٢) - ومن طريقه وطريق غيره الطبري (جامع البيان ط هجر ١٠/٢١٣ و ٣١٥/١٢) - وسنده واه. وقال ابن فضيل في الدعاء (١١٥) حَدَّثَنَا دَاوُدُ - وَهُوَ ابْنُ أَبِي هَنْدٍ - عَنْ عَامِرٍ - وَهُوَ الشَّعْبِيُّ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ - وَهُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ -: «أَرْبَعٌ لَا يَهْلِكُ بَعْدَهُنَّ إِلَّا هَالِكٌ قَالَ: إِذَا عَمِلَ الرَّجُلُ الْحَسَنَةَ كُتِبَتْ عَشْرًا، وَإِنْ هَمَّ بِهَا وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً كُتِبَتْ سَيِّئَةً، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا وَهَمَّ بِهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ» ورجاله ثقات لكنه مرسل الشعبي لم يسمع من ابن مسعود.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ هُمْ رِجَالٌ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ عِظَامٌ، وَكَانَ جَسِيمٌ أَمْرُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى يَقُومُونَ عَلَى الْأَعْرَافِ فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ طَمِعُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا. وَإِذَا نَظَرُوا إِلَى أَهْلِ النَّارِ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهَا فَأَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» ^(١)

وَعَنْ قَتَادَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَلَمْ تَفْضُلْ حَسَنَاتُهُمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ» ^(٢)
 وَرَوَى عَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ قَوْمٌ تَجَاوَزَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمُ النَّارَ، وَقَصُرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ، قَالُوا: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذِ انْطَلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ. قَالَ: «قَوْمُوا ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» ^(٣)

الحرص على كسب الحسنات:

فليحرص الواحد منا على الاستكثار من الحسنات والمشاركة إلى الأعمال الطيبات الصالحات. فرب حسنة واحدة يكون فيها نجاتك عند الله وتثقل بالميزان. فاستعمل وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه إذ قال له: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» ^(٤).

وفي رواية:

- (١) رواه البيهقي في البعث والنشور (١٠٠) وفي شعب الإيمان (٣٧٦)
 (٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٩٠٥) والحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (١٣٧٢) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٠) من طرق عن قتادة به وهو مرسل لم يسمع قتادة من ابن عباس رضي الله عنه ويشهد له ما قبله. ورواه الحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (١٣٧١) من طريق أبي العريان عن ابن عباس.
 (٣) رواه الحاكم في المستدرک (٣٢٤٧) - وعنه البيهقي في البعث والنشور (١٠١) - أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عُقْبَةَ الشَّيْبَانِيُّ، ثنا الْهَيْثَمُ بْنُ خَالِدٍ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَنَّ أَبَا يُونُسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ صِلَةَ بْنِ زُرَّارٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ... فذكره وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجْرَجْهُ إِهْرَاقٌ خَوْلَفَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، فَرَوَاهُ هِنَادُ بْنُ السَّرِيِّ فِي الزَّهْدِ (٢٠٢) حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنْ يُونُسَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ حُدَيْفَةَ وَوَكَيْعٍ وَأُثْقِيقٍ وَعَامِرٍ لَمْ يَلْقَ حُدَيْفَةَ. وَقَدْ جَاءَ مِنْ طَرُقٍ عَنْ عَامِرٍ عَنْ حُدَيْفَةَ رَوَاهُ الْحُسَيْنُ الْمُرُوزِيُّ فِي زَوَائِدِ الزَّهْدِ (١٣٧٠) وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢١٥/١٠).
 (٤) رواه مسلم (٢٦٢٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَذَكَرَهُ.

«وَلَوْ أَنَّ تَأْتِي أَخَاكَ بِوَجْهِ مُنْبَسِطٍ، وَلَوْ أَنَّ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي»^(١)
 وفي مسند الإمام أحمد عن أَبِي تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَجُلٍ، مِنْ قَوْمِهِ^(٢) قَالَ: لَقِيتُ
 رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، ... فذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيهِ: قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟
 فَقَالَ: «لَا تَحْفَرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنَّ تُعْطِيَ شِعَاحَ
 النَّعْلِ، وَلَوْ أَنَّ تُنَزِعَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنَّ تُنَجِّي الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ
 يُؤْذِيهِمْ، وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ، وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقٌ، وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ فَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ
 أَنَّ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ سَبَّكَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ فِيهِ نَحْوَهُ،
 فَلَا تَسْبَهُ فَيَكُونَ أَجْرُهُ لَكَ وَوِزْرُهُ عَلَيْكَ، وَمَا سَرَّ أذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاعْمَلْ بِهِ، وَمَا سَاءَ
 أذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاجْتَنِبْهُ»^(٣)

تواجد النبي صلى الله عليه وسلم عند الميزان يوم القيامة:

وحين تُنصَبُ الموازين يوم القيامة يصاب الناس بالهلع والخوف وبالفرع بسبب
 ما يشاهدونه من الكرب ومن عظيم الحزن ومن عظيم الأهوال في ذلك اليوم العظيم،
 قال أنس بن مالك رضي الله عنه: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: قَالَ: «أَنَا
 فَاعِلٌ» قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى
 الصِّرَاطِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ
 لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ»^(٤).

فهذه ثلاثة مواطن بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيكون عندها، فيما أن يكون عند
 الميزان أو عند الصراط أو عند الحوض صلوات ربي وسلامه عليه. وهذا يدل على أن

(١) رواه الخرائطي مكارم الأخلاق (١١٨) والبيهقي في الآداب (٢٢٢) والسنن الكبرى (٧٨٢٤) وشعب الإيمان (٧٦٨٨، ٣١٠٤)

(٢) قال الحافظ ابن حاتم في العلل (٣٢٥/٢): قُلْتُ لِأَبِي: يُسَمَّى هَذَا الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمَاءُ
 عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْجَرِيرِيِّ. ثم ذكر إسناده وفيه، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد (١٥٩٥٥) وأبو عبيد في الخطب والمواعظ (١٥) والبغوي في معجم الصحابة (٣١٤) وابن
 أبي حاتم في العلل (٣٤٩٤)

(٤) أخرجه أحمد (١٢٨٢٥)، والترمذي (٢٤٣٣).

الأمر عظيم، وأن وجوده ﷺ في هذه المواطن الثلاثة لأنها مواطن عظيمة، تغشى الناس في ذلك الحين حينما تُنصب الموازين، فيبلغ الخوف والهلع بالناس أقصى الحدود، ينسى الحبيب حبيبه، ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيْرٌ حَمِيْمًا ۝ ﴾ [المعارج]، لا يفكر أحد إلا في نفسه، ويذهل عن كل شيء لا يفكر إلا في نتيجة ميزانه، حين توزن أعماله عند الله ﷻ.

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أَنَّهَا ذَكَرَتْ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيُّ مِيزَانِهِ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ۝ ﴾ [الحاقة] حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ» وفي إسناده ضعف^(١). إنه لأمر عظيم من أهوال يوم القيامة.

نسأل الله ﷻ أن يُلطف بنا وأن يجعل أعمالنا صالحة متقبلة.

ما يوزن يوم القيامة:

وذكر العلماء أيضًا أن الميزان:

- تُوزن به أعمال العباد،
- وربما وُزن به العامل أيضًا أي: صاحب العمل.
- وربما وزنت صحائف العمل أيضًا،

وعلى ذلك دلّت الأدلة، فالأدلة تدل على أن الأعمال هي التي توزن من خير أو من شر كما في الحديث السابق: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ...» الحديث، وكما في قول النبي ﷺ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيْعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَ وَبَيْنَ الْبَقْرَةِ وَسُورَةِ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّاتَانِ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) من طريق الحسن عن عائشة وهو لم يسمع منها وانظر: ضعيف الترغيب والترهيب

أَوْ كَانَتْهُمَا فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا...^(١). فهذا الحديث المبارك يدل على أنه يؤتى بالقرآن والعمل على هذه الهيئة، فيكون في ميزان العبد مثقلاً له عند الله ﷻ. وتقدم معنا أن الخلق الحسن أثقل ما يكون في الميزان.

كذلك قال أهل العلم أيضاً: قد يوزن العامل نفسه،

وقد جاء في ذلك أحاديث منها: حديث أبي هريرة المتقدم: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف]»^(٢).

وكذلك جاء في مناقب ابن مسعود رضي الله عنه أنه كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(٣).

رفعه الله بعمله الصالح وهو مع ضعف بنيته وجسده قوي القلب كبير العلم جليل القدر رضي الله عنه وأرضاه. وقد قال الشاعر:

تَرَى الرَّجُلَ التَّحِيْفَ فَتَزْدَرِيهِ وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَسْبَتْلِيهِ
وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ فَيُخْلِفُ ظَنَّتَكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ^(٤)

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٨)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٩١) عن ابن مسعود رضي الله عنه. بسند حسن. ورواه أحمد (٩٢٠) والبخاري في الأدب المفرد

(٢٣٧) من حديث علي رضي الله عنه. ورواه البزار (٣٣٠٥) والحاكم (٥٣٨٥) من حديث قرة بن إياس رضي الله عنه. وانظر:

إرواء الغليل (٦٥) والسلسلة الصحيحة (٢٧٥٠)

(٤) البيتان للعباس بن مرداس في ديوانه (ص: ٥٨، ٥٧). والمزير: هو الرجل القوي، والطرير: ذو الهيئة

[«مقاييس اللغة» (٣/٤٠٩، ٥/٣١٩)]

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ نَحِيفٌ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ، ثُمَّ قَالَ: «كُنَيْفٌ» ^(١) مُلِيٌّ عِلْمًا؟ كُنَيْفٌ مُلِيٌّ عِلْمًا» - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ^(٢).

حديث البطاقة:

والتوحيد والإخلاص هو أعظم ما تثقل به الموازين. ومن مواقف الميزان العظيمة ما أخبرنا عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة الرجل الذي عُرف عند العلماء بـ"قصة صاحب البطاقة" في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَمْ تُعْذِرْ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» ^(٣).

(١) قال الجوهري في الصحاح (مادة كنف): "الكِنْفُ بالكسر: وعاء تكون فيه أداة الراعي، وبتصغيره جاء الحديث: كُنَيْفٌ مُلِيٌّ عِلْمًا". اهـ والتصغير هنا يراد به المدح والتعظيم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٤٤/٢، ٦٥/٣) وابن أبي شيبه في المصنف (٣٢٢٣٦) والحاكم في المستدرک (٥٣٩١) - وعنه البيهقي في المدخل (١٠٠) - وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٢٩/١) وفي معرفة الصحابة (٤٤٩٣). ورواه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف (١٨١٨٧) - ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير للطبراني (٣٤٩/٩) رقم (٩٧٣٥) من طريق قتادة عن عمر وهذا منقطع فقتادة لم يدركهما. وأخرجه محمد بن الحسن الشيباني (٦٠٧) في زوائده على موطأ مالك الخبر أخبرنا أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم وذكر قصة عن عمر. وله طرق أخرى.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه ابن حبان (٢٢٥) والحاكم (٩، ١٩٣٧) وقال في الموضوع الأول: على شرط مسلم ووافقه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥) وقال في الموضوع الثاني صحيح الإسناد اهـ وهو الصواب فإن الحديث ليس على شرط مسلم فهو من رواية الليث بن سعد قال =

وهذا الحديث حديث عظيم، وفيه فوائد:

منها: إثبات الميزان.

ومنها: أن الميزان له كفتان.

ومنها: أن الأعمال توزن.

ومنها بيان طريقة الوزن وأن معنى ثقلت موازينه أي: نزلت،

فمن ثقلت موازينه يكون ناجياً عند الله ﷻ.

وقال بعض أهل العلم: ثقل الموازين يعني أن ينار له نور وأن يرى نوراً، ولكن ليس

على هذا دليل.

فضل من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه:

كذلك بيّن العلماء أن هذا الرجل صاحب البطاقة لم يقل: "لا إله إلا الله" هكذا مجردة، وإنما هو رجل امتلأ قلبه إيماناً وتوحيداً، وامتلاً قلبه إفراداً لله ﷻ بالعبادة، فهذا الذي نجا به. قال شيخ الإسلام ﷺ: "وليس كل من تكلم بالشهادتين كان بهذه المنزلة؛ لأن هذا العبد صاحب البطاقة كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أوجب أن عظم قدره حتى صار راجحاً على هذه السيئات"^(١).

إن الله لا يظلم مثقال ذرة:

وتأمل قوله: «إِنَّكَ لَا تُظَلَّمُ» فإن هذا من الحكم العظيمة في نصب الله ﷻ الموازين ليقيم الحجة على العباد ويرى الإنسان محاسبته لنفسه بنفسه. قال ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء]

حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يُعْيَبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَذَكَرَهُ. وَرَجَّاهُ رِجَالٌ مُسْلِمٌ لَكِنَّهُ لَمْ يَرَوْا بِهِ السِّيَاقَةَ فِي صَحِيحِهِ شَيْءٌ. وَعَامِرٌ لَيْسَ لَهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ إِلَّا حَدِيثٌ وَاحِدٌ يَرَوِيهِ عَنْ حَنْشِ الصَّنَعَانِيِّ كَمَا فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ (١٤/ ٨٥).

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف]

فاحرصوا على الأعمال الصالحات التي تكون سبباً في نجاتكم يوم القيامة. وإذا عملت أيها المسلم عملاً صالحاً، فأخلص العمل فيه لله، وليكن وفق سنة رسول الله ﷺ؛ فإن العمل لا يقبله الله ﷻ إلا أن يكون خالصاً صواباً. فإذا وفقك الله ﷻ إليه، فاحرص على المحافظة عليه، وابتعد عن الغيبة وعن النميمة وعن ظلم العباد، وكل ما هو سبب لفقد الحسنات. واحرصوا رحمكم الله على الأخلاق الحسنة؛ والمعاملة الطيبة والكلمة الطيبة، فإنها أثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة.

وهي أمور يستطيع كل إنسان أن يحرص عليها ويستطيع كل إنسان أن يتخلق بها، ولا ينبغي للإنسان أن يقول: أنا تطبعت على هذا ولا أستطيع أن أغير من أخلاقي ومن طبعي!، كلاً، فالقرآن يهذب الأخلاق، وقد كان الواحد من الصحابة رضي الله عنه إذا أسلم خلع لباس الجاهلية على عتبة باب الإسلام، وتخلق بأخلاق هذا الدين، فيلبس لباس التقوى، ويرتدي رداء الإيمان، ويتجلبب بجلباب الخير، فيظهر ذلك على أخلاقه وعلى عمله وعلى أفعاله.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ما عُرِفَ عنه من الأمور قبل الإسلام حتى قال بعض الصحابة - وهو عامر بن ربيعة رضي الله عنه - يوماً، لزوجته وكانت قالت له: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ أَيْفًا وَرِقَّتَهُ وَحُزْنَهُ عَلَيْنَا. قَالَ: أَطِيعْتِ فِي إِسْلَامِهِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتَ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ، قَالَ ذَلِكَ: يَا سَأَا مِنْهُ، لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ. (١).

(١) حسن، رواه ابن إسحاق في السيرة (٢٢٢) - ومن طريقه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٣٧١)، والطبراني في المعجم الكبير للطبراني (٢٩/٢٥) رقم (٤٧) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٨٣٢)، والحاكم (٦٨٩٥) - من حديث أم عبد الله بنت أبي حنيفة رضي الله عنه وانظر صحيح السيرة للألباني (١٨٩).

ومع هذا فإنه لما أسلم صار عبدًا خاشعًا أوها منيبًا بكاءً بين يدي الله ﷻ، وقفا عند حدوده. كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما... وذكر أن قوما أغضبوا عمر رضي الله عنه حتى هم أن يوقع بهم، فقال له الخضر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، قال: «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ» (١)

وبذا صار أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وصديقها أبي بكر رضي الله عنه. فيستطيع المؤمن أن يحرص على الانتفاع بكلام الله وبنسنة رسول الله ﷺ ويربي نفسه ويهذب أخلاقه عليهما.

يقول ابن القيم رحمه الله:

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: ... وَثِقُلْ مِيزَانَهُ هُنَاكَ بِحَسَبِ تَحْمُلِهِ ثِقَلَ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الدَّارِ لَا بِحَسَبِ مُجَرِّدِ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ،

وَإِنَّمَا يَثْقُلُ الْمِيزَانُ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَبَدْلِهِ إِذَا سُئِلَ، وَأَخْذِهِ إِذَا بَدَلَ كَمَا قَالَ الصَّدِيقُ فِي وَصِيَّتِهِ لِعُمَرَ رضي الله عنه:

(وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالتَّهَارِ وَلَهُ حَقٌّ بِالتَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ وَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ

فِي دَارِ الدُّنْيَا

وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا،

وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي دَارِ الدُّنْيَا
خَفَّتْهُ عَلَيْهِمْ وَحَقَّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا^(١) .ا.هـ^(٢)

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن ثقلت موازينه
وأن يجعلنا من الناجين في يوم القيامة.
إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلم
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(١) أخرجه سعيد بن منصور (٩٤٢ - التفسير) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٦) عن عبد الرحمن بن سابط، وابن المبارك في "الزهد" (٩١٤) وابن أبي شيبة (٣٥٥٧٤، ٣٨٢١١) وأبو داود في الزهد (٢٩) والخلال في السنة (٣٤٥) عن زبيد اليامي، والرعي في الوصايا (ص ٣٤ - ٣٥) عن قتادة، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٤١٤) عن ابن أبي نجيح. وهذه الروايات - وإن كانت مراسيل - فإنها يعضد بعضها بعضاً، وتجعل للوصية أصلاً. وقد قال ابن القيم: تلقأها عمر بالقبول هو وسائر الصحابة ﷺ .ا.هـ «مدارج السالكين» (١/ ٥٧٩ ط عطاءات العلم).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٨٥)

الإيمان بالحشر

المجلس الثالث والثلاثون^(١)

حشر الله ﷻ للعباد وتوجيههم إلى ما لهم إلى جنة أو إلى نار:

المستقرُّ للإنسان يوم القيامة هو إما جنة وإما نار، فهو المقر الذي يصير إليه العباد جميعاً.

فالناس في عرصات القيامة بعد الحساب والجزاء وبعد أن توزن الموازين وتتطاير الصحف، منهم أخذُ كتابه بيمينه وأخذُ كتابه بشماله. يكون أيضاً من المواقف العظيمة موقف يجمع الله ﷻ فيه الأولين والآخرين، ويجمع الله ﷻ فيه الناس، ويجتمع المؤمنون والكافرون والمنافقون في صعيد واحد كما أخبر النبي ﷺ ثم يُؤمرُّ بهم، كلُّ إلى حيث كتب الله ﷻ له، وذلك بأعمالهم التي عملوها إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.

وقد جاء بيان ذلك عن النبي ﷺ في جملة من الأحاديث:

فمن ذلك حديث أبي سعيد الخدري، وحديث عبد الله بن عمرو، وحديث جابر بن عبد الله، وحديث جرير بن عبد الله البجلي وغير واحد رضي الله عنهم.

ونورد ما تيسر من هذه الأحاديث؛ لننظر كيف سيكون الموقف بعد أن توزن الأعمال وتتطاير الصحف.

رؤية المؤمنين ربهم وحشر العباد إلى الصراط:

جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ

(١) كان في يوم الخميس التاسع عشر من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

سَحَابٌ؟ قالوا: لا يا رسول الله^(١)؟- قال: فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قالوا: لا. قال: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ^(٢)، يُحْشِرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيَتِ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَائِنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ...» الحديث^(٣)

فأفادنا هذا الحديث: أن مما يقع من الأمور العظيمة في عرصات القيامة: أن أهل الإيمان يرون ربهم ﷻ قبل أن يجوزوا الصراط.

يوم يكشف عن ساق:

ويكون ذلك على الصفة والعلامة التي بينهم وبين ربهم ﷻ وهي أن ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله. قَالَ: «مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذَنٌ مُؤَدَّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَعَبْرٍ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

(١) يعني أخبروني عن القمر إذا كان بدرًا وليس دونه سحاب هل هناك مرية وشك في رؤيته.

(٢) - يعني سترون ربكم رؤية حق وسيكون ذلك يوم القيامة - نسأل الله أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه-

وهذه الرؤية قبل دخول الجنة، وهم ما زالوا في عرصات القيامة، كما في تمام الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحِطُّمُ بَعْضَهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى التَّصَارِي فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْعُونَ؟ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. - قَالَ -: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحِطُّمُ بَعْضَهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﷻ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ انْتِقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كَلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ حَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ...» (١).

هذا موقف عظيم من مواقف القيامة وأهوالها! ومجمع يجمع الله ﷻ فيه الخلائق ثم يبدأ الله ﷻ بفصل بعضهم عن بعض وينادي: من كان يعبد إلهاً فليذهب معه.

تنبيه في تفسير كلمة التوحيد "لا إله إلا الله":

كم الآلهة المتعددة؟ الناس في هذه الدنيا يعبدون آلهة متعددة. ولهذا قال ربنا ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج]. ولهذا يقول العلماء في تفسير كلمة التوحيد كلمة "لا إله إلا الله"

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

يقولون: معناها لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عُبدَ فإنما يعبد بباطل. هذا معنى هذه الكلمة، وليس معناها أنه لا معبود إلا الله، بل لا معبود بحق إلا الله؛ فلا بد من هذه الكلمة - أعني كلمة "بحق"؛ لأن هناك آلهة عُبدت بباطل من دون الله ﷻ، فليس هناك إله حق إلا الله ﷻ لأنه الخالق الرزاق مالك الملك المدبر، فلا يستحق العبادة أحدٌ سواه ﷻ.

أما الآلهة المتعددة التي انتشرت عند الناس: فمنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد القبور والأضرحة، ومنهم من يعبد البقر، أو الحجر أو الشجر أو غير ذلك من الآلهة. فإذا جاء يوم القيامة يزداد في التنكيل بهم، ويحشرون مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله ﷻ، هذا إذا كانت هذه الآلهة من هذه الأوثان وغيرها.

من عبد من الأنبياء والصالحين:

أما عبادتهم للأنبياء وعبادتهم للمرسلين وعبادتهم للصالحين ونحوهم ممن هو غير راضٍ عن عبادتهم إياه فإن الله ﷻ ينجيهم. كما في مسند الإمام أحمد عن أبي يحيى، عن ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ: ... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ» وَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام، (وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ) ^(١)، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا، فَلَيْنَ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧] قَالَ:

(١) قال الشيخ أحمد البنا في الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٨/٢٦٦): أي وما تقول النصاري في محمد من عدم تصديقهم بنبوته اه. وقال العلامة أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣/٢٨٤): قوله «وما تقول في محمد» هكذا هو في الأصلين وابن كثير، وفي الزوائد «وما يقول محمد»، ولعله أصح، أو يكون في الكلام نقص اه.

قُلْتُ: مَا يَصْدُون؟ قَالَ: يَضْجُونَ، ﴿وَأِنَّهُ لَعَلَّمَهُ لِّلْسَاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (١)

وفي رواية عن أَبِي يَحْيَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ [الأنبياء] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَقَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا فَقَامَ ابْنُ الزَّبْعَرَى فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالُوا: قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ قَالَ: ادْعُوهُ لِي، فَدَعِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ابْنُ الزَّبْعَرَى: يَا مُحَمَّدُ هَذَا شَيْءٌ لِآلِهَتِنَا خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ: فَقَالَ: خَصَمْنَاكَ وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى عَبْدُ صَالِحٍ وَعَزِيزًا عَبْدُ صَالِحٍ، وَالْمَلَائِكَةُ عِبَادُ صَالِحُونَ، قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَهَذِهِ النَّصَارَى يَعْْبُدُونَ عَيْسَى وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْْبُدُ عَزِيزًا وَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ تَعْْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ مَكَّةَ فَانزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ ﴿٩٨﴾ عَيْسَى وَعَزِيزٌ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ [الأنبياء] قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الزخرف] وَهُوَ الصَّحِيحُ. (٢)

وفي رواية عن الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ﴿٩٨﴾

(١) أخرجه أحمد (٢٩١٨) من طريق شيبان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، مولى ابن عقيل الأنصاري، به فذكره. وروى الحاكم في المستدرک (٣٠٠٣) آخره وصححه. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٠٨)

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٩٨٦) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم، به ومن هذا الطريق رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٣ / ١٢) رقم (١٢٧٣٩) وسقط من سنده "أبو يحيى". والصواب إثباتها فقد رواه الواحدي في أسباب النزول (٣٠٦) من الطريق التي رواها الطبراني بإثباتها

[الأنبياء]، فَقَدْ عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَعَزَيْرٌ وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ،
 أَوْكُلُ هَوْلَاءٍ فِي النَّارِ مَعَ آلِهَتِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ
 أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١] وَنَزَلَتْ: ﴿ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
 إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧] ^(١)

قال الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير رحمته الله:

وَهَذَا الْجَدَلُ الَّذِي سَلَكَهُ بَاطِلٌ. وَهَمَّ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ، وَمَنْ لَغَتَهُمْ أَنْ
 "مَا" لِمَا لَا يَعْقِلُ، فَقَوْلُهُ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ
 لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ إِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَحْجَارِ الَّتِي كَانَتْ صُورَ
 أَصْنَامٍ، وَلَا يَتَنَاولُ ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ رَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ فِي هَذِهِ الصُّورِ، وَلَا
 الْمَسِيحَ، وَلَا عَزِيرًا، وَلَا أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، لِأَنَّ اللَّفْظَ لَا يَتَنَاولُهُمْ لَا لَفْظًا وَلَا مَعْنَى.
 فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا ضَرَبُوهُ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنَ الْمَثَلِ جَدَلٌ بَاطِلٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨] ^(٢)

مقالة اليهود والنصارى في ادعائهم لله ولدا:

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه وغيره بيانٌ عظيمٌ بأن هناك فرقًا كبيرًا بين أهل الإيمان
 من أمة محمد صلوات الله عليه وبين اليهود والنصارى عبدة الأوثان؛ فإنهم عبدوا غير الله وادَّعَوْا
 أن الله صلوات الله عليه اتخذ صاحبة أو ولدًا. وبعضُ الناس في هذه الأيام يريد أن يُمِيع الأمر، ويقول:
 ليس بيننا وبين اليهود والنصارى فرق البتة، فهم أهل دين ونحن أهل دين وهم أصحاب
 كتاب ونحن أصحاب كتاب ونحن من أبناء الديانات السماوية. وكلها أقاويل باطلة. وقد
 راجت على بعض الناس في الدنيا لكنها لا تروج يوم القيامة. فانظروا حين ينادي منادٍ

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٩٨٨) وحسنه شيخنا الوادعي في الصحيح المسند من أسباب
 النزول (١٣٧). ورواه الحاكم (٣٤٤٩) من طريق يزيد النحوي عن عكرمة به وصححه. وفي سننه محمد

بن موسى بن حاتم وهو ضعيف كما في لسان الميزان (٥٤٠/٧)

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٢/٥٣-٥٤)

«لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَّا كَانَتْ تَعْبُدُ»، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، فيتساقطون في نار جهنم. -نعوذ بالله-

مآل المنافقين:

ويبقى المؤمنون ومن كان يتظاهر بالإيمان أيضاً من المنافقين، فيميز الله ﷻ أيضاً في هذه الأمة بين المؤمن الصادق الذي عبَد الله سبحانه خالصاً وبين المنافق الذي كان يصلي ويصوم ويحج ويتصدق وهو مع المؤمنين ظاهراً لكنه لم يكن عمله لله ﷻ خالصاً. يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه -وقد سئل عن الورود- قال: «نَجِيءٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، فَتَدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ؟ -أي: من تنتظرون؟- فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ -قَالَ- فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ -مُنافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ- نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُرْمَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَانِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ يَحُلُّ الشَّفَاعَةَ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِينُ شَعِيرَةً...» إلى آخر الحديث ^(١).

والحديث له حكم الرفع. وهكذا فإن نور المنافق ينطفئ يوم القيامة، وقد ذكر الله ﷻ هذا النور في كتابه في سورة الحديد وفي سورة التحريم: يقول الله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ^(١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرِّكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(١٢) [الحديد]. قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: "يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين:

أنهم يوم القيامة يسعون نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة،

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويظفأ مرة^(١). قال: وأما أهل النفاق فإن الله ﷻ يقول: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] ماذا يحصل لهم في هذا الموقف؟

قال ابن كثير ﷻ: "وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المرعبة والزلازل العظيمة، والأمر الفظيعة، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر"^(٢).

كل نوره يوم القيامة بحسب عمله في دنياه:

وانظروا إلى هذا الموقف العصيب الذي يحتاج فيه الإنسان إلى العمل الصالح، هذا الموقف الذي يتميز فيه الكفار من المؤمنين ومن المنافقين، ويغدو كل إلى مصيره وماله الذي كتب الله ﷻ: فذلة ومهانة تلحق الكافرين، وتلحق هؤلاء المجرمين، وذلة ومهانة تكون على رؤوس المنافقين، وسعادة وفرحة تكون لأهل الإيمان.

حال الكافر يوم القيامة:

وأما الكافرون في هذا الموقف العظيم - كما ذكرنا في الأدلة السابقة -: فيؤمر بهم، فيحشرون مع ما كانوا يعبدون. وانظر إلى تصوير القرآن الكريم إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يساقون إلى جهنم جماعة تلو جماعة يُنْهَرُونَ نَهْرًا غليظًا، ويصاح بهم من هنا وهناك كما يفعل الراعي ببقره أو غنمه، يُنْهَرُونَ وهم يغدون إلى نار جهنم. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٧١]... الآيات.

ثم انظروا أيضًا إلى قول الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت] يعني: يُجمَعون، فتجمعهم الزبانية على آخرهم كما يفعل البشر بالبهائم!

(١) تفسير ابن كثير (١٥/٨).

(٢) المرجع السابق (٥٠/٨).

وَيَصُورُ اللَّهُ ﷻ لَنَا هَذَا الْمَوْقِفَ فِي آيَةِ أُخْرَى: فيقول ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ [الفرقان] فيحشرون على وجوههم لا كما كانوا يمشون في الدنيا على أرجلهم. وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١) - بلى وعزة ربنا -. فهذه صورة عظيمة، صورة فيها فزعٌ وخوفٌ، كيف يحشرون على وجوههم التي هي أشرف أعضائهم والتي يحميها الإنسان في الدنيا من كل أذى؟! ويصور الله ﷻ لنا هولا آخر مما يكون عند حشر هؤلاء إلى النار: فيقول سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا حَبَتِ رِدْنُهُمْ سَعِيرًا ۝١٧﴾ [الإسراء].

وفي آية أخرى فيها أن الله ﷻ يجمعهم مع نظرائهم ومع الأشرار: فيحشرون مع أزواجهم، كما قال الله ﷻ: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢﴾ من دون الله فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصافات]. ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني: ونظراءهم، فكل من كان في شر يحشر مع من هو مثله. ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على نار جهنم. -نسأل الله السلامة والعافية-.

ويزيد بلاءهم أنهم يكونون مغلوبين مقهورين أذلاء صاغرين: كما قال ربنا ﷻ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٢﴾ [آل عمران]

وقبل أن يصلوا إلى نار جهنم تصك مسامعهم أصواتها التي تملأ قلوبهم رعبًا وهلعًا ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان] فإذا وقفوا على النار فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [الأنعام]

ولكنهم لا يجدون من النار مفرًا: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا ﴾ [الكهف]

ويقول ربنا ﷺ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [٦٨] ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ [٧٠] [مريم]

تأملوا كيف الذلة والمهانة التي تكون لهؤلاء يوم القيامة! وكيف يقادون إلى نار جنهم بهذه الصورة المذلة المهينة جزاء ما عملوا في هذه الدنيا من أعمال سيئة! يقول الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴾ [٨٥] وَنَسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ [مريم]. فهذه آيات صور الله ﷻ فيها الحال التي يكون عليها هؤلاء.

حال المنافق يوم القيامة:

أما أهل النفاق الذين يُعْطُونَ نُورًا ثم ينطفئ عنهم فإنه تتعدد حسرتهم يوم القيامة، كانوا مع المؤمنين في الدنيا، يُصَلُّونَ معهم، يصومون معهم، يحجون معهم، يتصدقون معهم، وربما أخذوا من الليل، فقاموا، وربما فعلوا وفعلوا، لكن أعمالهم لم تُخَلِّصَ لهُ. كانوا في الدنيا مع المؤمنين ثم ماتوا وَدُفِنُوا في مقابر المسلمين ثم يقومون يوم القيامة، مع المسلمين ثم يحشرون، فإذا حُشِرُوا أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ نُورًا، ويعطى المنافق نورًا، لكن نور المؤمن يبقى ويظل معه، وأما نور المنافق فإنه ينطفئ. وحينئذ ينادي أهل الإيمان: ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ ولا يزال المنافق مغترًا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق وبين المؤمن، فينادي: ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ كنا معكم في الدنيا، فيرد عليهم المؤمنون: ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ يعني من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور، قال الله: ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُم

بِسُورِ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ [الحديد]. قال أهل التفسير: هو حائط بين الجنة والنار يُجَزَّ فيه بين أهل النفاق وبين أهل الإيمان^(١).
فوالله إن هذا لأمر عظيم يجعل القلب يرجف خوفاً على نفسه من النفاق.
-نسأل الله السلامة والعافية-

خوف المؤمن من النفاق:

وقد كان أصحاب النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان أشد ما يكونون خوفاً من النفاق ومن الوقوع فيه.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه: وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّمِيمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكْذَبًا»^(٢)، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ التَّفَاقُ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيْمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»^(٣). وَيَذَكِّرُ عَنِ الْحَسَنِ: «مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٤) اهـ.^(٥)
فهؤلاء في هذا الموقف ينادون أهل الإيمان: أما كنا معكم في الدار الدنيا!؟

(١) تفسير الطبري (٤٠٣/٢٢).

(٢) وصله: ابن سعد في «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٢٨٥/٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٦٠/٧) رقم (٣٤٩٧٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٥٣/١) ت المعلي، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٠٤، ٥٧٦)، وعبد الله بن أحمد في زوائد «الزهد» (٢٠٧١) وغيرهم.

(٣) وصله البخاري في «التاريخ الكبير» (١٣٧/٥) ت المعلي، والخلال في «السنة» (١٠٨١) من طريق يحيى بن اليمان، عن سُفيان، عن ابن جُرَيْج، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ به.

(٤) وصله المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٧) والفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٨١)، من طريق جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ، يَخْلُفُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: «مَا مَضَى مُؤْمِنٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا وَهُوَ مِنَ التَّفَاقِ مُشْفِقٌ، وَلَا مَضَى مُنَافِقٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا وَهُوَ مِنَ التَّفَاقِ آمِنٌ» ورواه الفريابي أيضا (٨٢) والخلال في «السنة» (١٦٥٣) -واللفظ له-، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٥٨): من طريق مُؤَمَّلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ، يَقُولُ: «وَاللَّهِ، مَا أَصْبَحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ وَلَا أَمْسَى عَلَى وَجْهِهَا مُؤْمِنٌ، إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ التَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا آمِنَ التَّفَاقَ إِلَّا مُنَافِقٌ» ورواه البيهقي في الشعب (٨٣٣) من طريق مؤمل عن حماد بن زيد عن المعلي، ورواه الخلال أيضا (١٦٥٦) من طريق هِشَامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ، يَقُولُ: «وَاللَّهِ مَا مَضَى مُؤْمِنٌ وَلَا تَقِيَ إِلَّا يَخَافُ التَّفَاقَ، وَمَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ»

(٥) «صحيح البخاري» (١٨/١) ط السلطانية

أما كنا معكم نشهد الجمعات ونصلي الجماعات ونقف بعرفات ونحضر الغزوات ونؤدي معكم الواجبات!؟

فيقول لهم المؤمنون: بلى قد كنتم معنا: ﴿وَلَا تَكْفُرُ فَنَتَمَنَّوْا أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَعَرَّيْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّيْكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد]

قال ابن كثير رحمه الله: "قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم بالذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: أحرمت التوبة من وقت إلى وقت. وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأَمَانِي﴾ أي: قلت: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلت في هذا حتى جاء الموت ﴿وَعَزَّيْكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: الشيطان. قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار^(١). ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: إنكم كنتم معنا أي: بأبدانٍ لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك، فكنتم تراؤون الناس، ولا تذكرون الله إلا قليلاً. قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرهم، وكانوا معهم أمواتاً، ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز بينهم حينئذ^(٢)^(٣).

-فنسأل الله السلامة والعافية-

أيها العبد المؤمن، هذا جانب واحد من تلك الجوانب العظيمة التي تقع في يوم القيامة أخبرنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم وفصل القرآن شيئاً منها.

نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يتقبل منا أعمالنا، وأن يعيدنا من الكفر والشرك والشقاق والنفاق وسيئ الأخلاق، ونسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم. هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله.



(١) تفسير ابن جرير الطبري (٤٠٦/٢٢).

(٢) المرجع السابق (٤٠٤/٢٢).

(٣) وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٨/٨).



**الإيمان
بالحوض المورود**

المجلس الرابع والثلاثون^(١)

الإيمان بالحوض:

من الإيمان بالغيب ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بحوض النبي ﷺ حيث يكرم الله عبده ورسوله محمداً ﷺ في الموقف العظيم بإعطائه حوضاً واسع الأرجاء، مأؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء يمد من نهر الكوثر من الجنة كما أخبر النبي ﷺ.

تواتر أحاديث الحوض:

وقد ورد فيه أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر كما قال الناظم^(٢):
 مما تواتر حديث «مَنْ كَذَبَ» وَ «مَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتاً وَاحْتَسَبَ»
 وَ «رُؤْيَا» «شَفَاعَةً» وَ «الْحَوْضُ» وَ «مَسْحُ خُفَيْنِ» وَ هَذِي بَعْضُ
 وعدّها جماعة من العلماء نحو خمسين حديثاً عن رسول الله ﷺ، وقد ذكرت في هذه الأحاديث أوصافه وما يتعلق بأخباره وتُورد هنا ما تيسر منها.

ذكر جملة من أحاديث الحوض:

١- عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ قَالَ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»
 متفق عليه^(٣)

(١) كان في يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) البيتان عزاها الكتاني في نظم المتناثر إلى العلامة محمد التاودي في حاشيته على البخاري (زاد المجد الساري) ترجمه الزركلي في الأعلام (٦٢/٦) وقال: محمد التاودي بن محمد الطالبي بن محمد بن علي، ابن سوّدة المرّي الفاسي (١١١١-١٢٠٩) فقيه المالكية في عصره، وشيخ الجماعة بفاس.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٢) ومسلم (١٨٤٥)

٢- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ» متفق عليه وفي رواية لمسلم: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضِي...» وفي رواية له أيضا ذكره وزاد «...فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» (١)

٣- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، (وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ)، وَمَاؤُهُ أَبْيَضٌ مِنَ الْوَرِقِ [وفي رواية: مَاؤُهُ أَبْيَضٌ مِنَ اللَّبَنِ]، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا» متفق عليه (٢)

٤- وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، [وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ] وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي، وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا» متفق عليه (٣)

٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا. متفق عليه (٤)

٦- وَعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ [إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا

(١) رواه البخاري (٦٥٧٧) ومسلم (٢٢٩٩).

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) واللفظ له والرواية للبخاري وقوله (زواياها سواء) زيادة لمسلم.

(٣) رواه البخاري (١٣٤٤، ٤٠٤٢) - والزيادة له -، ومسلم (٢٢٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٩٣، ٧٠٤٨) ومسلم (٢٢٩٢).

زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ» رواه مسلم ^(١)

٧- وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ، وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرَّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَذِبُ عَنِّي كَمَا يَذِبُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا» رواه مسلم ^(٢)

٨- وَمُسْلِمٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: عَلَى قَتْلِي أَحَدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُودِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ...» الْحَدِيثُ قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ ^(٣).

٩- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ قَدَرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «تَرَى فِيهِ أَبَارِقَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» ولمسلم وابن ماجه «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتِي حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ، وَالْمَدِينَةِ، أَوْ كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ، وَعَمَانَ» ^(٤)

١٠- وَلَا أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ أَنَسِ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مَا بَيْنَ طَرْفِيهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، - أَوْ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ -» ^(٥)

١١- وَعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحِبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرَفَعُوا إِلَيَّ اخْتَلَجُوا دُونِي،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٤)

(٢) المرجع السابق (٢٢٩٥)

(٣) رواه مسلم (٢٢٩٦) وهو بنحوه - مع قول عقبة - عند البخاري (٤٠٤٢) وليس فيه تحديد المسافة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣) وابن ماجه (٤٣٠٤)

(٥) مسند أحمد (١٣٤٠٥) وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد

فَلَا قَوْلَنَ: أَي رَبِّ أَصِيحَابِي، أَصِيحَابِي، فَلْيَقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ» متفق عليه^(١)

١٢- وَعَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصَّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصَّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ» أخرجه الترمذي^(٢)

١٣- وَعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بَعْصَايَ حَتَّى يَرْفَضَ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَانَ» [أَوْ قَالَ: مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ أَوْ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ] وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَعْثُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ» رواه مسلم^(٣)

١٤- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بَعْدَ مَا بَيْنَ طَرْفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ التُّجُومُ» رواه مسلم^(٤)

١٥- وَعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» متفق عليه^(٥)

١٦- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم قَالَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، [وَأَلْيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالُ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأَنَا وَلَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٠٤)

(٢) تقدم في أحاديث الحوض (ص: ٢٣٧)

(٣) صحيح مسلم (٢٣٠١) وعبد الرزاق (٢٠٨٥٣) - وعنه أحمد (١٠٦/٣٧) - والزيادة منه.

(٤) رواه مسلم (٢٣٠٥) وفي (١٨٢٢) مختصرا

(٥) رواه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٢٢٨٩).

أَصْحَابِي، [فَ] يَقُولُ: [إِنَّكَ] لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ» متفق عليه (١)

١٧- وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَذَكَرَ الْحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ» متفق عليه (٢)

١٨- زاد مسلم -وهو في البخاري تعليقا-: فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: الْأَوَّانِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ: «تَرَى فِيهِ الْآيَةَ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ» (٣) وفي رواية للبخاري قال المستورد: لَكِنِّي سَمِعْتُهُ يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «تَرَى فِيهِ الْآيَةَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» (٤)

١٩- وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ -سَلْمَةُ بْنُ دِينَارٍ- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لِيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يَجَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»

٢٠- قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي الثُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ، لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: «فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» متفق عليه (٥)

٢١- وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ آيَلَةٍ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، [لَأَنْبِئْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ النَّجُومِ، وَلَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٩) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٧). والزيادة من رواية للبخاري رقم (٦٥٧٦)

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٢٢٩٨).

(٣) علقه البخاري (٦٥٩٢) بصيغة الجزم، ووصله مسلم (٢٢٩٨).

(٤) علقه البخاري (٦٥٩٢) بصيغة الجزم، ووصله مسلم (٢٢٩٨) والبخاري (٣٤٦٥) كلاهما عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيْعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَارِثَةَ، ... فذكر الحديث - فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: ... إلخ. ورواه زكريا الساجي - كما في المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٢٣٧) رقم (٣٢٦٢) - عن ابن بزيغ به بلفظ مسلم المذكور أعلاه. ورواه بكر بن بكار - كما في السنة لابن أبي عاصم (٧٣٠) - عن شعبة به بلفظ مسلم.

(٥) رواه البخاري (٦٥٨٣، ٦٥٨٤، ٧٠٥٠) ومسلم (٢٢٩٠)

اللَّبْنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ [إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غَرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» رواه مسلم وابن ماجه (١)

٢٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنِ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ التَّلَاجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبْنِ، وَلَا يَبْتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غَرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ» رواه مسلم (٢)

٢٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَيضًا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ» قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غَرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلْيَصِدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي. فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ؟» رواه مسلم (٣)

٢٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلِّتُونَ» (٤) عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى» علقه البخاري ووصله أبو عوانة في المستخرج. (٥)

(١) رواه مسلم (٢٨٤) وابن ماجه (٤٣٠٢) بسند واحد، والزيادة لابن ماجه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٧)

(٣) رواه مسلم (٢٤٧) ونحوه في (٢٤٩) وللبخاري (٢٣٦٧) ومسلم (٢٣٠٢) جملة الذود عن الحوض من طريق أخرى. وللبخاري (١٣٦) ومسلم (٢٤٧) من طريق أخرى جملة الوضوء.

(٤) يُحَلِّتُونَ - بفتح الحاء المهملة، وتشديد اللام، بعدها همزة مضمومة قبل الواو - أي: يطردون ويمنعون. انظر: فتح الباري (١١/٤٧٤).

(٥) رواه البخاري (٦٥٨٥) معلقا، فقال: وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَيْبَةَ بْنِ سَعِيدِ الْحَبْطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ يُونُسَ، عَنْ

٢٥- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا نَبِيَّتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آيَةُ الْحِجَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيرَابَانٍ مِنَ الْحِجَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عُمَانَ ^(١) إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» رواه مسلم ^(٢)

٢٦- وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَتَزَلْنَا مَزْزِلًا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرُدُّ عَلَيَّ الْحَوْضِ» قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُ مِائَةٍ أَوْ ثَمَانِ مِائَةٍ. رواه أبو داود ^(٣)

ابن شهاب، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ. ووصله يعقوب بن شيبه في مسند عمر بن الخطاب (ص: ٨٥) وأبو عوانة في المستخرج ط الجامعة الإسلامية (١٠١٦٤) - ومن طريقه الحافظ في تعليق التعليق (١٨٧/٥) -. وخولف فيه شبيب، فرواه ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ... فذكره. رواه البخاري (٦٥٨٦) وقال الدارقطني كما في التتبع (ص ١٢٣): قد خالف يونس جماعة منهم معمر، رواه عن الزهري عن رجل عن أبي هريرة ولو كان عن ابن المسيب لم يكن عنه الزهري ولصرح به. والله أعلم. ورواه شعيب وعقيل عن الزهري قال: كان أبو هريرة يحدث مرسلًا... قال: ولم يتابع يونس على سعيد. وقال الدارقطني: وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي عن الزهري عن أبي جعفر محمد بن علي عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبي هريرة اه. قلت: وطريق ابن أبي رافع رواه البخاري تعليقا عقب رواية ابن وهب المتقدمة. ووصلها يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (١/٣٦٠) وابن أبي عاصم في السنة (٧٦٩/مختصر) والطبراني في مسند الشاميين (١٧٠٨) وابن عبد البر في التمهيد (٢/٢٩٦ ط المغربية) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/١٠٨)، - ومن طريقه الحافظ في تعليق التعليق (٥/١٨٨) -. وانظر العلل للدارقطني (١٣٦٦).

(١) قال الشيخ محمد تقي العثماني في تكملة فتح الملهم (٤٧٧/١٠): ضبطه القاضي عياض بفتح العين، وتشديد الميم، وهي عَمَّانُ البلقاء، عاصمة الأردن اليوم، وجزم الحافظ في الفتح بأنه عُمَانُ بضم العين، وتخفيف الميم، وهو البلد المعروف بالخليج اليوم الذي عاصمته مسقط، وبذلك جزم البكري، قال: ويبدو أنه الأصح؛ لكون مسافة ما بين أيلة وعمَّان البلقاء قريبة، بخلاف المسافة بينهما وبين عُمَانُ مسقط اه. رواه مسلم (٢٣٠٠)

(٣) رواه أبو داود (٤٧٤٦) وأحمد (١٩٢٦٨) والحاكم في المستدرک (٢٥٦، ٢٥٧) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولكنهما تركاه للخلاف الذي في متنه من العدد والله أعلم اه. ووصحه شيخنا =

٢٧- وَعَنِ الصُّنَايِجِ الْأَحْمَسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ فَلَا تَقْتَتِلَنَّ بَعْدِي» رواه ابن ماجه ^(١)

٢٨- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَبْيَضَ، مِثْلَ اللَّبَنِ، آيِنْتُهُ عَدَدُ الْجُجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه ابن ماجه ^(٢)

٢٩- وفي سنن النسائي الكبرى عن عمرو بن مَرْءَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَرْءَةَ الْهَمْدَانِيَّ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ حُمْرَاءَ مُحْضَرَمَةٍ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟» قُلْنَا: يَوْمُ النَّحْرِ، قَالَ: «صَدَقْتُمْ، يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ شَهْرُكُمْ هَذَا؟» قُلْنَا: ذُو الْحِجَّةِ، قَالَ: «صَدَقْتُمْ، شَهْرُ اللَّهِ الْأَصَمِّ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ بَلَدُكُمْ هَذَا؟» قُلْنَا: الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قَالَ: «صَدَقْتُمْ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ، هَذَا أَلَا إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي، وَسُئِلُونَ عَنِّي فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ [أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالًا أَوْ نَاسًا، وَمُسْتَنْقِذٌ مِنِّي آخَرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا

الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٠٧) وتعقب الحاكم فقال: هو على شرط البخاري فقط؛ لأن طلحة بن يزيد ليس من رجال مسلم وقول الحاكم: "إنهما تركاه للخلاف في متنه من العدد". الأولى أن يقال: تركاه لأنهما لم يلتزما أن يخرج كل حديث صحيح. وقد ذكرت ذلك في آخر "الإلزامات للدارقطني" معزوًا إلى الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. اهـقلت: وطلحة بن يزيد ذكر الحافظ في التهذيب أن النسائي وثقه. اهـوتعقبه الشيخ الأرنؤوط في تحقيق السنن بأنه وهم في ذلك وقال إنه لم يقف على كلام النسائي. اهـقلت: وتوثيق النسائي لطلحة هذا موجود في السنن الكبرى عقب حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنن الكبرى (٢٦٨٩) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ...».

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٤٤) وإسناده صحيح

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣٠١) وابن أبي شيبة (٣١٦٨١) وغيرهما وفي سننه عطية راويه عن أبي سعيد، وهو ضعيف مدلس. والحديث حسنه الشيخ الألباني لشواهد في السلسلة الصحيحة (٣٩٤٩)

تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ»^(١)

٣٠- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي فَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ [وَالْحَوْضُ] مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَسَيَاتِي [أَقْوَامٌ] رِجَالٌ وَنِسَاءٌ بَأْيِيَّةٍ وَقَرَبٍ ثُمَّ لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئًا» رواه أحمد^(٢).

٣١- وفي رواية له عَنْ جَابِرِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ صلّى الله عليه وآله: «أَنَا عَلَى الْحَوْضِ أَنْظَرُ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ، فَيُؤَخِّدُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، قَالَ: فَيَقَالُ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» قَالَ جَابِرٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله: «الْحَوْضُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ - يَعْنِي عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ - وَكَيْرَانُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٣)

٣٢- وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله: «حَوْضِي مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ، لَهُ مِيزَابَانِ، إِحْدَاهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ فِضَّةٍ، أَنْبَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا» رواه الطبراني في الأوسط^(٤)

٣٣- وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضِ، حَوْضٌ أَعْرَضُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَبُصْرَى، فِيهِ عَدَدُ التُّجُومِ

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٤٠٨٤) وأحمد (٢٣٤٩٧) ومنه الزيادة وسنده صحيح. ورواه ابن ماجه (٣٠٧٥) - مع الزيادة - من طريق أخرى وسمى الصحابي "عبد الله بن مسعود" وفي سنده زافر بن سليمان، صدوق كثير الأوهام. والحديث أصله عن ابن مسعود في الصحيحين كما تقدم.

(٢) رواه أحمد (١٥١٢٠) والبزار (٢٩٧٥) وابن حبان (٦٤٤٩) بسند صحيح. والسياق لابن حبان والزيادة من مسند البزار والأولى لأحمد أيضا - وجاء عنده موقوف - ولكن له حكم الرفع كما لا يخفى.

(٣) رواه أحمد (١٥١٢١) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٣٨٤) وفي إسناده سفيان بن وكيع قال الحافظ: كان صدوقا، إلا أنه ابتلى بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. اهـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/٣٦٧): ... وفيه سفيان بن وكيع، وهو ضعيف. اهـ.

قَدْ حَانَ مِنْ فِضَّةٍ...» الحديث رواه الطبراني^(١)

٣٤- وفي المسند عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ أْبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، أَكْوَابُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُودًا صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الشَّعْبَةُ رُءُوسُهُمْ، الشَّحْبَةُ وَجُوهُهُمْ، الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، لَا يَفْتَحُ لَهُمُ السُّدُدُ، وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعَّمَاتِ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ»^(٢)

٣٥- وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتِي حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، عَرْضُهُ كَطُولِهِ، فِيهَا مِزْرَابَانِ يَنْثَعِبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرَقٍ وَذَهَبٍ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ [وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ]، فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ [تَنْزُو فِي أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ -] مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» رواه أحمد وابن حبان والحاكم^(٣)

٣٦- وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخَلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ». فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه وَاللَّهِ مَا أَوْلَيْكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالدُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الدَّبَانِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَإِنَّ رَبِّي قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ». قَالَ: فَمَا سَعَةُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ». يُشِيرُ بِيَدِهِ. قَالَ: «فِيهِ

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٦٧/٣) رقم (٢٦٨٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٩):.... وفيه زيد بن الحسن الأنماطي، قال أبو حاتم: منكر الحديث، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. اهـ وانظر: السلسلة الضعيفة (٤٩٦١)

(٢) رواه أحمد (٦١٦٢) وفي إسناده المُخَارِقُ بْنُ أَبِي الْمُخَارِقِ، مجهول. ويشهد للحديث حديث ثوبان الآتي. ولذا حسنه الألباني في ظلال الجنة (٣٣٧/٢)

(٣) رواه ابن حبان (٦٥٤٨) والسياق له وأحمد (١٩٨٠٤) وليس عنده (عرضه كطوله) وله الزيادة الأخيرة والبخاري (٣٨٤٩) وله الزيادتان الأخيرتان. والحاكم في المستدرک (٢٥٥) وعنده الزيادات الثلاث. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢١)

مَثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِصَّةٍ». قَالَ: فَمَا حَوْضُكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا» رواه أحمد وابن حبان^(١)

٣٧- وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه، فَقَالَ: مَا حَوْضُكَ الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «هُوَ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ^(٢) إِلَى بُصْرَى، ثُمَّ يُمِدُّنِي اللَّهُ فِيهِ بِكُرَاعٍ لَا يَدْرِي بَشَرٌ مِمَّنْ خُلِقَ أَيُّ طَرَفِيهِ»، قَالَ: فَكَبَّرَ عَمْرُ، فَقَالَ صلوات الله عليه: «أَمَّا الْحَوْضُ فَيَزِدْ حِمِّ عَلَيْهِ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ^(٣) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُورِدَنِي اللَّهُ الْكُرَاعَ فَأَشْرَبَ مِنْهُ» رواه ابن حبان^(٤)

٣٨- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَّ أَفْلَحَ، وَيُؤْتَى بِأَقْوَامٍ، فَيُؤَخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، فَيُقَالُ: مَا زَالُوا بَعْدَكَ يَرْتَدُّونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» رواه أحمد^(٥)

(١) رواه أحمد (٢٢١٥٦) واللفظ له وابن حبان مفرقا (٧٢٤٦، ٦٤٥٧).

(٢) في رواية غير ابن حبان «كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ إِلَى بُصْرَى».

(٣) في رواية الطبراني «يُقَاتِلُونَ».

(٤) رواه ابن حبان (٦٤٥٠) واللفظ له؛ ورواه بقي بن مخلد (١٥) في جزئه وابن أبي عاصم في السنة (٧١٥) والطبراني في المعجمين الكبير (١٧/ ٣١٢/١٢٦) والأوسط (٤٠٢) ومسند الشاميين (٢٨٦٠) والبيهقي في البعث والنشور (٢٧٤). ورواه أحمد (١٧٦٤٢) مختصرا من طريق أخرى.

(٥) رواه أحمد (٢٣٢٧) - وابنه عبد الله في زوائده على المسند- وأبو خيثمة في التاريخ (١٨١) وابن أبي عاصم في السنة (٧٧٣) وحسنه الألباني لغيره في السلسلة الصحيحة (٣٠٨٧) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤٤).

ذكر قصة سؤال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أبا سلام رضي الله عنه عن حديث الحوض:

٣٩- قال الإمام الترمذي رضي الله عنه حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ^(١) قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ ^(٢) قَالَ: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ ^(٣)، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَالِمِ اللَّخْمِيِّ ^(٤)، عَنْ ^(٥) أَبِي سَلَامٍ الْحَبَشِيِّ ^(٦)، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحُمِلْتُ عَلَى الْبَرِيدِ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ [سَلَّمَ وَ] قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ مَرْكَبِي الْبَرِيدُ، [وَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى رَجُلِي] [وَكَأَنَّتَ قَدْ أُصِيبَتْ رِجْلُهُ]، فَقَالَ [عُمَرُ كَأَلْمُتَوَجَّعٍ]: يَا أَبَا سَلَامٍ مَا أَرَدْتُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ وَلَكِنْ بَلَّغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ تُحَدِّثُهُ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْحَوْضِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تُشَافِهَنِي بِهِ، قَالَ أَبُو سَلَامٍ، حَدَّثَنِي ثَوْبَانُ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَالَ:

(١) هو: الإمام البخاري صاحب الصحيح.

(٢) هو: يحيى بن صالح الوحاظي، أبو زكريا، ويقال أبو صالح، الشامي دمشقي، ويقال الحمصي. ثقة روى له الجماعة إلا النسائي

(٣) ثقة روى له الجماعة إلا البخاري فروى له في الأدب المفرد.

(٤) العباس بن سالم: وثقه العجلي وأبو داود السجستاني كما في التهذيب (٢١٢/١٤) وقال البزار ليس به بأس؛ وجاء توثيقه من الراوي عنه أو من دونه في سند بقي بن مخلد. وذكره ابن حبان في الثقات (٢٧٦/٧) وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٧/٧) وقال سمع أبا إدريس ثم ترجم له مرة أخرى فقال عباس بن سلام بن أبي سلام الحبشي الشامي أخو معاوية عن جده أبي سلام وقال روى عنه محمد بن مهاجر. هو وتعبه الحافظ ابن عساكر في تاريخه (٢٦٥/٢٦) فقال: وهو وهم وهذا هو العباس بن سالم الذي تقدم ذكره ولا أعرف لمعاوية أخا إلا زيد بن سلام والله أعلم. هو وترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١١٧٣) وقال: روى عن أبي سلام الأسود صاحب أبي أمامة وثوبان. هو ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا..

(٥) في سند ابن ماجه عن العباس بن سالم الدمشقي قال: نُبِّئْتُ عَنْ أَبِي سَلَامٍ الْحَبَشِيِّ... فذكره. قلت ولعله تصحيف فالحديث رواه بقي بن مخلد - كما في كتاب الحوض والكوثر (١٩)- عن شيخ ابن ماجه فقال نا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: نا مَرْوَانَ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ سَالِمٍ - دِمَشْقِيٌّ تَبْتُ -، عَنْ أَبِي سَلَامٍ الْحَبَشِيِّ،... فذكره.

(٦) هو مطور الأسود الحبشي ويقال النوبي ويقال الباهلي، أبو سلام الدمشقي الأعرج، ثقة روى له الجماعة إلا البخاري فروى له في الأدب المفرد.

«[إِنَّ] حَوْضِي مِنْ عَدَنَ [أَبِينَ] ^(١) إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ ^(٢)، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وَرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» [فَقَامَ عُمَرُ [بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «هُمْ» ^(٣) الشُّعْتُ رُءُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعَّمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السُّدَدِ»

قَالَ [فَبَكَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ] ^(٤) وَقَالَ: لَكَيْتِي نَكَحْتُ الْمُتَنَعَّمَاتِ، وَفُتِحَ لِي السُّدَدُ، وَنَكَحْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَا جَرَمَ أَنِّي لَا أَعْسِلُ رَأْسِي حَتَّى يَشْعَثَ، وَلَا أَعْسِلُ نُؤْيِي الَّذِي يَلِي جَسَدِي حَتَّى يَتَسَخَّ. ^(٥)

(١) هذه الزيادة -والتي قبلها- من رواية الطيالسي. وهذه عند البيهقي في الشعب أيضا.

(٢) وفي رواية مروان عند ابن ماجه وغيره: «مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى أَيْلَةَ»

(٣) هذه الزيادة من رواية الطيالسي. والباغندي والبيهقي في الشعب.

(٤) من رواية مروان عند ابن ماجه.

(٥) الحديث مداره على محمد بن المهاجر عن العباس عن أبي سلام وهو مروى من طرق:

١- رواه الترمذي (٢٤٤٤) وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه (ص: ٣٧٤) - ومن طريقه تمام في فوائده (٥٧٣)

وابن منده في معرفة الصحابة (ص: ٣٦٠) - من طريق يحيى بن صالح؛

٢- وابن ماجه في سننه (٤٣٠٣) وبقي بن مخلد في الحوض والكوش (١٩) وحرث الكرماني في مسائله، ت فايز

حابس (١٠٨٥ / ٣) من طريق مروان بن محمد؛

٣- وأحمد بن حنبل في مسنده (٥٠ / ٣٧) رقم (٢٢٣٦٧) وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٠٨٨) - ومن طريقه

البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٣) - والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٦٣) - ومن طريقه ابن

عساكر في التاريخ (٢٦ / ٢٥٠) - وابن أبي الدنيا في الأولياء (٧) وفي التواضع والحمول (٣)؛ وإبراهيم الحربي

في غريب الحديث (٢ / ٨١٥) - مختصرا - والبيهقي في البعث والنشور (١٣٦) وابن عساكر في التاريخ (٦٠ /

٢٦٤) من طرق عن أبي عتبة إسماعيل بن عياش؛ -

٤- والرويات في المسند (٦٥٣) والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٧٣٧٤) - وعنه وعن غيره البيهقي في

البعث والنشور (١٣٥) - من طريق عبد الله بن يوسف التنيسي،

٥- واليزار في المسند (٤١٦٧) والطبراني في المعجم الأوسط (٣٩٦) ومسند الشاميين (١٤١١) والأوائل (١٩)

- وتمام في الفوائد (٥٧٤) - مع القصة لكن جعلها في آخره- من طريق أبي توبة الربيع بن نافع -بذكر المرفوع فقط دون القصة لكن ذكرها تمام في آخر الحديث-
- ٦- وأبو عروبة الحراني في الأوائل -المرفوع فقط مختصرا- (٩٩) -ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٢٦) / (٢٤٩) - قال حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار؛
- كلهم (يحيى بن صالح ومروان بن محمد وإسماعيل بن عياش، ومحمد بن يوسف والربيع وعمرو بن عثمان) قالوا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ، به.
- والزيادات الأولى والرابعة للحاكم والثانية للبيهقي والثالثة لتمام والباقي من مسند أحمد والطيالسي.
- قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ» وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، " وَأَبُو سَلَامٍ الْحَبَشِيُّ اسْمُهُ: مَمْطُورٌ وَهُوَ شَائِيٌّ ثِقَةٌ ا.هـ وهو المتقدم برقم (١٣)
- وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ بوجه من الوجوه متصلا بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن ثوبان وإسناده حسن محمد بن مهاجر ثقة والعباس بن سالم ليس به بأس، وأبو سلام مشهور.
- وقال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُجَرِّجَاهُ "
- وقال الطبراني: لَمْ يَرَوْهُ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَالِمٍ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ ا.هـ
- ٧- قلت: بل توبع: فالحديث رواه الباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٦٥) -ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٢١٦/٤٥) - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْفَرَجِ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَالِمٍ، به. لكن في إسناده أحمد بن الفرغ متكلم فيه وهو صالح في الشواهد والمتابعات.
- ٨- والحديث في العليل لابن أبي حاتم (٢١٢٨) قال: وسألتُ أَبِي عَنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ مُصْعَبُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ ابْنِ زَبْرِ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فِي الْحَوْضِ؟ قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: هَكَذَا رَوَاهُ مُصْعَبٌ؛ وَإِنَّمَا هُوَ: عَنْ أَبِي سَلَامٍ، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وقال أبي: لا أعرفه من حديث عبد الله بن العلاء بن زبر، ولكن رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ الْأَحْنَفِ، وَشَدَّادُ أَبُو مُحَمَّدٍ، وَعَبَّاسُ بْنُ سَالِمٍ، كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي سَلَامٍ، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فِي الْحَوْضِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ.
- ٩- وقد توبع العباس اللخمي؛ رواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤٥٩) وفي السنة (٧٠٦، ٧٤٩) حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، قَتْنَا صَدَقَةَ بْنَ خَالِدٍ، نَا زَيْدُ بْنُ وَقِيدٍ، حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، ثنا أَبُو سَلَامٍ الْأَسْوَدُ، به -بدون القصة-.

○ وخولف ابن أبي عاصم فقد رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٢٠٦) حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٤١٤) من طريق الحسن بن سفيان كلاهما (ابنا المعلى وسفيان) قالوا: ثنا هِشَامُ

ما ورد في إنكار عبيد الله بن زياد للحوض والرد عليه :

٤٠- عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه، أَنَّ زِيَادًا، أَوْ ابْنَ زِيَادٍ، ذُكِرَ عِنْدَهُ الْحَوْضُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَنَسًا، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْوَأَتُهُ غَدًا. فَقَالَ: مَا أَنْكَرْتُمْ مِنَ الْحَوْضِ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ عَجَائِزَ بِالْمَدِينَةِ لَا يُصَلِّينَ صَلَاةً إِلَّا سَأَلْنَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُورِدَهُنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم. رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن أبي

بُن عَمَّارٍ، ثنا صدقة، ثنا زيد بن واقد، ثنا أبو سلام الأسود، به -فأسقطا من سنده بسر بن عبيد الله-

○ ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٣٧/٩٩/٢) وفي مسند الشاميين (١٢٠٦) عن أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر ثنا صدقة بن خالد، عن زيد بن واقد، عن أبي سلام الأسود به.

١٠- ورواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤٦٠) وفي السنة (٧٠٧، ٧٤٧) وفي الأوائل (١٨٦) والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٦٤) من طريق سويد بن عبد العزيز، ثنا أبو محمد شداد الضري، عن أبي سلام، قال: بعثت إلي عمر بن عبد العزيز فقدمت إليه، فلما دخلت عليه قال لي: اذنه اذنه حتى كادت ركبتي تلزق بركبته قال: حدثني حديث ثوبان رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحوض. قلت: سمعت ثوبان رضي الله عنه، فذكره.

١١- ورواه الطبراني في مسند الشاميين (٩٠٤، ١٦٢٥) وابن المقرئ في المعجم (١٠٣٤) والأجري في الشريعة (٨٢٤، ١١١٨) من طريقين عن الوليد بن مسلم، ثنا يحيى بن الحارث الدماري، وشيبة بن الأحنف، قالًا: سمعنا أبا سلام الأسود، يحدث عن ثوبان، فذكره -أي المرفوع- مختصرا. ورواه الدولابي في الكنى والأسماء (١٥٥٧) من طريق مسلم بن عبد الله، أن أبا سلام، قال: حدثنا ثوبان، فذكره. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٤٣/١٠٠/٢) وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٤١٥، ١٤١٦) ثنا حفص بن عمر بن الصباح، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عبید الله بن عمرو، عن إسحاق بن راشد، عن الزهري، عن سليمان بن يسار، عن ثوبان، به مختصرا -المرفوع-

○ ورواه أبو نعيم أيضا (١٤١٦) حدثنا أبو عمرو بن حمدان قال: ثنا الحسن بن سفيان، ثنا عمرو الناقد، ثنا عمرو بن عثمان -وهو ضعيف-، عن عبید الله به.

○ وخالفهم أبو حاتم الرازي في سنده فقد رواه ابن أبي عاصم في السنة (٧١٠) قال حدثنا محمد بن إدريس -وهو الرازي أبو حاتم-، ثنا عبید الله بن جعفر، ثنا عبید الله بن عمرو، عن إسحاق بن راشد، عن الزهري، عن سليمان بن يسار، عن بعض من حدثه، عن ثوبان، به

○ ورجح أبو حاتم -كما في علل الحديث (٢١٦٠) لابنه- هذا الوجه وقال: أظن أنه أبو سلام الحبشي؛ لأن هذا الحديث لم يروه عن ثوبان إلا أبو سلام على هذا اللفظ؛ فأظن أنه هو اه.

(١) عاصم

٤١- وقال حميد، عن أنس رضي قال: "دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ الْحَوْضَ، فَلَمَّا رَأَوْنِي أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: قَدْ جَاءَكُمْ أَنَسُ، فَقَالُوا: يَا أَنَسُ مَا تَقُولُ فِي الْحَوْضِ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أَرَى أَمْثَالَكُمْ تَشْكُونَ فِي الْحَوْضِ، لَقَدْ تَرَكْتُ عَجَائِزَ بِالْمَدِينَةِ مَا تُصَلِّي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ إِلَّا سَأَلْتُ رَبَّهَا أَنْ يُورِدَهَا حَوْضَ مُحَمَّدٍ عليه رواه

(٢) الحاكم

٤٢- وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فِي مَجْلِسِهِ، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عَبِيدُ اللَّهِ بِنُ زِيَادٍ، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: مَا أَحَادِيثُ تُحَدِّثُهَا وَتُرَوِّبُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عليه لَا تَحِدُّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عز وجل؟ تُحَدِّثُ أَنَّ لَهُ حَوْضًا فِي الْجَنَّةِ قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ عليه وَوَعَدَنَا. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ. قَالَ: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ أُذْنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عليه يَقُولُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ جَهَنَّمَ» وَمَا كَذَبْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عليه.

(٣) عليه

٤٣- وقال أبو داود: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرَزَةَ رضي دَخَلَ عَلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ - سَمَاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ فِي السَّمَاطِ - فَلَمَّا رَأَاهُ عَبِيدُ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدِيَكُمْ هَذَا الدَّحْدَاحُ، فَفَهَمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَى فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ عليه، فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ: إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ عليه لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ، قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٨٨٩) وأبو يعلى (٣٣٥٥) وابن أبي عاصم في السنة (٦٩٨) واللفظ له، والبيهقي في البعث والنشور (١٥٧)، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة: إسناده صحيح على شرط مسلم. هـ. ورواه أحمد (١٣٤٠٥) من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أنس وعنه عن الحسن عن أنس.

(٢) رواه الحسين المروزي في زوائد الزهد (١٦٠٩) - ومن طريقه الآجري في الشريعة (٨٣٨) - والحاكم في المستدرک (٢٦٠) والبيهقي في البعث والنشور (١٥٨)، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة: (٢/٣٢١): إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات. هـ.

(٣) رواه أحمد (١٩٢٦٦) والحاكم في المستدرک (٢٥٨) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

الْحَوْضُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرَزَةَ: نَعَمْ «لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ مُغَضَّبًا»^(١)

٤٤- وأحمد في المسند بسند صحيح عن أَبِي سَبْرَةَ، قَالَ: كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ يَسْأَلُ عَنِ الْحَوْضِ، حَوْضِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ يُكَذِّبُ بِهِ، بَعْدَمَا سَأَلَ أَبَا بَرَزَةَ وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَعَائِدَ بْنَ عَمْرٍو وَرَجُلًا آخَرَ، وَكَانَ يُكَذِّبُ بِهِ، فَقَالَ أَبُو سَبْرَةَ: أَنَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ فِيهِ شِفَاءٌ هَذَا، إِنَّ أَبَاكَ بَعَثَ مَعِيَ بِمَالٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَقَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه فَحَدَّثَنِي مِمَّا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَلَى عَلَيَّ، فَكَتَبْتُ بِيَدِي، فَلَمْ أَزِدْ حَرْفًا، وَلَمْ أَنْقُصْ حَرْفًا، حَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ حَوْضِي، عَرْضُهُ وَطُولُهُ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ»^(٢)، وَهُوَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فِيهِ مِثْلُ التَّجُومِ أَبَارِيقُ، شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَشْرَبًا، لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا» فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: مَا سَمِعْتُ فِي الْحَوْضِ حَدِيثًا أَثْبَتَ مِنْ هَذَا فَصَدَّقَ بِهِ، وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ فَحَبَسَهَا عِنْدَهُ^(٣).

ذكر سعة الحوض:

في أحاديث الحوض المتقدمة بيان سعة حوضه رضي الله عنه. وفي الجمع بين الروايات المتعددة وتفسيرها يقول الحافظ ابن حجر رحمته الله:

١- وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ [فِي الصَّحِيحِينَ] «كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ» وَ"أَيْلَةَ" مَدِينَةٌ كَانَتْ عَامِرَةً وَهِيَ بِطَرْفِ بَحْرِ الْقُلُزْمِ مِنْ طَرْفِ الشَّامِ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ يَمُرُّ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ مِصْرَ فَتَكُونُ شَمَالِيَهُمْ وَيَمُرُّ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ عَزَّةَ وَعَظِيمًا فَتَكُونُ أَمَامَهُمْ وَيَجْلِبُونَ إِلَيْهَا الْمِيرَةَ مِنَ الْكُرْكِ وَالشُّوبِكِ وَغَيْرِهِمَا يَتَلَقَّوْنَ بِهَا الْحَاجَّ ذَهَابًا وَإِيَابًا وَإِلَيْهَا تُنْسَبُ الْعَقَبَةُ الْمَشْهُورَةُ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ التَّبَوِيَّةِ نَحْوُ الشَّهْرِ

(١) سنن أبي داود (٤٧٤٩).

(٢) وفي رواية لأحمد (٤٥٨/١١) «كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ - أَوْ قَالَ: صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ»

(٣) رواه الإمام أحمد (٦٥١٤) وأبو سبرة راويه عن عبد الله بن عمرو مجهول. كما في لسان الميزان ت أبي غدة

(٣٣٤)- وحديثه يصلح في الشواهد.

بَسِيرِ الْأَثْقَالِ إِنْ افْتَصَرُوا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى مَرَحَلَةٍ وَإِلَّا فَدُونَ ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ مِصْرَ عَلَى أَكْثَرِ مِنَ التَّصْفِ مِنْ ذَلِكَ ...

وَأَمَّا "صَنْعَاءُ" فَإِنَّمَا قُيِّدَتْ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ بِالْيَمَنِ اخْتِرَارًا مِنْ صَنْعَاءِ الَّتِي بِالشَّامِ ...

٢- وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ [في مسلم] أَيْضًا «كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ»

٣- وَفِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ [في مسلم] مِثْلُهُ لَكِنَّ قَالَ «عَدَنَ» بَدَلَ «صَنْعَاءَ»

٤- وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ [في مسلم] «أَبْعَدَ مِنْ أَيْلَةَ إِلَى عَدَنَ»

وَ"عَدَنَ" بِفَتْحَتَيْنِ بَلَدٌ مَشْهُورٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فِي أَوَاخِرِ سَوَاحِلِ الْيَمَنِ وَأَوَائِلِ سَوَاحِلِ الْهِنْدِ وَهِيَ تُسَامِتُ صَنْعَاءَ وَصَنْعَاءُ فِي جِهَةِ الْجِبَالِ

٥- وَفِي حَدِيثِ أَبِي دَرٍّ [في مسلم] «مَا بَيْنَ عُمَانَ إِلَى أَيْلَةَ»

وَ"عُمَانُ" بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ الثُّونِ بَلَدٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرَيْنِ (١)

٦- وَفِي حَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ (كذا: وصوابه برزة) عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ «مَا بَيْنَ نَاحِيَتِي حَوْضِي

كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»

وَهَذِهِ الرَّوَايَاتُ مُتَقَارِبَةٌ لِأَنَّهَا كُلُّهَا نَحْوُ شَهْرٍ أَوْ تَزِيدُ أَوْ تَنْقُصُ؛

وَوَقَعَ فِي رَوَايَاتٍ أُخْرَى التَّحْدِيدُ بِمَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ:

٧- فَوَقَعَ فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عِنْدَ أَحْمَدَ «كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ» (٢)

٨- وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ (كذا) «كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ» (٣)

٩- وَفِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ [عند الترمذي] «مَا بَيْنَ عَدَنَ وَعُمَانَ الْبَلْقَاءَ» (٤)

١٠- وَنَحْوُهُ لِابْنِ حِبَّانَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه.

وَ"عُمَانُ" هَذِهِ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ لِلْأَكْثَرِ وَحِكِي تَخْفِيفُهَا وَتُنْسَبُ إِلَى الْبَلْقَاءِ لِقُرْبِهَا مِنْهَا

وَ"الْبَلْقَاءُ" بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَهَا قَافٌ وَبِالْمَدِّ بَلَدٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ

(١) تقدم تعليق الشيخ محمد تقي العثماني عليه

(٢) هو في صحيح مسلم - وليس في المسند - كما تقدم.

(٣) ورد هذا من حديث حارثة في الصحيحين وأنس عند مسلم - كما تقدم - والذي في حديث جابر بن

عبد الله المتقدم: «مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ» وفي حديث جابر بن سمرة «كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ».

(٤) ورد هذا من حديث أبي سلام عن ثوبان المتقدم.

فلسطين.

١١- وَعِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ «مَا بَيْنَ بُصْرَى إِلَى صَنْعَاءَ أَوْ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ»^(١)

وَ "بُصْرَى" بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ بَلَدٌ مَعْرُوفٌ بِطَرَفِ الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الْحِجَازِ ...

١٢- وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عِنْدَ أَحْمَدَ «بُعْدَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَأَيْلَةَ»

١٣- وَفِي لَفْظِ «مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَعَمَّانَ»^(٢)

١٤- وَفِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ [عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ] «مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى بُصْرَى»

١٥- وَمِثْلُهُ لِابْنِ حِبَّانَ فِي حَدِيثِ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ.

١٦- وَفِي رِوَايَةِ الْحَسَنِ عَنِ أَنَسِ عِنْدَ أَحْمَدَ «كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ إِلَى أَيْلَةَ أَوْ بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ»

١٧- وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنِ مَاجَةَ «مَا بَيْنَ الْكُعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ»

١٨- وَفِي حَدِيثِ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ «كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ إِلَى بُصْرَى»

وَ "الْبَيْضَاءُ" بِالْقُرْبِ مِنَ الرَّبْدَةِ الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ

وَهَذِهِ الْمَسَافَاتُ مُتَقَارِبَةٌ وَكُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى نَحْوِ نِصْفِ شَهْرٍ أَوْ تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ قَلِيلًا أَوْ تَنْقُصُ. وَأَقْلُ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ:

١٩- مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ لِمُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ [عَنِ النَّبِيِّ ﷺ] قَالَ: «أَمَامَكُمْ

حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَدْرَحَ» [مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِسَنَدِهِ

كَمَا تَقَدَّمَ وَزَادَ: قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ، قَالَ قَرَيْتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

وَنَحْوُهُ لَهُ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لَكِنَّ قَالَ ثَلَاثَ لَيَالٍ.

وَقَدْ جَمَعَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ هَذَا الْإِخْتِلَافِ: ... - فَذَكَرَ أَقْوَالَ جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَالَ:-

(١) ورواه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق والحديث في صحيح مسلم أيضا بدون هذه الزيادة كما تقدم

(٢) رواه بهذا اللفظ أبو نعيم الحداد في جامع الصحيحين بمجذف المعاد والطرق (١٤١/١) ولفظه: «حَوْضِي مَا

بَيْنَ مَكَّةَ إِلَى عَمَّانَ زَوَايَاهُ سَوَاءٌ...»

• وَأَجَابَ التَّوَوُّيُّ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِي ذِكْرِ الْمَسَافَةِ الْقَلِيلَةِ مَا يَدْفَعُ الْمَسَافَةَ الْكَثِيرَةَ فَلَا كَثْرُ ثَابِتٍ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فَلَا مُعَارَضَةَ وَحَاصِلُهُ: أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ أَخْبَرَ أَوَّلًا بِالْمَسَافَةِ الْبَسِيفَةِ ثُمَّ أَعْلَمَ بِالْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ فَأَخْبَرَهُ بِهَا كَأَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِاتِّسَاعِهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَيَكُونُ الْإِعْتِمَادُ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى أطولها مَسَافَةً.

• وَتَقَدَّمَ قَوْلُ مَنْ جَمَعَ الْإِخْتِلَافَ: بِتَفَاوُتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ،

٢٠- وَرَدَّهٖ بِمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو «رَوَايَاهُ سَوَاءٌ»

٢١- وَوَقَعَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ التَّوَّائِسِ بْنِ سَمْعَانَ وَجَابِرِ وَأَبِي بَرَزَةَ وَأَبِي ذَرٍّ «طُولُهُ وَعَرْضُهُ سَوَاءٌ»^(١)

• وَجَمَعَ غَيْرُهُ بَيْنَ الْإِخْتِلَافَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِإِخْتِلَافِ السَّيْرِ الْجَطِيِّ وَهُوَ سَيْرُ الْأَثْقَالِ وَالسَّيْرِ السَّرِيعِ وَهُوَ سَيْرُ الرَّكَّابِ الْمُخَفِّ وَيُحْمَلُ رَوَايَةٌ أَقَلُّهَا وَهُوَ الثَّلَاثُ عَلَى سَيْرِ الْبَرِيدِ فَقَدْ عَهَدَ مِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ مَسَافَةَ الشَّهْرِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلَوْ كَانَ نَادِرًا جِدًّا.

وَفِي هَذَا الْجَوَابِ عَنِ الْمَسَافَةِ الْأَخِيرَةِ نَظَرٌ وَهُوَ فِيمَا قَبْلَهُ مُسَلَّمٌ وَهُوَ أَوْلَى مَا يُجْمَعُ

بِهِ.

• وَأَمَّا مَسَافَةُ الثَّلَاثِ [أَيِ الْوَارِدَةِ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو] فَإِنَّ الْحَافِظَ ضِيَاءَ الدِّينِ الْمُقَدِّسِيِّ ذَكَرَ فِي الْجُزْءِ الَّذِي جَمَعَهُ فِي الْحَوْضِ أَنَّ فِي سِيَاقِ لَفْظِهَا غَلَطًا وَذَلِكَ الْإِخْتِصَارُ وَقَعَ فِي سِيَاقِهِ مِنْ بَعْضِ رَوَاتِهِ

٢٢- ثُمَّ سَاقَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ فَوَائِدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْهَيْثَمِ الدَّيْرَعَاثُولِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ فَقَالَ «فِيهِ عَرْضُهُ مِثْلُ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ»^(٢)

قَالَ الضِّيَاءُ فَظَهَرَ بِهَذَا أَنَّهُ وَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ كَمَا بَيَّنَّ مَقَامِي

(١) تقدمت هذه الأحاديث سوى حديث النواس رضي الله عنه، ولم أفق عليه بهذا اللفظ، لكن رواه الحافظ عمر البجيرري - كما في الذيل على الحوض والكوثر (ص: ١٥٦) رقم (٨٤) - ومن طريقه الضياء المقدسي في المنتقى من مسامعات مرو (٩٣) ولفظه: «إن حوضي عرضه (وطوله) كما بين أيلة إلى عمان ...» الحديث. وفي سننه محمد بن إسحاق بن إبراهيم روى له ابن ماجه وهو متهم وقال ابن حجر: كذبوه والراوي عنه سليمان وهو الخبائري كذاب كما في الميزان (٢٠٩/٢).

(٢) لم أفق عليه.

وَبَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ فَسَقَطَ "مَقَامِي وَبَيْنَ"
وَقَالَ الْحَافِظُ صَلَاحُ الدِّينِ الْعَلَايِيُّ ...: بَيْنَهُمَا -أي قريتا جرباء وأذرح- غَلْوَةٌ
سَهُمٍ^(١) وَهُمَا مَعْرُوفَتَانِ بَيْنَ الْقُدْسِ وَالْكَرْكِ.

٢٣- قَالَ: وَقَدْ ثَبَتَ الْقَدْرُ الْمَحْدُوفُ عِنْدَ الدَّارِ قُطَيْبِي وَعَظِيمُهُ بِلَفْظِ «مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ
وَجَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ»^(٢)

٢٤- قُلْتُ: وَهَذَا يُوَافِقُ رِوَايَةَ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ بَنِ مَاجَةَ: «كَمَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ
الْمَقْدِسِ» ...

وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ رَجَعَ جَمِيعُ الْمُخْتَلِفِ إِلَى أَنَّهُ لِاخْتِلَافِ السَّيْرِ الْبَطِيءِ وَالسَّيْرِ السَّرِيعِ
أ.هـ.^(٣)

الحوض زواياه سواء:

ورد هذا في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زواياه سواء»، ووقع
أيضاً في حديث جابر وأبي برة وأبي ذر رضي الله عنهم «طوله وعرضه سواء» يعني: فهو مربع الأضلاع.

صفة مائه ورائحته:

في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مائه أبيض من اللبن». وفي رواية: «ومائه أبيض من الورد» يعني: من الفضة. وعند الطبراني في الأوسط عن البراء رضي الله عنه مرفوعاً: «... أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، من شرب منه لم يظمأ أبداً». ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه، قال: «... وسئل عن شربه فقال: «أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق» وفي المسند عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وهو أطيب ريحاً من المسك، وأشدُّ بياضاً من اللبن، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً»

(١) غلوة سهم: بفتح الغين المعجمة: غاية بلوغ السهم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) فتح الباري (٤٧٠/١١).

ولمسلم عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»

وله أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ» الحديث.

وَلَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «... يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، ... مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

وَلَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

وفي الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو «... وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ [وفي رواية: مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ]، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، ... فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»
ولأحمد في المسند عنه: «... شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ».

وعند ابن حبان وأحمد في حديث أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... فِيهَا مِزْرَابَانِ يَنْتَعِبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ وَذَهَبٍ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ»
ورواه أحمد وزاد «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرِبَهُ لَمْ يَظْمَأْ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ»
ورواه البزار والحاكم وزادا: «وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبَيْدِ»

ولأحمد وابن حبان في حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهَهُ أَبَدًا»

وفي الترمذي عن أَبِي سَلَامٍ، حَدَّثَنِي ثَوْبَانُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «... مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، ... مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرِبَهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وَرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ»

وفي المسند من حديث ابن عمر: «أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ». -رزقنا الله بفضله شربة منه لا نظماً بعدها أبدا-

كيزانه وأوانيه :

وهذا الحوض المبارك له كيزان وأباريق وأكواب عظيمة وكثيرة. وقد بين النبي ﷺ شيئاً من وصفها فقال ﷺ: كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه المتقدم: «وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا».

وقوله: «كَنُجُومِ السَّمَاءِ» يعني: في الكثرة، وقيل: في اللون فهي تضيء وتلمع كنجوم السماء.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «وَأَنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» وعن البراء بن عازب رضي الله عنه نحوه رواه الطبراني في الأوسط.

ولمسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ التُّجُومُ».

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه - في المسند -: «... وَكَيْزَانُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا»

ولمسلم - وهو في البخاري تعليقا -: في حديث المستورد رضي الله عنه: «تُرَى فِيهِ الْآيَةُ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ»

وفي رواية للبخاري: «تُرَى فِيهِ الْآيَةُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»
وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فِيهِ عَدَدُ التُّجُومِ قِدْحَانُ مِنْ فِضَّةٍ، ...» رواه الطبراني.

ولابن ماجه عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «... لَا يَنْبِئُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّجُومِ» وله عن أبي سعيد الخدري: «... أَنْبِئُهُ عَدَدُ التُّجُومِ» وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه - عند مسلم -: «... وَلَا يَنْبِئُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّجُومِ»

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه، - عند مسلم -: قال: قلت: يا رسول الله ما آية الحوض قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنْبِئُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِحَةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، ...»

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «... فِيهِ أَبَارِيقُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ» رواه مسلم.
ولأحمد في المسند عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «...
فِيهِ مِثْلُ التُّجُومِ أَبَارِيقُ».

ولابن حبان وأحمد والبخاري والحاكم عن أَبِي بَرَزَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «... فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ»

ورواه البخاري والحاكم وزادا «تَنْزُورُ فِي أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي الْآيَةَ-...»

الحوض موجود الآن:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ» - يعني: إني سابقكم
إلى الله جلَّ وعلا - قال: «وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا»^(١) وفي رواية: «وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ
إِلَى حَوْضِي الْآنَ»^(٢).

وهذا الخبر منه عنه (الصدقة والسلام) تصريحٌ بأن الحوض حقيقيٌّ على ظاهره، وأنه مخلوق،
موجود اليوم، فيجب الإيمان بما أخبر به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ رحمته الله: وَقَوْلُهُ «لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي» هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَكَأَنَّهُ كُشِفَ لَهُ عَنْهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ اهـ.^(٣)

مكان الحوض:

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مكان حوضه فقال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ
الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» رواه البخاري^(٤).

قال الشيخ ابن باز رحمته الله: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» يدل على أن حوضه هناك، وموضع
المسجد من حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال أيضا: المسجد من محال الحوض يوم القيامة؛ لأن الحوض طويل طوله مسيرة
شهر اهـ.^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٣) فتح الباري (٣/٢١١) و(١١/٤٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (١١٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (١/٣٦٠، ١١٥/٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: وهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده؛ لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض اهـ^(١)

وقال الحافظ رحمته الله: قَوْلُهُ «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» أَي: يُنْقَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْصَبُ عَلَى الْحَوْضِ؛ وَقَالَ الْأَكْثَرُ الْمُرَادُ مِنْبَرُهُ بِعَيْنِهِ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَهُوَ فَوْقَهُ وَقِيلَ الْمُرَادُ الْمِنْبَرُ الَّذِي يُوضَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ... وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ قَصْدَ مِنْبَرِهِ وَالْحُضُورَ عِنْدَهُ لِمَلَازِمَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِدُ صَاحِبَهُ إِلَى الْحَوْضِ وَيَقْتَضِي شَرْبَهُ مِنْهُ... اهـ^(٢)

وقوله: "والأول أظهر"، يؤيده ما رواه النسائي عن أم سلمة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ»^(٣)

وفي المسند عن سهل بن سعد رضي الله عنه أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ» قَالَ سَهْلٌ: وَالتُّرْعَةُ الْبَابُ.^(٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ»^(٥) وزاد في رواية: «... وَمَا بَيْنَ مِنْبَرِي وَحُجْرَتِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»^(٦)

أول الناس وروداً على حوضه :

أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أول الناس وروداً عليه وشرباً منه. كما في حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ: الشُّعْثُ رُؤُوسًا الدُّنْسُ ثِيَابًا، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُنْعَمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ الَّذِينَ يُعْطُونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَلَا يُعْطُونَ الَّذِي لَهُمْ»^(٧)

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١٥٧/٢)

(٢) فتح الباري (١٠٠/٤)

(٣) سنن النسائي (٦٩٦) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٥٠)

(٤) مسند أحمد (٢٢٨٤١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٧٩/٥)

(٥) رواه أحمد (٨٧٢١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨٠/٥) رقم (٢٣٦٣) وذكره شيخنا أبو عبد

الرحمن الوداعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١٢٩٢)

(٦) رواه أحمد (٩٣٣٨) وإسناده صحيح.

(٧) تقدم

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «... أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُودًا صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «السَّعِثَةُ رُؤُوسُهُمْ، الشَّجِبَةُ وُجُوهُهُمْ، الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، لَا يَفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ، وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ»^(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «الَّذِينَ يُعْطُونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ» معناه أنهم: يؤدون الحقوق التي عليهم كاملة خوفاً من الله وخشية.

وقوله: «وَلَا يُعْطُونَ الَّذِي لَهُمْ» أي: لقلة اهتمام الناس بهم، فلا يعطونهم حقوقهم كاملة، فيصبرون على ذلك. ومن عدم تقدير الناس لهم ما ذكر في الحديث أنهم «... لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ» أي لو خطبوا المتنعمات من النساء لم يجابوا ولو دقوا الأبواب واستأذنوا الدخول لم يفتح لهم ولم يؤذن. والمعنى: أنهم قائمون بفرائض الله جل وعلا، وقائمون بما أمرهم الله عز وجل به حتى لو كانوا ينتقصون من حقوقهم، وهذه فضيلة ظاهرة لهؤلاء الفقراء الذين خافوا الله وصبروا في الدنيا من أجل الله سبحانه.

فضل أهل اليمن:

وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَبِعُفْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ» فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(٢).
قال النووي رحمته الله: مَعْنَاهُ أَطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ عَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ لِيَرْفُضَ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ وَهَذِهِ كَرَامَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشَّرْبِ مِنْهُ مُجَازَةً لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ وَتَقَدُّمِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَالْأَنْصَارُ مِنَ الْيَمَنِ فَيَدْفَعُ غَيْرَهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَمَعْنَى «يَرْفُضُ عَلَيْهِمْ» أَي يَسِيلُ عَلَيْهِمْ أ.هـ.^(٣)

(١) أخرجه أحمد (٦١٦٢)

(٢) تقدم.

(٣) شرح النووي على مسلم (٦٢/١٥).

هل لكل نبي حوض؟

اختلف العلماء هل لكل نبي حوض خاص به أم أن الحوض خاص برسول الله ﷺ؟ وردت في ذلك أحاديث يُحسِّنُها بعض العلماء منها:

حديث الحسن، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً» رواه الترمذي وقال «هذا حديث غريب» وقد روى الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. (١)

وَعَنْ حُبَيْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَصْحَابًا مِنْ أُمَّتِهِ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ يَوْمَئِذٍ أَكْثَرَهُمْ كُلِّهِمْ وَارِدَةً، فَإِنَّهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ قَائِمٌ عَلَى حَوْضٍ مَلَانٍ، مَعَهُ عَصَا، يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ سِيْمَاءٌ يَعْرِفُهُمْ بِهَا نَبِيُّهُمْ» (٢).

وَعَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي حَوْضًا طَوَّلُهُ مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، آيِنْتُهُ عَدَدُ النَّجُومِ، فَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْفِتَامُ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْتِيهِ الْعُصْبُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ النَّفَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الرَّجْلَانِ وَالرَّجُلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ، فَيُقَالُ: قَدْ بَلَّغَتْ، وَإِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣). والمرسل رواه نعيم بن حماد كما في زياداته على الزهد لابن المبارك (١٢١/٢) وأبو

عمر السلمي في جزئه (١٠٣٧) من طريقين عن هشام بن حسان، عن الحسن به ورواه ابن أبي الدنيا كما في البداية والنهاية لابن كثير ط هجر (٤٦٩/١٩) عن حزم بن أبي حزم عن الحسن به

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٩/٧) رقم (٧٠٥٣)

(٣) رواه هشام بن عمار في حديثه (٥٩) وابن أبي الدنيا - كما في البداية والنهاية ط هجر (٤٥٩/١٩) - واللالكائي

في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١١٧) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٤٥/١) وأوله عند ابن ماجه في سننه (٤٣٠١) وليس فيه موضع الشاهد.

هَلْ فِيهِ مَاءٌ؟ فَقَالَ: «إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ فِيهِ لَمَاءٌ، إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَيَرُدُونَ حِيَاضَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ فِي أَيْدِيهِمْ عِصِيٍّ مِنْ نَارٍ، يَذُودُونَ الْكُفَّارَ عَنِ حِيَاضِ الْأَنْبِيَاءِ»^(١).

وهذا الأحاديث مفرداتها ضعيفة كما قال العلماء، وحسن الحديث بمجموعها جماعة من أهل العلم ومنهم: الحافظ المزي رحمته الله فقد قال صهره الحافظ ابن كثير رحمته الله - بعد أن ساق ماورد في الباب -: وقد أفتى شيخنا الحافظ المزي بصحته بهذه الطرق.^(٢) وكذلك صححه الشيخ الألباني رحمته الله.^(٣)

وقال الإمام عبد العزيز ابن باز رحمته الله: أسانيد ضعيفة، وفي بعضها إرسال، ولعلها تُحدث له أصلاً، فتكون من باب الحسن لغيره اه.^(٤) قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: ولكن نعلم أن حوضه عليه السلام أعظم الحياض وأكثرها وارداً اه.^(٥)

وقال الحافظ رحمته الله: وَإِنْ ثَبَتَ فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا عليه السلام الْكَوْثَرُ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِعَيرِهِ وَوَقَعَ الْإِمْتِنَانُ عَلَيْهِ بِهِ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ اه.^(٦) وقال الحافظ أيضا: وَالْحِكْمَةُ فِي الدَّوْدِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ عليه السلام يُرِيدُ أَنْ يُرْشِدَ كُلَّ أَحَدٍ إِلَى حَوْضِ نَبِيِّهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ «أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَأَنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ بِكَثْرَةِ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ» فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ إِنْصَافِهِ وَرِعَايَةِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ لَا أَنَّهُ يَطْرُدُهُمْ بُحْلًا عَلَيْهِمْ بِالْمَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ يَطْرُدُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الشُّرْبَ مِنَ الْحَوْضِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى اه.^(٧)

(١) رواه ابن أبي الدنيا - كما في البداية والنهاية ط هجر (١٩/٤٥٩) -. وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير

ابن كثير ت سلامة (٣/٢٤٣) -. وفي إسناده من لا يعرف، وقال ابن كثير: حديث غريب.

(٢) البداية والنهاية ط هجر (١٩/٤٦٩)

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١١٧) رقم (١٥٨٩).

(٤) مسائل الإمام ابن باز (ص: ٢٧٣) تقييد الشيخ عبد الله بن مانع.

(٥) الفصول في سيرة الرسول عليه السلام (ص ٣٨٩)

(٦) فتح الباري (١١/٤٦٧)

(٧) المرجع السابق (١١/٤٧٤)

نهر الكوثر:

ومما خصَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** به نبيه **ﷺ** الكوثر ونزل في ذلك سورة عظيمة، قال الله تعالى: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر].

الكوثر نهر في الجنة:

قال الْمُخْتَارُ بْنُ فُلْفُلٍ، عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَعْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةٍ» فَقَرَأَ: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر: ١-٣]. ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فِيَّ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي **عَزَّوَجَلَّ**، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ التُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَثَ بَعْدَكَ» رواه الإمام مسلم^(١)

تفسير ابن عباس **رضي الله عنهما** للكوثر:

روى البخاري في صحيحه عن هُشَيْمٍ، قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو بَشِيرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رضي الله عنهما**، قَالَ: «الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أَنَسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: «النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»^(٢) وقول سعيد بن جبير يبين أنه لا اختلاف بين قول رسول الله **ﷺ** وبين قول ابن عباس **رضي الله عنهما**.

ولعطاء بن السائب فيه إسناد آخر: قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ قَالَ: قَالَ لِي مُحَارِبُ بْنُ دِنَارٍ: مَا سَمِعْتَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، يَذْكُرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رضي الله عنهما**، فِي الْكَوْثَرِ؟ فَقُلْتُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ **رضي الله عنهما**: هَذَا الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، فَقَالَ مُحَارِبٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ،

(١) رواه مسلم (٤٠٠) وفي رواية له قَالَ: «نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي **عَزَّوَجَلَّ** فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضٌ»

(٢) صحيح البخاري (٦٥٧٨، ٤٩٦٦) ووهام الحاكم فخرجه في المستدرک (٣٩٧٩) وقال صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه!.

مَا أَقَلَّ مَا يَسْقُطُ لِابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلٌ، سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: لَمَّا أُنزِلَتْ ﴿ إِنَّا
 أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه: «هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي
 عَلَى جَنَادِلِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، شَرَابُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ
 الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» قَالَ: «صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، هَذَا وَاللَّهِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ»
 رواه أحمد وغيره ^(١)

وقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر أقوالاً أخرى: فقليل النبوة، وقيل القرآن، وقيل
 الإسلام، وقيل إنه التوحيد وقيل الشفاعة. ولا معدل عن تفسير رسول الله صلى الله عليه.

الحوض يمد من الكوثر:

كما في الحديث المتقدم: قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:
 «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 ...» فبين أن الخير الكثير هو الحوض الذي يمدُّ من نهر الكوثر بميزابين يصبان فيه كما
 في حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه المتقدم «... يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، ...»
 وتقدم أيضاً في حديث البراء بن عازبٍ رضي الله عنه «... لَهُ مِيزَابَانِ، إِحْدَاهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ
 مِنْ فِضَّةٍ، ...» رواه الطبراني في الأوسط.

قال شيخنا العلامة المحدث عبد المحسن العباد -حفظه الله- في شرح سنن أبي
 داود: وهذا يدل على أن الكوثر نهر في الجنة، وأن فيه حوضاً، وجاء في بعض الأحاديث
 الصحيحة بيان أن الحوض يصب فيه ميزابان من الجنة، وعلى هذا فيكون الكوثر في
 الجنة والحوض في عرصات القيامة، وهو يمد ويصل إليه الماء من ذلك النهر الذي في

(١) رواه أحمد (٥٩١٣) عن مؤمل عن حماد به ومؤمل ضعيف، لكنه قد تويع فقد رواه الحاكم في المستدرک
 (٦٣٠٨) قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن علي بن بكر العدل حدثنا! (كذا وصوابه حفدة) إبراهيم بن
 هانئ -وهو صدوق-، ثنا الحسن (كذا وصوابه الحسين) بن الفضل البجلي -وهو ثقة-، ثنا سليمان بن
 حرب، ثنا حماد به. وعطاء بن السائب في سنده وإن كان قد اختلط فإن سماع حماد منه كان قبل
 الاختلاط. والحديث رواه بقي بن مخلد في جزئه في الحوض (٣٨) نا ابن كاسب، قال: نا سليمان بن حرب
 عن حماد به. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٢٦) -بسنده صحيح- عن إسحاق بن حرب (كذا وصوابه
 سليمان بن حرب) عن حماد. والحديث رواه الترمذي (٣٣٦١) وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (٥٣٥٥) وغيرهم
 من طرق أخرى عن عطاء به.

الجنة. وعلى هذا فيكون الحوض شيئاً والكوثر شيئاً آخر وليس شيئاً واحداً، والكوثر هو الأصل والحوض فرع منه، والكوثر في الجنة والحوض إنما هو في عرصات القيامة، والماء الذي في الحوض جاء من الكوثر كما جاء في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ . ١. هـ

آنية الكوثر:

تقدم في حديث أنس رضي عنه، «آنيته عددُ التُّجُومِ»
وروى البخاري عن أبي عبيدة - وهو ابن عبد الله بن مسعود-، عن عائشة رضي عنها، قال: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ١ قَالَتْ: «نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مَجُوفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ التُّجُومِ»^(١)

حافتا الكوثر وطينته:

قال قتادة، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدَّرِّ الْمَجُوفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طَيْبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ»^(٢) وفي رواية: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ رضي عنه قَالَ: لَمَّا عَرَجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مَجُوفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ [الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكَ، ثُمَّ رَفَعَتْ لِي سِدْرَةٌ الْمُنتَهَى فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُورًا عَظِيمًا]»^(٣)

حافتا الكوثر من ذهب ومجراه على جنادل الياقوت والدر وصفة شرابه:

تقدم حديث ابن عمر رضي عنهما أنه قال: لَمَّا أُنزِلَتْ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي عَلَى جَنَادِلِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، شَرَابُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد^(٤)

(١) صحيح البخاري (٤٩٦٥)

(٢) رواه البخاري (٦٥٨١)

(٣) رواه البخاري (٤٩٦٤) والترمذي (٣٣٦٠) ومنه الزيادة

(٤) رواه أحمد (٥٩١٣) عن مؤمل عن حماد به ومؤمل ضعيف، لكنه قد توبع فقد رواه الحاكم في المستدرک

صفة القصر على الكوثر:

عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: «لَيْلَةَ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيهِ: ...فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ، وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا بَنِي، نِعْمَ الْإِبْنُ أَنْتَ، ...ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُو وَرَبْرَجِدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، ...الحديث^(١)

طيور الكوثر:

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا الْكُوْثَرُ؟ قَالَ: «ذَلِكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ - [ثَرَابُهُ الْمِسْكُ مَاؤُهُ] أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُرُزِ» قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَتَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكَلْتَهَا أَنْعَمَ مِنْهَا»^(٢)

(٦٣٠٨) قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن علي بن بكر العدل حدثناه! (كذا وصوابه حفدة) إبراهيم بن هانئ - وهو صدوق -، ثنا الحسن (كذا وصوابه الحسين) بن الفضل البجلي - وهو ثقة -، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد به. وعطاء بن السائب في سنده وإن كان قد اختلط فإن سماع حماد منه كان قبل الاختلاط. والحديث رواه بقي بن مخلد في جزئه في الحوض (٣٨) نا ابن كاسب، قال: نا سليمان بن حرب عن حماد به. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٢٦) - بسند صحيح - عن إسحاق بن حرب (كذا وصوابه سليمان بن حرب) عن حماد. والحديث رواه الترمذي (٣٣٦١) وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (٥٣٥٥) وغيرهم من طرق أخرى عن عطاء به.

(١) رواه البخاري (٧٥١٧)

(٢) رواه الترمذي (٢٥٤٢) من طريق القعني؛ وأحمد (١٣٤٨٥) حدثنا إبراهيم بن أبي العباس عن أبي أويس؛ وتمام في الفوائد (١٢٢٤) من طريق ابن أبي أويس عن أبيه. وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧٩، ١٤٤) من طريق معن بن عيسى؛ والبيهقي في البعث والنشور (٢٦٥) من طريق الدراوردي كلهم (القعني، ومعن، وأبو أويس، والدراوردي) عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه به. وقال الترمذي هذا حديث حسن. ورواه أحمد (١٣٤٧٥) - ومن طريقه الضياء في المختارة (٢٤٢/٦، ٢٢٥٨) - من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن عبد الله به. والزيادة منه. وعنده (قال أبو بكر) بدل عمر. وقال الألباني في صحيح السيرة (٢١٩): وهي منكرة. اهـ وقد تويع محمد بن عبد الله؛ رواه أحمد (١٣٤٨٠): حدثنا يعقوب؛ وفي (١٣٤٨٤) حدثنا إبراهيم بن أبي العباس وتمام في الفوائد (١٢٢٣) والخطيب في المتفق والمفترق (٨٠٠)

فتأمل أيها المحب لله ورسوله إذا كان طينه وترابه مسكاً أذفر فما بالك ببقيته وبأوصافه!! - نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يجعلنا ممن يشرب من حوض النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** شربةً لا نظماً بعدها أبداً-.

أناس يُدَادُونَ عن الحوض:

احذر أيها المؤمن فإن ثمة أناساً يأتون يوم القيامة يُدَادُونَ عن حوض رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أتدري من هم؟
إنهم أولئك الذين ارتدوا على أديبارهم، إنهم أولئك الذين تنكبوا الصراط وابتعدوا عن اتباع رسولنا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

قال نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - كما تقدم- من حديث ابن مسعود:
«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ رَجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لِيُخْتَلَجَنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ» متفق عليه.
وعن سهل بن سعد **رضي الله عنه** أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»^(١).

والضياء في المختارة (٢٤٢/٦/٢٢٥٩) من طريق ابن أبي أويس كلاهما (يعقوب وابن أبي العباس وابن أبي أويس) عن أبي أويس قال: أخبرني ابن شهاب، أن أخاه، أخبره، به. ورواه النسائي في السنن الكبرى (١١٦٣٩) عن ابن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم عن ابن شهاب عن أنس. وهذا مقلوب الذي قبله. والصواب ما تقدم وهذه رواية شاذة. ورواه الحاكم (٣٩٧٨) بسند صحيح عن عاصم بن علي عن أبي أويس به. وعنده الزيادة الأولى وعنده (قال أبو بكر) بدل عمر. وهي منكورة كما تقدم. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٤٢) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن مسلم به. ورواه ابن إسحاق في السيرة (ص ٢٧٢) - ومن طريقه هناد في الزهد (١٣٦)، والبيهقي في البعث (١٢٣) - حدثني جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن عبد الله بن مسلم الزهري به. والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٠).

وفي حديث أنس رضي عنه - في الصحيحين - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ»^(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤَخِّدُنِي نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟! وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ» فكان الراوي يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا. متفق عليه^(٢).

وأنا أقول كما قال: اللهم إني أعوذ بك أن أرجع على عقبي، أو أن أفتن عن ديني. وعن أبي هريرة رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَذُودَنَّ رِجَالًا عَنِ حَوْضِي كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ عَنِ الْحَوْضِ» متفق عليه^(٣).

«كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ» أي: كما تطرد الناقة الغريبة.

وفي حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيَحْلَتُونَ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى»^(٤).

وعن أبي هريرة أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمِرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَيَّ أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ثُمَّ إِذَا زُمِرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَيَّ أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ» رواه البخاري^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٣٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٧)، ومسلم (٢٣٠٢).

(٤) تقدم (ص ٢٩٨)

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

والمعنى: أن كثيراً سيُختَلَجُونَ دون حوض رسول الله ﷺ من أولئك الذين من صفاتهم: أنهم ارتدوا على أديبارهم يعني: وقعوا في الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا وأنهم لم يتبعوا رسول الله ﷺ في عقيدته وعبادته.

فاحذر -عبد الله- من الشرك ومن النفاق، واحذر من البدع والمُحدثات؛ فإن المرء لا يكون متبِعًا للنبي ﷺ حقًا إلا إذا سار على شرعته واتبع سنته ﷺ. أما أولئك الذي ارتدوا أو لم يتبعوه ﷺ فسيُحرَمون من حوضه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - نسأل الله السلامة والعافية-.

وجاء في الصحيحين عن ابن عباس **رضي الله عنهما** أنه سمع النبي ﷺ يخطب على المنبر ويقول: **«إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ - وفي رواية: إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ - حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا»** ثم قرأ النبي ﷺ: **﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَعَالِينَ ﴾** [الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [١٧٧] إِنْ نَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغَفَّرْتَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** [المائدة: ١١٧-١١٨] ^(١) وفي حديث جابر المتقدم أن النبي ﷺ قال: **«وَسَيَاتِي أَقْوَامٌ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ بِأَنِيَّةٍ، ثُمَّ لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئًا»** أي: من الحوض شيئًا.

وجاء أيضًا في سنن الترمذي عن كعب بن عُجرَةَ **رضي الله عنه** قال: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعَةٌ أَحَدُ الْعَدَدَيْنِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْآخَرُ مِنَ الْعَجَمِ فَقَالَ: **«اسْمَعُوا، هَلْ سَمِعْتُمْ؟ إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ [يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ] فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ يُوَارِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ،**

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠)

وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضِ»^(١)

وفي المسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَفْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرُدُّوهُ عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسِيرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقَهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا»^(٢)

فهذا إخبار من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الظلمة وأعاونهم لا يَرُدُّونَ الحوض.

نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا من أولئك

الذين يردون حوضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينالون شربة من حوضه لا يظمؤون بعدها أبداً.

لقاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الحوض:

وقد حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصبر عند حصول الأثرة وقال: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». وذلك في أحاديث كثيرة - تقدم ذكرها - ومنها:

حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه، - في الصحيحين - أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا؟ قَالَ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْصَارَ لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَكْتُبَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: «ذَلِكَ لَهُمْ مَا

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٩) والنسائي (٤٢٠٧) وأحمد (١٨١٢٦) والزيادة منه وقال الترمذي: هذا حديث

صحيح غريب. وصححه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤١)

(٢) مسند أحمد (١٤٤٤١) وصححه ابن حبان (١٧٢٣، ٤٥١٤) والحاكم (٢٦٥، ٨٣٠٢) وحسنه الشيخ مقبل في

الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٨٩٨).

شَاءَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ»، يَقُولُونَ لَهُ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(١)

وفي رواية - في الصحيحين -: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ» [قَالُوا: سَنَصْبِرُ] قَالَ أَنَسُ فَلَمْ نَصْبِرْ^(٢)
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَالَ لِلْأَنْصَارِ
«...إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٣)
وقال عليه الصلوة والسلام: «إِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا»^(٤)
وفي الباب: عن أبي سعيد الخدري والبراء بن عازب^(٥)

وقال له رجلٌ: يا رسول الله: اشفع لي عند الله يوم القيامة فقال له: «أَنَا فَاعِلٌ» فقال:
يا رسول الله: أين أجدك؟ أين أطلبك؟ قال: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصَّرَاطِ» قال:
فإن لم ألقك؟ قال: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ» قال: فإن لم ألقك؟ قال: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ
الْحَوْضِ؛ فَإِنِّي لَا أُحْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ»^(٦).

وختاماً يقول شمس الدين ابن القيم رحمه الله:

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال
ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال:

وَمِنْهَا: أَنْ وُرُودَ النَّاسِ الْحَوْضَ وَشُرْبَهُمْ مِنْهُ يَوْمَ الْعَطْشِ الْأَكْبَرِ بِحَسَبِ وُرُودِهِمْ سُنَّةَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشُرْبِهِمْ مِنْهَا،

فَمَنْ وَرَدَهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَشَرِبَ مِنْهَا وَتَضَلَّعَ وَرَدَ هُنَاكَ حَوْضَهُ وَشَرِبَ مِنْهُ وَتَضَلَّعَ،

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٣)

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤٧، ٤٣٣١) ومسلم (١٠٥٩) وله الزيادة

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١)

(٤) تقدم في هذا المجلس.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١١٥٤٧) و(١٨٥٨٢).

(٦) تقدم في أحاديث الحوض.

فَلَهُ ﷺ حَوْضَانِ عَظِيمَانِ: حَوْضٌ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ سُنَّتُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَحَوْضٌ فِي
 الآخِرَةِ، فَالشَّارِبُونَ مِنْ هَذَا الحَوْضِ فِي الدُّنْيَا هُمُ الشَّارِبُونَ مِنْ حَوْضِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ
 فَشَارِبٌ، وَمَحْرُومٌ، وَمُسْتَقِلٌّ، وَمُسْتَكْبِرٌ، وَالَّذِينَ يَدُودُهُمْ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ عَنْ حَوْضِهِ يَوْمَ
 القِيَامَةِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَدُودُونَ أَنفُسَهُمْ وَاتَّبَاعَهُمْ عَنْ سُنَّتِهِ وَيُؤْتِرُونَ عَلَيْهَا غَيْرَهَا؛
 فَمَنْ ظَمًا مِنْ سُنَّتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهَا شُرْبٌ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَشَدُّ ظَمًا
 وَأَحْرُّ كَبِدًا «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَشْرَبْتَ فَيَقُولُ: نَعَمْ وَاللَّهِ فَيَقُولُ:
 لِكَيْتِي وَاللَّهِ مَا شَرِبْتُ، وَاعْطَشَاهُ»^(١).

فَرِدْ أَيُّهَا الظَّمَانُ وَالْوَرْدُ مُمَكِّنٌ فَإِنْ لَمْ تَرِدْ فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ هَالِكٌ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رِضْوَانٌ يَسْقِيكَ شَرْبَةً سَيَسْقِيكَهَا إِذْ أَنْتَ ظَمَانٌ مَالِكٌ
 وَإِنْ لَمْ تَرِدْ فِي هَذِهِ الدَّارِ حَوْضَهُ سَتُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَ يَلْقَاكَ أَنْكَ^(٢)

نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يُعيدنا من الفتن، وأن يُثبتنا على دينه حتى نلقاه،
 ونسأله **جَلَّ وَعَلَا** أن يرزقنا شربةً من حوضه، لا نظماً بعدها أبداً،
 وأكتفي بهذا والله تعالى أعلم
 وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٠٩/٦): عَنِ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيِّ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَدَاوُعِ أُمَّتِي بَيْنَ الحَوْضِ وَالْمَقَامِ فَيَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ،
 فَيَقُولُ يَا فُلَانُ أَشْرَبْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَشْرَبْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ صُرِفَ
 وَجْهِي فَمَا قَدَرْتُ أَنْ أَشْرَبَ فَيَرْجِعُ» والفضل الرقاشي منكر الحديث.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥/٢)

الإيمان بالصراط

المجلس الخامس والثلاثون^(١)

الإيمان بالصراط:

من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالصراط، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصراط.

تعريف الصراط:

قال شيخ الإسلام: " وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم: ..."^(٢).

الإجماع على الإيمان بالصراط:

نقل غير واحد من العلماء إجماع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالصراط منهم: أبو الحسن الأشعري، وابن بطة العكبري، والقاضي عياض، والنووي، وشيخ الإسلام، وغيرهم^(٣).

ومستند ذلك أدلة كثيرة ومنها: تلك الآية العظيمة التي أقضت مضاجع السلف، وهي قول الله ﷻ: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم]. وقد سبقها قول الله ﷻ: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴾ [فوريك] لَنَحْشُرَنَّهُمُ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ [مريم]. - والحديث في هذه الآيات عن النار - أعاذنا الله وإياكم منها-، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ أي: وإن منكم إلا وارد النار.

(١) كان في يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) العقيدة الواسطية (ص: ٩٩).

(٣) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري (٢٨٦)، والشرح والإبانة لابن بطة (٢٠١) وإكمال المعلم

للقاضي عياض (٥٥٠/١)، وشرح النووي على مسلم (٢٠/٣)، والعقيدة الواسطية (ص: ٩٩)، مجموع الفتاوى

(١٩٩/٣).

قال قيس بن أبي حازم رحمته الله: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَاضِعًا رَأْسَهُ فِي حِجْرِ امْرَأَتِهِ، فَبَكَى فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟»، قَالَتْ: رَأَيْتُكَ تَبْكِي فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «إِنِّي ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ ﴿وَأَنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فَلَا نَدْرِي أَنْتَجُو مِنْهَا أَمْ لَا؟»^(١)

وقال مجاهد رحمته الله: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ: - فذكر هذه الآية-، قَالَ: «أَمَّا أَنَا وَأَنْتَ فَسَرِدْهَا، فَانظُرْ هَلْ نَصُدُّ مِنْهَا أَمْ لَا؟»^(٢)

وعن سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنِ الْحَسَنِ رحمته الله قَالَ: " كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا التَّقَوُّوا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: هَلْ أَتَاكَ أَنْتَ وَارِدٌ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: هَلْ أَتَاكَ أَنْتَ خَارِجٌ مِنْهَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: ففِيمَ الصَّحِاحُ إِذَا؟»^(٣).

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمته الله: فما أعظم خطرك يا أخي في هذه الصلاة، وفي غيرها من عملك، وما أولاك بالهم والحزن، والخوف والوجل فيها، وفيما سواها مما افترض الله عليك، إنك لا تدري: هل يقبل منك صلاةً قط، أم لا؟ ولا تدري: هل يقبل منك حسنةً قط، أم لا؟ وهل غفر لك سيئةً قط، أم لا؟ ثم أنت -مع هذا- تضحك وتغفل، وينفعك العيش، وقد جاءك اليقين: أنك وارد التار، ولم يأتك اليقين أنك صادر عنها، فما أحق بطول الحزن منك، حتى يتقبل الله منك؟ ثم -مع هذا لا تدري، لعلك لا تصبح إذا أمسيت، ولا تسمي إذا أصبحت، فمُبَشَّرٌ بالجنة، أو مُبَشَّرٌ بالنار. هـ^(٤)

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٧٩) - ومن طريقه الطبري في «جامع البيان ط هجر» (١٥ / ٥٩٤) والحاكم (٨٧٤٨) - قَالَ: أَرْنَا ابْنَ عُيَيْنَةَ، عَنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ قَيْسٍ، بِهِ وَفِي الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ لِابْنِ الْمُبَارَكِ - ط الأَعْظَمِيِّ - (٣٠٩) ومن طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٢٨ / ١٠٦) - عَنْ عَبْدِ الْمُنْقَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرِّيُّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] ذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى بَيْتِهِ فَبَكَى، فَجَاءَتِ امْرَأَتُهُ فَبَكَتْ، ... فذكر نحوه. ورواه ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام ت السقا (٢ / ٣٧٣)؛ ومن طريقه الطبري في التاريخ (٣ / ٣٧) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٧) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ١١٨) - عن عروة بن الزبير ... قال: فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَنْ وَدَّعَ مِنْ أَمْرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَكَى، فَقَالُوا: مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ؟ ... فذكره نحوه.

(٢) رواه الحسين المروزي في زوائده على ابن المبارك في الزهد والرقائق ط الأعظمي (١٤١٨) والطبري في تفسيره ط هجر (١٥ / ٥٩٨) وسنده صحيح.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧ / ١٨٧) وانظر: «التخويف من النار لابن رجب/ بشير عيون» (٢٤٥)

(٤) رسالة «الصلاة» (ص: ١١٢) وانظر: «الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه» (٥ / ٥١٠)

تواتر أدلة الإيمان بالصراط:

قال شيخ الإسلام رحمته الله: فَأَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ وَالصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالرُّؤْيَا وَقَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ الْمَعْنَى وَإِنْ لَمْ يَتَوَاتَرَ لَفْظٌ بِعَيْنِهِ ... وَعُلَمَاءُ الْحَدِيثِ يَتَوَاتَرُ عِنْدَهُمْ مَا لَا يَتَوَاتَرُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ... إلخ اهـ. (١)

صفة الصراط:

قال القاضي عياض رحمته الله: والسلف مجمعون على حملة على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته، وهو الجسر، كما جاء في الحديث الآخر، ويُقال بكسر الجيم وفتحها اهـ. (٢)

الصراط دحض مزلة:

وقد جاءت السنة ببيان صفة هذا الصراط، وفيها: أن الصراط زلُّق؛ ففي الصحيح أن النبي صلوات الله عليه قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ فَقَالَ صلوات الله عليه: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ...» (٣). وقوله: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ» بمعنى واحد (٤). و«مَزَلَّةٌ» بفتح الميم وكسر الزاي ويجوز فتحها وتشديد اللام - أي موضع الزلزل... (٥). وتقدم هذا الحديث في أبواب الشفاعة.

الصراط له جنبتان:

وبين عليه الصلاة والسلام أن للصراط جنبتين أو أن له حافتين: كما في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما - وتقدما معنا في أبواب الشفاعة: - قال النبي صلوات الله عليه: «... فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صلوات الله عليه، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَيْ الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَكُمْ كَالْبَرْقِ...» الحديث (٦)

(١) «مجموع الفتاوى» (٦٩/١٨) وبنحوه في (١٢/١٩)

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٥٠/١)

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) ينظر: "غريب الحديث للخطابي" (٢٤٧/٢)

(٥) فتح الباري (٤٢٩/١٣).

(٦) أخرجه مسلم (١٩٥) عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما. وخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٨٧٤٩)

وصححه على شرطهما. وتعقبه شيخنا الوداعي في تحقيق المستدرک.

وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنْبَتَا الصَّرَاطِ تَقَادَعُ الْفَرَّاشِ فِي النَّارِ»، قَالَ: «فَيُنْبِجِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ»، قَالَ: «ثُمَّ يُؤَذَّنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالتَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ وَمَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ» (١)

قال ابن الأثير رحمته الله: «جَنْبَتَا الصَّرَاطِ تَقَادَعُ الْفَرَّاشِ فِي النَّارِ» أي: تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض، وتقادع القوم: إذا مات بعضهم إثر بعض وأصل القدع: الكف والمنع أي: تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض (٢) نسأل الله السلامة والعافية.

لحافتي الصراط كلاليب وخطاطيف وحسكة :

ولحافتي الصراط كلاليب كما سبق في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجُسْرُ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَّاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ» (٣).
وَقَوْلُهُ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ» تقدم قريبا بيانه.

وَقَوْلُهُ «عَلَيْهِ خَطَّاطِيفٌ» هو جمع خَطَّافٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْحَدِيدَةُ الْمُعْوَجَّةُ كَالْكَلُوبِ يَخْتَطِفُ بِهَا الشَّيْءَ.

وَقَوْلُهُ «وَكَلَالِيبٌ» جمع كَلُوبٍ يَفْتَحُ الْكَافَ وَهُوَ حَدِيدَةٌ مُعْطُوفَةٌ الرَّأْسِ يَلْقُ عَلَيْهِهَا اللَّحْمَ، وَقِيلَ: الْكَلُوبُ الَّذِي يَتَنَاوَلُ بِهِ الْحَدَادُ الْحَدِيدَ مِنَ النَّارِ، -وقيل-: هُوَ الْمُعْقَفُ الَّذِي يَخْطِفُ بِهِ الشَّيْءَ. (٤)

وقوله: «وَحَسَكَةٌ» يَفْتَحُ الْحَاءَ وَالسِّينَ الْمُهِمَلَتَيْنِ نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرٌ خَشِنٌ يَتَعَلَّقُ بِأَصْوَابِ الْغَنَمِ وَرُبَّمَا اتَّخَذَ مِثْلَهُ مِنْ حَدِيدٍ وَهُوَ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ.

وَقَوْلُهُ «مُفْلَطْحَةٌ» بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَهَا طَاءٌ ثُمَّ حَاءٌ مُهِمَلَتَانِ وَهُوَ الَّذِي فِيهِ اتَّسَاعٌ وَهُوَ عَرِيضٌ يُقَالُ فَلَطَحَ الْقُرْصَ بَسَطَهُ وَعَرَّضَهُ.

(١) أخرجه أحمد (٢٠٤٤٠) وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٨٣٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣٠/١٢٦/٢٥ و١٢٦/٢٥ و١٣٠).

وَقَوْلُهُ «عَقِيفَةً» بِالْقَافِ ثُمَّ الْقَاءِ وَزُنْ عَظِيمَةً وَلِبَعْضِهِمْ «عُقَيْفَاءُ» بِصِيغَةِ التَّصْغِيرِ مَمْدُودٌ. وَهِيَ الْمُنْعَطِفَةُ الْمَوْجِعَةُ. (١)

وفي حديث آخر -تقدم معنا في أبواب الشفاعة-: قال النبي ﷺ: «... فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقُ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحُ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرُ، وَشَدَّ الرَّجَالُ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيِّكُمْ فَأَتَمَّ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ، حَتَّى تَعَجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ» (٢).

يعني: يعبر على هذا الصراط إلى الجنة أقوامٌ فيخطفون ويُلقون في نار جهنم -نسأل الله السلامة والعافية-. ومنهم: أهل النفاق -كما تقدم معنا (٣)- أن الله عزَّ وجلَّ يُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ نُورًا بِقَدْرِ عَمَلِهِ، فَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَنْطَفِئُ عَلَيْهِ النُّورُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيُقَدَّفُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وجاء أيضًا في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظِيمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِي بَعْمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّى يُنَجِّي» (٤). فالمقصود بذلك التقريب، أما تلك التي تكون يوم القيامة فالله عزَّ وجلَّ أعلم بقدرها. والمقصود: أن الصراط عليه كلاليب وعليه خطاطيف تختطف من أمرت بخطفه.

فيا أيها العبد المؤمن: إذا أردت النجاة من هذه الأهوال يوم القيامة فعليك بإصلاح عملك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾

(١) ينظر: فتح الباري (١٣/ ٤٢٩)، عمدة القاري (٢٥/ ١٢٦ و ١٢٩ و ١٣٠).

(٢) تقدم.

(٣) في المجلس الثالث والثلاثين.

(٤) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَحَدًا ﴿١﴾ [الكهف] من كان يرجو لقاء الله أي: من كان يرجو أن يرى الله يوم القيامة، ويدخل الجنة فعليه بإصلاح عمله في الدنيا، وإلا فالمرور على الصراط ليس بالأمر الهين.

الصراط أحد من السيف:

وجاء أيضًا وَصَفُ الصَّراطِ بأنه أَحَدٌ من المَوْسَى أو أَحَدٌ من السَّيفِ: كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قَالَ: «بَلَّغْنِي أَنَّ الحِيسَرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(١)

ورود ذلك في بعض الأحاديث الضعيفة المرفوعة كما في حديث عائشة المتقدم قريبا وفيه «وَلَجَهَتَمَ حِيسْرًا أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(٢). وفي حديث الصور الطويل المشهور «وَيُضْرَبُ بِالصَّراطِ بَيْنَ ظَهْرَائِي جَهَنَّمَ، كَحَدِّ الشَّعْرَةِ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ لَهُ كَلَالِيْبٌ وَحَطَّاطِيْبٌ»^(٣). وفي شعب الإيمان للبيهقي - وضعفه - عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّ عَلَى جَهَنَّمَ حِيسْرًا أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(٤).

لكن صح عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه أنه قَالَ: «يُوضَعُ الصَّراطُ وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ المَوْسَى فَتَقُولُ المَلَأِيكَةُ: رَبَّنَا مَنْ نُحْيِزُ عَلَى هَذَا، فَيَقُولُ: أُجِيزَ عَلَيْهِ مَنْ شِئْتُ»^(٥)

(١) صحيح مسلم (١٨٣).

(٢) مسند أحمد (٣٠٢/٤١) رقم (٢٤٧٩٣). وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده ضعيف. وانظر: فتح الباري (٣٦٨/١١)

(٤) شعب الإيمان (٣٦١)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤١٩٥) وسنده صحيح. ورواه الحاكم في المستدرک (٨٧٣٩) من طريق المسيب بن زهير عن هديبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان به مرفوعا. وقال: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ". وتعقبه الشيخ الألباني فقال: وفيه نظر، فإن هديبة بن خالد وإن كان من شيوخ مسلم، فإن الراوي عنه المسيب بن زهير لم أر من وثقه، وقد ترجم له الخطيب (١٣ / ١٤٩) وكناه أبا مسلم التاجر، وذكر أنه روى عنه جماعة، وأنه توفي سنة (٢٨٥)، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. وقد رواه الآجري في " الشريعة " (٣٨٢) عن عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن سلمة به موقوفا على سلمان. وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي. وهو متوجع معاذ - وهو العنبري - على وقفه رواه أيضا أسد بن موسى - كما في الزهد (٦٦) له -، والحسن بن موسى - عند ابن أبي شيبة في المصنف -، وأبو نصر التمار - عند ابن أبي الدنيا - كما في البداية والنهاية ط هجر (٢٠ / ١١٠) -

وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «والصَّراطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزَلَةٌ»^(١). وفي رواية: «يُوضَعُ الصَّراطُ عَلَى سَوَاءِ جَهَنَّمَ مِثْلَ حَدِّ السَّيْفِ المُرْهَفِ، مَدْحَضَةٌ مَزَلَةٌ...» الحديث^(٢)

الورود على الصراط من الأهوال العظيمة :

والورود على الصراط من الأهوال العظيمة يوم القيامة. وقد تقدم معنا في الحديث عن الميزان ما روي عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: ... فذكر الميزان وتطاير الصحف ثم قال: وَعِنْدَ الصَّراطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ» وفي إسناده ضعف^(٣). ومما يدل على هوله أوصافه المتقدمة، وكذا ما جاء من وقوف المرسلين وغيرهم على الصراط ودعائهم للمارين بالنجاة كما سيأتي.

دعاء المرسلين عليهم السلام وأتباعهم عندما يضرب الصراط :

وجاء في الحديث أن الرسل عليهم السلام وأتباعهم يقفون ويدعون بالسلامة والنجاة. ففي حديث أبي هريرة، رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «... فَيُضْرَبُ الصَّراطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلَ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ...» متفق عليه وفي رواية للترمذي وأحمد: «... فَيَقُومُ المُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصَّراطُ، فَيَمْرُونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الحَيْلِ وَالرَّكَّابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ...»^(٤)

واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٢٢١)؛ والأسود بن عامر - عند ابن الأعرابي في المعجم (١٨٢٧) - كلهم (أسد والحسن بن موسى والتمار، والأسود) عن حماد به موقوفا. وله حكم الرفع كما تقدم وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٤١).

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨) والحاكم (٣٤٤٤) وقواه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢٠/٢) بحديث سلمان المتقدم. وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٤١٩/٣)

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠٣/٩) رقم (٨٩٩٢) عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه. وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) من طريق الحسن عن عائشة وهو لم يسمع منها وانظر: ضعيف الترغيب (٢١٠٨).

(٤) صحيح البخاري (٨٠٦) وصحيح مسلم (١٨٢) ورواية الترمذي في سننه (٢٥٥٧) ومسنده أحمد (٨٨١٧) وإسنادها صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٣٠/٢) رقم (٨٠٢٥) وفي تخريج الطحاوية (٥٧٦)

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «... حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﷻ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارْقَنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَدِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْحِجْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْحِجْرُ؟ قَالَ: «دَحْضُ مَزَلَّةٍ...» الحديث ^(١).

وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الثعمان بن سعد، عن المغيرة بن شعبة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شِعَارُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الصَّرَاطِ، رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ» وإسناده ضعيف لكن يشهد له ما قبله ^(٢).

قال الحافظ: «وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ هَذَا الْكَلَامِ شِعَارَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْطِقُوا بِهِ بَلْ تَنْطِقُ بِهِ الرُّسُلُ يَدْعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالسَّلَامَةِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ شِعَارًا لَهُمْ فَبِهَذَا تَجْتَمِعُ الْأَخْبَارُ» ^(٣)

نبينا ﷺ قائم على الصراط يدعو للمارين بالسلامة:

وفي حديث أبي هريرة، وحذيفة رضي الله عنه، - في صحيح مسلم - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَيْ الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ ... ثُمَّ كَمَرِ الرِّيْحِ، ثُمَّ كَمَرِ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرَّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا

(١) تقدم (ص: ٢٠٠)

(٢) سنن الترمذي (٢٤٣٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ». وانظر: السلسلة الضعيفة (١٩٧٣).

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٥٢)

يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا...»^(١). ومر معنا حديثُ النَّضْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصَّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصَّرَاطِ؟ قَالَ: «فَأَطْلُبُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَأَطْلُبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أَخْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ»^(٢). وهذا يدل على أن هذه المواطن الثلاثة مواطنٌ عظيمة. وفي حديث آخر يقول النبي صلی الله علیه و آله: «إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ الصَّرَاطِ»^(٣)

وهذا يدلُّ أيضًا على عَظَمِ هذا الموقفِ الذي يحتاج فيه الإنسان إلى عمله الصالح.

الملائكة يدعون أيضا للمارين بالسلامة :

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلی الله علیه و آله قَالَ: «لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَلَالِبٌ وَخَطَاطِيفٌ تَخْطِفُ النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجِنْبَتَيْهِ مَلَائِكَةٌ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ...»^(٤)

وفي المسند عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَذْكُرُ الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ صلی الله علیه و آله: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا عِنْدَ ثَلَاثِ فَلَا، ... فذكر الحديث وفيه: وَلِحِثَمَمِ جِسْرٍ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلَالِبٌ وَحَسَكٌ يَأْخُذُونَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالظَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَّابِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمُخْذَوِّشٌ مُسَلِّمٌ، وَمُكْوَرٌّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»^(٥)

(١) تقدم.

(٢) تقدم في أحاديث الحوض.

(٣) تقدم (ص: ١٦٧). وقوله: «أَنْتَظِرُ أُمَّتِي» قال السندي: الظاهر أن المراد بهذه الأمة من لا حساب عليهم، فأذن لهم في الدخول إلى الجنة أ.هـ.

(٤) أخرجه أحمد (١١٢٠١، ١١٢٠٢) وأبو يعلى (١٢٥٣) والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٦٤)، وابن حبان (٧٣٧٩)

والحاكم (٨٧٣٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم أ.هـ. قلت: الحديث إسناده صحيح، وهو من طريق عثمان بن غياث عن أبي نضرة، وهو بهذا السياق ليس على شرط مسلم، وينظر: تحقيق المسألة في بيان شرط الشيخين في السلسلة الصحيحة - بما لا تكاد تجده في مكان آخر - (٦٦ / ٣).

(٥) مسند أحمد (٣٠٢ / ٤١) رقم (٢٤٧٩٣). وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة.

وفي المستدرک عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: ٧١] قَالَ: «الصَّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ فَتَمُرُّ الطَّائِفَةُ الْأُولَى كَالْبَرْقِ، وَالثَّانِيَةُ كَالرَّيْحِ، وَالثَّلَاثَةُ كَأَجْوَدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعَةُ كَأَجْوَدِ الْإِبِلِ وَالْبَهَائِمِ، ثُمَّ يَمُرُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(١)

المشركون يقعون في النار قبل الصراط:

قال الحافظ زين الدين عبد الرحمن ابن رجب رحمته الله: فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط إنما يقعون في النار قبل وضع الصراط. اهـ ودليل ذلك ما تقدم في المجلس الثالث والثلاثين في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الله يجمع الناس يوم القيامة، فيقول: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيَتِ، وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا،... فذكر الحديث ... قال فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ...^(٢)

وفي حديث أبي سعيد «... إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَدْنَى مُؤَدَّنٍ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَقَاجِرٍ وَعُغْبَرٍ أَهْلِ الْكِتَابِ... فذكر الحديث وفيه: ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ...»^(٣)

قال ابن رجب رحمته الله: فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله، كالمسيح وعزير من أهل الكتاب، فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فتزد النار مع معبودها أولاً، ... ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها، ثم

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٣٤٢٣) أخرجه من طريق عمرو بن طلحة القنّاد، أبنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، به ورجاله ثقات، وقال الحاکم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» اهـ وفيه نظر: فإن البخاري لم يخرج لعمر بن حماد بن حماد بن طلحة.

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

يتميز المنافقون على المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم المؤمنين ا.هـ^(١)

صفة الورود على الصراط:

اختلف العلماء رَحْمَهُمُ اللَّهُ تعالى في صفة هذا الورود، وأصح الأقوال - إن شاء الله - هو: قول من قال من العلماء أن الورود هنا المراد به: العبور على الصراط يوم القيامة أو هو دخول عبور وذلك بالنسبة للمؤمن^(٢). كما في صحيح الإمام مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ رضي الله عنها: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاثْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ﴿فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾﴾ [مريم]^(٣)

قال أبو العباس القرطبي رحمته الله: وحاصل ما فهمت - أي حفصة رضي الله عنها - منها أن الورود فيها بمعنى الدخول وأنها قابلت عموم قوله صلى الله عليه وسلم «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتِ الشَّجَرَةِ» بعموم قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ﴿وَكأنها رجحت عموم القرآن فتمسكت به، فأجابها النبي صلى الله عليه وسلم بأن آخر الآية يبيِّن المقصود، فقرأ قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ ﴿٧٢﴾ وحاصل الجواب تسليم أن الورود دخول، لكنه دخول عبور، فينجو من اتقى، ويترك فيها من ظلم، وبيان ذلك أن جهنم - أعادنا الله منها - محيطة بأرض المحشر وحائلة بين الناس وبين الجنة، ولا طريق للجنة إلا الصراط الذي هو جسر ممدود على متن جهنم، فلا بد لكل من ضمَّه المحشر من العبور عليه؛ فجاج مُسَلَّم، ومخدوش مرسل، ومكردس في نار جهنم - كما تقدَّم، وهذا قول الحسن وقتادة، وهو الذي تعضده الأخبار الصحيحة والنظر المستقيم ا.هـ^(٤).

(١) «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» (ص ٢٣٥-٢٣٨)

(٢) روى الترمذي ت شاكر (٣١٦٠) بسند صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: «يَرُدُّونَهَا ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ».

(٣) صحيح مسلم (٢٤٩٦)

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٤٤٤)

وقال النووي رحمته الله: والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون أ.هـ^(١)
وهذا المعنى لا ينافي ما ذكره القرطبي من أن الورود الدخول في النار - كما في فهم السيدة حفصة رضي الله عنها؛ لأن المرور على الصراط هو دخول في النار.

يعطى المارون على الصراط نورا بحسب أعمالهم:

والمارون على الصراط يعطون نورا بحسب أعمالهم. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرًا لَّهُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٢﴾ [الحديد]. وتقدم معنا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صحيح الإمام مسلم رحمته الله لما سُئِلَ عن الورود الذي يكون في ذلك اليوم، فقال رضي الله عنه وأرضاه: «فَتُدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَلَأَوَّلٌ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ؟ - أي: من تنتظرون؟ - فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ - قَالَ - فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مَنَافِقِي أَوْ مُؤْمِنٍ - نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ ...» الحديث^(٢).

وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]. قَالَ: «يُؤْتُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ التَّخْلَةِ وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يُطْفَأُ مَرَّةً وَيَتَّقَدُ أُخْرَى»^(٣).

ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة - وغيره - عنه مرفوعا قال صلى الله عليه وسلم: «... فيرفعون رؤوسهم فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ التَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَهُ وَمَشَى وَإِذَا انْطَفَأَ قَامَ عَلَى

(١) شرح النووي على مسلم (٥٨/١٦)

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩). وتقدم في المجلس الثالث والثلاثين.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٠٧/٧) رقم (٣٤٥٥٨) وسنده حسن.

الصَّرَاطِ قَالَ وَالرَّبُّ عَزَّجَلَّ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمْرُ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَخَضَ مَزَلَّةٍ فَيَقُولُ مُرُّوا فَيَمْرُونَ عَلَى قَدَرِ نُورِهِمْ»^(١).

وروى الحاكم عن يزيد بن شجرة الرهاوي، وكان من أمراء الشام، وكان معاوية يستعمله على الجيوش، أنه قال: «... إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِأَسْمَائِكُمْ وَسِيمَائِكُمْ وَجَلَاكُمْ وَتَجْوَأِكُمْ وَمَجَالِسِكُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيلَ: يَا فُلَانُ هَذَا نُورُكَ، وَيَا فُلَانُ لَا نُورَ لَكَ ...»^(٢)

قال ابن القيم رحمته الله: وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قبله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: وَمِنْهَا: قَسْمُهُ الْأَنْوَارِ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِسْرِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يُعْطَى مِنَ النُّورِ هُنَاكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ نُورِ إِيْمَانِهِ وَيَقِينِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَمُتَابَعَتِهِ لِلرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي دَارِ الدُّنْيَا فَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالشَّمْسِ وَدُونَ ذَلِكَ كَالْقَمَرِ وَدُونَهُ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالسَّرَاجِ فِي قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يُعْطَى نُورًا عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يَضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ أُخْرَى بِحَسَبِ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ نُورِ الْإِيْمَانِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ هَذَا النُّورُ بَعَيْنِهِ أَبْرَزَهُ اللَّهُ لِعَبْدِهِ فِي الْآخِرَةِ ظَاهِرًا يَرَى عِيَانًا بِالْأَبْصَارِ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِهِ غَيْرُهُ وَلَا يَمِثِّي أَحَدًا إِلَّا فِي نُورِ نَفْسِهِ إِنْ كَانَ "لَهُ" نُورٌ مَشَى فِي نُورِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ أَضَلَّ لَمْ يَنْفَعُهُ نُورٌ غَيْرِهِ. وَلَمَّا كَانَ الْمُنَافِقُ فِي الدُّنْيَا قَدْ حَصَلَ لَهُ نُورٌ ظَاهِرٌ غَيْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَلَا مُتَّصِلٌ بِبَاطِنِهِ وَلَا لَهُ مَادَّةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ أُعْطِيَ فِي الْآخِرَةِ نُورًا ظَاهِرًا لَا مَادَّةَ لَهُ ثُمَّ يُطْفَأُ عَنْهُ أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ»^(٣).

النبي صلى الله عليه وسلم يعرف أمته بنوره:

روى ابن المبارك والحاكم عن عبد الرحمن بن جبير، سمع أبا ذرٍّ، وأبا الدرداء قالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤَدَّنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤَدَّنُ لَهُ بَرَفَعِ»

(١) تقدم قريبا (ص: ٣١٤)

(٢) مستدرک الحاكم (٦٠٨٧) وضح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٣٧٥) والضعيفة (٨/٢١٧).

(٣) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٧٣ ط عطاءات العلم)

رَأْسِهِ، فَانْظُرْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَأَعْرِفْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَأَنْظُرْ عَن شِمَالِي، فَأَعْرِفْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَأَنْظُرْ مِنْ خَلْفِي، فَأَعْرِفْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، مَا بَيْنَ نُوْجِ إِلَى أُمَّتِكَ، قَالَ: غُرٌّ مُحْجَلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَمِ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَبِأَيْمَانِهِمْ»^(١)

البشارة للمشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة :

يقول النبي - ﷺ -: «بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٢)
قال المباركفوري رحمه الله: «بالتور التام»، قال: "الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي على الصراط لما قاسوا مشقة المشي في ظلمة الليل جوزوا بنور يضيء لهم ويحيطهم"^(٣)
وهذا عمل يسير على من يسره الله - عز وجل - عليه.

أول الناس مرورا على الصراط هذه الأمة :

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «... فَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ،...»^(٤)

أول الأمة مرورا على الصراط فقراء المهاجرين :

روى الإمام مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ... ثم قال اليهودي: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، فَتَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعُودَ مَعَهُ، فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيَنْ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ

(١) «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (الملحق/ ١١٢) و«المستدرک علی الصحيحین للحاکم» (٣٧٨٤)، وصححه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٨٨).

(٢) رواه أبو داود (٥٦١) والترمذي (٢٢١) من حديث بريدة - رضي الله عنه - ورواه ابن ماجه (٧٨٠، ٧٨١) من حديث سهل بن سعد، وأنس - رضي الله عنه -؛ وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٥).

(٣) تحفة الأحوذني (١٣/٢)

(٤) صحيح البخاري (٨٠٦) وصحيح مسلم (١٨٢).

الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِيسْرِ» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةٌ؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ...» الحديث (١).

وقوله: «إِجَارَةٌ» هو بِكَسْرِ الهمزة وزاي أي جَوَازًا وعبورا.

وفيه بيان فضل فقراء المهاجرين، حيث أكرمهم الله تعالى بسبق غيرهم في الجواز على الصراط.

قال العلماء: ولا يدل هذا على أن فقراء المهاجرين أفضل من أغنيائهم، للإجماع على أن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، أفضل من أبي هريرة، وأبي ذر رضي الله عنهما. (٢)

أحوال المارين على الصراط:

في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْحِيسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ»، [وَمَحِلُّ الشَّفَاعَةِ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْحِيسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَرَلَةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالظَّرْفِ وَكَالْبُرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مُخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...» الحديث (٣)

وفي الصحيحين في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَيُضْرَبُ حِيسْرُ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، ... غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو...» الحديث (٤)

وتقدم معنا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صحيح الإمام مسلم رحمته الله لما سُئِلَ عن الورود الذي يكون في ذلك اليوم، فقال رضي الله عنه وأرضاه: «فَتُدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَلَا أَوَّلَ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ؟-أي: من تنتظرون؟- فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ

(١) صحيح مسلم (٣١٥)

(٢) انظر: «البحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج» (٧/ ٥٣٩)

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) ومنه الزيادة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٣) واللفظ له ومسلم (١٨٢).

يُضْحَكُ - قَالَ - فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ - نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوْلَ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً... الحديث (١).

وتقدم حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتِي الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَ الْبَرْقُ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرَ الرِّيحُ ثُمَّ كَمَرَ الطَّيْرُ وَشَدَّ الرَّجَالُ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيكُمُ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَبْجِيَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا. قَالَ عليه الصلاة والسلام: وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ» (٢).

وفي جامع الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلُهُمْ كَلْمَجِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَالْحَضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ» (٣).

وفي رواية لغيره: «فَيَمُرُّونَ عَلَى الصَّرَاطِ، وَالصَّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزَلَّةٍ، قَالَ: فَيَقَالُ انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَنْقِصَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالظَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّحْلِ وَيَرْمُلُ رَمَلًا فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يَجْرُ يَدًا وَيَعْلَقُ يَدًا وَيَجْرُ رِجْلًا وَيَعْلَقُ رِجْلًا فَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلُصُونَ...» (٤) الحديث

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩). وتقدم في المجلس الثالث والثلاثين.

(٢) تقدم تخريجه في هذا المجلس.

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٥٩).

(٤) صفة الجنة لابن أبي الدنيا العساسلة (٣١) وسنده حسن. ورواه أيضا الطبراني في المعجم الكبير (٩/

٣٥٧) رقم (٩٧٦٣) والدارقطني في الرؤية (١٦٢) والحاكم في المستدرک (٣٤٤، ٨٧٥١) واللفظ له

وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩١) وفي الصحيحة (٣١٢٩)

فهذه الأحاديث وغيرها فيها بيان حال الناس عند المرور على الصراط.
قال ابن أبي جمرَةَ رحمته الله: يُؤخَذُ مِنْهُ أَنَّ الْمَارِّينَ عَلَى الصَّرَاطِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ:

- نَاجٍ بِلَا خُدُوشٍ
- وَهَالِكٌ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ
- وَمُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا يُصَابُ ثُمَّ يَنْجُو

قال: وَكُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا يَنْقَسِمُ أَقْسَامًا تُعْرَفُ بِقَوْلِهِ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ^(١)

فالناجي بلا خدش هو الناجي المسلم كما في الحديث وورد بيان صفتهم في حديث جابر رضي الله عنه وفيه «... فَتَنْجُو أَوَّلَ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ...»

والهالك من يُكَدِّسُ في نار جهنم، -نسأل الله السلامة والعافية:-

كما تقدم في الحديث «وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»

وفي لفظ: «مَكْرَدَسٌ»^(٢)

وفي لفظ: «وَمَنْكُوسٌ فِيهَا»^(٣)

وهؤلاء هم المنافقون، فيُلْقَوْنَ في نار جهنم.

وكذلك: بعض العصاة من أهل التوحيد الذين تنال بعضهم الشفاعة كما تقدم.

وأما الكفار فتقدم أنهم يلقون في النار قبل نصب الصراط.

والمتوسط بينهما هو المشار إليه في الروايات بأنه المخدوش:

قال «... وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ...»

أو المخردل قال «... وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو...»

(١) «فتح الباري لابن حجر» (١١/ ٤٥٤)

(٢) رواية لمسلم. قال النووي رحمته الله في شرح مسلم (٣/ ٧٢): (فمخدوش ناج ومكدوس) هو بالدال ... ووقع في

أكثر الأصول هنا مكردس بالراء ثم الدال وهو قريب من معنى المكدوس أ.هـ.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٨٠) من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- وهو في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٣٦٠)

وهؤلاء هم العصاة الذين اجترحوا السيئات، واكتسبوا الخطايا فتخطفهم الكلاب، فتجرح أجسادهم لكنهم ينجون بفضل الله ﷻ ثم بسبب أعمالهم.

فلا بد من العمل كما قال الله ﷻ في أهل الجنة:

﴿ وَوَدُّوا أَنْ تَلَكُّهُمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبَاتٍ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل]

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢]

وقال تعالى: ﴿ كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٩، المرسلات: ٤٣]

وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيتَكُمْ

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [السجدة: ١٤]

والعابرون للصراط متفاوتون بحسب أعمالهم كما تقدم في الأحاديث:

" فمنهم من يمرُّ كالمح البصر، ومنهم من يمرُّ كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًّا، ومنهم من يمشي مشيًّا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم؛ فإنَّ الجسر عليه كلاب تحطف الناس بأعمالهم. فمن مرَّ على الصراط؛ دخل الجنة".^(١)

قال شمس الدين ابن القيم رحمته الله: وقد أشار النبي صلوات الله عليه إلى أن كمال ما يُستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، ثم قال: وَمِنْهَا: أَنَّ مَشِيَّهُمْ عَلَى الصَّرَاطِ فِي السَّرْعَةِ وَالْبُطْءِ بِحَسَبِ "سُرْعَةِ" سَيْرِهِمْ "وَبُطْئِهِ" عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا فَاسْرَعُهُمْ سَيْرًا هُنَا أَسْرَعُهُمْ هُنَاكَ وَأَبْطَأُهُمْ هُنَا أَبْطَأُهُمْ هُنَاكَ. وَأَشَدُّهُمْ ثَبَاتًا عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ "هُنَا" أَثْبَتُهُمْ هُنَاكَ وَمَنْ خَطَفَتْهُ كَلَالِبُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَالْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ هُنَا خَطَفَتْهُ الْكَلَالِبُ الَّتِي كَانَتْهَا شَوْكُ السَّعْدَانِ هُنَاكَ

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ٩٩).

وَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْكَلَالِيْبِ فِيهِ هُنَاكَ فِيهِ عَلَى حَسَبِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ " وَالْبِدَعُ فِيهِ هَاهُنَا فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْذُوشٌ مُسَلِّمٌ، وَمَخْزُولٌ أَيْ: مُقَطَّعٌ بِالْكَالِيْبِ مُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ كَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ تِلْكَ الْكَلَالِيْبُ فِي الدُّنْيَا ﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ [النبا] ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت] (١).

آخر من يجوز الصراط:

روى أنس، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «أخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ [يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ]، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا [وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِذَا جَاوَزَ الصِّرَاطَ] التفت إليها، فقال: تبارك الذي تجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة فلا أستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم، لعلني إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا، يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربُّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، فيقول: لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربُّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربُّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب، أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصري بي منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟

(١) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٧٤ ط عطاءات العلم)

قَالَ: يَا رَبِّ، أَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»^(١)

قلت: قوله في الحديث: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ...» إلخ.

وفي رواية للحديث -عَنْ عبيدة، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا»^(٢)

واختلف في الجمع بينهما.

هل هذا الرجل دخل النار ثم خرج منها، أو هو من لم يدخلها؟
والظاهر أنهما حديثان كما يتبين من الزيادتين المذكورتين.

وقد قال الحافظ رحمه الله: قَالَ عِيَّاضٌ: ... يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْخُرُوجُ هُنَا بِمَعْنَى الْوُرُودِ وَهُوَ الْجَوَازُ عَلَى الصَّرَاطِ... قَالَ الْحَافِظُ رحمه الله: قُلْتُ وَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَا يُقَوِّي هَذَا الْإِحْتِمَالَ... اهـ.^(٣)

وقال رحمه الله: وَأَشَارَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ إِلَى الْمُعَايِرَةِ بَيْنَ آخِرِ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ ... وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَهَا حَقِيقَةً وَبَيْنَ آخِرِ مَنْ يَخْرُجُ مِمَّنْ يَبْقَى مَرًّا عَلَى الصَّرَاطِ

(١) أخرجه مسلم (١٨٧) قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ به. وأخرجه أحمد في المسند (٣٨٩٩) حدثنا عفان به. وأخرجه أحمد أيضا (٣٧١٤) قال حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد به وعنده الزيادتان. ومن طريق يزيد رواه أبو يعلى (٥٢٩٠) والشاشي (٢٦٨) في مسنديهما، وأبو عوانة في المستخرج على مسلم (٣٧٢) ورواه ابن حبان في صحيحه (٧٤٣٠) من طريق إسحاق بن راهويه قال: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ. وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٤٨) وأبو يعلى في المسند (٤٩٨٠) قالوا: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٠) رقم (٩٧٧٥) من طريق حجاج بن منهال ثلاثتهم عن حماد به. وعندهم الزيادة الأولى. وأبو عوانة في المستخرج على مسلم (٣٧٣) من طريق عمرو بن عاصم الكلابي عن حماد به وعنده الزيادتان.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦) عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عبيدة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/٤٤٣)

فَيَكُونُ التَّعْبِيرُ بِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ النَّارِ بِطَرِيقِ الْمَجَازِ لِأَنَّهُ أَصَابَهُ مِنْ حَرِّهَا وَكَرْبِهَا مَا يُشَارِكُ بِهِ بَعْضُ مَنْ دَخَلَهَا اهـ.^(١)

الأمانة والرحم تقومان جنبتي الصراط:

والأمانة والرحم حول الصراط، يقفان في ناحيتي الصراط: كما تقدم في الحديث وهذا يدل على عظيم هذه الأعمال.

قال التوربشتي: «... وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَمَانَةَ وَالرَّحِمَ لِعَظَمِ شَأْنِهِمَا وَفَخَامَتَهُمَا مَا يَلْزَمُ الْعِبَادَ مِنْ رِعَايَةِ حَقِّهِمَا يُمَثِّلَانِ هُنَاكَ لِلْأَمِينِ وَالْحَائِثِ وَالْمُوَاصِلِ وَالْقَاطِعِ فَيُحَاجَّجَانِ عَنِ الْمُحِقِّ وَيَشْهَدَانِ عَلَى الْمُبْطِلِ»^(٢)

وقال العلامة الطيبي: «ويمكن أن تحمل الأمانة على الأمانة العظمى، وهي ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ وصلته الرحم صلته الكبرى وهي ما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] فيدخل في الحديث معنى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وكأنهما اكتنفا جنبتي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، وقطري الإيمان والدين القويم»^(٣) فلا يجوز الصراط إلا من صلح عمله، ونجا بفضل من الله ورحمته.

القنطرة بعد الصراط:

فإذا نجا المؤمنون من أهوال هذا الصراط - ولا يجوزه إلا المؤمنون -؛ حُبِسُوا بعد ذلك في قَنْطَرَةٍ بين الجنة والنار.

وهذه القنطرة خاصة لمسلك المؤمنين إلى الجنة يقفون عندها فيقتص لبعضهم من بعض، وَيُهَدَّبُونَ وَيُنَقَّوْنَ قبل أن يدخلوا الجنة.

(١) المرجع السابق (١١/٤٥٩)

(٢) «الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي» (٤/١٢٠٣) وانظر: فتح الباري (١١/٤٥٣)

(٣) «شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن» (١١/٣٥٢٥) وانظر: فتح الباري (١١/٤٥٣)

كما أخبر بذلك نبينا ﷺ قال **عليه الصلاة والسلام**: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ - يعني من العبور على الصراط - حُسُوبًا بِقَنْظَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نَفَّوْا وَهَدَّبُوا أُذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لِأَحَدِهِمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» (١).

قال العلامة ابن عثيمين **رحمته الله**: « هذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة، لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص» (٢).

وفي الصحيحين عَنْ أُسَامَةَ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجِدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أَمَرِيهِمْ إِلَى النَّارِ، ...» الحديث (٣).

قال الحافظ: قَوْلُهُ «أَصْحَابُ الْجِدِّ» بِفَتْحِ الْحِيمِ أَيِ الْعَيْ. وَقَوْلُهُ «مَحْبُوسُونَ» أَيِ مَمْنُوعُونَ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ الْفُقَرَاءِ مِنْ أَجْلِ الْمُحَاسَبَةِ عَلَى الْمَالِ وَكَأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْقَنْظَرَةِ الَّتِي يَتَقَاصُونَ فِيهَا بَعْدَ الْجُوزِ عَلَى الصَّرَاطِ أَه. (٤)

قال ابن بطال **رحمته الله**: وإنما صار «أَصْحَابُ الْجِدِّ» محبوسون (٥) لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء في أموالهم، فحبسوا للحساب عما منعه، فأما من أدى حقوق الله في أمواله، فإنه لا يحبس عن الجنة، إلا أنهم قليل، إذ أكثر شأن (أهل) المال تضيع حقوق الله فيه؛ لأنه محنة وفتنة أه. (٦)

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري **رضي الله عنه**.

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (١٦٣/٢)

(٣) صحيح البخاري (٥١٩٦، ٦٥٤٧)، وصحيح مسلم (٢٧٣٦)

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤٢٠/١١)

(٥) كذا، وكأنه على الحكاية للحديث والقياس: محبوسين، وجاءت كذلك في عمدة القاري للعيني (١٨٧/٢٠)

(٦) «شرح صحيح البخاري» (٣١٨/٧)

وقال الداودي رحمته الله: أرجو أن يكون هؤلاء أهل التفاخر؛ لأن أفاضل الصحابة كانت لهم أموال ووصفهم الله تعالى بأنهم سابقون اهـ^(١)

فاحذروا أيها المؤمنون من الظلم، واحذروا عاقبته، واحذروا من التفریط في الأعمال الصالحات؛ فإن المؤمن في يوم القيامة يحتاج إلى العمل الصالح الذي يُقَرِّبُهُ إلى الله **جَلَّ وَعَلَا** كما يحتاج إلى العمل الذي يكون شفيعاً له عند الله تعالى.

شفاة المؤمنین لإخوانهم إذا عبروا الصراط:

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناجين من عباد الله سبحانه من المؤمنين يجادلون الله تعالى عن إخوانهم. فقد جاء في المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، ... ثُمَّ يَسْتَحِيزُ النَّاسُ، ... قَالَ: فَإِذَا فَرَعَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ** مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَفْقَدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ وَيَعُزُّونَ عَزْوَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَيُّ رَبَّنَا، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا، وَيَعُزُّونَ عَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ» الحديث^(٢). وتقدم - كما ذكرنا - الحديث عن موضوع الشفاة. وهذا يدل على فضل الأخوة في الله تعالى، وأن من فضلها: أن المؤمن يشفع لأخيه المؤمن فيجادل عنه، حتى يرحمه الله ويخرج من النار.

نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يجعلنا من أهل الجنة، وأن يعيذنا من النار

ونسأله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم.



انتهى الجزء السادس

ويليه الجزء السابع: الإيمان بالجنة والنار

(١) نقله ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩٠ / ١٢٥)

(٢) أخرجه أحمد (١١٠٨١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

المحتويات

٥	الركن السادس من أركان الإيمان بالإيمان باليوم الآخر
٧	المجلس الحادي والعشرون
٧	الشعبة السادسة من شعب الإيمان بالإيمان باليوم الآخر
٧	الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة
٧	ما هو اليوم الآخر؟
٨	كفر من لا يؤمن باليوم الآخر
٨	ما يتضمّنه الإيمان باليوم الآخر
٨	من ثمرات الإيمان باليوم الآخر
٩	لا يعلم متى الساعة إلا الله
١٠	الساعة حق
١١	الآيات التي أمر الله نبيّه فيها بالقسم بربه على قيام الساعة
١٢	علم الساعة من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله
١٢	الساعة قريبة
١٣	الساعة تقوم بغتة
١٤	تقوم الساعة يوم الجمعة
١٤	من مات قامت قيامته
١٦	تقوم الساعة على شرار الخلق
١٧	مناظرة عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر في هذا الحديث
١٨	ذكر حديث الطائفة المنصورة وبيان عدم معارضته للحديث السابق
٢٣	من أسماء يوم القيامة
٣١	الإيمان بأشراط الساعة
٣٣	المجلس الثاني والعشرون
٣٣	أشراط الساعة
٣٣	تعريف أشراط الساعة
٣٣	أشراط الساعة صغرى وكبرى
٣٤	ذكر العلامات الكبرى
٣٤	تتابع العلامات الكبرى عند ظهورها

- ٣٥..... ذكر العلامات الصغرى
- ٣٦..... أهمية الإيمان بأشراط الساعة
- ٣٦..... والحكمة في تقديم الأشرط ودلالة الناس عليها
- ٣٦..... من ثمرات الإيمان بأشراط الساعة
- ٤١..... الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب
- ٤١..... ضوابط وقواعد في باب أشراط الساعة
- ٤٤..... من أشراط الساعة الصغرى
- ٤٤..... بعثته ﷺ
- ٤٤..... موته ﷺ
- ٤٥..... فتح بيت المقدس
- ٤٥..... استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة
- ٤٧..... الفتن بين يدي الساعة
- ٤٨..... افتراق الأمة
- ٥١..... اتباع اليهود والنصارى والمشركين
- ٥٥..... **الإيمان بحياة البرزخ ونعيم القبر وعذابه**
- ٥٧..... **المجلس الثالث والعشرون**
- ٥٧..... حياة البرزخ
- ٥٧..... حياة البرزخ القيامة الصغرى
- ٥٨..... تعريف البرزخ
- ٥٨..... الدور ثلاثة
- ٥٩..... الموت بيد الله
- ٥٩..... الموت حتم لازم على كل حي
- ٥٩..... والموت له أجل محدد
- ٦٠..... ولا يعلم أحد متى يموت إلا الله
- ٦٠..... ولا يعلم أحد أين يموت إلا الله
- ٦٠..... للموت سكرات
- ٦١..... قال رب ارجعون
- ٦٢..... حياة البرزخ روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار
- ٦٣..... حديث البراء بن عازب في أحوال الانتقال من الدنيا إلى الآخرة

٧٣.....	من شواهد حديث البراء
٧٣.....	حديث أنس <small>رضي الله عنه</small>
٧٤.....	حديث أبي هريرة <small>رضي الله عنه</small>
٧٤.....	حديث ثمانٍ لأبي هريرة <small>رضي الله عنه</small>
٧٥.....	حديث ثالث لأبي هريرة <small>رضي الله عنه</small>
٧٦.....	حديث عائشة <small>رضي الله عنها</small>
٧٨.....	حديث أبي سعيد الخدري <small>رضي الله عنه</small>
٧٨.....	فصل في ذكر ضمة القبر
٧٩.....	فصل في ذكر ما ورد من الأحاديث في ضمة القبر
٨٨.....	فتنة القبر وسؤال المَلَكَيْنِ
٨٩.....	المجلس الرابع والعشرون
٨٩.....	عذاب القبر ونعيمه
٨٩.....	الأدلة من القرآن
٩٣.....	الأدلة من السنة
٩٨.....	هول القبر وفضاعته
٩٨.....	ذَكَرَ بعض ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر
١٠١.....	الإيمان بالنفخ في الصور
١٠٣.....	النفخ في الصور
١٠٣.....	النفخ في الصور يكون مرتين
١٠٦.....	الملك الموكل بالنفخ في الصور قد التقمه
١٠٦.....	صاحب النفخ في الصور
١٠٦.....	وقت النفخ في الصور
١٠٦.....	مدة ما بين النفختين
١٠٧.....	النفخة الأولى
١٠٨.....	النفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون
١٠٩.....	النفخة الأولى يتبعها قبض السماوات والأرض
١١٠.....	النفخة الأولى يتبعها فناء من في السماوات والأرض
١١٠.....	النفخة الثانية نفخة الإحياء والحشر
١١١.....	النفخة الثانية يتتابع بعدها أهوال يوم القيامة

- ١١٣ الإيمان بالبعث والنشور
- ١١٥ المجلس الخامس والعشرون
- ١١٥ الشعبة السابعة من شعب الإيمان بالإيمان بالبعث والنشور
- ١١٥ حكم منكر البعث والنشور
- ١١٥ تعريف الإيمان بالبعث والنشور
- ١١٦ من أدلة الإيمان بالبعث والنشور
- ١١٦ الإخبار بوقوع الساعة وقربها
- ١١٦ القسم من الله تعالى بقيام الساعة ومن أصدق من الله حديثاً
- ١١٧ المواضع التي أمر الله نبيه بالقسمة فيها على البعث والمعاد
- ١١٧ المدح للمؤمنين المصدقين بالبعث والنشور
- ١١٧ الذم لمن كذب بالمعاد
- ١١٧ إخبار الله تعالى بأن القيامة حق
- ١١٨ الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث والمعاد
- ١١٨ ضرب الأمثال على المعاد
- ١١٩ التأكيد بالبعث تكذيباً بألوهية الله وربوبيته
- ١٢١ أمثلة حسية رآها الناس لإحياء الموتى
- ١٢١ المثال الأول
- ١٢٢ المثال الثاني
- ١٢٢ المثال الثالث
- ١٢٣ المثال الرابع
- ١٢٣ المثال الخامس
- ١٢٣ المثال السادس
- ١٢٣ المثال السابع
- ١٢٤ المثال الثامن
- ١٢٤ ذكر ما اشتملت عليه سورة البقرة من المواضع
- ١٢٥ ضرب المثل على أن البعث حق بإحياء الله الأرض بالنبات
- ١٢٥ إخبار الله آدم عليه السلام بالبعث عند إبطائه الأرض
- ١٢٥ اعتراف إبليس بالبعث
- ١٢٥ إخبار الأنبياء أقوامهم بالبعث

- ١٢٥ إخبار نوح عليه السلام قومه بالبعث
- ١٢٥ إخبار إبراهيم عليه السلام بالبعث
- ١٢٦ إخبار موسى عليه السلام بالبعث
- ١٢٥ إخبار هود عليه السلام بالبعث
- ١٢٦ إخبار شعيب عليه السلام قومه بالبعث
- ١٢٦ تكذيب العصي بن وائل بالبعث ونزول القرآن في ذلك
- ١٢٧ إخبار نبينا عليه السلام عن حال أهل القبور وأنهم يبعثون
- ١٢٧ مزيد من أدلة السنة على البعث والنشور
- ١٢٧ أول من يبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
- ١٢٨ يُبعثُ الناسُ على نياتهم
- ١٢٨ يُبعثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه من عمل
- ١٣٠ ما تتميز به هذه الأمة عند البعث
- ١٣١ من أذكار اليوم والليلة المشتملة على ذكر البعث والنشور
- ١٣١ الأهوال العظيمة عند البعث
- ١٣٣ **الإيمان بالحشر**
- ١٣٥ **المجلس السادس والعشرون**
- ١٣٥ الشعبة الثامنة من شعب الإيمان بالإيمان بالحشر
- ١٣٥ الإيمان بالحشر بعد البعث من الإيمان باليوم الآخر
- ١٣٥ تعريف الحشر
- ١٣٦ الآيات الواردة في الحشر
- ١٣٧ أهمية التذكير بالحشر
- ١٣٨ الداعي إلى أرض المحشر
- ١٣٨ يخرجون إلى أرض المحشر سراعا
- ١٣٩ خشعا أبصارهم سراعا
- ١٣٩ الملائكة تسوقهم إلى المحشر
- ١٣٩ لا يتخلف أحد عن أرض المحشر
- ١٣٩ يأتون أفواجا
- ١٤٠ وجوب الإيمان بالحشر
- ١٤٠ أثر الإيمان بالحشر

- ١٤٠ من أدلة السنة على الحشر
- ١٤٢ رحلة جابر بن عبد الله رضي الله عنه لسماع حديث القصاص بين الخلائق
- ١٤٣ يُحشَرُ المؤمنون مكرمين
- ١٤٣ صفة حشر المتكبرين
- ١٤٣ صفة حشر المجرمين والكافرين
- ١٤٥ طرائق حشر الناس يوم القيامة
- ١٤٦ آخر من يحشر
- ١٤٦ صفة أرض المحشر
- ١٤٧ مكان الناس عند الحشر
- ١٤٧ حشر الدواب
- ١٤٨ يجمع الله الخلائق في صعيد واحد
- ١٤٩ **الإيمان بأهوال يوم القيامة**
- ١٥١ **المجلس السابع والعشرون**
- ١٥١ بعض الأهوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة
- ١٥١ الأرض تنطق يوم القيامة عند البعث والحشر
- ١٥٢ إذا بُعِثَتِ القبور يقومون متفرقين
- ١٥٢ إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقلون مدة الحياة الدنيا
- ١٥٣ السُّور التي صوّرت يوم القيامة
- ١٥٤ تغيير السماء
- ١٥٥ وسُيِّرَتِ الجبال
- ١٥٦ تغيير الأرض
- ١٥٨ تغيير البحار
- ١٥٨ تغيير الشمس والقمر والنجوم
- ١٥٩ كُرب يوم القيامة
- ١٦٠ يوم القيامة تَذْهَلُ كُلُّ مَرَضَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
- ١٦٠ يوم القيامة يشيب الولدان
- ١٦٠ تشخص أبصار الظلمة في ذلك اليوم
- ١٦١ قلوب واجفة وأبصار خاشعة
- ١٦٢ أسمع بهم وأبصر

- ١٦٢ تتقطع الأنساب
- ١٦٢ لا يسأل حميم حميماً
- ١٦٣ يفر المرء من أقرب الناس إليه
- ١٦٤ كل نفس بما كسبت رهينة
- ١٦٥ المجلس الثامن والعشرون
- ١٦٥ تنتم في ذكر بعض الأحوال المتعلقة بأحوال الناس يوم القيامة
- ١٦٥ انقسام الناس يوم القيامة
- ١٦٥ حال الكفار يوم القيامة عند خروجهم من قبورهم
- ١٦٧ دنو الشمس من رؤوس الخلائق
- ١٦٨ المؤمن في مأمن من هول يوم القيامة
- ١٦٩ تتابع الحشرات يوم القيامة
- ١٧٠ لا تقبل أعمال البر من الكافر يوم القيامة
- ١٧١ الخصومة بينهم يوم القيامة
- ١٧٢ حال عصاة المؤمنين
- ١٧٢ حال الذي لا يؤدي الزكاة يوم القيامة
- ١٧٣ حال المتكبرين يوم القيامة
- ١٧٣ حال من كتم علماً يوم القيامة
- ١٧٤ شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر
- ١٧٤ العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث
- ١٧٥ المكثرون هم المقلون إلا من أدى حق المال
- ١٧٥ من أخذ أرضاً بغير حق
- ١٧٦ لكل غادر نواء
- ١٧٦ الغالُّ يوم القيامة
- ١٧٧ ذو الوجهين
- ١٧٨ الحاكم المحتجب عن الرعية
- ١٧٨ من كذب في حلمه ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون
- ١٧٨ المرأون يوم القيامة
- ١٧٩ أصحاب الغلوف في الصالحين شرار الخلق يوم القيامة
- ١٧٩ المصورون للصور المحرمة

- ١٨٠ من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه
- ١٨١ قاتل نفسه ومن لعن مؤمناً أو قذفه
- ١٨١ من قذف مملوكه بغير حق أقيم عليه الحد يوم القيامة
- ١٨١ أيها العاصي تَبُّ ولا تأمن مكر الله
- ١٨٢ حال المؤمنين يوم القيامة
- ١٨٣ أصناف يُظهِمُ اللهُ في ظله
- ١٨٤ أصناف آمنون يوم القيامة
- ١٨٤ فضل الشهيد
- ١٨٤ فضل من كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه
- ١٨٥ فضل المؤذنين
- ١٨٥ فضل من شاب شببة في الإسلام
- ١٨٦ فضل الوضوء
- ١٨٧ **الإيمان بالشفاعة**
- ١٨٩ **المجلس التاسع والعشرون**
- ١٨٩ الشفاعة
- ١٨٩ تعريف الشفاعة
- ١٨٩ الشفاعة ملك لله
- ١٩٠ الشفاعة لمن أذن الله له ورضي عنه
- ١٩٠ الشفاعة قسمان
- ١٩١ الشفاعة العظمى يوم القيامة
- ١٩٦ الشفاعة العظمى يوم القيامة هي المقام المحمود
- ١٩٧ الشفاعة لأقوام استحقوا دخول الجنة أن يدخلوها
- ١٩٨ شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب
- ١٩٩ النوع الرابع الشفاعة في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها
- ٢٠٠ شفاعة المؤمنين لإخوانهم الذين دخلوا النار
- ٢٠١ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
- ٢٠٣ الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة
- ٢٠٤ الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة
- ٢٠٤ الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن يدخلوها

- ٢٠٥ قصة تبين المعتقد الصحيح في الشفاعة في أهل الكبائر.
- ٢٠٧ كلمة مهمة للإمام البيهقي.
- ٢٠٧ أمة محمد ﷺ أول الأمم دخولا الجنة.
- ٢٠٧ رسولنا ﷺ أول شافع.
- ٢٠٨ من الأعمال الصالحة التي تشفع لصاحبها.
- ٢٠٩ ما يمنع من الشفاعة.
- ٢١٠ أعني على نفسك بكثرة السجود.
- ٢١٠ احذر من الاتكال وترك العمل.
- ٢١٠ الشفاعة ملك لله.
- ٢١٢ الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص.
- ٢١٣ **الإيمان بالحساب والجزاء**
- ٢١٥ **المجلس الثلاثون**
- ٢١٥ الإيمان بالحساب.
- ٢١٥ تعريف الحساب.
- ٢١٥ وجوب الإيمان بالحساب.
- ٢١٦ الاستعاذة من سوء الحساب.
- ٢١٨ الحساب بين العرض والمناقشة.
- ٢١٩ الحساب العسير.
- ٢٢٠ الحساب عن كل شيء.
- ٢٢٠ كل أمة جاثية للحساب.
- ٢٢٠ حساب المؤمن.
- ٢٢٠ حساب الكافر.
- ٢٢١ حسنات الكفار في الدنيا.
- ٢٢١ السؤال والحساب في موطن وتركه في موطن آخر.
- ٢٢٢ لا يظلم أحد يوم القيامة.
- ٢٢٢ لا تزر وازرة وزر أخرى.
- ٢٢٤ كتاب الإنسان وصحيفته يوم القيامة.
- ٢٢٤ تطاير الصحف.
- ٢٢٦ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.

- ٢٢٦ مضاعفة الصدقات
- ٢٢٧ مضاعفة الحرف في تلاوة القرآن
- ٢٢٧ يُبدل الله السينات حسناتٍ للتائبين
- ٢٢٨ إقامة الشهود على العباد
- ٢٢٨ شهادة السمع والبصر والجلود
- ٢٣٠ أمة محمد تُصدق الأنبياء
- ٢٣٠ الأرض تشهد
- ٢٣١ شهداء آخرون
- ٢٣٢ شهادة الليالي والأيام
- ٢٣٣ أربع يسأل عنها المرء يوم القيامة
- ٢٣٣ سؤال العبد عن النعيم والماء البارد
- ٢٣٤ يسأل عن العهود والمواثيق
- ٢٣٤ يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده
- ٢٣٥ أول ما يحاسب عليه المرء من عمله صلاته
- ٢٣٦ الدعاء ب (اللهم حاسبني حسابا يسيرا)
- ٢٣٧ التعود من ضيق المقام
- ٢٣٧ المراؤون أول من تسعر به النار
- ٢٣٨ بعض ما قيل من الشعر في الحساب
- ٢٣٩ **الإيمان باقتصاص المظالم يوم القيامة**
- ٢٤١ **المجلس الحادي والثلاثون**
- ٢٤١ اقتصاص المظالم
- ٢٤١ يوم القيامة يوم الفصل
- ٢٤١ حديث أتدرون من المفلس؟
- ٢٤٣ التحلُّ من أصحاب المظالم في الدنيا
- ٢٤٤ الظلم ظلمات يوم القيامة
- ٢٤٤ المقتول ظلماً يطلب حقه يوم القيامة
- ٢٤٥ أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء
- ٢٤٦ تعظيم أمر الدماء
- ٢٤٧ الجمع بينه وبين حديث « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته »

- ٢٤٨ الاقتصاص بين البهائم
- ٢٥٠ يُحبس المؤمنون بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون قبل دخول الجنة
- ٢٥٠ لا قُدِّست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها
- ٢٥٢ ثلاثة خصمهم الله يوم القيامة
- ٢٥٢ من ظلم قيد شبر من الأرض
- ٢٥٣ الولاية خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها
- ٢٥٥ **الإيمان بالميزان**
- ٢٥٧ **المجلس الثاني والثلاثون**
- ٢٥٧ نصب الموازين يوم القيامة
- ٢٥٧ تعريف الميزان
- ٢٥٧ إجماع أهل السنة على أن الميزان حق
- ٢٥٨ الميزان ميزان حقيقي
- ٢٥٨ الميزان له كفتان
- ٢٥٩ لسان الميزان
- ٢٦٠ من أدلة القرآن على أن الميزان حق
- ٢٦٠ من أدلة السنة على أن الميزان حق
- ٢٦١ تزود بما يثقل ميزانك يوم القيامة
- ٢٦١ لا وزن للحسنات بدون توحيد الله
- ٢٦٢ أمور عظيمة تثقل الميزان
- ٢٦٢ التسبيح
- ٢٦٢ الكلمات الأربع الباقيات الصالحات واحتساب الولد الصالح إذا مات
- ٢٦٣ الذكر دبر كل صلاة وعند النوم
- ٢٦٤ الرفق بالخدام والعامل
- ٢٦٤ الخلق الحسن أعظم ما يثقل به الميزان
- ٢٦٥ ثواب حضور الجنائز تثقل الميزان
- ٢٦٦ العناية بالخيال في سبيل الله تثقل الميزان
- ٢٦٧ حاجة المرء إلى الحسنة الواحدة يوم القيامة
- ٢٦٧ أصحاب الأعراف
- ٢٦٨ الحرص على كسب الحسنات

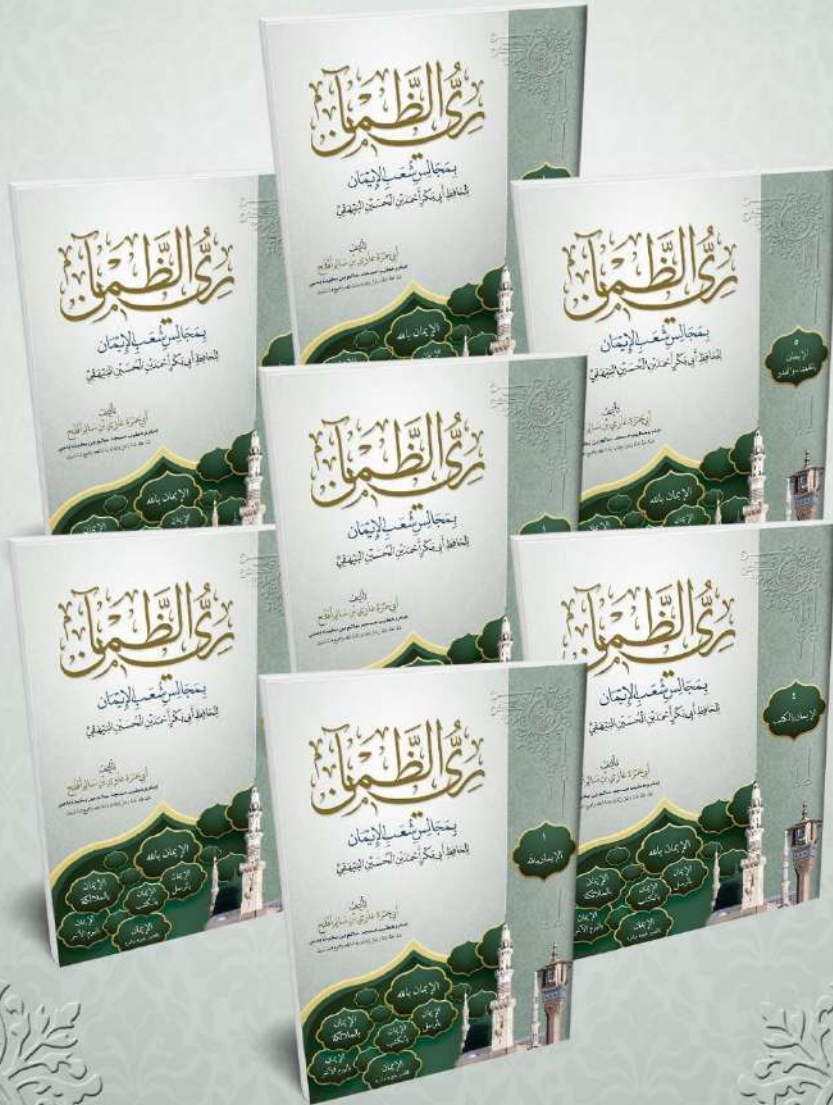
- ٢٦٩ تواجد النبي ﷺ عند الميزان يوم القيامة
- ٢٧٠ ما يوزن يوم القيامة
- ٢٧٢ حديث البطاقة
- ٢٧٣ فضل من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه
- ٢٧٣ إن الله لا يظلم مثقال ذرة
- ٢٧٧ **الإيمان بالحشر**
- ٢٧٩ **المجلس الثالث والثلاثون**
- ٢٧٩ حشر الله ﷻ للعباد وتوجيههم إلى ما لهم إلى جنة أو إلى نار
- ٢٧٩ رؤية المؤمنين ربه وحشر العباد إلى الصراط
- ٢٨٠ يوم يكشف عن ساق
- ٢٨١ تنبيهه في تفسير كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"
- ٢٨٢ من عبد من الأنبياء والصالحين
- ٢٨٤ مقالة اليهود والنصارى في ادعائهم لله ولدا
- ٢٨٥ مال المنافقين
- ٢٨٦ كل نوره يوم القيامة بحسب عمله في دنياه
- ٢٨٦ حال الكافر يوم القيامة
- ٢٨٨ حال المنافق يوم القيامة
- ٢٨٩ خوف المؤمن من النفاق
- ٢٩١ **الإيمان بالحوض المورود**
- ٢٩٣ **المجلس الرابع والثلاثون**
- ٢٩٣ الإيمان بالحوض
- ٢٩٣ تواتر أحاديث الحوض
- ٢٩٣ ذكر جملة من أحاديث الحوض
- ٣٠٤ ذكر قصة سؤال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ أبا سلام ﷺ عن حديث الحوض
- ٣٠٧ ما ورد في إنكار عبيد الله بن زياد للحوض والترد عليه
- ٣٠٩ ذكر سعة الحوض
- ٣١٣ الحوض زواياه سواء
- ٣١٣ صفة مائه ورائحته
- ٣١٥ كبرانه وأوابه

٣١٦	الحوض موجود الآن
٣١٦	مكان الحوض
٣١٧	أول الناس وروداً على حوضه
٣١٨	فضل أهل اليمن
٣١٩	هل لكل نبي حوض؟
٣٢١	نهر الكوثر
٣٢١	الكوثر نهر في الجنة
٣٢١	تفسير ابن عباس <small>رضي الله عنه</small> للكوثر
٣٢٢	الحوض يمد من الكوثر
٣٢٣	آنية الكوثر
٣٢٣	حافتا الكوثر وطينته
٣٢٣	حافتا الكوثر من ذهب ومجراه على جنادل الياقوت والدر وصفة شرايه
٣٢٤	صفة القصر على الكوثر
٣٢٤	طيور الكوثر
٣٢٥	أناس يُدأون عن الحوض
٣٢٨	لقاء النبي <small>صلَّى الله عليه وآله</small> عند الحوض
٣٣١	الإيمان بالصراط
٣٣٣	المجلس الخامس والثلاثون
٣٣٣	الإيمان بالصراط
٣٣٣	تعريف الصراط
٣٣٣	الإجماع على الإيمان بالصراط
٣٣٥	تواتر أدلة الإيمان بالصراط
٣٣٥	صفة الصراط
٣٣٥	الصراط دَحْضٌ مَزَلَّةٌ
٣٣٥	الصراط له جنبتان
٣٣٦	لحافتي الصراط كلايب وخطاطيف وحسكة
٣٣٨	الصراط أحد من السيف
٣٣٩	الورود على الصراط من الأهوال العظيمة
٣٣٩	دعاء المرسلين <small>عليهم السلام</small> وأتباعهم عندما يضرب الصراط

٣٤٠ نبينا ﷺ قائم على الصراط يدعو للمارين بالسلامة.
٣٤١ الملائكة يدعون أيضا للمارين بالسلامة.
٣٤٢ المشركون يقعون في النار قبل الصراط.
٣٤٣ صفة الورود على الصراط.
٣٤٤ يعطى المارون على الصراط نورا بحسب أعمالهم.
٣٤٥ النبي ﷺ يعرف أمته بنورهم.
٣٤٦ البشارة للمشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة.
٣٤٦ أول الناس مرورا على الصراط هذه الأمة.
٣٤٦ أول الأمة مرورا على الصراط فقراء المهاجرين.
٣٤٧ أحوال المارين على الصراط.
٣٥١ آخر من يجوز الصراط.
٣٥٣ الأمانة والرحم تقومان جنبتي الصراط.
٣٥٣ القنطرة بعد الصراط.
٣٥٥ شفاعة المؤمنين لإخوانهم إذا عبروا الصراط.
٣٥٦ المحتويات

بِرِّى الظَّمْآنِ

بِمَجَالِسِ شَعْبِ الْإِيمَانِ



بِرِّ الظُّمَامِ

بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ
لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ

٧
الإيمان
بالجنة والنار

تَأَلَّفُ
أَبِي حَمْرَةَ غَازِي بْنِ سَالِمِ الرَّافِعِ
إمام وخطيب مسجد سالم بن بخيت بدبي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالدِّيَةِ وَمَشَاجِيهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الإيمان بالله

الإيمان
بالملائكة

الإيمان
بالرسل

الإيمان
بالكتب

الإيمان
باليوم الآخر

الإيمان
بالقدر خيره وشره



سلسلة: رِيّ الظَّمَانِ بِمَجَالِسِ شُعَبِ الْإِيمَانِ (٧)

الإِيمَانُ

بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ

تَأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلح

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

تقديم

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي الدكتور رشاد بن حمود الحزمي

الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي الشيخ محمد بن عبد الله باموسي

الشيخ نعمان بن عبد الكريم الوتر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لمكتبة دروس الدار

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

(مزيدة ومنقحة)

رقم الفسح الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة دبي

MC-01-01-7549142

Date-2022-04-19

الترقيم الدولي

ISBN: -978-9948-04-572-4

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام

التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب

للتواصل مع المؤلف: ghazi.salem@hotmail.com



مكتبة دروس الدار

الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

البريد الإلكتروني: droosaldar@gmail.com

للتواصل: 00971503667077

تويتر: @DroosAldar

تتمة الركن السادس من أركان الإيمان

الإيمان بالجنة والنار

المجلس السادس والثلاثون^(١)

الإيمان بالجنة والنار:

قال البيهقي: التاسع من شعب الإيمان "وهو باب في أن دار المؤمنين ومآبهم الجنة، ودار الكافرين ومآبهم النار"^(٢)

وبعد أن يفصل الله **عَزَّوَجَلَّ** بين عباده يكون الناس يوم القيامة على فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وحينئذ يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار. والإيمان بالجنة والنار من الإيمان باليوم الآخر، وقد قال النبي **ﷺ**: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالتَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»^(٣).

وفي رواية أخرى يقول النبي **ﷺ**: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٤).

فدل هذا على وجوب الإيمان بالجنة والنار، وأنها مخلوقتان موجودتان الآن، وقد جاءت في السنة الأخبار الكثيرة عن صفة الجنة وصفة النار، وستحدث في هذا المجلس عما أعد الله **عَزَّوَجَلَّ** لأوليائه في الجنة، ثم نردف ذلك بذكر ما أعد الله **عَزَّوَجَلَّ** لأعدائه في النار.

(١) كان في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) شعب الإيمان (٥٦٠/١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) واللفظ له، ومسلم (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت **رضي**.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) أخرجه مسلم (٢٨) واللفظ له.

الإيمان بالجنة:

إنّ من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة التي وعد الله عزّ وجلّ بها أوليائه وأهل طاعته.

وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص ولا يُعكّر صفوه كدر، وقد حدّثنا الله جلّ وعلا في كتابه عن الجنة وجاء خبرها في سنة النبي ﷺ. والإيمان بالجنة ووجودها واجب على كل مسلم ومسلمة، وذلك- كما ذكرنا- من الإيمان باليوم الآخر.

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان:

وذكر العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى ذلك في كتب العقائد فإنهم ينصون على ذلك ويقولون: ونؤمن بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان وموجودتان، وقد دخل النبي ﷺ الجنة وراها. يقول الحافظ الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ تعالى في عقيدته السلفية: "وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضَلًّا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْحَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ"^(١). وهكذا قال غير واحد من أهل العلم في كتب العقيدة بناءً على ما ورد في الكتاب والسنة من خبر الجنة والنار، وهذا أمر مشهور، ومعلوم من الدين بالضرورة.

رؤية جبريل الجنة والنار:

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: أَذْهَبَ إِلَيْهَا، فَانظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ. فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: أَذْهَبَ فَانظُرْ إِلَى النَّارِ وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، فَأَمَرَ بِهَا

(١) متن العقيدة الطحاوية (ص: ٢٦).

فَحُفَّتِ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَانظُرْ إِلَيْهَا. فَانظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتِ بِالشَّهَوَاتِ، فَارْجَعَ، وَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(١).

يعني: بسبب أنها حُفَّتِ بالشهوات؛ فالمعاصي قريبة من قلوب الناس وطريق الشيطان مُمهَّدٌ لكثير منهم، والطريق إلى الجنة يحتاج إلى صبر ومصابرة.

تذكر الجنة يسلي المؤمن عما فاتته من الدنيا :

وإن قلب المؤمن ليسلو حينما: يتأمل ما أعد الله عز وجل للناس يوم القيامة من الجنة لأوليائه ومن النار لأعدائه، ويعلم بذلك قيمة هذه الحياة الدنيا التي أمرنا الله ﷻ أن نتيقن أنها لا شيء. يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وتكرر هذا التوجيه في كتاب الله جل وعلا من رب العالمين بألا نغتر بهذه الحياة الدنيا؛ فإنها فانية، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥١﴾﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦١﴾﴾ [فاطر].

وقال ربنا ﷻ للناس أجمعين: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاتِهِ ثُمَّ يَسْهَبُ فَيَذَرُهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحديد].

ثم قال ﷻ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال ربنا ﷻ: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف]

(١) أخرجه النسائي (٣٧٦٣)، والترمذي (٢٥٦٠) من حديث أبي هريرة ر.ه.

وقال ربنا ﷻ: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَلَّهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يونس: ٢٤].

دار السلام:

ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس: ٢٥] يعني إلى الجنة، فهي دار سالمة من كل الآفات، وهي دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه.

أما الدنيا فهي دار مليئة بالآفات، ففرحها منقطع غير دائم، وسرورها زائل، والحياة فيها منغصة ومكدرة بالهموم والأحزان، لا يكاد إنسان يقع له الفرح والسرور حتى ينقطع، ولا يزال المؤمن فيها في هم وفي حزن وفي كرب، وهكذا هي الدنيا لا تدوم لأحد.

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نُسْر^(١)
وقد قيل في بيان حال الدنيا.

ثمانية قام الوجود بها فهل ترى من محيص للورى عن ثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة وعسر ويسر ثم سقم وعافية
بهن انقضت أعمار أولاد آدم فهل من رأى أحوالهم متساوية^(٢)

وقيل أيضا:

مَنْ ذَا الَّذِي يَبْنِي عَلَى مَوْجِ الْبَحْرِ دَارًا تِلْكَمُ الدُّنْيَا فَلَا تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا^(٣)

(١) البيت لنمر بن تُوَلَّب بن عوف كما في "الكتاب" ١/ ٨٦ لسيبويه والحامسة للبحري (ص: ٢٥٩) وذكره الخليل الفراهيدي في الجمل النحو (٦٦) غير منسوب. واستشهد به أبو سفيان رضى الله عنه يوم أحد كما في مسند أحمد (٤١٨/٧) رقم (٤٤١٤) عن ابن مسعود رضى الله عنه بسند ضعيف.

(٢) الأبيات في «معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» (١١٣٠/٣) وهي منسوبة إلى الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد بن عثمان بن جعفر أبي عبد الله الكلابي المعروف بابن أبي الزلازل، اللغوي الأديب الكاتب الشاعر: (ت: ٣٥٤هـ)

(٣) هذه الكلمة مروية عن جماعة من السلف أن عيسى بن مريم رضى الله عنه وعظ بها أصحابه. رواها ابن أبي

ولهذا فإن السعيد من جَعَلَ مِنْ هذا الدنيا مزرعةً له إلى الأخرى، يتقرب إلى ربه سبحانه، فعمر الإنسان في الدنيا قصيرٌ كما قال النبي **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِينِ، إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلُهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»^(١). ولكنه سيعيش في قبره سنين طويلة، والقبر روضةٌ من رياض الجنة أو حفرةٌ من حفر النار ثم يأتي يوم القيامة، اليوم الخالد الأبدي الذي لا يوم بعده. فهذه خلاصة حال الدنيا ثم يكون مآل الناس يوم القيامة إما إلى الجنة وإما إلى النار، وسنورد شيئاً مما يتيسر ذكره في هذا المجلس من أخبار الجنة التي جاء ذكرها في كتاب الله وسنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

من أسماء الجنة:

- ١- هي دار السلام كما تقدم
- ٢- وهي: دار الخلد. وسُميت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً،
- ٣- وهي دار المُقامة.
- ٤- وهي جنة المأوى.
- ٥- وهي جنات عدن. وعدن من الإقامة والدوام.
- ٦- وهي دار الحيوان. قال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت]؛ يعني: وإن الآخرة يعني: الجنة. لهي الحيوان: لهي دار الحياة التي لا موت فيها. قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى: الحياة... ويحتمل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ ﴾ معنيين: أحدهما:

الدنيا في ذم الدنيا (٣٧٠) وفي الزهد في الدنيا (٣٤٧) عن سعيد بن عبد العزيز ورواها الإمام أحمد في الزهد (٤٨١) عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول. ورواه الإمام أحمد في الزهد (٣٢٥) وابن عساکر في تاريخه (٤٣٠/٤٧) عن زرعة بن إبراهيم. ورواه أبو القاسم ابن حبيب النيسابوري في عقلاء المجانين (ص ٢٤) - ومن طريقه ابن عساکر- عن مجاهد.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. ورواه ابن حبان (٢٩٨٠)، والحاكم (٣٥٩٨) وقال صحيح على شرط مسلم! وتعقبه شيخنا الوداعي في تعليقه على المستدرک فقال: لم يعتمد مسلم على محمد بن عمرو بن علقمة. وهو كذا العلامة الألباني: وقال - كما في السلسلة الصحيحة (٣٨٦/٢) -: والصواب أنه حسن لذاته، صحيح لغيره... إلخ والحديث حسنه شيخنا الوداعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٧٧٩).

أن حياة الآخرة هي الحياة؛ لأنه لا تنغيص فيها ولا نفاذ لها: أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار، ... الثاني: أن يكون المعنى: أنها الدار التي لا تنفى ولا تنقطع، ولا تبديد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا، فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت اهـ^(١)

٧- وهي جنة الفردوس. قال ابن القيم رحمته الله: والفردوس: اسم يُقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات. وأصل الفردوس: البستان، ... وقال مجاهد: "هو البستان بالرومية". واختاره الزجاج، فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية. قال: وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين اهـ^(٢)

٨- وهي جنات النعيم: لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصُّور، والرَّائحة الطَّيِّبة والمنظر البهيج، والمسكن الواسعة، وغير ذلك من التَّعيم الظاهر والباطن.

٩- وهي: المقام الأمين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان] قال ابن القيم رحمته الله: فالمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوءٍ ومكروهٍ، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزَّوال والخراب، وأنواع الثُّغص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنَّقص والتَّكد... وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان]، وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها، فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا اهـ^(٣)

١٠- وهي: مَقْعَدُ الصَّدَقِ،

١١- وَقَدَمُ الصَّدَقِ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٥﴾﴾ فِي مَقْعَدِ

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم» (٢٠٠/١)

(٢) المرجع السابق (٢٠٢/١)

(٣) المرجع السابق (٢٠٣/١)

صَدَقَ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴿القمر﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

فسمى الجنة مقعد صدق، لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها، كما يقال: مودّة صادقة: إذا كانت ثابتة تامّة، وحلاوة صادقة، وحملة صادقة.

ومنه الكلام الصّدق، لحصول مقصوده منه.

وموضوع هذه اللفظة في كلامهم: الصّحة والكمال، ومنه الصّدق في الحديث،

والصدق في العمل، ...

ومنه الصّدقة؛ لصفاء المودّة والمخالّة، ومنه صدقني القتال، وصدقني المودّة،

ومنه قدم الصّدق، ولسان الصّدق، ومدخل الصدق، ومخرج الصّدق.

وذلك كله للحقّ الثابت المقصود الذي يرغب فيه، بخلاف الكذب الباطل، الذي لا

شيء تحته، ولا يتضمن أمراً ثابتاً. قال: وفُسرّ قدم الصّدق:

• بالجنة،

• وفُسرّ بالأعمال التي تنال بها الجنة،

• وفُسرّ بالسابقة التي سبقت لهم من الله،

• وفُسرّ بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك.

والتّحقيق أنّ الجميع حقّ؛ فإنّهم سبقت لهم من الله بذلك السابقة بالأسباب التي

قدّرها لهم على يد رسوله صلّى الله عليه وآله، وأدّخر لهم جزاءها يوم لقائه.

ولسان الصّدق هو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال، وجميل الطرائق، وفي كونه

لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع، وأنّه ثناء بحقّ لا بباطل.

ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه

ضامناً على الله، وهو دخوله وخروجه بالله ولله.

وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنّه لا يزال داخلياً في أمرٍ وخارجاً من أمرٍ،

فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك، كان قد أُدخل مدخل صدق وأُخرج مخرج

صدق اهـ (١)

(١) المرجع السابق (١/٢٥٥ وما قبلها).

الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر:

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَأَقْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»^(١).

فالنبي عليه الصلاة والسلام يخبرنا عن ربنا عز وجل أنه لا حد لوصف الجنة وأن النعيم الذي فيها يعجز العقل عن إدراكه، فمهما وصف لك هذا النعيم، فالنعيم أعظم من ذلك، وذلك فضل من الله يؤتیه من يشاء.

موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها:

تأمل قول النبي ﷺ كما في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢).

لو أن عندك سوطاً ووضعته على الأرض فكم سيأخذ منها؟ إن ما يأخذه السوط من مساحة لو قُدِّرَ مثلها في الجنة لكان خيراً من الدنيا وما فيها. وجاء في صحيح الإمام البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِّمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ»^(٣).

فهذه الدنيا بقصورها، وأموالها، وخضرتها، وجمالها، وما فيها من أموال، وما فيها من أمور عظيمة لا تساوي عند نعيم الجنة شيئاً.

ويقول نبينا ﷺ كما في الصحيح، من حديث أنس رضي الله عنه: «لَعَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثم قال: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَتَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا»، أي: خمارها «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٤). هذه هي الدنيا التي تنتافس عليها، بل نتقاتل من أجلها، بل يجعلها الإنسان نُصَبَ عَيْنَيْهِ ليملاً من ذلك نفسه وقلبه.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٠).

(٣) برقم (٣٢٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٩٢).

وقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عليه السلام «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»
 وفي رواية: «... وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ...»
 وفي أخرى: «... وَلَا يَمْلَأُ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ»^(١).
 وفيهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ...»^(٢)
 وصح أن هذا كان قرآنًا ثم نسخ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٦، ٦٤٣٧) ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. واللفظ للبخاري، والرواية الأولى له، والثاني لفظ مسلم. وفي الباب: عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، رواه البخاري (٦٤٣٨). وعن أنس رضي الله عنه، رواه مسلم (١٠٤٨). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه ابن ماجه (٤٢٣٥) وعن جابر رضي الله عنه رواه أحمد (١٤٦٥٧). وعن عائشة رضي الله عنها رواه أحمد (٢٤٢٧٦). وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط (٣٤٧٣) وعن كعب بن عياض رضي الله عنه، رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٠ / ١٩) رقم (٤٠٦) وانظر: الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (١٧٧ / ١) وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها (٦ / ٩٦٦) رقم (٢٩٠٧)

(٢) صحيح البخاري (٦٤٣٩) وصحيح مسلم (١٠٤٨)

(٣) كما في صحيح مسلم (١٠٥٠) عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، قَالَ: بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه إِلَى قُرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: «... وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ، كُنَّا نُسَبِّحُهَا فِي الطُّوْلِ وَالشَّدَةِ بِرِبَاءَةٍ، فَأُنْسِيئُهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ...» وفي سنن الترمذي (٣٨٩٨) عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ»، فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البينة: ١] ... وَقَرَأَ عَلَيْهِ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا، لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ اهـ. وفي المسند (١٩٢٨٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، لَابْتَغَى إِلَيْهِمَا آخَرَ، وَلَا يَمْلَأُ بَطْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» وفي المسند (٢١٩٠٦) عَنْ أَبِي وَقِيدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَيَحْدِثُنَا فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِتْيَاءِ الرَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» وفي مسند البزار (٤٤٣٣) وشرح مشكل الآثار للطحاوي (٢٠٣٦) عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنها قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ لَتَمَنَّى وَادِيًا ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا لَتَمَنَّى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»

ولهذا فإن مَنْ كَتَبَ اللهُ له الجنة وزحزح عن النار فهو من الفائزين ومن الناجين ومن المفلحين. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً:

ذكر الله عزَّوجلَّ لنا في كتابه كيف أن أهل الإيمان سيُساقون إلى الجنة معززين مكرمين زمراً أي: جماعة، جماعةً إلى جنات النعيم. قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَلِيدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر] أي: طابت أعمالكم، وطابت أقوالكم، وطابت أنفسكم، وطابت قلوبكم، فذلك استحققتهم هذه الدار الطيبة.

ويقول الله جلَّ وعلا في شأن الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق] أزلفت يعني: قربت فلا يتحملون عناء الذهاب إليها، بل إنَّ الله عزَّوجلَّ يقربها إليهم.

شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة في دخول الجنة:

وقد تقدم معنا في الدرس الماضي حديث أبي سعيد رضي الله عنه وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ - يعني من العبور على الصراط - حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُوا وَهَدُّبُوا أُذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ» الحديث ^(١). فإنهم إذا أذن لهم في الدخول؛ فلا يجدون الباب مفتوحاً، ولكن النبي ﷺ يشفع إلى الله في أن يفتح لهم باب الجنة. كما تقدم في مباحث الشفاعة. قال النبي ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ» ^(٢). ويقول عليه الصلاة والسلام: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» ^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري (٢٤٤٠) وتقدم في الجزء السادس (ص ٢٥٠)

(٢) أخرجه الإمام مسلم (١٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وتقدم في الجزء السادس (ص ١٩٧)

(٣) أخرجه الإمام مسلم (١٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وتقدم في الجزء السادس (ص ١٩٧)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، وحديفة بن أسيد، قالاً: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزَلَّفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، ...» - فذكر الحديث في طلب الشفاعة من أولي العزم وفيه: «... فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ...»^(١). فيستفتح النبي ﷺ لأهل الجنة حتى يدخلوا الجنة فإذا دخلوها، دخلوها بحسب أعمالهم^(٢).

أول زمرة يدخلون الجنة:

يقول النبي ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدَّ كَوَكَبِ إِضَاءَةٍ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاعُضَ، لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا لَا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، آيَاتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الْأُلُوءَةُ - قَالَ أَبُو الْيَمَانِ: يَعْنِي الْعُودَ - وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ»^(٣).

أول من يدخل الجنة من هذه الأمة سبعون ألفاً بلا حساب ولا عذاب:

وأول من يدخل الجنة من أمته عليه الصلاة والسلام سبعون ألفاً من غير حساب ولا عذاب، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم يعني أن هؤلاء السبعين يدخلون الجنة معاً لا يتقدم أحدهم على أحد. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وسأذكر منها ما تيسر، فمنها:

١- عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكُوكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لِدِعْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثُ حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ

(١) أخرجه مسلم (١٩٥). ووهم الحاكم فخرجه في المستدرک على الصحيحين (٨٧٤٩) وصححه على شرطهما. وتعقبه شيخنا الوادعي في تحقيق المستدرک.

(٢) تقدمت مباحث الشفاعة في المجلس التاسع والعشرين (١٨٩/٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٦) واللفظ له، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأسلميّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: «لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ» ^(١)، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ أَنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَرَأَيْتُ

(١) (أو حمة) بِضَمِّ الحَاءِ وَتَخْفِيفِ المِيمِ سَمِ الْعُقْرَبِ وَشَبَهَهَا وَقِيلَ فَوْعَةَ السَّمِ وَقِيلَ جِدْتَهُ وَحِرَارَتَهُ وَالْمُرَادُ أَوْ ذِي حِمَّةٍ أَيْ لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ لَدَغِ ذِي حِمَّةٍ. وَهَذَا الْحَدِيثُ اخْتَلَفَ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا حَتَّى قَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ فِي الْعِلَلِ: "الْحَدِيثُ مُضْطَرَبٌ":

- ١- فرواه الترمذي (٢٠٥٧) عن سفيان بن عيينة وأبو داود (٣٨٨٤) عن مالك بن مغول والبيهقي (١٩٥٨٩) عن إسماعيل بن زكريا والطبراني في الكبير (٥٨٧) عن عبد الله بن إدريس كلهم عن حصين عن الشعبي عن عمران مرفوعا. وخالفهم ابن فضيل عند البخاري (٥٧٥٠) فرواه عن حصين به موقوفا.
- ٢- ورواه ابن ماجه (٣٥١٣) عن أبي جعفر الرازي؛ والروياي (٥٢) عن عباد بن العوام كلاهما عن حصين عن الشعبي عن بريدة مرفوعا وخالفهم هشيم كما عند مسلم فرواه عن حصين به عن بريدة موقوفا
- ٣- ورواه شعبة عن حصين واختلف عليه فيه:

○ فرواه المحاملي (٣٨٨) عن محمد بن الوليد البصري؛ والطبراني في الأوسط (١٤٤٩) عن محمد بن عبد الله بن عبيد؛ كلاهما عن عثمان بن عمر عن شعبة عن حصين به عن عمران به مرفوعا.

○ وذكر الدارقطني رواية البصري في العلل (١١٠ / ١٢) ثم قال: وقال غيره: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَرَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. وقال الترمذي: وَرَوَى شُعْبَةُ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ بُرَيْدَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، بِمِثْلِهِ يَعْنِي مَرْفُوعًا. وَفِي عِلَلِ الْحَدِيثِ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (٣٣٠ / ٦) قَالَ: وَرَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ بُرَيْدَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ شُعْبَةُ أَحْفَظْهُمْ.

○ ورواه البيهقي (١٩٥٤٥) عن روح عن شعبة عن حصين به عن بريدة موقوفا وهو عند ابن خزيمة في التوكل كما في "إتحاف المهرة" (٢٢٦٣) قال: أنا محمد بن معمر، ثنا روح، ثنا شعبة به. وظاهر سياق ابن حجر في إتحاف المهرة أنه مرفوع لكن كونه قرنه برواية ابن حبان عن هشيم به وهي موقوفة يدل على أن رواية ابن خزيمة موقوفة أيضا والله أعلم ويؤيده رواية البيهقي.

- ٤- وأخرجه أبو داود (٣٨٨٩) عن يزيد بن هارون عن شريك، عن العباس بن ذريح، عن الشعبي، عن أنس رضي الله عنه. وتابعه محمد بن سعيد بن الأصبهاني أنا شريك به. أخرجه الحاكم (٤ / ٤١٣)

وخالفهما علي بن الجعد كما في مسنده (٢٣٩٦) وسليمان بن داود العتكي عند أبي داود وعمرو بن عون عند ابن أبي حاتم في العلل: فرواه مرسلًا عن شريك، عن العباس بن ذريح، عن الشعبي، رفعه، ا.هـ وهذا الاختلاف من شريك وهو ابن عبد الله النخعي فإنه صدوق يخطئ كثيرا كما في التقريب، وحكم عليه الحافظ في الفتح بالشذوذ وجعل العلة فيه من العباس، والعباس بن ذريح ثقة، فإعلاله بشريك أولى. وفي عِلَلِ الْحَدِيثِ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (٣٣١ / ٦) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ...وَلَيْسَ لِمَا رَوَى ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ - مِنْ ذِكْرِ أَنَسٍ -

النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ ^(١)، وَالنَّبِيِّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيِّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى

مَعْنَى؛ لِأَنَّ الْحِفَاطَ يَرْسُلُونَهُ مِنْ حَدِيثِ شَرِيكَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ شَرِيكَ؛ لِأَنَّ ابْنَ الْأَصْبَهَانِي كَانَ مُتَقَنَّأً هـ.

٥- ورواه مجالد عن الشعبي عن جابر كما في مسند البزار (٣٠٥٦/كشف الأستار) ومسند الشهاب القضاعي (٨٥١)

٦- وقال جابر: عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة. ذكره الدارقطني في العلل (١١٠/١٢) وجابر هو الجعفي متروك.

٧- وقال ابن أبي السفر: عن الشعبي، عن عبد الله بن مسعود، قوله، قاله شعبة عنه. ذكره الدارقطني في العلل (١١٠/١٢)

وفي الباب عند مسلم (١٧٢٥/٤) عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّقِيَّةِ مِنَ الْعَيْنِ، وَالْحَمَّةِ، وَالْتَمَلَةِ»

(١) في رواية الترمذي: (٢٤٤٦) والنسائي في السنن الكبرى (٧٥٦٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ جَعَلَ يَمُرُّ بِالنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّينَ وَمَعَهُمُ الْقَوْمُ وَالنَّبِيُّ وَالنَّبِيِّينَ وَمَعَهُمُ الرَّهِيْطُ وَالنَّبِيُّ وَالنَّبِيِّينَ وَلَيْسَ مَعَهُمْ أَحَدٌ حَتَّى مَرَّ بِسَوَادٍ عَظِيمٍ... الحديث. وهو من رواية عَبَّاسِ بْنِ الْقَاسِمِ: حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهِ. وأشار الحافظ إلى وهم الراوي فيها فقال كما في فتح الباري (١١/٤٠٧): فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُحْفُوظًا كَانَتْ فِيهِ قُوَّةٌ لِمَنْ ذَهَبَ إِلَى تَعَدُّدِ الْإِسْرَاءِ وَأَنَّهُ وَقَعَ بِالْمَدِينَةِ أَيْضًا غَيْرَ الَّذِي وَقَعَ بِمَكَّةَ فَقَدْ وَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْبَزَّازِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (يعني من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ أَكْرَبْنَا (كذا، وصوابه أَكْرَبْنَا أَي أَطْلَبْنَا) الْحَدِيثَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ عُدْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بِأَمَمِهَا فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ الْبَزَّازِ أَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ حَتَّى نَامَ بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَدِيثَ وَالَّذِي يَتَحَرَّرُ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ الَّذِي وَقَعَ بِالْمَدِينَةِ لَيْسَ فِيهِ مَا وَقَعَ بِمَكَّةَ مِنْ اسْتِفْتَاخِ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ بَابًا بَابًا وَلَا مِنَ التَّقَاءِ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي سَمَاءٍ وَلَا الْمُرَاجَعَةَ مَعَهُمْ وَلَا الْمُرَاجَعَةَ مَعَ مُوسَى فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفَرَضِ الصَّلَاةِ وَلَا فِي طَلَبِ تَخْفِيفِهَا وَسَائِرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا تَكَرَّرَتْ قَضَايَا كَثِيرَةٌ سِوَى ذَلِكَ رَأَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمِنْهَا بِمَكَّةَ الْبَعْضُ وَمِنْهَا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ الْبَعْضُ وَمُعْظَمُهَا فِي الْمَنَامِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَهـ. وقال العلامة الألباني في كتابه: "الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها (ص: ٨٤)": وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي حصين هذا وهو ثقة إلا أنه يبدو أنه وهم هو أو شيخه عبث في ذكر الإسراء في هذا الحديث فقد رواه جمع من الثقات عن حصين بن عبد الرحمن به دون الإسراء. أخرجه البخاري (٣٤١٠ و ٥٧٠٥ و ٥٧٥٢ و ٦٤٧٢ و ٦٥٤١) ومسلم (٣٧٤ و ٣٧٥) وأحمد (٢٧١/١) وقد أشار الحافظ إلى شذوذ هذه الزيادة فقد ذكره بها من رواية الترمذي والنسائي... إلخ

الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرِي إِلَى الْأُفُقِ الْآخِرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتَكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنزِلَهُ فَخَاصَّ النَّاسَ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ ﷺ: «هُمُ الَّذِينَ (لَا يَرْقُونَ)»^(١)، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ [وَلَا يَكْتَوُونَ]، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحِصِنٍ رَضِيَ، فَقَالَ: " ادْعُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمُ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمُ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرَ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمُ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(٢).

ففي الحديث "فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية" أي أنه يدخل الجنة منهم خلق كثير فهذا بالكمية وأما بالكيفية فدخل سبعين ألفاً منهم الجنة بغير حساب ولا عذاب. وذلك لكمال توكلهم وتوحيدهم لله تعالى. وفي معناه أحاديث كثيرة وردت فيمن يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ وفي أحاديث أخرى أنهم أكثر أهل الجنة، فمنها:

٢- ما في صحيح مسلم عن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ

(١) قال ابن القيم: في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ١٣٠): وليس عند البخاري «لَا يَرْقُونَ» قال شيخنا وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث وهي غلط من بعض الرواة فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقبهم ولا يتطهرون وعلى ربهم يتوكلون والطيبة نوع من الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث الطيرة الشرك قال ابن مسعود وما منا إلا من تطير ولكن الله يذهب بالتوكل. فالتوكل ينافي التطير وأما رقية العين فهي إحسان من الراقي قد رقى رسول الله جبريل وأذن في الرقي وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك واستأذنه فيها فقال من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه وهذا يدل على أنها نفع وإحسان وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله فالراقي محسن والمسترقي سائل راج نفع الغير والتوكل ينافي ذلك اهـ.

(٢) رواه البخاري (٣٤١٠، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١) ومسلم (١٣٧/١ رقم ٤٤٧).

اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ»^(١).

٣- وفيه عن الحَكَمِ بْنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(٢).

٤- وفي الصحيحين عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهَهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ» فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ الْأَسَدِيِّ، يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ»^(٣).

٥- ولمسلم عن مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ»^(٤).

٦- وفي الصحيحين عن أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعِمِائَةَ أَلْفٍ - لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوْلَاهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٥).

(١) رواه مسلم (١٩٨/١) رقم (٢١٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه البخاري (٥٧٠٥، ٥٨١١، ٦٥٤٢) والزيادة له ومسلم (١٩٧/١) رقم (٢١٦) واللفظ له.

(٤) رواه مسلم (١٩٧/١) رقم (٢١٦).

(٥) رواه البخاري (٣٢٤٧، ٦٥٤٣، ٦٥٥٤) ومسلم (١٩٨/١) رقم (٢١٩).

٧- وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ مِنْ حَثِيَّاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»^(١)

٨- وفي المسند وصحيح ابن حبان عن سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، وَأَبِي الْيَمَانِ الْهُوزِيِّ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَقَالَ: يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه: وَاللَّهِ مَا أَوْلَيْكَ فِي أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الذَّبَّانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَبِّي قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا وَزَادَنِي حَثِيَّاتٍ»^(٢)

٩- وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَكْثَرْنَا الْحَدِيثَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ، ثُمَّ غَدَوْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بِأُمَّمِهَا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ، وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّفْرُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ مُوسَى عليه السلام مَعَهُ كَبْكَبَةٌ»^(٣) مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ لِي: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى، مَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ. فَانْظَرْتُ، فَإِذَا الظَّرَابُ^(٤) قَدْ سَدَّ بُوْجُوهَ الرِّجَالِ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ. فَانْظَرْتُ، فَإِذَا الْأُفُقُ قَدْ سَدَّ بُوْجُوهَ الرِّجَالِ، فَقِيلَ لِي: أَرْضَيْتَ؟ فَقُلْتُ: رَضِيْتُ يَا رَبِّ، رَضِيْتُ يَا رَبِّ. قَالَ: فَقِيلَ لِي: إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فِدَا لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي، إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ الْأَلْفِ، فَافْعَلُوا، فَإِنْ قَصَرْتُمْ، فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظَّرَابِ، فَإِنْ قَصَرْتُمْ، فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأُفُقِ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ نَسًا يَتَهَاوَشُونَ». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصِنٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنَ السَّبْعِينَ،

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦).

(٢) صحيح، رواه أحمد (٤٧٩ / ٣٦) رقم (٢٢١٥٦) وصححه ابن حبان (٧٢٤٦)

(٣) بضم الكافين وفتحهما: الجماعة المتضامة.

(٤) الظراب: بكسر معجمة آخره موحدة، هي الجبال الصغار المنبسطة على الأرض.

فَدَعَا لَهُ، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «قَدْ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةٌ». قَالَ: ثُمَّ تَحَدَّثْنَا، فَقُلْنَا: مَنْ تَرَوْنَ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ الْأَلْفَ؟ قَوْمٌ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا حَتَّى مَاتُوا؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١) رواه أحمد

١٠- وله عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أُرِيَ الْأُمَّمَ بِالْمَوْسِمِ [أيام الحج]، فَرَأَتْ عَلَيْهِ أُمَّتَهُ، قَالَ: «فَأَرَيْتُ أُمَّتِي، فَأَعْجَبَنِي كَثْرَتُهُمْ، قَدْ مَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، فَقِيلَ لِي: إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَالَ عُكَّاشَةٌ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَامَ يَعْزِي آخَرَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةٌ»^(٢)

١١- وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يُسأل عن الورود، فَقَالَ: نَحْيٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا^(٣)، انظُرْ أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتَدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْتَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ^(٤): فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند ط الرسالة (٣٨٠٦، ٣٩٨٧، ٣٩٨٨، ٣٩٨٩، ٤٠٠٠) وأورده الهيثمي في "المجمع" ٤٠٦/١٠، وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبخاري وأبو يعلى باختصار كثير، وأحد أسانيد أحمد والبخاري، رجاله رجال الصحيح ١هـ.

(٢) حسن صحيح، رواه أحمد في المسند ط الرسالة (٣٨١٩ / ٣٦٩ / ٦) والبخاري في الأدب المفرد (٩١١)، وابن حبان (٦٠٨٤).

(٣) في مسند أحمد (١٤٧٢١) من طريق ابن لهيعة، عن أبي الزبير، أنه سأل جابراً، عن الورود، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ فَوْقَ النَّاسِ، فَيَدْعَى بِالْأُمَّمِ بِأَوْتَانِهَا، ...» الحديث.

(٤) في مسند أحمد ط الرسالة (١٥١١٥) من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يُسأل عن الورود، قَالَ: نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَذَا، وَكَذَا " انظُرْ، أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ: «فَتَدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْتَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ، فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ:

نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلَ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ مَحَلُّ الشَّفَاعَةِ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يُسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا (١)

١٢- وفي مسند البزار عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن خاله الفلتان بن عاصم رضي الله عنه

قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا فِي الْمَجْلِسِ فَشَخَصَ بَصَرَهُ إِلَى رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ يَمْشِي، فَقَالَ: «أَبَا فَلَانٍ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا يُتَارَعُهُ الْكَلَامَ إِلَّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ لَهُ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَتَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «وَالْإِنْجِيلَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «وَالْقُرْآنَ؟» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ نَشَاءُ لَقَرَأْتُهُ، ثُمَّ نَاشَدَهُ «هَلْ تَجِدُنِي فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ؟» قَالَ: نَجِدُ مِثْلَكَ وَمِثْلَ هَيَأْتِكَ وَمِثْلَ مَخْرَجِكَ، فَكُنَّا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِينَا فَلَمَّا خَرَجْتَ خُوفْنَا أَنْ تَكُونَ أَنْتَ هُوَ فَتَنْظَرْنَا فَإِذَا لَسْتَ أَنْتَ هُوَ، قَالَ ﷺ: «وَلِمَ ذَاكَ؟» قَالَ: مَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ وَلَا عَذَابٌ، وَإِنَّمَا مَعَكَ نَفْرٌ يَسِيرٌ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنَا هُوَ وَإِنَّهُمْ لِأُمَّتِي، وَإِنَّهُمْ لِأَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا وَسَبْعِينَ أَلْفًا» (٢)

هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة:

ومما يدخل في هذا الباب: "نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضِيلَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَشَرَفِهَا بِكَرَامَتِهَا عَلَى اللهِ، وَأَنَّهَا خَيْرُ الْأُمَّمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" ومن ذلك:

نَنْتَظِرُ رَبَّنَا عَزَّوَجَلَّ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ « قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ، ... » الحديث.

(١) رواه مسلم (١٩١).

(٢) صحيح الإسناد، رواه البزار في المسند (٣٧٠٠) وابن حبان (٦٥٨٠).

١٣- ما في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ «أَبَشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»^(١)

١٤- وفيهما أيضا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»^(٢)

١٥- وفي مسند أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَنْ يَتَّبِعُنِي مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَكَبَّرْنَا. قَالَ: «أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَكَبَّرْنَا. قَالَ: «أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣)

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠) ومسلم (٢٢٢)

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٢٨، ٦٦٤٢) ومسلم (٢٢١)

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٣٢٨/٢٣) رقم (١٥١١٤). وسنده صحيح على شرط مسلم.

١٦- وَعَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ، مِنْهُمْ ثَمَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» وفي رواية: «أَنْتُمْ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا» رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد واللفظ له وابن حبان والحاكم ^(١).

١٧- وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنْتُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ» رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد ^(٢).

(١) حسن صحيح، رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩) وأحمد (٢٢٩٤٠، ٢٣٠٠٢، ٢٣٠٦١) وابن حبان (٧٤٥٩، ٧٤٦٠) والحاكم (٢٧٣، ٢٧٤) من طريق أبي سنان الشيباني، ضرار بن مرة، عن محارب بن دثار عن ابن بريده، عن أبيه، به وصححه الحاكم على شرط مسلم. قلت: إسناد الحاكم ضعيف، فيه أحمد بن عبد الجبار يروي عن ابن فضيل عن أبي سنان به. وأحمد ضعيف الحديث وليس له رواية في الكتب الستة وإنما قيل روى له أبو داود وقال الحافظ: لم يثبت أن أبا داود أخرج له. اهـ ونقل المزي عن الحاكم قوله فيه: ليس بالقوي عندهم، تركه أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد يعني ابن عقدة. اهـ ولكنه متابع فقد رواه الترمذي قال حدثنا حسين بن يزيد الطحان حدثنا محمد بن فضيل عن أبي سنان به. والحسين الطحان حسن الحديث، قال المزي في ترجمته: قال أبو حاتم: لين الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ وقد روى عنه جماعة من الأئمة كما في التهذيب منهم: أبو داود والترمذي وأبو يعلى الموصلي وأبو بكر ابن هانئ الأثرم والحسن بن سفيان وأبو زرعة الرازي ومحمد بن إسحاق الثقفي ومحمد بن يحيى بن مندة الأصبهاني. قلت: وابن بريده في إسناده يمتثل أن يكون عبد الله كما هو صنيع الحافظ في الإتحاف (٢٣٢٩)، أو سليمان، كما هو صنيع المزي في التحفة (١٩٣٨)، وكلاهما ثقة روى له مسلم، وروى البخاري أيضا لعبد الله؛ ومما يرجح كونه عبد الله أن الإمام أحمد روى الحديث في المسند (٣٦١/٥) مصرحا به فقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا ضَرَّارُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ بِهِ. وقد جاء الحديث من طريق أخرى عن سليمان بن بريده عن أبيه فقد رواه الحاكم عقب هذا فقال: وله شاهد من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريده عن أبيه، ثم أسنده عن الثوري من طرق، وقال: أرسله يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي عن الثوري. اهـ ولا يضر إرسال من أرسله عن الثوري، فقد تقدم موصولا من الطريق الأولى. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقد روى هذا الحديث عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريده عن النبي ﷺ مرسلا، ومنهم من قال سليمان بن بريده عن أبيه. وحديث أبي سنان عن محارب بن دثار حسن. وأبو سنان اسمه ضرار بن مرة. اهـ وحديث بريده صححه الألباني في صحيح موارد الظمان (٢٢٣١)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح (٥١٢/١). وللحديث شاهد رواه الإمام أحمد (٤٣٢٨) وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. والله أعلم.

(٢) رواه الترمذي (٣٠١) وحسنه وابن ماجه (٤٢٨٧، ٤٢٨٨) والنسائي في الكبرى (١١٣٦٧) وأحمد (٢٠١١، ٢٠١٥، ٢٠٢٥، ٢٠٢٩، ٢٠٤٩) وصححه الحاكم (٦٩٨٧) وحسنه العلامة الألباني كما في التعليق على هداية الرواة (٦٢٤٩) - وهو آخر حديث في المشكاة - وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح (٢٢٢)

الفقراء أكثر أهل الجنة:

كما في صحيح البخاري عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»^(١)
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم: «أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»^(٢)

الفقراء من المؤمنين يسبقون الأغنياء في دخول الجنة:

وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن فقراء المؤمنين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بنصف يوم.

فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»^(٣).

وفي صحيح مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»^(٤)

قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله: والذي في الصحيح أن سبقهم لهم «بأربعين خريفًا». فإمّا أن يكون هو المحفوظ، وإمّا أن يكون كلاهما محفوظان، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم والله أعلم.

قال: ولكن ها هنا أمرٌ يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة؛ وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يُحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه، فوجد قد شكر الله تعالى فيه، وتقرّب إليه بأنواع البرّ والخير والصدقة والمعروف، كان أعلى درجة

(١) صحيح البخاري (٣٢٤١)

(٢) صحيح مسلم (٢٧٣٧)

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٥٣) وابن ماجه (٤١٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٧٩)

من الفقير الذي سبقه في الدخول، ولم تكن له تلك الأعمال، ولا سيّما إذا شاركه الغني في أعماله هو وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. فالمزيتان؛ مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المتقضي للأمرين، أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق اهـ^(١).

النساء أقل ساكني أهل الجنة:

تقدم حديثا عمران وابن عباس رضي الله عنهما في المبحث السابق.

وفي صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ»^(٢).

وفي الصحيح بيان سبب ذلك:

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أُرِيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(٣)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِبَبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»^(٤)

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (١/٢٤١)

(٢) صحيح مسلم (٢٧٣٨).

(٣) صحيح البخاري (٢٩) وصحيح مسلم (٩٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤) وهو في مسلم (٨٠ و٨١٩) بنحوه.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي ليُب منكن» قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطري في رمضان فهذا نقصان الدين»^(١)

وفي المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ انصرف من الصبح يوماً فأتى النساء في المسجد، فوقف عليهن، فقال: «يا معشر النساء، ما رأيت من نواقص عقول ودين أذهب بقلوب ذوي الألباب منكن، وإني قد رأيت أنكُن أكثر أهل النار يوم القيامة، فتقربن إلى الله ما استطعتن»^(٢)،... الحديث

فتبين من هذه الأحاديث خطورة اللعن وكفران العشير وأنه سبب لدخول النار.

وفي معنى هذه القلة المذكورة هن في الجنة: جاء في صحيح مسلم عن محمد بن سيرين، قال: اختصم الرجال والنساء: [إمّا تفأخروا وإمّا تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟] فسألوا أبا هريرة فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوا كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجته اثنتان، يرى مئح سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب؟»^(٣)

وقد ذكر الحكيم الترمذي وغيره أن الوصف بكون النساء أكثر أهل النار كان قبل الشفاعة فيهن، فإذا دخلن الجنة بالشفاعة أو غيره يكون لكل رجل زوجتان، فيكن أكثر أهل الجنة اهـ.^(٤)

(١) أخرجه مسلم (٧٩).

(٢) مسند أحمد (٤٤٩/١٤) رقم ٨٨٦٢ وهو في صحيح مسلم (٢٨٣٤).

(٣) صحيح مسلم (٨٠) ولم يسق لفظه.

(٤) «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٩/١٢٨).

قال ابن الملقن رحمته الله: قال القرطبي رحمته الله: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة؛ لما يغلب عليهم من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا، لنقصان عقولهن فيضعفن عن عمل الآخرة، والتأهب لها لميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها، ثم هن مع ذلك أقوى الأسباب التي يصرف بها الرجال عن الأخرى؛ لما لهم فيهن من الهوى، وأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن، صارفات عنها لغيرهن، سريعات الانخداع لداعيتهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الآخرة وأعمالها من المتقين. (١)

وقال المناوي رحمته الله: «إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النَّسَاءُ» أي في أول الأمر قبل خروج عصاتهن من النار فلا دلالة فيه على أن نساء الدنيا أقل من الرجال في الجنة... هـ. (٢)
وقال في موضع آخر أيضا: ... لأنهن في الجنة باعتبار الحور وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار كما شهدت به الأخبار. هـ. (٣)

واستشكل بعض الناس وصف النساء بنقصان عقولهن، ومما ذكره العلماء في بيان ذلك قول العلامة الألباني، قال رحمته الله: الحديث يقرر أمراً جبلياً لا يمكن لأحد أن ينكره ولو كان ملحدًا، وهو أن المرأة تحيض، وأن عقلها دون عقل الرجل، هكذا خلقها الله لحكمة بالغة، كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۗ ﴾ [الليل]، ولهذا قال العلماء - واللفظ لعلامة الأندلس الحافظ ابن عبد البر -: هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ نُقْصَانَ الدِّينِ قَدْ يَقَعُ ضَرُورَةً لَا تُدْفَعُ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ جَبَلَهُنَّ عَلَىٰ مَا يَكُونُ نَقْصًا فِيهِنَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٤]؛ وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ أَيضًا بَعْضَ الرَّجَالِ عَلَى بَعْضٍ، وَبَعْضَ النِّسَاءِ عَلَى بَعْضٍ، وَبَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ، ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]؛ ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف]

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ١٢٨) وانظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٨١٨)

(٢) فيض القدير (٢/ ٤٢٨).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٨٥).

اهـ (١). قال الألباني: فهذه قاعدة عامة لا تستطيع امرأة أن تخرج عنها، فكل امرأة تحيض، كما أن كل رجل يمضي. ثم إن الله تعالى بحكمته رتب على تلك الجبلة حُكْمَيْنِ ثابتين: شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، والمرأة الحائض لا تصلي ولا تصوم، فهذه قاعدة لا استثناء فيها شرعاً، كالتي قبلها لا استثناء فيها قدرأً. وقد أكد النبي ﷺ هذه الحقيقة بقوله: «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةٍ فِرْعَوْنَ، وَمَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ التَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» - رواه الشيخان (٢)، وهو مخرج في "الروض النضير" (رقم ٧٣-)، قال: ويشبه ذلك الفرق الجبلي بين الرجال والنساء: الفرق المعروف بين الملائكة كافة، والبشر عامة، فالأولون كما قال الله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم]، والبشر على خلاف ذلك، طبعهم الله على المعصية، ولكن أمرهم بالاستغفار، وذلك قوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رواه مسلم (٣)، ... إلخ. (٤)

لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة:

ومن هم الذين يدخلون الجنة؟ إنه «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ».

- ١- خطب بذلك النبي ﷺ في أربعين من أصحابه [وهو بمنى] وأخبرهم: «أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. (٥)
- ٢- وأذن بذلك بلال رضي الله عنه يوم خيبر: كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، - فذكر الحديث - وفيه: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ، قُمْ

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/٣٢٦)

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/٣٩٩)

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٢٨) ومسلم (٢٢١) وأحمد (٤٢٥١) ومنه الزيادة.

فَأَذِّنْ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ...» الحديث^(١) وفي رواية - في الصحيحين -: ثُمَّ أَمَرَ بِالْأَلَا فَنَادَى فِي النَّاسِ: «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ...»^(٢)

٣- وأذن بذلك أيضا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كما في الصحيح عن عبد الله بن عباس، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حَيْبَرَ،... فذكر الحديث وفيه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ.^(٣)

٤- وفي الحجة التي أمر فيها النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه سنة تسع من الهجرة بعث ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه «بسورة براءة»^(٤) وبعثه «بأربع: أَنْ لَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ إِلَى مَدَّتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ فَأَجَلُهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلَا يَجْتَمِعُ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا»^(٥)

٥- وخطب النبي ﷺ بذلك أيام التشريق فقال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ»^(٦)؛

٦- وبعث أيام التشريق كعب بن مالك، وأوس بن الحدثان رضي الله عنهما، فناديا «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَأَيَّامٌ مِّنْ أَيَّامٍ أَكَلٍ وَشُرْبٍ»^(٧)

٧- ونادى بذلك أيضا بشر بن سحيم رضي الله عنه «أَمْرُهُ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُنَادِيَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ إِنَّهَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ، وَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(٨)

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٣، ٦٦٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٣) أخرجه مسلم (١١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٩، ٤٦٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذي (٨٧١، ٣٠٩٢) من حديث علي رضي الله عنه وقال حسن صحيح. و(٣٠٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) وقال حسن غريب وصححه الحاكم (٤٣٧٥). وأخرجه النسائي (٢٩٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه ابن ماجه (١٧٢٠) عن بشر بن سحيم رضي الله عنه وصححه ابن خزيمة (٢٩٦٠).

(٨) أخرجه مسلم (١١٤٢) من حديث كعب رضي الله عنه.

(٨) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢٩٠٦) والدارمي (١٨٠٧) وصححه ابن خزيمة (٢٩٦٠)

٨- وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: -وذكر الحديث- أن رجلا من القسيسين دله على النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ رضي الله عنه: فَأَنْطَلَقْتُ -وذكر الحديث في لقيه للنبي صلى الله عليه وسلم- قَالَ فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» فَحَدَّثْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيْدُخُلُ الْجَنَّةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ نَبِيٌّ أَيْدُخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ»^(١)

٩- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢)

فالذين سيدخلون الجنة بفضلٍ من الله **جَلَّ وَعَلَا** ورحمةٍ منه هم المؤمنون بالله ورسوله، الذين ماتوا على توحيد الله، ماتوا على التوحيد واجتناب الشرك والبُعدِ عنه، فمن مات على التوحيد فهو من أهل الجنة.

مفتاح الجنة توحيد الله:

قال رجل لوهب بن منبّه: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحُ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»^(٣)

قال ابن القيم: «وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور ... ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء ... ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨١/٤) وأحمد (٢٣٧١٢) وصححه ابن حبان (٧١٢٤)

(٢) صحيح مسلم (٥٤)

(٣) علقه البخاري في الصحيح (٧١/٢) ووصله شيخه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٢٨٩٣) - ومن طريقه البخاري في التاريخ الكبير مختصرا (٩٥/١) وأبو نعيم في الحلية (٦٦/٤) وفي صفة الجنة (١٩١) والحافظ في تعليق التعليق (٤٥٣/٢) - ورواه من غير طريق إسحاق البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٨). وحسنه الحافظ في المطالب العالية. وروي في مسند أحمد (٢٢١٠٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وسنده ضعيف.

الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل؛ وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق معرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه ... وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له... إلخ^(١)

أهل التوحيد الذين يدخلون الجنة قسمان :

فمنهم: من يدخل الجنة ابتداءً. ومنهم: من يكون عنده ذنوب من كبائر أو غيرها لم يغفرها الله ﷻ فإذا لم يغفر الله عز وجل لهم، فإنهم يدخلون النار ثم يؤذن فيهم بالشفاعة، فيشفع فيهم ويخرجون من النار، فيدخلون الجنة، وقد تقدم معنا ذلك في مبحث الشفاعة، وذكرنا قول النبي ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٢).
والمقصود أن أهل التوحيد الذين وحدوا الله وماتوا على توحيد الله ﷻ فإن مآلهم الجنة بفضل من الله عز وجل ورحمة.

الجنة دار الخلود :

أخبرنا ربنا ﷻ أيضًا أن الجنة دارٌ خالدةٌ لا تفتنى ولا تبديد، وأهلها فيها خالدون لا يرحلون عنها ولا يظعنون ولا يبديدون ولا يموتون، ﴿لَا يَدُوفُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٣) [الدخان: ٥٦]
وتكرّر في القرآن - في ستة وعشرين موضعا- قول الله ﷻ عن أهل الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٣) وقال جل وعلا: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾^(٤) [الكهف: ١٠٨].

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (١/ ١٣٩).

(٢) تقدم في آخر المجلس التاسع والعشرين.

(٣) [آل عمران: ١٥، ١٣٦، ١٩٨، النساء: ١٣، ٥٧، ١٢٢، المائة: ٨٥، ١١٩، التوبة: ٢٢، ٧٢، ٨٩، ١٠٠، هود: ١٠٨،

وإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ - كما في الحديث عن النبي ﷺ - كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ حُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ حُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(١).
ويقول النبي ﷺ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ، لَا يَبْأَسُ، لَا تَبَلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»^(٢).

ونعيم الجنة نعيم يفوق الوصف ويقصر دونه الخيال، فليس لنعيمها نظير كما تقدم أن ذكرنا لكن جاء وصفها في السنة أن النبي ﷺ أخبرنا أنها: «لِنِنَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلِنِنَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ»-والملاط ما يوضع بين اللبنتين وما يوضع بين الطوبتين-، قال ﷺ: «وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الرَّعْفَرَانُ»

وإذا كان ملاطها المسك وتربتها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت فما ظنك بجمالها!! -نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يدخلنا الجنة-؛

ثم قال عليه الصلاة والسلام -: «مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبَلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ»^(٣).

فهذا شيء مما ذكر في السنة في وصف هذه الدار العظيمة.

إبراهيم ٢٣، الكهف: ١٠٨، طه: ٨٦، الفرقان: ٧٦، العنكبوت: ٥٨، لقمان: ٩، الأحقاف: ١٤، الفتح: ٥،

الحديد: ١٢، المجادلة: ٢٢، التغابن: ٩، الطلاق: ١١، البينة: ٨.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٤١٠/١٣) رقم (٨٠٤٣) والترمذي (٢٥٢٦) وابن حبان (٧٣٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وصححه شيخنا مقبل الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٥٩٦).

جنتان من ذهب وجنتان من فضة:

قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله: الجنة: اسمٌ شامل لجميع ما حوته من البساتين والمسكن والقصور وهي جنات كثيرة جداً، كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء رضي الله عنها وهي أم حارثة بن سراقه رضي الله عنه أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا نبي الله، ألا تُحدّثني عن حارثة، -وكان قُتِل يوم بدرٍ أصابه سهمٌ غربٌ-، فإن كان في الجنة صبرْتُ، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء، قال: «يا أم حارثة إنَّها جنانٌ في الجنة، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى» ^(١)... إلخ ^(٢)

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن]. ثم وصف هاتين الجنتين بأوصاف عدة في سورة الرحمن، وقال بعد ذلك: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن]. وجاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» ^(٣).

وقال أبو موسى رضي الله عنه: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن]: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ لِلْسَّابِقِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ لِلتَّابِعِينَ» ^(٤)

أبواب الجنة:

وللجنة أبوابٌ يدخل منها المؤمنون، قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ مُفْتَحَةٌ لَهُمْ ﴿٥٠﴾﴾ [ص] وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها ثمانية أبواب، كما في صحيح البخاري عن

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (٢٠٦/١)

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٨١٤) والحاكم (٣٧٧٢) وصححه.

سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله، قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»^(١).

فمنها بابٌ يُسَمَّى باب الريان، وهو بابٌ لا يدخل منه إلا الصائمون، وقال صلّى الله عليه وآله: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٢).

ومنها: بابُ الصَّلَاةِ، وبابُ الجهادِ، وبابُ الصَّدَقَةِ: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله، قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا أَبَا نُؤَيْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(٣).

سعة أبواب الجنة:

في الصحيحين - في حديث الشفاعة - عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله قَالَ: «... فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا

(١) صحيح البخاري (٣٢٥٧) وفي الباب: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رواه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

وعن عقبة بن عامر عن عمر رضي الله عنه رواه مسلم (٢٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) وقال ابن العربي في المسالك في شرح موطأ مالك (٤/٢٤٧): وأبواب الجنة ثمانية، ولم يخلق إلى الآن من يُسَمِّيها عن محمد صلّى الله عليه وآله، والذي صح عنه أن للجنة باباً يُقال له الرَّيَّانُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ،... إلخ. قلت: وصح ذكر تسمية هذه الأبواب في هذا الحديث.

بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرٍ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى «
وفي رواية مسلم: «... بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»^(١)

وفي صحيح مسلم عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبْنَا عُتْبَةَ بِنْتُ عَزْرَوَانَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، «فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصِرْمٍ وَوَلَّتْ حَدَاءً»^(٢)، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ»^(٣)، يَتَصَابَهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا»^(٤)، وَوَاللَّهِ لَشُمْلَانٌ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٍ»^(٥) مِنَ الرَّحَامِ»^(٦). وقد جاء التقدير بأن «بين المصراعين أربعين سنة» في أحاديث مرفوعة ذكرها ابن القيم وبين ضعفها ثم قال: وحديث أبي هريرة أصح اهـ.^(٧)

أول من يقرع باب الجنة:

تقدم قول النبي ﷺ «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»^(٨). وقال ﷺ: «آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتِحَ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَاقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٨).

- (١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) قال محقق مستخرج أبي عوانة: في معجم البلدان لياقوت الحموي: "الهجر بلغة حمير والعرب العاربة: القرية، فمنها: هجر البحرين، وهجر نجران، وهجر جازان ...". وعليه فالذي يظهر أن المقصود بها: هجر جازان أو هجر نجران لقربها من بلاد قبيلة حمير التي ديارها اليمن، مع رواية البخاري ومثيلتها عند المصنف كما سبق، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.
- (٢) آذنت: أي أعلمت. "بصرم" الصرم الانقطاع والذهاب. و"حذاء": مسرعة الانقطاع.
- (٣) صبابه: البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء، "يتصابها" أي شرب صبابته.
- (٤) قعرا: قعر الشيء أسفله.
- (٥) كظيظ: أي ممتلي.
- (٦) صحيح مسلم (٢٩٦٧).
- (٧) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم» (١١٧/١)
- (٨) تقدم في مباحث الشفاعة (١٩٧/٦)

حلق أبواب الجنة :

في المسند- في حديث الشفاعة- عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «يَطْوَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ، فَيَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا،... فذكر الحديث وفيه فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا» قَالَ: «فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَأَتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَخْذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقَالُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيُفْتَحُ لِي فَأَخْرُ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعُ مِنْكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ،...» الحديث (١)

وفي المسند أيضا عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشُقُ الْأَرْضَ عَنْ جُمُوعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأُعْطَى لَوَاءَ الْحَمْدِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ؛ وَإِنِّي آتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَخْذُ بِحَلْقَتِهَا، فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، فَأَدْخُلُ، فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ...» الحديث (٢)

وفي سنن الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «فَأَخْذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقْعَقِعُهَا فَيَقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقَالُ: مُحَمَّدٌ...» الحديث قال الترمذي: هذا حديث حسن. (٣)

قال ابن القيم: وهذا صريح في أنها حلقة حسيّة تُقْعَقَعُ وتُحْرَكُ اهـ. (٤)

(١) مسند أحمد (١٣٥٩٠) بسند صحيح قال: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، بِهِ.

(٢) مسند أحمد (٤٥١/١٩) رقم (١٢٤٦٩) وإسناده صحيح قال: حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ

الْهَادِ، عَنْ عَمْرِو، بِهِ

(٣) جامع الترمذي (٣١٤٨). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٤٣): صحيح لغيره.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (١/١٢٢)

فتح أبواب الجنة في الدنيا :

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(١)

قال أبو العباس القرطبي رحمته الله: وفتح أبواب الجنة في هذين اليومين محمول على ظاهره، ولا ضرورة توجب إلى تأويله، ويكون فتحها تأهباً، وانتظاراً من الخزنة لروح من يموت في ذينك اليومين ممن غفرت ذنوبه، أو يكون فتحها علامة للملائكة على أن الله تعالى غفر في ذينك اليومين للموحدين، والله تعالى أعلم اهـ.^(٢)

وفيه عن عتبة بن عامر رضي الله عنه، قال: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رُكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتِكَ جِئْتَ آتِفًا، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٣)

قال شيخنا الإتيوبي رحمته الله: فتح أبواب الجنة محمول على ظاهره وحقيقته، وذكر بعضهم احتمال أن يكون مجازاً عن التوفيق للطاعات في الدنيا، فإنها سبب في فتح أبواب الجنة في الآخرة، والصواب ما قدمته، وأما الاحتمال المذكور فيبعده قوله: "يدخل من أيها شاء"، فتأمل، والله تعالى أعلم اهـ.^(٤)

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٥)

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٤٠/٦)

(٣) صحيح مسلم (٢٣٤)

(٤) البحر المحيط النجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٩٥/٦)

وقال النبي ﷺ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتَّحَتْ (١) أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ (٢) أَبْوَابُ النَّارِ، وَصَفَدَتِ الشَّيَاطِينَ» متفق عليه (٣).

وفي رواية للبخاري: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينَ» (٤).

وفي رواية لمسلم: «إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ...» (٥).

وفتح أبواب الجنة هنا على ظاهره، وحمله بعضهم على المجاز قال الحافظ: قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُيْبِرِ وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ وَلَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنِ ظَاهِرِهِ وَأَمَّا الرَّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ فَمِنْ تَصْرِفِ الرَّوَاةِ وَالْأَصْلُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ بِدَلِيلِ مَا يُقَابِلُهُ وَهُوَ غَلَقُ أَبْوَابِ النَّارِ اهـ (٦).

أبواب الجنة درجات:

قال شمس الدين ابن القيم رحمته: ولما كانت الجنان درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليتها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض اهـ (٧).

(١) (فُتِّحَتْ) بالبناء للمجهول، وبتخفيف التاء، وروي بتشديدها، وقال الزرقاني: بتشديد الفوقية، ويجوز

تخفيفها، وقال القاري: بالتخفيف، وهو أكثر كما في التنزيل، وبالتشديد لتكثير المفعول. انتهى من البحر

المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٣٦٦/٢٠)

(٢) (وَعُلِّقَتْ) بالبناء للمجهول، وبتشديد اللام. ينظر: البحر المحيط الثجاج (٣٦٦/٢٠)

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٨، ١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي

(٤) برقم (١٨٩٩).

(٥) برقم (١٠٧٩).

(٦) فتح الباري (١١٤/٤)

(٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (١٢٣/١)

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ هَكَذَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ
ثُمَّ قَرَأَ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (١)

أمة محمد ﷺ أول الأمم دخولا الجنة:

وأول من يدخلها من الأمم أمته ﷺ فنحن كما قال ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» (٢) أي: الآخرون زمنا المتأخرون وقتا لكننا
الأولون السابقون يوم القيامة، وهذا من تكرمة الله ﷻ لهذه الأمة.

الجنة درجات:

والجنة درجات، وكل درجة أعلى من التي دونها، يقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ
مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ (٧٥) ﴿ طه: ٧٥.]

وفي الجنة مائة درجة ما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض، أعدّها الله
جَلَّ وَعَلَا للمجاهدين في سبيله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟
قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ
كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى
الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» (٣)

(١) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (١/ ١٢٣) من رواية: خلف بن هشام البزار ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي إسحاق عن عاصم به. والحديث سيأتي تخرجه في ذكر استقبال أهل الجنة.

(٢) رواه في مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣) ووهام الحاكم فخرجه في المستدرک علی الصحیحین (٢٦٧) وصححه علی شرطهما وقال: لم يخرجاه!

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع... قال: وهو لا ينبغي أن يكون درج الجنة أكبر من ذلك... إلخ^(١)

وقال أبو حازم، عن سهل بن سعد رضي عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْعُرْفَ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ فِي السَّمَاءِ» قال أبو حازم: فَحَدَّثْتُ بِهِ التُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ رضي عنه، يُحَدِّثُ وَيَزِيدُ فِيهِ: «كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الْعَارِبَ فِي الْأَفْقِ: الشَّرْقِيَّ وَالْعَرَبِيَّ»^(٢)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا يَرَاهُمْ مَنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، كَمَا تَرَوْنَ الْكُوكَبَ الظَّالِعَ فِي الْأَفْقِ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ»^(٣)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَارِبَ فِي الْأَفْقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(٤). فيتفاوت الناس في الجنة بأعمالهم.

أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم منزلةً:

«سَأَلَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ عز وجل، مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (١/ ١٣٢)

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٥، ٦٥٥٦) ومسلم (٢٨٣٠، ٢٨٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٥٨) وحسنه، وابن ماجه (٩٦) وأحمد (١١٩٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه.

كَرَامَتُهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشِيرٍ. قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] الآية^(١).

فأدنى أهل الجنة منزلةً فيها له ملك الدنيا وعشرة أمثالها، فيا سبحان الله ما أعظم هذا النعيم! وما أسفه عقولنا حين نُقدِّمُ الدنيا على هذا النعيم الباقي!! وسيأتي معنا ذكر الأحاديث في آخر أهل الجنة دخولا الجنة وما له من النعيم.

المنزلة العالية في الجنة لنبينا محمد ﷺ :

وفي الجنة منزلة عظيمة عالية رفيعة لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ هو نبينا المصطفى وإمامنا المجتبي محمد ﷺ.

وهذه المنزلة هي الوسيلة التي أمرنا النبي ﷺ أن نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن تكون له، وأن نقول في دعائنا بعد سماع الأذان: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ»^(٢)

فالوسيلة هي هذه الدرجة الرفيعة التي أمرنا أن نسألها للنبي ﷺ قال **عبد الصمد (رضي الله عنه)**: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٣)

وقال **عبد الصمد**: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَسِيلَةُ؟ قَالَ: «أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»^(٤)

(١) أخرجه مسلم (١٩٨) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٤٠/١٣) رقم (٧٥٩٨) والترمذي (٣٦١٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَإِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ

وقال عليه السلام «الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ، فَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ»^(١)

وقال عليه السلام «سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، لَا يَسْأَلُ اللَّهَ لِي مُؤْمِنٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)

الشهداء في الدرجات العلى من الجنة:

وأخبرنا نبينا عليه السلام أن ثمة أناسًا من أمته يرفع الله درجاتهم بأعمالهم الصالحة ومن هؤلاء: الشهداء الذين يقاتلون في سبيل الله، في الصف الأول، لا تلتفت وجوههم، فأولئك يلقون الله ويضحك إليهم عليه السلام. كما في المسند عن نعيم بن همار رضي عنه، أن رجلاً سأل النبي عليه السلام: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وَجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ - أَي يَضْطَبِعُونَ -^(٣) فِي الْعُرْفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»^(٤)

وعن أبي سعيد الخدري رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَلْتَفِتُونَ فِي الصَّفِّ فَلَا يَلْفِتُونَ وَجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْعُرْفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، إِنَّ رَبَّكَ إِذَا ضَحِكَ إِلَى قَوْمٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ»^(٥)

اهـ من حديث أبي هريرة رضي عنه وصححه الألباني لشواهد في الصحيحة (٣٢٦٨).

(١) أخرجه أحمد (١١٧٨٣) والطبراني في المعجم الأوسط (٢٦٣، ١٤٦٦) والقاضي إسماعيل في (فضل الصلاة

على النبي عليه السلام (ص: ٥٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٥٧١)

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده كما في المنتخب (٦٨٨) وابن أبي شيبة (٢٩٥٩٠) والطبراني في المعجم

الأوسط (٦٣٣) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٧) وفي الثمر المستطاب (١٨٨/١)

(٣) قاله المنذري. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٣٨ / ٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٤٧٦) وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٤ / ٦)

(٥) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤١٣١) وفي مسند الشاميين (٥٣٨) من طريق عنبسة بن سعيد الأموي

- وهو ثقة - قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، عَنْ قَرَعَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي

سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي عنه وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ: لَمْ يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ إِلَّا ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَلَا عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ

الساعي على الأرملة والمسكين:

ومنهم الساعي على الأرملة والمسكين: يقول النبي ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ» وفي رواية «... وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ»^(١).

الوالد يستغفر له ولده الصالح:

ومنهم من ينال رفعة الدرجات بالدعاء له بعد موته: يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَرْفَعُ دَرَجَتَهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيْ هَذَا؟ فَيَقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»^(٢). فاجتهدوا عباد الله في الدعاء لأبائكم وأمهاتكم وأمواتكم من أجدادكم وأصولكم،

اجتهدوا في الدعاء والاستغفار لهم؛ فإن الله يرفع لهم الدرجات ويعفو عنهم السيئات ويعطيهم الحسنات ببركة هذا الدعاء، ولن تحرموا أنتم من الأجر والثواب عند الله ﷻ.

إنحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله:

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ»، ثُمَّ قَرَأَ آيَةَ وَقَالَ: ﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ ﴾ يَقُولُ: «وَمَا نَقَصْنَا هُمْ»^(٣)

إِلَّا عَنَبَسَهُ، تَقَرَّدَ بِهِ: سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى. اهـ وحسن إسناده المنذري في الترغيب (٢١٣٠). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٥٥٨). وقد خولف فيه عنبسة فقد رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٣٥٣) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَبَارَكٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه. وهذا مرسل. لكن يشهد له ما قبله.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٥٣، ٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وحسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث

الصحيحة (١٥٩٨) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٠٠)

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحيحین (٣٧٤٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠٧/٣)

واختلف العلماء ما المراد بالذرية هنا؟:

هل يراد بالذرية الأولاد الذين ماتوا صغارا، أو هو على الإطلاق في الذرية المؤمنين، قال شيخ الإسلام رحمته الله: غير المكلف قد يُرحم، فإن أطفال المؤمنين مع آبائهم في الجنة، ثم احتج بالآية. (١)

وقال تلميذه ابن القيم رحمته الله:

قالت طائفة: المعنى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ في إيمانهم، فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به، ألحقناهم بهم في الدرجات. وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، ... قالوا: ويدل على ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما... [فذكر ما تقدم] قالوا: وأيضا للإيمان: هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار. وعلى هذا، فيكون المعنى: أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقرارا لعينه، وتكميلا لنعيمه.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ها هنا الصغار. والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء، والذرية تتبع الآباء - وإن كانوا صغارا - في الإيمان وأحكامه، من الميراث والدية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك؛ إلا فيما كان من أحكام البالغين، ... قالوا: ويدل على صحة هذا القول: أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية: البالغين؛ لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغين كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

والطبري في التفسير ط هجر (٥٧٩ / ٢١)، وروي مرفوعا، أخرجه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (٢٢٦٠)، والطبراني في المعجم الصغير (٦٤٠)، والمعجم الكبير (١١ / ٤٤٠) رقم (١٢٢٤٨)، والطحاوي (١٠٧٥)، والصحيح الموقوف، ولكن له حكم الرفع كما ذكر ذلك الطحاوي في شرح المشكل والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٩٠)

(١) جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم - (٣ / ٢٣٩):

قال ابن القيم: قلت: واختصاص الدرية ها هنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار؛ فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، والله أعلم اهـ^(١)

مساكن الجنة وقصورها وغرفها:

وفي الجنة لأهلها مساكن طيبة وقصور متنوعة وغرف مبنية^(٢) كما قال تعالى: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ [التوبة: ٧٢]

وكما قال تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْعُرُقَاتِ ءَامُونَت ﴾ [سبأ]

وكما قال تعالى: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ أَلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر].

وعن أبي مالك الأشعري^{رضي الله عنه} قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرفَةً - وفي رواية: عُرفًا - يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو^{رضي الله عنه}، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرفَةً - وفي رواية: عُرفًا - يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٤).

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (٨١٠ / ٢) وانظر: الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه - ت محمد جميل (ص ٥٧)

(٢) قال الطبري: في تفسيره ت شاكر (٣٢١ / ١٩): (العُرفَةُ) وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة اهـ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٠٥) واللفظ له، وابن خزيمة (٢١٣٧) - وقال إن صح الخبر - وابن حبان (٥٠٩) والطبراني في المعجم الكبير (٣ / ٣٠١) رقم (٣٤٦٧). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١٨، ٩٤٧، ٣٧١٨)

(٤) أخرجه أحمد (٦٦١٥) - واللفظ له - والطبراني في المعجم الكبير (٤٣ / ١٣) رقم (١٠٣). والحاكم في المستدرک (٢٧٠، ١٢٠٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٢٥) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١٧، ٩٤٦، ٢٦٩٢، ٣٧١٧) ووقع في المسند: (فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ) والمثبت من بقية المصادر.

وعن علي بن أبي طالب رضي عنه، قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطَعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا»^(١).

وتقدم في مبحث درجات الجنة قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَجَالَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(٢).

خيام الجنة:

قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَحِيمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» متفق عليه. وفي رواية لهما «... عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الْأَخْرَيْنَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ» وفي رواية لهما: «الْحَيْمَةُ دَرَّةٌ، (مُجَوَّفَةٌ) ...، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لَا يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ هَذَا مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ، ... إلخ. ويشهد له ما قبله. ولذا حسنه الألباني في هداية الرواة (٤٨/٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٢٦٥) وصحيح مسلم (٢٨٣١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٣، ٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨) من حديث أبي موسى رضي عنه.

طيب ربح الجنة:

وللجنة ربح طيبة مباركة وفي ذلك أحاديث منها:

١- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: رواه البخاري عن الحسن بن عمرو، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ: « مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا »^(١).

وفي سنن ابن ماجه عن عبد الكريم، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله: « مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرِحْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ »^(٢).

وفي المسند عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ فَذَكَرَهُ فِيهِ: «...، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا »^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) ورواه الطبراني كما في «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم» (١/٣٣٠) بلفظ: "... وإن ريحها ليوجد من مسيرة مئة عام". وسنده ضعيف. وفي سنن ابن ماجه عن ابن عباس، أن النبي صلَّى الله عليه وآله قَالَ: «لَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ فَتَجِدَ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أخرجه ابن ماجه (٢٠٥٤) وسنده ضعيف؛ انظر: السلسلة الضعيفة (٤٧٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٦١١) واختلف في تعيين عبد الكريم، هل هو الجزري الثقة، أو ابن أبي المخارق الضعيف. فرجح المنذري في الترغيب والترهيب ت عمارة (٣/٧٤)، والمزي في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (٦/٣٧٨) رقم (٨٩٢٢) أنه الجزري. وصحح البوصيري في زوائد ابن ماجه إسناده لذلك. وذكره شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٩٠) وقال: إسناده جيد. هورجح الألباني أنه ابن أبي المخارق فقال متعقبا المنذري في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٤٣٨): الجزم بأنه الجزري فيه نظر، لأنه عند ابن ماجه (٢٦١١) عن محمد ابن الصباح: أنبأنا سفيان عن عبد الكريم عن مجاهد عن ابن عمرو. ومجاهد قد روى عنه الجزري هذا، وروى عنه عبد الكريم بن أبي أمية البصري، وهو ضعيف، وكل منهما روى عنه سفيان بن عيينة، وهو المراد هنا، وقد رواه الحكم بن عتيبة عن مجاهد بلفظ: "سبعين عامًا" كما تراه في رواية أحمد الصحيحة، وهذه مخالفة ظاهرة من عبد الكريم، وإذا كان من المحتمل أن يكون ابن أبي أمية الضعيف، فتعصيب المخالفة به أولى من تعصيبها بابن الجزري الثقة كما هو ظاهر لا يخفى بإذن الله تعالى. هوانظر: السلسلة الضعيفة (١٣/٨٣٥).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١١/١٦٢ و٤٢٧) رقم (٦٨٣٤، ٦٥٩٢).

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَخْرُجْنَ مِنْهَا، وَإِنْ رِيحًا لِيُوجَدَ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(١)

وفي الموطأ بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه -موقوفا- أَنَّهُ قَالَ: «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَخْرُجْنَ مِنْهَا، وَرِيحًا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ»^(٢)

وفي سنن الترمذي بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَرِيحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحًا لِيُوجَدَ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٣)

وروى الطبراني عن عيسى بن يونس، عَنْ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بغيرِ حَقِّهَا، لَمْ يَرِيحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَ الْجَنَّةِ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ»^(٤) ورجاله ثقات.

(١) صحيح مسلم (٢١٢٨).

(٢) موطأ مالك ت عبد الباقي (٩١٣/٢) رقم: (٧).

(٣) أخرجه الترمذي (١٤٠٣) وقال: حديث حسن صحيح؛ وابن ماجه (٢٦٨٧) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٢٥٨١) وقال: علی شرط مسلم. اهـ وليس كذلك ففي إسناده معدي بن سليمان؛ قال أبو زرعة: واهي الحديث، يحدث عن ابن عجلان بمناكير. اهـ وقال أبو حاتم: شيخ. وقال النسائي: ضعيف. اهـ

(٤) معجم الطبراني الأوسط (٦٦٣، ٨٠١١) ورواه الإسماعيلي في معجمه (٣٤١)

٣- حديث أبي بكره ﷺ:

رواه النسائي في الكبرى من طريق حماد بن سلمة، عن يونس، عن الحسن، عن أبي بكره ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»^(١) وسنده ضعيف.

ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق حماد بن زيد، عن يونس به ولفظه: «... وَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ»^(٢)

ورواه النسائي عن إسماعيل بن علقمة، عن يونس، عن الحكم بن الأعرج، عن الأشعث بن ثرملة، عن أبي بكره ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حِلِّهَا، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا»^(٣) وهذا إسناد صحيح.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٦٩١) والحاكم في المستدرک (١٣٣) والحسن البصري راجعاً مدلس وقد عنعن، ولذا ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٦٣٧٦) وفي سنده ومتنه اختلاف على حماد أشار إليه النسائي فقال: هَذَا خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ حَدِيثُ ابْنِ عُلقمة، وَابْنُ عُلقمة أَنبَأَ مِنْ حمادِ بْنِ سلمة، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَحمادُ بْنُ زَيْدٍ أَنبَأَ مِنْ حمادِ بْنِ سلمة. أهقلت: حماد بن سلمة تابعه شريك بن الخطاب العنبري عن يونس به. رواه الحاكم (١٣٤). وتابعه أيضا محمد بن الحسين، عن هشام، عن الحسن، به. رواه ابن حبان (٧٣٨٣). والراوي عن محمد: مسلم الجرمي وثقه الخطيب لكن قال ابن حبان في الثقات: ... ربما أخطأ. أهو قال الأزدي: حدث بأحاديث لا يتابع عليها. أهوانظر: لسان الميزان ت أبي غدة (٥٦/٨). واختلف على حماد بن سلمة في سنده فقد رواه الإمام أحمد في المسند ط الرسالة (١٤٧/١٤٢/٣٤) رقم (٢٠٥٠٦، ٢٠٥١٥) قال: حَدَّثَنَا هُوْدَةُ بْنُ حَلِيفَةَ، حَدَّثَنَا حمادُ بْنُ سلمة، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ بِهِ نَحْوَهُ. وابن زيد هو ابن جدعان. وخولف حماد بن سلمة؛ خالفه حماد بن زيد في متنه وابن عليه في متنه وسنده. كما سيأتي.

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٣٨٢). وتابعه معمر بن راشد فرواه كما في عبد الرزاق (١٩٧١٢) عنه، عن قتادة، أو غيره، عن الحسن، به ولفظه: «إِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَقْتُلُ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَرِيحَهَا أَنْ يَجِدَهَا». ورواه الإمام أحمد (٢٠٤٦٩) عن عبد الرزاق به وفيه عن قتادة وغير واحد. وفيه عن عنة الحسن كما تقدم.

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى (٤٧٤٨) وأحمد في المسند (٢٠٣٩٧). وتابعه الثوري عن يونس. أخرجه أحمد (٢٠٣٨٣، ٢٠٥٢٣) وعبد الأعلى عن يونس رواه الحاكم (١٣٥). ورواه أيضا أحمد (٢٠٤٠٣) من حديث

٤ - حديث رجل من الصحابة رضي الله عنه:

وروى النسائي عن القاسم بن محيصة، عن رجل، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل رجلاً من أهل الدمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً»^(١)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه. ... وريح الجنة نوعان: ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً ولا تدركه العبارة، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأمّا في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله اه.^(٢)

تربة الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ... قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «لينة ذهب ولينة فضة، وملاطها»^(٣) المسك الأذفر^(٤)، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت،

عبيدة بن عبد الرحمن بن جوشن العظفاني، عن أبيه، عن أبي بكر، به بلفظ: «من قتل معاهداً في غير كنهه، حرم الله عليه الجنة أن يجد ريحها». ورجح البخاري في التاريخ الكبير (٤٢٨/١) رواية بن ثرملة، وكذا النسائي كما تقدم وأبو علي الحافظ فيما نقله الحاكم في المستدرک (١٠٥/١) قال: قد كان شيخنا أبو علي الحافظ يحكم بحديث يونس بن عبيد، عن الحكم بن الأعرج، والذي يسكن إليه القلب أن هذا إسناده وذالك إسناده آخر، لا يعلل أحدهما الآخر، فإن حماد بن سلمة إمام. وقد تابعه عليه أيضاً شريك بن الخطاب وهو شيخ ثقة من أهل الأهواز، والله أعلم اه.

(١) سنن النسائي (٤٧٤٩) من طريق شعبة، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن القاسم بن محيصة، به والقاسم، قال ابن معين: لم نسمع أنه سمع من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اه. وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار: لا يصح له من صحابي لقي اه. والحديث رواه الإمام أحمد في المسند الرسالة (١٣٥/٢٧) رقم (١٦٥٩٠) عن الأعمش، عن هلال بن يساف، عن رجل، عن النبي صلى الله عليه وسلم به نحوه.

(٢) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم» (٣٣٤/١).

(٣) «الملاط»، بكسر الميم وتخفيف اللام وآخره طاء مهملة: الطين الذي يجعل في البناء، يملط به الحائط، أي: يخلط.

(٤) «الأذفر» - بالذال المعجمة: المراد به طيب ريحه، قال ابن الأثير: «والذفر - بالتحريك - يقع على الطيب والكره، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به». وفي اللسان: «قال ابن الأعرابي: الذفر النتن، ولا يقال في شيء من الطيب "ذفر" إلا في المسك وحده».

وَتُرَابُهَا الرَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ...» الحديث^(١)

وفي الصحيحين في حديث المعراج، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه كَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ... فذكر الحديث وفي آخره قال صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»^(٢)

وفي صحيح مسلم عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِابْنِ صَائِدٍ: «مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «صَدَقْتَ»^(٣)
وفي رواية لمسلم: أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ، سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ».

قال النووي رحمته الله: قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ أَنَّهَا فِي الْبَيَاضِ دَرْمَكَةٌ وَفِي الطَّيْبِ مِسْكٌ وَالْدَّرْمَكُ هُوَ الدَّقِيقُ الْحَوَارِيُّ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ. قَالَ: وَذَكَرَ مُسْلِمٌ الرَّوَّائِطَيْنِ فِي أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَأَلَ ابْنَ صَيَّادٍ عَنِ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ أَوْ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ الْقَاضِي قَالَ بَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ الرَّوَّايَةُ الثَّانِيَةُ أَظْهَرَ. اهـ.^(٤)

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: ذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران ... ويحتمل معنيين آخرين:

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكا والطين ترابا... المعنى الثاني: أن يكون زعفرانا باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة وهذا من أحسن شيء يكون بهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك وكذلك تشبهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها... إلخ^(٥)

(١) تقدم (ص: ٣٥١)

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) وقوله: «جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ» أي قباب اللؤلؤ. شرح النووي (٢/٢٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٢٨)

(٤) شرح النووي على مسلم (١٨/٥٢)

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (١/٢٨٥)

ثمار الجنة:

ويكثر في الجنة الشمارُ المتنوعة كما قال تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [٦٨] [الرحمن: ٦٨]، ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ ﴾ يعني من جميع أصناف الفواكه، وأخصها النخل والرمان، اللذان فيهما من المنافع ما فيهما^(١).

وفي المستدرک عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه، في قوله عز وجل: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] قَالَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُدُوعُهَا زُمُرْدٌ أَخْضَرٌ وَكَرَانِيْفُهَا^(٢) ذَهَبٌ أَحْمَرٌ، وَسَعْفُهَا^(٣) كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا مَقْطَعَاتُهُمْ وَحُلُلُهُمْ وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوْ الدَّلَائِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَاللَّيْنُ مِنَ الزُّبَيْدِ، وَلَيْسَ لَهَا عَجْمٌ»^(٤)

وقال الله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۗ ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣] قال الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمته الله: أي: وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ فِي الْأَلْوَانِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة: ٢٥] أي: يُشْبِهُ الشَّكْلَ الشَّكْلَ، وَلَكِنَّ الطَّعْمَ غَيْرُ الطَّعْمِ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى قَالَ: «فَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ وَنَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ»^(٥).

-
- (١) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٥٠٧/٧) وتفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣١).
- (٢) الكرناف - بالضم والكسر للكاف -: أصول سعف النخل تبقى في الجذع بعد قطع السعف.
- (٣) السَعَفَاتُ جَمْعُ سَعْفَةٍ بِالتَّحْرِيكِ، وَهِيَ أَغْصَانُ النَّخِيلِ. وَقِيلَ إِذَا يَبَسَتْ سَمِيَتْ سَعْفَةً، وَإِذَا كَانَتْ رَطْبَةً فَهِيَ شَطْبَةٌ. هـ من النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٨/٢)
- (٤) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣٧٧٦) وعنه البيهقي في البعث والنشور (٢٨٣) ورواه هناد في الزهد (١٠٧ و٩٩) وعبد الرزاق في التفسير (٣١١٥)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٤٨) وأبو نعيم في صفة الجنة (٤٠٦، ٣٥٤) وإسناده صحيح.
- (٥) صحيح البخاري (٣٨٨٧)، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه. ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

وَفِيهَا أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خُسِفَتِ الشَّمْسُ، ... وَفِيهِ: قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا...»^(١)

وَأَحْمَدُ عَنْ عَامِرِ بْنِ زَيْدِ الْبَكَّالِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ عُنْبَةَ بْنَ عَبْدِ السَّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ وَذَكَرَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى» فَذَكَرَ شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ، قَالَ: أَيُّ شَجَرٍ أَرْضِنَا نُشِبُهُ؟ قَالَ: «لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَيْتَ الشَّامَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «نُشِبُهُ شَجَرَةٌ بِالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةَ، تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، وَيَنْفِرُشُ أَعْلَاهَا». قَالَ: مَا عِظَمَ أَصْلِحَاهَا؟ قَالَ: «لَوْ أَرْتَحَلْتَ جَدْعَةَ مِنْ إِبِلٍ أَهْلِكَ مَا أَحَاطَتْ بِأَصْلِحِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوتُهَا هَرَمًا». قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَمَا عِظَمَ الْعُنُقُودِ؟ قَالَ: «مَسِيرَةٌ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ، وَلَا يَفْتُرُ».

قَالَ: فَمَا عِظَمَ الْحَبَّةِ؟ قَالَ: «هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَسَلِّحْ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ، فَقَالَ: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ»^(٢). وَقَوْلُهُ: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ ❖ أَيُّ: لَا تَنْقَطِعُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا، بَلْ أَكُلْهَا دَائِمٌ مُسْتَمِرًّا أَبَدًا، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ شَيْءٌ. قَالَ فَتَادَةُ: لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ تَنَاوُلِهَا عَوْدٌ وَلَا شَوْكٌ وَلَا بَعْدٌ.

(١) صحيح البخاري (٧٤٨)، وصحيح مسلم (٩٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٩١/٢٩) رقم (١٧٦٤٢) وصححه ابن حبان (٧٤١٤، ٧٤١٦) وصححه الألباني في ظلال الجنة

(٧١٦)، وفي التعليقات الحسان.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا تَنَاوَلَ الرَّجُلُ الثَّمْرَةَ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى» (١). (٢)

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ (٥) [ص].

أي: مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا. ﴿وَشَرَابٍ﴾ أي: من أي أنواعه شاءوا أتنهم به الخدام اه. (٣)

وقال تعالى: ﴿وَفَلَكَهٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٦) [الواقعة]. أي: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار؛ فمهما تخيروا، وراق في أعينهم، واشتهته نفوسهم، من أنواع الفواكه الشهية، والجنى اللذيذ، حصل لهم على أكمل وجه وأحسنه. (٤)

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة]. قال الإمام ابن القيم رحمته الله: - في تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي شبيهه ونظيره لا عينه. وقال: ومعناه: إنه يشبه بعضه بعضاً، ليس أوله خيراً من آخره، ولا هو ممّا يعرض له ما يعرض لثمر الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها، وصغر ثمرها وغير ذلك، بل أوله مثل آخره، وآخره مثل أوله، وهو خيار

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٢/٢) رقم (١٤٤٩) عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَعَ مِنَ الْجَنَّةِ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى» وفي إسناده عباد بن منصور، قال الحافظ الضياء المقدسي في صفة الجنة (ص: ٩٦): لا أعلم أنه روي إلا من هذا الطريق وعباد تكلم فيه بعض العلماء. اهـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤١٤/١٠): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَالْبُرَارِيُّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: عَبِيدٌ فِي مَكَانِهَا مِثْلَهَا، وَرَجَالُ الطَّبْرَانِيِّ وَأَحَدُ إِسْنَادِي الْبُرَارِيِّ ثَقَاتٌ. اهـ كذا قال، وتعقبه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (٣١٤٦). وقال: عباد بن منصور ضعيف مدلس؛ كما قال الساجي وغيره. اهـ وفي زوائد حسين المروري ويحيى بن صاعد على الزهد والرقائق لابن المبارك (١٤٨٩، ١٤٩٠) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: «نَحَلُ الْجَنَّةِ ثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقَلَالِ، كُلَّمَا نَزَعْتَ ثَمْرَةً عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى» ... فَقُلْنَا لِأَبِي عُبَيْدَةَ: مَنْ حَدَّثَكَ؟ فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَسْرُوقٌ.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير سلامة (٧/٥٢٩-٥٣١)

(٣) المرجع السابق (٧/٧٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (٧/٥٢٠) وتفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٣).

كله يشبه بعضه بعضًا... وأما قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ فقال الحسن: "خيارٌ كله لا رذُلٌ فيه، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف يسترذلون بعضه، وأنَّ ذلك ليس فيه رذُل" (١). وقال قتادة: "خيارٌ لا رذُلٌ فيه، وإنَّ ثمار الدنيا ينفي منها، ويرذُل منها" (٢)... وعلى هذا، فالمراد بالمتشابه المتوافق والمتماثل. وقالت طائفة أخرى: "... متشابهًا في اللون والمرأى، وليس يُشبهه الطعم الطعم". قال مجاهد: "متشابهًا لونه مختلفًا طعمه" (٣) اهـ. (٤)

وروى الطبري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ زَوَّدَهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، فِيمَارُكُمْ هَذِهِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ تَغَيَّرَ وَتِلْكَ لَا تَغَيَّرُ» (٥)

(١) رواه الطبري = جامع البيان ط هجر (١/٤١٣)

(٢) المرجع السابق (١/٤١٤)

(٣) المرجع السابق (١/٤١٤)

(٤) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم» (١/٣٦٥).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ط هجر (١/٤١٨) من طريق ابن أبي عدي، وعبد الوهاب، ومحمد بن جعفر، والبخاري (٣٠٣٠) من طريق ابن أبي عدي، والحاكم (٣٩٩٦) - ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور (١٨٠) وابن عساکر في التاريخ (٤٣٨/٧) - من طريق هودبة بن خليفة عن عوف به. [ووقع في المستدرک: عن قسامة عن أبي بكر بن أبي موسى؛ وهو خطأ بينه العلامة أحمد شاکر في تحقيق التفسير (٣٩٣/١) والصواب عن أبي موسى رضي الله عنه]. وعبد الرزاق في تفسيره (١/٢٦٧) رقم (٤٢) - ومن طريقه ابن حاتم في تفسيره (٤١٧) - عن معمر؛ وابن الصواف في جزئه (٢٢) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه [كما في جامع الآثار لابن ناصر الدين (٢/٢٦٤)] عن محمد بن ميمون الزعفراني والدينوري في المجالسة (٢٨٠٨) - ومن طريقه ابن عساکر في تاريخه (٧/٤١٠) - من طريق محمد بن ثور كلهم عن عوف، عن قسامة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه به. موقوفًا. وخالفهم ربي بن علي (وهو ثقة) - عند البخاري (٣٠٢٩) والطبراني [كما في البداية والنهاية ط هجر (٢٠/٣١٥)] والحسن بن فيل في جزئه (٩٧) -، والعباس بن الفضل (وهو متروك) - عند الروياني (٥٦٧) -، وإسحاق الأزرق (وهو ثقة) عند ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٠٨) - وأبو مسعود الزجاج ومعمر [كذا ولعل صوابه: معتمر] - عند ابن عساکر في التاريخ (٦٤/٣٧) بسند ضعيف - فرووه عن عوف به مرفوعًا. وقال البخاري: قد رواه غير واحد عن عوف... موقوفًا ولا نعلم أحدا رفعه إلا ربي. وهو الموقوف أرجح، ورجحه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦١٩٣) وقال العلامة أحمد شاکر في تحقيق تفسير الطبري (١/٣٩٣): وهو وإن كان موقوفًا لفظًا فإنه مرفوع حكمًا، لأنه إخبار عن غيب لا يعلم بالرأى ولا القياس. والأشعري: هو أبو موسى، ولم يكن ممن يحكى عن الكتب القديمة اهـ.

أشجار الجنة:

وفي الجنة أشجارٌ، وَرَدَ وَصَفُ بعضها في السنة: فمن ذلك سدرَةُ المنتهى التي أخبر الله عنها سبحانه بقوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْتَنِي السِّدْرَةَ مَا يَغْتَنِي ۗ﴾ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۗ﴾ [النجم]. وفي الصَّحِيحَيْنِ - كما تقدم - فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى قَالَ: «فَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ وَنَبْقُهَا مِثْلُ قَلَالِ هَجَرَ»^(١)

وفي الصحيح قولُ النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ سَنَةٍ، وَأَقْرَبُوا إِنْ شِئْتُمْ» ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَمْدُودِ ۗ﴾ [الواقعة: ٣٠]»^(٢).

وللطبراني عَن عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ أُعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْمَعُكَ تَذْكَرُ شَجْرَةً فِي الْجَنَّةِ لَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا شَجْرَةً أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا يَعْنِي الطَّلْحَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِثْلَ خَضِيَّةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ»^(٣) يَعْنِي الْمَخْصِيَّ فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ لَا يُشْبِهُ لَوْنُهُ لَوْنَ الْآخَرَ»^(٤)

شجرة طوبى:

وفي صحيح ابن حبان ومسنَد أحمد عن درَّاج، عَن أَبِي الْهَيْثَمِ، عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا طُوبَى؟ قَالَ: «شَجْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا»^(٥).

(١) تقدم قريبا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) الملبود: الذي قد اجتمع شعره بعض على بعض وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٢٥): «أَيُّ الْمَكْتَنَزِ اللَّحْمِ، الَّذِي لَزِمَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَتَلَبَّدَ بِهِ».

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٣٠) رقم (٣١٨) وفي مسند الشاميين (٤٩٢) - وعنه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٠٣) وفي صفة الجنة (٣٤٧) -، وابن أبي داود في البعث (٧٠) - ومن طريقه قوام السنة في الترغيب والترهيب (١٠٠٧) والذهبي في سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (٩٦/ ١٢) - وقال الذهبي: حسن غريب.

(٥) أخرجه أحمد (١١٦٧٣) من طريق ابن لهيعة، وابن حبان (٢٦٢٥) من طريق عمرو بن الحارث كلاهما عن دراج به. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٨٥).

وروى الطبري بسند ضعيف جدا عن معاوية بن قرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنُ مَا بِ ۞﴾ [الرعد: ٢٩] «شجرة عرسها الله بيده، ونفخ فيها من روحه بالحَيِّ والحَلِّ، وإن أغصانها لتتري من وراء سور الجنة»^(١)

وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة بسند ضعيف عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء، إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن»^(٢)

وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر، عن الأشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «طوبى شجرة في الجنة، يقول الله لها تفتحي لعبادي عما شاءوا فتفتق لهم عن الخيل بسروجها، ولجمها، وعن الإبل برحالها، وأزمتها وعما شاءوا من الكسوة»^(٣)

سيقان أشجار الجنة من ذهب:

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»^(٤).

غراس الجنة:

وحثنا النبي عليه الصلاة والسلام على أن نستكثر من غراس الجنة، فقال صلوات الله عليه:

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٣/٥٢٨) وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٨٣٠).
 (٢) صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت سليم (١٤٢) قال الألباني في: ضعيف الترغيب والترهيب (٢/٤٨٥): في إسناده سعيد بن يوسف - وهو الرحي -، وأبو عتبة - واسمه أحمد بن الفرغ الحمصي -، وهما ضعيفان. اهـ قلت: أبو عتبة في سنده: هو الحسن بن علي السكوني، ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه أبو حاتم وقال كان يعد من الأبدال وكان من أفاضل أهل حمص. اهـ [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم] (٣/٢١).
 (٣) تفسير عبد الرزاق (١٣٧٦)

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٢٥) وقال: حسن غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٣٢): حسن

لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَفَرِيءُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ^(١).

وفي سنن ابن ماجه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟» قُلْتُ: غِرَاسًا لِي، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرِسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجْرَةً فِي الْجَنَّةِ»^(٢)
- فما أعظم تفریطنا يا عباد الله!!-

طيور الجنة ودوابها:

وفي الجنة دوابٌ وطيورٌ لا يعلمها إلا الله، يقول سبحانه: ﴿وَلِحَمِّ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(١) [الواقعة: ٢١]. وتقدم معنا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم: مَا الْكُوْتُرُ؟ قَالَ: «ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ - [تُرَابُهُ الْمُسْكُ مَاؤُهُ] أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُرُزِ» قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَتَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم: «أَكَلْتَهَا أَنْعَمَ مِنْهَا» رواه الترمذي وغيره^(٢)
وفي الصحيح أن رجلا جاء بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله فقال له النبي صلی الله علیه وسلم: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةٍ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»^(٤).

أنهار الجنة وعيونها:

وفي الجنة أنهار كما ورد ذلك في آيات كثيرة، يقول الله **جَلَّ وَعَلَا** :

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٥٠)

(٢) سنن ابن ماجه (٣٨٠٧). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٤٩)

(٣) تقدم تخريجه (٣٢٤/٦)

(٤) أخرجه مسلم (١٨٩٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
 [البقرة: ٢٥] وتأملوا فاتحة الآية، يقول الله لنبيه: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: بشر
 المؤمنين بالجنة؛ وبشرهم أنها جنة تجري من تحتها الأنهار وأنها جنة لا مثل لها.
 يقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ
 لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥].
 ومن أنهار الجنة الكوثر: الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ، كما تقدم في الحديث عن
 الحوض.

وتكرّر في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً من كتاب الله: قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [أولها في سورة البقرة: ٢٥، وآخرها في سورة البينة: ٨]،
 وفي موضع: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]،
 وفي ثلاثة مواضع: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الأعراف: ٤٣، يونس: ٩، الكهف:
 ٣١].

قال ابن القيم **رحمته الله**: وهذا يدلُّ على أمور:
 أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة.
 الثاني: أنها جارية لا واقفة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبياتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا. هـ^(١)
 وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
 يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ
 مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد: ١٥].

قال ابن القيم رحمته الله: فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته. وهذا من آيات الرب تعالى أن يُجري أنهارًا من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويُجريها في غير أحوالها، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ... فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنّها جارية، ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن، فما فائدة قوله: ﴿غَيْرَ آسِنٍ﴾؟ قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن، فإنّه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك، ولو طال مكثه ما طال... قال: وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة، التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لريهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا لذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم اهـ^(١)

قال: وأنهار الجنة تنفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلةً إلى أقصى درجاتها: كما روى البخاري في "صحيحه" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٢) ...

وذكر مسروق عن عبد الله -يعني ابن مسعود رضي الله عنه-، قال: «إِنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَفَجَّرُ مِنْ جَبَلٍ مِسْكٍ». وهذا موقوفٌ صحيح^(٣)

(١) المرجع السابق (١/ ٣٧٨)

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٩٥٨)، وهناد في الزهد (٩٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٤)،

والبيهقي في البعث والنشور (٢٦٧)

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَعَلَّكُمْ تَتَّظُنُونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أَخْدُودٌ فِي الْأَرْضِ لَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، أَحَدٌ حَاقَّتِيهَا اللَّوْلُؤُ وَالْأُخْرَى الْيَاقُوتُ وَطِينُهُ الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ»، قُلْتُ: مَا الْأَذْفَرُ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا خِلْطَ لَهُ»^(١)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سَيِّحَانُ وَجَيِّحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالتَّيْلُ كُلُّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ»^(٢). وفي رواية لأحمد: «فُجِّرَتْ أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ: الْفُرَاتُ، وَالتَّيْلُ، وَسَيِّحَانُ، وَجَيِّحَانُ»^(٣)

قال النووي رحمته الله: فِيهِ تَأْوِيلَانِ ذَكَرَهُمَا الْقَاضِي عِيَاضُ... الثَّانِي وَهُوَ الْأَصْحَحُ أَنَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَأَنَّ لَهَا مَادَّةً مِنَ الْجَنَّةِ... وقد ذكر مسلمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّ الْفُرَاتَ وَالتَّيْلَ يَخْرُجَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِي الْبُخَارِيِّ: مِنْ أَسْوَاطِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى^(٤) أ.هـ.^(٥) وقال الألباني رحمته الله: هذا ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض، فإن لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه، فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، والتسليم للمخبر عنها أ.هـ.^(٦)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٦٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (٣١٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٨/٦) وقال: وهو في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي أ.هـ. وانظر: صحيح الترغيب (٣٧٢٣)

(٢) صحيح مسلم (٢٨٣٩)

(٣) مسند أحمد (٥٠٦/١٢) رقم ٧٥٤٤ وسنده حسن.

(٤) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه، فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَقَالَ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، «أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا التَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالتَّيْلُ وَالْفُرَاتُ،...» الحديث رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤). وفي رواية للبخاري (٣٢٠٧): «وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةٌ الْمُتَنَعَّى،... فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: التَّيْلُ وَالْفُرَاتُ» أ.هـ.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٧٧/١٧)

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢٢٩/١)

العيون في الجنة:

وفي الجنة عيونٌ كثيرةٌ مختلفة الطعوم والمشارب:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥، الذاريات: ١٥]

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي مَقَامٍ آمِينَ ﴾ في جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾

[الدخان]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات]

ويقول سبحانه: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ جَرَّيَانِ ﴾ [الرحمن].

ويقول في الجنتين دونهما: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ [الرحمن].

ومن تلك العيون: عين الكافور: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

كافورًا ﴿٥١﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان]. أي: يشربونها خالصة.

ومن تلك العيون: عين التسنيم: قال الله: ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مِثْمُومٍ ﴿٥٢﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ

وَفِي ذَلِكَ قَلْبِنَا فَيْسَ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٥٣﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٥٤﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٥٥﴾

[المطففين]. **ومن عيون الجنة: السلسبيل:** كما قال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا

نَجِيًّا ﴿٥٦﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿٥٧﴾ [الإنسان].

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمته الله: فأما العيون، فهي عيون الماء، والخمر، والسلسبيل،

والتسنيم، وغير ذلك مما ذكر أنه من شراب الجنة ا.هـ^(١)

وقال القرطبي رحمته الله: هي الأنهار الأربعة: ماءً وحمراً ولبناً وعسلاً ا.هـ^(٢)

وقال فخر الدين الرازي رحمته الله: يحتمل أن يكون المراد منها -الأنهار الأربعة-

ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون ينابيع مغايرة لتلك الأنهار ا.هـ^(٣)

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/٥٣٥)

(٢) تفسير القرطبي (١٠/٣٢)

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩/١٤٧)

وقال الحكيم الترمذي رحمه الله: وأما الأنهار: فهو ما ذكره الله في التنزيل: ﴿ أَنْهَرُ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّرِبِينَ وَأَنْهَرُ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥]، فهذه أربعة أصناف تجري في أنهارها لعامة أهل الجنة في غير أخذود.

وأما العيون: فهي أربعة: تسنيم، وزنجبيل، وكافور، وسلسبيل.

فأما الأبرار: فلهم الكافور خاصة، والأبرار: الصادقون. وأما المقربون: فلهم التسنيم، وهو الصديقون، فذكرهم الله في تنزيله، فقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان]، والكأس: الخمر، فيمزج الخمر لهم بالكافور، ثم وصف الكافور، فقال:

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان]. فهذا لهم خاصة، ويمزج من الكافور لسائر أهل الجنة أشربتهم، فأما الشرب، فهو للأبرار، وهم عباد الله، ثم قال في قصتهم: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ [١٨]

[الإنسان]، فأخبر أن للأبرار منها مزاجاً تمزج أشربتهم من الزنجبيل، ولم يذكر أنها لهم شرب كما ذكر الكافور. ثم قال في سورة أخرى: إن الأبرار ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّتَّوْمٍ ﴾

خَتَمُهُ مِسْكٌ ﴾ [المطففين]، ثم قال: ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنَ التَّسْنِيمِ ﴾ [المطففين]، فأخبر أن للأبرار منها مزاجاً يمزج أشربتهم من التسنيم، ثم أخبر عن التسنيم لمن هي لهم

مشرب، فقال: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين]، فأخبر أن هذه العين التي اسمها التسنيم هي للمقربين خاصة شرباً، كما أخبر هناك أن الكافور عيناً للأبرار شرباً.

وإنما سمي تسنيماً، لأنه أشرف شراب في الجنة وأعلى، مأخوذ من السنام، فقد تسنم العيون والمياه، وأشرف عليهم، تجري من أعلى العرش. تحقق ذلك مما رواه أبو مقاتل، عن

صالح بن سعيد، عن أبي سهل، عن الحسن -رحمة الله عليه-، أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «أَرْبَعُ عِيُونٍ فِي الْجَنَّةِ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ تَحْتَ الْعَرْشِ إِحْدَاهُمَا الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ صلوات الله عليه يُفَجِّرُونَهَا

تَفْجِيرًا ﴾ [١] [الإنسان]، وَالْأُخْرَى زَنْجَبِيلٌ؛ وَ عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٦] مِنْ فَوْقِ

الْعُرْشِ إِحْدَاهُمَا الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿ سَلْسِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٨] وَالْأُخْرَى التَّسْنِيمُ لِلْمُقَرَّبِينَ^(١). فالتسنيم خاصة شراباً لهم، والكافور للأبرار خاصة شراباً لهم، ويمزج للأبرار من التسنيم بشرابهم، وأما الزنجبيل والسلسبيل، فلأبرار منها مزاج، هكذا ذكره في التنزيل، وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب لهم، ولا نعلم أهل عليين إلا هذين النصفين: المقربون، والأبرار، فالمقربون: الصديقون، والأبرار: الصادقون، فما كان للأبرار مزاجاً، فهو للمقربين صرفاً، وما كان للأبرار صرفاً، فهو لسائر أهل الجنة مزاجاً^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان]، فهؤلاء المقتصدون أصحاب اليمين. ثم قال: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان]، فهؤلاء المقربون السابقون، ولهذا خصَّهم بالإضافة إليه، وأخبر أنهم يشربون بتلك العين صرفاً محضاً، وأنها تُمزج للأبرار مزجاً: كما قال في سورة المطففين في شراب الأبرار: ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ [٧] ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٢٨] [المطففين]. وقال: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٢٨] [المطففين]، ولم يقل: "منها"، إشعاراً بأنَّ رِيَّهم بالعين نفسها خالصة لا بها وبغيرها. فضمن "يشرب" معنى "يروي"، فعدى بالباء. وهذا اللفظ مأخذاً وأحسن معنى من أن تجعل الباء بمعنى "من"، ولكن يشرب الفعل معنى فعل آخر فيعدي تعديته. وهذه طريقة الحدائق من النحاة، وهي طريقة سيبويه وأئمة أصحابه. وقال في الأبرار: ﴿ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [٥]، لأنَّ شرب المقربين لما كان أكمل استعير له الباء الدالة على شرب الري بالعين خالصةً. ودلالة القرآن اللفظ وأبلغ من أن يحيط بها البشر... ثم ذكر شرابهم يعني المقربين فقال:

(١) الحديث ضعيف مرسل. قال البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢٨٢): صالح بن سعيد عن الحسن بن النجاشي

عليه السلام، وعن أبي سهل عن الحسن، مرسل، سمع منه إسحاق بن سليمان أ.هـ

(٢) نواتر الأصول في أحاديث الرسول ط النوادر (٣/ ٤٢) النسخة المسندة ت توفيق تكلة.

﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ۝ خِتْمُهُ مَسْكٌ ۝ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُتَنَفِّسُونَ ۝ ﴾ [المطففين].

ثمَّ قال: ﴿ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾ [المطففين]، والتسليم أعلى أشربة الجنة. فأخبر سبحانه: أنَّ مزاج شراب الأبرار من التسليم، وأنَّ المقربين يشربون منه بلا مزاج. ولهذا قال: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾ [المطففين] كما قال في سورة الإنسان سواءً. قال ابن عباس وغيره: يشرب بها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً. وهذا لأنَّ الجزء وفائق العمل، فكما خلصت أعمال المقربين كلها لله، خلص شرابهم؛ وكما مزج الأبرار الطاعات بالمباحات، مزج لهم شرابهم. فمن أخلص أخلص شرابه، ومن مزج مزج شرابه اهـ^(١)

وقال ﷺ: أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين؛ بالكافور في أوَّل السورة، والزنجبيل في آخرها، فإنَّ في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، وما يحدث لهم باجتماع الشرايين -ومجيء أحدهما على إثر الآخر- حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كلِّ منهما بانفراده، وتعادل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما أطف موقع ذكر الكافور في أوَّل السورة، والزنجبيل في آخرها، فإنَّ شرابهم مزج أوَّلًا بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله. والظاهر أنَّ الكأس الثانية غير الأولى، وأنَّهما نوعان لذيدان من الشراب، أحدهما: مزج بكافور، والثاني: مزج بزنجبيل. وأيضاً؛ فإنَّه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف، والإيثار، والصبر، والوفاء بجميع الواجبات التي نبتة بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالتدبر على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه الله عليهم، ولهذا قال: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ ﴾ [الإنسان: ١٢]، فإنَّ في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها؛ ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، هذا جمال

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين - ط عطاءات العلم - (١/٤٢٣)

ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جمّلوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان اهـ^(١)

طعام أهل الجنة وشرابهم:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المرسلات]

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(٢)

وفي المسند عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: أُنِيَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ؟ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ أَقْرَبِي بِهِدِهِ حَصَمْتُهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْحِمَامِ». قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقُ يَفِيزُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلَ رِيحِ الْمِسْكِ، فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمَرَ»^(٣)

وروى الطبري في تفسيره عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (١/ ٣٩٢)

(٢) صحيح مسلم (٢٨٣٥)

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٨/ ٣٢) رقم (١٩٢٦٩) وصححه ابن حبان (٧٤٢٤) وصححه الشيخ الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٣٩)، وشيخنا العلامة أبو عبد الرحمن الوداعي في الجامع الصحيح ما

ليس في الصحيحين (٦٥٣).

«إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيْشْتَهِيَ الطَّائِرَ وَهُوَ يَطِيرُ، فَيَقَعُ مُتَمَلِّقًا نَضِيجًا فِي كَفِّهِ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ نَفْسُهُ، ثُمَّ يَطِيرُ، وَيَشْتَهِيَ الشَّرَابَ، فَيَقَعُ الْإِبْرِيْقُ فِي يَدِهِ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ مَا يُرِيدُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ»^(١)

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ»^(٢)، نَزْلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣) قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أبا الْقَاسِمِ الْأَخْبِرِكُ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - قَالَ: فَتَنْظَرُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَتُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ -أَيُّ الْيَهُودِي-: «تَوْرٌ وَتُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»^(٤)

وفي صحيح مسلم أَنَّ تَوْبَانَ رضي الله عنه مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ حِزْبٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ... فذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحَقِّقْتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ الثُّونِ»، قَالَ: فَمَا غِدَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ تَوْرٌ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ... الْحَدِيثُ^(٥)

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٦٤٦/٢٠) وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٢٨) آخره وجود

إسناده المنذري وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٣٨).

(٢) قال الحافظ في فتح الباري (٣٧٣/١١): قَالَ الْخَطَّابِيُّ يَعْنِي خُبْزَ الْمَلَّةِ الَّذِي يَصْنَعُهُ الْمَسَافِرُ فَإِنَّهَا لَا تُدْحَى كَمَا تُدْحَى الرُّقَاقَةُ وَإِنَّمَا تُقَلَّبُ عَلَى الْأَيْدِي حَتَّى تَسْتَوِيَ وَهَذَا عَلَى أَنَّ السَّفَرَ يَفْتَحُ الْمُهْمَلَةَ وَالْقَاءَ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِضَمِّ أَوَّلِهِ جَمْعَ سَفْرَةٍ وَهُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يُتَّخَذُ لِلْمَسَافِرِ وَمِنْهُ سُمِّيَتِ السُّفْرَةُ ١٠هـ.

(٣) قال الحافظ في فتح الباري (٣٧٣/١١): النَّزْلُ بِضَمِّ الثُّونِ وَبِالزَّايِ وَقَدْ تُسَكَّنُ مَا يُقَدَّمُ لِلضَّيْفِ وَلِلْعَسْكَرِ يُطْلَقُ عَلَى الرِّزْقِ وَعَلَى الْفَضْلِ وَيُقَالُ أَصْلَحَ لِلْقَوْمِ نُزْلُهُمْ أَيُّ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَعَلَى مَا يُعَجَّلُ لِلضَّيْفِ قَبْلَ الطَّعَامِ وَهُوَ اللَّائِقُ هُنَا ١١هـ.

(٤) صحيح البخاري (٦٥٢٠) وصحيح مسلم (٢٧٩٢).

(٥) صحيح مسلم (٣١٥).

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه في قصة عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ... ومنها: وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «... وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةٌ كَبِيدِ حُوتٍ...»^(١)

وتقدم معنا حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: «ذَلِكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ - [ثَرَابُهُ الْمَسْكُ مِائَةٌ] أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَقُهَا كَأَعْنَقِ الْجُرْزِ» قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لِنَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكَلْتَهَا أَنْعَمُ مِنْهَا» رواه الترمذي وغيره^(٢)

وروى البيهقي في البعث والنشور عَنْ عَيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾^(٤٥) ﴿[الصافات] يَقُولُ: «الْحُمْرُ»، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا فِيهَا عَوَّلٌ وَلَا هُمْرٌ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(٤٧) ﴿[الصافات]، يَقُولُ: «لَيْسَ فِيهَا مِنْهَا صَدَاعٌ»، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يُنْزَفُونَ﴾ يَقُولُ: «لَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ»، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾^(٤٤) ﴿[النبأ]، يَقُولُ: «مُمْتَلِئًا». وَقَوْلُهُ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾^(٤٥) ﴿[المطففين]، يَقُولُ: «الْحُمْرُ حُتَمٌ بِالْمِسْكِ»^(٣).

وفي صحيح البخاري عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾^(٣٤) ﴿[النبأ]، قَالَ: «مَلَأَى مُتَتَابِعَةً» قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: «اسْقِنَا كَأْسًا دِهَاقًا»^(٤) وفي المستدرک على الصحيحين عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾^(٣٤) ﴿[النبأ]؛ قَالَ: «هِيَ الْمُتَتَابِعَةُ الْمُتَمَلِّئَةُ» قَالَ: وَرُبَّمَا سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ رضي الله عنه يَقُولُ: «اسْقِنَا وَادْهَقْ لَنَا»^(٥)

(١) صحيح البخاري (٣٣٢٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البعث والنشور (٣٢٢) ورواه لطبري في التفسير مفرقا، ط هجر (١٩/٥٣٢ و٥٣٥) و (٢٤/٤٠ و٢١٧).

(٤) صحيح البخاري (٣٨٣٩، ٣٨٤٠).

(٥) المستدرک على الصحيحين (٣٨٩١) - وعنه البيهقي البعث والنشور (٣٢٣) - وأخرجه المحاملي في الأمالي المحاملي رواية ابن يحيى البيهقي (٢١). وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادٌ وَلَمْ يُجَرِّجَاهُ. وتعبه الحافظ في إتحاف المهرة (٧/٥٨٥) فقال: قلت: بل أخرجه البخاري ا.هـ.

وقال عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: ﴿خَتَمُهُ مَسْكٌ﴾ قَالَ: «خِلْطُهُ وَلَيْسَ بِخَاتِمٍ يُخْتَمُ»^(١) قال ابن القيم رحمه الله: قلت: يريد -والله أعلم- أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة، ليس من الخاتم اهـ.^(٢)

من صفة أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾^(٣)
[الأعراف: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(٤)
[الحجر: ٤٧] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ إِثْرِهِمْ كَأَشَدَّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَىٰ مِخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا لَا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، ...»^(٥) الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَالَ «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ... فذكر الحديث ثم قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّىٰ الْآنَ»^(٦).

وفي المسند: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَىٰ خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا ...»^(٧)

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ت الأعظمي (الملحق ٧٨) -ومن طريقه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٢٥)-؛ وابن وهب في تفسيره (٣٣٤)، والطبري في التفسير ط هجر (٢٤/٢١٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/٢١٩) رقم (٩٠٦٢) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣٩٠٩) وصححه، -وعنه البيهقي في البعث والنشور (٣٢٤)-.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم- (١/٤٠٢)

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٦) واللفظ له، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨١٤).

(٥) مسند أحمد (٧٩٣٣) عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَلَهُ شَاهِدٌ =

وفي المعجم الكبير للطبراني أَنَّ الْمَقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبٍ رضي الله عنه حَدَّثَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ سَقَطًا وَلَا هَرِمًا - وَإِنَّمَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ - إِلَّا بُعِثَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَانَ عَلَى مَسْحَةِ آدَمَ، وَصُورَةَ يُوسُفَ، وَقَلْبِ أَيُّوبَ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَظَّمُوا وَفَحَّحُوا كَالْجِبَالِ»^(١)

وفي رواية للبيهقي في البعث: «يُحْشَرُ مَا بَيْنَ السَّقَطِ إِلَى الشَّيْخِ الْفَانِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَبْنَاءَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ فِي خَلْقِ آدَمَ، وَحُسْنِ يُوسُفَ، وَقَلْبِ أَيُّوبَ مُرَدًّا مُكْحَلِينَ أُولِي أَفَانِينَ»، قَالَ: فَقُلْنَا: فَكَيْفَ بِالْكَافِرِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَصِيرَ جِلْدُهُ أَرْبَعِينَ بَاعًا، وَحَتَّى يَصِيرَ نَابٌ مِنْ أَنْيَابِهِ مِثْلَ أَحَدٍ»^(٢)

وروى ابن أبي داود في البعث عن هَارُونَ بْنِ رَبَائِبٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فِي مِيلَادِ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، جُرْدًا، مُرَدًّا، مُكْحَلِينَ، ثُمَّ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَيُكْسُونَ مِنْهَا، لَا تَبَلَّ ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ»^(٣)

من حديث شَهْرٍ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَنَمٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، مَرْفُوعًا: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرَدًّا مُكْحَلِينَ بَنِي ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ» وقال الألباني في الصحيحة (١٢٢٤/٦): حسنه الترمذي وهو صحيح بمجموع طرقه وشواهده. اهـ وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٩٩)

(١) المعجم الكبير (٢٨٠/٢٠) رقم (٦٦٣) ورواه البيهقي في البعث والنشور (٤٢٢). وفي رواية للطبراني (٢٠/٢٨٠) رقم (٦٦٤): «يُحْشَرُ مَا بَيْنَ السَّقَطِ إِلَى الشَّيْخِ الْفَانِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي خَلْقِ آدَمَ، وَقَلْبِ أَيُّوبَ، وَحُسْنِ يُوسُفَ مُرَدًّا مُكْحَلِينَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِالْكَافِرِ؟ قَالَ: «يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَصِيرَ غَلْظُ جِلْدِهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَقَرِيضَةُ النَّابِ مِنْ أَسْنَانِهِ مِثْلُ أَحَدٍ»

(٢) البعث والنشور للبيهقي (٤٢١) ورواه أبو يعلى - كما في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٧٢٤/١٨) رقم (٤٦٢٦) - وأبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢٥٨) والحديث حسنه لشواهده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٢)

(٣) البعث لابن أبي داود (٦٥) - ومن طريقه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٥٨٢) وأبو نعيم في الحلية (٦٥/٣) وفي صفة الجنة (٢٥٥ و٢٦٢) -، ورواه أبو الفضل الزهري في حديثه (٤٦)، والبيهقي في البعث والنشور (٤١٨) وهارون اختلف في سماعه من أنس. لكنه في الشواهد.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: عَنْ " أَطْفَالِ الْمُؤْمِنِينَ " هَلْ يَدُومُونَ عَلَى حَالَتِهِمُ الَّتِي مَاتُوا عَلَيْهَا؟ أَمْ يَكْبُرُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ؟ وَكَذَلِكَ الْبَنَاتُ هَلْ يَتَزَوَّجْنَ؟ فَأَجَاب: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ دَخَلُوهَا كَمَا يَدْخُلُهَا الْكِبَارُ «عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي عَرَضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ»^(١) وَيَتَزَوَّجُونَ كَمَا يَتَزَوَّجُ الْكِبَارُ. وَمَنْ مَاتَ مِنَ النِّسَاءِ وَلَمْ يَتَزَوَّجَنَّ فَإِنَّهَا تُزَوَّجُ فِي الْآخِرَةِ. وَكَذَلِكَ مَنْ مَاتَ مِنَ الرِّجَالِ فَإِنَّهُ يَتَزَوَّجُ فِي الْآخِرَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. هـ.^(٢)

لسان أهل الجنة:

قال ابنُ شَهَابِ الزهري: لِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ^(٣). وروى عن ابن عباس لكن بسند ضعيف جدا^(٤) وروى عنه مرفوعا ولا يصح أيضا^(٥). وقال الإمام ابن تيمية: لَا يُعْلَمُ بِأَيِّ لُغَةٍ يَتَكَلَّمُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ - يعني يوم القيامة - وَلَا بِأَيِّ لُغَةٍ يَسْمَعُونَ خِطَابَ الرَّبِّ ﷻ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُخْبِرْنَا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا رَسُولُهُ عليه الصلاة والسلام وَلَمْ يَصِحَّ أَنَّ الْفَارِسِيَّةَ لُغَةُ الْجَهَنَّمِيِّينَ وَلَا أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةُ أَهْلِ النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ وَلَا نَعَلِمُ نَزَاعًا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بَلْ كُلُّهُمْ يَكْفُونُ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ فُضُولِ الْقَوْلِ ...- وذكر الأقاويل في هذا ثم قال: وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَا حُجَّةَ لِأَرْبَابِهَا لَا مِنْ طَرِيقِ عَقْلِ وَلَا نَقْلِ بَلْ هِيَ دَعَاوَى عَارِيَّةٌ عَنِ الْأَدِلَّةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ. هـ.^(٦)

(١) قوله: " في عرض سبعة أذرع " ورد في حديث المسند المتقدم وحذفها الشيخ الألباني من الحديث في صحيح

الترغيب والترهيب (٤٩٢/٣) وقال: حذفها لأنني لم أجد لها شاهداً. هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٣١٠/٤)

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ت الأعظمي (الملحق/ ٧١) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة لابن أبي

الدنيا ت سليم (٢٠٩)

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت سليم (٢٠٨) وفي سننه الواقدي وهو متروك.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٨٣) وفي الكبير (١٨٥/١١) وأبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢٦٨)

(٦) مجموع الفتاوى (٣٠١/٤)

أهل الجنة لا ينامون :

قال العلامة ابن عثيمين: والعلماء رَحِمَهُمُ اللهُ يقولون: إِنَّ التَّوَمَ أَخُو المَوْتِ، وقد نفى اللهُ عَنْهُمُ المَوْتَ فإذا انتفى المَوْتُ فَإِنَّ التَّوَمَ يَنْتَفِي أَيْضًا، لِأَنَّهُ وَفَاءٌ صُغْرَى أَهٖ^(١)

وقد روى الطبراني في المعجم الأوسط عن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَنَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «التَّوَمُ أَخُو المَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ»^(٢)

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا واستقبال أهل الجنة :

وفي زوائد المروزي على الزهد والرقائق لابن المبارك عن عاصم بن ضمره، عن عليّ، رضي الله عنه قَالَ: [إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ هَكَذَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾] وقال فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٣]: "سَيَقُوهَا حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَوْا إِلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَجَدُوا عِنْدَ بَابِهَا شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا عَيْنَانِ، فَعُمِسُوا فِي إِحْدَاهُمَا كَأَنَّمَا أُمِرُوا بِهَا، فَاطَّهَرُوا مِنْهَا فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ التَّعِيمِ، فَلَنْ تُغَبَّرَ أَبْشَارُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَلَنْ تُشَعَّثَ أَشْعَارُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، كَأَنَّمَا دُهِنُوا بِالذَّهَانِ، ثُمَّ عُمِسُوا فِي الأُخْرَى كَأَنَّمَا أُمِرُوا بِهَا، فَشَرِبُوا مِنْهَا فَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ فِي بُطُونِهِمْ مِنْ أَدَىٰ وَقَدَىٰ، وَتَلَقَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤] ثُمَّ أَتَاهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ يَسْتَقْبِلُونَهُمْ أَنْ ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [٧٤]؛ ثُمَّ يَتَلَقَّاهُمُ الوَلَدَانُ فَيَعْرِفُونَهُمْ وَيَفْرَحُونَ بِهِمْ، كَمَا يَفْرَحُ الوَلَدَانُ بِالحَمِيمِ إِذَا جَاءَهُمْ مِنَ العَيْبَةِ، [وفي رواية: وَيَتَلَقَّى كُلُّ غِلْمَانٍ صَاحِبَهُمْ يُطِيفُونَ بِهِ فِعْلُ الوَلَدَانِ بِالحَمِيمِ يَفْدَمُ مِنَ العَيْبَةِ، يَقُولُونَ: أَبْشِرْ قَدْ أَعَدَّ اللهُ

(١) تفسير العثيمين: فاطر (ص ٢٥١)

(٢) المعجم الأوسط (٩١٩، ٨٨١٦) واختلف في وصله وإرساله، ورجح ابن أبي حاتم كما في العلل لابنه (٢١٤٧) والدارقطني في العلل (٣٢١٥) إرساله وانظر: الضعفاء الكبير للعلقبلي (٢/ ٣٠١) وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/ ٧٤) رقم (١٠٨٧).

لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ كَذَا] ثُمَّ يَذْهَبُ بَعْضُ الْوَلَدَانِ إِلَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَيُبَشِّرُ فَيَقُولُ: هَذَا فَلَانٌ بِاسْمِهِ فِي الدُّنْيَا، فَتَقُولُ: أَنْتِ رَأَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَسْتَحْفِظُهَا الْفَرْحَ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى أَسْكَفَةِ الْبَابِ، فَيَجِيءُ فَيَدْخُلُ، فَإِذَا تَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَرَزَائِي مَبْتُوثَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى تَأْسِيسِ بُنْيَانِهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أُسِّسَ عَلَى جَنْدَلِ اللَّوْلُؤِ، فِيهِ أَخْضَرٌ، وَأَبْيَضٌ، وَأَصْفَرٌ، وَأَحْمَرٌ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، ثُمَّ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى سَفْفِهِ فَإِذَا مِثْلُ الْبَرْقِ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَهُ لَهُ لَأَلَمَ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ، [ثُمَّ طَاطَأَ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَزْوَاجُهُ ﴿١٦﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَرَزَائِي مَبْتُوثَةٌ ﴿١٦﴾ (الغاشية)] ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ثُمَّ يَتَكَبَّرُ عَلَى أَرِيكَةٍ مِنْ أَرَائِكِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿١٧﴾﴾. [الآية ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: تَحْيَوْنَ فَلَا تَمُوتُونَ أَبَدًا وَتُقِيمُونَ فَلَا تَطْعَنُونَ أَبَدًا وَتَصْحَوْنَ - أَرَاهُ قَالَ - فَلَا تَمْرُضُونَ أَبَدًا] ﴿١٨﴾

نساء أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة]

(١) أخرجه الحسين المروزي في زوائده على الزهد والرفائق لابن المبارك (١٤٥٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، به. والزيادة في أوله ذكرها ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (١٢٣/١) من رواية: خلف بن هشام البزار ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي إسحاق به. والحديث رواه ابن الجعد في مسنده (٢٥٦٩) - وعنه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢٨٠) والبيهقي في البعث والنشور (٢٤٦) - أنا زهير، عن أبي إسحاق به. والزيادة الثالثة والأخيرة منه. وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٤٦) - وعنه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٤٦٠١) - عن معمر عن أبي إسحاق - وفي رواية إسحاق معمر والثوري، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٣٤) - ومن طريقه وأبو نعيم في صفة الجنة (٢٨١) - من طريق إسرائيل به. والزيادة الثانية منه. وابن أبي حاتم في التفسير (١٤٨٠/٥) من طريق إسرائيل به. وقال الحافظ في المطالب العالية (٦٤٩/١٨): هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ، إِذْ لَا تَجَالَ لِلرَّأْيِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ. هـ

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ [آل عمران]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ [النساء]

قال ابن القيم رحمته الله: فتأمل جلاله المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك
بهذه البشارة، وقدر ما بشرك به، وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره، وجمع
سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنان، وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم
النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب وقرّة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد،
وعدم انقطاعه... إلى أن قال: والمطهرة: التي طهرت من الحيض والبول والنفاس، والغائط
والمخاط والبصاق، وكل قدر، وكل أذى يكون من نساء الدنيا، وطهر مع ذلك باطنها من
الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها
من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ أهـ ^(١)

الحوار العين:

وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥١﴾ [الدخان] وقال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ
عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْتَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥١﴾ [الطور]

قال ابن القيم: والحوور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء،
شديدة سواد العين؛... وعين حوراء: إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها، ولا تسمى
المرأة حوراء حتى تكون مع حور عينها بيضاء لون الجسد. والعين: جمع عيناء، وهي
العظيمة العين من النساء... والصحيح: أن العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم» (١/٤٧٠)

والملاحة، ... ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب،
...أ.هـ^(١).

قاصرات الطرف:

وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الْأَطْرَفِ عَيْنٌ ۖ ﴾ [الصفات]؛ والمعنى: قَصْرَنَ طرفهنَّ على أزواجهنَّ، فلا يطمحن إلى غيرهم. وقيل: قصرن طرف أزواجهنَّ عليهنَّ، فلا يدعم حسنهنَّ وجمالهنَّ أن ينظروا إلى غيرهنَّ. قال ابن القيم: وهذا صحيح من جهة المعنى، وأمَّا من جهة اللفظ: فقاصرات: صفة مضافة إلى الفاعل، كحسان الوجوه، وأصله: قاصر طرفهنَّ، أي: ليس بطامح متعديٍّ أ.هـ^(٢).

وقال الطبري رحمته الله: يعني: نساء قصرت أطرافهنَّ على أزواجهنَّ، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهنَّ إلى سواهم أ.هـ^(٣).

عربا أترابا:

وقال تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۖ ﴾ [الواقعة] ٣٤ ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۖ ﴾ ٣٥ ﴿ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۖ ﴾ ٣٦ ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ ﴾ [الواقعة] ٣٧. قال الطبري رحمته الله: وقوله: (عُرُبًا) يقول تعالى ذكره: فجعلناهنَّ أبكارًا غنجات، متحبات إلى أزواجهنَّ يحسن التبعل ... وقوله: (أَتْْرَابًا) يعني أنهم مستويات على سنٍّ واحدة أ.هـ^(٤).

وقد روى الترمذي رحمته الله في الشمائل عن الحسن البصري رحمته الله قَالَ: أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ» قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي فَقَالَ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ» إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۖ ﴾ ٣٥ ﴿ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۖ ﴾ ٣٦ ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ ﴾ ٣٧ ﴿ ٥﴾

(١) المرجع السابق (١/٤٧٩)

(٢) المرجع السابق (١/٤٧٣-٤٧٦)

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٠/١٢٤)

(٤) المرجع السابق (٢٢/٣٢٣)

(٥) الشمائل المحمدية (٢٤١) وله شواهد يحسن بها كما في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧)

وقال الله تعالى: ﴿ * وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَطْرَفُ أَتْرَابٍ ﴾ [ص]. يعني: "مستويات على سنٍّ واحدةٍ وميلادٍ واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة" (١).

وقال أبو إسحاق الزجاج: "أي: هنَّ في غاية الشباب والحسن ا.هـ" (٢)

وقال الطبري رحمته الله: وقوله ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ [ص] يعني: أسنان واحدة ... وقال بعضهم:

متواخيات لا يتباغضن، ولا يتعادين، ولا يتغايرن، ولا يتحاسدن ا.هـ (٣)

قال ابن القيم: وسَيَّ سَنَ الإنسان وقرنه تربيته؛ لأنَّه مَسَّ تراب الأرض معه في وقتٍ واحدٍ، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهنَّ، أنَّهنَّ ليس فيهنَّ عجائز قد فات حسنهنَّ، ولا ولائد لا يُطَقَّن الوطاء ا.هـ (٤)

لم يطمئنن إنس قبلهم ولا جان:

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَصْرٌ أَطْرَفُ لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ [الرحمن]:

[٥٦]. أي: لم يطمئنن، ولم يغشهنَّ، ولم يجامعهنَّ.

الحوار العين خلقهن الله للبقاء:

وهؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هنَّ من الحور العين، لأنَّه سبحانه جعلهنَّ ممَّا أعدَّه الله في الجنَّة لأهلها ويدلُّ عليه أيضًا الآية التي بعدها، وهي قول الله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن] ثمَّ قال: ﴿ لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ [الرحمن].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢١٩)، تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢/ ٣٢٨)، وتفسير البغوي - إحياء التراث (٤/ ٧٤) وتفسير ابن كثير - ت السلامة (٧/ ٥٣٤). وأضواء البيان في إيضاح

القرآن بالقرآن - ط عطاءات العلم - (٧/ ١٢٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٣٨)

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٠/ ١٢٤)

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (١/ ٤٨١)

قال الإمام أحمد: والحوار العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبداً لأن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال بخلاف ذلك فهو مبتدع مخالف وقد ضل عن سواء السبيل اهـ^(١)

كانهن الياقوت والمرجان:

قال الله تعالى: ﴿كَانَتْهُنَّ أَلْيَاقُوتٌ وَالمَرَجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن]

قال قتادة: فِي صَفَاءِ أَلْيَاقُوتٍ وَبَيَاضِ اللُّؤلُؤِ اهـ^(٢)

وقال الحسن: صَفَاءُ أَلْيَاقُوتٍ فِي بَيَاضِ المَرَجَانِ اهـ^(٣) وعن قتادة والثوري مثله^(٤).

وقال السدي: صَفَاءُ أَلْيَاقُوتٍ وَحُسْنُ المَرَجَانِ اهـ^(٥)

وقال أبو إسحاق الزجاج: قال أهل التفسير وأهل اللغة: هن في صفاء الياقوت

وبياض المرجان، والمرجان صغار اللؤلؤ وهو أشد بياضاً اهـ^(٦)

وقال الحافظ ابن كثير: جَعَلُوا المَرَجَانِ هَاهُنَا اللُّؤلُؤِ اهـ^(٧)

جمال نساء أهل الجنة وحسنهن:

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لرُوحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ عَدْوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَاتَهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٨).

(١) انظر: مسائل حرب الكرماني ت فايز حابس (٣/ ٩٧٢) بترقيم الشاملة) وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١)

٢٨ ت الفقي، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (١/ ٤٨٤).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣٠٩٩).

(٣) صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت سليم (٣٠٨)

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢/ ٢٥١).

(٥) المرجع السابق (٢٢/ ٢٥١)

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠٣)

(٧) تفسير ابن كثير - ت سلامة - (٧/ ٥٠٤)

(٨) أخرجه البخاري (٢٧٩٦)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، آيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مَخُّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» وفي رواية لمسلم: «... وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّ»^(١)

وقال معمر عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ لَيَرَى مَخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْ تَحْتِ سَبْعِينَ حَلَّةً، كَمَا يُرَى الشَّرَابُ الْأَحْمَرُ فِي الرَّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ»^(٢)

وعن قيس بن السكين، عن عبد الله، قال: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُوتَى بِالْكَأْسِ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ زَوْجَتِهِ فَيَشْرَبُهَا ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى زَوْجَتِهِ فَيَقُولُ: قَدْ أزدَدتِ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا حُسْنًا»^(٣)

وعن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه، قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... فذكر الحديث في قصة آخر أهل الجنة دخولا الجنة وفيه: «... فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَحَقْنَا بِالنَّاسِ فَيَقُولُ لَهُمْ: الْحُقُوا بِالنَّاسِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ يَرْمُلُونَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْدُوَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ قَصْرٌ مِنْ دَرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ، قَالَ: فَيَخْرُ سَاجِدًا، قَالَ: فَيَقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَيَقَالُ: إِنَّمَا هَذَا مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِكَ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (١٧/٢٨٣٤)

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٨٦٧) - ومن طريقه: الطبراني في المعجم الكبير (١٧٤ / ٩) رقم (٨٨٦٤) -، ونعيم بن حماد في زياداته على الزهد لابن المبارك (٧٤/الملحق). ورواه بنحوه هناد في الزهد (١٠) - وعنه الترمذي (٢٥٣٤) -، وابن أبي شيبة (٣٣٩٨٩) والطبري في التفسير = جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٢٥٠). من طرق عن عطاء بن السائب عن عمرو به. وجاء عند الترمذي (٢٥٣٣) أيضا وابن حبان (٧٣٩٦) مرفوعا وصحح الترمذي وقفه. ورجح وقفه أيضا الدارقطني في العلل (٨٣٧). ورواه الطبري في التفسير عن الثوري وهناد في الزهد عن يونس بن أبي إسحاق كلاهما عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قوله.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٩٩٣) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٣٤)

فَيَسْتَقْبِلُهُ رَجُلٌ فَيَقُولُ: أَنْتَ مَلَكٌ؟ فَيُقَالُ: إِنَّمَا ذَلِكَ قَهْرَمَانٌ مِنْ قَهَارِمَتِكَ عَبْدٌ مِنْ عَيْدِكَ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا قَهْرَمَانٌ مِنْ قَهَارِمَتِكَ عَلَى هَذَا الْقَصْرِ تَحْتَ يَدَيَّ أَلْفَ قَهْرَمَانٍ كُلُّهُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِ عِنْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَفْتَحَ الْقَصْرَ وَهُوَ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ سَقَائِفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَعْلَاقُهَا وَمَقَاتِيحُهَا مِنْهَا، فَيَفْتَحُ لَهُ الْقَصْرَ فَيَسْتَقْبِلُهُ جَوْهَرَةٌ خَضْرَاءُ مَبْطَنَةٌ بِحَمْرَاءَ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِيهَا سِتُونَ بَابًا كُلُّ بَابٍ يُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى غَيْرِ لَوْنٍ صَاحِبَتُهَا، فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ سُرُرٌ وَأَزْوَاجٌ وَتَصَارِيفٌ - أَوْ قَالَ: وَوَصَائِفٌ - قَالَ: فَيَدْخُلُ فَإِذَا هُوَ بِجُورَاءَ عَيْنَاءَ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً يَرَى مُخُ سَاقِيهَا مِنْ وَرَاءِ حُلِّهَا كَيْدُهَا مِرَاتُهُ وَكَيْدُهُ مِرَاتُهَا، إِذَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِعْرَاضَةً أَزْدَادَتْ فِي عَيْنِهِ سَبْعِينَ ضِعْفًا عَمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: لَقَدْ أَزْدَدْتِ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا، وَتَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: فَيُشْرِفُ بِبَصَرِهِ عَلَى مَلِكِهِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ... الحديث. (١)

غناء الحور العين:

روى الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغْنَيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ. إِنَّ مِمَّا يُغْنَيْنَ بِهِ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ. * أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ * يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ. وَإِنَّ مِمَّا يُغْنَيْنَ بِهِ: نَحْنُ الْحَالِدَاتُ فَلَا يَمُتُّنَهُ. * نَحْنُ الْأَمِنَاتُ فَلَا يَخْفَنَهُ. * نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَطْعَنَهُ» (٢)

وفي البعث والنشور للبيهقي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا طُولُ الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ الْعَدَارَى قِيَامٌ مُتَقَابِلَاتٍ، وَيُغْنَيْنَ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّى مَا يَرُونَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَذَّةً مِثْلَهَا، قُلْنَا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَا ذَاكَ الْغِنَاءُ؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّقْدِيسُ، وَتَنَاءٌ عَلَى الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ -» (٣).

(١) صحيح. تقدم ترجمته

(٢) المعجم الأوسط (٤٩١٧)، والمعجم الصغير (٧٣٤) وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨/٧)

(٣) البعث والنشور (٩٦١) وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٩/١١): قلت: وإسناده جيد، ورجاله

ثقات رجال "الصحيح"؛ غير أبي عبد الرحيم - واسمه خالد بن أبي يزيد الحراني -، وهو ثقة. وأشار المنذري

لتقويته اهـ.

نكاح أهل الجنة ووطوئهم:

تقدم حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه وفيه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «... إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْحِمَامِ». رواه أحمد ^(١)

وروى الترمذي عَنْ عِمْرَانَ الْقَطَّانِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْحِمَامِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يُطَبَّقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ» ^(٢)

وفي صحيح ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَنْظَأُ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا*، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا» ^(٣)
وروى الطبراني في الأوسط عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِيِّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضِي فِي الْعِدَاةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ» ^(٤)

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس]، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه:

(١) تقدم تخريجه

(٢) سنن الترمذي (٢٥٣٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ الْقَطَّانِ أَهْوَ صَحَّحَهُ ابْنُ حَبَانَ (٧٤٠٠) وَقَالَ الْعَلَمَاءُ الْأَلْبَانِي فِي هِدَايَةِ الرِّوَاةِ (٢٠٨/٥): إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، بَلْ هُوَ صَحِيحٌ لِأَنَّ لَهُ شَوَاهِدَ مِنْهَا عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ ... أَهْ.

(٣) صحيح ابن حبان (٧٤٠٢)

(٤) المعجم الأوسط (٧١٨، ٥٢٦٧)، والمعجم الصغير (٧٩٥) وصححه الضياء المقدسي في صفة الجنة (ص: ١٢٩) وقال: رجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم. وصححه ابن القيم في حادي الأرواح وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٦٧) وأعله الحافظان أبو حاتم وأبو زرعة - كما في علل الحديث لابن أبي حاتم (٥/٤٨٨) - وعدوه من أخطاء حسين الجعفي وقالوا: هَذَا خَطَأٌ؛ إِنَّمَا هُوَ: هِشَامُ بْنُ حَسَّانٍ، عَنْ زَيْدِ الْعَمِّيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَهْوَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخْرَجَهُ هِنَادُ بْنُ السَّرِيِّ فِي الزَّهْدِ (٨٨)، وَأَبُو يَعْلَى (٢٤٣٦) وَغَيْرُهُمْ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُسَامَةَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، بِهِ. وَالْحَدِيثُ ذَكَرَهُ أَيْضًا الدَّارِقُطِيُّ فِي عِلَلِهِ (١٨٣٢) وَرَجَّحَ طَرِيقَ أَبِي أُسَامَةَ.

﴿ فِي شُغْلِ فَكِهِونَ ﴾ قَالَ: فِي افْتِضَاضِ الْعَدَارَى (١).

وروي مثله عن ابن عباس (٢). وبه قال: سعيد بن المسيب، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والأعمش، وسليمان التيمي، والأوزاعي (٣).

قال شمس الدين ابن القيم رحمته الله: ولا يلحقهم بذلك جنابة، فيحتاجون إلى التّطهير، ولا ضعف ولا انحلال قوّة، بل وطؤهم وطء التذاذِ ونعيم، لا آفة فيه بوجه من الوجوه. وأكمل النَّاس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدّارِ عن الحرام،...فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاه يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاهها هنا حُرّمها هناك، أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه، كذلة من ترك شهوته لله أبداً، والله أعلم اهـ (٤).

من اشتهى الولد في الجنة:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسُنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي» (٥).

(١) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ت سليم (٢٦٤) والطبري في تفسيره، ط هجر (٤٦٠/١٩) وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٧٥) وسنده حسن.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ط هجر (٤٦٠/١٩): عن المعتمر، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٧٧) عن يزيد بن زريع، كلاهما عن والد المعتمر سليمان التيمي، عن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس. ورواه أيضا من طريقين عن أسباط بن محمد، عن أبيه - وهو أبو عمرو -، عن عكرمة، به. ورواه الحسين المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٥٨٦) وسعيد بن منصور (١٧٩٩) قالوا أخبرنا سفيان، عن أبي عمرو، عن عكرمة قوله. وأبو عمرو هذا مقبول. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٧٦) من طريق سهل بن زياد أبي زياد، ثنا سليمان التيمي، عن أبي مجلز، قال: قلت لابن عباس، فذكره.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٥٨٢/٦).

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (٥٢٤/١).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٦٣) وقال حسن غريب؛ وابن ماجه (٤٣٣٨) وأحمد (١١٠٦٣) والدارمي (٢٨٧٦) وصححه ابن حبان (٧٤٠٤) وصححه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان وفي هداية الرواة (٥٥٧٤)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٥٤).

الزرع في الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوْلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرْزَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَدَرَ، فَتَبَادَرَ الظَّرْفُ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَأُوهُ وَاسْتَحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدْ هَذَا إِلَّا فُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^(١)

تاج الوقار في الجنة:

روى الإمام أحمد في المسند عن بُرَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: -فذكر الحديث وفيه-: «... وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَطْمَأَنَّكَ فِي الْهُوَاجِرِ وَأَسَهَرْتَ لَيْلِكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوْمُ لِهَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كَسَبْنَا هَذَا؟ فَيَقُولُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَقْرَأُ وَاصْعَدُ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغَرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودِ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذَا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ نَعْمَ الشَّفِيعُ [لِصَاحِبِهِ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِنَّهُ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَمْنَعُهُ شَهْوَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَأَكْرَمَهُ، قَالَ: فَيَلْبَسُ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ زِدَهُ] يَا رَبِّ حَلِّهِ حِلْيَةَ الْكِرَامَةِ، فَيَحَلِّي حِلْيَةَ الْكِرَامَةِ،

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٩، ٢٣٤٨)

(٢) مسند أحمد (٤١/٣٨) رقم (٢٢٩٥٠) ورواه الدارمي (٣٤٣٤) وصححه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین

(٢٠٨٦) وحسنه الحافظ في المطالب العالیة بزوائد المسانید الثمانیة (٣٤٧٨) وحسنه الألبانی فی سلسلة

الأحادیث الصحیحة (٧٩٣/٦)

[فَيَقُولُ: أَي رَبِّ زِدْهُ] يَا رَبِّ، اكْسُهُ كِسْوَةَ الْكِرَامَةِ فَيَكْسِي كِسْوَةَ الْكِرَامَةِ، [فَيَقُولُ: أَي رَبِّ زِدْهُ]، أَلْبِسُهُ تَابِجَ الْكِرَامَةِ، [قَالَ: فَيَكْسِي تَابِجَ الْكِرَامَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ] يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَلَيْسَ بَعْدَ رِضَاكَ شَيْءٌ [فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيَقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقُ، وَيَزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً] (١)

وَعَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتٌّ (٢) خِصَالٍ: يُعْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَابِجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ» (٣)

زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا وتذاكرهم ما كان في الدنيا :

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَتْ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْلَ نَكَ لِمَنْ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَيْ ذَا مَتْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْنَا لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُرِيدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴿ [الصافات]

قال شمس الدين ابن القيم رحمته الله: أخبر سبحانه وتعالى أنّ أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: ﴿ كَانَتْ لِي قَرِينٌ ﴾ في الدنيا ينكر البعث والدار

(١) رواه الترمذي (٢٩١٥) والدارمي (٣٣٥٤) وابن أبي شيبة (٣٠٤٧) والحاكم (٢٠٢٩) بسند حسن. واللفظ للدارمي، والزيادات من ابن أبي شيبة، سوى الأخيرة فهي للترمذي والحاكم، والحديث رواه الترمذي مرفوعا وموقوفا، ورواه الحاكم مرفوعا وصحح الترمذي الموقوف. ولا يخفى أنه في حكم المرفوع. وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٤٢٥). والسلسلة الصحيحة (٢٨٢٩).

(٢) المذكور في الحديث سبع خصال، وقد وقع اضطراب في متنه، انظر في ذلك: السلسلة الصحيحة (٣٢١٣)

(٣) رواه الترمذي (١٦٦٣) وابن ماجه (٢٧٩٩) وأحمد (٤١٩ / ٢٨) رقم (١٧١٨٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٥) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢١٣)

الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه، ﴿يَقُولُ أَيْتَكَ لِمَنِ الْمَصَدِّقِينَ﴾ ﴿بِأَنَّا نُبْعَثُ وَنُجَازَى بِأَعْمَالِنَا، وَنُحَاسَبُ بِهَا بَعْدَ أَنْ مَرَقْنَا الْبِلَى، وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا، ثُمَّ يَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِإِخْوَانِهِ فِي الْجَنَّةِ: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ﴾ فِي النَّارِ لِنَنْظُرَ مَنْزِلَةَ قَرِينِي هَذَا وَمَا صَارَ إِلَيْهِ. هَذَا أَظْهَرَ الْأَقْوَالِ ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاطَّلَعَ﴾ أَي: أَشْرَفَ. قَالَ مِقَاتِلٌ: لَمَا قَالَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ﴾ ؟ قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ أَعْرَفَ بِهِ مِنَّا، فَاطَّلَعَ أَنْتَ، فَاشْرَفَ فَرَأَى قَرِينَهُ فِي وَسْطِ الْجَحِيمِ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَرَفَهُ إِيَّاهُ لَمَا عَرَفَهُ، لَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَلَوْنُهُ وَغَيْرُهُ الْعَذَابُ أَشَدَّ تَغْيِيرًا، فَعِنْدَهَا: ﴿قَالَ تَالَلَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَرِدِينَ﴾ ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أَي: إِنْ كِدْتَ لِتَهْلِكُنِي، وَلَوْلَا أَنْ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيَّ بِنِعْمِهِ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ. اهـ (١)

وقال سبحانه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور]. قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير رحمه الله: أَي: أَقْبَلُوا يَتَحَادَثُونَ وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا كَمَا يَتَحَادَثُ أَهْلُ الشَّرَابِ عَلَى شَرَابِهِمْ إِذَا أَخَذَ فِيهِمُ الشَّرَابُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ. ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أَي: قَدْ كُنَّا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا وَنَحْنُ بَيْنَ أَهْلِنَا حَافِظِينَ مِنْ رَبَّنَا مُشْفِقِينَ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ أَي: فَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا وَاجَارَنَا مِمَّا نَخَافُ. ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أَي: نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَنَا وَأَعْطَانَا سُؤْلَنَا، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ... وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيِّ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي الضَّحَى، عَنِ مَسْرُوقٍ، عَنِ عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا قَرَأَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾

إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ مَنْ عَلَيْنَا وَقَنَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ. قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. (١) اهـ. (٢) .

سوق الجنة:

عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَاتِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فِيهَا كُثْبَانُ الْمِسْكِ [فَإِذَا خَرَجُوا إِلَيْهَا] تَهَبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ [وَبُيُوتُهُمْ مِسْكَ]، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ازدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ ازدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا» (٣)

وقوله: (يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ) قال النووي: أي في مقدار كل جمعة أي أسبوع ولَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةٌ أُسْبُوعٌ لَفَقَدِ الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ وَالتَّهَارِ قَالَ: (وريح الشمال) بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَالْمِيمِ بِغَيْرِ هَمْزَةٍ هَكَذَا الرَّوَايَةُ ... وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ دُبُرِ الْقِبْلَةِ. قَالَ الْقَاضِي وَخَصَّ رِيحَ الْجَنَّةِ بِالشَّمَالِ لِأَنَّهَا رِيحُ الْمَطَرِ عِنْدَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَهَبُّ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ وَبِهَا يَأْتِي سَحَابُ الْمَطَرِ وَكَانُوا يَرْجُونَ السَّحَابَةَ الشَّامِيَّةَ وَجَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ هَذِهِ الرِّيحِ الْمُثِيرَةِ أَيِ الْمُحَرِّكَةِ لِأَنَّهَا تُثِيرُ فِي وُجُوهِهِمْ مَا تُثِيرُهُ مِنْ مِسْكِ أَرْضِ الْجَنَّةِ وَغَيْرِهِ مِنْ نَعِيمِهَا اهـ. (٤)

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٣١٦/١٠) رقم (١٨٦٨٦). وومن طريق وكيع رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٠٣٦) حدثنا وكيع به. ورواه عبد الرزاق في المصنف (٣/١٦٨ ط التأصيل الثانية) رقم (٤١٨٠) عن الثوري، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٩٨) عن شيبان، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٢٤) عن شعبة وسعيد بن أبي عروبة، كلهم عن الأعمش به. وسنده صحيح. ورواه أحمد في الزهد (٩٠٩) - ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤٨/٢) - من طريق ابن مهدي عن الثوري عن الأعمش، وفيه: عَنْ أَبِي الضُّحَى قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ عَائِشَةَ. ورواية الجماعة عن الأعمش مقدمة وفيها تعيين هذا المبهم.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤٣٥/٧)

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣/٢٨٣٣) قال حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْبَصْرِيُّ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ ط الرسالة (٤٣٠/٢١) رقم (١٤٠٣٥) حَدَّثَنَا عَقْفَانُ، كِلَاهِمَا قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بِهِ. وَالزِّيَادَاتُ مِنَ الْمَسْنَدِ.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧٠/١٧).

وقال الدارمي رحمته الله: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنبَأَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا». قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «كُتْبَانٌ مِنْ مِسْكِ يَخْرُجُونَ إِلَيْهَا فَيَجْتَمِعُونَ فِيهَا، فَيَبْعُثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا فَتَدْخِلُهُمْ بُيُوتَهُمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: لَقَدْ ارْزَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا، وَيَقُولُونَ لِأَهْلِيهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

أهل الجنة كلهم ملوك فيها:

قال البزار رحمته الله: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، ثنا حَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ، ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ لِبَنَةِ مَنْ ذَهَبٍ وَلِبَنَةِ مِنْ فِضَّةٍ، وَعَرَسَهَا، وَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿المؤمنون﴾، فَدَخَلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: طُوبَاكَ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ»^(٢).

(١) مسند الدارمي (١٨٧٧/٣) رقم (٢٨٨٣). قال العلامة الألباني: هذا إسناد صحيح، وهو ثلاثي؛ إن كان حميد - وهو الطويل - سمعه من أنس رضي الله عنه؛ فإن عامة حديثه عن أنس سمعه من ثابت؛ كما قاله غير واحد. وقد أوقفه بعضهم... إلخ السلسلة الصحيحة (٧/١٣٨٤). قلت: رواه عبد الله بن المبارك أنا مُحَمَّدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقَ كُتْبَانٍ... الحديث موقوف. أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ت سليم (ص: ١٨٥) قال: حَدَّثَنِي حَمْرَةُ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، أَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ بِهِ وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ. ورواه الحسين المروزي في زوائده على الزهد والرفائق لابن المبارك (١/٥٢٤) رقم (١٤٩١) أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، بِهِ موقوف. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنف ابن أبي شيبة (٣١/٧) رقم (٣٣٩٧٥) قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِهِ موقوف. وتابعه محمد بن عبد الملك الدقيقي عن يزيد به رواه البيهقي في البعث والنشور للبيهقي (٣٧٥) وقال البيهقي (ص: ٢٢٦): كَذَا أَتَى بِهِ مَوْقُوفًا وَرَوَى عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله مَعْنَاهُ فِي قِصَّةِ طَوِيلَةٍ أَهْوَتْ تَابِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ - كما في الزهد والرفائق (٧٠/٢) - عن التميمي به موقوفا - ومن طريقه رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ت سليم (ص: ١٨٤) رقم (٢٤٦) قال: حَدَّثَنِي حَمْرَةُ بْنُ الْعَبَّاسِ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، أَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، بِهِ. ورواه قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بِهِ مختصرا موقوفًا. كما في جامع معمر بن راشد (١١/٤١٨) رقم (٢٠٨٨١) وتفسير عبد الرزاق (١٣٧٨) عن معمر، وفي مصنف ابن أبي شيبة (٧/٣٨) رقم (٣٤٠٢٦) قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ مِسْعَرٍ، كِلَاهِمَا (معمر ومسعر) قَالَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، بِهِ. ورواه سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ بِهِ مرفوعا وسعيد ضعيف رواه الطبراني في مسند الشاميين للطبراني (٤/٨) رقم (٢٥٧٥).

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار (٤/١٨٩) رقم (٣٥٠٧). ورواه عدي بن الفضل - وهو متروك - عن الجريري به مرفوعا. رواه البزار (٣٥٠٨) والطبراني في الأوسط (٣٧٠١) وغيرهما. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/

وقال تعالى: ﴿ وَطُوفٌ عَلَيْهِمْ وَوَالِدَانٌ مُّخَدَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۗ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ۗ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسْوَدَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَدَهُمْ رَزْهُمٌ شَرَابًا طَهُورًا ۗ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا ۗ ﴾ [الإنسان]

قال الحافظ ابن كثير: أي: ﴿ وَطُوفٌ ﴾ على أهل الجنة للخدمة ﴿ وَوَالِدَانٌ ﴾ من ولدان الجنة ﴿ مُخَدَّدُونَ ﴾ أي: على حالة واحدة ﴿ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤًا منثورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن. قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «ما من أهل الجنة من أحدٍ إلا يسعى عليه ألف خادمٍ، كلُّ خادمٍ على عملٍ ما عليه صاحبه»^(١). وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ﴾ أي: وإذا رأيت يا محمد، ﴿ ثَمَّ ﴾ أي: هناك، يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الخبرة والسُرور، ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴾ أي: مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا. وثبت في الصحيح «أن الله تعالى يقول

(٣٩٧) وقال: رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا... ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف ا.هـ وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٢): صحيح على شرط مسلم موقوفًا لكنه في حكم المرفوع ا.هـ ورواه وهيب بن خالد عن الجريري فرفعه بنحوه. رواه البيهقي في البعث والنشور (٢٦١) لكن في سنده محمد بن يونس وهو الكديمي أحد الهلكي. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ت عمارة (٥١٣/٤): أخرجه البيهقي وغيره، ولكن وقفه هو الأصح المشهور، والله أعلم ا.هـ

(١) أخرجه هناد في الزهد (١/١٣٣): قال حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، والحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (١٥٨٠) والطبري في تفسيره (٢٠/٦٤٤ ط هجر) وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٣٢) من طريق يزيد بن زريع، والبيهقي في البعث والنشور (٣٧١) من طريق عبد الوهاب؛ كلهم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. وإسناده صحيح، قاله الألباني في السلسلة الضعيفة (١١/٤٨١) وصححه في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٥).

لَاخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا إِلَيْهَا: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا»^(١) ا.هـ.^(٢)

قلت: وفي صحيح مسلم عن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَذْنِي أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَحْذَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كِرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) [السجدة] الآية»^(٤).

قال الحافظ ابن كثير: فَإِذَا كَانَ هَذَا عَطَاؤُهُ تَعَالَى لِأَذْنِي مَنْ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا هُوَ أَعْلَى مَنْزِلَةً، وَأَحْطَى عِنْدَهُ تَعَالَى ا.هـ.^(٤)

نعيم الجنة لا حد له :

وفي الجنة من النعيم ما لا يوصف، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما تقدم. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) [السجدة]

(١) صحيح البخاري (٦٥٧١، ٧٥١١) وصحيح مسلم (١٨٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢٩٢/٨)

(٣) تقدم (ص: ٣٥٩).

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢٩٢/٨)

وفي سنن الترمذي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقَلُّ ظُفْرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ لَتَزَخَّرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَ فَبَدَأَ أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ الشُّجُومِ»^(١)

رؤية أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى:

وهي أعظم نعيم يحصل لأهل الجنة؛ فإذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم؛ وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم. قال ابن القيم: اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون وأنكرها أهل البدع المارقون ا.هـ.^(٢)

ومن أدلة إثبات رؤية الله سبحانه يوم القيامة:

قول الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٤﴾** ﴾ [القيامة]

وقوله **تَعَالَى**: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾** ﴾ [يونس: ٢٦]؛

والزيادة هي رؤية المؤمنين الله تعالى كما سيأتي في السنة.

وَقَالَ **تَعَالَى** فِي شَأْنِ الْكُفَّارِ: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ [المطففين].

فَإِذَا حُجِبَ أَوْلِيَائُهُ فَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ.

قال الإمام الشافعي رحمته الله: في الآية دلالة على أَنَّ أَوْلِيَائَهُ يَرَوْنَهُ عَلَىٰ صِفَتِهِ ا.هـ.^(٣)

وَقَالَ: فَلَمَّا حَجَبَهُمْ فِي السَّخَطِ كَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ فِي الرَّضَا. ^(٤) وقال: فيها

دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ أَوْلِيَائَهُ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَبْصَارِ وُجُوهِهِمْ. ا.هـ.^(٥)

(١) سنن الترمذي (٢٥٣٨) ورواه أحمد (٥٧/٣) رقم (١٤٤٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة

(٣٣٩٦) وصحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦٥)

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (٦٠٥/٢)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١١٧/٩) والإبانة الكبرى لابن بطة (٥٩/٧) رقم (٥٤)

(٤) الاعتقاد (ص: ١٣١) ومعرفة السنن والآثار (١٩١/١). رقم (٣٤٦) كلاهما للبيهقي.

(٥) الإبانة الكبرى لابن بطة (٦٠/٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥١٨/٣) رقم (٨٠٩)

وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي رحمته الله: عن مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْأَصَمِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَضَرْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ وَقَدْ جَاءَتْهُ رُفْعَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ فِيهَا: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمته الله: "فَلَمَّا أَنْ حُجِبُوا هُوَ لَاءٍ فِي السَّخَطِ كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ فِي الرَّضَا. قَالَ الرَّبِيعُ: قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَبِهِ تَقُولُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَبِهِ أَذِينُ اللَّهِ؛ لَوْ لَمْ يُوقِنِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَنَّهُ يَرَى اللَّهَ لَمَا عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى اهـ^(١)

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ بِمَعْنَى مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَاتُ؛ رَوَاهَا أَيْمَةُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فِي دَوَائِبِ الْإِسْلَامِ عَنْ فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَجْلَائِهِمْ؛ وَمِنْهَا:

مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تُضَارُونَ^(٢) فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَأَنْتُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، ...» الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ^(٣).

وَلَهُمَا عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٦٠) رقم (٨٨٣)

(٢) (تُضَارُونَ) بضم التاء، وتفتح، وتشديد الراء، على أنه من باب المفاعلة، أو التفاعل، من الضرر، والاستفهام للتقرير، وهو تحمّل المخاطب على الإقرار، والمعنى: هل يحصل لكم تراحم، وتنازع يتضرر به بعضكم من بعض. وقال النووي: وروي "تضارون" بتشديد الراء، وتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما، ... قال القاضي البيضاوي رحمته الله: وفي "تضارون" المشدد من الضرر، والمخفف من الضير؛ أي: تكون رؤيته تعالى رؤية جلية بيّنة، لا تقبل مرأى، ولا مرية، فيخالف فيها بعضكم بعضاً، ويكذبه، كما لا يشك في رؤية أحدهما؛ يعني: الشمس والقمر، ولا ينازع فيها، فالتشبيه إنما وقع في الرؤية باعتبار جلائها، وظهورها، بحيث لا يُرتاب فيها، ولا في سائر كفياتها، لا في المرئي... إلخ

(٣) صحيح البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، وصحيح مسلم (١٨٢).

«مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، ...» الحديث (١).

وَفِيهِمَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ» (٢) فِي رُؤْيِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا» (٣)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ يَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]» (٤)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيِنْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيِنْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكَبِيرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ» (٥)

وَلِلنَّسَائِيِّ وَابْنِ جَبَّانٍ وَالحَاكِمِ عَنِ السَّائِبِ وَالِدِ عَطَاءٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ! فَقَالَ: أَمَا عَلَىٰ ذَلِكَ؟ فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ

(١) صحيح البخاري (٤٥٨١، ٧٤٣٩)، وصحيح مسلم (١٨٣)

(٢) "تضامون" بتشديد الميم، وتخفيفها، فمن شدددها فتح التاء، ومن خففها ضمها، قال القاضي البيضاوي رحمته الله: ... وفي "تضامون" بالتشديد من الضم؛ أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض في طلب رؤيته؛ لإشكاله، وخفائه، كما يفعلون في الهلال، أو لا يضمكم شيء دون رؤيته، فيحول بينكم وبينها، وبالتخفيف من الضيم؛ أي: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعض دون بعض، بل يستون فيها. اهـ

(٣) صحيح البخاري (٥٥٤، ٥٧٣)، وصحيح مسلم (٦٣٣)

(٤) صحيح مسلم (١٨١)

(٥) تقدم (ص ٣٥٢).

من القوم، فسأله عن الدعاء ثم جاء، فأخبر به القوم، -وهذا الدعاء هو قول النبي ﷺ -
 : «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيَيْنَا مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّيْنِي إِذَا
 عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ
 فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَأَسْأَلُكَ
 قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ،
 وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ صَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ،
 اللَّهُمَّ زَيْنًا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» (١).

فَثَبَّتْ بِهِذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةَ الصَّحِيحَةَ الصَّرِيحَةَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُرَى فِي الْآخِرَةِ
 كَمَا يَشَاءُ.

حكم من جحد وكذب بروية المؤمنين ربهم في الآخرة

وَمَنْ جَحَدَ الرُّوْيَةَ فَهُوَ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُكَذِّبٌ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ رَادُّ لِكِتَابِ
 اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مُحَالَفٌ لِحَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ فِي وَعِيدِ مُنْكَرِي اللَّقَاءِ
 وَهُوَ مُتَنَاقِلٌ مُنْكَرِ الرُّوْيَةَ بِلَا شَكٍّ وَلَا مِرْيَةٍ: فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ
 أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ
 تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
 لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»، قَالَ ﷺ: «فَيَلْقَى
 الْعَبْدَ، -يعني ربه- فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ أَلَمَ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْحَيْلَ
 وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ: لَا،
 فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ أَلَمَ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ،
 وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ:
 أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ

(١) رواه النسائي (١٣٠٥) وأحمد (١٨٣٢٥)، وصححه ابن حبان (١٩٧١) والحاكم (١٩٢٣)

لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَبِئْسَ بَخِيرٌ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ لِفَخْدِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخَذَهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعَذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١)

قال ابن القيم: فاجمع بين قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ...»، وقوله لمن ظنَّ أَنَّهُ غَيْرَ مَلَاقِيهِ: «فإني أنسأك كما نسيتني»، وإجماع أهل اللغة أَنَّ اللقاء: المعاينة بالأبصار؛ يحصل لك العلم بأنَّ منكر الرؤية أحقُّ بهذا الوعيد. ومن تراجم أهل السنَّة على هذا الحديث: "باب: في الوعيد لمنكر الرؤية"، كما فعل شيخ الإسلام وغيره، وباللَّه التوفيق اهـ.^(٢) قلت: وذكره ابن مندة في الإيمان مع غيره تحت عنوان: "ذِكْرُ وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِرُؤْيَا اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ" اهـ.^(٣)

رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ:

لَا خِلَافَ فِي ثُبُوتِ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي دَارِ الْآخِرَةِ. كَمَا تَقَدَّمَ. وَكَذَا لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي أَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ قَبْلَ الْمَوْتِ. وَإِنَّمَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي ثُبُوتِ: رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ ﷺ: «نُورٌ أَتَى أَرَاهُ»، أَيْ: حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ رُؤْيَايَهُ الثُّورُ، كَمَا قَالَ فِي لَفْظٍ آخَرَ: «رَأَيْتُ نُورًا»^(٤).

قال ابن القيم: وَقَدْ حَكَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ اتِّفَاقَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ.^(٥)

(١) صحيح مسلم (٢٩٦٨).

(٢) - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (٧١٣ / ٢)

(٣) (٧٧٩ / ٢).

(٤) صحيح البخاري (٧٥١٨، ٦٥٤٥)، صحيح مسلم (٢٨٢٩)

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ٣٣-٣٥) وانظر: نقض الدارمي على المريسي ت الألمي (٢ / ٧٣٨)، والرد

على الجهمية للدارمي - ت الشوامي (ص ١١٤).

كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة:

هكذا بوب البخاري في صحيحه وذكر الحديثين التاليين:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» متفق عليه (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوْلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُرْزَعَ، فَاسْرَعَ وَبَدَرَ، فَتَبَادَرَ الظَّرْفُ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاوَهُ وَاسْتَحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ذُوْنِكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدْ هَذَا إِلَّا فُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رواه البخاري (٢)

وفي الباب أيضا: حديث أبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَنذَرُكُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا «متفق عليه» (٣).

(١) صحيح البخاري (٧٥١٨) صحيح مسلم (٢٨٢٩)

(٢) تقدم (ص: ٤٠٢)

(٣) صحيح البخاري (٤٧٣٠) وصحيح مسلم (٢٨٤٩)

وتقدم حديث صهيب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ يَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ التَّظَرُّرِ إِلَى رَبِّهِمْ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]»^(١)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ اللَّهُ: أَذْشْتَهُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، وَمَا فَوْقَ مَا أُعْطَيْتَنَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى، رِضَايَ أَكْثَرَ» رواه ابن حبان والحاكم^(٢)

قال ابن القيم: فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها وأفضلها، الذي ما طابت لأهلها إلا به، والله المستعان.^(٣)

آخر أهل الجنة دخولا إليها:

وفي الصحيحين عَنْ عبيدة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا [وفي رواية: يَخْرُجُ حَبُورًا]، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسَخَّرَ مِنِّي - أَوْ: تَضَحَّكَ مِنِّي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «ذَلِكَ أَذَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ»^(٤)

(١) تقدم (ص: ٤١٢)

(٢) صحيح ابن حبان (٧٤٣٩) ومستدرک الحاكم (٢٧٦) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٣٦).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم - (٧١٧/٢)

(٤) صحيح البخاري (٦٥٧١، ٧٥١١) وصحيح مسلم (١٨٦).

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَلُ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتُ ظِلٍّ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا، فَقَالَ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَقَالَ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَقَدَّمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، وَمَثَلُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى ذَاتُ ظِلٍّ وَثَمَرَةٍ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، فَقَالَ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَقَالَ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَقَدَّمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، فَتَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى ذَاتُ ظِلٍّ وَثَمَرٍ وَمَاءٍ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَقَالَ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا قَالَ: فَيَبْرُزُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَكُونُ تَحْتَ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَأَنْظُرُ إِلَى أَهْلِهَا فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَيَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ: هَذَا وَهَذَا لِي؟، فَيَقُولُ اللَّهُ، تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، يُدْكَرُهُ اللَّهُ: سَلْ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِي قَالَ اللَّهُ: هُوَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْخُورِ الْعِينِ فَتَقُولَانِ لَهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَكَ لَنَا وَاخْتَارَنَا لَكَ، فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ» [قَالَ: وَأَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، يُنْعَلُ مَنْ نَارٍ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي دِمَاغَهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ]^(١)

وفي المسند عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَكُونُ قَوْمٌ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، فَيُخْرِجُهُمْ مِنْهَا، فَيَكُونُونَ فِي أَدْنَى الْجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَيَوَانُ (وفي رواية: فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ)، يُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: الْجَهَنَّمِيُّونَ، لَوْ ضَافَ أَحَدُهُمْ أَهْلَ الدُّنْيَا لَفَرَشَهُمْ، وَأَطْعَمَهُمْ، وَسَقَاهُمْ، وَلَحَفَهُمْ، وَلَزَوَّجَهُمْ، لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ شَيْئًا»^(٢)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٠١٣) وعنه مسلم (١٨٨) لكن اختصره. وأحمد في مسنده (١١٢١٦) والزيادة له.

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٣٧) وابن أبي شيبة في مسنديهما (٣٩٥) وصححه ابن حبان (٧٤٣٣، ٧٤٢٨)

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه، قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... فذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيهِ: فَيَمُرُّونَ عَلَى الصَّرَاطِ، وَالصَّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مِرْلَةٍ، قَالَ: فَيَقَالُ انْجُوا عَلَى قَدَرِ نُورِكُمْ... فذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيهِ: حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يَجْرُ يَدًا وَيَعْلَقُ يَدًا وَيَجْرُ رِجْلًا وَيَعْلَقُ رِجْلًا فَتَصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلُصُونَ فَإِذَا خَلَصُوا، قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ إِذْ رَأَيْنَاكَ، فَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى ضَحْصَاحٍ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ وَهُوَ مُصَفَّقٌ مَزِلًّا فِي أَدْنَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَانَا ذَلِكَ الْمَنْزِلَ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ: نَسَأَلُونِي الْجَنَّةَ وَهُوَ مُصَفَّقٌ وَقَدْ أُنْجِيتُكُمْ مِنَ النَّارِ، هَذَا الْبَابُ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَعَلَّكُمْ إِنْ أُعْطِيتُمُوهُ أَنْ تَسْأَلُونِي غَيْرَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا نَسَأَلُكَ غَيْرَهُ وَأَيُّ مَنْزِلٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْهُ، قَالَ: فَيُعْطُوهُ فَيَرْفَعُ لَهُمْ أَمَامَ ذَلِكَ مَنْزِلٍ آخَرَ كَأَنَّ الَّذِي أُعْطُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ حُلْمٌ عِنْدَ الَّذِي رَأَوْهُ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ: لَعَلَّكُمْ إِنْ أُعْطِيتُمُوهُ أَنْ تَسْأَلُونِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُونَ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا نَسَأَلُكَ غَيْرَهُ وَأَيُّ مَنْزِلٍ أَحْسَنَ مِنْهُ؟ فَيُعْطُوهُ ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُونِي؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ سَأَلْنَا حَتَّى اسْتَحْيَيْنَا، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَرْضَوْا إِنْ أُعْطِيتُكُمْ مِثْلَ الدُّنْيَا مِنْذُ يَوْمِ خَلَقْتَهَا إِلَى يَوْمِ أَفْنَيْتَهَا وَعِشْرَةَ أَضْعَافِهَا» قَالَ: قَالَ مَسْرُوقٌ: فَمَا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا الْمَكَانَ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا ضَحِكَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَقَدْ حَدَّثْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِرَارًا فَمَا بَلَغْتَ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا ضَحِكَ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِرَارًا فَمَا بَلَغَ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا ضَحِكَ حَتَّى تَبْدُو لَهُوَاتُهُ وَيَبْدُو آخِرُ ضُرَيْسٍ مِنْ أَضْرَاسِهِ لِقَوْلِ الْإِنْسَانِ: «أَتَهَرُّأُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا وَلَكِنِّي عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ فَسَلُونِي، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَلْحِقْنَا بِالنَّاسِ فَيَقُولُ لَهُمْ: الْحِقُوا بِالنَّاسِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ يَرْمُلُونَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْدُو لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ قَصْرٌ مِنْ دُرَّةٍ مَجُوفَةٍ، قَالَ: فَيَخْرُ سَاجِدًا، قَالَ: فَيَقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَيَقَالُ: إِنَّمَا هَذَا مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِكَ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ فَيَسْتَفِيلُهُ رَجُلٌ فَيَقُولُ: أَنْتَ مَلِكٌ؟ فَيَقَالُ: إِنَّمَا ذَلِكَ

فَهَرَمَانٌ مِنْ قَهَارِمَتِكَ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا قَهْرَمَانٌ مِنْ قَهَارِمَتِكَ عَلَى هَذَا الْقَصْرِ تَحْتَ يَدَيَّ أَلْفِ قَهْرَمَانٍ كُلُّهُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِ عِنْدَ ذَلِكَ حَتَّى يُفْتَحَ الْقَصْرُ وَهُوَ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ سَقَائِفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَغْلَاقُهَا وَمَفَاتِيحُهَا مِنْهَا، فَيُفْتَحُ لَهُ الْقَصْرُ فَيَسْتَقْبِلُهُ جَوْهَرَةٌ خَضْرَاءُ مَبْطَنَةٌ بِحُمْرَاءِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِيهَا سِتُونَ بَابًا كُلُّ بَابٍ يُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى غَيْرِ لَوْنٍ صَاحِبَتُهَا، فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ سُرْرٌ وَأَزْوَاجٌ وَتَصَارِيفٌ - أَوْ قَالَ: وَوَصَائِفٌ - قَالَ: فَيَدْخُلُ فَإِذَا هُوَ بِجُورَاءِ عَيْنَاءَ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حَلَّةً يُرَى مِخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلِّهَا كَبِدُهَا مِرَاتُهُ وَكَبِدُهُ مِرَاتُهَا، إِذَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِعْرَاضَةً زَادَتْ فِي عَيْنِهِ سَبْعِينَ ضِعْفًا عَمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: لَقَدْ زِدَدْتِ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا، وَتَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: فَيُشْرِفُ بِبَصَرِهِ عَلَى مُلْكِهِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا كَعْبُ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يُحَدِّثُنَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ عَنِ أَهْلِ الْحِجَّةِ مَالَهُ فَكَيْفَ بِأَعْلَاهُمْ؟ قَالَ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ فَخَلَقَ لِنَفْسِهِ دَارًا بِيَدِهِ فَزَيَّنَهَا بِمَا شَاءَ وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالشَّرَابِ، ثُمَّ أَطْبَقَهَا فَلَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مُنْذُ يَوْمِ خَلْقِهَا لَا جَبْرِيلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

وَخَلَقَ دُونَ ذَلِكَ جَنَّتَيْنِ فَزَيَّنَهُمَا بِمَا شَاءَ وَجَعَلَ فِيهِمَا مَا ذَكَرَ مِنَ الْحَرِيرِ وَالسُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ، وَأَرَاهُمَا مِنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَمَنْ كَانَ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ يُرَى فِي تِلْكَ الدَّارِ، فَإِذَا رَكِبَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ فِي مُلْكِهِ لَمْ يَنْزِلْ خَيْمَةً مِنْ خِيَامِ الْحِجَّةِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ ضَوْءٍ وَجْهِهِ، حَتَّى إِتْمَمُوا يَسْتَنْشِقُونَ رِيحَهُ وَيَقُولُونَ: وَهَذَا لِهَذِهِ الرِّيحِ الطَّيِّبَةِ، وَيَقُولُونَ: لَقَدْ أَشْرَفَ عَلَيْنَا الْيَوْمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَيَحْكُ يَا كَعْبُ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ قَدْ اسْتَرْسَلَتْ فَاقْبِضْهَا، فَقَالَ كَعْبٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِحَبْنَمَ زَفْرَةً مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا يَحْرُلُ رُكْبَتَيْهِ حَتَّى يَقُولَ إِبْرَاهِيمُ حَلِيلُ اللَّهِ عليه السلام:

رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي، وَحَتَّى لَوْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ سَبْعِينَ نَبِيًّا إِلَى عَمَلِكَ لَطَنَنْتُ أَنْ لَا تَنْجُو

مِنْهَا»^(١)

(١) صحيح. أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٩)؛ وعبد الله بن أحمد في السنة (١٢٠٣)؛ والشاشي في مسنده (٤١٠/مختصراً) قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، والطبراني في المعجم الكبير (٩٧٦٣) قال: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ الْأَزْدِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالْحَضْرَمِيُّ، وَالْحَلَالُ فِي السَّنَةِ - كَمَا فِي إِبْطَالِ التَّأْوِيلَاتِ لِأَبِي يَعْلَى (١٥٥/١) - قال: أَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمُرُوزِيُّ، وَالدَّارِقُطِيُّ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ (١٦٣) قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدَّقَاقُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ، وَابْنُ مَنْدَةَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ (٨٢٠/٢) قال: أَنْبَأَ أَبُو عَمْرٍو، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ وَارَةَ، ح وَأَنْبَأَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثَنَا الصَّاعَانِيُّ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ (٤٢٥، ١٠١٢) قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، - وَهُوَ الصَّاعَانِيُّ -؛ وَأَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ فِي كِتَابِ اللَّطَائِفِ مِنْ عِلْمِ الْمَعَارِفِ (٦٤٩/مختصراً) قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ النَّاجِرِيُّ، أَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُوسَى، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، نَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ اللَّيْثِ؛ كُلُّهُم (ابن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد، وابن أبي خيثمة، ومحمد بن النضر، والحضرمي، والمرودي؛ وابن أبي عوف، وابن وارة، والصاغاني والحسن بن أحمد بن الليث) قالوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ الْحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحِيمِ خَالِدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي أَنَيْسَةَ، عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. به. وقال ابن مند: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ». اهـ وصححه المنذري في الترغيب وقال ابن القيم في "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (٩٤/٢ - طبعة الكردي): هذا حديث كبير حسن... وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٩/٧).

وخولف فيه زيد بن أبي أنيسة؛ فرواه أبو خالد الدالاني عن المنهال به موقوفاً - ولا يضر فله حكم الرفع وقد روي عنه مرفوعاً - . رواه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ (١٢٣) قال: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، وَطَبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٩٧٦٣) قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَالدَّارِقُطِيُّ فِي كِتَابِ الرُّؤْيَةِ (١٦٢) قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ دُبَيْسٍ بْنُ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى الْبَرْتِيُّ الْقَاضِي؛ وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٤٢٤) - وَعنه البيهقي فِي الْبَعْثِ (٣٩٩) - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ هَانِئٍ، وَالحَسَنُ بْنُ يَعْقُوبَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عِصْمَةَ، قَالُوا: ثَنَا السَّرِيُّ بْنُ خَزِيمَةَ، كُلُّهُم (محمد بن يحيى، ويوسف بن موسى، وعلي بن عبد العزيز، وأحمد البرقي، والسري بن خزيمة) قالوا: ثَنَا أَبُو عَسَانَ مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبِ التَّهْدِي، قَالَ: ثَنَا زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو خَالِدِ الدَّالَائِيِّ، ثَنَا الْمُنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ مَسْرُوقِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ به موقوفاً. ورواه الحاكم في (٨٧٥١) قال: أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دُحَيْمِ الشَّيْبَانِيُّ بِالْكَوْفَةِ مِنْ أَصْلِ كِتَابِهِ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَارِمِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ الْعَفَّارِيُّ، ثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّهْدِي، به فرفعه. ورجح الدارقطني رفعه. انظر العلل للدارقطني (٨٥٤)، وفي المنتخب من علل الحلال (١/٢٦٣/رقم ١٦٦)

الجنة لمن آمن وعمل صالحا :

وهذه الجنة ينالها أهل الإيمان وأهل التقوى وأهل الأعمال الصالحات. والقرآن مليء بحث الناس على العمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [١٨] الَّذِينَ ءَامَنُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ [الزخرف]. ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا** : ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ [طه]. فالجنة يثيب الله **عَزَّجَلَّ** بها أوليائه ممن آمن وعمل صالحا، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٣] أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [الأحقاف] يعني بأعمالهم الصالحة. وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٢٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٤﴾ [يونس]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَحْتَبَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر]. والآيات في بشارة من آمن وعمل صالحا بالجنة كثيرة. (١)

قال: أَخْبَرَنَا الْمُرُودِيُّ، قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَدِيثَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ الْخُرَازِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحِيمِ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي أَنَيْسَةَ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ سُرُوقٍ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ... قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَمْ يَقَعْ إِلَيْنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ، وَاسْتَحْسَنَهُ. وَقَالَ: قَدْ رَوَاهُ الْأَعْمَشُ مَوْفُوقًا، وَرَوَاهُ أَبُو يَزِيدَ الدَّلَائِيُّ مَرْفُوعًا. قَالَ الْخَلال: وَأَخْبَرَنِي زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى: ثنا أَبُو طَالِبٍ، أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَجَعَلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: مَا أَحْسَنَهُ، إِنَّمَا سَمِعْتُهُ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ مُرْسَلًا. هـ

(١) وجمعها ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (٢/ ٨٢٥).

قال ابن القيم: «... مداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة. فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون مَنْ عَدَاهُمْ من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون، ويرجع إلى خصلة واحدة، وهي موافقة الرب سبحانه وتعالى في محاببه، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ. وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي: «بِضْعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(١). وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها إلى تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجابًا واستحبابًا، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل اه.^(٢)

دخول الجنة برحمة الله:

فليس عمل العبد مستقلا بدخولها، ولكنه سبب من أسباب دخول الجنة. كما قال النبي **عليه الصلاة والسلام**: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَ نِي اللَّهِ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ»^(٣) والمعنى أن هذه الأعمال ليست ثمنًا، ولكنها سبب، فالباء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف] سببية أي: بسبب أعمالكم، وليست بآء الثمنية، قال غير واحد من السلف: "ينجون من النار بعفو الله ومغفرته، ويدخلون الجنة بفضلهم ونعمته، ويتقاسمون المنازل بأعمالهم اه. فهذا ما تدل عليه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة.^(٤)

(١) تقدم تخريج هذا الحديث برواياته المختلفة في المجلس الأول.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (١٢٦/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢٠/١)، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح « (١/١٧٦) لابن القيم، البرهان في علوم القرآن للزركشي (٦٧/٢)، والمحجة في سير الدلجة لابن رجب - ضمن مجموع مؤلفاته - (٣٩٣/٤).

سؤال الله الجنة:

روى الإمام الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»^(١)

وفي مسند أبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي يَوْمٍ، إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فَلَانًا قَدْ اسْتَجَارَكَ مِنِّي فَأَجِرْهُ، وَلَا يَسْأَلُ اللَّهَ عَبْدٌ الْجَنَّةَ فِي يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فَلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ»^(٢)

وفي سنن أبي داود عن أبي صالح، عن بعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ»، قَالَ: أَتَشْهَدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّي لَا أَحْسِنُ دُنْدَنْتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْلَهَا تُدْنِدُنُ»^(٣)

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه عن أم كلثوم بنت أبي بكر، عن عائشة رضي الله عنها، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا

(١) سنن الترمذي (٢٥٧٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٥٤)، وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٨٥)

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٦١٩٢)، وصححه على شرط الشيخين الضياء المقدسي في صفة الجنة (٤٧) والمنذري في الترغيب (٥٥٢١) وابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - ط عطاءات العلم (٨/ ١٨٥) والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥٠٦) وقال ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٢٠/ ٣٨٥): على شرط مسلم. وهو الصواب - كما في علل الدارقطني (٢٢١٣) - أن الحديث مداره على يونس بن خباب - وهو ضعيف رافضي لم يخرج له - واختلف عليه فيه، والصواب رواية الجماعة عن يونس عن أبي علقمة عن أبي هريرة مرفوعا. وخولف فيه يونس - مع ضعفه -، فقد رواه الطيالسي في مسنده (٢٧٠٢) قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلْقَمَةَ، فَذَكَرَهُ مَقْطُوعًا. قَالَ شُعْبَةُ: وَلَمْ يَرْفَعْهُ يَعْلى إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ. ويعلى ثقة من رجال مسلم.

(٣) سنن أبي داود (٧٩٢) وصححه الألباني في صفة الصلاة وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٦) ورواه ابن ماجه (٣٨٤٧، ٩١٠) وسمى الصحابي أبا هريرة رضي الله عنه. وصحح الدارقطني في العلل (١٩٤٤) رواية أبي داود.

عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ تَقْضِيهِ لِي خَيْرًا^(١)

من أسباب دخول الجنة :

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَنَةً لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجًا ﴿٣١﴾ حُدَّاقًا وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أُنثَىٰ ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّنْ رَبُّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النبأ]

وقال الله تعالى: ﴿ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ

مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران]

وأعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار التوحيد، وقد تقدم حديث عبادة بن

الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عَيْسَىٰ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ،

(١) مسند أحمد (٤١/٤٧٤) رقم (٢٥٠١٩) سنن ابن ماجه (٣٨٤٦) وهو في السلسلة الصحيحة (١٥٤٢).

وَالْحَنَّةُ حَقٌّ، وَالتَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْحَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(١).

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، [قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم]: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ» فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَلَمَّا وُلَّى قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»^(٣).

وفي صحيح مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «...مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٤).

وفيه عن جَابِرِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا.^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

(٢) صحيح البخاري (١٣٩٦، ٥٩٨٢) وصحيح مسلم (١٥) واللفظ له وما بين معكوفين رواية لمسلم.

(٣) صحيح البخاري (١٣٩٧) وصحيح مسلم (١٤).

(٤) صحيح مسلم (١٨٤٤).

(٥) المرجع السابق (١٥).

وفي سنن الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا إِذَا أَمَرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» وفي رواية لأحمد والحاكم: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ...» وفي رواية لابن حبان والحاكم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطِيعُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ...»^(١)

وروى أبو نعيم في معرفة الصحابة عن أبي تميم الهجيمي، قال: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَإِذَا النَّاسُ يُطِيفُونَ بِرَجُلٍ [وفي رواية: ... فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مُجْتَمِعٍ عَلَيْهِ يُحَدِّثُ، مَجْدُودِ الْأَصَابِعِ أَوْ مُجَدِّمِ الْيَدَيْنِ]، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: فَقَالُوا: [إِنَّ] هَذَا أَفْقَهُ مَنْ بَقِيَ [عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ] الْيَوْمَ، [مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم]، هَذَا عَمْرُو الْبِكَالِيِّ رضي الله عنه [فَقُلْتُ: مَا لِيَدِهِ؟ مَا شَأْنُ أَصَابِعِهِ؟] فَقَالُوا: أُصِيبَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ بِالشَّامِ زَمَانٌ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اْعْمَلُوا وَأَبْشُرُوا، فَإِنَّ فِيكُمْ ثَلَاثَةَ أَعْمَالٍ كُلُّهَا تُوجِبُ لِأَهْلِهَا الْجَنَّةَ: رَجُلٌ قَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فِرَاشِهِ، وَدِنَارِهِ، وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: مَا يَحْمِلُ عَبْدِي عَلَيَّ مَا صَنَعَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رَجَبِيئَهُ أَمْرًا فَرَجَاهُ، وَخَوْفَتَهُ أَمْرًا فَخَافَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا رَجَا، وَأَمَّنْتُهُ مِمَّا خَافَ، وَرَجُلٌ كَانَ فِي فِتْنَةٍ فَأَنْكَشَفَتْ فِتْنَتُهُ، فَاسْتَقْبَلَ الْعَدُوَّ بِنَحْرِهِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: مَا حَمَلَ عَبْدِي هَذَا عَلَيَّ مَا صَنَعَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا رَجَبِيئَهُ أَمْرًا فَرَجَاهُ، وَخَوْفَتَهُ أَمْرًا فَخَافَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنِّي أُشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا رَجَا، وَأَمَّنْتُهُ مِمَّا خَافَ، قَالَ: وَقَوْمٌ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عز وجل فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ:

(١) أخرجه الترمذي (٦١٦) وأحمد (٢٢١٦١، ٢٢٢٥٨، ٢٢٢٦٠) وصححه ابن حبان (٤٥٣٣) والحاكم (١٩، ١٤٣٦،

١٧٤١) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٧٧). وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وهو وافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦٧)، وفيه نظر: فإنه من طريق معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر، وليس في مسلم رواية لمعاوية، عن سليم، بل لم يرو مسلم في صحيحه لسليم إلا حديثا واحدا من طريق عبد الرحمن بن جابر، عن سليم بن عامر قال حدثني المقداد؛ وهو حديث: «ندنى الشمس يوم القيامة...».

مَا حَمَلَ عَيْدِي هَوْلًا عَلَى مَا صَنَعُوا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رَجَبْتَهُمْ أَمْرًا فَرَجَوْهُ، وَخَوَّفْتَهُمْ أَمْرًا فَخَافُوهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتَهُمْ مَا رَجَوْهُ، وَأَمَنْتَهُمْ مِمَّا خَافُوهُ^(١)

وهذا باب واسع، فيا إخواني في الله اجتهدوا في الأعمال الصالحات. فنعيم الجنة لا يوصف، وإنما لا نكاد ننتهي من ذكر ما أعد الله **عَزَّوَجَلَّ** لأولياته في جنات عدن مما جاء أخباره في كتاب الله وفي سنة رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. ولنحرص على قراءة ما أعدّه الله **عَزَّوَجَلَّ** لأولياته في الجنة من طعام وشراب ونعيم وراحة وخدم.

فالمؤمن إذا دخل الجنة - كما نقل ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن القيم في حادي الأرواح وغيرهما - يكون فيها ملكاً: يسكن أعظم القصور، ويجتمع عليه من الخدم ما لا يُحصى. كما قال الله **جَلَّ وَعَلَا** في كتابه الكريم في سورة تتردد علينا ونقرؤها في فجر كل جمعة يقول تعالى: ﴿ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني على أهل الجنة ﴿ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنسان] فإذا كان الخادم في الجنة الذي يخدمك صورته كاللؤلؤ المنثور في جماله وفي حسنه فكيف بالمخدوم؟!

نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يجعلنا من أهل الجنة ونسأله **سَلَامَةً** أن يُثَبِّتَنَا عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ حَتَّى نَلْقَاهُ. والحديث عن الجنة ونعيمها حديثٌ ذو شجون، ولعل فيما ذكرناه كفايةً، والمقصود أن نعلم أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة، نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يجعلنا من أهلها، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/٢٠٢٦) رقم (٥٠٩٢) ورواه ابن سعد في الطبقات ط دار صادر (٧/٤٢١) مختصراً. وما بين معكوفين منه. ورواه البخاري في التاريخ الأوسط ط الرشد (٧٨١). وعزاه الحافظ في الإصابة ط هجر (٧/٤٨٧) إلى البخاري في التاريخ الصغير ومحمد بن نصر في قيام الليل [(المختصر ص ٥٧)]، وابن منده وقال: إسناده صحيح. هـ.

الإيمان بالنار

المجلس السابع والثلاثون (١)

الإيمان بالنار:

الإيمان بالجنة والنار أمر واجب، وهو متصل بالإيمان باليوم الآخر، فلا يتم إيمان امرئ حتى يؤمن بالجنة والنار، وأنها حقٌّ وأنها مخلوقتان موجودتان الآن كما أخبر النبي ﷺ، وقد جعل الله الجنة لأوليائه والنار لأعدائه، نسأل الله أن يجيرنا وإياكم منها.

وقد بين النبي ﷺ فقال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عَيْسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» (٢)

فدل هذا الحديث على وجوب الإيمان بالجنة والنار.

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان ولا تبيدان:

يقول الطحاوي رحمه الله في عقيدته: "وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ" (٣).

فهذا تلخيص لعقيدة المؤمن التي يجب أن يعتقدها في باب الجنة والنار.

من أدلة الإيمان بالنار الاستعاذة بالله منها:

والإيمان بالنار قد دلت عليه نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، والقرآن مليء

(١) كان في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٤١هـ.

(٢) تقدّم في المجلس الخامس والثلاثين.

(٣) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٧٣)

بالتحذير من النار - أعاذنا الله وإياكم منها-، وقد كان نبينا ﷺ يستعيز بالله من النار. ولو تأمل المسلم حال النبي ﷺ في اليوم والليلة سيجد أنه ﷺ كان يكرر الاستعاذة بالله **جَلَّ وَعَلَا** من نار جهنم كثيرا.

استعاذة النبي ﷺ من النار:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» متفق عليه^(١)

وفي حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، [ثَلَاثًا] ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» متفق عليه^(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَعْرَمِ وَالْمَأْتَمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» متفق عليه^(٣)

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ عِدَاةٍ مَرَكَبًا، فَخَسَفَتِ الشَّمْسُ، ... فذكرت الحديث ثم قالت: فَكُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ، يَتَعَوَّذُ مِنْ [عَذَابِ النَّارِ، وَ] عَذَابِ الْقَبْرِ. متفق عليه^(٤)

سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار في الصباح والمساء:

وفي أذكار الصباح والمساء جاءت السنة بالاستعاذة بالله **جَلَّ وَعَلَا** من عذاب النار،

(١) صحيح البخاري (٤٥٢٢) وصحيح مسلم (٢٦٩٠).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٢٣، ٦٥٦٣) وصحيح مسلم (١٠١٦). وما بين قوسين رواية لهما.

(٣) صحيح البخاري (٦٣٦٧، ٦٣٧٥) وصحيح مسلم (٥٨٩).

(٤) صحيح البخاري (١٠٥٠) وصحيح مسلم (٩٠٣) والزيادة منه.

فيستعيد العبد من نار جهنم، ويستعيد من عذاب القبر كل صباح وكل مساء.
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا أَمَسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا
وَأَمَسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا
بَعْدَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ فِي
النَّارِ وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ»^(١)

الاستعاذة بالله من النار قبل النوم:

روي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي كَفَانِي وَأَوَانِي، وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ،
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ اللَّهُمَّ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»
رواه أبو داود، وهو حديث معل.^(٢)

الأمر بالتعوذ بالله من النار:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا التَّيْبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي حَائِطٍ لِبَنِي التَّجَارِ، عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ
مَعَهُ، إِذْ حَدَّثَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرُ سِتَّةَ أَوْ خَمْسَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ

(١) صحيح مسلم (٢٧٢٣)

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٥٨) وصححه ابن حبان (٥٥٣٨) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على شرط
الشيخين. وقال شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٦٤١): هذا حديث صحيح
على شرط البخاري. اهـ قلت: والحديث معل فقد رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٩٦٤) عن أبي معمر
المقري، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنِي حُسَيْنُ الْمُعَلَّمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ عِمْرَانَ، قَالَ:
" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ... فذكره قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخُرَائِطِيُّ: فَقَالَ لَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْعَزْرِيُّ: كُنْتُ حَدَّثْتُ بِهِ مَرَّةً،
فَقُلْتُ ابْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: ذَلِكَ خَطَأٌ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ، وَقَالَ: اجْعَلْهُ ابْنَ عِمْرَانَ. اهـ قال الحافظ في النكت
الظراف (٥/٤٤٤ مع تحفة الأشراف): وابن عمران ما عرفته وهذه علة قاذحة فإن أبا معمر أثبت من
عبد الصمد - راويه عن أبيه عبد الوارث عند أبي داود - اهـ وقال ابن أبي حاتم في العلل (٥/٣٦٧) عن
أبيه حديث أبي معمر أشبهه. قال قلت لأبي: ابن عمران من هو؟ قال: لا أدري. قلت: فابن بُرَيْدَةَ أدرك ابن
عُمَرَ؟ قال: أدركه ولم يبين سماعه منه. اهـ

أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هُوَ لَآءٍ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ. رواه مسلم (١)

تعليم النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها الاستعاذة بالله من النار في دعائها:

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه - وقد تقدم - عن أم كَثُومٍ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: وَفِيهِ «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ...» (٢)

تعليم النبي ﷺ رجلا عاده في مرضه أن يدعو بأن يقيه الله من النار:

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتْ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ. رواه مسلم (٣)

وهذا الدعاء كان من أكثر أدعية النبي ﷺ التي يدعو الله بها - كما تقدم -.

تعليم النبي ﷺ لأصحابه الاستعاذة بالله من جهنم كما يعلمهم السورة من القرآن:

في الموطأ عن مالك، - وهو في صحيح مسلم - عن أبي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، عَنِ طَاوُسِ

(١) صحيح مسلم (٢٨٦٧)

(٢) تقدم (ص: ٤٢٣)

(٣) صحيح مسلم (٢٦٨٨).

الْيَمَانِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ. كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١)

الاستعاذة بالله من النار في كل صلاة:

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نُكثِرَ من سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار، وقد تقدم في المجلس السابق ذكر ما صح في سنن أبي داود عن أبي صالح، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ»، قَالَ: أَتَشْهَدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّي لَا أَحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «حَوْلَهَا نَدْنِدُنُ»^(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» رواه مسلم.^(٣)

الدعاء للميت أن يعيذه الله من النار:

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، يَقُولُ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ

(١) موطأ مالك ت عبد الباقي (٢١٥/١) رقم (٣٣) وصحيح مسلم (٢٦٨٨).

(٢) تقدم (ص: ٤٢٢).

(٣) صحيح مسلم (٥٨٨).

وَأَعَدُّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ -» وفي رواية «وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالَ: «حَتَّى تَمَيَّنْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ» رواه مسلم^(١)

الاستعاذة بالله من النار في الطواف بين الركنين:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٢)

الاستعاذة بالله من النار في السفر في السحر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبِنَا وَأَفْضَلِ عَلَيْنَا، عَائِدًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ» رواه مسلم^(٣).

وفي مصنف عبد الرزاق عَنْ يَزِيدَ الْفَقِيرِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ إِذَا كَانَ عَشِيَّةَ الصُّبْحِ وَهُوَ مُسَافِرٌ قَالَ: قُلْتُ مَرَّاتٍ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ صَاحِبِنَا، وَأَفْضَلِ عَلَيْنَا عَائِدًا بِاللَّهِ مِنْ جَهَنَّمَ» ورواه المحاملي في الدعاء بلفظ: كَانَ إِذَا عَشِيَّةَ الصُّبْحِ، وَهُوَ مُسَافِرٌ، نَادَى: «...، عَائِدٌ بِاللَّهِ» - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -^(٤).

(١) المرجع السابق (٩٦٣)

(٢) سنن أبي داود (١٨٩٢) وصححه ابن خزيمة (٢٧٢١) وابن حبان (٣٨٢٦) والحاكم (١٦٧٣) وحسنه الألباني

(٣) صحيح مسلم (٢٧١٨) واستدركه الحاكم فرواه بلفظ: ...إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ (فَبَدَا لَهُ الْفُجْرُ) قَالَ: «سَمِعَ

سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ (وَنِعْمَتِهِ)، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبِنَا فَأَفْضَلِ عَلَيْنَا عَائِدًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ» يَقُولُ

ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ. قال العلامة الألباني في الصحيحة (٦/٢٨٧): قال الحاكم: صحيح

على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. قلت: إنما هو صحيح فقط، لأن راويه عنده عن ابن وهب (الربيع بن

سليمان) ، وليس من رجال مسلم، وقد زاد زيادتين: إحداهما: " ونعمته " بعد قوله: " بحمد الله ". وهي

عند أبي داود أيضا. والأخرى في آخر الحديث: " يقول ذلك ثلاث مرات، ويرفع بها صوته ". قلت: هما

شاذتان لعدم ورودهما في أكثر الطرق المشار إليها عن ابن وهب... إلخ.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٥/٣٤٣ ط التأصيل الثانية) رقم (٩٥٦٧) والدعاء للمحاملي (٥٥) -ومن طريقه

الذهبي في سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (٦/٣٨٥)، والحافظ في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار

ط ابن كثير (٢/٣٥٢) -.

الصالحون يستجرون بالله من النار:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وُقُوعًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ أُوذِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦٦﴾ [آل عمران]. وقال تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ﴿٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] مَلَائِكَةً [سَيَّارَةً، فَضْلًا] يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ» قَالَ: «فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» [فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ] قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا

مَخَافَةً قَالَ: [قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ] «فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ» [قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا] قَالَ: «يَقُولُ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: [رَبِّ] فِيهِمْ فُلَانٌ [عَبْدٌ خَطَاءٌ] لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِلْحَاجَةِ [إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ]. قَالَ: [فَيَقُولُ: وَلَهُ عَفَرْتُ] هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» متفق عليه^(١)

دخول النار هو الخزي العظيم:

خلق الله عز وجل نار جهنم وتوعد بها أعداءه الكافرين والمتمردين على شرعه والمكذبين لرسله وجعلها الخزي الأكبر والخسران العظيم الذي لا خزي فوقه ولا خسران أعظم منه، يقول ربنا ﷺ في دعاء أوليائه: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [آل عمران]

ويقول ﷺ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة]

ويقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر]. ولهذا قال ربنا ﷺ آية أخرى: ﴿ فَمَنْ زُحِزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فالفوز بالجنة يقابله هذا الخسران العظيم لمن باء بنار جهنم - عيادا بالله من النار -.

الإنذار بالنار والتحذير منها:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَكِيدَةٌ غُلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

(١) صحيح البخاري (٦٤٠٨) واللفظ له، وصحيح مسلم (٢٦٨٩) ومنه الزيادات.

﴿ [التحريم] وقال تعالى: ﴿ وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ﴾ ﴿ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴾ ﴿ [المدثر] قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا أُنذِرَ النَّاسَ بِشَيْءٍ أَذْهَى مِنْهَا، أَوْ بَدَاهِيَّةٍ هِيَ أَذْهَى مِنْهَا^(١).

النبي ﷺ ينذر أمته النار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأُنذِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿ [الشعراء]، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَحَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةَ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحْمًا سَأَبْلُهَا بِبِلَالِهَا» رواه مسلم^(٢)

وفي المسند عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ التُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه يَحْطُبُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْطُبُ يَقُولُ: «أُنذِرْتُكُمْ النَّارَ، أُنذِرْتُكُمْ النَّارَ» حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ، لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ حَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. ^(٣)

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلَاثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكَلِمَةً طَيِّبَةً» ^(٤)

(١) أخرجه الطبري في التفسير ط هجر (٤٤٥ / ٢٣)

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤)

(٣) أخرجه أحمد (٣٠ / ٣٤٨) رقم (١٨٣٩٨) والدارمي (٢٨٥٤) وصححه ابن حبان (٦٤٤) والحاكم (١٠٥٨) وصححه على شرط مسلم ووافقه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٥٩) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٤٠) واللفظ له ومسلم (١٠١٦)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثِي وَمِثْلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَفْتَحْنَ فِيهَا» فَأَنَا آخِذٌ بِمُجْزِكُمْ [عَنِ النَّارِ] هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ». متفق عليه ولمسلم عن جابر نحوه ^(١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنِّي آخِذٌ بِمُجْزِكُمْ، أَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ تَرَكْتُكُمْ، وَ[أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ، وَيُؤْتَى بِأَقْوَامٍ، فَيُؤَخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، فَيَقَالُ: مَا زَالُوا بَعْدَكَ يَرْتَدُّونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ]» ^(٢)

الوعيد لخاصة الخلق بالنار إذا عصوا الله :

قال الله **جَلَّ وَعَلَا** : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفِقَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ ^(٣٩) [الإسراء: ٣٩] وقال سبحانه في حق الملائكة المكرمين: ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤٠) [الأنبياء]

خوف الأنبياء عليهم السلام من النار:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، قَالَ: «فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ كَانَ أَمْرِي بِأَمْرِ فَعَصَيْتُهُ وَأَطَعْتُ الشَّيْطَانَ، نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ فَأَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) ومسلم (٢٢٨٤) والسياق له والزيادات من البخاري إلا الأخيرة فرواية لمسلم. ولمسلم (٢٢٨٥) من حديث جابر رضي الله عنه نحوه.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٧) - وابنه عبد الله في زوائده على المسند - وأبو خيثمة في التاريخ (١٨١) وابن أبي عاصم في السنة (٧٧٣) والبخاري (٥١١٠) والزيادة في أوله للبزار. وفي سننه الليث بن أبي سليم ضعيف مختلط وللحديث طرق وشواهد ولذا حسنه الشيخ الألباني لغيره في السلسلة الصحيحة (٣٠٨٧) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤٤).

فِي النَّارِ فَانْطَلِقُوا إِلَىٰ غَيْرِي» - وذكر في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى مثل ذلك-، كلهم يقول: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَظْرَحَنِي فِي النَّارِ فَانْطَلِقُوا إِلَىٰ غَيْرِي»^(١)

قال الحافظ زين الدين ابن رجب رحمته الله: ولم يزل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون يخافون النار ويخوفون منها. هـ.^(٢)

صفة الخوف الواجب:

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: والقدر الواجب من الخوف، ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أو هما لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل، لم يكن ذلك محموداً، ... والمقصود الأصلي هو طاعة الله عز وجل وفعل مرضيه ومحباته وترك مناهيه ومكروهاته. ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضاً، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف مانعاً من ذلك وقاطعاً عنه فقد انعكس المقصود منه. هـ.^(٣)

خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده:

قال الحافظ زين الدين ابن رجب رحمته الله: خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته، إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده

(١) أخرجه بهذا اللفظ: إسحاق ابن راهويه (١٨٤) وابن أبي الدنيا في الأحوال (١٥٤) والبخاري (٩٨٠١) وابن حبان (٦٤٦٥) وابن منده في «الإيمان» (٨٥١/٢) رقم (٨٨٢) وإسناده صحيح على شرط الشيخين. ورواه مسلم (١٩٤) ولم يسق لفظه بتمامه. وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية ط هجر» (٤١٨/١٩): وهي زيادة غريبة جداً، ليست في الصحيحين، ولا في أحدهما، بل ولا في شيء من بقية السنن، وهي منكرة جداً، فالله أعلم. هـ. وقواه واحتج به الحافظ ابن رجب في «التخويف من النار» (٢٣/ط بشير عيون)

(٢) التخويف من النار والتعريف بمجال دار البوار (ص ٢٤)

(٣) المرجع السابق (ص ٥٢)

الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدها سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن. وقال سفيان بن عيينة: «خُلِقَتِ النَّارُ رَحْمَةً يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ لِيَنْتَهُوا» أخرجه أبو نعيم (١) ا.هـ. (٢)

سعة النار:

خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، وَهِيَ دَارٌ شَاسِعَةٌ وَاسِعَةٌ بَعِيدٌ قَعْرُهَا مِثْرَامِيَّةٌ أَطْرَافُهَا، يَقُولُ اللَّهُ **جَلَّ وَعَلَا** مَبِينًا مَا هِيَ عَلَيْهِ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٥٠﴾﴾ [ق].
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ** قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ**، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً-يَعْنِي صَوْتَ سَقُوطِ شَيْءٍ- فَقَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» (٣).
 وَهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: **بَعِيدٌ قَعْرُهَا**. وَجَاءَ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ حَجْرًا مِثْلَ سَبْعِ خَلْفَاتِ أَلْقِي مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ هَوَى فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا لَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا» (٤).
 وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ**، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (٥) وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (٦)

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٧/ ٢٧٥)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٤١).

(٢) التخويف من النار (ص ٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٤).

(٤) أخرجه هناد بن السري في الزهد (٢٥٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٢) رقم (٣٤١٤٧) وأبو يعلى (٤١٠٣) وابن أبي

الدنيا في صفة النار (١٤) والبيهقي في البعث والنشور (٤٨٤) من حديث يزيد الرقاشي عن أنس **رَضِيَ**.

ويزيد ضعيف. لكن للحديث شواهد يحسن بها فانظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ١٤٦).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) ومنه الزيادة.

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

وفي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ [مِنْ سُخْطِ اللَّهِ] لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا [وفي رواية: مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ] يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ»^(١)

وقال عبد الله بن المبارك: أنا عَنبَسَةُ بِنُ سَعِيدٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَ: «أَجَلٌ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي (إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا، يَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةٌ الْقَيْحِ وَالْدَّمِ)»، قُلْتُ لَهُ: أَنَهَارٌ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ أَوْدِيَةٌ»، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي. حَدَّثَنِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿الزمر: ٦٧﴾ قُلْتُ: فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ»^(٢)

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٤) واللفظ له وابن ماجه (٣٩٧٠) ومنه الزيادة وصححه ابن حبان (٥٧٠٦) والحاكم (٨٧٦٩) والرواية المذكورة له وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وتعقبه الحافظ في إتحاف المهرة (٤٤٧/١٥) فقال: قلت: قد أخرجه بمعناه ا.هيعني الرواية السابقة. قلت: وفي إسناد الحاكم محمد بن إسحاق بن يسار وهو ليس على شرط مسلم. وقد سقط ذكره من بعض الطبقات.

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٨٥/٢) ورواه الترمذي (٣٢٤١) والنسائي في السنن الكبرى (١١٣٨٩) وأحمد (٢٤٨٥٦) وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٨٣/٨) والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣٦٣٠) - ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور الشوامي (١١٥٤) - من طرق عن ابن المبارك به. واختصر الترمذي أوله. وروى النسائي المرفوع فقط. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال أبو نعيم: غريب من حديث مجاهد تفرد به حبيب عن حمزة (كذا وصوابه: تفرد به حبيب بن أبي عمرة) وهو كوفي ثقة عزيز الحديث ا.هوصححه الالباني في الصحيحة (٥٦١) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١/٤٦٤) وقال: هذا حديث صحيح، وآخره في "الصحيح" ا.هقلت: يعني حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رواه مسلم (٢٧٩١) عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «عَلَى الصَّرَاطِ». والحديث رواه الحاكم (٢٩٩٩) أيضا من طريق هارون بن المغيرة، ثنا عنبسة، به وفيه أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ..فَقَالَ: يَقُولُ: «أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا أَنَا، وَيُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ» قَالَ: فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْبَرُهُ حَتَّى قُلْنَا لِيَخْرُنَّ ا.هوصححه الحاكم. وانظر: وصحيح الترغيب والترهيب (٣٦٨٤).

يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام:

تأملوا هذا الموقف الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ حين يؤتى بجهنم يوم القيامة. ففي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري: «ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ»^(١) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا» وجاء أيضاً مرفوعاً عن النبي ﷺ^(٢).

فتأمل كثرة عدد الملائكة الذين يأتون بالنار يوم القيامة! قال الله **جَلَّ وَعَلَا**:
﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي **﴿ ٤٤ ﴾** [الفجر]

انظر كيف يؤتى بجهنم؟ يؤتى بها ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملكٍ يجرونها! فلك أن تتأمل عِظَمَ هذا الخلق الرهيب الذي جعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** معه سبعين ألف ملكٍ لكل زمام! فهذا يدل على عظمتها، نسأل الله السلامة والعافية.

يؤتى بجهنم بغتة:

يؤتى بالنار يوم القيامة بغتةً، فتفجأ أعداء الله، وتفجأ المجرمين. كما يقول الله **تَعَالَى**:
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ **﴿ ٢٨ ﴾** لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ **﴿ ٣١ ﴾** بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَبِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ **﴿ ٤١ ﴾** [الأنبياء]

قوله تعالى: **﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ﴾** أي: تأتيهم فجأة فتحيرهم؛ لأنهم إن أرادوا الصبر عليها لم يقدرُوا، وإن أرادوا ردها **﴿ فَلَا يَسْتَبِيعُونَ رَدَّهَا ﴾** بسبب من الأسباب، **﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾** لا يُمهَلون؛ ليستريحوا طرفة عينٍ لتمام مدة الإنظار قبله، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ :

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا** : ﴿ وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء] هذا من المواقف العظيمة يوم القيامة، يقول الحافظ ابن كثير: "أي أظهرت وكشف عنها، وبدت منها عنق، فزرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر"^(١)

ويقول الله جل: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [الكهف] أي: رأوا جهنم المحيطة بأنواع الهلاك: ﴿ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ أي: أيقنوا بأنهم واقعون فيها. والظن هنا بمعنى اليقين أي: تيقنوا حينئذ أنهم داخلون فيها، قال الله: ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا** لنبية: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام] أي: اطلعوا عليها، فعاينوها ورأوها، وتبينوها، فأيقنوا بما هم عليه من الهلاك حينما يمرون على الصراط والصراط منصوب على متن جنهم، فتأتي الندامة حينئذ: ﴿ يَلَيْتَنَا نُرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ [الفجر: ٢٣] يعني: من أي وجه له التذکر؟! ﴿ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤] يتمنى أن يكون قد قدم شيئاً لحياته، سماها حياة؛ لأنها هي الحياة الحقيقية، إذ إن الحياة الحقيقية هي الحياة يوم القيامة، لكنه لم يقدم لها شيئاً، ففوجئ بهذه النار، نسأل الله السلامة والعافية.

عَرَضُ النَّارِ:

تُعْرَضُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ كَمَا قَالَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبَتْكُمْ طَبَقَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠]

(١) تفسير ابن كثير (٦/١٤٩، ١٥٠).

ويقول **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأحقاف: ٣٤] يُسْأَلُونَ تَبْكِيَّتًا، وَرَدْعًا، وَتَعْذِيْبًا لَهُمْ: ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٠]. ويقول سبحانه: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ [الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِظَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا] ﴿ [الكهف: ١٧].

ويقول **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَبِئْسَ مَا بَعْدَهُ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ ﴾ [٤٤] وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا حَشَعِيَّتٍ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقْبِرٍ ﴾ [الشورى: ٤٥].

من سُنِّجِحِيهِمْ فِي ذَلِكَ الْحِينِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ؟! فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَأَنْتَ تَقْرَأُ أَوْ تَسْمَعُ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَدْلَةَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيْحَةِ عَلَيْكَ أَنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ **جَلَّ وَعَلَا**. وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا مَخْرَجَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَأَحْزَانِهَا وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَلْقَى اللَّهَ ﷻ تَائِبًا، وَأَنْ يَلْقَى اللَّهَ ﷻ وَهُوَ عَلَىٰ عَمَلٍ صَالِحٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ **جَلَّ وَعَلَا**. وَاللَّهُ ﷻ سَمِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَوْمِ التَّغَابُنِ، الْيَوْمَ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ الْغَيْبُ لِكُلِّ مَنْ فَرَطَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ **جَلَّ وَعَلَا**.

فَكَأكَ الْمُسْلِمُ مِنَ النَّارِ:

وَمِنْ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي مُوسَى **رَضِيَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَأُكَ مِنَ النَّارِ»^(١)

قَالَ النَّوَوِيُّ **رَضِيَ**: وَمَعْنَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ** «لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ» لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِكَفْرِهِ وَمَعْنَىٰ «فِكَأُكَ مِنَ النَّارِ» أَنْكَ كُنْتَ مُعْرَضًا لِدُخُولِ النَّارِ وَهَذَا فِكَأُكَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٦٧).

لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهَا عَدَدًا يَمْلُؤُهَا فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّارُ بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى الْفَكَاحِ لِلْمُسْلِمِينَ اهـ^(١)

والحديث المشار إليه رواه ابن ماجه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿المؤمنون﴾^(٢).

وقال البيهقي رحمته الله: وَيُشْبِهُهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ تَفْسِيرًا لِحَدِيثِ الْفِدَاءِ، وَالْكَافِرُ إِذَا أُورِثَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْمُؤْمِنُ إِذَا أُورِثَ عَلَى الْكَافِرِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ يَصِيرُ فِي التَّقْدِيرِ كَأَنَّهُ فُدِيَ الْمُؤْمِنُ بِالْكَافِرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^(٣)

فاتقوا النار ولو بشق تمرة:

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلَّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» وفي رواية: «وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(٤). دلّ هذا الحديث على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يكون المؤمن في الدنيا مجتهدًا في أن يعمل العمل الذي يقيه يوم القيامة من عذاب الله تعالى.

بعث النار:

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم «يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/٨٥)

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٤١) وصححه شيخنا الوداعي على شرط الشيخين في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٢٠).

(٣) شعب الإيمان (١/٥٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٢) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وهذا عددٌ عظيمٌ، قال العلماء «بُعْثُ النَّارِ» أي: المبعوث الموجه إليها، فيأمر الله آدم ويقول له: ميِّزْ أهل النار من غيرهم، ويقول له من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. يقول **عليه الصلاة والسلام**: «فَذَلِكَ حِينَ يَثِيبُ الصَّغِيرُ ﴿١﴾ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾» [الحج] فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟. إذا كان من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين وينجو واحد فمن هو ذلك الواحد؟- فَقَالَ **صلى الله عليه وسلم**: «أَبْشُرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا سَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»^(١).

وهذا يدل على فضل هذه الأمة المباركة. بل صح عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصْبِيِّ **رضي الله عنه** أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ، مِنْهُمْ ثَمَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» وفي رواية: «أَنْتُمْ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا» رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد^(٢). فدل ذلك على أن ثلثي أهل الجنة من أمة محمد **صلى الله عليه وسلم**.

إن جهنم كانت مرصداً:

يقول ربنا **صلى الله عليه وسلم** في شأن النار يوم القيامة: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَاءً بَارِدًا ﴿١٢﴾ لِيُثْبِتِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾﴾ [النبا] ﴿مِرْصَادًا﴾ أي: مرصدة يرصد فيها خزنتها من كان يكذب بها وبالمعاد يوم القيامة.

يعرف المجرمون بسيماهم:

ويقول **جل وعلا** في شأن اختطاف الكفار والمجرمين: ﴿يُعَرَّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن] فهم إذا جاؤوا يوم القيامة يُعرَفون بما عليهم من

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٠) واللفظ له، ومسلم (٢٢٢).

(٢) تقدم تخريجه في مبحث "هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة". (ص: ١٧)

الكآبة والذلة والحزن وبسواد الوجوه وبزرقة العيون ﴿ فَيُوْخَذُ بِالتَّوَصَّى وَالْأَقْدَامِ ٤١ ﴾

[الرحمن: ٤١] تأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم، فتسحبهم إلى نار جهنم سحباً،

يقول الله تعالى: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ٤٢ ﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

حَمِيمٍ ءانِ ٤٣ ﴾ [الرحمن]. قال الحافظ ابن كثير: أي: تارة يُعَدَّبُونَ في الجحيم، وتارة

يُسْقَوْنَ مِنَ الحَمِيمِ، وَهُوَ الشَّرَابُ الَّذِي هُوَ كَالثُّحَابِ المُدَابِ، يُقَطَّعُ الأَمْعَاءَ وَالْأَحْشَاءَ،

... وَقَوْلُهُ: ﴿ ءانِ ﴾ أي: حارٌّ وَقَدْ بَلَغَ العَايَةَ في الحُرارة، لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ اهـ (١)

ويقول **عنه**: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ٥٥ ﴾ ناصية كذبة خاطئة ﴿ فليدع ناديه،

﴿ سَنَدَعُ الزَّبَانِيَةَ ٥٨ ﴾ [العلق] أي: زبانية جهنم وهم الملائكة الذين وكلوا بالعذاب.

صبغة في النار:

ومن المواقف التي أخبر عنها النبي **ﷺ** ما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك

رضي أن النبي **ﷺ** قال: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ

صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ

يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ

لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ

بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» (٢)

فتأمل يا أخي المسلم كيف هي الدنيا وأنها فانية لا تساوي عند الله شيئاً؛ فهذا «أَنعَمِ

أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»؛ كم كان عنده من النعيم، كان عنده شيء لا يوصف ولا

يكاد يحصيه الإنسان في مجلس؛ لا يكاد ينقصه شيء من نعيم الدنيا ولكنه من أهل

النار. «يُؤْتَى بِهِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ

بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ» فالعذاب فيها عظيم وشديد أنساه كل نعيم. وقد

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/٥٠٠)

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

جاء في الحديث أيضا عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ»^(١).
نسأل الله السلامة والعافية.

الناردركات:

والنار دركاتٌ كما أن الجنة درجاتٌ، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. والدَّرَك: المنزلة، وهي منازل أهل النار وقبيل: درجة في النار، وقبيل: أسفل النار.^(٢) قال ابن قتيبة رحمته الله: «فإن النار دركات، والجنة درجات، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات، فمن أهل النار من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه غسلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد» اهـ.^(٣) وقال القرطبي رحمته الله: «فالنار دركات سبعة أي طبقات ومنازل، وإنما قال: أدراك ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل درك، ولما تعالی درج، فيقول للجنة درج وللنار درك اهـ»^(٤).

ويجوز تسمية الكل درجات كما في قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢، الأحقاف: ١٩] أي ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، ومن أجل ما عملوا منهما. قال بعض المفسرين: يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب، لاشتمال كل على الفريقين اهـ.^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥) كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: جمهرة اللغة (٢/ ٦٣٧) لابن دريد، وإعراب القراءات السبع وعللها ط العلمية (ص ٨٧) ومقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٦٩).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص ٤٨).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٨٣٨).

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٠٤).

وقال زين الدين الرازي (ت: ٦٦٦) رحمه الله: الدرجات تستعمل في الفريقين ... وتحقيقه أن بعض أهل النار أخف عذاباً فمكانه فيها أعلى. وبعضهم أشد عذاباً فمكانه فيها أقل ولو سلم اختصاص الدرجات بأهل الجنة لقوله: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] فيكون راجعاً إليهم خاصة بتقديره. ﴿ أَقْمِنِ أَتَّبِعِ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾، وهم درجات عند الله ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ وهم دركات؟ إلا أنه حذف البعض لدلالة المذكور عليه اهـ^(١)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: والدرجات إذا جاءت عامة دخل فيها المؤمن وغير المؤمن كما قال: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٣٢، الأحقاف: ١٩]، أما إذا حُصت بأهل النار فإنه يقال: دركات كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] اهـ^(٢)

أبواب جهنم:

وللنار أبواب كما قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿ [الحجر].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: « [إِنَّ] أَبْوَابَ جَهَنَّمَ [هَكَذَا، وَوَضَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ] سَبْعَةٌ [أَبْوَابِ]، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَمْتَلِئُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ، ثُمَّ الرَّابِعُ، ثُمَّ السَّابِعُ] ثُمَّ تَمْتَلِئُ كُلُّهَا »^(٣)

وفي رواية: «... يَبْدَأُ بِالْأَسْفَلِ فَيَمْلَأُ فَهُوَ أَسْفَلُ سَافِلِينَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ حَتَّى يَمْلَأَ النَّارَ »^(٤)

(١) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص ٥٤)

(٢) تفسير العثيمين: آل عمران (٣٩٩/٢)

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٧٤/١٤) واللفظ له وهناد في الزهد (٢٤٧) وله الزيادات، وابن أبي شيبة (٤٩/٧)

وابن أبي الدنيا في صفة النار (٧) بمعناه مختصراً.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٤١٢٦)

أبواب جهنم مغلقة :

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا** : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد] أي: مغلقة الأبواب. قال ابن رجب **رحمته الله**: وهذا الإطباق نوعان: أحدهما: خاص لمن يدخل في النار، أو من يريد الله التضيق عليه، أجازنا الله من ذلك... والثاني: الإطباق العام، وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها. اهـ. (١)

وروى ابن أبي شيبة عن أبي الزعرار، عن عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه**، أنه قال: - في حديث طويل- « أهل النار إذا قالوا: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون] قال: فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿ قَالَ أَحْسَبُ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ ﴾ [المؤمنون]، قَالَ «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ أُطِيقَتْ عَلَيْهِمْ فَلَا يُخْرَجُ مِنْهُمْ بَشَرٌ» (٢)

سرادق جهنم:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿٢٩﴾ [الكهف]

قال الحافظ ابن رجب **رحمته الله**: قال الزجاج: السرادق: كل ما أحاط بشيء... وإحاطة السرادق بهم قريب من المعنى المذكور في غلق الأبواب، وهو شبه قول من قال: إنه حائط لا باب له. ولما كان إحاطة السرادق بهم موجبا لهمهم وغمهم، وكرهم وعطشهم، لشدة وهج النار عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿٣١﴾ [الكهف] وقال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ ﴿٣٣﴾ [الحج] اهـ. (٣)

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص ٨٤)

(٢) المصنف (٥١٢/٧) ورواه حنبل بن إسحاق في الفتن (٤٤) وابن أبي حاتم - كما في «تفسير ابن كثير» (٥/٤٩٩-)، والطبراني في الكبير (٣٥٤/٩) رقم (٩٧٦١) والحاكم في المستدرک (٣٨٧٤، ٨٥١٩) وعنه البيهقي في البعث (٥٩٨) - وصححه الحاكم على شرط الشيخين وفيه نظر: فإن أبا الزعرار واسمه عبد الله بن هاني لم يخرج له، وقد وثقه ابن سعد وابن حبان والعجلي ولم يرو عنه غير ابن أخته سلمة بن كهيل.

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٨٧)

ظلمة النار وشدة سوادها :

روى الإمام مالك بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أُتِرُونَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ، لَيْهِ أَسْوَدٌ مِنَ الْقَارِ وَالْقَارُ الرَّفْتُ»^(١) وله حكم الرفع كما قال ابن عبد البر^(٢).

وفي سنن الترمذي (٢٥٩١) عن أبي هريرة، -مرفوعاً وموقوفاً- قال: «أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فِيهَا سَوْدَاءٌ مُظْلِمَةٌ» وإسناده ضعيف^(٣).

وروى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن أبي ظبيان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «النَّارُ سَوْدَاءٌ مُظْلِمَةٌ، لَا يُضِيءُ جَمْرُهَا، وَلَا يُضِيءُ هَبُّهَا»^(٤)؛ ثم قرأ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٥) [الحج: ٢٢].

(١) مالك ت عبد الباقي (٩٩٤ / ٢) رقم (٢)

(٢) الاستذكار (٥٩٣ / ٨)

(٣) سنن الترمذي (٢٥٩١) وفي إسناده موقوفاً ومرفوعاً شريك بن عبد الله النخعي وهو ضعيف. وانظر: السلسلة الضعيفة (١٣٠٥).

(٤) في رواية ابن أبي شيبة وهناد «وَلَا يُطْفَأُ لَهَبُهَا»

(٥) سنن سعيد بن منصور - تكملة التفسير ٦ - ٨ ط الألوكة (١٤٧٣) ومصنف ابن أبي شيبة ط القبلة (٤٨٢ / ١٨) رقم (٣٥٢٥٧) ورواه ابن المبارك في الزهد (٨٨ / ٢)، وهناد في الزهد (٢٤٨) وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٩) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣٤٥٩) والبيهقي في البعث والنشور ت حيدر (٥٧٥) وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين. وفيه نظر: فإن أبا ظبيان راويه عن سلمان ليس له رواية في الصحيحين عن سلمان. وقد اختلف في سماعه من سلمان، وأثبت البخاري في التاريخ سماعه من سلمان وعلي. انظر: التاريخ الكبير (٣ / ٣ ت المعلي). وقال الترمذي في سننه (٧٢٣ / ٥): سمعت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - يقول: أبو ظبيان لم يدرك سلمان، مات سلمان قبل علي. اهـ وسئل الدارقطني ألقى أبو ظبيان عمر وعليا؟ قال: نعم. اهـ وفي جامع التحصيل (ص: ١٦٦): قال أحمد بن حنبل كان شعبة ينكر أن يكون أبو ظبيان سمع من سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه وقال أبو حاتم قد أدرك ابن مسعود ولا أظنه سمع منه والذي يثبت له ابن عباس وجريير بن عبد الله ولا تبين لي سماعه من علي رضي الله عنه. اهـ وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤ / ٣٦٣): يروي عن: عمر، وعلي، وحذيفة، والظاهر أن ذلك ليس بمتصل. اهـ

شدة حر النار:

وأخبر الله **جَلَّ وَعَلَا** عن شدة حرّها وعِظَم دُخَانِهَا وشرارِهَا، فقال سبحانه: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ۖ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۖ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۖ﴾ [الواقعة]. وقال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ نَارٌ حَامِيَةٌ ۖ﴾ [القارعة]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة **رضي الله عنه**، أن النبي **صلى الله عليه وسلم**، قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قالوا: وَاللَّهِ إِنَّ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَلَّتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»^(١) ورواه الإمام أحمد وزاد: «...وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفَعَةً لِأَحَدٍ» وسنده صحيح^(٢) وعن عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه** قال: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ ضُرِبَ بِهَا الْبَحْرُ مَرَّتَيْنِ فَفَتَّرَتْ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا انْتَفَعْتُمْ بِهَا، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»^(٣)

شدة زمهرير النار:

عن أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ» ثم قال: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ»^(٤). فهذا الذي نجده في الدنيا من البرد الشديد ومن الحر الشديد هو من زفرة جهنم، -نسأل الله السلامة والعافية-.

وروى الطبري عن عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه**، قال في الزمهرير:

(١) صحيح البخاري (٣٢٦٥) وصحيح مسلم (٤/٢١٨٤) واللفظ له.

(٢) مسند أحمد (٢٨٠/١٢) رقم (٧٣٢٧) ورواه الحميدي (١١٦٣) وصححه ابن حبان (٧٤٦٣) وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٤٧١/٣)

(٣) أخرجه هناد في الزهد (٢٣٥) والطبري في تفسيره ط هجر (٦٥١/١٩) والبيهقي في البعث والنشور (٤٩٩)

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (٦١٧).

«إِنَّهُ لَوْنٌ مِنَ الْعَذَابِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿لَا يَذُفُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: ٤١]»^(١)

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: لا يحدون في جهنم بردًا لقلوبهم، ولا شرابًا طيبًا يتعدون به. ولهذا قال: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ [النبا: ٢٥] قال أبو العالِيَة: استثنى من البرد الحميم ومن الشراب العساق. وكذا قال الربيع بن أنس. فأما الحميم: فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه. والعساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده، ولا يواجه من نتنه اهـ.^(٢)

سجر جهنم وتسعيرها:

وروى البخاري عن سمرّة بن جندب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا» قال: فيقضى عليه من شاء الله أن يقضى، وإنه قال ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعاني، وإنهما قالاً لي انطلق، وإني انطلقت معهما،... فذكر الحديث في الرؤيا- ثم قال: «فانطلقنا، فأتينا على رجل كرية المرأة، كأكره ما أنت راء رجلاً امرأة، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها، قال: قلت لهما: ما هذا؟ فقالا لي: انطلق انطلق،...» وفي آخر الحديث: «قال فقالا لي: وأما الرجل الكرية المرأة، الذي عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم...»^(٣). ورواه ابن عساكر من طريق الدارقطني بسنده عن أبي خلدة خالد بن دينار عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن جندب وقال فيه: «... قال فمضيت ساعة، فإذا أنا بشجرة لو اجتمع تحتها الخلق لأظلتهم، وتحتها رجلان، واحد يجمع حطبًا، والآخر يوقد، قلت: سبحان الله! ما هذا؟! فقال: أرقب ساعة،... ثم قال: قلت: فالرجلان اللذان كانا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ط هجر (٢٣/٥٥٢) ورواه يحيى بن معين في الجزء الثاني من حديثه رواية أبي

بكر المروزي (١٢٤)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/٣٠٧)

(٣) صحيح البخاري (٧٠٤٧)

يُوقَدَانِ النَّارَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: ذَلِكَ مَلَكَا جَهَنَّمَ يُحْمُونَ جَهَنَّمَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...» الحديث^(١)

سجر جهنم نصف النهار:

تسجر جهنم كل يوم نصف النهار. كما في حديث عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه: قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلَّى فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمُحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ،...» الحديث رواه مسلم^(٢)

سجر جهنم بسبب الذنوب:

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: ... إنما سعت - جهنم - بخطايا بني آدم التي تقتضي غضب الله عليهم، فتزداد جهنم حينئذ تلهباً وتسعراً. هذا، وكما أن بناء دور الجنة وغرس الأشجار، يحصل بأعمال بني آدم الصالحة من الذكر وغيره، وكذلك حسن ما فيها من الزوجات وغيرهن، يتزايد بتحسين الأعمال الصالحة، فكذلك جهنم، تسعر وتزداد آلات العذاب فيها، بكثرة ذنوب بني آدم وخطاياهم وغضب الرب تعالى عليهم، نعوذ بالله من غضب الله، ومن النار، وما قرب إليها من قول وعمل، بمنه وكرمه اهـ.^(٣)

سجر جهنم بعد دخول أهلها:

قال الله تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء]. قال علي بن أبي طلحة عن ابنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قَالَ: سَكَنْتْ. وقال ابن

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤/٢٧) وعزاه السيوطي في جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» (٢٠/٣٧٤) للدارقطني في الأفراد. قلت: وسنده قوي.

(٢) صحيح مسلم (٨٣٢)

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص ١٠٢)

عباس ومجاهد: كُلَّمَا أَحْرَقْتَهُمْ تُسَعَّرُ بِهِمْ حَطَبًا، فَإِذَا أَحْرَقْتَهُمْ فَلَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ شَيْئًا صَارَتْ جَمْرًا تَتَوَهَّجُ، فَذَلِكَ خَبْوَهَا، فَإِذَا بُدِّلُوا خَلْقًا جَدِيدًا عَاوَدَتْهُمْ. (١)

وقال ابن المبارك: أَخْبَرَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي شُرَيْحُ بْنُ عَبِيدِ الْحَضْرِيِّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِكَعْبٍ: خَوْفُنَا يَا كَعْبُ، فَقَالَ: [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ مِنْ أُمَّةٍ مَرْحُومَةٍ] ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ: [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ لَيْسَ فِيكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَحُكْمُ رَسُولِهِ؟ قَالَ: بَلَى، ثُمَّ قَالَ: خَوْفُنَا يَا كَعْبُ، قَالَ فَقُلْتُ] وَاللَّهِ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً قِيَامًا مُنْذُ خَلَقَهُمُ اللَّهُ، مَا نُنْوَ أَصْلَابَهُمْ، وَآخِرِينَ رُكُوعًا، مَا رَفَعُوا أَصْلَابَهُمْ، وَآخِرِينَ سُجُودًا، مَا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ التَّفْخَةُ الْآخِرَةَ، فَيَقُولُونَ جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، مَا عَبَدْنَاكَ كَكُنْهَ مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُعْبَدَ، ثُمَّ قَالَ: " وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِرَجُلٍ يَوْمَئِذٍ كَعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيًّا، لَأَسْتَقَلَّ عَمَلُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا يَرَى يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهِ لَوْ دُلِّيَ مِنْ غَسَلِينَ دَلْوٌ وَاحِدٌ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ، لَعَلَّتْ مِنْهُ جَمَاحُ قَوْمٍ فِي مَغْرِبِهَا، وَاللَّهِ لَتَرْفُرَنَّ جَهَنَّمُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى مَلِكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا غَيْرُهُ إِلَّا خَرَّ جَائِعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، وَحَتَّى نَبِيَّتَا وَإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، يَقُولُ -أي إبراهيم-: رَبِّ أَنَا خَلِيلُكَ إِبْرَاهِيمَ، [قَالَ: فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا، قَالَ: قُلْتُ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْلَسْتُمْ تَحْدُونَ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟» قَالَ: قَالَ عُمَرُ: كَيْفَ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل]، قَالَ: فَسَكَتَ عُمَرُ] [وفي رواية: فَبَكَى عُمَرُ فَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ]، وَقَالَ: فَأَبْكَى الْقَوْمَ حَتَّى نَشَجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ، قَالَ: يَا كَعْبُ، بَشِّرْنَا، فَقَالَ: أَبْشِرُوا، [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا يَزَالُ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ بِرَحْمَتِهِ وَصَفْحِهِ وَحِلْمِهِ حَتَّى لَوْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ طَاغُوتًا لَطَنَنْتَ أَتَكَ سَتَنْجُو، إِنَّ إِبْلِيسَ يَوْمَئِذٍ لَيَتَطَاوَلُ طَمَعًا مِمَّا يَرَى مِنَ الرَّحْمَةِ]، فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى ثَلَاثِمِائَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ شَرِيعَةً، لَا يَأْتِي أَحَدٌ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَعَ كَلِمَةٍ

الإخلاص إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته، والله لو تعلمون كل رحمة الله تعالى لأبظأتم في العمل، والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا في ليلة ظلماء مُغْدِرَةٍ، لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضيء القمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض، والله لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نُشِرَ اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم. (١)

وعن عبد الرحمن بن حاطب قال: جلسنا إلى كعب الأحمدي في المسجد وهو يحدث، فجاء عمر رضي الله عنه فجلس في ناحية القوم فناده فقال: «ويحك يا كعب خوفنا» فقال: والذي نفسي بيده، إن النار لتقرب يوم القيامة لها زفير وشهيق حتى إذا أذيت وقربت زفرت زفرة ما خلق الله من نبي ولا صديق ولا شهيد إلا وجنا لركبتيه ساقطاً، حتى يقول كل نبي وكل صديق وكل شهيد: اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً لظننت أن لا تنجو، قال عمر: «والله إن الأمر لشديد» (٢)

الظل في النار:

وأما ظلها فإن الله **جَلَّ وَعَلَا** يقول: ﴿وِظِلِّ مِّن يَّحْمُورٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا

كَرِيمٍ ۗ﴾ [الواقعة] وهذا الظل هو دخان النار. قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما (٣)

(١) الزهد والرفائق لابن المبارك (٢٢٥) - ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٦٨) - وشريح قال المزي: لم يدرك كعباً. لكن له شواهد تدل على أن له أصلاً. فقد رواه عفان بن مسلم في حديثه (٢٤) وعبد الرزاق في تفسيره (١٥٢٥) والإمام أحمد في الزهد (٦٤١) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٦٨، ٣٩٠) من طريق جعفر بن سليمان، عن علي بن زيد، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن كعب قال: كنت عند عمر فقال لي: يا كعب خوفنا... فذكر نحوه. ومنه الزيادة الثانية والثالثة. ورواه أبو نعيم أيضاً من طريق سعيد بن أبي هلال، أن عمر قال لكعب: خوفنا، فذكر نحوه. ومنه الزيادة الأولى والرابعة والخامسة. وتقدم بعضه في حديث مسروق عن ابن مسعود في مبحث آخر أهل الجنة دخولا الجنة. وانظر ما بعده.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٩) رقم (٣٤١٢٨) - ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٧١) - وهشام بن عمار في حديثه (١٢٨)، وإسناده حسن.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٣٧)

والظل يُشعر عادةً بالنداوة والبرودة، وتجبه النفوس لكنه في نار جهنم نوع آخر من العذاب. كما قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ أَنْظِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أَنْظِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُعْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات].

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه، في قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴾ [المرسلات] قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ مِثْلَ الشَّجَرِ وَالْحَبْلِ، وَلَكِنَّهَا مِثْلُ الْمَدَائِنِ وَالْحُصُونِ»^(١)

وقوله: ﴿ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴾ أي: كالأيل السود. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك. واختاره ابن جرير.^(٢)

والآيات تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لضخامته ينقسم إلى أقسام وهو يلقي ظلالاً، ولكنها غير ظليلة ولا تقي من اللهب المشتعل.
- نسأل الله أن يحمينا وإياكم من نار جهنم-

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا** عن النار يوم القيامة: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان]. قال الحافظ ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ ﴾ أي: جَهَنَّمُ ﴿ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ يَعْنِي: فِي مَقَامِ الْمَحْشَرِ. قَالَ السُّدِّيُّ: مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ أي: حَنَقًا عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا

(١) المعجم الأوسط (٩١٢) ورواه سعيد بن منصور في سننه - تكملة التفسير ٦ - ٨ ط الألوكة (٢٣٧٦) ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور والشواحي (١١٠١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ١٣٢) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حديث بن معاوية وهو ضعيف، وقال أبو حاتم: محله الصدق يكتب حديثه، وبقية رجاله ثقات. اهـ وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٣٥). وأخرجه ابن أبي الدنيا في "صفة النار" (١٧٣) بسند ضعيف عن علقمة قوله، ولم يذكر ابن مسعود.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢٩٩/٨)

وَهِيَ تَفُورُ ۖ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْأَعْيَظِ ۖ [الملك: ٧-٨] أَي: يَكَادُ يَنْفَصِلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ؛ مِنْ شِدَّةِ عَيْظِهَا عَلَى مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اهـ. (١)

من أودية جهنم:

وروى عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وعن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۗ ﴾ [مريم]، قَالَ: «نَهْرٌ فِي جَهَنَّمَ - وَفِي رِوَايَةٍ - وَادٍ فِي جَهَنَّمَ بَعِيدُ الْقَعْرِ مُنْتِنُ الرِّيحِ» (٢)

سجن في جهنم:

وفي جامع الترمذي والمسند عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ» (٣)

السلاسل والأغلال والأتكال:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۗ ﴾ [الإنسان]
وقال تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر]

(١) تفسير ابن كثير سلامة (٩٦/٦)

(٢) مداره على أبي إسحاق، فروي هكذا عن البراء. ورواه سفيان الثوري وقيس بن الربيع وأبو الأحوص وشعبة عنه عن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود وهو الصواب ورواه المسيب بن رافع، عن أبي عبيدة، به. وروى عن أبي عبيدة عن عائشة والراجح رواية الجماعة عن أبي عبيدة عن أبيه. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. ولذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥٥/٧) رواه الطبراني بأسانيد، ورجال بعضها ثقات، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. وقال المنذري كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٤٤٠/٢): رواه الطبراني والبيهقي من رواية أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود، ولم يسمع منه. ورواه بعض طرقه ثقات. وقال: وإسناد هذا جيد لولا الانقطاع. وقال الألباني: ضعيف موقوف.

(٣) تقدم (ص: ١٢٧). وقال المنذري: (بُولَسُ) بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة. و (الْحَبَالُ) بفتح الحاء المعجمة والباء الموحدة اهـ.

وقال تعالى: ﴿ تَرُّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة]

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: فهذه ثلاثة أنواع: أحدها: الأغلال: وهي في الأعناق، كما ذكر سبحانه... النوع الثاني: الأنكال: وهي القيود، ... النوع الثالث: السلاسل ا.هـ^(١) وفي سنن الترمذي عَنْ أَبِي السَّمْحِ، عَنْ عَيْسَى بْنِ هِلَالٍ الصَّدِيقِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمُجْمَةِ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا» [وتلا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (٧١) ﴿ غَافِرًا [الآيَاتِ].] ^(٢)

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ١٢٥)

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٢٥٨٨) وقال هذا حديث إسناده حسن ا.هـ وهو كما قال. ورواه الإمام أحمد (١١/٤٤٣) (٦٨٥٦)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣٦٤٠) وصححه. والزيادة منه. وقال المباركفوري في التحفة: قوله «لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً» بفتح الراء والصادين المهملتين أي قطعة من الرصاص ... «مِثْلَ هَذِهِ» إشارة إلى محسوسة معينة هناك كما أشار إليه الراوي بقوله «وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمُجْمَةِ» قال القارئ: بضم الجيمين... وهي قرح صغير... وقيل هي عظم الرأس المشتمل على الدماغ وقيل الأول أصح انتهى والجملة حالية لبيان الحجم والتدوير المعين على سرعة الحركة. قال التوريشتي: بين مدى قعر جهنم بأبلغ ما يمكن من البيان فإن الرصاص من الجواهر الرزينة والجوهر كلما كان أتم رزانة كان أسرع هبوطا إلى مستقره لا سيما إذا انضم إلى رزاقته كبر جرمه ثم قدره على الشكل الدوري فإنه أقوى انحدارا وأبلغ مرورا في الجوانت... «وَهِيَ» أي مسافة ما بينهما «وَلَوْ أَنَّهَا» أي الرصاص «أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ» أي المذكورة في قوله تعالى ﴿ تَرُّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ فالمراد من السبعين الكثرة أو المراد بذرعها ذراع الجبار «لَسَارَتْ» أي لنزلت وصارت مدة ما سارت «أَرْبَعِينَ خَرِيفًا» أي سنة «اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» أي منهما جميعا لا يختص سيرها بأحدهما «قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ» أي الرصاص «أَصْلَهَا» أي أصل السلسلة «أَوْ قَعْرَهَا» شك من الراوي. قال القارئ: والمراد بقعرها نهايتها وهي معنى أصلها حقيقة أو مجازا فالترديد إنما هو في اللفظ المسموع ا.هـ

الكفار وقود النار:

وقد جعل الله **عَرَجَل** الكفار وقودًا للنار كما قال **جَل وَعَلَا**: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] أي: تُوقَد بالكفار من الناس ومن الإنس والجن. قال ابن مسعود **رضي**: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾: «حجارة من كبريت يجعلها الله **عَرَجَل** عنده كيف شاء، وكما شاء»^(١). وفي رواية: قال: «هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين»^(٢) وقال الحافظ ابن كثير: والمراد بالحجارة هاهنا: هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة، وهي أشد الأحجار حرًا إذا حميت، أجارنا الله منها. هـ.^(٣) وقال الحافظ ابن رجب **رحمته**:

وأكثر المفسرين، على أن المراد بالحجارة، حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب، ليس في غيرها من الحجارة:

- ✓ سرعة الإيقاد،
- ✓ وبتن الرائحة،
- ✓ وكثرة الدخان،
- ✓ وشدة الالتصاق بالأبدان،
- ✓ وقوة حرها إذا أحميت. هـ.^(٤)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٢٣١) والطبراني في المعجم الكبير (٢١٠/٩) رقم (٩٠٢٦) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣٠٣٤، ٣٨٢٧) وعنه البيهقي في البعث (٥٠٣) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. قلت: هو صحيح فقط وليس على شرطهما.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير الطبري ط هجر (٤٠٣/١) وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٧٦/٣)

(٣) تفسير ابن كثير سلامة (٢٠١/١)

(٤) التخويف من النار والتعريف بمجال دار البوار (ص: ١٣٦)

يقرن الكفار بشياطينهم:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ وَقرينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾. [الزخرف].

قال قتادة: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا هُوَ وَقرينُهُ جَمِيعًا»^(١).

وقال الطبري: وَقَوْلُهُ: ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ ... ذُكِرَ أَنَّ هَذَا قَوْلُ أَحَدِهِمَا لِصَاحِبِهِ عِنْدَ لُزُومِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ حَتَّىٰ يُورِدَهُ جَهَنَّمَ ... ثم أسند عن سَعِيدِ الجُرَيْرِيِّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الكَافِرَ إِذَا بُعِثَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ قَبْرِهِ، سَفَعَ بِيَدِهِ الشَّيْطَانَ، فَلَمْ يُفَارِقْهُ حَتَّىٰ يُصَيِّرَهُمَا اللهُ إِلَى النَّارِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُوَكَّلُ بِهِ مَلَكٌ فَهُوَ مَعَهُ حَتَّىٰ قَالَ: إِمَّا يُفْصَلُ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ نَصِيرٌ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ. هـ.^(٢)

اختصاص الكفار مع شياطينهم:

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: وأخبر الله تعالى عن اختصاص الكفار مع من كان معهم من الشياطين، ومن عبده من دون الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَأَلَّفَ إِنْ كُنَّا لِي ضَلَلٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الشعراء]. هـ.^(٣)

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٠/٥٩٨)

(٢) المرجع السابق (٢٠/٥٩٩-٦٠٠)

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ١٣٤)

تلاعن أهل النار فيها:

ومن جملة أنواع عذاب أهل النار فيها تلاعنهم وتباغضهم، وتبرؤ بعضهم من بعض، ودعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب،

كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِنَهُمْ لِأَوْلِيهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ ضَلُّوا فَغَاتِبَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]
وقال الله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّوْنَا اللَّهُ لَهَدَيْتَنَا كَمَا هَدَىٰ اللَّهُ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم]

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ [غافر]
وقال الله تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [٥٩]
قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسِّرُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْتَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ [ص]

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: وحينئذ فلا يبعد أن يقرن كل كافر بشيطانه الذي أضله، وبصورة من عبده من دون الله من الحجارة ا.هـ^(١)

تفاوت أهل النار في العذاب:

عن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَجُلٍ، تَوَضَّعَ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةً، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقَمُومُ» متفق عليه، وفي رواية لمسلم «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ١٣٥)

مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»^(١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي دِمَاعُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ» رواه مسلم^(٢)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» رواه مسلم^(٣)

وَعَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتْ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «(إِنَّ) مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتِهِ (وفي رواية: إِلَى عُنُقِهِ)» رواه مسلم^(٤)

قال أبو العباس القرطبي رحمته الله: وهذا الحديث أيضًا يدل على أن أهل النار يتفاوتون فيها، ويصح مثل هذا في الكفار، ... ويصح أن يكون ذلك فيمن يعذب من الموحدين، إلا أن الله تعالى يميئتهم إماتة، كما صح في الحديث ا.هـ^(٥)

عصاة المؤمنين لا يُخلدُون في النار إذا دخلوها :

النار نارٌ خالدة لا تفتنى ولا تبديد، يُعذب الله عز وجل فيها الكفار والمشركين. كما تقدم في كلام الطحاوي: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبديدان" ويدخلها من شاء الله من عصاة أهل التوحيد لكنهم بفضل من الله ورحمة منه لا يُخلدُون في نار جهنم كما تقدم في مسائل الشفاعة. فهؤلاء لَقُوا الله جل وعلا بذنوب لم يغفرها الله عز وجل لهم، فيُعدَّبُون في النار بقدر ما يشاء الله تعالى ثم يخرجون منها.

(١) صحيح البخاري (٦٥٦١، ٦٥٦٢) واللفظ له، وصحيح مسلم (٢١٣)

(٢) صحيح مسلم (٢١١)

(٣) تقدم (ص: ١٧٨)

(٤) صحيح مسلم (٢٨٤٥)

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٨٩/٧)

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمته الله: وَلَكِنْ إِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُحَلَّدُ فِي النَّارِ، إِذْ لَا يُحَلَّدُ فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَكِنْ مَنْ دَخَلَهَا مِنْ فُسَاقِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنْ أَهْلِ السَّرِقَةِ، وَالرِّثَا، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَأَكْلِ الرِّبَا، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَعَيْرِ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا عَذَّبَهُمْ فِيهَا عَذَّبَهُمْ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّذَ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّذَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّذَ إِلَى حَقْوِيهِ؛ وَمَكَثُوا فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكُثُوا أُخْرِجُوا بَعْدَ ذَلِكَ كَالْحِمَمِ فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ الْحَيَاءُ فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ. وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مَكْتُوبٌ عَلَى رِقَابِهِمْ هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ عَتَقَاءُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ. وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ طَوِيلٌ لَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١)

موت عصاة المؤمنين في النار إذا دخلوها :

كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَأَسَ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِحَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرٍ (٢)، فَبُشُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» (٣)

قال النووي رحمته الله: مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُنْذِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُمِيتُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِمَاتَةً بَعْدَ أَنْ يُعَذِّبُوا الْمُدَّةَ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذِهِ الإِمَاتَةُ حَقِيقِيَّةٌ، يَذْهَبُ مَعَهَا الإِحْسَاسُ وَيَكُونُ عَذَابُهُمْ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ ثُمَّ يَكُونُونَ مَحْبُوسِينَ فِي النَّارِ مِنْ غَيْرِ إِحْسَاسِ الْمُدَّةِ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ مَوْتَى قَدْ صَارُوا فَحْمًا

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٣/٣٥)

(٢) جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرهما، وهو الأشهر ويقال فيها أيضا إضبارة قال أهل اللغة الضبائر جماعات في تفرقة (فبشوا) معناه فرقوا.

(٣) صحيح مسلم (١٨٥)

فِيُحْمَلُونَ ضَبَائِرَ كَمَا تُحْمَلُ الْأَمْتَعَةُ، وَيُلْقَوْنَ عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ؛ فَيَصَبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَحْيُونَ وَيَنْبُتُونَ نَبَاتِ الْحَبَّةِ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، فِي سُرْعَةٍ نَبَاتِهَا وَضَعْفِهَا فَتَخْرُجُ لِضَعْفِهَا صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً ثُمَّ تَشْتَدُّ قُوَّتُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ. وَيَصِيرُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ وَتَكْمُلُ أحوَالُهُمْ فَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ الْحَدِيثِ وَمَعْنَاهُ. وَحَكَى الْقَاضِي عِيَّاصُ رحمته الله فِيهِ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهَا إِمَاتَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَالثَّانِي لَيْسَ بِمَوْتٍ حَقِيقِيٍّ وَلَكِنْ تَعَيَّبَ عَنْهُمْ إِحْسَاسُهُمْ بِالْآلَامِ قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ آلامُهُمْ أَحْفَ فَهَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَالْمُخْتَارُ مَا قَدَّمَناهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ اهـ (١)

الخلود للكافرين:

أما الكافر والمشرِك فإن الله تعالى قد أخبر أنهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً لا يخرجون منها بشفاعة بل لا يؤذن لهم بالشفاعة، ومن هؤلاء أيضاً المنافقون، كما قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة]

أما المؤمن الذي يموت عاصياً لم يتب إلى الله تعالى ثم يدخل نار جهنم فإنه لا يخلد فيها كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء كما ذكرنا أصحاب الكبائر: كمن مات على الكبر أو قاتلاً لنفس أو آكلًا للربا أو آكلًا لأموال الناس بالباطل أو مات ظالماً للناس أو مات وقد وقع في شيء من الرياء أو كالنساء الكاسيات العاريات، فهؤلاء تحت المشيئة فإذا لم تدركهم رحمة الله تعالى وكتب عليهم العذاب فإنهم لا يخلدون في نار جهنم.

ينقطع رجاء أهل النار عند ذبح الموت:

ولا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت فحينئذ يقع منهم الإياس وتعظم عليهم الحسرة والحزن. فإنه إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، - كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم -: « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،

فَيْشَرِّبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ يَنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيْشَرِّبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيُذَبِّحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». ثم قرأ رسول الله ﷺ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ [مريم] (١)

المشرك والكافر لا تنفعه حسناته التي عملها في الدنيا يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ ﴿٣٢﴾ [الفرقان]. وجاء في صحيح الإمام مسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها، أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل من قرابتهما يدعى عبد الله بن جُدعان، فأثنت عليه، وقالت رضي الله عنها: يا رسول الله، إنَّ عبد الله بن جُدعانَ كان يقري الضيف، ويطعم المسكين، ويفعل ويفعل، أينفعه ذلك عند الله؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؛ إِنَّهُ مَا قَالَ يَوْمًا قَطُّ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» (٢). هذا الرجل أدركه الإسلام فلم يسلم، وكان على خلال من الخير والفضل، فقد كان يطعم المسكين، ويذبح الذبائح للفقراء والمحتاجين، وكان يقري الضيف، ويطعم الطعام، وينصر المظلوم، ويؤدي الأمانة، ويصدق في الحديث، ويمسح الجوار، ويفعل ويفعل، لكنه لم يكن مُصَدِّقًا بالبعث، ومن لم يُصَدِّقْ به كافرٌ، والكافر لا ينفعه أيُّ عمل من أعمال البرِّ؛ لإحباطه بكفره (٣).

وفي مسند أبي يعلى أنها رضي الله عنها أثنت عليه خيرًا، فقالت: كَانَ يَنْحَرُ الْكُومَاءَ (٤)، وَيُكْرِمُ الْجَارَ، وَيُقْرِى الضَّيْفَ، وَيَصُدِّقُ الْحَدِيثَ، وَيُوفِي بِالذَّمَّةِ، وَيَصِلُ الرَّجِمَ، وَيُفَكُّ الْعَانِي، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيُؤَدِّي الْأَمَانَةَ. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «هَلْ قَالَ يَوْمًا وَاحِدًا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؟» قالت: لا، وَمَا كَانَ يَدْرِي مَا جَهَنَّمُ! فقال صلى الله عليه وسلم: «فَلَا إِذَا» (٥)

(١) تقدم (ص: ٤١٤)

(٢) صحيح مسلم (٢١٤)

(٣) انظر: البحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٥/٤٧٦).

(٤) الكوماء هو: البعير الضخم السنام

(٥) مسند أبي يعلى (٤٨٧٠) ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٧٤٦، ٤٣٥٩) وسنده صحيح

هذا الرجل مؤدّ لحقوق عظيمة، لكنه فرّط في أعظمها، وترك أعظمها، وهو حق الله **جَلَّ وَعَلَا**، قال تعالى: ﴿ * وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦]، فهذا الرجل عمل هذه الأعمال، وأدّى هذه الصالحات، يريد الثناء والذكر، لا يرجو من الله ثواباً، ولا يخاف من عقابه، فكان إخبار النبي ﷺ عن حاله أنّها لا تنفعه عند الله **جَلَّ وَعَلَا**.

ولما أسلم عدي بن حاتم **رضي الله عنه**، وهو ابن صاحب المفاخر، فأبوه حاتم الطائي الذي تضرب العرب به المثل في الجود والكرم. فوقف عدي **رضي الله عنه** بين يدي النبي ﷺ، يسأل عن عمل أبيه حاتم الطائي. فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا فقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَبَاكَ أَرَادَ أَمْرًا فَأَدْرَكَهُ»^(١)؛ يعني: الذكر، أراد من كرمه وإحسانه إلى الناس الذكر والثناء والسُّمعة؛ فأدركها في الدنيا، فأما يوم القيامة فلا.

وأما ما ورد في شأن أبي طالب أنه يخفف عنه فهذا من خصائص النبي ﷺ كما تقدم في أحاديث الشفاعة.

حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ:

إن طريق جهنم قد حُفَّتِ بالشهوات؛ ولذلك يقع كثيرٌ من الناس في حبائل الشيطان ويقع كثيرٌ من الناس في هذه الشهوات التي زُيِّنَتْ لهم. والواجب على المسلم أن يجاهد نفسه في هذه الدنيا. يقول الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [آل عمران: ١٤] هذه الدنيا هي التي فُتِنَ بها كثيرٌ من الناس، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠/ ٢٠٠) ط الرسالة رقم (١٨٢٦٢) وابن حبان: (٣٣٢)، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" (٣٦٦/١).

أهل النار كثير:

جاءت الأخبار أيضًا في السنة بأن أهل النار كثير وبأن الناجين قليل. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ]. وأخبر عن قلة أهل الإيمان فقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف]. فيجب على المسلم أن يخاف من النار، وأن يحرص أن يكون مع الثلة المؤمنة القليلة التي تلقى الله **جَلَّ وَعَلَا** يوم القيامة، وهي في أمنٍ وأمان وفي رضا من الرحمن بالإيمان بالله **تَعَالَى** والأعمال الصالحات.

النساء أكثر أهل النار:

ولتحذر النساء من عذاب الله **جَلَّ وَعَلَا** فقد جاء في حديث **عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النَّسَاءُ» رواه مسلم ^(١). وقال **عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «رَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النَّسَاءَ» ^(٢). فالواجب على المرأة أن تتقي الله **جَلَّ وَعَلَا** في دينها وفي إيمانها وفي إقبالها على ربها **تَعَالَى**. وفي الصحيحين عن **أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النَّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النَّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، ...» الحديث ^(٣). وفي صحيح مسلم عن **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النَّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»... الحديث ^(٤). وفي المسند عن **أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** انْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ يَوْمًا فَأَتَى النَّسَاءَ فِي الْمَسْجِدِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النَّسَاءِ، ... إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنَّكُمْ

(١) تقدم

(٢) أخرجه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧) واللفظ له، من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤) وهو في مسلم (٨٠ و٨٨٩) بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم (٧٩).

أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَرَّبْنَ إِلَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْنَ»^(١)، ... الحديث. وانظر ما تقدم في مبحث أقل ساكني أهل الجنة النساء^(٢)

كِبْرُ حَجْمِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ وَغَلْظُ أَجْسَامِهِمْ:

وتأملوا أيضًا من مواقف جهنم العظيمة ما يقوله **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)** مبيِّنًا عِظَمَ خَلْقِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَإِنَّ خَلْقَ أَحَدِهِمْ يَضَخَمُ حَتَّى يَزْدَادَ عَذَابُهُ وَتَزْدَادُ آلَامُهُ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾^(٤٦) [فصلت: ٤٦].

قال النبي **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «ضِرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أَحَدٍ وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ» رواه مسلم^(٣).

وقال **عَلِيٌّ (رضي الله عنه)**: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ [فِي النَّارِ] مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ». متفق عليه^(٤)

وتقدم حديث مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ **رضي الله عنهما**: «أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَ: «أَجَلٌ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي (إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، يَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةُ الْقَيْحِ وَالدَّمِ)»، ... الخ^(٥)

وفي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رضي الله عنه**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِنَّ غِلْظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا [بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ]، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أَحَدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ»^(٦)

(١) مسند أحمد (١٤/٤٤٩) رقم (٨٨٦٢) وهو في صحيح مسلم (٨٠) ولم يسق لفظه. وانظر تخريجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣١٤٢)

(٢) انظر ما تقدم: (ص: ٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٥١) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**.

(٤) صحيح البخاري (٦٥٥١) وصحيح مسلم (٢٨٥٢) ومنه الزيادة. من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**.

(٥) تقدم تخريجه (ص: ٤٣٨)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٥٦١) وصحيح الترغيب والترهيب (٣٦٨٤).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٥٧٧) والسياق له، وصححه ابن حبان (٧٤٨٦) والحاكم (٨٧٦٠) والزيادة لهما من حديث شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة **رضي الله عنه**. وصح إسناده الألباني في السلسلة

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «يَعْظُمُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَصِيرَ شِفَاهُهُمْ إِلَى صُدُورِهِمْ مَقْبُوحُونَ يَتَهَاقَتُونَ فِي النَّارِ»^(١)

طعام وشراب أهل النار:

ولأهل النار طعام وشراب لكنه عذاب في عذاب.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ۖ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۖ﴾ [الغاشية] والضرير: شوك بأرض الحجاز يقال له: الشبرق^(٢)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامٌ الْأَثِيمِ ۚ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۚ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۚ﴾ [الدخان]. وقد وصف الله شجرة الزقوم في آية أخرى، فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۚ﴾ [الأنعام] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۚ﴾ [الأنعام] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۚ﴾ [الصافات] وفي المسند والسنن عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۚ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةَ مِنَ الزُّقُومِ قَطِرَتْ فِي الْأَرْضِ، لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ يَمُنُّ هُوَ طَعَامُهُ، وَلَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ»^(٣)

الصحيحة (٩٥/٣) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٢١). ورواه ابن أبي شيبة (٣٤١٥٥) حدثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال ابن مسعود لأبي هريرة رضي الله عنه: تراه كم غلظ جلد الكافر؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه: لا فقال عبد الله: غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا. ورجح الدارقطني في العلل (١٩٤١) الموقوف.

(١) المصنف (٥٣/٧) رقم (٣٤١٥٢) بسند صحيح.

(٢) تفسير الطبري (٣٣١/٢٤).

(٣) حديث معل؛ رواه أحمد (٢٧٣٥، ٣١٣٦) والترمذي (٢٥٨٥) وابن ماجه (٤٣٢٥) والنسائي في السنن الكبرى (١١٠٠٤) وصححه ابن حبان (٧٤٧٠) والحاكم (٣١٦٨٦، ٣١٥٨) ورواه من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس. -وهذا إسناد ظاهره الصحة- وخالفه الفضيل بن عياض فرواه عن الأعمش عن أبي يحيى القتات -وهو ضعيف- عن مجاهد عن ابن عباس موقوفا. رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣١٣٧) وتابعه يحيى بن عيسى الرمي عن الأعمش به رواه أسد بن موسى في الزهد (٣٦) وابن

قال الحافظ زين الدين ابن رجب رحمته الله: وقد دل القرآن، على أنهم يأكلون منها، حتى تمتلئ منها بطونهم، فتغلي في بطونهم كما يغلي الحميم، وهو الماء الذي انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم ﴿ شَرِبَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الواقعة] (١) ا.هـ (٢)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ (١٢) ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣) [المزمل] أي: وطعاما يَغصُّ به آكله، فلا هو نازل عن حلقه، ولا هو خارج منه. (٣)

وقال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ هَهْنَا حَمِيمٌ ﴾ (٢٥) ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴾ (٣٦) [الحاقة] وهو ما يسيل من صديد أهل النار. قاله ابن عباس رضي الله عنه. وقال قتادة: هو شر الطعام وأخبثه وأبشعه ا.هـ (٤).

وقال كعبُ الأحبار لعمر رضي الله عنه: وَاللَّهِ لَوْ دُرِّي مِنْ غِسْلِينَ دَلَّوْا وَاحِدٌ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ، لَعَلَّتْ مِنْهُ جَمَاجِمُ قَوْمٍ فِي مَغْرِبِهَا ا.هـ (٥).

أبي شيبة (٣٤١٤٤) وابن أبي الدنيا في صفة النار (٧٩) والطبري في التفسير ط هجر (١٩/٦٥١، ٢١/٥٤) والبيهقي في البعث والنشور حيدر (٥٤٤). قال أبو حاتم كما في علل الحديث (٢١١٩): الأعمش قليل السماع من مجاهد، وعامة ما يروي عن مجاهد مُدَّلس. وفي تاريخ الدوري عن ابن معين (٢/٢٣٥): «إنما سمع من مجاهد أربعة أحاديث أو خمسة». وقال ابن المديني كما في تهذيب التهذيب: «قال يعقوب بن شيبة في مسنده: ليس يصح للأعمش عن مجاهد إلا أحاديث يسيرة، قلت لعلي بن المديني: كم سمع الأعمش من مجاهد؟ قال: لا يثبت منها إلا ما قال سمعت، هي نحو من عشرة، وإنما أحاديث مجاهد عنده عن أبي يحيى القتات ا.هـ فتبين بهذا ضعف الحديث ولذا ضعفه العلامة الألباني في الضعيفة (٦٧٨٢).

(١) الهيم: الإبل العطاش.

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص ١٤٤)

(٣) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٣/٣٨٤)

(٤) انظر: المرجع السابق (٢٣/٢٤٠)

(٥) تقدم (ص ١٣٩)

شراب أهل النار:

وقد ذكر الله في كتابه من شراب أهل النار:

١- الحميم كما في قوله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد].

وهو الحار الذي قد انتهى حره يحرق ويقطع الأمعاء.

٢- والماء كالمهل كما في قوله تعالى **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ

يَشْوِي أُلُجُوهَهُمْ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف].

والمهل: هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره، أو لم يكن مائعا، فانماع بالوقود عليه، وبلغ أقصى الغاية في شدة الحر. يشوي ذلك الماء الذي يغاثون به وجوههم^(١). **رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ قَطْرَانِ جَهَنَّمَ وَقَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ، لَأَحْرَقَتِ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا»^(٢)

٣- الغساق، قال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيُدْرِكُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص] وهو ما يسيل من صديد

أهل النار. قاله قتادة والسدي وإبراهيم النخعي وغيرهم واختاره ابن جرير.^(٣)

رَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يَهْرَأُقُ بِهِ الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا»^(٤)

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٥٠/١٥)

(٢) أخرجه الطبراني - في زوائده على الزهد لأسد بن موسى - (٣٥) ورجاله ثقات لكنه غريب لا يوجد في الكتب المشهورة.

(٣) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٣٠/٢٠)

(٤) أخرجه ابن المبارك في مسنده (١٣٧) عن هشام بن سعد - وفيه ضعف - عن عمرو به. وخولف فيه فقد رواه أسد بن موسى في الزهد (٣٢) وابن وهب في التفسير (٢٦٣) والطبري (١٢٩/٢٠) من طرق عن ابن لهيعة عن أبي قبيل، عن أبي هبيرة الزياتي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: أي شيء الغساق، قالوا: الله أعلم، فقال عبد الله بن عمرو: هو القيقح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب أنتنت أهل المشرق، ولو تهراق في المشرق أنتنت أهل المغرب. وهذا إسناد ضعيف، أبو هبيرة لم يتبين لي من هو؟ ورواه الطبري (٣٢/٢٤) حدثت عن محمد بن حرب، قال: ثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن أبي مالك، عن عبد الله بن

٤- الصديد: قال الله تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ ﴾ [إبراهيم]. وهو القيح والدم. وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْحَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ» أَوْ «عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْعَةِ الْحَبَالِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدْعَةُ الْحَبَالِ؟ قَالَ: «عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٢)

لباس أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ قَالِذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [الحج: ١٩]
قَرَأَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ مَنْ قَطَعَ مِنَ الثِّيَرَانِ ثِيَابًا»^(٣)
وقال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: أي:

عمرو، به. وأبو مالك لم أعرفه. ورواه الترمذي (٢٥٨٤) عن عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا رشدين بن سعد قال: حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: ﴿ كَأَلْمُهْلِ ﴾ [الكهف: ٢٩] «كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه» قال: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة» قال: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأتتن أهل الدنيا» ثم قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه. اهـ والحديث في ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٥٦)

(١) صحيح مسلم (٢٠٠٢)

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٧) واللفظ له والنسائي (٥٦٧٠) مختصرا وصححه ابن حبان والحاكم وصححه

الألباني في هداية الرواة (٤٤٨/٣) وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٤٠١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢١٢/٤) والبيهقي في البعث والنشور (٥٢٨)

ثِيَابُهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ قَطْرَانٍ، وَهُوَ الَّذِي تُظَلَى بِهِ الْإِبِلُ، وَهُوَ أَلْصَقُ شَيْءٍ بِالنَّارِ.

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُولُ: الْقَطْرَانُ هُوَ: التُّحَّاسُ الْمُدَّابُ ^(١)، أَي: مِنْ مُحَاسٍ حَارًّا قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرَمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ. ^(٢)
 وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «التَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، نُقِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» ^(٣)
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾
 [الأعراف] المهاد: ما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذي يفرش والبساط الذي يبسط. والغواش: جمع غاشية، وهو ما غشاهم فغطاهم من فوقهم ^(٤).

في النار حيات وعقارب:

وَفِي الْمَسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْرِ الزُّبَيْدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
 «إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمَوْتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَّارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ، فَيَجِدُ حَمَوْتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً» ^(٥)

وَرَوَى الطَّبْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ لِجَهَنَّمَ سَوَاحِلَ فِيهَا حَيَّاتٌ وَعَقَّارِبُ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ» ^(٦) ^(٧)

(١) «تفسير الطبري (٧٤٥/١٣)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥٢٢/٤)

(٣) صحيح مسلم (٩٣٤)

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩٦/١٠)

(٥) مسند أحمد (١٧٧١٢) وأخرجه ابن حبان (٧٤٧١) والحاكم (٨٧٥٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢٩)

(٦) البُخْت: إبل خراسانية طويلة الأعناق. كما في اللسان

(٧) تفسير الطبري (٣٣٢/١٤).

وروى ابن أبي شيبة: عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] قَالَ: «زِيدُوا عِقَابَ أَدْنَاهَا [وفي رواية: أَنْيَابُهَا] كَالْتَّخْلِطِ الطَّوَالِ»^(١)

أعظم عذاب أهل النار:

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل، وإبعادهم عنه. وإعراضه عنهم، وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة، وتجليه لهم ورؤيتهم إيَّاه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴿المطففين﴾. فذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من العذاب: حجابهم عنه، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم بتكذيبهم به في الدنيا. ووصفهم بالران على قلوبهم، وهو صدأ الذنوب الذي سَوَّدَ قلوبهم، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدنيا شيء من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابته وخشيته ومحبيته، فكما حجب قلوبهم في الدنيا عن الله حجبوا في الآخرة عن رؤيته اه.^(٢)

طلب أهل النار الرجعة والتخفيف من العذاب:

ويشكو أهل النار إلى الله تعالى يوم القيامة وإلى خزنة جهنم حالهم وما هم فيه، فهل يجابون إلى ذلك؟ كَلَّا لَا يُجَابُونَ، -نسأل الله العفو والعافية-، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ﴾^(٣)

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٥١/٧) رقم (٣٤١٣٨) واللفظ له. ورواه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٩٣)، وأبو يعلى (٢٦٥٩) والطبراني في المعجم الكبير (٩/٢٢٦) رقم (٩١٠٣، ٩١٠٤، ٩١٠٥) والرواية له. والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣٣٥٧، ٨٧٥٥) وصححه على شرطهما وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨) للألباني.

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ١٩٥)

- لو قدم الأرض كلها بما فيها وملاها ذهباً فديةً ما قبل الله **عَزَّوَجَلَّ** منه-، قال الله تعالى:

﴿ **أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** ﴾ (٩١) ﴿ [آل عمران]

ويقول **جَلَّ وَعَلَا** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ**

مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٩٦) ﴿

[المائدة] بل يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** له كما تقدم معنا في الحديث: «**فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ**

هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ»^(١)

- نسأل الله السلامة والعافية.-

استغاثة ونداء أهل النار:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ النَّارِ نَادَوْا**: ﴿ **يَمَلِكُ لِيَقْضِ**

عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾، فَخَلَّى عَنْهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا، ثُمَّ أَجَابَهُمْ: ﴿ **إِنَّكُمْ مَلَائِكُونَ** ﴾ ﴿ [الزخرف].

[هَانَتْ دَعْوَتُهُمْ وَاللَّهِ عَلَى مَالِكٍ، وَرَبِّ مَالِكٍ] ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا**

ضَالِّينَ ﴾ ﴿ [**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** ﴾ ﴿ [المؤمنون]، قَالَ: فَخَلَّى

عَنْهُمْ مِثْلِي^(٢) الدُّنْيَا، [وفي رواية: فَخَلَّى عَنْهُمْ مِثْلَ الْأُولَى لَا يُجِيبُهُمْ]^(٣) ثُمَّ أَجَابَهُمْ:

﴿ **أَخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تَكْمُلُونَ** ﴾ ﴿ [المؤمنون]، قَالَ: فَلَمْ يَبْسُطْ [أي ينطق] الْقَوْمُ بَعْدَ ذَلِكَ

بِكَلِمَةٍ، إِنْ كَانَ إِلَّا الزَّفِيرُ وَالشَّهيقُ»^(٤)

(١) تقدّم في هذا المجلس.

(٢) عند ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٦٨) والطبري في رواية والطبراني والحاكم (مثل الدنيا)

(٣) لفظ هناد في الزهد.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٤٨ / ٧) - وعنه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٦٨) - ورواه هناد في الزهد (٢١٤)

والطبري في تفسيره ط هجر (٦٤٩ / ٢٠) وابن أبي حاتم - كما في «تفسير ابن كثير - ت السلامة (٥ / ٤٩٩) -

والطبراني في المعجم الكبير ج ١٣، ١٤ (٣٥٢ / ١٣) رقم (١٤١٧١) والحاكم في المستدرک (٨٧٧٠) والبيهقي

في الأسماء والصفات (٤٨٠) ومنه الزيادة. وصححه الحاكم على شرط الشيخين. وإنما هو صحيح

فحسب ففي سند الحاكم عبد الوهاب بن عطاء ولم يرو له البخاري في صحيحه والراوي عنه يحيى بن

أبي طالب لم يخرج له. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٩١)

وعن عُمَرَ بْنِ أَبِي لَيْلَى عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي: أَنَّ أَهْلَ النَّارِ
 ١- اسْتَعَاثُوا بِالْحَزْنَةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا
 رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١١١﴾ سَأَلُوا يَوْمًا وَاحِدًا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ فِيهِ
 الْعَذَابُ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَزْنَةَ: ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ
 فَرَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْحَزْنَةَ: ﴿ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ﴿٥٥﴾
 [غافر].

٢- وَلَمَّا يَتَسَوَّأُ مِمَّا عِنْدَ الْحَزْنَةِ، ﴿ وَنَادُوا يَمْلِكُ ﴾ وَهُوَ عَلَيْهِمْ وَلَهُ مَجْلِسٌ فِي وَسْطِهَا،
 وَجُسُورٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَهُوَ يَرَىٰ أَقْصَاهَا كَمَا يَرَىٰ أَذْنَاهَا، فَقَالُوا: ﴿ وَنَادُوا
 يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]. سَأَلُوا الْمَوْتَ قَالَ: " فَمَكَتْ عَنْهُمْ لَا يُجِيبُهُمْ
 ثَمَانِينَ سَنَةً... فليحظ إليهم بعد الثمانين: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [الزخرف]

٣- فَلَمَّا سَمِعُوا مَا سَمِعُوا مِمَّا قَبْلَهُ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا هَؤُلَاءِ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ
 الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ مَا قَدْ تَرَوْنَ، فَهَلُمُّوا فَلْنَصِرْ، فَلَعَلَّ الصَّبْرَ يَنْفَعُنَا، كَمَا صَبَرَ أَهْلُ الدُّنْيَا
 عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَتَنَعَهُمُ الصَّبْرُ إِذْ صَبَرُوا. فَاجْمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ، فَتَصَبَّرُوا، فَطَالَ
 صَبْرُهُمْ، ثُمَّ جَزَعُوا، فَنَادُوا: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ ﴿١١١﴾
 [إبراهيم] - أي: ملجأ - فقام إبليس عند ذلك فخطبهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ
 وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
 فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾
 [إبراهيم: ٢٢]، يَقُولُ: بِمَعْنَى عَنْكُمْ شَيْئًا. ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
 أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٤- فَلَمَّا سَمِعُوا مَقَالَاتِهِ مَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ فَنُودُوا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ
 اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا

أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴿[غافر] فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴿[غافر: ١٢] قَالَ: «هَذِهِ وَاحِدَةٌ» .

٥- قَالَ: فَنادُوا الثَّانِيَةَ: ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿[السجدة: ١٣] فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴿[السجدة: ١٣] يَقُولُ: لَوْ شِئْتُ لَهَدَيْتُ النَّاسَ جَمِيعًا فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿[السجدة: ١٣-١٤] يَقُولُ: بِمَا تَرَكْتُمْ أَنْ تَعْمَلُوا لِيَوْمِكُمْ هَذَا. ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴿ إِنَّا تَرَكْنَاكُمْ، ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [السجدة: ١٤] فَهَذِهِ اثْنَتَانِ.

٦- قَالَ: فَنادُوا الثَّالِثَةَ: ﴿ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ بِحُبِّ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴿[إبراهيم: ٤٤] فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِن قَبْلِ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَمَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ [إبراهيم] قَالَ: «هَذِهِ الثَّالِثَةُ» .

٧- قَالَ: ثُمَّ نادُوا الرَّابِعَةَ: ﴿ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿ قَالَ: ﴿ أَوْلَمْ نُنَعِّمِكُمْ مَا يَبْدَأُ فِيهِ مِن تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر]

٨- فَمَكَتْ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ناداهم: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءآيَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٣٨﴾ ﴿ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ قَالُوا: الْآنَ يَرْحَمُنَا رَبُّنَا. وَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا

عَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا ﴿١٦﴾ أَيِ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتَ عَلَيْنَا. ﴿١٧﴾ وَقُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿١٨﴾ [المؤمنون] فَانْقَطَعَ عِنْدَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ وَالرَّجَاءُ مِنْهُمْ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، يَنْبُحُ بَعْضُهُمْ فِي وَجْهِ بَعْضٍ. وَأُطِيقَتْ عَلَيْهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿١٩﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَبْتَاطُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدَّنُ لَهُمْ فَيَعْتَزُّونَ ﴿٣٣﴾ ﴿[المرسلات]. (١)

وقال أبو معشرٍ عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ:

لَأَهْلِ النَّارِ خَمْسَ دَعَوَاتٍ يُجِيبُهُمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي أَرْبَعَةٍ فَإِذَا كَانَتِ الْخَامِسَةُ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بَعْدَهَا أَبَدًا:

يَقُولُونَ: ﴿١١﴾ رَبَّنَا أَمَّنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ [غافر] فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿١٢﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تَوَمَّنُوا فَأَلْحِكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٣﴾ [غافر]، ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿١٤﴾ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ ، فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿١٥﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [السجدة]

ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿١٧﴾ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ لِحُبِّ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴿١٧﴾ فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿١٨﴾ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿١٨﴾ [إبراهيم: ٤٤] فَيَقُولُونَ: ﴿١٩﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿١٩﴾ فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿٢٠﴾ أَوْلَمْ نَعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٢٧﴾ [فاطر]. ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿٢١﴾ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ

﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ ﴿١٧﴾، فَيَجِيبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَاْمِرُونَ ﴿١٨﴾، [المؤمنون] فَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِعَدْوَاهَا أَبَدًا. (١)

من أسباب النجاة من النار:

فهذا تطوافٌ في شيء مما ورد في جهنم يوم القيامة، فيجب على المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء عن النبي ﷺ، وكذلك ما جاء عن الله **جَلَّ وَعَلَا** من أخبار تتعلق بنار جهنم.

وقد كتَبَ العلماءُ في ذلك الكتبَ الكثيرة، ومن أشهرها:

كتاب "التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار"، للحافظ ابن رجب رحمته الله وكذلك "صفة النار" لابن أبي الدنيا،

فيمكن للإنسان أن يراجع مثل هذه الكتب ليتذكر ويتفكر ويتأمل.

وإني لأوصي نفسي وإخواني بالتوبة النصوح والرجوع إلى الله **جَلَّ وَعَلَا** وأن يجعل الإنسان نُصِبَ عينيه ما هو كائن يوم القيامة والمصير الذي يساق إليه كل إنسان.

قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧١﴾ [الشورى].

عليك أيها المؤمن بالأعمال الصالحة التي تكون لك وقايةً من عذاب الله **جَلَّ وَعَلَا** كما قال النبي ﷺ في الصيام: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ» (٢)

ويقول **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٦١﴾ [الرحمن]

فالخوف من الله والوجل من الله ورجاء ما عند الله أيضًا يكون وقايةً لك. فلنسأل الله الجنة، ولنستعذ به من النار على الدوام.

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٤٨٢)

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد كان نبينا **عند الصلوة والسلام** وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لا تمضي عليه صلاة إلا ويسأل الله فيها الجنة ويستعيذ به من النار، وكذلك يفعل في الصباح والمساء كما تقدم. فنحن -والله- أحوج ما نكون إلى لزوم هذه الأدعية التي تجعلنا على صلة دائمة بالله سبحانه.

وعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا سَأَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَلَا اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ مُسْتَجِيرٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرِهِ مِنَ النَّارِ»^(١).

أي: لو سألت الله الجنة ثلاثاً كل يوم وسألته أن يعيدك من النار ثلاثاً فإن النار والجنة تدعوان لك،

فأما الجنة فتقول: اللَّهُمَّ ادْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وأما النار فتقول: اللَّهُمَّ اجْرِهِ مِنِّي.

وقد جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ في شأن الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر فيجلسون مع المؤمنين ثم يلقون ربهم **سبحان الله** «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ؛ قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ»^(٢).

فهذا حال المؤمنين في الدنيا، فهم قريبون من الله، وقريبون من الدار الآخرة، يتذكرونها، ويسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار، وأخيراً:

(١) أخرجه أحمد (١٢٥٨٥)، والترمذي (٢٥٧٢) والنسائي (٥٥٢١)، وابن ماجه (٤٣٤٠) وصححه العلامة الألباني

في صحيح الترغيب (٣٦٥٤)، وشيخنا العلامة الوداعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٨٥)

(٢) تقدم (ص: ٤٣٥)

أذكر نفسي وإخواني بالحذر من غضب الله وأمن عقابه،
ولا تقل: لا يُعذَّب اللهُ بالذنب الواحد،
فإنما خرج آدم عليه السلام من الجنة بأكلة حين ذاق الشجرة،
وطُردَ إبليس من الجنة بسجدة أباه،
وقال عليه السلام: «دَخَلَتْ أَمْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ
حَشَائِشِ الْأَرْضِ»^(١)

نسأل الله عز وجل أن يُوفِّقنا وإياكم لما يُحِبُّ ويرضى،
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ،
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ،
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ،
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَا بَاءَ لَنَا وَأَمْهَاتِنَا وَلِمَشَائِخِنَا وَلِمَنْ لَه حَقٌّ عَلَيْنَا
﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصفات].



(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

المحتويات

٥	تتمة الركن السادس من أركان الإيمان بالإيمان بالجنة والنار
٧	المجلس السادس والثلاثون
٧	الإيمان بالجنة والنار
٨	الإيمان بالجنة
٨	الجنة والنار مخلوقتان موجودتان
٨	رؤية جبريل الجنة والنار
٩	تذكر الجنة يُسلي المؤمنَ عما فاتته من الدنيا
١٠	دار السلام
١١	من أسماء الجنة
١٤	الجنة خلقها الله بيده
١٥	الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشر
١٥	موضع السوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها
١٧	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً
١٧	شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة في دخول الجنة
١٨	أول زمرة يدخلون الجنة
١٨	أول من يدخل الجنة من هذه الأمة سبعون ألفاً بلا حساب ولا عذاب
٢٥	هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة
٢٨	الفقراء أكثر أهل الجنة
٢٨	الفقراء من المؤمنين يسبقون الأغنياء في دخول الجنة
٢٩	النساء أقل ساكني أهل الجنة
٣٢	لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة

- ٣٤ مفتاح الجنة توحيد الله
- ٣٥ أهل التوحيد الذين يدخلون الجنة قسمان
- ٣٥ الجنة دار الخلود
- ٣٧ جنتان من ذهب وجنتان من فضة
- ٣٧ أبواب الجنة
- ٣٨ سعة أبواب الجنة
- ٣٩ أول من يقرع باب الجنة
- ٤٠ حلق أبواب الجنة
- ٤١ فتح أبواب الجنة في الدنيا
- ٤٢ أبواب الجنة درجات
- ٤٣ أمة محمد ﷺ أول الأمم دخولا الجنة
- ٤٣ الجنة درجات
- ٤٤ أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم منزلة
- ٤٥ المنزلة العالية في الجنة لنبيينا محمد ﷺ
- ٤٦ الشهداء في الدرجات العلى من الجنة
- ٤٧ الساعي على الأرملة والمسكين
- ٤٧ الوالد يستغفر له ولده الصالح
- ٤٧ إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله
- ٤٩ مساكن الجنة وقصورها وغرفها
- ٥٠ خيام الجنة
- ٥١ طيب ربح الجنة
- ٥٤ تربة الجنة
- ٥٦ ثمار الجنة

٦٠	أشجار الجنة
٦٠	شجرة طوبى
٦١	سبقتان أشجار الجنة من ذهب
٦١	غراس الجنة
٦٢	طيور الجنة ودوابها
٦٢	أنهار الجنة وعيونها
٦٦	العيون في الجنة
٧٠	طعام أهل الجنة وشرابهم
٧٣	من صفة أهل الجنة
٧٥	لسان أهل الجنة
٧٦	أهل الجنة لا ينامون
٧٦	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا واستقبال أهل الجنة
٧٧	نساء أهل الجنة
٧٨	الحوار العين
٧٩	قاصرات الطرف
٧٩	عربا أترابا
٨٠	لم يطمئنهم إنس قبلهم ولا جان
٨٠	الحوار العين خلقهن الله للبقاء
٨١	كأنهن الياقوت والمرجان
٨١	جمال نساء أهل الجنة وحسنهن
٨٣	غناء الحوار العين
٨٤	نكاح أهل الجنة ووطوهم
٨٥	من انتهى الولد في الجنة

- ٨٦ الزرع في الجنة
- ٨٦ تاج الوقار في الجنة
- ٨٧ زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا وتذاكرهم ما كان في الدنيا
- ٨٩ سوق الجنة
- ٩٠ أهل الجنة كلهم ملوك فيها
- ٩٢ نعيم الجنة لا حد له
- ٩٣ رؤية أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى
- ٩٦ حكم من جحد وكذب برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة
- ٩٧ رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج
- ٩٨ كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة
- ٩٩ آخر أهل الجنة دخولا إليها
- ١٠٤ الجنة لمن آمن وعمل صالحا
- ١٠٥ دخول الجنة برحمة الله
- ١٠٦ سؤال الله الجنة
- ١٠٧ من أسباب دخول الجنة
- ١١٣ المجلس السابع والثلاثون
- ١١٣ الإيمان بالنار
- ١١٣ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفتيان ولا تبيدان
- ١١٣ من أدلة الإيمان بالنار الاستعاذة بالله منها
- ١١٤ استعاذة النبي ﷺ من النار
- ١١٤ سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار في الصباح والمساء
- ١١٥ الاستعاذة بالله من النار قبل النوم
- ١١٥ الأمر بالتعوذ بالله من النار

- ١١٦..... تعليم النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها الاستعاذة بالله من النار في دعائها
- ١١٦..... تعليم النبي ﷺ رجلا عاده في مرضه أن يدعو بأن يقيه الله من النار
- ١١٦..... تعليم النبي ﷺ لأصحابه الاستعاذة بالله من جهنم كما يعلمهم السورة من القرآن
- ١١٧..... الاستعاذة بالله من النار في كل صلاة
- ١١٧..... الدعاء للميت أن يعيذه الله من النار
- ١١٨..... الاستعاذة بالله من النار في الطواف بين الركنين
- ١١٨..... الاستعاذة بالله من النار في السفر في السحر
- ١١٩..... الصالحون يستجيرون بالله من النار
- ١٢٠..... دخول النار هو الخزي العظيم
- ١٢٠..... الإنذار بالنار والتحذير منها
- ١٢١..... النبي ﷺ ينذر أمته النار
- ١٢٢..... الوعيد لخاصة الخلق بالنار إذا عصوا الله
- ١٢٢..... خوف الأنبياء عليهم السلام من النار
- ١٢٣..... صفة الخوف الواجب
- ١٢٣..... خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده
- ١٢٤..... سعة النار
- ١٢٦..... يؤتى جهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام
- ١٢٦..... يؤتى جهنم بغتة
- ١٢٧..... وبرزت الجحيم للغاوين
- ١٢٧..... عرض النار
- ١٢٨..... فكاك المسلم من النار
- ١٢٩..... فاتقوا النار ولو بشق تمرة
- ١٢٩..... بعث النار

- ١٣٠..... إن جهنم كانت مرصداً
- ١٣٠..... يُعرف المجرمون بسيماهم
- ١٣١..... صبغة في النار
- ١٣٢..... النار دركات
- ١٣٣..... أبواب جهنم
- ١٣٤..... أبواب جهنم مغلقة
- ١٣٤..... سراق جهنم
- ١٣٥..... ظلمة النار وشدة سوادها
- ١٣٦..... شدة حر النار
- ١٣٦..... شدة زمهير النار
- ١٣٧..... سجر جهنم وتسعيرها
- ١٣٨..... سجر جهنم نصف النهار
- ١٣٨..... سجر جهنم بسبب الذنوب
- ١٣٨..... سجر جهنم بعد دخول أهلها
- ١٤٠..... الظل في النار
- ١٤٢..... من أودية جهنم
- ١٤٢..... سجن في جهنم
- ١٤٢..... السلاسل والأغلال والأنكال
- ١٤٤..... الكفار وقود النار
- ١٤٥..... يقرن الكفار بشياطينهم
- ١٤٥..... اختصام الكفار مع شياطينهم
- ١٤٦..... تلاعن أهل النار فيها
- ١٤٦..... تفاوت أهل النار في العذاب

- ١٤٧..... عصاة المؤمنین لا یُخلدُون فی النار إذا دخلوها
- ١٤٨..... موت عصاة المؤمنین فی النار إذا دخلوها
- ١٤٩..... الخلود للكافرين
- ١٤٩..... ینقطع رجاء أهل النار عند ذبح الموت
- ١٥٠..... المشرك والكافر لا تنفعه حسناته التي عملها في الدنيا يوم القيامة
- ١٥١..... حُفَّت النار بالشهوات
- ١٥٢..... أهل النار كثير
- ١٥٢..... النساء أكثر أهل النار
- ١٥٣..... كَبُرَ حَجْمُ الكُفَّارِ فی النار وغلظ أجسامهم
- ١٥٤..... طعام وشراب أهل النار
- ١٥٦..... شراب أهل النار
- ١٥٧..... لباس أهل النار
- ١٥٨..... فی النار حیات وعقارب
- ١٥٩..... أعظم عذاب أهل النار
- ١٥٩..... طلب أهل النار الرجعة والتخفيف من العذاب
- ١٦٠..... استغاثة ونداء أهل النار
- ١٦٤..... من أسباب النجاة من النار
- ١٦٧..... المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِمَجَالِسِ شُعْبَةِ الْإِيمَانِ

